UNIVERSAL
LIBRARY
OU_232636
UNIVERSAL
LIBRARY

٧٢٤

هذا
الجزء الثالث من الجغرافية العمومية
للمؤلف المطبرون تعريب الفقير
الى الله تعالى رفاعة بك
ناظر مدرسة
الالسن وقلم
ترجمة

فهرست الجزء الثالث من الجغرافية العمومية للمؤلف ملطبرون

	صحيفه
المقالة السادسة والاربعون * تخطيط آسيا * تعميمات	
على هذا القسم	٢
اسم آسيا	٢
حدود آسيا	٢
نهر تنايس	٢
الحدود المغربية على رأى الحكيم بلاس وعلى رأينا	٣
انفصال آسيا من امريقه	٣
حدود آسيا من جهة الجنوب الشرقى	٣
حدود آسيا جهة الجنوب	٣
حدود آسيا	٣
طول آسيا وعرضها	٣
اقسام طبيعية عظمى	٤
القسم الاول الهضبة الوسطى سلسلة جبال	٤
جبال التبت والهند	٤
صحراء قوبى اوشاما	٤
جبال المغول	٤
جبال بلور	٤
جبال سبير	٤
القسم الثانى الجنوبى	٥
القسم الثالث الشمالى	٥
القسم الرابع الشرقى	٥
القسم الخامس الغربى	٥
جدول سهل المأخذ فى بيان انهر اسيا	٦
تناسب هذه النهيرات	٧
البحيرات المالحة التى لا جريان لها	٨
فى الجهة الغربية	٨
فى الجهات المتوسطة	٨
بحيرات اخرى	٨
سهول آسيا	٩
النسبة بين الارض ومزاج القطر	٩
علة زيادة البرد فى آسيا جهة الشرق	٩
مدخلية الاقاليم فى مزاج الامم	١٠
رأى بقراط على امم اسيا	١٠
خطأ شراح بقراط	١٠
المعنى الحقيقى لكلمتى اوروبا وآسيا عند بقراط	١٠
شجاعة بعض امم آسيا	١١
المدخلية الحقيقية للجغرافية الطبيعيه	١١
اديان	١١
علة وجود الدول العظيمة بكثرة فى اسيا	١١

	صحيفه
اوصاف بوليتيقية لبلاد آسيا	١٢
هذه الحالة ليست مبنية على احوال جغرافية	١٢
تباين امم آسيا	١٢
حدود المنطقة الباردة والحارة	١٢
تنوع الاغذية	١٣
حيوانات	١٣
اختلاف السكنى	١٣
المقالة السابعة والاربعون فى تخطيط آسيا بلاد	
القوقاسيين اى اهالى كوه قاف	١٥
تعريف برزخ قوه قاف	١٥
اشتقاق لفظ قوقازه	١٥
ارتفاع	١٥
سلاسل وفروع	١٥
الابواب الكوه قافيه	١٥
الابواب الالبانية المسماة السرماطية	١٥
ابواب قسبانيه وابريانيه	١٥
سد جبل كوه قاف	١٦
معادن	١٦
صخور	١٦
حيوانات	١٦
نباتات	١٦
تقسيم هذه الامم	١٧
الكرج	١٧
اقسام اصليه	١٧
انهر	١٧
تولدات	١٧
زراعه	١٧
الجرج لغتهم اصلية الخ	١٨
تجارة	١٨
مساكن	١٨
مدن	١٨
قوانين بلادهم وسياساتهم الداخلية	١٨
الايمريتية	١٨
تولدات ارض ايمريتية	١٩
مدن	١٩
الكورية	١٩
بلاد كورية	١٩
لاظية	١٩
منظر بلاية	١٩

اخلافهم

	صحيفه
اخلاقهم	١٩
اسر المماليك	١٩
تجارة	١٩
مين اصلية	١٩
اقليم منغريلية ونباتاتها	١٩
اوهام وعوائد	٢٠
امة سوانة	٢٠
عادة غريبة	٢٠
اباظة	٢٠
اوصاف طبيعية	٢٠
حالتهم السياسية والدينية	٢٠
لغة	٢١
تجارة	٢١
مدن الاباظة	٢١
قبائل اصلية	٢١
مصاب نهر قويان	٢١
غزاق البحر الاسود	٢١
سهول ما بين وقوما	٢١
مذهب فى بوغاز قديم	٢١
عمالة قوقاسيا تتار	٢٢
قوزاق	٢٢
مدن	٢٢
تولدات	٢٢
الجركس	٢٢
اصل اسمهم	٢٢
قبائل الجراكسة	٢٢
اهالى	٢٣
تولدات	٢٣
زراعة	٢٣
سياسة	٢٣
التربية والزواج	٢٣
لغة	٢٣
الضيافة	٢٣
دين	٢٣
باسيان	٢٣
قبائل	٢٤
عبادة	٢٤
تولدات الاراضى وصفاتها	٢٤
البازلت	٢٤
اوسيتة	٢٤

	صحيفه
اخلاق واداب	٢٤
غرائب تولدية	٢٤
قبائل الاوسيتة	٢٤
عادة مخصوصة	٢٤
دير سنت نقولاوس	٢٤
كستيتا	٢٥
الكستة	٢٥
انغوش	٢٥
عبادتهم	٢٥
القرابولاك	٢٥
الجيجنتزرة	٢٥
التوشة	٢٥
داغستان	٢٥
لسجستان	٢٥
اللسجستانية وطريقة عيشتهم	٢٥
لسان اللسجستانية	٢٥
اوارة	٢٦
ديدووانسوالخ	٢٦
الكابوجه	٢٦
كويشة اوكوباشه	٢٦
تجارة ومعامل	٢٦
كاسيكوموق	٢٦
كيدالك	٢٦
الامير الاوزمية	٢٦
تباسران	٢٦
كومولك	٢٦
التروخينة	٢٦
حدود داغستان وشروان	٢٦
مدن واماكن مشهورة	٢٧
دربند	٢٧
خصوصية داغستان الجنوبية	٢٧
جنات الورد	٢٧
شماشيا الجديده	٢٧
بحيجزيرة ايشرون	٢٧
عيون النفط	٢٧
مدينة باكو	٢٧
المقالة الثامنة والاربعون فى تخطيط آسيا بلاد العثمانية	
باسيا القسم الاول	٣١
دكر شئ بطريق الاجمال	٣١
جبل طورس على العموم	٣١

	صحيفه
طورس آسيا الصغرى	٣٢
السلسلة الجنوبية	٣٢
طورس بالمعنى الاقتصارى	٣٢
جبل امانوس	٣٢
سلاسل الجبال الغربية والشمالية	٣٢
الزلازل	٣٢
براكين مطفاه	٣٣
انهر	٣٣
ميندرة	٣٣
هاليس اوهالوس	٣٣
بحيرات	٣٣
قطر	٣٣
تولدات	٣٣
نباتات السواحل الغربية	٣٣
داخل اسيا الصغرى	٣٤
قرمانيا	٣٤
سواحل البحر الاسود	٣٤
حيوانات	٣٤
معادن	٣٤
تخطيط	٣٤
ديزة	٣٥
طرابزندة	٣٥
كرازنطه	٣٥
اونية	٣٥
سمسون	٣٥
اماسيا	٣٥
توقات	٣٥
اهالى الجبال	٣٥
غرائب تاريخية	٣٥
قسطامونى	٣٥
بيبيوليس	٣٥
سينوبة	٣٦
اينهبولى	٣٦
اسكودار	٣٦
ايسنك	٣٦
قوزيقس	٣٦
برسا	٣٦
عدم الحكم والسياسة فى اناطولى	٣٦
كوتاهية	٣٦
قراحصار	٣٦

	صحيفه
قونيا	٣٧
قرمان	٣٧
مدن على اعلى هالوس	٣٧
انجوره	٣٧
لوزكاط	٣٧
سيواس	٣٧
قيساريه	٣٧
غرائب حولها	٣٧
ملطية	٣٨
مرعش	٣٨
ساحل قرمانيا	٣٨
طرسوس	٣٨
ستاليا	٣٨
قاقاما	٣٨
اسبرطة	٣٨
السواحل الغربية	٣٨
آثار افسوس	٣٨
آثار ملطية	٣٨
جون اطميانوس	٣٨
مدن جديدة	٣٩
ازمير	٣٩
تجارة هذه المدينة	٣٩
بقية السواحل الغربية	٣٩
مدن على نهر هرموس وقيتوس	٣٩
محل طروادة	٣٩
جزيرتا تندوس ومتلينا	٤٠
ساقز	٤٠
ساموس	٤٠
نيقاريا	٤٠
بتموس	٤٠
ليروالخ	٤٠
قوس اوسنكو	٤٠
رودس	٤٠
قسطلروسة	٤١
قبرص	٤١
مدن	٤١
تولدات	٤١
اهالى	٤١
عدة اهلها	٤١
تاليه تاريخى	٤١

	صحيفه
المقالة التاسعة والاربعون	٥١
لمحة عامة	٥١
جبال عرارة الخ	٥١
سهول	٥١
منابع الفرات	٥١
جريان دجلة	٥٢
اسماؤه	٥٢
اجتماع دجلة والفرات	٥٢
مصاب	٥٢
شكوك متعلقة بمصاب نهر الفرات وترعه	٥٢
عظم هذين النهرين	٥٣
تخطيط ارمنية	٥٣
جبال	٥٣
بحيرة وان	٥٣
تولدات	٥٣
مدن ارض روم الخ	٥٣
ثيودوسيوپوليس	٥٣
ايالة چلدير اواقلزيقة	٥٣
الكلام على امة الارمن	٥٣
دين الارمن	٥٤
عدد اهل الارمنية	٥٤
التركمان	٥٤
تخطيط كرستان	٥٤
الامارات الخمسة	٥٤
(١) بتليس	٥٤
(٢) جبولامرك	٥٤
(٣) امارة اماديا	٥٥
(٤) امارة جزيرا	٥٥
(٥) امارة قراجيولان	٥٥
الاورغانية	٥٥
الكلام على الاكراد	٥٥
اخلاق واديان الخ	٥٥
اكراد فسطورية	٥٥
حكم	٥٥
اهالى	٥٥
تخطيط الجزيرة	٥٦
ايالة ديار بكر	٥٦
ديار بكر	٥٦
ايالة الموصل	٥٦
مدينة الموصل	٥٦

	صحيفه
ايالة اورفا	٥٦
اورفا	٥٦
المغارات الشهيرة	٥٦
مبانى قديمة	٥٦
ربض بصيبين	٥٦
جبل سنجار	٥٦
اليزيدية	٥٧
صحراء الجزيرة	٥٧
ريح السموم	٥٧
مدينة اناه	٥٧
بلاد الزومبولك	٥٧
اخطار ارباب الاسفار	٥٧
تخطيط الجزيرة	٥٨
تولدات	٥٨
عيون النفط	٥٨
بغداد دار السلام	٥٨
اثار سلوقية واقطسيفون	٥٨
اثار بابل	٥٩
الحلة	٥٩
مشهد على ومشهد الحسين	٥٩
الكوفة	٥٩
البصرة	٥٩
المقالة المكملة للخمسين فى تخطيط اسيا بلاد الدولة العثمانية فى آسيا القسم الثالث	٦٤
مؤلفات متعلقة بالشام	٦٤
حدود	٦٤
اسماء	٦٤
جبال	٦٤
اثار جبال نار	٦٤
زلازل	٦٥
انهر	٦٥
بحيرات	٦٥
بحيرات لاجريان لها	٦٥
امزجة الاقاليم	٦٥
خصب الشام	٦٥
تولدات نباتية	٦٥
حيوانات	٦٦
الجراد	٦٦
الامم الساكنة بالشام	٦٦
لغات	٦٦

	صحيفه
اديان	٦٦
حكم	٦٦
امم مستقلة	٦٦
ايالة حلب	٦٧
حلب الشهبا	٦٧
آثار هيروبوليس	٦٧
انطاكيه	٦٧
مراسلات الحمام	٦٧
عادة خبيثة	٦٧
اقامية حماة الخ	٦٧
تدمر	٦٧
ايالة طرابلس وعكا	٦٨
السواحل البحرية	٦٨
طرابلس	٦٨
نهر ادونيس	٦٨
صيدا	٦٨
صور	٦٨
عكا	٦٨
بلاد النصارية	٦٩
الحشاشون	٦٩
تخطيط جبل لبنان	٦٩
خصب وتولدات	٦٩
بلاد الموارنة كسروان	٧٠
عبادة النصرانية	٧٠
بلاد الدروز	٧٠
دين الدروز	٧٠
اصل الدروز	٧٠
اداب واحكام	٧٠
المتاولة	٧١
آثار مدينة هليوبوليس	٧١
مدينة دمشق	٧١
زينة اهل دمشق	٧١
حوالي دمشق	٧١
طبع الاهالي	٧١
تخطيط فلسطين	٧١
بلاد خولان او حوران	٧٢
احجار البزلطة	٧٢
بوطين	٧٢
طرغلودية	٧٢
آثار جرسا	٧٢

	صحيفه
اقليم البلقا	٧٢
بلاد صفد	٧٢
بحيرة ناصره	٧٢
جبل طابور	٧٢
سمرية	٧٢
جبل كرمل	٧٢
السمرية	٧٣
بلاد يهوذا الحقيقية	٧٣
تولدات	٧٣
النصب القديم	٧٣
جبال	٧٣
مدينة القدس	٧٤
مارى سبلقرس	٧٤
تاريخ القدس وما حصل لها من التقلبات	٧٤
بيت لحم	٧٤
حبرون	٧٤
اريحا	٧٤
البحر الميت او بحيرة لوط	٧٤
الانقلابات الطبيعية الحاصلة في هذه الاماكن	٧٥
المقالة الحادية والخمسون من تخطيط اسيا بلاد	
العثمانية باسيا القسم الرابع	٨١
اصل الاتراك العثمانية	٨١
فتوحات العثمانية	٨١
فتح مدينة القسطنطينية	٨١
اول حصار لمدينة بجه	٨١
ثاني محاصرة لمدينة بجه	٨١
سقوط الدولة العلية	٨٢
حدود الدولة العثمانية	٨٢
منفعة وضعها	٨٢
اتساع ممالك العثمانية	٨٢
اهالي	٨٣
خلقة العثمانية	٨٣
لسان الترك	٨٤
عيشة العثمانية	٨٤
النسل والتبسط العثماني	٨٤
تعدد الزوجات	٨٤
حريم العثمانية	٨٤
لسان الازهار	٨٤
الشفقة على الحيوانات	٨٥
متنزهات عامة	٨٥

	صحيفه
كروان سراى	٨٥
تكبر الاتراك	٨٥
قدرة البارى شاه	٨٥
اصول الحكومة	٨٥
الجوالى	٨٦
حق الاملاك	٨٦
تسويم المناصب	٨٦
قوانين واحكام	٨٦
صدر اعظم	٨٦
ديوان	٨٦
العلماء	٨٦
المفتى	٨٦
القضاة والاحكام الشرعية	٨٧
الاعيان	٨٧
حرف	٨٧
باشا	٨٧
الظلم فى الاقاليم	٨٧
عزل الباشات	٨٨
اختلاف الدين	٨٨
رخصة	٨٨
صفة دين الاسلام	٨٨
تكليف واداب دينية	٨٨
دراويش	٨٩
تقدم العثمانية فى العلوم والفنون والمعارف	٨٩
تجربة الطباعة	٨٩
حالة الفنون والصنائع والاشغال	٨٩
براعة اهل الاسلام فى الاشغال	٨٩
الاروام	٨٩
الارمن	٨٩
ايراد الدولة	٩٠
الزعامة والتيمارة	٩٠
نظام جديد	٩٠
عساكر العثمانية	٩٠
سافية	٩٠
انكشارية	٩٠
طاعة العسكرية	٩١
حركة عسكرية	٩١
القوة البحرية	٩١
سراية السلطان	٩١
تتمة	٩١

	صحيفه
المقالة الثانية والخمسون فى تخطيط اسياه ذكر بلاد	
العرب والخليج العربى والخليج الفارسى	٩٥
وضعها	٩٥
تنبيهات تاريخية	٩٥
تمدن العرب القديم	٩٥
ظهور المصطفى	٩٥
تخطيط الخليج العربى والفارسى	٩٦
الرياح المتسلطة	٩٦
المد والجذر	٩٦
عرق اللؤلؤ	٩٦
قيوف	٩٦
غرائب طبيعية	٩٦
جبال	٩٦
انهر وبحيرات	٩٦
قطر	٩٦
ريح السموم	٩٧
نباتات البادية	٩٧
نباتات الشبط	٩٧
شجرة البن وشجرة البلسم	٩٧
بخورات	٩٧
انواع النخل	٩٧
الزراعة	٩٨
الابل	٩٨
اختلاف اصناف الابل	٩٨
المواشى وغيرها	٩٨
الطيور	٩٨
السلاحف	٩٨
الثعابين	٩٨
الخيل	٩٨
الحمير	٩٨
معادن	٩٨
معادن ذهب القدماء	٩٩
اقسام	٩٩
برية طورسينا	٩٩
نباتات	٩٩
حيوانات	٩٩
جبل المقطب	٩٩
الحجاز	٩٩
المدينة المنورة	١٠٠
مكة	١٠٠

	صحيفه
ميناجدة	١٠٠
تجاره	١٠٠
الكعبة	١٠٠
قدم الكعبة	١٠٠
يهود خيبر	١٠٠
نجد	١٠٠
خط العارض	١٠٠
مدينة اليمامة	١٠١
جبل العارض	١٠١
اسفار داخل بلاد العرب	١٠١
الحماد	١٠١
جوف السرحان	١٠١
جبل شمر	١٠١
مدينة الدرعية	١٠١
سفر السواح رنود	١٠١
صحراء الاحقاف	١٠١
قوم عاد	١٠١
خلاصة الكلام على الوهابية	١٠١
مبتدع مذهب الوهابية	١٠١
عقائد	١٠٢
معاهدة سياسية تحيلية	١٠٢
ابن سعود	١٠٢
فتوحات الوهابية	١٠٢
اخلاق الوهابية وآدابهم	١٠٢
هجر	١٠٢
الاحساء	١٠٢
القطيف	١٠٢
قويعة	١٠٢
خصب هجر	١٠٣
جزيرة البحرين	١٠٣
غوص اللؤلؤ	١٠٣
نباتات	١٠٣
بلاد عمان	١٠٣
مسقط	١٠٣
صناعة البحر عند العمانيين	١٠٣
حضرموت	١٠٣
بلاد مهجر	١٠٣
المهرة	١٠٤
حضرموت الحقيقية	١٠٤
اليمن	١٠٤

	صحيفه
سياسة ملك اليمن	١٠٤
قوة عسكرية	١٠٤
ايراد	١٠٤
تجارة	١٠٤
فنون	١٠٤
اقاليم اليمن ومدنه	١٠٤
مأرب	١٠٥
سد مأرب	١٠٥
مدن الجبال	١٠٥
اقليم صهران	١٠٥
نجران	١٠٥
مدن السهل	١٠٥
عدن	١٠٥
آداب العرب	١٠٥
اكرام الضيف	١٠٦
مساكن	١٠٦
الغذاء	١٠٦
ملابس	١٠٦
عادة النساء	١٠٦
صور رسومة على البدن	١٠٦
عشق العرب	١٠٦
الجمال عند العرب	١٠٧
لسان العرب	١٠٧
لغة العرب الصحيحة الفصيحة	١٠٧
حروف الكتابة	١٠٧
الاشتغال بالمعارف	١٠٧
تأديب وتربية	١٠٧
دين	١٠٧
حالة الفنون	١٠٨
المقالة الثالثة والخمسون من تخطيط آسيا * بلاد العجم * تخطيط يتعلق بطبيعة بلاد العجم على سبيل الاجمال)	١١٠
لائحة اجمالية	١١٠
التقسيمات القديمة البوليتيقية	١١٠
دولة الفرس والبرث وغيرهم	١١٠
دولة الصوفية	١١٠
اقسام العجم	١١١
سلطنة الافغان	١١١
عجم غربية كريم خان	١١١
اغام محمد الخصي	١١١

	صحيفه
فتح على شاه	١١١
الحالة البولتيقية الموجودة الآن	١١١
حدود العجم	١١٢
ربوة العجم	١١٢
جبال شمال العجم	١١٢
الابواب الخزرية	١١٣
جبال جنوب العجم	١١٣
ابواب البرسيدة	١١٣
صحارى مالحة ومرملة	١١٣
جبل الطلسمان	١١٤
بحيرات	١١٤
بحيرة درة	١١٤
بحيرة اورميا اوشاهى	١١٤
بحيرة اريوان	١١٤
انهر	١١٤
ههنك	١١٤
هندمند	١١٤
تيجان	١١٤
كزل اوسن	١١٤
طبيعة الارض	١١٤
سلاسل كلية	١١٥
زلازل	١١٥
قطر	١١٥
شط بحر الخزر	١١٥
مزاج الربوة الوسطى	١١٥
قطر فارستان وكردستان	١١٥
سواحل الخليج الفارسى	١١٥
(١) نباتات على السواحل الجنوبية	١١٥
(٢) على الجزء الشمالى الغربى	١١٦
(٣) على الجبال الجنوبية	١١٦
(٤) على السهول الوسطى	١١٦
(٥) على ساحل بحر الخزر	١١٦
الفلاحة	١١٦
اشجار الفواكه	١١٦
نباتات نافعة	١١٧
حيوانات انسية	١١٧
حيوانات برية	١١٧
المقالة الرابعة والخمسون من تخطيط اسياء تفاصيل	
تخطيطية تتعلق بالاقاليم والمدن العجمستانية	١١٨
اقليم عراق العجم	١١٨

	صحيفه
مدينة اصفهان	١١٨
منتزه الشرباك	١١٨
قاشان (٥٠٠٠ بيت)	١١٨
قم (٢٠٠٠ بيت)	١١٨
نهران (٧٠٠٠ بيت)	١١٨
الرى	١١٩
سلطانية	١١٩
زنغان (٢٠٠٠ بيت)	١١٩
قزوين (٣٥٠٠ بيت)	١١٩
همدان (٤٠٠٠ بيت)	١١٩
كرمانشاه (٣٠٠٠ بيت)	١١٩
مبانى بيسطون	١١٩
كردستان العجم	١١٩
سنية (٣٠٠٠ بيت)	١١٩
اذربيجان	١١٩
تبريز (٧٠٠٠ بيت)	١١٩
المراغة (٣٠٠٠ بيت)	١١٩
اردبيل (٢٥٠٠ بيت)	١١٩
ارمنية عجمستان	١١٩
اريوان (٢٠٠٠ بيت)	١٢٠
خوى (١١٠٠)	١٢٠
استطرادات فى البحث عن عدن وعن جنة ادم	١٢٠
مذهب دلوق	١٢٠
مذاهب جديدة	١٢٠
تنبيه عام فى شأن التفحص فى ذلك	١٢١
كيلان	١٢١
تخطيطات طبيعية	١٢١
قطر	١٢١
تولدات	١٢١
اهل كيلان	١٢١
مدن	١٢١
جزء كيلان المسمى ديلم	١٢١
امبرلية	١٢٢
مازندران	١٢٢
زراعة قصب السكر	١٢٢
بلفروخ (٥٠٠٠ بيت)	١٢٢
سارى (٤٥٠٠ بيت)	١٢٢
استراباد (٣٠٠٠ بيت)	١٢٢
اشرف (٤٠٠٠ بيت)	١٢٢
طبرستان	١٢٢

	صحيفه
اخلاق واداب	١٢١
بلاد خوزستان	١٢٢
اوخورستان	١٢٢
اسم هذا الاقليم واقسامه	١٢٢
خورستان	١٢٢
خوزستان	١٢٢
سوزستان	١٢٢
ايلام	١٢٢
سوستر (٣٠٠٠ بيت)	١٢٣
فارستان	١٢٣
مدينة شيراز (٢٠٠٠ بيت)	١٢٣
ماحول شيراز	١٢٣
آثار اصطخر	١٢٣
حروف رأس المسامير	١٢٣
قشا (١١٠٠ بيت)	١٢٣
يزد (٤٥٠٠ بيت)	١٢٣
تنبيهات من الجغرافية الطبيعية	١٢٤
الموم اوالوميا	١٢٤
سواحل بحريه	١٢٤
ابوشهر (١٢٠٠ بيت)	١٢٤
بندر ريفك	١٢٤
قبائل عرب على الساحل	١٢٤
هولة	١٢٤
لارستان	١٢٤
لار (١٥٠٠ بيت)	١٢٤
بندر عباسى اوغمرون (٥٠٠ بيت)	١٢٤
بندر كنغ (٤٠٠ بيت)	١٢٤
جزائر الخليج الفارسى	١٢٤
كشمبس	١٢٤
هرمز	١٢٥
كرمان	١٢٥
مدن	١٢٥
موجستان	١٢٥
مكران	١٢٥
مدن	١٢٥
هوروعرابة	١٢٥
ملان	١٢٥
بالوجه	١٢٥
سجستان	١٢٥
اصل الاسم	١٢٥

	صحيفه
مدن سجستان	١٢٥
سابلستان	١٢٦
ارض قندهار	١٢٦
اقليم خراسان	١٢٦
تخطيط طبيعى	١٢٦
الحيول النيسانية	١٢٦
مدينة هراة	١٢٦
مدينة مشهد (٤٠٠٠ بيت)	١٢٦
نيسابور (٢٠٠٠ بيت)	١٢٦
روهى (٢٠٠٠ بيت)	١٢٦
داهستان	١٢٧
قوموس وكوهستان	١٢٧
طبه (١٥٠٠ بيت)	١٢٧
المقالة الخامسة والخمسون من تخطيط آسيا فى آخر	
تخطيط عجمستان	١٢٨
ايران وتوران (اى العجم والتتار)	١٢٨
غارة الاسقوثية	١٢٨
البرثة	١٢٨
لغات قديمة	١٢٨
الزند	١٢٨
زنداوستا	١٢٨
البهلوية	١٢٨
لغة فارسية	١٢٩
اللغة الفارسية الجديده	١٢٩
اللغات الفارسية	١٢٩
ارتباط اللسان الفارسى بالجرمانى والغوش	
اوالغوطى	١٢٩
النتائج التى اخذت من هذا الشبه	١٢٩
تركيب ابدان العجم	١٣٠
ملابس	١٣٠
حالة معيشه العجم	١٣٠
رفاهية قديمة وجديدة	١٣٠
راقصات	١٣١
الطواشية	١٣١
عقوبات خشنية	١٣١
عوائد ردية	١٣١
القاب الفخار	١٣١
اوصاف عامة	١٣١
دين	١٣١
طائفة الزابية	١٣٢

	صحيفه
حالة العلوم والفنون	١٣٢
صنائع وتجارات	١٣٢
الصين	١٣٣
الساغرى والسختيان	١٣٣
القسى والسيوف	١٣٣
السجاجيد	١٣٣
حالة فبريقاتهم الآن	١٣٣
عمارة بحرية وتجارات	١٣٣
قبائل رحالة تزاله	١٣٣
قبائل تركمانيه	١٣٤
قبائل الكرد	١٣٤
قبائل لورة	١٣٤
قبائل العرب	١٣٤
قبائل مختلفة	١٣٤
الافغان	١٣٤
اصلهم	١٣٤
قبائل الافغان (المسماة بطانة)	١٣٤
لسان الافغان	١٣٤
ملابس	١٣٤
عيشه	١٣٤
دولة	١٣٤
ايراد	١٣٥
قوة عسكرية	١٣٥
المقالة السادسة والخمسون فى تخطيط اسيا * ابحاث تتعلق بحر الخزر و بالمصب القديم لنهر اوقسوس وهو نهر جيحون	١٤٢
وضع	١٤٢
اتساع	١٤٢
تاريخ خرطات بحر الخزر	١٤٢
مذهب بطليموس	١٤٢
اسفار بتقسون وبرغ واوليار يوس	١٤٢
خرطة جوان سطريوس	١٤٢
خرطات الروسيا الاولية	١٤٢
خرطة جدلية للمعلم دلسلة	١٤٣
اسفار هنمبية وغيره	١٤٣
خرطة دنويل الجدلية	١٤٣
مذهب بونة	١٤٣
ارصاد جديدة	١٤٣
تخطيط طبيعية	١٤٣
تسوية	١٤٣

	صحيفه
اختلاف قرنى	١٤٣
اتساعات قديمة جهة الشمال الغربى	١٤٤
خطأ فى هذا المعنى	١٤٤
نتيجة	١٤٤
صب المياه فى بحر الخزر	١٤٤
المهواتان المفروضتان	١٤٤
سواحل	١٤٤
طبيعة المياه	١٤٤
سمك	١٤٤
صيد السمك	١٤٤
بقر الماء	١٤٥
جزائر	١٤٥
اسماء هذا البحر المختلفة	١٤٥
ابحاث متعلقة بمصب نهر جيحون	١٤٥
خطا مشترك بين القدماء	١٤٥
مذهب بونيونيوس ملا	١٤٥
رأى بطرقيس	١٤٥
مسافات بين نهرى جيحون وسرداريا	١٤٦
نتيجة	١٤٦
آراء جغرافى العرب والعجم	١٤٦
اسفار الافرنج	١٤٦
اخبار الموسقوبية	١٤٦
غزوة اسكندر بقو يطز فى نواحى بلاد خيوا مع التتار	١٤٧
مصيبة الموسقو	١٤٧
نتيجة هذه الحكاية	١٤٧
المقالة السابعة والخمسون فى تخطيط اسيا * التتار المستقلون المسمون بهذا الاسم حقيقة وارضهم تشتمل على بلاد بخارى الكبرى وخوارزم والتركمانيا وتركستان و بلاد الغرغيز والخرخيز	١٤٨
امة وثنية اسيا	١٤٨
قدماء الترك	١٤٨
التتار والترتار	١٤٨
اطلاق اسم التتار	١٤٨
الاختلاف بين التتار والمغول	١٤٨
حدود التتار	١٤٩
طبيعة الارض	١٤٩
جبال	١٤٩
بلور	١٤٩
الالك	١٤٩

	صحيفه
مجازات دهن شير	١٤٩
اكطو	١٤٩
اولوق	١٤٩
الجيد مشالو	١٤٩
برية غرغيز	١٤٩
انهر	١٤٩
آمو اوجيحون	١٥٠
نهر السور اوسيحون	١٥٠
بحيرة ارال	١٥٠
بحيرات ملحة	١٥٠
قطر	١٥٠
وصف الشتاء	١٥٠
تولدات	١٥٠
معادن	١٥٠
معادن قديمة	١٥١
بلاد الغرغيز	١٥١
مقر قبائل الغرغيز الثلاثة	١٥١
طبيعة الارض	١٥١
جبال	١٥١
قطر ورياح باردة	١٥١
بحيرة اندرسك الملحة	١٥١
نباتات	١٥١
حيوانات اهلية	١٥١
حيوانات وحشية	١٥١
صنعة الغرغيز	١٥٢
حالة سياساتهم	١٥٢
اهل	١٥٢
اخلاق وحالة معيشة	١٥٢
اوهام وبدع	١٥٢
تجارة	١٥٢
تركستان	١٥٢
تقسيم جغرافي العرب	١٥٢
مدينة تركستان	١٥٣
مدينة تشكنت	١٥٣
امة القراقليق	١٥٣
القمش	١٥٣
بلاد التركمان	١٥٣
طبيعة الارض	١٥٣
نباتات	١٥٣
حيوانات	١٥٣

	صحيفه
التركمان	١٥٣
قبائل	١٥٣
مخبشلاك	١٥٤
جون المكان	١٥٤
جزيرة نفطونيا	١٥٤
خوارزم	١٥٤
قطر	١٥٤
طبيعة الارض	١٥٤
جبال	١٥٤
نهر جيحون	١٥٤
زيادته	١٥٤
خلجان السقي	١٥٤
نباتات	١٥٤
حيوانات	١٥٤
اهال	١٥٤
ولاية خيوا	١٥٤
دولة	١٥٤
حالة عيشهم	١٥٥
صناعة	١٥٥
تجارة	١٥٥
مدن	١٥٥
الارالبون	١٥٥
مدينة كونرات	١٥٥
بخارى الكبرى	١٥٥
اقليم صغد	١٥٥
سمرقند	١٥٦
ماحوالى بخارى	١٥٦
مدينة بخارى	١٥٦
اقاليم واش وكيلان وبدخشان	١٥٦
اقليم الغور	١٥٦
اقليم بلخ	١٥٦
طخارستان	١٥٦
مملكة الازبك	١٥٧
سكان متاصلون	١٥٧
كيفية معيشتهم	١٥٧
لسان	١٥٧
دولة	١٥٧
اهال	١٥٧
اوصاف البخاريين	١٥٧
الحالة الراهنة	١٥٨

	صحيفه
المقالة الثامنة والخمسون فى تخطيط اسيا * بلاد سبير *	
اوصاف طبيعية عمومية	١٥٩
بيان هذا التخطيط	١٥٩
خانة سبير	١٥٩
التوسع فى اسم سبير	١٥٩
حدود	١٥٩
اتساع	١٥٩
جبال اورالية	١٥٩
ارتفاع	١٥٩
طبيعة الصخور	١٦٠
جبل المغناطيس	١٦٠
شعاب ومغارات	١٦٠
فروع اورال	١٦٠
جبال سبير الجنوبية	١٦٠
جبل التاى الصغير	١٦٠
جبال كليوان المعدنية	١٦٠
اورمان	١٦٠
جبال كترتزك	١٦٠
جبال سيانية	١٦٠
جبال سبير الشرقية	١٦١
جبال بيكالية	١٦١
جبال نرجنسك	١٦١
جبال داوريا	١٦١
جبال بيلانوية (المسماة جبال دابا)	١٦١
جبال امتنوية	١٦١
جبال قجتقا	١٦١
براكين النار	١٦١
اسطيبة	١٦١
اسطيبة السيم	١٦١
اسطيبة برايا	١٦١
سهول سبخة جهة الشمال	١٦٢
زوبلة الجديدة	١٦٢
الارض التى فى شرق نهر ينسية	١٦٢
انهر	١٦٢
ارتيش	١٦٢
نهر اوبى	١٦٢
نهر اوتوبول وايسيم	١٦٢
ينسية	١٦٢
تنغسكا	١٦٣
انغارا	١٦٣

	صحيفه
سيلنغا	١٦٣
لينا	١٦٣٠
الدان وو يلووى	١٦٣
اولينق واند يجركا وغيرهما	١٦٣
بحيرة بيكال	١٦٣
طبيعة مياهها	١٦٣
تولدات	١٦٣
بحيرة چانى	١٦٣
بحيرة كرغ الجديد	١٦٣
بحيرات مالحة	١٦٣
المياه العذبة التى تصير مالحة	١٦٤
بحيرات اقليم ايسيت	١٦٤
ايلوى	١٦٤
بحيرة يامش	١٦٤
بحيرة سلنجسكوا	١٦٤
بحيرة ناتروش	١٦٤
بحيرة موچيسان	١٦٤
مياه معدنية	١٦٤
فوارات	١٦٤
قطر	١٦٤
البرد الشديد	١٦٤
جليد مستمر	١٦٤
حر الصيف	١٦٥
قطر الجهات القطبية	١٦٥
فرطونات	١٦٥
الفجر الشمالى	١٦٥
ضباب	١٦٥
اوباء	١٦٥
جائحة البهائم	١٦٥
تولدات	١٥٥
ابحاث معدنية	١٦٥
معادن الذهب	١٦٥
معادن الفضة	١٦٥
معدن النحاس	١٦٦
ملشبطة	١٦٦
معادن الحديد	١٦٦
معادن مختلفة	١٦٦
بريل	١٦٦
اوبالة	١٦٦
روبيليط	١٦٧

	صحيفه
غرائب توليدية	١٦٧
حديد توليدى	١٦٧
اسبيست	١٦٧
قلب الحجر	١٦٧
سمن الحجر	١٦٧
مرتبة النباتات	١٦٧
ارز سبير	١٦٧
ثمار الاشجار	١٦٧
ازهار	١٦٧
زهر جبل التاى	١٦٨
ازهار دورية	١٦٨
ازهار سبير الشرقية	١٦٨
عقاقير	١٦٨
اقطار نباتية	١٦٨
زراعة	١٦٨
اصناف الحبوب	١٦٨
بقاء الزراعة على حالتها الاصلية	١٦٩
كتان	١٦٩
قنب	١٦٩
اورطية	١٦٩
مرتبة الحيوانات	١٦٩
رنة	١٦٩
منفعة هذا الحيوان	١٦٩
كلاب سبير	١٦٩
خيول	١٦٩
غنم	١٦٩
بقر	١٧٠
حيوانات وحشية	١٧٠
حيوان السمور	٢٧٠
الثعالب	١٧٠
الدب	١٧٠
فرس الوحش والديشهيطاى وغيرهما	١٧٠
انواع الظبا	١٧٠
فارة المسك	١٧٠
الارانب والفيران وبنات عرس	١٧٠
هوام	١٧٠
طيور	١٧٠
صيد السمك فى البحر المجمد	١٧٠
صيد السمك فى نهرى اوبى و ينسية وغيرهما	١٧١
صيد السمك فى البحر الشرقي	١٧١

	صحيفه
آثار حيوانات البلاد الحارة	١٧١
تخمينات فى شأن تلك الآثار	١٧١
المقالة التاسعة والخمسون من تخطيط اسيا * ذكر امم سبير	
واقاليمها ومدنها	١٧٢
امم السبيرية والقوزاق وغيرهم	١٧٢
تقدم التمدن	١٧٢
معيشة ارباب الزراعة والصيد وغيرهم	١٧٢
اسماء القبائل التتارية	١٧٢
البزيوسة والكنشنزية وغيرهما	١٧٢
السيبانية	١٧٣
التليوتة	١٧٣
تتارة توسك وجوليم وغيرهم	١٧٣
الابنزية	١٧٣
البرابتيزية	١٧٣
تتاراوبى وتاراوغيرهم	١٧٣
اخلاق التتار	١٧٣
قبائل مغولية	١٧٣
بوريانة	١٧٣
بنيتهم	١٧٣
حالة معيشتهم	١٧٣
تونغوزا واوون	١٧٣
بنيتهم	١٧٤
حالة معيشتهم	١٧٤
دينهم	١٧٤
قبائل فنغوزية مختلفة	١٧٤
ووغول	١٧٤
اوستياك اوبى	١٧٤
اخلاق الاوستياك وعوايده	١٧٤
تعظيم الدب	١٧٤
قبائل امة السمويد	١٧٤
سوايتة	١٧٥
كيبالة	١٧٥
الغراغاسة وغيرهم	١٧٥
اوستياك ناريم	١٧٥
السمويد	١٧٥
بنية ابدانهم	١٧٥
بدع واوهام	١٧٥
سحرة	١٧٥
نساء	١٧٥
قبائل مختلفة	١٧٥

	صحيفه
باكونة	١٧٥
توكاجيرة	١٧٥
جوكجة	١٧٥
حال معيشتهم ولبسهم وغير ذلك	١٧٥
قبائل مختلفة	١٧٦
كوريا كة	١٧٦
اهالى تجنقا	١٧٦
تلقيح الجدرى	١٧٦
مساكن	١٧٦
اقليم ايكاتيرنبورغ	١٧٦
خط تروايتزك	١٧٦
ولاية تبولسك ودآثرتها	١٧٦
قطر	١٧٦
تولدات	١٧٧
مدينة تبولسك	١٧٧
آثار مدينة سبير	١٧٧
دآثرة بريزوف	١٧٧
اوبدوريا	١٧٧
نباتات شمالية	١٧٧
دآثرة سورغوت	١٧٧
دآثرة تورنسك	١٧٨
تخطيط الفلد مارشال مونيخ لاقليم بليم	١٧٨
دآثرة تيومين	١٧٨
دآثرة يالوتوروبسك	١٧٨
دآثرة تارا	١٧٨
دآثرة كورغان	١٧٨
ايطاليا صبير	١٧٨
العاب بنات كورغان	١٧٨
دآثرة ايشيم	١٧٨
دآثرة اومسك	١٧٨
ولاية تومسك	١٧٨
اقليم توروخنسك	١٧٨
تفاصيل طبيعية	١٧٩
دآثرة نامية	١٧٩
ناريم	١٧٩
جوليم	١٧٩
تومسك	١٧٩
مدينة تومسك	١٧٩
دآثرة كينسك	١٧٩
اقليم كولبوان	١٧٩

	صحيفه
دآثرة سميبالاتنوا	١٧٩
قطر	١٧٩
نباتات	١٧٩
شلنجنبرغ	١٧٩
دآثرة بيسك	١٨٠
دآثرة كوتزبيسك	١٨٠
دآثرة اباكنسك	١٨٠
مبانى الامم القديمة	١٨٠
دآثرة كراسنوارسك	١٨٠
صخور كتابة	١٨٠
ولاية ايرخوتسك واقليمها	١٨٠
مدينة ايرخوتسك	١٨٠
تفاصيل طبيعية	١٨٠
دآثرة كيرنسك	١٨٠
دآثرة اسفل اودنسك	١٨٠
مدينة كاشتا	١٨٠
اهل	١٨٠
مدينة سيلنجنسك	١٨١
اهل	١٨١
تنبيهات طبيعية	١٨١
اقليم نرجنسك وهو الدورية الروسية	١٨١
تفاصيل طبيعية	١٨١
مدينة نرجنسك	١٨١
المنفيون	١٨١
اقليم يافوتسك	١٨١
استعمال غريب للجليد	١٨١
التونغوزة	١٨١
مدن وغيرها	١٨١
جزآئر البحر المنجمد	١٨٢
جزآئر الخوف	١٨٢
سبيرا الجديدة	١٨٢
اقليم اوخنسك	١٨٢
بلاد الجوكجة	١٨٢
بحيم جزيرة تجنقا	١٨٢
قطر	١٨٢
اختيار الزراعة	١٨٢
مرتبة الحيوانات	١٨٢
نباتات	١٨٣
اعشاب بحرية	١٨٣
اماكن	١٨٣

	صحيفه
جزيرة النحاس	١٨٣
تنبيه عام فى شأن سيبير	١٨٣
تجارة سيبير	١٨٣
ميزانية التجارة	١٨٤
المقالة المكملة للستين * فى تخطيط اسيا * القسم الوسط ويشتمل على بلاد القلموق والمغول و بخارى الصغرى	١٩٣
عدم الاخبار الصحيحة	١٩٣
اقسام جديدة وقديمة	١٩٣
رأس تابيس	١٩٣
سريق	١٩٣
جانستان موسى الخورينى	١٩٣
خطايا اوخطاى	١٩٣
التوسع فى اسم التتار	١٩٣
ثلاثة اقسام التتار	١٩٤
ملحوظات فى شأن ربوة آسيا الوسطى	١٩٤
معادن	١٩٤
قطر	١٩٤
نباتات	١٩٤
حيوانات	١٩٥
حيوان بين الحمير والخيل	١٩٥
بقر الوحش	١٩٥
حيوان المسك	١٩٥
فراقال	١٩٥
طيور	١٩٥
بخارى الصغرى	١٩٥
وضع	١٩٥
طبيعة الارض	١٩٦
انهر	١٩٦
اقليم قاشغر	١٩٦
اقليم يركند	١٩٦
اقليم خوتن	١٩٦
اقليم كاريا	١٩٦
اقليم يوام	١٩٦
مدينة فيرشيان	١٩٦
طريقة المعيشة فى القرن الثالث عشر	١٩٦
اصل الاهالى	١٩٧
ملابس	١٩٧
قلموق	١٩٧
ارض القلموق	١٩٧

	صحيفه
كنكاراغيا	١٩٧
اتساهان تلا	١٩٧
رنغى تلاس	١٩٧
سنجارية	١٩٧
بحيرة بلكاتى	١٩٧
معسكر هرقاش	١٩٧
بلادارغانوم	١٩٧
امة الويغور وبلادهم	١٩٨
چيشا	١٩٨
تورفان	١٩٨
مدينة لوب	١٩٨
اقليم امل	١٩٨
عادة غريبة	١٩٨
تنغوت	١٩٨
خانجو	١٩٨
ارچى	١٩٨
سنشو	١٩٨
سوقور	١٩٨
مدينة سلين اوسرين	١٩٩
اقليم سيفان	١٩٩
القلموق وبنية ابدانهم	١٩٩
قبائل القلموق	١٩٩
ملابسهم	١٩٩
مساكنهم	١٩٩
شغالهم	١٩٩
لبن الخيل	٢٠٠
صناعة	٢٠٠
لسان	٢٠٠
شعر	٢٠٠
قوانين سياسية	٢٠٠
سلاح	٢٠٠
دين	٢٠٠
مغول	٢٠١
صحراء كوبى	٢٠١
بلاد شرامغول	٢٠١
بلاد كلكامغول	٢٠١
جبال	٢٠١
انهر	٢٠١
بحيرة اتساهان	٢٠١
مدن	٢٠١

	صحيفه
قراقوروم	٢٠١
قبرة	٢٠١
مدن أخر	٢٠١
المغول	٢٠٢
بنيتهم	٢٠٢
دين	٢٠٢
طريقة المعيشة	٢٠٢
ملابس	٢٠٢
طبيخ غريب	٢٠٢
سير هؤلاء الرحالة النزالة	٢٠٢
الالعاب والاغانى	٢٠٢
زواج الاموات	٢٠٢
كتابة وحروف هجاء	٢٠٢
دولة وسياسة	٢٠٢
قوانين	٢٠٣
المقالة الحادية والستون فى تخطيط آسيا و بلاد المنجورية	
و بحيث جزيرة كوره او قورة	٢٠٤
لائحة اجمالية تتعلق ببلاد المنجو	٢٠٤
جبال	٢٠٤
نهر امور المسمى سغالين	٢٠٤
تقسيمات صينية	٢٠٤
اقليم لياوتنغ	٢٠٤
شجار	٢٠٤
حيوانات	٢٠٤
مدن	٢٠٥
مدينة موكدن	٢٠٥
اقليم منجو	٢٠٥
مدن	٢٠٥
يوبى	٢٠٥
قبيلة غلياكى	٢٠٥
لائحة تتعلق بالساحل الشرقى	٢٠٥
اطمشائش البحرية	٢٠٥
خيالات زجاجية	٢٠٥
اهل	٢٠٥
منجو	٢٠٥
قبائل مختلفة	٢٠٥
دين	٢٠٦
لغة	٢٠٦
حروف الهجاء	٢٠٦
تنبيهات تتعلق بلسان المنجو	٢٠٦

	صحيفه
كورة	٢٠٦
جبال	٢٠٦
انهار	٢٠٧
قطر	٢٠٧
معادن	٢٠٧
حيوانات	٢٠٧
نباتات	٢٠٧
اسماء كورة	٢٠٧
اقاليم	٢٠٧
مدن	٢٠٧
اهالى كورة	٢٠٧
بنيتهم وصفاتهم	٢٠٧
عوائد	٢٠٧
لسان وعلما وغير ذلك	٢٠٧
دين	٢٠٨
طوائف عباد	٢٠٨
صنائع	٢٠٨
تجارة	٢٠٨
سياسة	٢٠٨
قوة عسكرية	٢٠٨
المقالة الثانية والستون فى تخطيط اسيا ذكر بابونيا مع جزائر يسو وكوريله وليوكيو وذكر ابحاث ومجادلات	
تتعلق بجزيرة يسو	٢١٣
بحر بابونيا	٢١٣
ابحاث جدلية بارض يسو	٢١٣
اسفار سفينة قصطر يقوم وسفينة برسكة	٢١٣
خطا فى بوغاز سنجاريه	٢١٣
استكشاف بوغاز تسوءى	٢١٣
مذهب دنويل	٢١٣
سفر اسپنجنبرغ وغيره	٢١٤
سفر لابروزه	٢١٤
سفر بروغطون	٢١٤
المباحثة فى وجود بوغاز سغالين	٢١٤
دليل الخواجه كروسنسترن	٢١٤
رد الادلة السابقة نتيجة	٢١٤
كتب تطبع الى بخط اليد	٢١٥
جزيرة متسومای المسماة يسو الحقيقية	٢١٥
امة الموسين المسماة اينوس	٢١٥
الوشم	٢١٥
ملابس	٢١٥

	صحيفه
رياضه	٢١٥
دين	٢١٥
تجارة سكوتية	٢١٥
قتال الحزن	٢١٥
لغة	٢١٥
تخطيط طبيعي لجزيرة يسو	٢١٦
الدب الاهلي	٢١٦
مدن واماكن مشهورة	٢١٦
عدة جزآئر مختلفة	٢١٦
جون البركان	٢١٦
جزيرة سغالين المسماة ايضا اوخوبسو	٢١٦
اسماء مختلفة	٢١٦
اوصاف الاهالي	٢١٦
امور محلية غريبة	٢١٧
جزآئر كوريلة المسماة ايضا كوروسيسي	٢١٧
تقسيم طبيعي	٢١٧
كوريلة الصغرى	٢١٧
كوريلة الكبرى	٢١٧
استكشافات بنيووسكي	٢١٧
سلطنة ياپونيا	٢١٧
اسماء مختلفة	٢١٧
اتساع	٢١٨
جبال	٢١٨
براكين	٢١٨
انهار	٢١٨
بحيرات	٢١٨
قطر	٢١٨
فصول	٢١٨
زراعة	٢١٨
نباتات	٢١٨
اشجار برية	٢١٨
اشجار مثمرة	٢١٩
النباتات المستعملة في الصنائع وغيرها	٢١٩
حيوانات اهلية	٢١٩
غذاء اليابونية	٢١٩
حيوانات وحشية	٢١٩
معادن	٢١٩
معدن الذهب	٢١٩
جزآئر الذهب والفضة	٢١٩
معادن نحاس	٢٢٠

	صحيفه
معادن جديد	٢٢٠
معادن مختلفة	٢٢٠
الاحجارات الساقطه من الجو	٢٢٠
مدن	٢٢٠
يدو	٢٢٠
سراية سلطان ياپونيا المدينة	٢٢٠
بيوت احاد الناس	٢٢٠
مدن مختلفة	٢٢٠
مدينة مياقو	٢٢٠
هيكل دي بوطس	٢٢١
اقاليم تسمى غوكيناي	٢٢١
مدينة اوساقا	٢٢١
تنغازاكي	٢٢١
مدن مختلفة	٢٢١
جزيرة لكيو	٢٢١
جزيرة فسيبو	٢٢١
الياپونيا	٢٢١
بنية ابدانهم	٢٢١
اعينهم	٢٢١
اصل الياپونيا	٢٢٢
لغة	٢٢٢
ازمان تاريخية	٢٢٢
نتيجة	٢٢٢
سياسة	٢٢٢
كوبو	٢٢٢
الدايرى	٢٢٢
الاحكام السياسية المدنية	٢٢٣
عقوبات خشنية	٢٢٣
اهال	٢٢٣
عساكر	٢٢٣
ملاحة وامور بحرية	٢٢٣
ايراد	٢٢٣
مذاهب دينية	٢٢٤
مذهب سنطو	٢٢٤
عبادة اصلية	٢٢٤
مذهب بتسو	٢٢٤
حكما الفلاسفة	٢٢٤
دخول دين النصرانية تلك البلاد	٢٢٤
تقدم العلوم والآداب والفنون	٢٢٤
تقسيم الزمن	٢٢٥

	صحيفه
مدارس	٢٢٥
مساكن	٢٢٥
اثاث	٢٢٥
ملابس	٢٢٥
اوصاف اليابونية	٢٢٥
نساوجوار	٢٢٥
الاحتفال للجنائز	٢٢٥
التياترات	٢٢٥
تجارة داخلية وخارجية	٢٢٥
نقود	٢٢٦
ارخبيل ليوكيو	٢٢٦
جزائر تاماواوفواوغيرها	٢٢٦
جزيرة ليوكيو الكبرى	٢٢٦
تولدات	٢٢٦
اهال	٢٢٦
صناعة	٢٢٦
اخبار القبودان	٢٢٧
بروغطون	٢٢٧
المقالة الثالثة والستون فى تخطيط اسيا فى بلاد الصين	
الحقيقية	٢٣٠
تقدم المعارف	٢٣٠
دولة الصين	٢٣٠
حدود الارض	٢٣٠
البحور التى تتصل بالصين	٢٣٠
اتساع المملكة	٢٣٠
الصين الحقيقية	٢٣١
اقسامها واتساعها	٢٣١
اسماء	٦٣١
جبال	٢٣١
سلاسل جبال جنوبية	٢٣٢
سلاسل جبال شمالية	٢٣٢
طبيعة جبال شنسى	٢٣٢
سهول	٢٣٢
انهر	٢٣٢
هوان هو	٢٣٢
ينغ تس كينغ	٢٣٢
انهر مختلفة	٢٣٣
طبيعة المياه	٢٣٣
بحيرات اصليه	٢٣٣
خلجان	٢٣٣

	صحيفه
قطر	٢٣٤
عواصف	٢٣٤
حرارة	٢٣٤
شدة الحر والبرد	٢٣٤
قطر بكين	٢٣٤
رياح	٢٣٤
امطار	٢٣٤
زراعة الحنطة والخضراوات	٢٣٤
سقى الارض	٢٣٥
آلات الزراعة	٢٣٥
حيوانات الحرث	٢٣٥
تسبيخ الاراضى	٢٣٥
وضع الصياع	٢٣٥
موسم الزراعة	٢٣٥
الاراضى التى لا تصلح للزراع	٢٣٥
الاشجار ذات الاثمار	٢٣٥
شجر الشاى	٢٣٦
شجر الكافور والتوت وغير ذلك	٢٣٦
شجر القيو	٢٣٦
قصب السكر وغيره	٢٣٦
العقاقير والنباتات الطبيه	٢٣٦
اشجار الغابات	٢٣٦
حيوانات اهلية	٢٣٦
حيوانات وحشية	٢٣٧
طيور	٢٣٧
حشرات	٢٣٧
اسماك	٢٣٧
سمك الاوراد	٢٣٧
معادن	٢٣٧
نوتناغ	٢٣٧
نحاس	٢٣٧
زرنيخ	٢٣٧
احجار مختلفة	٢٣٧
المقالة الرابعة والستون من تخطيط اسيا فى بلاد الصين	
الحقيقية	٢٣٩
عدد المدن	٢٣٩
اقليم بيجيلى	٢٣٩
بكين	٢٣٩
سراية السلطان	٢٣٩
اهالى	٢٤٠

	صحيفه
مدن مختلفة	٢٤٠
اقليم شنتون	٢٤٠
مدن	٢٤٠
اقليم كينغ نان	٢٤٠
مدينة تنكين	٢٤٠
البرج المبنى بالصين	٢٤٠
مدينة سوتشوفو وغيرها	٢٤١
جزيرة صين الصين	٢٤١
القطن الذى يميل لونه الى الحمرة	٢٤١
مدينة ينغ تشوفو وغيرها	٢٤١
اقليم اتشى كنغ	٢٤١
مدينة هان تشوفو وغيرها من المدن	٢٤١
ليام بو	٢٤١
اصحاب المكر والخداع من الصينيين	٢٤١
اقليم فوكيان	٢٤١
فوتشوفو وغيرها	٢٤٢
جزيرة تيوان اوفرموزه	٢٤٢
تخطيط هذه الجزيرة الطبيعى	٢٤٢
مدن وسط حصون وغيرها	٢٤٢
اهالى	٢٤٢
كيفية معيشتهم	٢٤٢
اوهام فاسدة	٢٤٣
اقليم كوان تون	٢٤٣
كنتون	١٤٣
اهالى	١٤٣
مكاء	٢٤٣
مغارة كموانس	٢٤٣
جزائر لارون	٢٤٣
جزيرة هينان	١٤٤
اهالى	٢٤٤
معادن	٢٤٤
اخشاب نفيسه	٢٤٤
استخراج اللؤلؤ	٦٤٤
اقليم كنغ سى	٢٤٤
مدن	٢٤٤
الفرفورى	٢٤٤
اقليم هوكنغ	٢٤٤
المدن	٢٤٥
اقليم هونان	٢٤٥
المدن	٢٤٥

	صحيفه
البرج الفلكى	٢٤٥
اقليم شانسى	٢٤٥
المدن وغيرها	٢٤٥
اقليم شين سى	٢٤٥
المدن وغيرها	٢٤٥
اثار نسطورية	٢٤٦
خط كشتيو	٢٤٦
اقليم اسشوان	٢٤٦
المدن وغيرها	٢٤٦
اقليم كويت شيو	٢٤٦
قبيلة خشنيه	٢٤٦
المدن	٢٤٦
اقليم كنغ سين	٢٤٦
اقليم ايون نان	٢٤٧
ملة لولو	٢٤٧
المدن وغيرها	٢٤٧
المقالة الخامسة والستون من تخليط آسيا	٢٤٨
سحنة الصينيين	٢٤٨
جمالهم	٢٤٨
جور احكامهم	٢٤٨
عبادة الامبراطور	٢٤٨
المندرية	٢٤٨
بيان الخطأ الواقع فى وصف حكومة الصين	٢٤٩
دوام القوانين الصينية وعدم نسخها	٢٤٩
الظلم والاستعباد	٢٤٩
رسوم	٢٤٩
حروف الكتابة	٢٤٩
لغة الصين	٢٥٠
بيان ما لهذه اللغة وحروفها الهجائية من التأثير	٢٥٠
علوم	٢٥٠
بساتين الصين	٢٥٠
الطاعة	٢٥٠
الحرف والصنائع	٢٥١
الملاحة	٢٥١
البوصلة	٢٥١
السفن	٢٥١
القنج	٢٥١
السد الاكبر	٢٥١
ماقيل فى هدم هذا السد	٢٥١
البيوت	٢٥١

	صحيفه
الملابس	٢٥٢
المواسم العامة	٢٥٢
ملعب الغناوضرب الالات	٢٥٢
مثالب الصينيين وعيوبهم	٢٥٢
طرح الاولاد	٢٥٢
الاغذية	٢٥٢
الغذاء	٢٥٣
الزواج	٢٥٣
احترام القبور	٢٥٣
الدين	٢٥٣
فلسفة كونفوسيوس وغيره	٢٥٣
عبادة فوأوفوهى	٢٥٣
التجارة	٢٥٣
البضايع الخارجة والداخلة	٢٥٣
الهنست	٢٥٤
العساكر	٢٥٤
الدونغا	٣٥٤
الاهالى	٢٥٤
النظام العسكرى	٢٥٤
ملحوظات فى الرد على من مدح الصين	٢٥٤
زعم قدم مملكة الصين	٢٥٥
ما اقيم من الادلة على بطلان هذا الزعم	٢٥٥
دولة الصين القديمة	٢٥٥
ملحوظات فلكية	٢٥٥
عادة اكل لحوم الادميين التى كانت ستة اشهر لغة من الميلاد	٢٥٥
المقالة السادسة والستون من تخطيط آسيا بلاد التبت	٢٥٩
ملحوظات عامة	٢٥٩
تخطيط حرق بول لبلاد التبت	٢٥٩
عوائد غريبة	٢٥٩
عدة اقاليم مختلفة ذكرها حرق بول	٢٥٩
عادة الحضانة	٢٥٩
البحيرة المسمون شامان	٢٥٩
اتساع دائرة المعارف من زمن حرق بول	٢٦٠
حدود التبت	٢٦٠
احجام متنوعة لبلاد التبت	٢٦٠
الجبال	٢٦٠
الانهار	٢٦١
نهر برهما بوتر	٢٦١
الصحرات	٢٦١
القطر	٢٦١
مزاج الهواء	٢٦١

	صحيفه
قطر بوتان	٢٦١
النباتات	٢٦٢
الزراعة	٢٦٢
الحيوانات	٢٦٢
السمك وغيره	٢٦٢
المعادن	٢٦٢
ملح البوراق	٢٦٣
اقسام جغرافية	٢٦٣
ماوقع من الشك والتردد فى شان هذه الاقسام	٢٦٣
مدن ومبان	٢٦٣
قصر اللما الاكبر	٢٦٣
قناطر	٢٦٣
مدن مختلفة	٢٦٣
التبت الصغرى	٢٦٤
تنبيهات فى شان بلاد بلور	٢٦٤
سهل بامير	٢٦٤
مارستان وغيرها	٢٦٤
طباع اهل التبت	٢٦٤
الزواج	٢٦٤
تعدد الازواج	٢٦٤
الجنائز	٢٦٤
اللغة	٢٦٥
الحروف الهجائية	٢٦٥
الحرف والصنايع	٢٦٥
الدين	٢٦٥
الفرق بين الشامانسم والبرامينسم واللامسم	٢٦٥
اتساع دائرة دين الشامانسم	٢٦٥
مابين الشامانسم وفورو بودا من المشابهة	٢٦٦
اصل كلمة شامان	٢٦٦
اصل دلى لما	٢٦٦
انتشار النسطورية فى آسيا الوسطى	٢٦٦
قيام مذهب اللامسم مقام مذهب النسطورية	٢٦٦
مابين هذا المذهب ودين النصرانية من الاختلاط والاتحاد فى الاصول والرسوم	٢٦٦
الحكومة المدنية والقسيسية) أى السياسية والدينية	٢٦٧
الاهالى	٢٦٧
العساكر	٢٦٦
حال اللما الاكبر من الشوكة الدينية	٢٦٧
هل اللما المذكور هو القسيس جوان الذى تكلم عليه السياحون	٢٧٧
هل هو من خلفا بطارقة النسطورية	٢٦٧
نتيجة ماذكر	٢٦٨

بيان ماوقع فى الجزء الثالث من الجغرافية العمومية من الخطا والتنبيه على ماهو الصواب

خطا	صواب	صحيفه	سطر
بجنجزيرة	بجنجزيرة	٠٥	٣٣
تحرير	تحرير	٠٥	٤١
تتخلل	تتحلل	٠٨	٢٥
مد	مدة	١٩	٠١
بجميع السهل	بكميع السهل	٢١	٢٤
لسا اللسنجستانية	لسان اللسنجستانية	٢٥	بالهامش
الكنيسة	الكسستة	٢٥	١٨
نسجية	لسجية	٢٥	٣٠
غلندنستد	غلدنستد	٢٦	٠٨
الصنوبر الحلبي	الصنوبر الحلبي	٤٠	٠٥
احجاوالزلط	احجار الزلط	٥٣	١٤
والبروة الشتائية	والبرودة الشتائية	٥٦	٢٩
خدلديا	خلديا	في جدول صحيفة	٦٠
كنعر	كنغريا	في جدول صحيفة	٦٢
ثم الملة المقلبة	ثم الملة الملقبة	٦٦	٢٣
تحدق	يحدق	٦٩	٢١
موالا	اموالا	٩٠	٠٦
فى الجنوب الغربي	من الجنوب الغربي	٩٦	١٤
من اسفلها	من اسفلها	١١٧	٢٠
اوجزأ	اوجزه	١٤٦	٣٣
فى اثنين واربعين	فى اثنتين واربعين	١٤٦	٣٤
شخصان	شخصان	١٦٥	٢٩
كوة	كورة	٢٠٧	بالهامش
ـه	حية	٢٦٢	٢٧

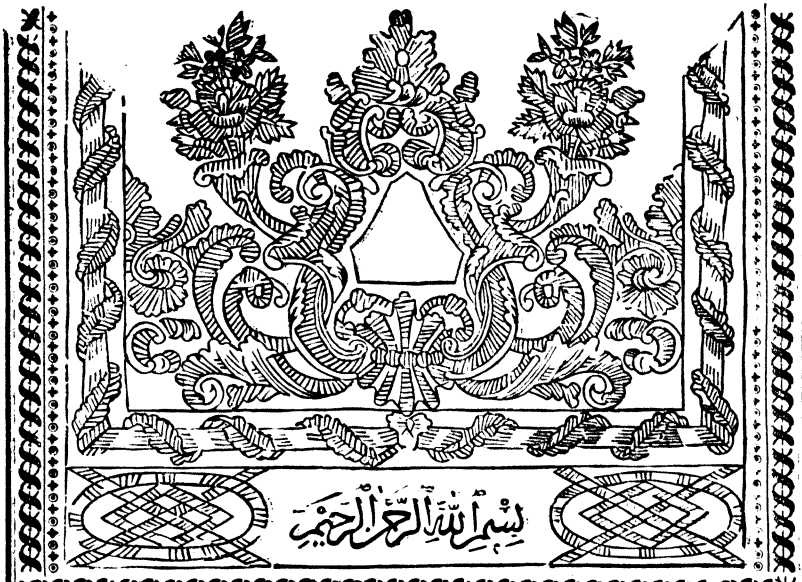

﴿ الجزء الثالث فى الجغرافيا العمومية ﴾

﴿ المقالة السادسة والاربعون ﴾

تخطيط اسيا * تعميمات على هذا القسم * ذكر جبال آسيا وانهارها وبحارها واجوائها واعتدال قطرها وتولداتها واهلها واحوالها المدنية والبولايتيقية

اعلم ان آسيا على مقتضى الاخبار المقبولة هى اول ولاية خرج منها انوار التمدن العام الذى انتشر على غيرها فبها نبتدئ سلسلة تخطيطنا التى بعد تمامها تشبه سفر ايطاف فيه حول الدنيا

ثم انه لاشئ يدل على ان قدماء الاسيبين كانوا يعرفون تقسيم الكرة الى هذه الاقسام الكبيرة التى نسميها اقسام الارض ولم يقم شئ من البراهين على انهم كانوا يسمون القسم الذى يعمرونه باسم آسيا فحدس العالم بوشرت ان آسيا كلمة عبرانية اوصورية ومعناها الوسط لم يقم عليه اصل تاريخى ومثل هذا يقال فى تخمين بعض علماء الاشتقاق فى ادعائهم نسبة سريانية بين آسيا وآس الذى هو عند بعض امم الافرنج اسم فى الغالب لصنم من الاصنام فلا نعتمد على شئ من هذا بل لا نثق الا بما هو محقق فنقول ان لفظ آسيا على مقتضى كلام اوميروس وهردوط واوربيديس اسم لولاية من ولايات ليديا مسقية بنهر قيسطره ومما يدل على ذلك ايضا ان بهذه الولاية كما نقله بعض المتأخرين عن اوميروس وغيره قبيلة تسمى الاسيونه ومدينة تسمى آسيا فالظاهر ان اليونان توسعوا فى هذا الاسم الذى هو اسم اقليم فاطلقوه على جميع ولاية آسيا الصغرى المسماة اناطولى ثم بعد ذلك اطلقوه على الولايات الشرقية شيأ فشيأ على حسب معرفتهم لها على التدريج ومثل هذا ما وقع للاسماء الافرنجية فان الفرنساوية توسعوا فى دوقة المانيا فاطلقوها على جميع بلاد الجرمانية كما ان اسم ايطاليا كان موضوعا لكورة صغيرة من اقليم كلابرة فاطلق توسعا على جميع الجزيرة وقد كان لا يدل الا على جزء صغير

اسم آسيا

ثم ان حدود آسيا بعضها طبيعى ثابت لا يمكن الاختلاف فيه وبعضها قابل للمناقضة فتى الجنوب الغربى يفصلها بوغاز باب المندب وخليج العرب من افريقية وبرزخ السويس يجمع آسيا بافريقية فى جهة واحدة وفى جهة الغرب تنفصل آسيا من اوروبا بالبحر الابيض المتوسط وبحر الارخبيل وبغازى الدردانيل والاسمبول وبالبحر الاسود وبوغاز كفا لكن من بوغاز كفا الى بوغاز ويفتز بقرب زمبله الجديدة يكون حدها غير محقق ثم ان المشهور الآن هو رأى اغلب القدماء وهو ان نهر تنايس المسمى الآن نهر دون ارتن هو الحد الطبيعى بين آسيا واوروبا ولكن لما كان مجريان هذا النهر ازورارا وانعطاف وكان لم يكن للاقدمين به

حدود آسيا

نهر تنايس

لا لمعرفة مبهمة هينة اودى ذللا بالجغرافيين الى الوقوع فى ربقة الاراء المتناقضة فبعضهم رسم خطا فى مصب نهر دون الى مصب نهر دونا فى البحر الابيض و بعضهم جعل مسير هذا الخط على نهر اوبى وكلا هذين المذهبين اتماهو مبنى على مجرد دعوى نفس صاحبه واما علماء مدينة بترغ دار سلطنة الموسقو فانهم برهنوا على اصل لا يمكن مناقضته ابدا وهو ان سلسلة الجبال الاورالية المسماة الورشوطورية هى الفاصل الطبيعى بين اوروبا وآسيا الشمالية ثم ان المعلم بلاس لما انحط رأيه على ان يجمع الحدود المقبولة الآن بالحقوق التخيلية التى ابتنتها العقائد الفاسدة نهر التنايس رسم خط تحديد يتبع محيط السهول الواسعة المحاطة التى هى ساحل بحر الخزر شمالا ويبقى منه فى آسيا اقليما اورنبورغ واژدراهان ويجتاز نهر الاتل فى زاريزين ثم يجيء فيختلط بنهر دون وهذا الترتيب الذى ذكره الحكيم بلاس يلزم عليه تقسيم نهر عظيم بين قسمين من اقسام الدنيا وان كان هذا الحكيم لم يعتمد فى الغالب الا على امور طبيعية لكن هذه الامور الطبيعية ليست قوية بحيث يكون لها مدخلية فى الجغرافيا واما نحن فاتفاقا هردوط وافلاطون وايراطستينس وغيرهم من المتقدمين الذين تركوا اغلب مجرى نهر دون وحددوا آسيا بخط يحسن انتهاؤه ببرزخ كوه قاف وهذا الخط معلم بجربان نهرى مانيچ وقوما وعلى فرش هذين النهرين كانت تختلط مياه بحر ارق وبحر الخزر لو كانا مرتفعين بتسوية نحو مائتى قدم ونهر مانيچ يصب فى نهر الدون الذى يمكنه مدة مسيره عدة فراسخ ان تبقى له مزيته القديمة وهى فصله بين اوربا واسيا ولكن اخترنا بعد أن امعنا النظر هذا الحد على الحد الذى يتبع مجارى نهرى قوبان ومارق الذى استحسناه فيما سبق ومن مصب نهر قوما نجد أن بحر الخزر يحد اوروبا الى مصاب النهر العظيم المسمى نهر يايق وهو الذى سمته قثرينة الثانية قيصرة الموسقو باسم اوفق للجغرافيا وهو نهر اورال وهذا النهر من حيث انه يوصلنا الى جبال اورال يتم مجموع الحدود الطبيعية التى نبحث عن تحديدها

الحدود المغربية على رأى الحكيم بلاس

وعلى رأينا

ومن بوغاز ويفتز نجد البحر المنجمد يحد آسيا ولا يعلم هل الاراضى التى تلح فى شمال سيبر جزائر مثل زمبلة الجديدة او نهاية امريقة وعلى كل حال سواء كان البحر المنجمد بحرا حقيقيا او بوغازا مستطيلا محصورا بين اراض وجزائر فمن المحقق الآن انه يتصل باسيا الشمالية من جميع الجهات وان آسيا منفصلة انفصالا كاملا عن امريقة الشمالية ببوغاز بهرنغ وفى ابتدائنا من هذا البوغاز نجد ان المحيط الاكبر المسمى البحر المعتدل هو الحد الشرقى لاسيا ولما كانت جزائر الوتيانية والجزائر المجاورة لها ليست الا امتداد بحيث جزيرة الشكا لزم ان تعد من جزائر امريقة

انفصال آسيا من امريقة

لكن اى حد نعطيه لآسيا جهة الجنوب الشرقى هل يلزمنا ان نتبع الخطاء القديم فنقول ان جزائر مريانه وجزائر فليبينة وجزائر الملوك وجزائر سليبيه وجزيرة برنيو وجزيرة جاوا تعد من آسيا وان غينا الجديدة وابرطانيا الجديدة لا يعدان منها جوابه لا وذلك لانه ليس ثم حد طبيعى متى دخلنا فى مجمع الجزائر العظيم الذى يمتد بين المحيط الاكبر وبحر الهند ولا يمكننا ان لا نقول ان فى بوغاز ملقا والمجاز الذى بين جزائر فليبينة وجزيرة فرموزة اوفق حد طبيعى لآسيا فجميع الجزائر التى على شرق هذا الحد الى زلندة الجديدة وجزائر الشركة تكون بالبداهة قسما خامسا للدنيا وجزيرة الفلبنك اصلا لهذا القسم اشبه بساق الشجرة الذى يتفرع منه اغصانها واذا نظرنا ببادى الرأى على خرطة جديدة مرسوم عليها بحر الجنوب وجدنا براهين قائمة تدل اصحاب المعرفة على صحة هذا المذهب وعلى الثمرات التى تحصل من القول به فى التقسيم الترتيبى المسهل للخطط الجغرافية

حدود آسيا جهة الجنوب

وفى الجنوب بحر الهند يفصل اسيا من افريقة بحيث ان جزائر مديوه تعد من آسيا وجزيرة فرانسا وجزيرة الاجتماع وجزيرة ماهه تكون من افريقة وان كان المتداول على لسان التجار والبحرية الفرنساوية جعل هذه الجزائر الاخيرة من الهند الشرقى على ان جزيرة سوقطرا التى هى من افريقة اتفاقا هى فى كثير من المؤلفات تعد من آسيا

حدود اسيا

طول اسيا وعرضها

فاذا حصرنا آسيا فى الحدود التى ذكرناها ظهر ان سطحها يمكن ان يقوم بقدر ٣٩٦٠٠٠٠٠ الى ٤٠٤٠٠٠٠٠ مربامتر مربع واعظم طول هذه القارة اذا اخذناه خطا مائلا من برزخ السويس الى بوغاز بهرنغ فانه يكون ١١٨٨ مربامترا فاذا اخذنا طولها عند الموازية المكملة للثلاثين المارة ببرزخ السويس الى تشكين فانه لا يكون الا ٩٦٠ مربامترا واذا اخذنا ذلك الطول من بوغاز الدردانيل عند موازية ٤٠ الى بحيث جزيرة كورة فانه يكون ٩٦٥ مربامترا وعند الدائرة القطبية يكون ٥٦٩ مربامترا وعرضها من

الشمال للجنوب يقاس بين رأس قرين فى الهند ورأس تيورا فى سيبر ويبلغ هذا العرض قدر ٦٨٢ مريامترا فينتج من تقدير الطول والعرض بما ذكر ان اغلب ارض آسيا موضوع فى المنطقة المعتدلة الشمالية فما يوجد منها فى المنطقة المحترقة فانه يظهر لنا انه $\frac{1}{17}$ المجموع كما ان ما يوجد خلف الدائرة القطبية لا يزيد عن $\frac{1}{17}$ ولكن ثم امور خارجية طبيعية جعلت نحو نصف آسيا عرضة لاعمال برد القطب واذا اردنا ان نعرف معرفة صحيحة انواع امزجة القطر المختلفة الموجودة فى آسيا فعلينا ان نشرع فى تمييز خمسة الاقسام العظيمة الطبيعية التى اليها انقسمت آسيا انقساما طبيعيا

اقسام طبيعية عظمى

فلنذكر اولا على الهضبة العظيمة التى ترتفع بين متوازيى ٣٠ و ٥٠ وتمتد من بحر الخزر الى بحيرة بيكال ومن منابع نهر السند الى سور الصين وهى مشهورة باسم تجد التتر او هضبة التتر وهذه التسمية ليست منطبقة انطباقا كليا فلا اقرب للصحة ان تسمى آسيا الوسطى او المركزية وهى مجتمع جبال وصخرات بالغة النهاية فى العظم وسهول عظيمة الارتفاع فيظهر عدة اشياء لاسيما قطعتا جبال بارزتان فوق نفس هذا القسم المرتفع فى نفسه وهما اصل سلاسل الجبال العظيمة الممتدة بآسيا فاحدى هاتين القطعتين متكونة من جبال التبت التى لا تنقطع من اعالى اوديتها الثلوج دآئما وان كانت فى عرض ثلاثين درجة والظاهر ان ارتفاعها ابلغ من ٢٠٠٠٠ قدم ومنها تخرج سلاسل الجبال التى هى كنتيسه وهيماله وغيرهما وتمتد جهة الهندستان وتجتمع فى البحيرة جزيرة مع سلسلة الجبال المسماة الغتة التى تنتهى برأس قرين ثم ان جبل مستاغ الذى كان يسمى عند الاقدمين ايماوس يمتد ايضا من بلاد التتار ويجتمع بواسطة جبال فارس الى جبال عرارة وتوروس وكوه قاف التى هى اصل آسيا الغربية ومن جهة اخرى تمتد سلاسل جبال عديدة نازلة فى البحيرة جزيرة التى خلف نهر الكنك وتقطع هذه البحيرة جزيرة الى اودية طويلة متوازية فاحد هذه الاودية يمتد الى داخل بحيرة جزيرة ملقا ويظهر كانه يدخل من هذه البحيرة جزيرة الى الارخبيل العظيم الذى نعتبره قسما خامسا من اقسام الدنيا وثم جبال شامخة فى الجملة ولكنها متقاربة تملأ الاقاليم الشمالية والغربية من الصين وتنتهى بمهابط سريعة وسطوح وفى شمال هذه السلاسل تجد سهلا مرتفعا ولعله اعلى اقطار الكرة وهو الصحرآ الواسعة المسماة صحرآ قوبى اوشاما وليس هنالك الا بحيرات مالحة وانهر صغيرة تضل فى متراكم الرمال والحصبا فتجد عدة مراع وحشائش حقيرة متفرقة قصارى امرها انها تذكرنا آثار الزروع وهذا السهل المرتفع الذى هو هضبة عظيمة يمتد من منابع نهرى السند والكنك الى خلف نهر امور المسمى نهر سغاليان وطوله يكون من ٢٣ الى ٢٤ درجة من دآئرة الاستوآء وعرضه يكون من ٣ درجات الى ١٠ من العرض وتنتهى الهضبة شمالا بمجموع جبال اخرا على جبل منها كما قاله پلاس يسمى بغدو ومن رأس هذا الجبل الذى هو بمنزلة المركز المشترك بين هذه الجبال تنشعب سلسلتا جبال منها فرعان متوسطا القدر وفرعان عظيمان فالفرع الذى يمتد جهة الجنوب فيسمى هنالك جبال مسرت لا يظهر الا فى شكل حلقة تربط هضبة المغول بهضبة التبت وثم فرع آخر ثانوى شبيه بذلك الفرع يسمى جبل علائ يتوغل جهة الغرب ويجتاز بلاد التتار المستقلين المسماة بخارى ويقرب فى جهة بحيرة ارال المسماة بحيرة خوارزم من الجبال الاورالية وفى الجهة الثانية يجتمع هذا الفرع مع جبال بلور التى تفصل بين بخارتين الصغرى والكبرى وتجتمع بجبال فارس الشرقية وشمال الهند فحينئذ جهة الغرب تجد الجبلين الاصليين متصلين بغيرهما من سائر جهاتهما ويمكن اعتبارهما رأسين من هضبة واحدة وقلتين لها وحينئذ اذا رجعنا للفروع العظيمة لجبل بغدو رأينا احدها يمتد جهة الشرق ويسمى هنالك كنغاى فيستر بلاد المغول وبلاد التتار الصينيين وينتهى جهة بحرى كوره و پاپونيا فهو فى الحقيقة اقرب الى كونه هضبة مستطيلة من كونه سلسلة جبال حقيقية وثم فرع آخر يسمى التاى يمتد فى سيبر الشرقية وهو منقطع بحلوق عميقة يجتاز بها نهرا اوبى و ينزبة حين نزولهما جهة سهول سيبر وثم فرع آخر شبيه بهذا الفرع المذكور يتكون منه فى شرق بحيرة بيكال جبال الداورى المسماة جبال نرجنسك وهى تمتد جهة قمچتقا وجهة بوغاز بهرنغ

جبال التبت والهند

جبال المغول

صحراء قوبى اوشاما

جبال بلور

جبال سيبر

فتسلسل جبال الپ فى اوروپا وتلك الجبال فى آسيا هو اعظم تسلسل مجموع جبال فى الكرة الارضية فان كان ثم ما يساويها فى الشموخ والارتفاع فهو مجموع جبال الكردلياره فى امريقة ثم ان شدة شموخ الهضبة الوسطى فى آسيا مبرهن عليها ببراهين اقوى مما برهن به الحكيم كراوفرد من مساحته المخدوشة فمن هذه البراهين كثرة ما بها من الانهار العظيمة التى تخرج من جميع جهاتها وعظم ارضها وعدم صلاحيتها للزراعة وكثافة البرد الذى يحكم فيها فى سائر فصول السنة حتى فى السهول والاودية

ويتصل

القسم الثانى الجنوبى

يتصل بالهضبة الوسطى من ناحيتى الشمال والجنوب قسمان عظيمان من اقسام اسيا وذلك ان آسيا الجنوبية وهى هندستان شبيهة برياض ازهار رجيلة سافت اليها يد الحكمة اشعة الشمس ووقتها من الرياح المنجمدة الشمالية بواسطة جبال التبت واما انها جدا نحو المدارين وخط الاستواء آتم ان ارض هذا القسم الخصبة مروية بانهر عظيمة متسعة ومنبعثة اليها دآئما حرارة الشمس وممتزجة بابخرة بحر لا ينعقد ماؤه فى الشتاء ابدا فانظر التباين الكلى بين هذا القسم الخصب الظريف وبين ذلك القسم الذى هو آسيا الشمالية المسمى ايضا سيبر فانه ليس الا اراض محزنة قليلة العمارات مائلة جهة القطب والبحر المنجمد لا يهب بها ابدا الطيف رياح المنطقة المعتدلة ولا يكتسب هوآءها من البحار المجاورة لها الا الهواء المحمل من البرد القطبى

القسم الثالث الشمالى

ثم ان حكمة الخالق افرغت على كل قسم من هذه الاقسام خاصية طبيعية تعجز صناعة البشر عن التمكن من محوها رأسا او تغييرها بعض اصلاح فما دامت الكرة الارضية على اتزانها الذى هى عليه الآن ولم يطرأ لها تغير طبيعى فان الثلوج المنجمدة تتراكم دآئما فى مصب نهرى اوبى ولنا ولا تزال الرياح تهب فى صحارى شامو ولا يبرح اقليم التبت واجدا الثلوج جباله الشبيهة بجبال الالب باقية دآئما امام اشعة الشمس التى على مسافة قريبة منها تحرق اقطار المنطقة المحترقة فحينئذ امم التتار مخلوقة للفلاحة ورعى المواشى كما ان امم سيبر معدة باصل الخلقة للصيد واما الهند الذى هو فى الظاهر اقليم سعيد فانه غالبا بسبب مزاج قطره كان باهله رخاوة وجبن وبلادة وكسل وهذا هو السبب فى استيلاء قطاع الطريق الاجانب (الانكليز) عليه وفى الظلم الاهلى الصادر بين اهله بعضهم لبعض

القسم الرابع الشرقى

وقد بقى علينا ايضا ذكر قسمى آسيا الشرقية وآسيا الغربية فالاول المختلط على وجه غير محسوس بالهضبة الوسطى المتقدمة ينظم ربه ثلاثة اجزآء ممتازة بعضها عن بعض فالاول سلسلة جبال عريضة معظمها مشغول بالثلوج المستمرة وهى تمتد من هضبة المغول الى داخل بحيث يجتاز برة كوره وفى شمال هذه الجبال ينعطف نهر امور اولا جهة الجنوب الشرقى ثم ينعطف جهة الشمال الشرقى بعد يسير وفى هذه الجهة يكون هذا الوضع ابرد ما يكون فى المنطقة المعتدلة الشمالية وايضا يترآى ان الارض هنالك مرتفعة جدا وهذا الجزء المشهور باسم التتار الصينية يشبه آسيا الشمالية وان كانت موضوعة فى عروض فرانسا والجزء الثانى هو الصين الحقيقى وذلك ان متراكم البرد الذى يكاد يكون محدقا ببلاد التتار من احدى الجهات وقطر المحيط الاكبر المستمر على حالة واحدة من جهة اخرى اذا اضيف الى تعرض الصين للشرق من غير مانع يعطيانه قطرا اقل حرا من قطر آسيا الجنوبية وهذا الاقليم مع انه يجاور المدار يسيرا ولا يرتفع غالبا خلف درجة ٤٠ من العرض الشمالى فيه امزجة جميع اقطار اوربا

والجزء الثالث من قسم آسيا الشرقى متكون من عظيم الجزائر والجهة التى بها جبال النار والتى هى شامخة على الغرب من القارة وتظهر كانها اسوار عظيمة متفاصلة تتزق عليها امواج البحر المحيط عند شدة هيجانه وحيث كان هذا الجزء البحرى الذى لا ينفصل من قارة آسيا مجاورا من احدى الجهات لاقطار المدار ومن جهة اخرى لبرد هضبة آسيا الوسطى ومحتقابه عنصر دائم الاضطراب والتموج لم يستمر على حالة واحدة كان لقطره ضرورة تغيرات لا تحصى

القسم الخامس الغربى

والقسم الخامس من آسيا هو اشد جميع الاقسام ارتباطا بقارة آسيا الاصلية وذلك لان بحر الخزر والبحر الاسود والبحر الابيض المتوسط والخليج الفارسى والعربى تجعل لهذا القسم الذى هو آسيا الغربية بعض شبه بجزيرة عظيمة ولا مانع من ان يقال مع نوع صحة ان هذا القسم ضد للقسم الشرقى كما ان قسم الجنوب ضد للقسم الشمالى وذلك لان آسيا الشرقية هى فى الغالب رطبة القطر والجزء الغربى يابس وربما كان بعضه محلا واحدهما سما آوه ذات تلاقيح وكثيرة الغيوم والآخر يحظى باستمرار هو آنه على حالة واحدة ويحوز مانه وايضا فاحدهما ذو سلاسل جبال صعبة الارتقاء متتالية بسهول سخنة والآخر مركب من هضبات اكثرها ذات رمال وارتفاعها اقل من سلاسل الجبال التى تحملها هذه الهضبات وفى آسيا الشرقية تجد الانهر ذات المجارى العظيمة متقاربة بخلاف آسيا الغربية فليس بها الا نهران او ثلاثة عظيمة الحجم جدا ولكن بها كثير من البحيرات التى لا تجرى ونهاية الامر أن قرب جزء من آسيا الغربية من مركز الحرارة الداخل فى افريقة جعل هذا الجزء ذا قطر اشد حرارة من نفس قطر آسيا الجنوبية

ولاجل زيادة التحرير للذكر نادمن الاجمال فيما يتعلق بالاقسام الطبيعية لآسيا لا بأس بترتيب انهارها على حسب

جدول سهل الماخذ فى بيان انهر آسيا

حوضة كل نهر وقد وضعنا بهذا الغرض فى الجدول الآتى وذكرنا فيه ايضا الطول التقريبى لكل نهر منها وقد ميزنا الانهر الصغيرة التى تصب فى نهر كبير بجعلها فى اسطر خارجة عن اسطر الانهر الكبيرة وهى كما ترى فى هذا الجدول

حوض البحر المنجمد * المهبط الشمالى لهضبة المغول

	طول مجاريها
نهر اوبى	٣٤٧٠ مريامترا
ايرتيخ	٢١٠
توبول	٠٨٠
ينسية	٢٤٠
تنغسكا الاعلا	١٣٢
تنغسكا الاسفل	١٣٧
ياسيغا	٠٤١
شوتنغا	٠٤٨
اوانق	٠٧٥
لنا	٣٣٤
ولوى	١٠٠
الدان	١٢٥
يانا	٠٤٩
يندیجركا	١٠٨
كوويما	١٢٠

الحوض الشمالى للمحيط الاكبر * المهابط الشرقية لبلاد سبير وهضبة المغول اونجد المغول

انادير	٠٧٠
قمجتقا	٠٤٠
امور اوسغليان (بشموله سزلكا)	٢٩٤
سنجارى اولا	١٠٠

حوضة بحر الصين وهى جزء من حوضة المحيط الاكبر * المهبط الشرقى من هضبة التبت اى نجد التبت

نهر هونغ هو (النهر الاصفر)	٣٢٠
يغ تسه كيغ (النهر الازرق)	٣٦٨
هون كيان	١٢٠

(المهابط الجنوبية من نجد التبت)

ا) حوضات بحر الصين وجون سيام

نهر مه كوم المسمى قمبوجة	٣٠٠
مه نان	٢٥٠

ب) حوضات بحر الهند

نهر بغو المسمى ايرابادى	٢٩٠
نهر آرى المسمى كندوان	١٥٠
تسمبو المسمى بورمپوتر	٢٠٠
نهر كنك	٢٥٠
غوداورى	٠٩٠
كصنا	٠٨٦
زبودا	٠٨١
هندوس اوسندا اى نهر السند	١٩٥

﴿مهابط داخل اسيا وحوضاتها﴾

ا) حوضة بحيرة آرال المسماة خوارزم والمهبط الغربي من الهضبة الوسطى الكبرى المسماة النجد الاوسط الاكبر

طول بحاريها

سيرداريا	١١٠٠ مريامتر
أمودار يا المسمى جيحون	١٤٥٠
ب) في بخارى الصغرى جهة بحر آقوبى	
نهر زركند المسمى نهر مهشا	١٠٥٠
ج) حوضة بحيرة بيكال	
سلنغا	٠٧٦٠
مهابط آسيا الغربية يعنى مهابط كوه قاف وعرارة تاوروس الخ	
ا) جهة بحر الخزر	
نهر الكور المسمى قوروس	٠٤٦٠
اركس المسمى سيحون	٠٤٢٠
ب) جهة الخليج الفارسى	
نهر الفرات الى حد الخليج	١٨٥٠
نهر دجلة	١٠٥٠
ج) جهة الخليج العربى	
لا يوجد نهر انما يوجد جداول وغدران قليلة	
د) جهة البحر الابيض المتوسط وبحر الارخبيل اى بحر جزائر الروم	
نهر العاصى	٠٢٨٠
نهر مندر	٠٤٥٠
ه) جهة البحر الاسود	
سنغاريوس (سقاريا)	٠٤٠٠
هاليس (قزل ارمق)	٠٥٤٠
نهر فاسيس المسمى ريونة	٠٢١٠

تناسب هذه النهيرات

فى ادخالنا جميع النهيرات المرسومة على خريطة آسيا فى الحساب وجدنا التقويم على الوجه الاتى فى تناسبات اجسامها والاصح فى العبارة ان يقال ان التناسب انما هو بين سطوح المياه الجارية باسيا

واذا اخذنا جملة النهيرات وحدة	١٫٠٠
تكون نهيرات سبير الجارية جهة الشمال	٠٫٣١
والجارية جهة الشرق	٠٫٠٢
وتكون نهيرات الصين وتتار الصين	٠٫١٥
ونهيرات الهند بتمامها	٠٫٢٧
ونهيرات وسط آسيا	٠٫٠٨
ونهيرات بلاد الدولة العثمانية باسيا	٠٫١٠
ونهيرات الفرس وارمنية	٠٫٠٦
ونهيرات بلاد العرب	٠٫٠٣

واذا اردنا ان نستنتج من هذه المقادير المعلومة هل الارض الفلانية ايبس من ارض كذا الاخرى فلا بد من النظر لسطحى كل منهما مثلا بلاد العرب ايبس بلاشك من بلاد العجم او بلاد العثمانية ولكن بلاد الهند والصين ايبست اقل منها من سبير وقلة اتساع السطوح هى سبب التفاضل بين حجم المياه

ولما كانت قارة آسيا قطعة ارض عظيمة جدا ولا تخترقها البحار الملحة الا قليلا لزم ضرورة ان تحتوى فى داخلها على

مياهها مستراكمة بل هي محتوية على اكبر بحيرة معروفة يعني بحر الخزر وفي لغالب بحيرات آسيا مادة المياه مرة كبريتية ومن هذه البحيرات ايضا مالا يجري ففي آسيا الصغرى انموذج آسيا الكبرى التي تملك جزءا منها ففي داخل اناطولي وبلاد القرمان سلسلة بحيرات مالحة لا جريان لها فبحيرة تزلا ذات طول عظيم جدا فاذا صعدنا جهة الاجزاء المرتفعة من آسيا الغربية وجدنا بحيرتي وان واورميا تمتد مياههما المالحة اوالمرة على مسافة متسعة وفي الشام عدة بحيرات بهذه المثابة متتالية على امتداد سلسلة جبال لبنان وجبال انطي لبنان ومن اغرب ما يوجد في هذا المعنى بحيرة القفرية المسماة البحيرة الميتة كما تسمى بحيرة لوط في بلاد فلسطين ومياهها قفرية غامرة نحو ٦٠ او ٧٠ فرسخا مربعا (من ١٢ الى ١٥ مريامترا مربعا) وبجزيرة العرب بتهامها ليس بها من البحيرات الا الحاصلة من مياه الامطار او العيون التي تضل في الرمال او تتفذ فيها ولكن كل هذه المياه قليلة الاتساع وصحاري عجمستان التي هي مشابهة من وجه آخر لصحاري عربستان بها بحيرات من هذا القبيل لكنها اكبر فبحيرة زره تغمر اتساع ١٤٠ فرسخا فرنسويا مربعا ويصب فيها نهر مجراه ١٥٠ فرسخا (٦٦ مريامترا) وتصب فيها ايضا نهر صغيرة لا نعدها

البحيرات المالحة التي لا جريان لها في الجهة الغربية

والمهبط الغربي من هضبة التتار يغمر بحيرات مالحة لا جريان لها فبحر الخزر يغمر اتساع ١٦٨٥٠ فرسخا مربعا او ٣١٣٩ مريامترا فهذا البحر هو اعظم بحيرة مالحة معروفة من بحيرات الدنيا وبحيرة ارال المسماة ايضا بحر ارال (بحيرة خوارزم) هي ذات ١٢٨٠ فرسخا مربعا والبحيرة المالحة التي بين بحيرة ارال وبحر الخزر وكذلك بحيرة اقساقول وبحيرة طلغول وبحيرة بلكاشي او بلكاتي وعدة بحيرات اصغر منها اوافل ملوحة كل هذه البحيرات تميز هذا القسم الذي من ارض الى اخرى يميل من وسط آسيا الى بحر الخزر وهو بمعاذاة قسم آخر موجود بتمامه في السهول مائل من وسط روسية اوروبا جهة هذا البحر المتقدم ويظهر ان هذين البحرين يشبهما ملح واسفنج من هذا ان بحر الخزر كان في الزمن القديم غامرا لهذه الاراضي وهذا ممكن بالنسبة لسهول ازدراهان التي سطحها اقليل الارتفاع عن مياه بحر الخزر والظاهر عدم امكان ذلك بالنسبة للاراضي التي على شرق ذلك البحر او على شماله الشرقي لان الارض ترتفع كثيرا بين بحر خوارزم وبحر الخزر بل بعظم ارتفاعها بين بحر خوارزم وغيره من البحار المالحة وايضا من هذه البحيرات المالحة كثير خلف الحدود التي يجوزون امتداد بحر الخزر اليها غاية الامكان فمن هذه البحيرات كثير في المهابط الشمالية بالنسبة لهضبة التتار مثل بحيرة ابلاي وبحيرة يامبش وتراز وزقيا وغيرها وكذلك بحيرة قزاني التي لا جريان لها هي ايضا مالحة مرة ولعل هذه الصفات توجد في جميع المياه الراكدة حين تتخلل اجزاؤها وتقف مياهها في ارض مشوبة بمواد مالحة وهذه المياه الراكدة المتراكمة توجد ايضا في تسوية ارفع من ذلك بكثير على الهضبة الواسعة بلاد المغول وانبت فان هذه السهول العالية التي تكتنفها الجبال وهي بلاد القلموق كثيرة المياه المالحة التي لا جريان لها والتي بها مصب انهر صغيرة فان بركة قرقرنور التي توجد فوق جبال ينبع منها نهرا ايرطيش واوبي يصب فيها نهر صغير مجراه من ٧٠ فرسخا الى ٨٠ والسهل المرتفع بين جبال المغول وجبال التبت يعني بين رأسي آسيا هود آ تملوه بالانهر التي لها اعظم مما وتضل في الرمال او تمتد البحيرات التي لا جريان لها كما في نهر يرقند الذي يمتد بحيرة لوب

وبلاد التبت التي هي الهضبة الجنوبية وهي ارفع هضبة بآسيا كثيرة البحيرات جدا ومن بحيراتها ما لا جريان له وهو كثير فبحيرة طرقيري سطحها ٣٠٠ فرسخ مربع وعلى امتدادين احدهما في شمال بحيرة طرقيري هو ثمانون فرسخا والآخر في غربه وهو من ١٦٠ الى ١٧٠ فرسخا تجد ثلاثا وعشرين بحيرة اخرى لا جريان لها او يجري بعضها في بعض وفي الشمال الشرقي من التبت تجد من البحيرات المشهورة بحيرة هوهونور او كوكونور وهي بحيرة سطحها ٢٤٠ فرسخا مربعا وهي في وضع مرتفع جدا ولا جريان لها اصلا

بحيرات اخرى

فهذه البحيرات التي لا جريان لها الى التي لا وصلة بين مياهها ومياه اخرى هي امر مشترك بين جميع الاجزاء الغربية والوسطى من آسيا لكن لا توجد في شمال سبير ولا في الصين ولا في الهند فالاراضي الواطية من سبير بها كثير من البرك العظيمة التي تكاد ان تكون متواصلة وتوجد البحيرات العظيمة في الصين بالاراضي الواطية السخنة في وسط هذا الاقليم وليس بهذه البحيرات غرابة بالنسبة لعلم طبيعة الارض الا تقارب بعضها من بعض فكما هي منبتة لحكاية عند الصينيين تقتضي ان جزأ من هذا الاقليم انحسرت عنه مياه البحر عن قريب او انه انحسرت عنه مياه

جوفين طويلين مصنوعين من نهرى هوانغ هو ويان تسه كيانغ وليس البحيرجزيرة الهند فى الغالب بحيرات شهيرة فضلا عن بحيرات لا جريان لها وهذا دليل ظاهر على ان ارضها بجميع جهاتها ذات مهابط

سهول اسيا

فينتج من هذه النبذة الاثنوغرافية لآسيا اى الباحثة عن مياه آسيا ان هذه القارة المخالفة لامريقة مخالفة كلية ليس بها بالنظر لمقدارها لا يسير جدا من السهول المنخفضة التى يغمرها البحر المحيط بمياهه اذا ارتفع قليلا ثم فى آسيا سهول من هذا القبيل لا سيما سهل عظيم على امتداد البحر المنجمد وسهل آخر اصغر منه بكثير فى بلاد الصين ونهر آخر فى مصب نهر الكنك وتهامة العرب والجزيرة بين دجلة والفرات وسهل ميندرة وغير ذلك ولكن شدة عظم سهول آسيا تجعلها اقرب الى كونها سطوحا عظيمة متسعة على ظهور الجبال فتارة ترتفع ارتفاعات متقطعة تتخللها مسافات بعيدة وتلك الارتفاعات عليها ايضا جبال اخر مع اوديتها وتارة تكون تلك السهول ممتدة بعيدا على تسوية واحدة وان كان بها يسير تقطع بالمسيلات المحلية اى التى تقتضيها طبيعة المحل ومن هذا كان بها البحيرات التى لا جريان بها والانهر التى توجد وتنعدم فى صحارى هذه السهول من غير أن تتعداها الى غيرها وهذا هو السبب ايضا فى كونك اذا نزلت من ربوة التبت الى بلاد الهند وجدت تغير مزاج القطر دفعة واحدة من شدة البرودة الى شدة الحرارة وكذلك اذا خرجت من داخل ارض العجم الى السواحل البحرية وهذا كله اثر تغير التسوية دفعة واحدة وان كان تغير العرض هينا والمثال المقرب لذلك فى الجملة انك اذا ذهبت من السويسة الى بلاد اللتبردية تغير معك مزاج القطر وهذه الارتفاعات والانخفاضات التى بهذه الاراضى هى الموجبة لحصول الرياح الدورية التى تتسلط حتى فى داخل آسيا وليس المراد بالرياح المذكورة رياح الموسون اى الموسم التى ببلاد الهند الناشئة عن حركة الشمس السنوية بل المراد استمرار الريح الذى يمكث مدة طويلة وهو الموجود فى الاقاليم البعيدة عن البحار فان سبب عدم الاجوان والبحار التى يمكن تصعداتها اوتياراتها ان تنسخ طبيعة الريح اوتغيراها تصعدا آمنا فان الرياح المنجمدة التى تهب من سيبر تصعد الى رؤس جبال وسط آسيا فاذا كانت هذه الرياح يمكن ان تعلو الى ان تتجاوز سلاسل الجبال الاولية امكن ان تمتد الى رؤس بلاد التبت وريح الشرق المتحمل لكثير من الغيم والضباب يستمر فى طرفة عين جميع الجزء المنخفض من الصين ولكن كلما توغلنا فى المنطقة المعتدلة انقطع على التدريج جميع انتظام حركات الرياح المترتبة بالكلية على اتصال البحر المحيط مع كرة الهوآء فى العمل مثلا فى جزآئر يابونيا تجد تعاقب البرد والحر وعواصف الرياح وسكونها من غير كبير تخالل كلف ابرطانيا الكبرى والصين عرضة لهذه التغيرات التى هى اقل مما يعترى بلاد الفلمنك من لين الرياح لبحرية اويبس الرياح التى تمر على الاراضى ثم اذا دخلنا فى اقاليم شرقية معتدلة القطر ذاهبين الى وسطها فانا نجد ان الفصول يزداد ثباتها على التدريج وان كانت ابرد بالنسبة للمنتقل اليه ونظير ذلك بالكلية التغير الذى تجده فى ذهابك من الغرب الى الشرق فى اوربا

النسبة بين الارض ومزاج القطر

علة زيادة البرد فى آسيا جهة الشرق

لكن فى آسيا الشمالية حادثة اخرى غير ما تقدم ويشتد ظهورها اذا قابلنا هذا القسم باقسام اوروبا المتحدة معه فى العروض وهذه الحادثة هى زيادة البرد فى آسيا الشمالية دآئما كلما ذهبنا جهة الشرق واذ قابلنا هذه الزيادة وجدنا على سواحل مفش النتار (اى بوغاز التتار وهو بحر يابونيا) الموضوعة فى عروض فرنسا يبتدئ الشتاء فى شهر سبطمبر والظاهر ان هذه الحادثة مترتبة على اجتماع عدة اسباب وذلك انه يرتفع اولا بين بحيخ جزيرة كورة والبلاد الواقعة على نهر امور جبال عظيمة عليها زلاقات جايد وثم جبال ثانية عظيمة ايضا عرض من المتقدمة تفصل نهر امور من نهر لنا وجميع سواحل الشمال الشرقى بها صعوبة ارتقاء ووعر شديد ولا مانع ايضا ان البحار التى تحتف بهذه الاقاليم المنجمدة هى فى اغلب اوقاتها مغطاة بالضبابات المتكاثفة الباردة التى بها تتكسر اشعة الشمس او تنعدم بالكلية وثم سبب ثالث وهو انعدام الاهل بهذه البلاد الذى يترتب عليه عدم الفلاحة وذلك لانه ظهر فى سير الشرقية بمقتضى الاحصا التحريرى انه لو وزعت الاهالى على الفراسخ لخص كل فرسخ مربع نفر واحد بل ربما نقص عن ذلك ولعل هذه الاسباب التى ذكرناها لا تكفى وحدها فى ترتب ما تقدم عليها من برودة جهة الشرق بل لا بد معها من تطبيقها على القاعدة الكلية التى ذكرناها فى نظرية الاقاليم فى الجزء الثانى وذلك انه يلزم اعتبار جرم الهوآء الممتد على ارض يابسة كلا وتكيفه العام ناشئ من تكيف اجزائه مثلا اذا امتدت ارض قارة وتوغلت الى المنطقة المحترقة فان جرم الهوآء الحار يعمل فى جرم الهوآء المعتدل ويورثه شيأ من عنصر حرارته فتنبسط اجزآؤه وبهذا يورثه ايضا قوة الانبساط بعض شئ جهة الشمال ويزاحم حدود البرد بحيث ان الاراضى تكون برودتها جهة القطبين ليست على نسبة مستقيمة لدرجات العروض فقط بل تكون ايضا على نسبة منعكسة بالنسبة لمقدار جرم البلاد التى تتصل بها وهذا هو علة كون الجوار لقطعة عظيمة من الاراضى المحترقة بافريقة يجعل قطر بلاد العرب والشام

والجزيرة التي بين دجلة والفرات اشد حرارة مما يقتضيه مزاجها وبعكس هذه العلة امريقة الشمالية فانها تذوق الى ماحوالى المدار برد اشديد الان قطعة القارة التي تمتد خلف المدار انما هي كلاشيء بالنسبة للباقي فاذن لا يبعد فيما جرم وآخر ان يعمل في اجرام الاهوية المعتدلة والباردة بل ليس ثم مايكافي اعمال الجزء البارد واذا نظرنا الى آسيا وجدناها اذا امتصاغرمن الصين الى بوغاز بهرنغ فليس ثم ارض حارة فالهواء الذي هو بطبعه بارد يهذه الاقاليم يزداد برودة باعمال البحر المتجمد الذي لا يمكن البحر المحيط الاكبران يوازنه لان البحر المتجمد يلقي كثيرا من قطع الجليد بواسطة بوغاز بهرنغ وهذه القطع الجليدية تحبس بين جزائر التيانه واندرينو ويتسبب عنها ضبابات باردة تغطي البحر في هذا المحل وتذهب بالحركة العامة من الشرق الى الغرب يعني من امريقة الى جهة آسيا وتجمع ثم في الاجوان

مدخلية الاقاليم في مزاج الامم

فكل من سكون الكائنات الطبيعية المهيبة والاقاليم التي ليس في وسع الصناعة البشرية ان تصلحها اصلا حاجبنا ورجوع الفصول الدورية المطردة واستمرار الفلاحات المتحدة المترتب عليها اتحاد السلوك في المعيشة له مدخلية في تخلق الامم الاسيائية بالاخلاق الادبية والحركات النفسانية وذلك انها ان تؤثر في مجامعهم العصبية والعضلية او في تخيلاتهم بحيث لا تنفك عن حالة واحدة فهي التي اوجبت كون التتار هائمين لا يتفكون عن الميل الى المعيشة الرعائية كما ان الهنود لا يتفكون عن البلادة والكسل القطيع وكما ان الصينيين لا يتفكون عن مهارتهم في الصنائع وعدم تنورهمتهم ثم قلما توجد الامم على حالة واحدة في اقاليم معرضة للتغير ولكن من الخطاء الفاحش ان ينسب الى مجرد عدم تغير الاقاليم فقط استمرار الطبيعة التي ترصد في الامم الاسيائية فان بقراط مع كونه لم ينظر الا الى جزء من حوادثهم الطبيعية تحاشى عن ان يقصر عليها المدخلية في كونهم على هذه الطبيعة

رأي بقراط على امم اسيا

وعبارته انما كانت امم آسيا من غير شجاعة ولا حماسة وكانت امزجتهم اقل تجاسرا من الاوربيين وطبيعتهم اللين منهم لان مزاج هوآهم بكافي للقطر الذي ينسب اليه فلا يعرف عندهم الفرق بين الحر والبرد بل كل من المزاجين يختلط بالآخر فلا يعتري الروح الانتعاشات القوية ولا يذوق الجسم التغيرات الدفعية التي تفيد الجسم قوة شديدة وعنفوانا يورثهم التعامي والجموح الخ انتهت ثم قال وثم سبب آخر لفتور همة الاسيائية وهو طبيعة قوانينهم البوليتيقية وذلك لان اغلب ولاياتهم محكومة بملوك وسلاطين مطلق التصرف فاعلين مختارين وقد جرت العادة ان البلاد التي لا يأمن الانسان فيها على نفسه ولا يشارك الحاكم في الاحكام القانونية بل يكون تحت طاعة حكام ظالمة لا يحرص الانسان فيها على ان يشتهر بالشجاعة لعلمه ان ذلك يفضي به الى اعظم الاخطار لان الرعايا في البلاد التي بهذه المثابة يكونون مجبورين على الذهاب الى الحرب وتحمل مشاقه وعلى الموت لاستبقاء اسادتهم وعلى البعد عن اولادهم ونسائهم واحبابهم وبذلهم الجهد في الحروب ليس الا لزيادة قوة ملوكهم وشدة بأسهم وليس للرعايا حظ في ذلك سوى مقاساة الخطوب والمنايا ويضم لهذا انهم يكونون ايضا عرضة لان تصير اراضيهم مصاري خربة اما بانسداد الحروب او بقطع تعهدها بحيث انه اذا وجده نهم ارباب عقول وشجاعة شجعوا باستعمال قواهم بسبب احكامهم البوليتيقية ودليل ماقلته ان من امم آسيا من يتمتع ببعض حرية بوليتيقية فيشتغل لنفسه فتجد الامم التي بهذه المثابة اشجع الجميع انتهى

خطأ شراح بقراط

فاذا كان بقراط اقتضى نظره انه يلزمه ان يستثني من عدة البلاد القليلة والامم كذلك المعروفة في زمانه التي كانت امة السرماطة الساكنة في السهول التي بشمال كومة قاف ابعدها شمالا كان هنود بنجان ابعدها شرقا فاذا يكون عدد مايستثنى في عهدنا هذا حيث نعرف في آسيا اتساع ثلاثين درجة من العرض ازيد مما كان يعرف سابقا وثمانين درجة من الطول ازيد مما كان يعرف كذلك وبعضهم ادعى ان بقراط نبه بالحدس والتخمين على ان امزجة اقاليم سيبر واتبت والصين لها مدخلية في اخلاق اهل هذه البلاد وطريقة تأدباتهم مع ان بقراط كان يجهل هذه الولايات ومن زعم ذلك اوتابع عليه فاما ان يكون داحية طبية اويونانية اجنبيا عن معرفة طبيعة الارض فكيف يتصور أن بقراط قصد قبائل الطرطر التي لا يحصى عددها وطوآئف المغول كذلك وجملها اقل شجاعة من الاوربيين ولكن المعنى الذي جعله هذا المؤلف العظيم لاسم آسيا يخالف بالكلية ماتعورف الآن في اتساع مدلوله فانه جعل اسم اوربا شاملا لام السرماطة وان كانوا مقيمين خلف نهر تنايس وقد صرح بان المسربين والليبيين من اهل آسيا فحينئذ يظهر انه اراد بآسيا الجزء الجنوبي والشرقي من الدنيا المعروفة في ذلك الوقت كما انه اراد بلفظ اوروبا النصف الآخر وهو الشمالي والغربي ثم ان بقراط كاوميروس وغيره من المتقدمين لم يقسم الدنيا الا الى قسمين لجعلهما متقابلين كالبرودة والحرارة واليبس والرطوبة والعقم والخصوبة

المعنى الحقيقي لكلمتي اوروباواسيا عند بقراط

حتى لاحظناذلك واعتبرناه فهمنا عبارة بقراط بالسهولة وظهر لنا قوله ان آسيا تحظى غالبا بأطراف من قطاور با راجعل ما يخرج بها اعظم واحسن مما يخرج باوربا وظهر لنا بادى النظر جميع ما يوجد فى كتاب بقراط من الحدسيات والامور العندية الناشئة من تفسيرات الطبائعية ومن تطبيقهم على هذا الكتاب ما ليس من مسائله لجهلهم من اصل موضوعه ما هو اللازم وما هو ضرورى فى فهم الكتاب

شجاعة بعض امم اسيا

فاذن لا يسوغ لنا ان نحكم بان امم آسيا فى الغالب اشبه بالنساء واميل للشهوات واللذات الذهنية وان كان هذا طبع بعض امم جنوبيين منها ولكن يجب علينا أن نستثنى من هذه الامم الجنوبية العرب الرحالة النزالة وكذلك امة الدروز التى من طبعها القساعة والرياضة فى المأكل وامة الملبارية التى هى كلاسود الكاسرة وقبائل المهرات المتعاصية التى لا تنقاد لاحد

المدخلية الحقيقية للجغرافية الطبيعية

وانما نسلم ان امم آسيا لزمهم لبعض مقتضيات احوال جغرافية اعتقادات بوليتيقية واخلاق ادبية دينية مباينة جدا لما هو فى اوربا وذلك لان طبيعة ارضهم كانت كثيرا منهم ان يتخلقوا باخلاق الامم الرحالة وان يتمسكوا بمكارم الاخلاق الشبيهة بالاخلاق النبوية فقاسوا تصرف الملوك فى الرعايا وما بايديهم على تصرف ابى العشيرة فى عشيرته تصرفا تاما مطلقا على حسب ما يريد فلذلك كان تصرف الملوك عندهم بهذه المثابة وعدم المدن المشتملة على اهالى ارباب مهارة فى الصنائع والفنون منع هؤلاء الامم ان يتولد عندهم المام بالارتباط التاسى والحرية البوليتيقية وفى جهات أخر من آسيا خصوبة ارضها الدائمة واعتدال مزاج قطرها المستمر كل هذا يوجب ان يؤثر فيها اقل عمل تأثيرا تاما حتى يحصل فى مقابلته فى اسرع زمن شئ عظيم فهذا كان سببا فى اطفاء حدة العقل البشرى حين نشأته فان العقل البشرى اذا اريد عدم فتوره لابد من تهييجه بالضرورات والموانع وكلتا المعيشتين المفهومتين مما سلف اوقعت الروح والجسم فى كسل صار عندهم متوارثا فلهذا ترى اجناس الآسياتية كانهم ادنى فى النشاط والشجاعة من غيرهم وكان ذلك صار لهم وصفا عاما وفتور العقل المذكور وان كان يترتب عليه التملك ببعض حكم ممدوحة وخصال صلحية وسماحة نفسانية وصفات كرم جبلية فانه يتأيد معه ايضا

اديان

تحكم الاديان البدعية التى تجددت اسرها كثيرا من بلاد آسيا لاسيما آسيا الشرقية والوسطى فان ذلك مستول عليها بكليته ومتسلط عليها بجنده ورعيته بخلاف دين الاسلام فانه لم يزل قائما على ساقه فى الاقطار الغربية بآسيا كما ان دين النصارى الاروام يدخل آسيا مع البطى من الجهة الشمالية ثم ان تعدد الزوجات قد عمرن عليه جميع اهل آسيا الابلاد يابونيا وهو مخل جدا بالارتباط المعهود بين الانسان وعشيرته وبه يختل نظام المعيشة حيث انه يسقط احترام النساء واعتبارهن ومداخلتهن فى الامور ومع ذلك فهو ايضا خلاف ما تقتضيه الآداب الطبيعية والقوانين العقلية المرعية لما انه يمنع من تمواهالى البلاد وبه تخبث اجناس الامم

وقد فهم من هذا ان طبيعة امم آسيا ملازمة لحالة واحدة لا تنفك عنها والواقع ان هذه الملازمة ليست من الحوادث الخاصة بآسيا بل جميع المحال التى تكون فيها سلطنة الطبيعة اعظم من سلطنة مهارة الصناعة سواء كان ذلك ممدوحا او مذموما يصيب الانسان من قطرها مدافعة وتهييجا لا يمكن الفرار منه ولا التعاصى عن تلاقيه فانا نجد رعاة جبال الالب وصيادى السملك بجزائر بحر الروم ورحالة لابونيا وفلاحى سيسيليا لم تحول طباعهم عما هى عليه اصلا غاية ما هنالك انه حيث كثرت امم آسيا وشغلت كثيرا من المحال فاذا كان عندهم شئ من غريب التمدن او غريب التوحش طمحت اليه انظارنا واستمال قلوبنا وتعلق به اعتبارنا

علة وجود الدول العظيمة بكثرة فى آسيا

وتلك الاحوال بعينها تساعدنا على فهم علة كون الدول العظيمة اكثر وجودا فى اوربا من آسيا فلا يكفى ان يقال ان السهول العظيمة التى هى متفرقة فى آسيا يسهل فتحها أن يغزوها فان هذا لا يسلم الا فى الاجراء الوسطى والاقل من جبال لا يمكن التوصل اليها وانهر عريضة وصحارى متسعة لا تبدو لمن يروم فتحها من الآسيين الاجانب عنها الا كانها حصون طبيعية واسوار سرمدية ومتى ارادت امة من امم آسيا ان تجتز لنفسها النفع باستيفاء محالها مع كونه متاهبا لذلك بصعوبة الجرأة عليه وان امتدت الاعين اليه فانه يعسر على غيرها التعرض لها كما يعسر التعرض على الامم الافرنجية ومثال ذلك الدروز والاكراد والمهرات بل وغيرهم ممن هو اشرف منهم فان سلسلة جبال السور بافى الشمال الشرقى من بابل عبرها اسكندر الاكبر من غير ما تعب ثم صارت لسلطنة البرثة كالسور فخابت قدامه طوابير عساكر طرايانوس ملك الرومانيين حين توجهت الرومانيون الى بلاد البرثة وللفتوحات العظيمة باسيا سبب غير ما تقدم وهو كثرة وادالامة الفاتحة فديار ممالك الهندستان والصين والهجم لما دخلت تحت يد فاتح واحد تسبب عن ذلك ان القبائل الكثيرة جدا التى تشترك فى لسان واحد انقادت لذلك الفاتح

اوصاف بوليبيقية للبلاد اسيا

من غير تدبر ولا رويه ترد خلت تحت امره ولا داعي لهم الى ذلك الا مجرد دخول تلك النحوت تحت طباعهم ومتى تمكنت هذه الممالك العظيمة واستقر امر كل منها على ما استولت عليه فان وراثتها تكادان لا تنتهي اى لا تزال تنتقل من ملك الى آخر فتتعاقب عليها الدي الملوك بما هي عليه لمجرد اسباب دينية اوسياسية ربما كانت امم آسيا كثيرة العدد جدا ومتفرقة شللا بذر لم تخامر قلوبهم محبة الوطن الحقيقي فلا يهتمون الملوكهم الاعساكر مجردة عن الغيرة الجهادية والشهامة البطلية ولا يأنفون على تبدل ملوكهم ولا يورثهم ذلك مستطيل انزعاج ولا كبير ارتجاج وملوك آسيا دائما في قصورهم على النساء عاكفون ولا يصادف من يطرقهم من الفاتحين الا مجردا لزخارف الباطلة والحليات العاطلة ثم ان الفاتحين لبلادهم من الغرباء تسري اليهم طباعهم بمجرد جلوسهم على كراسي الممالك فعما قليل تزول عنهم الشجاعة ويقوم بهم الارتخاء وانكسر الذي كان سببا في سقوط من قبلهم وتداعى كراسيهم واغلب وجاق عساكرهم خيالة ويقل عندهم الاماكن الحصينة فلهذا سهل لغيرهم شن الغارات عليهم وكل هذه الاسباب مجتمعة تتعاون على سهولة استحصال فتوحات الدول العظيمة الموجودة ببلاد المشرق

هذه الحالة ليست مبنية على احوال جغرافية

لكن تلك الحالة المتقدمة ليست مبنية بناء قويا على طبيعة ارض آسيا بحيث انا نجد الآن الهند منقسما الى ما يزيد على مائة ولاية وبلاد العجم متفرقة المعظم الى عدة دول وبلاد العثمانية آيلة الى انحلال نظامها وتشتت شملها وقد افاد فالتاريخ القديم ان آسيا كانت منقسمة الى كثير من الممالك الصغيرة وكانت ارادات الملوك لا تتعدى حقوق الامم المرعية بل عهد في آسيا تولد عدة جمهوريات وعمارة صور وارشليم لجنود الرومانيين الفاتحين للدنيا ليست ناشئة خلافا لمنتسكيو في روح الشرائع عن شجاعة الاستعباد ولم تكن عجم قريوس عبيدا وقد تكلمت الاسقوثية مع اسكندر دارا بلسان رجال احرار لم يطرق لهم الرق ساحة دار نعم غريب الفن البوليبيقية والتقلبات السياسية في آسيا منشاؤها في الواقع ونفس الامر الجغرافية الطبيعية قال منتسكيو ما نصه في آسيا التي هي قسم من اقسام الدنيا الامم متقاومة مقاومة القوي للضعيف فان ثم الامم المتمرنة على الحروب ارباب الشجاعة وقوة القلوب مجاورة جوارا قريبا للامم ذوات الكسل والارتخاء والتأنث والجبن فلا بد من كون احدى الامم المتقدمة غالبة والاخرى مغلوبة فهذا هو السبب الاصلي لحرية اوربا واستعباد آسيا انتهى فحينئذ ينبغي ان نقابل بين هذا التنبيه الصحيح الدقيق وبين امر آخر صحيح ايضا قامت على حقيقته براهين الجغرافيا الطبيعية وهو ان آسيا ليس لها اقليم منطقة معتدلة فلا واسطة فيها بين الاقطار الشديدة البرودة والاقطار الشديدة الحرارة فالامم المستعبدون يسكنون منها في المنطقة الحارة والامم الفاتحون يسكنون منها الاقطار المرتفعة الباردة وهؤلاء الامم الفاتحون هم التتار والافغان والمغول والمنجو وغيرهم فكل هؤلاء الامم مشهورون عند عامة المتأخرين باسم التتار وعند المتقدمين باسم اسقوثية آسيا وارضهم لها طابع آخر ولهم اخلاق مباينة لاخلاق غيرهم فان الشجاعة تنعش اجسامهم القوية الاعضاء والاعصاب وذوقهم سليم سار في جميع اجزاء بدنهم وسائر الياف اعضائهم وليس عندهم علوم ولا فنون مستظرفة ولا زينة وزخرفة وفضائلهم وان كانت جيدة الا انها مستهجنة واخلاقهم الادبية مع كونها وحشية فهي منتقشة في صميم قلوبهم فعندهم قرى الضيف والاعضاء عن مساوى العدو وحسن معاملته وعدم خيانة حلفائهم واصدقائهم ويضم الى هذه الخصال حب الحرب والسلب ومعيشة الرحالة البرانة وان يعيشوا من غير حاكم يضبطهم فهذا ما كانت عليه الاسقوثية وهو الى الآن وصف التتار فان الاسقوثية تجروا على سطوة دارا ولم يخشوا له باسا وجبهوه وافادوه اعتبارا عظيما وهم وان قرعت قعقعة اسلحة الرومانيين آذانهم الا انهم لم ينقوا مرارة احكامهم وقد تغلبوا على آسيا واوربا الشرقية ما ينيف على عشرين مرة واسسوا ممالك في بلاد العجم والهند والصين والموسقو فان سلطنتي تمرلنك وجنكزخان قد اشتملتا على نصف الدنيا القديمة وكانت بلاد التتار كالبستان العظيم النقائل تنتقل منها الامم شيأ فشيأ الى غيرها فكانها الآن قد نفد ما فيها وصارت خاوية على عروشها فلم يبق من التتار الاحرار المستقلين بحكم انفسهم الا من ندر ولكنهم سادات بلاد الصين ومن هو داخل منهم تحت حكم الموسقو فهو في الحقيقة اما كالحليف المعاهد واما خراجي يدفع الخراج والميري ولا يعامل هم الموسقو معاملة الرعية بالكلية

حدود المنطقة الباردة والحارة

ولننبه هنا على حدود المنطقتين المنقسمة فيهما اسيا بالنسبة لمزاج قطرها واولادها فاذا رسمنا من مغربيا خطا يمر بامتداد كوه قاف وحول بحر الخزر وبامتداد الجبل الذي يحد البحر جهة كشمير وفي داخل انتيت وبعد ذلك في رجوعنا في الشمال الشرقي يعبر هذا الخط الاجزاء الشمالية الى شمال بحيث جزيرة كوره فاننا نكون حينئذ

تقريبا حداقاليم آسيا الحارة والباردة وميزا بينهما وربما اختلطت حدود كل من المنطقتين ببعضهما
وربما اتصلت تجد على تلك الحدود اقطارا مماثلة لاقطار اوربا لاسيما في آسيا الغربية ثم ان الحدود المذكورة
تنوع الاغذية قد تدل في الجملة على الانتقال دفعة واحدة من البرد الى الحر وخذ آلام الجنوبية الارز والذرة واما الدخن
والشعير فهما غذآء ام المنطقة الباردة وعلى الحدين هاتين الفرقتين تجد اراضي ذات خطة وبالاقطار الجنوبية
تتولد الاثمار المستطابة وفي بعضها تجد العطريات اللاذعة واما الاقاليم الشمالية فليس بها شيء من ذلك بل ولا مزارع
حيوانات اوربا الشمالية والقطر الذي تاوي اليه دواب الرنه (الشبيهة بالبقر) في الشمال وفي الشمال الشرقي هو
مسافة عظيمة غير صالحة للزراعة الى الآن ولا تزال كذلك مدة مستطيلة في مستقبل الزمان ثم ان رغبة
التتار والمغول ومعظم العجم في الرماحة وقطع الطريق والحروب منشأ وهاكثرة الخيول عندهم وفي غرب
آسيا وظيفة الابل تكثير الوصلات التجارية ومخالطة الامم بعضها ببعض وبلاد الهند تستعمل الفيلة
في الفلاحة وهي شهيرة بالانتفاع بها في الحرب وفي سالف الزمان ولهذا كانت لها مدخلية في تمدن الهنود قديما
اختلاف السكنى ولما كانت الصين خالية في معظمها عن هذه الحيوانات المختلفة قامت عندهم مقامها المراكب التي ملأت
ماهنالك من الانهار ثم ان فقد خشب العمارات الجأ سكان النجد الذي بوسط آسيا وسكان شمالها ان يتخذوا
اماكنا هم خياما مسجاة بالجلود او بالاقمشة لما ان كلا من هذه الجلود والاقمشة تستخرج من مواشيهم ومثل هذا
احوج اهل عربستان الى ان يصنعوا مثل ماصنع هؤلاء في شأن سكناهم بخلاف بلاد هندستان وغيرها من
البلاد الكثيرة الاخشاب ولاسيما اخشاب النخيل فان استعماله في البيوت الصغيرة معهود للاعينه لكسل اهل تلك
البلاد كما انه ملايم للين مزاج الاقاليم وكل من تلك الخيام وهذه البيوت لا ثبات به ولا صلابة فلهذا كانت مدن آسيا
سريعة الزوال كسرعة زوال ممالكها التي كانت تلك المدن مراكزها وقتية ولما كان مثل هذا عادة عامة لسكان
آسيا لم يكن عندهم بالضرورة ميل الى الانشائات النفيسة ولا في التصاوير والتماثيل فلهذا لا يمكن تقدم الفنون
المستظرفة تقدما عظيما مدا الدهر وايضا لما كان قطر بلادهم متحدا يتولد منه قسرا انواع الزراعات والاغذية
المناسبة لكل قطر من اقطارهم وافضى الى ذلك قوة دياناتهم التي اكثرها اوهام وبدع وقوانين سياساتهم الظلمية
وتخاقهم باخلاق العبودية ترتب على ذلك عدم انبعاث قلوبهم انبعاثا قويا حرا كالانبعاث الذي يحمل اهل اوربا
على محبة الفنون والعلوم فحينئذ اقطار آسيا على اختلافها ليس بها الا مبادي تمدن قديمة وتقدم قد بها الموانع
والمضار الطبيعية تمتنقشة انتقاشا لا يمحى ولكن هذا التمدن في جميع محالها اوقف وانتهى الى درجة ادنى من الدرجة
التي وصل اليها تمدن اهالي اوربا في حديث الزمان ولما فرغنا من اختصار صورة آسيا على وجه عام حان لنا
ان نخطط ذلك القسم على مقتضى تخطيطه الطبيعي فنقول

جدول اقسام آسيا باعتبار ما تقتضيه طبيعة ارضها

١ قسم كوه قاف المسمى جبل قوقازة	(بلاد كوه قاف (حكومة) بلاد الابطة والجركس والكرجستان وغيرهم و بلاد داغستان وشروان	
٢ قسم اسيا الصغرى	اناطولي وقره مانى وسيواس وطرابزون وجزيرتا قبرس ورودس وغير ذلك	
٣ قسم الفرات ودجلة	ارمنية وكردستان وميسيبوتاميا وهي الجزيرة ثم بابل وهي العراق العربي	
٤ قسم جبل لبنان.	(الشام مع بلاد فلسطين اى ارض القدس	
٥ قسم عربستان	(بلاد العرب	
٦ قسم عجمستان	(بلاد العجم	
٧ قسم نهر جيحون وبحيرة ارال وهي خوارزم	بخارى الكبرى وتركستان الغربي و بربة الغرغيز و بلاد التركمان	
٨ قسم هضبة الوسطى المسماة فيد الوسطى	بلاد القلموق اى الكيماكية والمغول و بخارى الصغرى	
٩ قسم نهر اوبي وينيسية	(سيبر الغربية	
١٠ قسم الشمال الشرقي	(سيبر الشرقية مع جزيرة ايمنزلة لاحقة	

١١	نهر امور	(النتار المسمى بالصين مع كورة بيلة لاحقة
١٢	قسم الجزائر التى جهة الشرق	{جزائر كوريلة وجوقاو يسو وجزائر ياپونيا واينكان وفرموزة
١٣	قسم النهر الازرق والنهر الاصفر	(الصين الحقيقى المسمى چين ماچين
	(نهر ينغ تسه كينغ ونهر هونغ هو)	
١٤	قسم منابع نهر الكنك	(التبت
١٥	قسم الكنك	(هندستان الشرقى
١٦	قسم نهر هندوس	(هندستان الغربى
	اى نهر السند	
١٧	قسم دقان	{بحيث جزيرة الهند امام نهر الكنك مع جزيرة سيلان وجزائر ملديو بمنزلة اللواحق
١٨	قسم الهند الصينى	{بحيث جزيرة الهند خلف نهر الكنك وبرمان وسيام وكوشينصين وملقا

﴿ المقالة السابعة والاربعون ﴾

في تخطيط آسيا بلاد القوقاسيين اى اهالى كوه قاف وهم الكرج والاباظة والجركسة واهالى كوبان وداغستان وشيروان

تعريف برزخ كوه قاف

ثم ان الاقطار التي يحدها بحر الخزر جهة الشرق ويرويها جهة الجنوب نهر ر وريون المسمى نهر فاميس ويحدق بها جهة الغرب البحر الاسود وبحيرة ميوتية المسماة بحر ازاق وينتهى ثلاث الاقطار جهة الشمال نهرا مانيج وقوما هى التي يحدث من كونها على هذه الحالة لسان ارض اشبه بالبرزخ يصل اوربا باسيا الغربية وفي خلاله يمتد جبل كوه قاف كالسور العظيم

ثم ان عرض هذا البرزخ على مقتضى مساحة بعض ارباب المعارف من الموسقو ٤٦ مريا ستراين مصاب نهرى دون وقوما و ١٢٢ بين بوغاز كفه وبحيرة ازشرون و ٥٦ بين مصب نهر فاميس ومدينة دربند ولم يتفق ارباب الاشتقاق على ماخذ لفظ قوقازه الشهير في التواريخ والاشعار والدال في لغة الافرنج على كوه قاف اى جبل قاف واولى المذاهب انه مركب من كلمة فارسية وهى كوه ومعناها جبل ومن كلمة اسقوثية اى تترية قديمة وهى قاز بى ومعناها ابيض فكانه قيل جبل ابيض (وقيل من كلمة فارسية وهى كوه وكلمة عربية وهى قاف فحرف وقيل قوقازه) ويؤيد ذلك الرأى عبارة في كتاب ايراطستينيس ينبت فيها ان اهل ذلك الجبل يسمونه قسبيوس ولكن ذكر بلنياس ان اسم هذا الجبل عند اهله غروقاسوس وهذا الاسم يمكن ان يكون غوثيا والظاهر ان في عهدنا هذا ليس لهذا الجبل اسم عام يطلق عليه عند جميع اهله

اشتقاق لفظ قوقازه

ثم ان القدماء قالوا هذا الجبل يجبل الب في الارتفاع ومن المحقق ان منتصف هذا الجبل مغمور بالزلاقات او مبيض بالثلوج المستمرة وزعم الحكيم ريخس ان رأس البرس المسمى البرج الذي هو اعلى رأس بسلسلة كوه قاف ليس مرتفعا على سطح البحر الاسود الا بقدر ٥٤٠٠ قدم ثم ان جبل كوه قاف يتصل في الجنوب بعدة سلاسل جبل تاروس العديدة التي تجوب جميع آسيا الغربية وفي الشمال يكون من غير فاصل على حافة السهول الواسعة التي كانت تهيم فيها سابقا مة السرماطية والآن يهيم فيها المشا القوزاق والقلموق وعلى الشرق يشرف بها ووعرة على السهل الضيق الذي يتصل به وبين بحر الخزر واعلى سلاسل هذا الجبل تنتهى جهة الغرب بعقبة واحدة في شمال بلاد المنغريليا بجبال صعبة الارتقاء تسمى عند القدماء جبال قيرونية واسفل سلاسله تمتد بعد ذلك مسامتة لحافات البحر الاسود فيتفرع منها جبال واطية تفصل بلاد الجركس من الاباظة وكانت تسمى عند القدماء جبال قوراشيق ومن رؤس جبال كوه قاف رأس البرس والاحسن أن يقال راس البرج في بلاد الاوسيته ثم رأس بشيرمق يعني جبلا ذا خمس اصابع وهو في بلاد لسغستان (لعلها سجستان) ومن جبل كوه قاف انف جبل بارز في ارض الجراكسة الكثيرة الخيول العظيمة يسمى عند القدماء جبال هيبق وعند المتأخرين بيش تاو

ارتفاع

سلاسل وفروع

والمجازان الاصليان بجبل كوه قاف يسميان عند القدماء الابواب القوقازية والابواب الالبانية فالمجاز الاول وهو الابواب القوقازية هو من غير شك المضيق الذي يوصل من مصدوق الى تفليس وهو واد ضيق مسافة اربع مراحل يجرى فيه على ما قاله استرابونيس نهير ارقوى المسمى الآن ارقوى وهذا الوادى كما قاله بلنياس مصنوع عظيم من مصنوعات الكائنات فكأن الطبيعة قد ثقبت فرجة عظيمة بين الاحجار وهذه الفرجة يمكن في سدها اذا اريد باب حديد على شكل الشبالة وهذا المجاز هو على رأى بستوس الذي كان يخشى منه هجوم المتبربرين على كل من دولة الرومانيين والمجم ثم ان الحصن الذي كان يستند هذا المجاز يسمى باسماء مختلفة عند القدماء ويسمى الآن داريل واما الابواب الالبانية المشهورة عند الاقدمين فاشهر الاراء فيها انها مجاز دربند على امتداد بحر الخزر لكن اذا قابلنا مع الاعتناء جميع الدلائل المأثورة عن المتقدمين والامارات الواصلة الينا من السلف الاقدمين وتفكرنا في سكوتهم عن بحر الخزر في تخطيطات هذا المجاز وذكرهم ان بطليموس صرح بان ابواب البانيا بقرب منابع نهر قسبيوس الذي يظهر بقتضى جغرافية بطليموس انه نهر قواسو زنظر بان يكون بطليموس جعل امة الديدورية الذين بجوار امة الطوسقية بجوار الابواب السرماطية وان هاتين القبيلتين مشهورتان الى الآن باسم ديدوس وطوشه وساكنتان الى الآن ايضا بقرب المضيق الذي يجوز بارض اوماخان على امتداد حدود ضاغستان ثم يجوز بعد ذلك ارض قفصماكريا فانه يتحقق عند ذلك انه ينبغي هاهنا البحث عن الابواب الالبانية اى السرماطية التي لم تزل الى الآن مجهولة واسم الابواب القسبيانية اى الخزرية المسماة

الابواب الالبانية المسماة السرماطية

الابواب الكوه قافية

ابواب قسبيانية وبريانية

الباب والابواب الدال على حقيقية على مضيق بقرب تهران فى اقليم ادربيجان اطلقه طاقيط وغيره من مؤرخى معنى على عدة مجازات. لكوه قاف فمن بين هذه المجازات التى تعبر سلسلة كوه قاف من الجنوب الى الشمال الابواب الايبريانية التى كانت تسمى ايضا مضيق قريوش والآن تسمى سورابو ومن هذا البوغاز يتوصل من بلاد امريته الى بلاد الينيا وهذا المضيق كان فى زمن اسطرابونيس كثير الجبوب والمهاوى ولكن صيره العجم على حالة بحيث يمكن ان يعسكر فيه فى القرن الرابع من الميلاد

سد جبل كوه قاف

وهنالك حكاية مشهورة بين اهالى كوه قاف تقتضى ان هذا الجبل كان مسدودا بسد عظيم يمنع غارة المتبربرين وهذا السد العظيم تارة يعزى لاسكندر وتارة لانوشروان ويستدلون على ذلك بآثار موجودة الى الآن ترى لمن يروم ذلك ولكن لا يعلم هل هذه الآثار هى بقية سد كان مارا بجميع البرزخ القوقازى او قطعة من حصن محلى

معادن

ثم ان المتقدمين والمتأخرين اتفقوا على أنه يوجد باراضى كوه قاف معادن الذهب والفضة والحديد وفى عدة انهار صغيرة تتدحرج شذرات الذهب التى اذا علقت بجلود الغنم صلحت على رأى من يرغب فى تأويل كل شئ أن يفسر بها تفسيرا موافقا للطبع خرافة الصوف الذهبى

صخور

ورؤس جبل كوه قاف هو من اقسام الكرة التى يرغب فى معرفة تولداتها الطبيعية واحوالها الداخلية وذلك لان جميع امزجة اقاليم اوربا توجد فيها وكذلك يوجد بها جميع انواع اراضى اوربا فنى وسطها الجليد المستمر والصخرات العقيمة التى هى ماوى الدببات والذئاب والجاكال وهو ابن آوى والخاووس وهو حيوان من جنس الثعلب واوعال كوه قاف يعنى التيوس القوقازية التى تهوى المكث فى تلال الجبال الوعرة الصخرية وحيوان الاروية المسماة التيتل وهى على ضد تلك التيوس تأوى الى الجبال الكلسية السفلى وكذلك الارانب البرية التى تأوى الى الجحور والحيوان الاسود المسمى من ذلك تجد سهولا كثيرة الرمال مستورة بالنباتات الحشفية ولكن بها اشخاصا ذات طبيعة تربتها الدسم من تلك السهول وفى الجنوب اودية عظيمة وسهول هو آوها اصفى من سائر الاهوية تقوفيها نباتات آسيا غاية النمو واى محل من محال ذلك الجبل يكون اتجاه المهبط فيه جنوبيا او غربيا او شرقيا بجوابه تكون مغطاة بشجر ارز لبنان وشجر التنوب وشجر العرعر الاحمر المسمى السندروس الاحمر وشجر الران المسمى ايضا شجر عيش السواح وشجر البلوط وانجار اللوز والخوخ والتين تنمو بكثرة فى الاودية الحارة التى يقيها الصخر مضار الهواء واشجار الدفر جل والخشخاش البرى والكمثرى ذات الاوراق الشبيهة باوراق الخلاف والعنب تكثر فى الدغلات ومجتمع الاشجار الصغيرة وعلى اطراف الغابات ثمار النخيل والعناب والنبات المسمى شوك المصلوب كل ذلك متأصل بهذه الارض ودال على اعتدال قطرها وانبرك بهذه الجبال من بنية نباتات ظريفة مثل حشيشة الزدود ندرون وحشيشة ازاليا وعلى سواحل بحر الخزر يزهو شجر الزيتون المحروث والبرى وشجر الغار الذكر والانثى والاودية العالية بهذا الجبل معطرة بشجر السيرنغا وهو شجر صغير كالورد وبالياسمين والمعلى المسمى الفيلك والورد القوقازى

ثم ان البرزخ القوقازى مشتمل على ما لا يحصى من الامم الصغيرة وبعض هذه الامم انما هى بقية من الامم الاسيانية الرحالة النزالة التى ذهبت فى هجيج الامم الاكبر من هذا الجبل وآبت منه ولكن اكثرها متالف من قبائل متأصلة بهذه الاراضى ومع وجودة بها من اول الزمان وكل قبيلة من هذه القبائل باقية على لغة خاصة بها والظاهر ان هذه اللغات اصلية عتيقة ليست متفرعة عن لغة اخرى ومصنفة القوقازية مشتملة على مثل الاوصاف المختصة باصول اجناس اوربا وآسيا الغربية المميزة لهم عن عداهم وكذلك يوجد فى ارض كوه قاف ومحولها من الحيوانات الاهلية والنباتات المحرونة نظير ما فى اوربا وآسيا الغربية وايضا الكتب القديمة الباقية الذكر المذكور بها موسى عليه السلام وخرافة پرومثوس الرمزية الشهيرة عند اليونان وغزوة الارغونوط الشهيرة وعدة حكايات منقولة عن السكندناوة كل هذا يدل على ان اصل الافرنج من جهة كوه قاف وان هذا الجبل هو احدى النقط التى منها

تقسيم هذه الامم

شر نوع البشر على جزء عظيم من سطح الارض ، ولكن هذا المبحث خارج عما نحن بصدده فلنقسم هنا الامم القوقازية الى ... امم كبيرة على حسب اللغات السبعة الاصلية المتداولة بينهم يعني

١ الكرج وهم ينقسمون الى
   ا) الكرج المسماة بذلك حقيقة
   ب) ايمريتية
   ج) كورية
   د) منغريلية
   ه) سوانه

٢ الاباظة وينقسمون الى عدة قبائل

٣ الجركس
   ا) جراكسة قوبان
   ب) جراكسة كاردبا

٤ اوسيته وهم ينقسمون الى عدة قبائل

٥ الكستة او الجيخزة مع الانجوش او الانغوش وغيرهم من القبائل

٦ اللسجة او اللسغة وهم ينقسمون الى ثماني قبائل بمقتضى لغاتهم الثمانية

٧ بقية التتار والمغول والهون وغيرهم من قبائل النزلات الغربية المهاجرة الى جبال كوه قاف والمنتشرة فيها والمتفرقة في اجزائها

الكرج

والكرج الحقيقيون هم الذين ينبغي النظر اليهم اولا لان مقامهم بمركز ذلك البرزخ ووسطه فنقول ان الموسقو يسمون ارض الكرج كروسيا اوغروسيا ويسمي العجم كرجستان ولكن مؤلفو بلادهم يسمون باسم ايبريا اواوبريا اربع الممالك التي هي مملكة كرتوه ومملكة ايمريتي ومملكة منغريليا ومملكة كوريا ويظهران هذه التسمية التقسيمية مجهولة لاغلب اهل البلاد ومذهب بعض العلماء المتأخرين ان اسم الجرج او الكرج مأخوذ من اسم نهر كيبر يسمى نهر كور ويقال له كيروس وغيروس وهو يسقي هذه البلاد الطريفة فحينئذ يتعين ان تسمى هذه الامة الكرج او الكرجية بالكاف لا بالجيم

اقسام اصلية

والمقاسمات المختلفة الواقعة في الاعصر الوسطى بين امراء ايبريا تنشأ منها ثلاث ممالك المملكة الاولى مملكة ايمريتيه التي تنقسم في الزمن الاخير الى منغريليا وكوريا او غوريا والمملكة الثانية مملكة كرتاليتيا وتسمى كرتول والثالثة مملكة كاشتيا وقد سميت مملكة ايمريتيه باسم الكرج التركية وباقي الممالك بالكرج الفارسية فالترك الفارسية هي التي اقتصر مؤلفو هذا العصر لاسيما الموسقوبية على تسميتها بلاد الكرج وهذه الارض منقسمة الى خمسة اقاليم الاول كردول الاعلى والثاني كردول الاوسط والثالث كردول الاسفل والرابع كاشتي والخامس سوميتيت ومن منذ عشرين سنة خرج امير شجاع يسمى هرقليوس وجدد هناك دولة مستقلة اشتهرت كذلك مشهورة باسم كروسيا ثم انضمت الى سلطنة الموسقو وصارت جزأ منها

انهر

ثم ان نهر الكور الذي يروى وادي الجرج تمده بمياهها عدة انهر وهي نهر اراغي ونهر بورا الذي يظهر انه هو ما كان يسمى عند الاقدمين ابريوس ونهر الاسان الذي كان يسمى عند الاقدمين ايضا الاسون فاذا وصل نهر الكور الى سهول شروان اختلطت مياهه بمياه نهر الرس المسمى نهر اركس ومن هذين النهرين تحدث عدة خلجان تارة مجتمعة واخرى متفرقة فلهذا كما على ما كان عليه الامر في عهد استرابونيس من عدم الجزم بكون مصاب هذه الانهار متفرقة وان نهر الكور تضيع مياهه في نهر الرس

تولدات

وبلاد الكرج تحظى بقطرين وهو في الغالب ملايم للصحة وبها تغيرات لطيفة للجبال والغابات والسهول وجميع التولدات التي تؤخذ في سائر البلاد القوقازية توجد بها بكثرة لكن اهلها القليلون يهملون الهدية المجلوبة لهم فلا ينتفعون بخيرات ارضهم حق الانتفاع ففي فصل الربيع الذي يبتدئ عادة في شهر مايه وينتهي في شهر نونبر تشتغل الكرج بسقي ارضهم التي تسدي اليهم في نظير قليل عملهم اعظم الاثمار فيزرعون بها الحنطة وبنا تا آخر يسمى ... ويسمى ايضا هلكوس بكولور والذرة ويخبج في ارضهم مع يسير التعهد الخوخ والمشمش والمور والسرجل والكريز والتين والرمان والعنب الكثير الجيد الذي يتخذ منه النبيذ وينقل الى بلاد العجم ونبيذ اقليم كاشتي لا يحسن ادخاره لرداءة صناعته وان كان يرفع عنده ملاقاة النار والتفاح والنوة والقطن تزرع فيها مع بعض اعتنا وتربية النحل ممدوحة بها وخيولها وبهائمها ذوات القرون تفاخر اعظم اجناس الخيول والبهائم

زراعة

الافرنجية فى جسامتها وجمالها وبهائم ذوات اذناب عظيمة واصواف جيدة واطراف البلوط والتنوب يفسد من ان يخطر ببال احد من اهل تلك الجهة انتفاع به رأسا

الكرج * بقتهم اصلية الخ

ثم ان الكرج ويقال الايبيرية وهو الاحسن هم قوم متأصلون بجبال كوه قاف والمستهم مخالفة مخالفة غريبة عجيبة لاى امة وبلغتهم الف فى القرن الثانى عشر من الميلاد كثير من كتب التاريخ والادب وكلهم يظنون انهم اولاد جدهم ... وبين الارمن وهم فى الغالب ارباب جمال وحسن تقويم صورة وخفة حركة ولهم فى العقل الغريزى نصيب غير انهم ارباب طمع وصيرة للمكر وانما اخذوا ببعض زى العجم لان اشرافهم يتربون فى ديوان ملك العجم وآحادهم يستخدمون فى الخفارة عند ذلك الملك وقل أن تجد الكرج مجردين عن السلاح حتى انك تجد فى المزارع عبادهم وخنابرهم ليتحفظوا من قطاع الطريق الذين ينزلون عليهم من الجبال القريبة منهم

تجارة

ثم ان الحروب والفتن غيرت هذه البلاد الطريفة عما كانت عليه الى حالة محزنة فلهذا تجدهم لا يتجرون الا تجارة يسيرة مع ميلهم الطبيعى الى التجارات العظيمة والسياحات والارمن هم عمالهم فى التجارات وفساؤهم اللاتى جمالهن ليس اقل شهرة من جمال نساء الجراكسة وان لم يصلن الى درجتهن فى البياض ولا دقة الخصر قد اكتسبن من مخالطتهن الغرباء عدم الحشمة وقلة العفة وكثرة الفساد فالجوارى التى تباع منهن يكون الموجب لهذا ذلك والمورد لها هذه المهالك هو آفات جمالها وتلاشى ابهة جلالها وكثير من الكرج يسكنون فى عشش يغيب اكثرها فى الارض وفى اقليم كاشتى الذى تقدم به التدن بعض شئ تجد نوعا من البيوت وهو شوحات رفيعة وحيطان من مكعب الى نصاف مستورة بخليط من الطين وروث البقر ومسقوفة بالقصب الفارسى وبالبيت منها غرفة طولها خمسة اذرع وعرضها اربعة يدخلها النور من الباب وله سقف تخفف عليه القوة والقطن وفى وسط المسكن حفرة توقد فيها النار دائما وفوقها قزان من نحاس معلقة به سلسلة وحوله دخان متكاثف يتفذ من سقف البيت ومن بابه

مساكن

وفى غالب القرى تجد بروجا اذا هجمت عليهم هجمة اللصحية لجأت اليها نساؤهم وذراريهم ليحتموا بها

مدن

وقاعدة جميع هذه البلاد مدينة تفليس وكانت تسمى قديما تبليسى واهلها غالبا ٢٠٠٠٠ وبها ٢٠ كنيسة كورجية و ١٥ كنيسة ارمنية وكنيسة واحدة قانولية وليس بها من المساجد الا مسجد واحد عجمى وليست بها براعة صناعة الا فى الورش التى تصنع فيها الاشياء السهلة ومدينة مزشيتى التى كانت سابقا مقر ملوك الكورجية بها كنيسة رئيسة طريفة مبنية من منذ تسعة قرون ومن مدن الكرجية اضلعا ... المسماة اترشنوال واهلها يهود وكذلك مدينة كورى اوغورى واهلها الارمن

واهل بلاد الكرجية يمكن ان يبلغوا ٣٠٠٠٠٠ نفس ثلثاها متأته لان بهذه البلاد ومتمكون بالملة اليونانية الرومية وبهذه البلاد كثير من الارمن واليهود

قوانين بلادهم وسياساتهم الداخلية

ثم ان العائلة الملكية بعضهم يجعلها من ذرية يهودى يسمى بغراط وبعض اخر يوصل نسبها الى امير فارسى يسمى فرزابازس وقد نزلت هذه العائلة عن حقوقها الملكية لدولة الموسقو وقبل ذلك كانت بلاد الكرجية مملكة التزامية وقد كان بها عدة امراء عظام فلم يكتفهم ان يشيدوها ويجعلوها متينة ولا ان ينظموها فكانت الامر آه واشراف البلاد طائفتين متباينتين فكان الامر آه لا يدفعون للملك خراجا اصلا وانما هم مكلفون بان يصحبوا الملك فى اوقات الحرب ومعهم عمالهم وما يقع من التشاجر بينهم لا يحكم فيه الا الملك واما الاشراف فكانوا مكلفين بعض حقوق للملك والامراء ومع انهم يسكنون عشا واخصاصا ففيهم من الكبر بقدر ما عندهم من الفقر والجهل واما آحادهم فكانوا مستعبدين اشد الاستعباد فكانوا يباعون ويهدون للاصحاب كما يفعل بجماعة الدواب وكل من كان منهم له قدرة على حمل السلاح فهو مخدوم فى سلك العساكر وكل واحد من الاشراف يكون قائد الفلاحيه المستعبدا لهم ولكن الملك هو الذى ينصب صارى العسكر الذى هو قائد جيوش الجميع وقد كان ايراد الملك خمس جميع ما يخرج من الغنب والمزارع والحدائق ومكوس الدخول والخروج للبضائع وجميع ما كان يخرج من المعادن التى كانت تستخرج قليلا والآن ارضهم صارت كانها من بلاد الموسقو فصارت كاقليم منها

الايبيرية

وامة الايبيرية التى اسمها مأخوذ من اسم الايبيرية مجاورة للكرج من جهة الشمال الغربى وتتكلم بلغة برأسها ان الكرج وحليتهم طرابيش صغيرة مخصوصة بهم وشعور رؤسهم الطويلة وحلق عنافقهم مع ابقاء الشوارب ورفع اطرافها وثياب نهاية ما تصل الى ركبهم وبها ثنيات كثيرة عند الفخذين واشرطة ملتفة على سيقانهم ولهم نحو خمس وعشرين قبيلة يعيشون تحت حكم ملك يلقب بلقب كزاراى قيصر ومملكته متوارثة وقد التزم عدة مرات ان يكون

خراجيا

مولدات ارض ايميريتية

حراجيبال الجبان الموسقو والايميريتية يسكنون باطراف الانهر والغابات ولما كانت ارضهم مرتفعة بقيت مدة
من السنة مستورة بالثلوج واوديتهم سبخة وبارضهم تربية المواشي والعمل ودود القز في اعلى طبقة احكمال
بالنسبة لغيرها من بلاد كوه قاف والدالية من عنب ارضهم تكفي لبيذ عائلة تتمامها واهمال اهل هذه البلاد لخيرات
ارضهم وقطرهم موجب لضياعها من غير فائدة ثم انك لا تجد الآن بنهر رهيون الذي نهر فاسيس الاقوارب
متخذة من جذوع الاشجار المحفورة مع انه كان سابقا عليه مائة وعشرون قنطرة وانما تحمل عليه البضائع

مدن

وفيه طريق لنهر الكور فهذه هي الطريق التي كانت بين بحر الخزر والبحر الاسود ولم تزل الى الآن بتلك البلاد انار مدينة
سريانا المسماة الآن شوربان وقرية قوطاطيس المسماة كوتايس والظاهر انها كانت تسمى سابقا كتيه
وبقربها مقر ملك ايميريتية في شبه معسكر والتجارة الضعيفة الموجودة عند الايميريتية تكون في موضعين على نهر
رهيون وفي مدينة اوني وفي مدينة خوني او شوني فتستبدل عندهم الحبوب والحيول والاواني النحاس
بالملوخ والاقمشة وفي مدينة زاديس في الجهة الشرقية لهذه البلاد تجد معدن حجر الدم ومنه يستخرج الحديد
الذي تستخرج منه عدة آلات وادوات

وجهة الشمال كورة صغيرة تسمى ردشا وهي اصل كور هذه البلاد يمكن ان تجهز للحرب ٥٠٠ نفس وقرى
السهول متسعة واما قرى الجبال فبيوتها متلاصقة وتجد بيوت القرى الاولى من مكعبات الصفاف وبيوت القرى
الثانية من الواح الخشب

الاكورية

والكوريون او الغوريون ساكنون في الاراضي التي على شطوط البحر الابيض بجنوب نهر فاسيس ولما جارت
عليهم الحكام الذين يقال لهم باشات المجاورون لبلادهم هجروا السير في البحر والصيد ولم يجرؤا لانفسهم نفعا
مما اسدته اليهم خيرات ارضهم الكثيرة الطبيعية فان الكورية ذات ارض صالحة الهواء وصالحة للزراعة وتربة

بلاد كورية

المواشي ومزاج قطرها له مدخلية معتدلة في صلاح الليمون والزيتون والبرتقان فان هذه الاثمار لا تنضج في جميع نواحي
كوه قاف الا بهذه الارض وقد اعترى هذه الامة كافتها بعض اختلاط وذلك لانه يوجد بها غير ما فيها من الاثر الملازم
لاسم الكورية الملقب كوريل ان بحسن معهم المعاملة تتوارمن ويهود

لاظية

وعلى ساحل البحر الاسود تحت الكورية تسكن امة اللاظية ومعنى لاظية في لغة الترك بحرية ولعل هذه الامة
بقاما من امة للاظية القديمة التي في زمن البوزنطيانيين كانت مستوطنة في بلاد كلخيدة

منغريلية

والمنغريلية اكنة فوق الكورية بجانب الايميريتية في نفس الارض التي كانت سابقا تحت حكم الكلخيدية
ثم صارت اللاظية ففي هذه البلاد تجد مدينة عتيقة خربة وحصونا تركية اوروسية على شاطئ البحر وسفنا موسوقة
من المماليك التي تسافر الى بلاد الترك وامراء ايميريتا يقطعون المهامه تهب الفلاحين ونساء يحن ازواجهن

اخلاقهم

في ابضاعهن والمحاربات بين القرى وغارات الامم الغربية عليها لتخريبها فهذا تخطيط بلاد المنغريلية الآن
وملابسهم قلانس من اللبد كبيرة وهم اما حفاة رأسا او يلفون الجلد على ارجلهم بحيث لا يكاد يقيهم من اراضيهم الرطبة
التربة وعلى ابدانهم قمص وثياب رثة فهذه حالتهم بين نسائهم اللاتي لا عفة لهن ويأكلن باصابعهن ويربين اولادهن

امير الماليك

على الكذب والسلب والنهب وكيفية اسر اشرافهم للمماليك انه في وقت شدة الاقدام والاحجام في الغارات يترقب
الشريف منهم بعض الاعداء الذي يمكنه ان ينزله من فوق فرسه فينزله وبهذا يصير اسيره فيعجز دائرا له من فوق فرسه
يكون معه حبل على وسطه فيحله ويوثقه به وتحصيل المماليك يكون ايضا في وقت الصلح لان السيد يبيع خادمه والاب
يبيع ابنه والاخ يبيع اخته

تجارة

وتجلب التركمان من بلاد المنغريلية غير الارقا الحرير والقماش والقمر الاسماجه لمودكاب الماء المسمى بالسكابي ويسمى
ايضا البيدستر والجند بادستر وكذلك العسل الابيض والاحمر ويدفعون ثمنها في مقابلتها السيوف والقسي
والنبال وطقوم الخيل والجوخ بل والنحاس والحديد وذلك لانهم وان كانوا في قديم الزمان مستولين على صنوف
الذهب فهم لا يستخرجون الآن شيأ من المعادن وبقرب اسكورية المسماة ايضا اسغاور وكانت تسمى في قديم
الزمان دوشغرياس جهة شمال هذه البلاد وعلى حدود اقليم ادينية تجد الحمل الاولى لتجارة والنقود التركية
هو الذي يتم وميناء آتزغيا التي هي اسفل من ذلك والتي هي مبدء منغريلية الحقيقية هي ايضا مركز

عين اصلية

تجارة

اقليم منغريلية وبناتها

ثم ان منغريلية هي الآن رطبة حارة جدا كما كانت عليه في الوقت الذي خططها فيه بقراط وسماها
كلخيدة وفي الحر تتسلط فيها امراض وبائية معدية تموت بها الناس والحيوانات والزروعات فيها سريعة النمو

وحادة الانبات فان جميع الفواكه تخرج بها من غير أن تتعهد بتطعيم اونحوه ثم قد لا تكون مستلذة وتكثر فيها الاشجار الشاهبلوط واشجار التين ولا يمدح فيها مثل نبيذها الذى هو دائما ملايم للصحة وحار جدا وبها ايضا الفسماة نوع ثمان المنه بلبين لم يزرعوا الآن كانا مع أن سلفهم وهم الكلفيدية كانوا فى زمن هردوط واسطرابونيس يتخذون منه عظيمة وقد شاهد كردين الآن بقاياها وانما يهتمون بعض اهتمام بتربية النحل فعسل بعض اقاليمها التى به النبات المسمى آزاليا بنطيا مركما وصفه بذلك اسطرابونيس فى قديم الزمان وخلف نهر فاسيس المسمى رهيون فى كورية زيتفون فى قديم الزمان تجد نوعا من العسل يعترى من يتناوله تخدير وهذا وصف به بلنياس الشجر المسمى رهوذودندرون وهو شجر صغير يكثر فى الغابات التى يطير فيها النحل ثمان البدع والاوهام منتشرة جدا فى منغريلية وذلك لان قسيسى النصارى المبعوثين الى بلادهم لم يمكنهم فى القرن السابع عشر من الميلاد ان يبطلوا العيد الذى كانت تشهره اهالى هذه البلادة تشريفا للمجل وهذا يذكرنا عبادة عجل قدماء القبطة المسمى ابيس وامير المنغريلية يلقب ددبان يعنى سيد البحر مع انه لم يستول على زورق فى البحر وفى العادة بهم مع اتباعه من مكان الى آخر ومعسكره هو مقام الفسق والفساد كما هو مقام الصعلكة والفقر واعيانهم يأنفون الصيد ويطبعون الطيور الضوارى ويؤنسونها للصيد والقنص ومن امثال المنغريلية لا تكمل السعادة البشرية الا بثلاثة اشياء فرس جواد وكلب معلم جسيم وباز عماد عظيم وهم يدخرون مقدارا عظيما مما يحصلونه بالصيد من الحيوانات الوحشية ويتغذون بالدبوك البرية وهى حيوانات متولدة بتلك البلاد التى حدها نهر فاسيس والمسلمون المستوطنون هنالك تفرط طباعهم من كثرة الخنازير والابنة مع قلة الخبز الجيد وعلى شرق اودينى والمنغريلية اقليم صغير منغريلى يسمى اقليم لشكوم يسكن اهله العنش المتخذة من الاحجار

اوهام وعوايد

امة سوانه

وثم واد عظيم يمتد من الجنوب للشمال يفصل الاقليم المتقدم من بلاد سوانه وبلاد سوانه بقرب رأس البرس اوالبرج وهى آخر رأس من جبل كوه قاف وامة السوانه التى اسمها فى لغتها معناه كان الجبال هى الآن حرة مستقلة ولا مناسبة بينهم وبين الكرجية الا فى اللسان ورثاثة ابدانهم مجاوز الحدود كسلهم ورغبتهم فى السلاح

عادة غريبة

ونساؤهم يسدلن على رؤسهن منديلا من كتان احمر اللون بحيث لا يرى من وجوههن الا عين واحدة ولعل هذا هو منشأ الخرافة الجغرافية المتضمنة لامة العور المسماة فى التواريخ القديمة منوماطية اى ارباب عين واحدة وقد تكلم اسطرابونيس على امة تسمى الفطر وفاجه يعنى اكالى القمل وقال انها ساكنة هنالك ولعلهم سلف امة السوانه ثمان وعر جبال الاردوازوهو الحجر الاسود الذى يشبه الصناع الذى يفصل [illegible] والسيمانية ويمتد الى حدود اقليم بسيان هو الذى يق بلاد السوانة من كل خطر فانه يسكن به نحو ٥٠٠٠ عشيرة من غير رئيس ولا امير ولما كانت امة السوانة فى قديم الزمان تخشى سطوتها لم تزل الى الآن مشهورة بشجاعتها الوحشية وارتفاع قاماتهم المجدية اعانت على خوف سطوتهم وخشية باسهم ثم انهم يحسنون استعمال البندق وعمل البارود وجميع انواع السلاح ويمعادنهم جميع المواد اللازمة لذلك لما أنه يوجد عندهم النحاس والرصاص والرافى ذهب وفضة

اباطة

وامة الاباطة المسماة اباسجية ساكنة فوق السوانية والمنغريلية فبلادهم موضوعة بسفح جبال كوه قاف من ناحية الشمال الغربى وبعضها على شطوط البحر الاسود وحيث توجد عدة سينات وحصون من حكم العثمانية وبعضها بجهة منابع نهر قوبان حيث يرتفع رأس البرج الذى هو آخر رأس من كوه قاف مشرف على القبائل الستة الاباطية المسماة عند التتار الطيه كسق فالقسم الاول وهو الذى يسفح جبال كوه قاف اباطة الكبرى وهى خصبة وان كانت كثيرة الجبال والثانى اباطة الصغرى التى يحف اهلها ما ظلمتهم امة الجراكسة المجاورة لهم على ما وى يلجاون اليه فذهبوا فى مضايق الجبال فهلكوا شيأ فشيأ

اوصاف طبيعية

والاباطة الذين يسمون انفسهم ابسنة اجلاف حسان الخلق ذوو قسوة وسرعة سير وشكل وجوههم بيضاوى ورؤسهم غائرة بين اكتافهم وعنقهم صغيرة وانوفهم كبيرة ولون شعورهم اكف غامق فهو يفيدهم سحنة خاصة بجنسهم وقد كانوا مشهورين فى قديم الزمان عند اليونان باسم آشية وبانهم قطاع الطريق البحرية وارباب حيلة وكر تخشى سطوتهم وقد كانوا ممنوعين من قبل البوزنطيسة عن بيع المماليك ثمان الجراكسة دعوا مرة الاباطة الى ذلك وبعد أن امنوهم فتكوا بهم من حيث لا يشعرون وكان هؤلاء الامر آة قبل ذلك رؤساء هذه الامة الحرة فمن هذه الوقت

حالتهم السياسية والدينية

صرف الاباطة همتهم فى الحروب الداخلية فقدوا بعض التمدن الذى اكتسبوه من التسطنطينية غاية وعندهم الآن انهم يشعرون الاحد فهذا اثر ما كان عندهم من دين النصرانية ومنهم رحالة تزال الى صلحية ليسوا باشرار ويبيعون

فى غابات

النجادات البلوط والشجار الحور والرومية السائرة للبلاد وبعضهم يعيش بيسير الزراعة وكل منهم له استعداد لقطع الطريق
لغة وتمن من مسهم على صاحبه واستولى عليه باعه لتجار المماليك والاباظية تشبه الجراكسة في لغتها وعوايدها على ماقاله غاسبسم وحقق بلاس أن لغتهم لاتشبه شيأ من اللغات المعروفة رأسا ويظن ان بلاد الاباظة معادن
النضة كامنة ولكن لايعرفون الانتفاع بها كما لايعرفون الانتفاع بوضعهم وتاهيهم بملاحة والصيد
تجارة وسلع تجارة الاباظة هي عبيات الجوخ والمليدوفرا الثعالب والقرقدون وهو نوع من ابرا (عرس) العسل والشمع وخشب
اليقس وتأخذ الترك من هذه البضائع مقدارا عظيما ثم ان الاتراك والارمن يحملون معهم الى بلاد الاباظة الملح
والقماش وهم دائما على حذر من غارة هؤلاء الامم المتوحشين الذين بمجرد حصول قوة لهم يغيرون على ما يحكى على
مطلق ناس من غير تمييز بين احبابهم واعدائهم
ومعظم بلاد الاباظة مستور بالغابات التي بها تجد الحرارة والرطوبة يمدان نباتات كثيرة كما في امريقة والنباتات
مدن الاباظة المسماة ايبانة التي تشبه عراش العنب تضيق على تلك الاشجار وتخنقها من القمة الى القرار وما قيل من أن مدينة
سوجوقلعة المسماة سوجوم قلعة اى قلعة سوجو او سوجوم هي احسن مبانيها هذا الساحل الطويل
فليس بصحيح فان مدينة غيلنجيق ذات مبان عظيمة منسعة عميقة ومن مدن الاباظة مدينة بتزندا التي كانت
تسمى سابقا في قديم الزمان بطيوس وقد كانت سابقا عظيمة التجارات ويظهر أن مدينة ماماوى هي من المدن
قبائل اصلية العظيمة بهذه البلاد التي هي في الحقيقة قرى واما قبائل الاباظة فكثيرة نعن المعروف منهم والمشهور قبيلة البشيليباى
والبسيش والناتوشاشه فالاولى تسكن اقليما جبليا لايمكن التوصل اليه بقرب ابطة الصغرى والثانية
تسكن على البعد من تلك جهة الغرب ومعظم قطاع الطريق يكونون عادة من رؤساء هذه القبيلة وامراؤها انما نهم
يغيرون على بلاد الغمانية الى مدينة انيا ولايزالون كذلك حتى يورثوا النزل غاية الضنك والقبيلة الثالثة وهي اقوى
جميع القبائل واكثرها عددا ساكنة بقرب الساحل ويوجد عندهم عيون النفط كما يوجد في الاجزاء الجنوبية
من كوه قاف
مصاب نهر قوبان وفي شمال بلاد الاباظة مصاب نهر قوبان الذي بعد نزوله من الاجزاء الوسطى من جبال كوه قاف يتلقى معظم
المياه الجارية من الفرع الغربي من سلسلة هذه الجبال والسهل المرمل الذي يمتد في شمال هذا النهر لايبعد اليه نهرا
آخر يصب فيه ومصبا هذا النهر يحيطان بجزيرة طامان وهي جزيرة مسطوحة الارض سبخة التربة وان كانت
شجيرة مدينة متغوريا او فنجوريا وكانت تسمى في قديم الزمان فنغوريا وبها بعض تجارة وهذه المدينة
من اعمال الموسقوبية بجميع السهل الذي في شمال قوبان وفي الجنوب الشرقي من نهر اراق وهذه الاقاليم التي
بها طبقات الملح والرمل تنعدم فيها معادن الجبارا الطسية والصدف لم تبق لنباتات ارضا صالحة الا شطوط النهر وهي
صحارى متوالية متشابهة لايختلفها الا مجتمع اشجار البسان والدلبة والصفصاف الصغير وربما تخللها في بعض الشمال
زوج من لسان العصفور المسمى أق أغاج اونوع من شجر الحور المسمى الوجراق وهذه الصحارى تسمى الآن
جانب اقراق الجونوسورسكية يعني قراق البحر الاسود وهذه الطائفة الحربية هي بقية الطوائف المشهورة باسم
القوزاق الزابوروجية التي تعزفها حين تخطيط بلاد الروسية
قران البحر الاسود ثمان الوسط والجزء الشرقي من السهل المرمل الذي يفصل بحر اراق من بحر الخزر يشبهان شبها كليا البلز الذي
فرغنا من تخطيطه فانا نجد لاسيما على امتداد نهري مانيخ وقوما سهولا قاحلة تاما كلية او يشوبها يسير ما ملح
وكثير صدف ونجد ارضا مرتفعة قليلا على سطح البحرين المجاورين لها خيثذ اذا استقصينا خراش هذين النهرين وجدنا
مذهب في يم تمازقديم آثار البوغاز القديم الذي زعم جمع من العلماء انه كان يصل سابقا بحر الخزر ببحر ميوتية الذي هو الآن بحر اراق
فان كان موجودا تعين ان يكون في هذا المحل لانا اذا توغلنا شمالا زيادة عن ذلك جهة الشمال رأينا تلا لاترتفع وتتصل ثم
دون من نهر الاتل واذا توغلنا جهة الجنوب وقربنا من منابع نهري قوبان وترق رأينا تربة الارض ترتفع يسيرا
شيأ فشيأ ووجدنا ارضا سودا آلة زراعة تغطي طبقات الرمل والنبات المعتاد بهذه لاقاليم يوم قيام النباتات المطرية
ولنقتصر على ذكر هذه الحوادث الحقيقية وما يترتب عليها من الاشياء الممكنة والنزاع في الوجود الحقيقي لهذا البوغاز
لايلتفت اليه رهنا مادام خاليا عن الفوائد التجارية لان جميع ما يتعلق بالقرون المتقدمة من التاريخ لفوش فيه
الامر طوقا لما نشر يح الارائي الباحثين عن اجزائها وكذلك للشعراء وجميع القدماء كانوا يعرفون تلك
الارض السهلة على حالتها الاصلية كما هي عليه الآن وربما اضطربت آراؤهم في تحديد عرضها فوق الاختلاف فيه
وبسبب هذا الاختلاف كغيره من تناقضات المتقدمين كون المساحات حصلت بدون الآلات اللازمة والمباشرات المحتاج

اليها في قياس الاراضي و بالجملة فالمجاز الذي استنجوا منه اخذا بالنواهر ان في القرن الرابع من الميلاد كان برزخ كوه قاف مغمورا بالبرك المايل على جميرة واحدة مسبخة وهي بحيرة بولسية الباقية الى عهدنا هذا

عمالة قوقاسيا التتار

وجميع الاراضي الواطية الممتدة على شرق بلاد القوزاق الجرنومرسقية وعلى شمال نهر ترك يتكون منها عمالة قوقاسيا او كوه قاف التي هي من مئذ مدة اقليم من اقاليم الدولة المسكوبية وهو معمور بعدة قبائل مختلفة من القوزاق والتتار التاجيين وهؤلاء التتار مجبورون على السياحة من ارض مرملة الى اخرى يعيشون عيشة القبائل الرحالة التي ترعت حماية الروسية يعتدون من متحصل مواشيهم مع يسير من الذرة او يتقاتون مما يتحصل من قطعهم الطرق ونهبهم كلما وجدوا لذلك فرصة ولما اهتمت دولة الموسقو بعقاب قطاع الطريق من هؤلاء القبائل عقابا شديدا مثل قطع ايديهم وارجلهم انتهى الامر بازعاجهم وتخويفهم لاصلاح شأنهم وقد حكى بعض من شاهدهم نوادر غريبة في تلافي الآباء لابنائهم المقطوع ايديهم وارجلهم مجازاة لهم في تنظير قطعهم الطريق وصيالهم فان الآباء يبادرون بمنع سيلان الدم بغمس الاعضاء المقطوعة في اللبن المسخن ثم يتقلونهم في عششهم ويباشرونهم غاية المباشرة ويتعهدونهم غاية التعهد واغلب هؤلاء القبائل التتارية قوزاق واعظم قبائل امة القوزاق قبيلة تسمى غريبنسكية ثمان مملكة الموسقو محصنة بسلسلة حصون تحفظها من غارات الامم المتعاصية بجبل كوه قاف ومن هذه القلاع قلعة كسليار على نهر الترق وهي مدينة عامرة بالتجارة واهلها نحو ١٢٠٠٠ نفس ومن قلاعها قلعتا مصدق وكوريجوسك وهما باندر بلاد القوزاق الآن ويدومنهما عنوان ابتداء التمدن بتلك النواحي و بتلك الاراضي تزرع الذرة المسماة باسم بانيق وكذلك الذرة المعتادة والارز والتين والقطن ولكن شدة الشتاء بها وفقد ما يحفظ ارضها ويجعلها سليمة كغيرها مثل التلوح كل هذا يجعل نباتاتها الغير القوية غير ثابتة في سائر الاوقات ولكن نهر الترق يروى كثيرا من المزارع

قوزاق

مدن

فولدات

الباركس

واذا جاوزنا نهر كوبان او نهر ترق وجدنا على الاجناب الشمالية من جبال كوه قاف الامة الشهيرة المسماة بامة الجراكسة اي اسمها الحقيقي بركس ويمكن قسمتهم الى قسمين احدهما بركس كوبان والثاني بركس كبردنا المسمى بعض الاحيان قبرطاي والظاهر ان الامة التي سماها اسطرابونيس زخية اوزيخة وسماها مؤلفو بوزنطيا زخة او زشة هي قبيلة بركسية لان كلمة زيش اوزيخ معناها بلغة الجراكسة انسان واسم الاوسيته يسمون الجراكسة ايضا كاساخي اوكاساشي وهذا يذكرنا اسم الكساشة الذين كانوا مقيمين على ساحل البوزنطيون وسنويات نسطور في جهات كوه قاف في القرن العاشر من الميلاد وكذلك التسمية التي سماها اسطرابونيس كركط هي متقاربة في اللفظ من بركس ولهذا جزم بلاس وريجس بان هذه القبيلة القديمة هي سلف الجراكسة والحامل على الحكم بذلك مع عدم ما يدل عليه دلالة يقينية هو ان الجراكسة هم الاهالي الحقيقيون لبلاد الكركط

اصل اسمهم

قبائل الجراكسة

والنهر قبائل جراكسة كوبان هي من غير شك قبيلة التربة وهم سكان نحو اربعين قرية محصنة ويمكنهم تجهيز الفي نفس للحرب وعلى شرق التربة مقام قبيلة البسليتة وهي قبيلة تعيش مع سعة المعيشة وبجوار هذه الامة قبيلة الموشولخ وهم يحسنون الزراعة ويربون المواشي و يجيدون صيد السمك الذي يكثر في انهارهم وتحت حصن انبا بلاد العثمانية تجاه الشناق يحكمها البركسان له سابقة فن في البحر الاسود وجركس قبرطاي يستحقون وصف التمدن اليسير اي يمكن وصفهم بانهم امة نصف متمدنة وارضهم خصبة موضوعة في وسط كوه قاف على الاجناب الشمالية من هذه الجبال ومجرى نهر اترة هو حدهم جهة الشمال وتجاورهم جهة الشرق ارض كسته جيشتند وتنقسم بلاد القبرطيين الى قبرطاي كبرى وقبرطاي صغرى

وبركس القبرطاي يتميزون عن جميع امم كوه قاف بجمالهم ولطفهم فان رجالهم طوال القامات وهم اقوياء الاقدام وكفوف اليدين يحسنون الضرب بالسيوف ونساؤهم نحيفات الشكل ربات لذات ونهوات بيض البشرة سمر الشعور متناسبات الاعضاء نحيفات الخصور ظريفات الثهود ذوات نظافة تكسب الجمال رونقا و بهجة فهذا ما يوجب استحسان نساء الجراكسة ولو في بلاد اوربا وزعم بعض ارباب الاسفار ان هؤلاء النساء كلما قربت شعورهن من لون الشقرة كن احسن

ثم ان الجراكسة لهم امراء اي اشراف بلادهم والمراد بهم كل من لم يكن مستعبدا بشرط ان يكون له فرس جيد لامير منهم له خنجر و بندقات فقل ان خرج من داره من غير سيف وجبة وحمالة سيف هم مربوطة بطونهم ورؤس مهاة البركس وبطونهم مغطاة بالخود والدروع فهم اشبه برجال كسوالية القرن العاشر والحادي عشر من تاريخ بلاد

والقبرطة

القبرطية هم الذين كانوا يحامون عن دين النصرانية ويحاربون لاخذ بيت المقدس ثم ان اقليم قبرطاى بتمامه يمكن ان يخرج منه عساكر نحو ١٥٠٠ اميرتسى باسم اوسدون و ١٠٠٠٠ فلاح اومستعبد يصلحون للمقاتلة ولكن الامر آء القبرطيون اخذوا فى اضعف الحرابات الواقعة بينهم مع بعض اسبابية عن العداوات المستمرة

اهالى

ثم ان ارض قبرطاى عظيمة التربة صالحة للزراعة ولكن بها الشتاء بارد وليس بها الحر طويل المدة ولكن اهالى الاينتهزون فرصة مساعدته اليمم الطبيعة فلا ينتفعون بتلريف اشجار البلوط وقره اغاج والحورة الرسية السائرة لتلالهم وكان يمكنهم استخراج المعادن النفيسة الموجودة ببلادهم مثل الحديد والقصدير المستعمله لصوغ اسلحتهم

توالدات

والجراكسة يبنون بيوتهم من خشب الشوح الرقيق ومن اخشاب الاشجار الصغيرة المصبوغة بالصفة البيضاء ويعرفون ان يوصلوا الى بيوتهم مياه الانهر الصغيرة القريبة منها بواسطة خليج ويحسنون ذلك مع المهارة التامة

زراعة

ومحال بيع الاكل عندهم شهيرة بما فيها من النظافة وكل من الفلاحين وهم المستعبدون ومن الامرآء المأخوذين فى الحرب وظيفتهم تعهد الزراعة وحراسة المواشى فيحرثون ارضهم الخصبة بمحاريث مسحوبة بخمسة ثيران ويدرج بارضهم زرع العنب من غير بذر وما يزيد فى غناهم وثروتهم كثرة ما عندهم من المعز والغنم والبقر والخيل ويبيعون الصوف والشمع ويمتاز خيولهم عن غيرها بجمال منظرها وشدة قوتها ولا نظير لجريها وسرعة عدوها وكل امير من امرآئهم او شريف قومه منهم يسم مهره الطيب الجنس بحديد محمى بالنار فكل من يغير هذه العلامة او يجعلها لحصان من خيل العادة فعقابه الموت وسدهم فى التزامية الاراضى عجيب فالرعية التى تكون ملك امير بالكلية وان كان لا يبيعها هى مكلفة بكل نوع من انواع الخدمة الشخصية ولكن لا تدفع شيأ للامير من خراج او فردة ورس ونحوها والاعيان مكلفون ايضا بحفظ انتظام الرعية وعند الحاجة اليهم يدخلون فى الخدمة العسكرية عند الامير وامير هم دائما له مائدة لا يصدعنها انسان وكل انسان من الاعيان له مواش بعين منها مقدار المصرف هذه المائدة

سياسة

والزواج عندهم كل انسان كفولمن يمائله فى الشرف والغنى فاذا كان واحد من الاعيان الذين هم ليسوا بامراء تهب بنت امير فعقابه الموت لحين ولادة ابن الامير او بنته يحضر انسان من اشراف قومه ويتكفل بتربية هذا المولود فالاب والام يقرون اولادهم بعيدا عن محل حضورهم ولا يقبلون الغلام الا اذا بلغ مبلغا يصلح فيه للعرب والبنت اذا صلحت للزواج فالذكر منهم يتربى على الصيد والنهب والحرب بتعليم ذلك المربى ويجازى ذلك المربى بجزء مما يسلبه ذلك الاسير وما ذكرناه مما يحكى من الخرافات عن السنطور شيرون حين ربى الصغير اخيلوس ثم ان البنات تغتذين باغذية لطيفة خفيفة من طبعها ان تصير خصرمن اغتذى بها نحيلا كما يليق ببنات الامرآء ويتعلمن البنات فى مدة التربية التطريز والخياطة وصغر الاشياء اللطيفة وعمل الظرف الذى يجتنى فيه الثمار والورد المسمى بالسل وعند العامة بالمشنة والخاطب يجتمع بمخطوبته ويراها سرا مدة سنة ويدخل عندها فى ظلام الليل وربما ادخلته من كوة اى شباك ولا يظهر ذلك لابيهم واهلهم البعد ارتباط الزوجية بينهم ارهذه الاوصاف تقتضى بان بين نساء الجراكسة والنساء المسميات فى تواريخ القدماء بالامزونة مناسبة ومشابهة وهذه المشابهة انها تعلق بما ينقل من حكايات الجراكسة انهم وبين امة تسمى امبيج لحمة ونسبا (فاعلم اليونان اخذوا الفظ امبيج وصاغوا منه كلمة امزون) وهذا المذهب التحيلى يقتضى ان الجراكسة هم من امم السرماطة فهم ذرية متولدة من قبائل الاسقوثية اى قدماء التتار مع الامزونة وهم النساء المشبهات بالرجال

تربية والزواج

ثم ان امر الجراكسة واعيانهم يتكلمون مع بعضهم بلغة خاصة بهم لا يفهمها من عداهم من الرعية وهل هذا التكلم محض سياسة او لكون امرائهم لهم اصل غير اصل الرعايا وعند الجراكسة حق من الارض يسمونه كونادى فاسعد الضيف الذى نزل لديه ذلك ان صاحب المنزل يوصى على ضيفه جميع اقاربه ولو كان الضيف مرتكبا جميع الجنايات فيكون آمنا لان مضيفه تكفل بذلك ويفديه ولو بروحه ثم ان الجراكسة يأخذون الثار على وجه عجيب ممن يقتلونه قاتل احد منهم وقبيلة الجانى تقتسم جنايته فانه اذا كان ثار الدم لم يخمد يبذل شئ من المعاملات نقل الى الزواج بان تتزوج قبيلة المقتول بفتاة من قبيلة الجانى

لغة الضيافة

وقد كان اجراكسة سابقا نصارى لا عبادة لهم وهم الآن مسلمون ولكن لا غيرة لهم ولا حمية اسلامية وقبورهم مبنية بحجارة مخصوصة يختفى بها العمدة

دين

ثم ان امة الباسيان الساكنة تحت الجراكسة وبجانب امة السوانديين كانوا اساكنين قديما باقليم قبرطاى وذلك ان اهلها لما تبعهم امراء الجراكسة بالحروب اضطروا الى ان يأووا الى الجبال العالية المجدبة المستورة

باسيان

بالثلوج واستمروا بها الى الآن ولم يزالوا الى الآن يدفعون الخراج لذراري هؤلاء الامراء ثم ان هذه الامة بمقتضى قولها هي خليط عدة امم مثل البلغار واليونان والقلوق والقوموق وكذلك النوغاى الذين هم المغول او التتر

قبائل

وامة الباسيان مشتملة على ثلاث قبائل وهي قبيلة الجيجم والبلكار والكراجاس

عبادة

ويوجد عندهم بعض امارات دين النصرانية يحكى انه يشاهد في بلادهم كنيسة قديمة لكنها محفوظة لم يحصل فيها خلل ويتوصل اليها بطريق مرسومة في خلال الصخور وبها فرع حديد من جانبيها وداخل الكنيسة نسخة انجيل باللغة اليونانية وكذلك كتاب صلوات نصرانية يسمى كتاب الطقس وعندامة البهاسيان ماشية البقر كثيرة وبغال ممدوحة

يولدات الاراضي وصفاتها

يزرعون الذرة والهرطمان ويستخرجون الرصاص من معدن يسمى كرنجين ومعناه جبل الرصاص ويجهزون ملح البارود ويبيعون البارود ثمان الحواجا رينجس رصد في بلاد باسيان كثيرا من الاشياء الغريبة بالنسبة لعلم المواليد الثلاثة وذلك ان بها عدة اودية مملوءة بابخرة كبريتية وبها وقوع الصواعق اشد تواترا مما يقع بغيرها وبقرب النهر المسمى ياجيق الذي يصب في نهر قوبان عدة عيون حامية ذات حرافة وحدة بحيث يتورم فم من يشرب منها وفي جهة جبال البرج تل مركب بتمامه من حصى معدن الميقا الذهبية اجزاؤه قليلة الالتصاق بعضها بحيث ان الانسان او الحيوان اذا صعد عليه لا يثبت ذلك الحصى تحت قدمه بل ينغمس فيه كما ينغمس في الماء

البازات

وفي اعالي الجبال جهة منابع نهر ترق اعمدة من معدن البازات وهو نوع من الرخام الاسود وهو على شكل منشور ذي ثلاثة اشبار او ثمانية او خمسة ولكن المعلم رينجس الذي اخذ صورة شكلها لا يعرف هل احسن تمييز هذه الصخرة اولا

اوسيته

وامة الاوسيتة ساكنة على شرق الباسيان فاذا انا ملنا ملابسهم وشعور رؤسهم التي لونها كلون ابي فروة المفتوح ولحاهم الشقرة رأيناهم اشباه فلاحي بلاد الموسقو الشمالية وهم يسمون انفسهم بالسم ايرونة ولغتهم بها بعض تقارب من اللغة الالمانية والصقلبية ويكثر فيها من اللغة الفارسية وبلاد الاوسيتة تشرف وترتفع على الاراضي الموصلة لبلاد الكورجية فهي ممتدة من منابع نهر ترق الى المصاب الشمالية لنهر الكور وفي جبالها الصعبة الارتقاء التي هي مقام الشتاء تجد الانهر الصغيرة تجري مياهها بغاية من السرعة العجيبة ثم ان آداب الاوسيتة واخلاقهم مجردة عن الزينة ومبنية على السهولة بحيث ان لهم اخلاقا وآدابا خاصة بهم فتحية الرجال لمس الصدر وتحية النساء لمس النهود وجناتهم يتفاخرون فيها بكثرة الحزن والتوجعات الحسنية فالنساء يخمشن وجوههن ويحاولون السقوط من اعالي الصخرات الى اسافلها ثم انهن يأكلون ويشربون اكرامالله ميت مدة ثلاثة ايام ويبوت الاوسيتة اشبه بحصون صغيرة ومع ان هذه الامة تدفع الخراج للروسية فهي تعيش في توحشها مستقلة ليس للروسية عليها عظيم سلطنة

اخلاق واداب

فرائب توليدية

وزعم بعضهم انه صادف بتلك البلاد التي هي جزء من بلاد القوقاسية طائرا عظيما مبرقش الريش الظريف له شبه بالديك البرية تسميه اهل البلاد باسم سيم وهو يعيش بنوع من الاجتماع مع الاوعال ويشاركها في انفرادها وعزلتها واذا قرب الصياد فرهذا الطائر صفيرا شديدا تتنبه به الماية الذي يتتبعها الصياد وفي اقليم الاوسيتة عدة اوف من المغارات المنحوتة في الصخور الصعبة الارتقاء المكائنة على الجبال الوعرة وارتفاع هذه الصخرات عادة نحو عشرة باعات وهذه المغارات محجورة فيها آثار رسوم تدل على انها كانت مسكونة فحصن داريل موضوع في الحدود الشرقية لبلاد اوسيتية ولاجل جعل العبر متعذر الوقوع في ايدي الاعداء لا يلزم الا بعض استحكامات خفيفة وقليل من المرابطين

قبائل الاوسيتة

واعظم قبائل الاوسيتة قبيلة الدوغورة وزعم بعضهم انهم يدفعون الخراج لطائفة البادلية وهم امراء مستوطنون في اعالي الجبال يقاسمهم نهر من قبيلة اخرى مجهولة تسمى التيغور وانضاهران هذا الاسم من لغة الهونة ومن قبائل الاوسيتة قبيلة تسمى الجركسانة وهي قبيلة لها غابات يعتقدونها مقدسة مشرفة وتتقسم هذه الغابات الى عدة اقسام على حسب عدد عشائرهم وكل سنة وشهرون اعيادا تمكث ثمانية ايام وتشبه عيد المظلة عند اليهود ثم ان السواحين بتلك البلاد والسفارة المارين عليها يدعوهم اهل البلاد ليقتسموا معهم السرور وتشكل عشيرة من عشائر تلك القبيلة باطعامهم واكرامهم ومن امم الاوسيتة قبيلة الدمفار وهي قبيلة جمهورية

نادة مخصوصة

ديرسنت نقولاوس

دائما في حرب مع قبيلة الدوغورة فتلك لا تخاف من هذه وفي ارضهم دير لقديس المسمى سنت نقولاوس وهي امارة على انه كان لهم دين في قديم الزمان يعتقدون ان هذا القديس الموسقوبي يتشكل في شكل عقاب

ليأكل

ايأكل اللحم المذبوح للقربة و يعتقدون ايضا ان كثيرا من الطيور والجوارح يمكنها بالنسبة لهذا الامر أن تسد مسد ذلك القديس اى تاكل هذا اللحم

والاراضي الجبلية الممتدة على شرق بلاد الاوسيتة وفى الشمال بين نهرى سنشا واكداى تسمى بلاد كستيا وتسمى كستيتيا عند السواحين والجغرافيين من الروسية فهى مثل بلاد قبرطاى ارض ذات غابات ومراع وبها محال صالحة للزراعة و بها عدة قبائل متوحشة مختلفة تسميهم الكروج باسم كستة وبسميهم التشار باسم مظهجية وانذكر هنا اصولها وهى امة الانغوش اواتوش وكذلك امة الچيبنتز وتسمى ايضا التبنتز وكذلك امة القرابولاك والتوشة وكلهم يتكلمون بلغة مخصوصة يظهر انها عندهم من قديم الزمان وفى الحروب يحملون ترسا وهذه العادة القديمة تميزهم عن عداهم من اهالى جبال كوه قاف

كستيتيا الكستة

وفى قبائل الأنغوش تشاهد دلائل تدل على انهم نصارى ودلك ان عندهم راهبا يلقب زانستاغ لا يتزوج اصلا و يقيم بجانب كنيسة قديمة ووظيفته وظيفة قسيس النصارى وطريقة عبادته انه يحتفل مدخل عظيم عند محراب مبنى من الحجر فيذبح عددا عظيما من الغنم البيضاء التى يجمعها من اغنياء العشائر ومن اكابر اهل بلاده وهذه الكنيسة القديمة التى فى ارض الانغوش بها كتابات غوثية ورسوم عتيقة و بها كتب لاطينية مزينة بحروف مذهبة زرقاء وسوداء وهذه الكتب معظمة عندهم ومحفوظة كالذخائر و بقرب هذه الكنيسة ثلاثون دارا مقاما للعبادة وهذه المحال محترمة جدا فى وسط الحروب المستمرة الواقعة بين اهالى هذه البلاد المتوحشة

انغوش عبادتهم

ثم ان للانغوش سحنة خاصة بهم ومنطقهم يابس لو سمعتهم يتكلمون لقلت ان فى لسانهم حصا ومن يصلح للحرب منهم خمسة آلاف مقاتل ثم أن امة القرابولاك ينبغى لنا ان ننبه الى لغتها التى تظهر انها هى لغة اللان المشهورين فى التواريخ لان مدينة ثيودوسيا فى ولاية تورية مسماة باسم من لغة اللانية وهو لفظ اردودا ومعناه الآلهة السبعة واسم ثيودوسيا معناه كذلك الآلهة السبعة عند القرابولاك ومن قبائل الكنيسة ايضا قبيلة الچيچنتزة المسماة ايضا التيشنتزة تقيم فى ست قرى وهذه الامم تجول بعض الاحيان فى قطعها للطريق الى خلف حدود البلاد الروسية لان جبالهم الوعرة تقيهم من غارة القوزاق عليهم وفى ناحية الجنوب الشرقى امة التوشة ومعنى توشة محترفون وانما سموا بذلك لانهم ارباب بدع واوهام وهم يعظمون السنانير (القطاط) ويقال ان الرجل منهم يعطى لولده وسنه ست سنين اوسبعة بنتا خائنة فراش زوج لها لا يتزوج بها فلا يزال معها كالرجل مع امرأته ويتبع الولد وجميع الاولاد التى تلدهم المرأة تربيهم العشيرة كأنهم من اولادها وهذه العادة الغريبة كانت من مئذ مدة واقعية فى بلاد روسية اوروبا وزعم بعضهم انه رأى بلاد التوشة مسافدة الحمار للبقرة قال ويتولد منهما بغلة صغيرة لكنها قوية جدا

القرابولاك

الچيچنتزة التوشة

ولنذكر الآن الجزء الشرقى من بلاد كوه قاف وهو البانيا القديمة المنقسمة الى اقاليم صغيرة عظيمة جعلها الجغرافيون من المتأخرين قسمين القسم الاول داغستان وهو يشتمل على مهابط جبل كوه قاف جهة بحر الخزر والثانى لسجستان وهو اودية مرتفعة جدا من جهة بلاد الكستة اومن جهة بلاد الكورجية واقاليم لسجستان اوالسغستان ليست حدوده ثابتة لا تغيير بها ولا تبديل بل تختلف تلك الحدود بالحروب المستمرة بين قطاع الطريق المشهورين باسم لسجية اوالسغية وغيرهم ممن عداهم من اهالى جبل كوه قاف

داغستان لسجستان

ثم أن امة لسجستان التى تظهر انها كانت تسمى عند المتقدمين لجة يخشى من قطعهم للطريق واستدامتهم على ذلك فهم يسلبون الادميين والمواشى وكل ما يوجد فى البلاد المجاورة فما نهبوه حملوه على الخيل السريعة الجرى و يقطعون ما وراءهم من قناطر الجليد والثلج الذى يغمر مهابط جبل كوه قاف ولما كانوا متمرنين على تحمل الجوع والعطش كانوا لا يستصحبون معهم فى سفرهم للغارات الا يسير الزاد المظروف فى الاجربة وفى جلود المعز فاذا فرغ ما عندهم وجاعوا شدة الجوع ولم يجدوا ما يسدون به الرمق ذبحوا القرعة فمن خرج عليه القدح اتخذه اصحابه غذاءهم ثم ان قناعتهم فى المعيشة واعتدال هوآء جبالهم كان سببا فى طول اعمارهم طولا عجيبا وقبل موت الهرم منهم يزمن يسير ان لم يكن مونه فى الحرب احضر اهله وورثته وعرفهم المحل الذى به ذهبه وفضته وجواهره ثم يموت فحاكاه سرورا وعند هذه الامة معادن وفى اقليم داغستان تجد اللسجستانية يسرحون بمواشيهم بعيدا عن الجبال و يدفعون شيأ كالخراج فى نظير المراعى ولا يغيرون على غيرهم فى مراعيهم ونساؤهم مشهورات بالجمال متميزات ايضا بالشجاعة

اللسجستانية وطريقة عيشتهم

ولبعض مجموعة قبائل من اللسجستانية اسلام و يلمح عند بعضهم من آثار دين النصرانية آثار وهذه الاديان فى الفرق بينهم وبين من دونهم فى التمدن يعبدون ايضا الشمس والقمر والاشجار والانهار ولا يقرب لسانهم الا من لسان الغلندية

لسان اللسجستانية

اوارة

ولهم لغات كثيرة مختلفة متنوعة وحاول بعضهم ترجيع جميع لغات السجستانية الى ثمان لغات فان الاوارة والاربع عشرة قبيلة التي تشبههم الساكنة في البحر الشمالي من داغستان تتكلم باللغة الاولى واقليم امة اوارة المسماة أور التي هي بقية من آورسة واصل للامة الشهيرة باسم آوارة يسمى ايضا باسم شناغ ومعناه مملكة الشونة اى مملكة الهون وفي هذا الاقليم نحو اثنى وخمسماية عشيرة مسلمين يعيشون من غير حروب ولا غارات محكومين بخان معدود من اقوى امراء القوقاسية وبيته به زيادة عن غيره شبابيك وزجاج غطاء لها

ديدو وانسوالخ

وقبيلتا ديدو وانسو يتكلمان باللغة الثانية وهم يقيمون في الجبال التي فوق اقليم چارة يرعون مواشيهم في اقليم كاشتي ويرتعون في مراتع الراحة واللغة الثالثة هي لغة البكابوچة التي يقال انها ساكنة بقرب امم الديدو من جهة الشرق واللغة الرابعة مستعملة عند قبيلة الاندس التي هي على ما قاله غلدنستد ساكنة باقليم موضوع على فرع من نهر كوامو واللغة الخامسة هي لغة قبيلة الاكوشة والكوبشة والزوداكار وهذه القبائل الثلاثة تمتد مساكنهم على حدود داغستان بل ربما تكلم باللغة الخامسة في اقليم داغستان ثم ان قبيلة الكوبشة المسماة كوباشة هي التي تستحق ان تنبه عليها وهذه القبيلة ذات ثروة وراحة عيش وذات اجتهاد وصلاح حال وحسن سلوك ويقال انهم يسمون انفسهم في لغتهم افرنك ويعتقدون في انفسهم انهم من ذراري الافرنج وان اصلهم من اوروبا وكاد يكفينا أن نقول انهم ذرية البندقيين او الجنويزية الذين زاروا في القرن الخامس عشر من الميلاد ساحل البحر الاسود لو لم تدل التفتيشات المتأخرة على أن لسانهم يشبه لسان اهل

كريشة او كوباشة

تجارة ومعامل

لسجستان ووظيفة اهل قبيلة الكوباشة انهم عمارة التجارة الواقعة بين العجم والموسقو فهم يحملون الى مدينة كسليار قدرا عظيما من القطن وفي بلادهم يصنعون زمانهم في اصطناع الادوات المتخذة من الحديد والذهب والفضة وسبك الدروع وعمل المناديل الرفيعة والعباآت والسجاجيد والبسط ونساؤهم بارعات في الصناعة ربات ذكاء وفطانة بل هن صاحبات معارف ولكنهن لا يشتغلن الا بالتطريز وقد جرت عادة هذه القبيلة انها تطرد من بلادها ارباب الكسل والبطالة والشحاذين ثم ان استقامة حالها وصلاح افعالها امر معلوم للخاص والعام حتى ان امراء اهل لسجستان دائما تودع عندها اخر آثن المال الذي يكتسبونه ويجمعونه بل جميع القبائل المجاورة لقبيلة الكوباشة تختار امامة الكوباشة حكما فتجعلها محكمة فيما ينشاجرون فيه وبين هذه القبيلة الاسلام ولكنهم لا يتزوجون الا زوجة واحدة ثم ان اثنى عشر من مشايخ القبيلة يتفاوضون الخزينة التي هي متحصلة من اشغالهم المشتركة الروكية

كلسيكوموق

واللغة السادسة من اللغات الثمانية اللسجستانية هي لغة قبيلة منهم تسمى الكلاسيكوموق وهي امة ترعى الماشية وتقطع الطريق وهي تسكن على فرع من نهر كوامو واللغة السابعة مستعملة عند قبيلتي الكيدالك والقراكيدالك

كيدالك

الساكنتين في الاراضي التي بين مدينتي تركو ودربند وهاتان الامتان يحسنان الجري والعدو والرمي بالبندق والسيف ووادي كيدالك واد خصب ذو قرى عظيمة وامير كيدالك يسمى الاوزمية ويقال ان ابنه يرضع

الاوزمية

جميع نساء البادية وامتظهر بعضهم ان الغرض من هذا تعويدهم على محبته حتى اذا ولى عليهم كانت محبته مركوزة في طباعهم واللغة الثامنة هي لسان قبيلة الكرابل التي تشغل عدة قرى بجانب اقليم تبامران وظن بعضهم

تبامران

ان اهل اقليم تبامران العامر المحكوم بامير خاص به يتكلم بهذه اللغة

كوموك

ثم ان قوقاسيا الشرقي هو ايضا ماوى امتين من امم التتار الاولى امة كوموك وهي ساكنة في شمال داغستان على شطوط بحر الخزر وهنالك نحو الف ومائتي عشيرة تحت طاعة بكاوات ساكنة في عشش من

التروخمينة

مكعب الصفوف والثانية امة التروخمينة (العلها تركمان) تمتد على جميع الحافة الشرقية من جبل كوه قاف خصوصا في اقليم داغستان الجنوبي وفي جميع اقليم شروان وهؤلاء المتوحشون يتكلمون بلغة تركية من لسان التتار وهم تحت حكم خانات ولايتهم بالتوارث واعظم هؤلاء الخانات الخان المقيم في كوبا والخان المقيم في شاماخيا وشماشيا وكذلك الخان المقيم في سليان

حدود داغستان وشروان

ثم انه في زمن الحروب والفتن الغالبة عند هؤلاء القبائل تجد حدودا ولايا تهم غير ثابتة فلا يمكن تمييز شيء منها فان اسم لسجستان الذي معناه بلاد السجية يتسع ويضيق على حسب غارات هؤلاء الامم المتوحشة واما لفظ داغستان فمعناه بلاد الجبال وهو غير وارد المدلول فهو مثل لفظ غرسكية اى اهالي الجبال الذي يطلق عند الروسية على جميع الامم الصغيرة القوقاسية والتوسع الغير المحقق في هذه الالفاظ له مدخلية في حدود شروان بهذه الحدود التي ابتدآ وها عادة او اقتضتا رة في دربند وتارة في باكو ثم انا لا نجزم بشيء في شأن هذه الحدود وانما نتكلم بعموم على الاماكن الشهيرة ذاهبين في تخطيطها من الشمال للجنوب

وبلاد الكومولك من شطوط ترق الى نهر كواسو فهي مشتملة على جون اغراشنسكوى وعلى بحيثجزيرة اغراشنسكوى واعظم اماكن بلاد الكومولك مدينة اندرى وهي سوق يبيع فيه اللسجية مايكسبونه من نهبهم وقطعهم للطريق وفي جنوب كواسو ارض رئيس من التتار يلقب شمكال وهو يقيم في مدينة ترقو واهلها ١٠٠٠٠ نفس على شط بحر الحزر واذا صعدنا نهر كواسو وصلنا الى ولاية اوماخان وهو خان اوارة الذى تكلمنا عليه فيما سبق ومدينة ثونساغ مشتملة بيت على مايقال وعلى المسيل الشرقي للجبال مدينة كوباشا وهي مدينة مهمة عرفنا اهلها في الصناعات ويقال ان اهلها ستة آلاف نفس وارض الامير الملقب اوزمية تمتد الى دربند وهو يقيم في مدينة تسمى برخلي ومدينة دربند محصورة بين الجبال والبحر وهي ثمانية بيت او سبعمائة واسوارها المتينة مرتفعة يعجب منها السواحون ولكن لا تمنع الجيوش من الدخول بهذه المدينة وميناها قليل الامن ليست الا كرسي تجارة هينة وبهذه المدينة ابتدآ ظهور اعتدال القطر ولين مزاج الهوآء واعظم الاراضي الطيبة الهوآء ثلاثة اقاليم وهي اقليم دربند واقليم كورا واقليم كوبا وفي هذه الاقاليم كما قاله اسطرابونيس يحصد اهلها بدل الحبة خمسين حبة ويزرعون بها مرتين اوثلاثة في كل سنة وفي عهدنا هذا ارض هذه الاقاليم هي في بعض الاحيان دمثة حتى انه جرت العادة بانهم يعلقون في المحراث ست بقرات الى ثمانية فينقل اهلها ما من بلادهم الى البلاد الخارجية كثيرا من القمح والشعير والزعفران والقطن والفواكه المختلفة وقد كان اقليم كوبا مشهورا عند العجم بجنة الورد فتجد عدة مواضع بها شوق الحضور يخرج منها دالية العنب ولكن هذه الاقطار اللطيفة كثيرة الرطوبة وبها في عدة مواضع حشرات وهوام مضرة ومدينة تباسران ومدينة آكوتى وغيرهما هي بنادر الولاية الصغيرة في الجبال ثم ان خان كورا يمتد حكمه الى حد البحر حيث نهر سامور الذى هو النانوس عند الاقدمين يصب مياهه الغزيرة بعشرة مصاب او باثني عشر ومدينة كوبا هي محل اقامة الخان الذى هو اقوى خانات هذه الولاية وليس بها من البيوت الا ار بعمائة بيت او خمسمائة وتحت نهر كوبا قرية شبران الذى بناها العبرانيون باسم سمريا والى الآن يسكن بها اليهود وهم يتمازون بغرافة خلقتهم وبثروتهم وهذه المدن الموضوعة على المسيل الشرقي من جبل كوه قاف هي بمقابلة بحر الخزر واذا عبرنا الجبال وجاوزناها رأينا ان من الجنوب الغربي ومن الجنوب تمتد اراضي دشسكى وشماشيا وخانا وسليان قارضا دشسكى وشماشيا محدودتان بنهر الكور وارضا خانا وسليان يشغلان السهل الجزآئري الذى يحتاط به نهر الكور والرس ومدينة شماشيا الجديدة وهي مدينة ذات تجارة اهلها ٥٠٠٠ نفس وهي بمنزلة قاعدة شروان

ونهر الكور يمكن المسير فيه بالسفن من اجتماع احد فروعه بنهر الرس وصيد السمك البحرى المسمى استروجون في مصب نهر الكور يباع بنحو ٢٠٠٠٠ روبلة (الروبلة ريال فرانسا) خان كوبا الذى يدفعها للموسقوبية

وعلى شمال شماشيا يحط جبل كوه قاف فتجد لسان ارض كبيرا داخلا في بحر الخزر وهو بحيثجزيرة ابشرون المسماة ايضا اقريسا التي اراضيها الطينية والملحية معمورة بنباتات ذابلة ولكن بها عيون النفط الشهيرة يتعجب منها السواحون وهذه العيون النفطية هي اكثر لا يفنى ينتفع به والى ولاية مدينة باكو وانهر هذه العيون المعدنية العيون التي في بلغان فمنها يخرج من النفط نحو خمسمائة رطل في كل يوم وعلى القرب منها يمتد خلاء متسع يسمى خلاء النار وهو ارض نحو فرسخ مربع من اتراجع الموسقوبية المسماة ورسة ومن هذه الارض يخرج دائما نوع من البخار يسمى الغاز قابل للاحتراق وبها عدة هيا كل صغيرة للمجوس اى عبدة النار وفي هيكل من هذه الهيا كل بقرب محراب يذيع فيه القربان منكوت في الارض انبوبة مجوفة على شكل الميزاب فاذا فتح هذه الانبوبة الاعلا يخرج لهب ازرق الخالص من روح العرق بل ومن غيره من سائر الارواح الحارة ويخرج ايضا لهب شبيه بذلك اللهب من فتحة اخرى اقتية مفتوحة في الصخرة وبقرب مدينة باكو تل يخرج منه نفط ابيض ولكن مقدار ما يخرج منه يسير ثم ان الموسقو يأخذون من هذا النفط لمداواة وجع القلب ولمعالجة غيره من الامراض ويستعملونه ايضا في دهن الظاهر به وعلى القرب من هذا الينبوع حمام يغلى كالنفط وماؤهما مشوب بطين ازرق يجعله تخينا ولكنه يروق اذا تركناه يرسب عكاره فاذا اخذت في الحوض فيه قوى البدن وترتبت عليه الشهية اى انفتاح النفس للاكل وخان باكو له ايراد من النفط نحو اربعين روبلة (اى ريالا فرنسا ويا) ومدينة باكو ات رودة غيرها مأمونة وان كانت احسن مينات هذا الساحل يخرج منها الى بلاد الروسية غير النفط والقطن والارز

مدن واماكن مشهورة

دربند

خصوصية داغستان اللغوية

جنات الورد

شماشيا الجديدة

بحيثجزيرة ابشرون

عيون النفط

مدينة باكو

فهذه اصول امم القسم القوقاسي وولاياته ومدنه وقد اقاما تخطيط ما فيها من الاشياء الكثيرة او الصغيرة الى ان نركب كرها في تخطيطنا اياها التطويل

جدول الاوضاع الجغرافية لقسم البلاد القوقاسية

اسماء الاماكن	طول شرقي لباريس	عرض شمالي	عز والقياس لمن قاسه من المؤلفين
	درج دقائق ثواني	درج دقائق ثواني	
دربند	٤٥ ١٩ ٠٠	٤٢ ٥٠ ٤٥	اطلس روسي في ١٠٠ فرخ ورق
كسلار	٤٣ ٥٤ ٠٠	٤٣ ٥١ ١٥	كذلك
		(٤٣ ٥٤ ٠)	روزنامة بتربوغ
مصدوق	٤١ ٣٠ ٠٠	٤٣ ٤٣ ٤٠	اطلس روسي
ثمان اوطمان	٣٤ ١٤ ٤٥	٤٥ ١٢ ١٦	كذلك ودفتر ليخنستون
تفليس	٤٢ ٠ ٠٠	٤١ ٢٨ ٣٠	كذلك

جدول مسهل لمعرفة الاقسام البوليتيقية للولايات القوقاسية

اقسام كبيرة	اقسام ثانوية	نحوت الولايات	ولاة الامور
قوقاسيا (عمالة قوسيا)	١ داثرة غريغور يوسك	غريغور يوسك	
	٢ داثرة الكسندرو	اويغور يوسك	روسيه
	٣ داثرة كزليار		
	٤ داثرة ستوروبول		
	٥ داثرة مزدوق اومصدوق		
بلاد قوزاق البحر الاسود	جزء من ولاية	ايكترينودار	كذلك روسية
	توريدة		
بركس	١ جركس كوبان	لاتحت لها	مستقلة
	٢ قبرطاى الكبرى		
	٣ قبرطاى الصغرى		
اباظة	عدة اقاليم مختلفة	لاتحت لها	تحت حماية العثمانية
كورجستان الغربي المسمى سابقا كورجية العثمانية	١ مينغريلية	ايزغاورر	قيصر تابع للروسية
	اقليم اوديسشيا		
	٢ ايمرينه	كوتاتيس	اميره من الايمريته
	اقليم كادشا		
	٣ غوريا	تيزغه	تابعة للعثمانية
كورجستان الشرقي المسمى سابقا جورجية الفرس	١ داثرة تفليس	تفليس	تابعة للروسية
	٢ داثرة كورى		
	٣ داثرة اناتور		
	٤ داثرة تلا		
	٥ داثرة سهناه		
	٦ داثرة اجاكلا		
	وكانت سابقا منقسمة الى كردو يلى وكاشتى		
كورسكى اراهل الجبال	١ اسوانتيا	لاتحت لها	امراء اومشايخ اقليم تعلق الروسية
	٢ بسيانيا		
	٣ اوسيتيا		
	٤ كستيا اوانغوشيا		
	٥ شيشنتيزيا		
لسجستان	١ خانة اوار	شونساغ اوأوار	خان مستقل
		(وقال آخرون انها كابردا)	
	٢ امارات خازيكومولك	كاسامبش	
	٣ اقاليم جارى	كومولك	عدة امراء
	وتوشه الخ	لاتحت لها	عدة رؤساء

بقية الجدول المسهل لمعرفة الاقسام البوليتيقية لولايات القوقاسية

اقسام كبيرة	اقسام ثانوية	تخوت اولايات	ولاة الامور
داغستان	١ بلاد الكومولك	المدرى الخ	امرآء تعلق الروسية
	٢ خانة تركو	تركو	خان تعلق الروسية يلقب شمخال
	٣ خانة كيدالك	كيدالك وبرشيلى	كذلك يلقب اوزميه
	٤ اقليم كوباشا	كوباشا	تعلق خان كيدالك
	٥ اقليم اكوشا	اكوشا	كذلك
	٦ اقليم دربند	دربند	للروسية من سنة الف وثمانمائة وتسعة من الميلاد
	٧ اقليم كورا	كورا	تعلق الروسية وكانت قبل تحت حكم العجم
	٨ اقليم كوبا	كوبا اوقوبا	كذلك
شروان	١ خانة باكو	باكو	كذلك
	٢ خانة شماشيا	شماشيا	كذلك
	٣ خانة دشكى اوبكالا	نوخى	كذلك
	٤ امارة سليان	سليان	تعلق خان كوبا

تنبيه كل من اتساع السطح ومقدار الاهل غير معروف

﴿المقالة الثامنة والاربعون في تخطيط آسيا﴾

بلاد العثمانية باسيا القسم الاول وهو يشتمل على بحيثجزيرة اناطولى المسماة آسيا الصغرى مع سواحل البحر الاسود

ذكر شئ بطريق الاجمال

قد حان الآن ان نذكر ارضا خصبة كثيرة الآثار التي يتذكرها الانسان على ممر الايام غاية الامر ان هذه الآثار التي يتذكرها الغرباء لا وجود لها عند اهالى البلاد لما انهم توغلوا في الجهل واستعبادا لحكام لهم وقد كان في آسيا الغربية نحو عشرين امة ارباب شهرة عظيمة وفخار والآن تنوسى امرهم واكتسى فخارهم القديم جلابيب الخمول والابهام وصاروا مجهولين وبسبب ذلك انغماس اهالى تلك البلاد في بحور الجهالات حتى صارت المواشي تدوس على قبور مشاهير هذه الارض مثل قبر اخيلوس وهقطور وقد زالت اسرة ممالك مثريداطس وانطيكوس كما انمحى رسم قصور بوبام وقريسوس وقل أن كان لاهالى ازمير معرفة بان اوميروس شاعر اليونان كان مولودا في مدينتهم ام لا وصحو الزمن في بلاد يونية لم ينتج لارباب الرسم والتصوير ولا لارباب الشعر والادب تخيلات عجيبة كما كان ذلك في سالف الازمان ومثل هذا يقال في شطوط نهر الاردن والفرات فانه قد انكسفت فيه شموس المعارف بظلام الجهالات وقد انمحى من تلك النواحي الحكم الجمهوري الذي كان في زمن موسى عليه السلام كما انه انمحى منها آثار مزامير داود وشعيا عليهما السلام فكان مزاميرهم صارت لا تسمع الحانها البتة الا بدين ودهر الداهرين وبعد ما كان في مدينة تدمر من العمران انقطع ذلك بالكلية وصار رعاة العرب يضربون خيامهم بها بقرب اعمدتها غير مكترثين بها حيث لا يشعرون بفخارها القديم وكذلك مدينة بابل تعلق القضاء والقدر بانذارها بمجازاتها حيث كانت حاكمة ظالمة لجميع بلاد آسيا فلم يبق منها الا آثار واهية يستدل بها على اسوار مملكة سامير اميس قال بعض السواحين ما نصه ذكر بعض ارباب الاخبار بالاشياء قبل وقوعها ان مدينة صور التي كان اصحابها ملوك لجميع الامم يؤول امرها الى ان تكون صخرا يبس عنده ارباب صيد السمك شبكهم واقتد ذهبت الآن اليها فوجدتها كما قال انتهى

ولكن لو تعلقت ارادة المولى تبارك وتعالى بان يهب لهذه البلاد التي كانت منبع النوع البشري ما كان بها في قديم الزمان من التمدن الشبيه بتمدن اوروبا الآن لوجدنا ساحل يونية كحاله الاول ذا بهجة وجمالة وبه جزائر رائقة المنظر ولرأينا شطوط بحر بنطس مظللة بالغابات التي لا فناء لها ولرأينا على البعد من هذه الشطوط سلاسل جبال طورس الكثيرة العدد المتوجة بالهضبات والنجود التي هي عينة هضبات اسيا الوسطى التي هي نجود كبيرة كما تقدم لنا ذلك ولرأينا ايضا نهري الفرات ودجلة يوصلان جليد ارمنية الى السهول المحرقة التي في بلاد الجزيرة المسماة المبسوط ميا واذا جلسنا على ظلال ارزلبنان لسرحنا نواظر نا في مروج دمشق وغيطانها وبالجملة فقد تغيرت بهذه البقاع احوالها واما الاراضي والكائنات فهي باقية على حالة واحدة في كل وقت واوان لم يعترها من التغيير والتبديل شئ فلهذا سأغ لنا انا في تخطيطنا هذه الاراضي نكمل ما نقص من تخطيطها لجهل اهل البلاد به اولعدم استيفاء السواحين له بان نذكر فوائد زائدة نفيسة فائت اهل البلاد والسواحين وقصدي انها اوائل الاقدمين وقد ذكرنا فيما تقدم تبعا لاسطرابونيس تخطيطا كاملا فيما يتعلق بالجغرافيا القديمة لهذه الاقطار ولنسترشد ايضا باسطرابونيس في مزيج المعارف المتفرقة التي تتركب منها الجغرافيا الجديدة لهذه الاراضي ولكن لما كان الاحسن في التخطيط ذكر اوصاف متنوعة مبسوطة وجب علينا ان نحمل تلك الاراضي بمقتضى سلاسل جبالها الاصلية وان نقصر نظرنا هنا على بحيثجزيرة آسيا الصغرى من غير أن نفصل عنها ساحل البحر الاسود المسمى بحر بنطس فنقول

جبال طورس على العموم

جبال طورس على اراء جميع الاقدمين تمتد من حدود الهند الى بحر ايجة وسلسلتها الاصلية تخرج من جبال ايمايوس جهة منابع نهر هندوس وهو نهر السند وتتعطف كثعبان عظيم بين بحر الخزر وبحر بنطس من احدى الجهات وبين منابع الفرات من الجهة الاخرى والظاهر ان كوه قاف داخل في هذا الخط على كلام باتياس ولكن اسطرابونيس حيث كان يعرف ذلك احسن من باتياس رسم السلسلة الاصلية من جبال طورس بين حوضات نهري الفرات والرس منها على أن سلسلة منفصلة عن كوه قاف تسمى جبال مشيك تتوجه الى الجنوب وتجتمع بجبال طورس وهذا الاجتماع ليس ايضا معروفا عظيم معرفة بمقتضى الاخبار الصحيحة ثم ان اسطرابونيس حيث كان مولودا في هذه الاماكن وسافر الى بلاد ارمنية رسم جميع اسيا الصغرى مع جميع ارمنية وخطط بلاد ادربيجان وكردستان ذاكرا انها مرتفعة جدا وعليها كاليل جبال

كثيرة يتصل بعضها ببعض فلا تنفصل الا انفصالا قريبا بحيث انها على مقتضى كلامه تعد كلها سلسلة واحدة قال هذا المؤلف مانصه ان ارمنية وادربيجان المسماة ميديا موضوعة على جبال طورس انتهى ويتراءى ايضا ان هذه الهضبة مشتملة على كردستان ومايتشعب منها من الفروع يمتد فى بلاد العجم الى حد البحر الكبرى المسماة بحر آكرمان من احدى الجهات ومن الجهة الاخرى الى منابع نهرى جيحون والسند فاذا اعتبرنا بهذا الاعتبار طورس الاكبر المذكور للاقدمين بان جعلناه هضبة لا سلسلة جبال جمعنا بين شهادة اسطرابونيس وبلنياس واخبار السواحين المتأخرين

طورس اسيا الصغرى

وثم سلسلتا جبال ينفصلان من هضبة ارمنية ويدخلان فى بحيث جزيرة آسيا واحدى هاتين السلسلتين تحصر فراش نهر الفرات وتتجاوزه بقرب ساموساته والاخرى تكون على حافة بحر بنطش وليس بينها وبين هذا البحر الا سهول ضيقة وهاتان السلسلتان احداهما معظمها جبال انطى طورس والاخرى هى الجبال المسماة عند القدماء باريادرة وعند المتأخرين جبال جلدير اوكادير تجتمعان وتتصلان معا بقرب الفرات بين مدن سيواس وتفات وقيسارية بواسطة سلسلة ارجيوس المسماة عند المتأخرين الآن ارجيس داغ والتى رأسها مستورة بالثلوج المستمرة ووجود هذه الامطار فى درجة عرض مثل عرض هذه السلسلة الجبلية يوجب ان يكون ارتفاعها من ٩ الى ١٠٠٠٠ قدم ووسط آسيا اشبه بعلوة متكئة من جميع نواحيها على سلاسل جبال وهذه الجبال عبارة عن مطالع هذه العلوة ومنازلها فهى وعرها وهنالك تمتد برك ماطية وانهر لا جريان لها وهنالك ايضا عدة هضبات صغيرة ونجود وقرخطط اسطرابونيس واحدة من هذه الهضبات وسماها سهل باغودينة فقال مانصه البرديسم فى هذا السهل الاشجار المثمرة من التفاح بخلاف اشجار الزيتون فانها اقصى بقرب سينوبه التى هى على شمال هذا السهل بثلاثة آلاف استادة وقد وجد سواحو المتأخرين ايضا سهولا كبيرة مرتفعة فى سائر داخل اسيا الصغرى فى الجنوب من ناحية قونيا اوفى الشمال من ناحية انجورا ولكن حافات هذه الهضبة بها اكثير من سلاسل الجبال التى تارة تحيط بالهضبة وتارة تمتد فى داخل السهول السفلى

السلسلة الجنوبية

وسلسلة الجبال التى تتفرع دفعة واحدة من جبل ارجيوس ومن جبل انطى طورس تكون على حافة قيليقيا القديمة شمالا (قيليقيا هى بلاد قرمانى) وتسمى هذه السلسلة باسم طورس وهذا الاسم معناه فى عدة السن جبل

طورس بالمعنى الاقتصارى

وارتفاع هذه السلسلة يلزم ان يكون عظيما فقد نص قيقرون على انه لا يمكن للعساكر ان تجتازها قبل شهر يونية بسبب مافيها من الثلوج وقد خطط ديودورس مع التفصيل الاودية والسعوب والمنحدرات الصعبة التى يجب العبور بها فى قيليقيا الى قبدوقيا ثم ان السواحين من المتأخرين الذين عبروا هذه السلسلة من جهة الغرب وسموها الاداغ جعلوها شبيهة بجبال اپنين وهموس وجعلوا جهة الغرب عدة فروع منها وبعض هذه الفروع ينتهى على شطوط البحر المتوسط الابيض مثل جبل كراغوس وجبل ماسيسيقطه عند الاقدمين الموجودين فى اقليم لوقيا وماعدا هذين الجبلين من الفروع هو اسفل من ذلك بكثير يمتد الى سواحل الارخبيل بقرب جزيرتى قوس ورودس

جبل امانوس

وعلى الشرق جبل امانوس المسمى الآن الماداغ وهو فرع منفصل من طورس ويفصل قليم قيليقيا من الشام ولم يترك الا ممرين ضيقين احدهما جهة نهر الفرات والاخر على البحر والاول هو ما كان يسميه القدماء الابواب الامانيقة والآخر كانوا يسمونه ابواب الشام وهذه الابواب الاخيرة مع مافى هذا الممر من الصخور المنحوتة الحسنة هى مازاره سواحو المتأخرين

سلاسل الجبال الغربية والشمالية

وثم سلسلتا جبال اخريان تخرجان من البحر الغربى من الهضبة الوسطى باسيا احداهما تسمى عند المتاخرين باباداغ وكانت عند المتقدمين كناية عن عدة جبال وهى طمولوس وموسوس وميبوليس وتنتهى جهة جزيرتى ساموس وساقز المسماة جزيرة المصطكى والاخرى تتوجه الى الشمال الغربى ورؤسها الشمخ من رؤس السلسلة المتقدمة فمن هذه الرؤس رأسا ايدا واولبس فى بلاد موسيا وهذان الرأسان مشهوران فى كتب التاريخ والناحية الشمالية من تلك الهضبة ترتفع جهة البحر الاسود ويتولد منها سلسلة الجاميس المسماة الآن جبال القس داغ وهى سلسلة جبال كثيرة الفروع التى تملا المسافة الداخلة بين جبلى سنغاريوس وهاليس وتبقى الثلوج مستمرة على رؤس هذه الجبال الى شهر اغسطوس الافرنجى

وفى سائر الجوامع الجبالية التى فرغنا من تخطيطها يظهر ان الصخور الكلسية هى الغالبة ثم ان الاقدمين كانوا يمدحون كثيرا انواع الرخام باسيا الصغرى ولكن من نهر سنغاريوس الى نهر هاليس لا تجد الا صخورا

الزلازل

صوانية وطباشيرية والحاصل لهذه الجهة جزيرة الظريفة عظيم الانزعاج بالزلازل فقد خسف بها مائتا قرية وقلعة

براكين مطفئة

طيبيرس ثلاث عشرة مدينة في يوم واحد وقد نبه الاقدمون على اقليم به آثار هيجان البراكين على وجه عجيب وهذا الاقليم يسمى كاكيكومينة يعني البلاد المحروقة فقال الاقدمون ان هذه الارض بها في غالب الاحيان لهب يخرج من الاراضي والعنب ينمو في ارضها المركبة من رماد انتنى وهذا الاقليم الذي هو مركز الارتجاجات البركانية الموجودة بايطاليا يجب أن يكون على شرق اقليم بثينيا ومتأخرو السواحين لم يزوروا ابدا هذا الاقليم

انهر

ومجيخ جزيرة اسيا الصغرى ليس بها الا انهر صغيرة قليلة وان كانت شهيرة جدا فالانهر التي تنزل من الجنوب الى جهة البحر الابيض المتوسط ذات مجار قليلة الطول عظيمة السرعة وذلك ان نهر برراموس بيلاد قرمانى المسمى الآن سيحون يعبر جبل طوروس بمروره في حلق زواياه متقابلة على وجه صحيح حتى انه يظن انها من اعمال الصناعة والتدبير وكذلك بحر ايجه يصب فيه انهرا كبر من نهر سيحون فمن هذه الانهر النهر الكثير الازورار والانعطاف المسمى سابقا ميندره ويسمى الآن نهر ميندر وهو نهر عميق وان كان عرضه هينا وهذا النهر يثقب في الغالب الاراضي المجاورة وينفذ فيها وقد كانت هذه الحادثة في قديم الازمان سببا للعادة غريبة وهي ان ارباب الاملاك التي يحصل بها مضرة المياه يقيمون دعاوى شرعية على هذا النهر بمنزلته بمنزلة المتعدي عليه فيعطى لهم ارش ما خسروا من اراضيهم بان يعوضوا بدله شيأ من مكوس الاشياء المارة فيه ومن تلك الانهر ايضا نهرا بقطولس وهرموس وهذان النهران يتدحرج فيهما شذرات الذهب التي لم يكترث احد بالبحث عنها في زمن اسطرابونيس وكذلك نهرا سمواييس وسكمندرس المذكوران في قصيدة اوميروس المسماة الياذة والانهر الكبيرة التي بآسيا الصغرى تصب في البحر الاسود فمن ذلك نهر سنكارا المسمى ايضا عند الترك أيالا وهو المسمى عند المتقدمين سنغاريوس ومن ذلك ايضا نهر برتين المسمى عند الاقدمين نهر پرثينيوس وهو يجري الآن كما كان يجري في زمن اسطرابونيس بين مروج مزهرة واراض مسطوحة نضرة ومنها ايضا نهر هاليس المسمى كزل ارماق ولم يذكر احد فرعه الجنوبي الا بلنياس وجعله نابعا من سفح جبل طوروس قريبا قيريا ومهتديا من الجنوب الى الشمال وقد رآه المعلم طورنيفرت بقرب مصبه فقال ان عرضه في هذا المحل كعرض نهر السين في باريس وليس له الا مصب واحد وان كانت الخرطات الجديدة على خلاف ذلك واما نهر يكيل ارماق الذي كان يسمى في قديم الزمان ايريس فانه بعد نهر هاليس في عظم مجراه بخلاف ما عداه من الانهر التي تصب في بحر بنطش فانها ليست شهيرة الا بسرعة انحدارها ونزولها

هاليس اوهالوس

بحيرات

وآسيا الصغرى بها كثير من البحيرات العديمة الجريان المشوبة بالاملاح وقد عرفتنا الجغرافيا القديمة بعضها فيما سبق في الجزء الاول في جغرافية ارسطو وبلنياس وهردوط وجغرافية المتأخرين ايضا دلت على نظير ما دلت عليه جغرافية المتقدمين وذلك ان البحيرة المذكورة في كتب المتقدمين باسم بحيرة طوزله هي في جغرافية المتأخرين عبارة عن سهل متسع مملوء بياور الملح وصخوره المرتفعة على هذا السهل وكذلك بركة اقشهر فانها على هذه الربوة بعينها فاذا جاوزتا قرية جبال طوروس ظهرت لنا ربوة اخرى بقرب بيشري وبها بحيرتان أخريان مياههما مرة صابونية وهذه المياه الفاقدة الجريان تدل على ان الاجزاء الوسطى من بحيجزيرة اناطولى بها ميل يسير

تبلر

ثم ان المتقدمين والمتأخرين من ارباب الجغرافيا مدحوا قطر آسيا الصغرى ومزاج اقليمها قالوا ان مزاج قطرها لين خالص نقي لا يوجد مثله ولا في الساحل الثاني من الارخبيل على جهة اوروبا وذلك لان حرارة الصيف بانا طولى تخف خفة كثيرة بكثرة سلاسل الجبال العالية واما مجاورة البحور الثلاثة فانها ايضا خففت تكاثف البرودة والظاهر ايضا ان آسيا الصغرى سميت باسم آسيا العمومي في زمن بقراط بسبب اعتدال اقليمها راطيبيته عن غيره قال بقراط لا يعرف في آسيا اختلاف الحر والبرد فان كلا من هاتين الطبيعتين يختلطان ويتداخلان ويصيران شيأ واحدا انتهى ولكن قد تكون سواحلها الجنوبية ذات حر ثقيل بخلاف سواحل بحر بنطش فانه قد يعتريها بعض الاحيان كثرة البرد والرطوبات وسبب ذلك أن بهذا البحر هو آكثيف كثير الضباب والغيوم ينتشر بهذا الساحل واذا خلى ونفسه يحاول السير جهة البرور

نولدات

ثم ان الاقدمين كانوا يعرفون اكثر من الافرنج مواد غنى آسيا الصغرى ولكن المتأخرون وصفوها باوصاف مزينة مروقة لكنها ناقصة وحاصل ذلك ان ساحل هذه الجيجزيرة يخرج منه نفير ما يخرج ببلاد اليونان الجنوبية

نباتات السواحل الغربية

وذلك لان شطوط نهر ميندره ذات الانعطاف وسواحل ساقز ورودس مزينة باشجار الزيتون والبرتقان والآس والغار والبطم والمصطكى والعرديب وكذلك اشجار العنب ترتفع على رؤس الاشجار ثم تنزل فروعا متشعبة

وحزمات مشتبكة فهذه المثابة تكون الكروم اشبه بكهوف ومغارات صغيرة من اشجار نضرة المنظر وبجانب ذلك اشجار الدلب شامخة على ذلك مظللة بظلها العظيم هذه الارض المستورة بالازهار الشذية الروائح بل واعالي جبال طوروس الباردة مكللة بتيجان من اشجار السرو والسندروس والعرعر واشجار الراتينج وشجر العفص منتشرا ايضا بهذه الجهة من بوغاز اسلامبول المسمى البوسفورة الى الشام والى حدود بلاد عجمستان وبداخل آسيا الصغرى سهول واسعة ليس بها الا نباتات مالحة مثل الاقسنتين المسمى بالشيبة ومثل الحشيشة المسماة المرعية وقويسة وسالبية وغالبا بجانب البحيرات المالحة الطعم القبيحة المنظر تمتد سهول اخرى يابسة ليست خضرتها الا نوعين من الرتمة احدهما يسمى سپارطيوم پنكيوم والآخر سپينوسوم وهذا الاقليم به الآن وفي سالف الازمان غذاء الحمير والاغنام واراضيه الجبلية يعتريها جهة الشرق حريقات تحت الارض وعلى البعد من هذه الاراضي الجبلية بسير تجد الارض غائرة تحت المياه الرواكد الباردة وعلى شطوط نهر الفرات يرجع الخصب فيظهر شجر العنب والزيتون واشجار الثمار واما سواحل بلاد القرمان فانها في مادة النباتات مثل اراضي الشام على سواحل البحر ويتصعد من اشجارها اصناف الصموغ الجيدة فشجرة الاسطيراش يخرج منها اللادنيوم (اللادن) وقد كان القدماء يجلبون من بلاد القرمان خشب العمارات البحرية وثم غابات اخرى ونباتات غير المتقدمة تستر شطوط البحر الاسود فاشجار الشاهبلوط واشجار التنوب المسمى بالراتينج هي الغالبة في الغابات والكثيرة فيها وهذا الساحل هو غياض القسطنطينية والقرم فقد تجد غابات كاملة ليس بها الا اشجار البندق والمشمش والبرقوق ولاسيما اشجار الكريز حتى ان اشجار الكريز سميت بلفظ الكريز من اسم مدينة كرازنتة والسهول المحتفة بانهر هاليس وسنغاروس وميندرة بها مراع عظيمة وكلأ جليل

ولم نقف الى الآن على معرفة اجناس المواشي الموجودة باسيا الصغرى وانما زعم بعض المؤلفين ان حيواناتها في هذا العهد ادنى جنسا من حيوانات اوروبا ولحوم البقر بها نادرة وغير جيدة ولحوم الضان احسن منها ولحوم المعز معتبرة لكثرتها ولكن المعز الموجودة بها شديدة قوية وسريعة المشي خفيفة فلذلك يستظهر انها من سلالة جنس معز قباد وقيا ومعز الكورة او انجورة شهيرة بطول ورقة اصوافها وكذلك قطاط هذه البلاد فانها طويلة الشعر دقيقته وقد نقل غزلان الشام وتذهب الى خلف جبال طوروس حتى انه يمكن ان تجتمع بها على نوع من الظباء تنزل من جبال كوه قاف وتسمى ظباء الايبش ثم ان الغزلان والايبش يعاديها تلك الارض من الحيوانات الشغال المسمى ابن آوى والذياب والضباع والدببة ولكن الظاهر انه لا وجود في آسيا الصغرى للاسد وشطوط نهر قيستره منتزه لنوع من الاوز يسمى طير الاردف وبعضهم يسميه العلجوم وشطوط الهلسپنطيش مستورة بطير الحجل وبالجملة فسائر انواع الصيد تكثر بتلك الارض التي هي مزروعة نصف زراعة وعلى جبال طوروس تجد الاوعال وهي الاغنام الوحشية

ولم يزل الى الآن على شهرته القديمة من معادن آسيا الصغرى معادن نحاس تقات وكوردية وكوتخانة الغير البعيدة من طرابوزان وجميع سلاسل الجبال المجاورة للبحر الاسود بها امارات نحاس جيد وقد اهمل استخراج معدن الزنجفر الموجود في اولغاسيس (لعله القيس) وكذلك اهملوا استخراج معدن ذهب لوديا واحجار بلور بنطش ومعدن مرمر الاقاليم الوسطى ورخامها المسمى قور اليطيقي ولا يعرف الآن علم معادن هذه البلاد ازيد مما كان يعرف في قديم الزمان فليراجع من اراد ذلك كتب قدماء الجغرافيين ففي كتاب اسطرابونيس ينبغي البحث عن تخطيط مغار قورو قيانوس فهو غار مذكور للقدماء ببلاد قليقيا (قرمان) وكذلك يبحث في ذلك الكتاب عن اراض بقرب بلدة هغسطيونة في اقليم لوقيا يخرج منها بخار يحترق وكذلك عن عيون المياه المعدنية المستجرة الموجودة في هيرابوليس وكذلك عن عدة امور تولدية من غرائب علم المواليد وقد ذكرنا غرائب مواليد هذه البلاد في الجزء الاول من جغرافية هذا الحكيم اليوناني وذلك لانه لا يمكننا ان نثبت من عدم نص المتأخرين عليها انها موجودة الآن على حالتها القديمة مع انه لا مانع من ذلك وانها موجودة على هذه الحالة بعينها فان الحكيم شندلر اثبت ما نقله اسطرابونيس في شأن العيون الحامية الموجودة بمدينة هيرابوليس المسماة پمبوك فوجد صخرا مستحدثا من التراب الابيض الذي رسب من هذه المياه وهذا الصخر شبيه بقطعة ماء عظيمة انجمدت دفعة واحدة وانعقدت او انها استحالت بغتة احجارا او بقرب ذلك ايضا المغار الشهير الذي شاهد الدماء تصعد اليه زمنه الدقيقة

وقد حان لنا الآن تخطيط الاماكن الاصلية من هذه الولاية التي خططناها بوجه عام ولنبتدء من شطوط نهر چاروق

الذى يجرى بسرعة وشدة ويسمى هذا النهر نهر باطوم وسماه دريانوس نهر اكيسيس وسماه بطليموس نهر ابسروس وهذا النهر هو حد ايالة طرابزندة اوطرابزان واول مدينة من مدن الترك بهذه الجهة تستحق ان ننبه عليها هى مدينة ريزة ويخرج منها الى غيرها كثير من قماش الكتان والنحاس المشغول والفواكه والاثمار

ريزة

ومدينة اوف ومدينة سرمينة مثل مدينة ريزة فى هذه التجارة ثم مدينة طرابزندة الشهيرة التى يسميها

طرابزندة

العثمانية طرابزان وهى المسماة فى قديم الزمان طرابزوس واهلها قبائل يونانية نزلوا بها من مهاجرى يونان سينوبس وكانت مدينة مهمة فى زمن الملك طرايانوس بل واشتهرت اعظم من ذلك فى تولية الملك يوسطنيانوس وقد كانت دار سلطنة اسسها فرع من نسل اليونان القسنيسية الذين كانوا بالقسطنطينية وسلب منهم المملكة سلطان العثمانية محمد الثانى سنة ١٤٥٢ ومع ان مدينة طرابزان قد فقدت رونقها القديم فلم تزل الى الآن معدودة من المدن العظيمة واهلها نحو ٢٠ الى ٣٠ الفا ولكن من بهامن اليونان لم يزالوا متشبثين بالخروج منها والطفشان الى غيرها ويخرج منها من انواع التجارة نحاس معادن كوشخانة وشمع العسل والجلود والفواكه ويسير من الحرير والانبذة وبهذا الساحل وهدتان يظهر منهما على التعاقب مدينتا طرابولى وكرازنطه وهاتان المدينتان يقتسمان مع طرابزان تجارتها والارض المجاورة لهاتين المدينتين يخرج منها الحرير واهل أونية المسماة فى قديم الزمان أونوه الموضوعة فى ارض مجدبة بها معدن شب يسعى صخر قيصر يشتغلون بالسفر فى البحر بالقرب من السواحل وهم يقطنون بهذه الملاحة سوآ فى مينات الروسية اوفى سواحل الاناضلة والمدينة القديمة التى كانت تسمى فى الاعصر الخالية اميسوس وكانت محل اقامة مثريداطس الاكبر هى الآن قرية صغيرة مسماة سمسون اوسموم وهى ذات مورد يخرج منها نحاس

كرازنطة

اونية

سمسون

تقات الذى ينقل الى البلاد الغربية وكذلك حرير اماسيا واقمشتها وفواكهها بل وقطن ادنا فيذهب بذلك الى بلاد القرم واذا صعدنا نهر يكل ارماق اوجكل ارماق الذى كان يسمى قديما نهر ايريس شاهدنا مدينة لها فضل عظيم على علم الجغرافيا وهى مدينة اماسيا التى هى وطن عالم الجغرافيا الشهير باسم استرابونيس وهى موضوعة بين صخور صعبة المرتقى ولكن ما حولها من الاراضى يخرج منه ثمار عظيمة وعنب ينتبذ فاذا بعدنا عن ذلك جنوبا فى واد منخفض ارتفعت لنا فى شكل علوة عظيمة مدينة تقات واهلها ٤٠٠٠٠ نفس يحتف بها غياض ورياض واعناب ودورها ذات دورين وكل بيت له حنفية وطرقها السلطانية حسنة التبليط وهذا شئ نادر فى تلك البلاد ويشتغلون فى هذه المدينة السختيان الازرق ويتجرون بها فى الحرير الذى يصطنعون منه الاقمشة العظيمة وكذلك يتجرون فى آنية النحاس والاقمشة المصبوغة التى تنقل من البصرة مع القوافل ومدينة تقات هى مدينة قوماناپنطيقا القديمة وهى من ايالة سيواس وقرية زيلة التى كانت تسمى فى قديم الزمان زيلا هى كعدة مدن من مدن پنطس موضوعة على تل مستحدث

اماسيا

تقات

ثم ان الجبال التى تمتد من تقات جهة طرابزان وتفصل حوض بحر پنطس من الفرات هى ذات اودية نضرة تظلها غابات شجر الشاهبلوط وفى هذه الاودية يعيش عدة قبائل اكراد رحالة تزالة معيشتهم الخلائية اشبه بمعيشة القبائل التى ذكرها زنفونس واسترابونيس وجعلها فى هذه الاراضى ولا مانع ان تلك القبائل الكردية هى من نسل هذه القبائل القديمة وقد تكلم الجغرافيون المتقدمون على قبائل تسمى الشيانية اوالاطزانية وجعلوها بهذه الجهة وقد بقى هذا الاسم مع بعض تحريف لبلدة تسمى الآن اقليم انشيانيق وجبال داخل هذا الاقليم فى رؤوسها حلقات من حديد ويقال ان اهل هذه البلاد يربطون فيها حبال السفن حين ترتفع مياه البحر الاسود وهو من غير سد فتصل فى ارتفاعها الى مساواة هذه الجبال وقد كان قدماء الخالبية المسماة ايضا خلدية يحسنون صنع المعادن واشتغالها فبقى هذا الاسم فى اهالى الجبال الذين يسمون الآن باسم كادير اوچلدير وهذا الاسم محرف عن اسم الخلدية المتقدم ذكره الذى هو مرادف لاسم الخالبية فهم ذراريهم

اهالى الجبال

واذا عبرنا نهر هالوس فانا ندخل فى مسلمية قسطامونى التى هى الآن بدل اقليم پفلاغونيا البحرية ومع ان هذا الاقليم الذى يسمى ايضا قسطمبول اهله اتراك فى قلاعه صناعات عظيمة فيشتغل فيه آنية النحاس واهله نحو خمسين الف نفس ومدينة پمپيوپليس القديمة التى مكثت مدة طويلة دار مملكة هذه البلاد ثم خربت وجهل مكانها بحث عنها الباحثون من الجغرافيين فوجدوها الآن وعرفوا انها القرية المسماة فى هذا العهد طاش كپرو ثم ان ساحل هذه الارض من نهر هالوس الى بوغاز البسفورة مكث مدة طويلة وهو مرسوم على الخرطات رسما تحريف وخاليا عن الصحة ولكن قد صحح خطأه وبين صوابه مسيو بوشمپ فالخليج الادعاى الذى كان مرسوما على الخرطة ومسمى باسم جون سمسون قد تعمى منها وقد كان المعلم دنويل رسم الساحل على خرطاته وجعله اميل عن الشمال بخمس درجة

قسطامونى

پمپيوپليس

غرائب تاريخية

عما هو عليه فى الواقع وقد عرف الآن ان هذا الساحل يرتفع فى الجملة جهة الشمال بدرجة خلافا للمعلم دنويل

سينوبه — وقبل الوصول الى رأس كرمبة التى هى الطرف الشمالى من آسيا الصغرى نجد فى طريقنا مدينة سينوبه التى هى مدينة شهيرة موضوعة على برزخ رمستورة شمالا بجزيرة وفى شرقيها مورد ذات عظمة ذات ترسخانات للعمارات البحرية السلطانية وهذه المدينة كانت عامرة فبطنشات الاروام منها واهلها نحو يزيدون عن خمسة آلاف نفس ويخرج منها الى غيرها الارز والتواكه والجلود والالواح وقد كانت فى سالف الزمان مشهورة بتجارة السمن والآن تلاشت

اينهولى — فيها هذه التجارة ومدينة اينهولى هى اسكلة قسطامونى يعنى ميناها ينقل منها الى غيرها خشب العمارات والخداس والقنب فامامدينة أمستروا التى كانت تسمى فى قديم الزمان امسطريس ومدينة هرقلية سابقا هرقلية فانهما لم يبق لهما الا مجرد الاسم

ثم ان بوغاز البسفور يفتح للاعين كأنه نهر نظريف على حافاته قرى وقصور ومتنزهات وحيث ينتهى هذا البوغاز

اسكودار — ترتفع مدينة اسكودار وهذه المدينة لولم تكن بمصاقبة القسطنطينية اعدت من المدن العظيمة النظريفة لكن وجودها بهذه المثابة اطفأ نورنخارها واهلها ٣٠٠٠٠ نفس وعلى اول خليج هنالك من بحر مرمرا المسمى

ايسنكميد — ايسنكميد البروبنطيدس نجد مينا المدينة ايسنكميد التى كانت فى قديم الزمان يقوم ديا التى باقليم بيثونيا وقدمات بتلك المدينة القديمة الملك قسطنطين وهى الى الآن مدينة عظيمة وليست كذلك مدينة ايسنك التى فى

ايسنك — موضع بقلة القديمة الشهيرة فى قديم الزمان بكونها انعقد فيها اول اجماع من الاجماعات النصرانية ولكنها الآن صغرت حتى صارت لاتبلغ الاماتتى بيت اوثلثمائة ولايسكنها الا اليهود ويشتغلون فيها والى الفخار ويتجرون فى الحرير وبحر

قوزيقس — البروبنطيدس يحتفه آثار شهيرة من آثار المدن القديمة التى اندرست فمن ذلك آثار قوزيقس وهذه الآثار الباقية لهذه المدينة تدل على صحة ماقاله المؤرخون من عظم وظرافة هذه المدينة التى كانت فى الاعصر الخالية احدى المدن التجارية الاولية ومما ينبغى التأمل فيه من محال هذه الجهات قلال جبل اولمبس المغطاة بالثلوج المستمرة ولوفى اثناء الصيف

برسا — وهذه الجبال بقلالها على شكل اهرام تمتد بسفحها مدينة برسا المسماة ايضا بروسة او بروسة والبالى لها اول مرة هو أنيبال وقد كانت دار سلطنة العثمانية قبل فتوح القسطنطينية واعظم ارباب الصناعات العثمانية من مدينة برسا وصناعها مشهورون ولاسيما قناطين هذه المدينة وبسطها والحرير الظريف الذى يحصلونه فى هذه المدينة بكثرة لايكفى فريقاتها بل يضم اليه جميع مايجلبونه من بلاد العجم ومدينة برسا الحقيقية موضوعة على ربوة مشرفة على ارض سهلة خصبة ينبع منها فوارات معدنية واهلها ٥٠٠٠٠ نفس وبها ١٤٠ مسجدا منهما مسجدان عظيمان وبها عدد كثير جدا من الحنفيات والسبل ومدينة برسا مينا ها مدينة مثنانيا المشهورة باسم مندانيا ومن هذه المينا يخرج الى البلاد مقدار عظيم من ملح البارود والنبيذ الابيض والفواكه ومايتحصل من المعامل والفبريقات

عدم التحصن والسياسة فى اناطولى — وقد حان لنا الآن ان نشرع فى تخطيط الاجزاء الوسطانية من اسيا الصغرى وان كانت غير معروفة للافرنج حق المعرفة لما ان اجتيازها خطر لما فيها من القبائل الاجلاف التركمانية التى يقال انهم لايحترمون المسافرين بلادهم بل يؤذونهم لعدم السياسة والحكم عندهم ولكن قد نشأ من عدم الحكم بهذه الناحية نوع من الترتيب والانتظام بها يعنى انه حصل فيها السكون والاطمئنان وعدم الهرج وسبب ذلك ان عشيرتين عظيمتين وهما آل بيت قرا عثمان اوغلو وآل بيت چابان اوغلو قد اكتسبتا على التدريج التزامات واسعة جليلة فى آسيا الصغرى فنظموها بالترتيب والامان وعدم الهرج ولكن صار الحكم فيها لهم وقامت دولتهم فيها مقام دولة الباب العالى فان امراءهم لايعترفون للباب العالى الا بالسيادة عليهم ان اتجهم ذلك فكأن هذا فضل منهم لاوجوب عليهم ثم ان ولايات قراعثمان الذى هو دره يكى يعنى امير الاودية تشتمل على موسيا القديمة ولوديا وحصة من ارض بيثونيا فهى من نهر سنغاريوس الى نهر ميندره وولاية چابان اوغلو هى كالدائرة فى اقليمى غلاطية وبثلاغونيا وهى محصورة بين نهرى سنغاريوس وايديس وباشا اناطولى الملقب بيكلربيكى اناطولى مقيم فى كوتاهيه وهو يحكم من البلاد على ماكان يسمى فى قديم الزمان فروجيا

كوتاهية — وعابر طريق بروسه من كوتاهية وقونيا فى ولاية قرمانيا يجتاز اصالة هضبة البحيرات المالحة البعيدة الخربان التى تكلمنا عليها فيما سبق ومدينة كيوتاهية هى قوتيوم القديمة وهى مدينة عظيمة مزينة بالمساجد والخانات والحمامات يحتف بها الحدائق والبساتين والكروم والمتنزهات وبها ماينيف عن ١٠٠٠٠ بيت والظاهر

قراحصار — ان اهلها اكثر من ٥٠٠٠٠ نفس وارضها خصبة يخرج منها فواكه عظيمة وكثير من العنص ومدينة قراحصار

شهيرة بزراعة الافيون وقد اختلف الجغرافيون وحقق بعضهم وكان كثير الاطلاع ان هذه المدينة هي ما كانت تسمى في قديم الزمان قسلينة ومدينة اق شهر مدينة عظيمة وهي على ما قاله دنويل ما كانت تسمى في قديم الزمان انطاكية ادبزديام وقال مرط القساوى انها في محل مدينة صوريوم اوطوريوم ولما كان الجبل مجاورا لمدينة اق شهر من جهة غربيها والارض المسهلة الخصبة الكثيرة الخنطة والثمار تمتد على شرقيها كان هذا مؤيدا لرأى الجغرافي القساوى فهو المعتمد في هذا المقام ومدينة قونيا التي هي ايقونيوم القديمة هي الآن مقر حكومة الباشا المستولى على الجزء الشمالي من قرمانيا واقليم قومانيا هو اقليم مشتمل على پغوليا القديمة وپسيديا ولوقونيا وعلى جزء عظيم من قپادوقيا وقيليقيا وتلك المدينة التي كانت عظيمة ومهمة حين كانت دار مملكة سلطان الروم ليس بها الآن من الاهل الا ١٥٠٠٠ او ٢٠٠٠٠ نفس وبها نهر صغير يذهب في البساتين التي حول المدينة وعلى شرقي المدينة تمتد برلة واسعة ومدينة قرمان التي سمي بها اقليم قرمان ليست بعيدة من منبع الفرع الجنوبي من نهر هاليس

قونيا

قرمان

فاذا انحدرنا في هذا الفرع من نهر هاليس لنقرب من مدينة انجورة فانا نجد في طريقنا مدينة اق سراى وكبير شهر التي على مجمع ايركوروس وكذلك نهر خوش الذي عليه الآن مدينة يقيدة فلا بأس ان يبحث السواح عن هذه المدن ويقابلها بالمدن القديمة فينظر هل اق سراى هي ارخيلايس وهل كبير شهر هي نزيانزوس الملقبة ديوقيصرا وهل نهر خوش اوشوش هو النهر الذي سماه بلنياس قپادوقة ولكن حيث كانت هذه الطريقة غير مطروقة كثيرا السواح الافرنج كان الغالب على الظن ان اجوبة هذه الاسئلة تمكث زمنا طويلا من غير تحقيق

مدن على اعلى هاليس

وهنالك طريقة معروفة اكثر من المتقدمة توصلنا من برسا اومن يقة الى تقات وهذه الطريق في خلال ولايات چاپان اوغلو العامرة التي مبدؤها مدينة بيزار على نهر سنغاريوس فاذا وغلنا جهة الشرق في ارض سهلة كثيرة الارتفاع شاهدنا انجورة والسبب في شهرة هذه المدينة وغنى اهلها دقة شعور معزها ويغلب على الظن ان اهلها ٨٠٠٠٠ وهم ارباب لين عريكة وأدب احسن من جميع اهل مدن اناطولى وطرقها عريضة ومبلطة بقطع كبيرة من احجار الصوان وبها آثار طريفة من آثار القدماء منها هيكل طريف شهير كان السبب في بنائه في قديم الزمان التشريف للقيصر اغسطوس فان تاريخ عظم مدينة انجورة من عهد هذا الملك الرومي فانها كانت قبله لاعظم لها وفي منتصف الطريق التي بين انجورة وتقات تجد مقر حكومة چاپان اوغلو المسماة مدينة يوزكاط التي كانت خربة ثم اقيت ولا زالت آخذة في العمار والزيادة التدريجية كل يوم

انجورة

يوزكاط

واذا صعدنا على الفرع الشرقي من كزل ارماق وهذا الفرع هو هالوس هردوط اواسطرابونيس وصلنا الى مدينة سيواس المسماة في قديم الزمان سبسطيا بنطش وهي الآن مقر حكومة باشا يمتد حكمه على جميع الولايات التي بين الفرات وايريس وجبل ارجيوس وهذه الولايات هي تحت حكمه ويجب له عليها الطاعة وان كان في الواقع ونفس الامر بعضها لا يطيعه بالفعل واختلف في عظم سيواس فمن السواحين من المتأخرين من جعل بها ١٠٠٠ بيت ومنهم من جعل بيوتها ٤٠٠٠ ولا يمكن لسواحي الافرنج معرفة ذلك على وجه الصحة ولا تيسر اتفاقهم على عدد بيوتها اصلا واياما سيواس اشتهرت مدا الايام باسم بلاد الروم يعني بلاد الرومانيين وبقاؤها على هذا الاسم انما هو من باب الصدفة والاتفاق او العناية الالهية

سيواس

وحوض هاليس الشرقي يتصل من ناحية الجنوب بالحوض الذي يجرى فيه نهر قراسو يعني النهر الاسود وهو المسمى عند الاقدمين ملاس وفي اعلا هذا الوادى نشاهد مدينة قيصرية اوقيسارية وهي قيصرة القديمة اى قيصرة قپادوقيا وهي مدينة كبيرة في حضيض جبل اردهيس ثم ان سواحا من السواحين رفض الناس ما قاله وضعفوه وجد حوالى مدينة قيصرية جبالا منقوبة كهوفا مخوتة والظاهر ان هذه المغارات كانت بيوتا يسكنها اهل هذه البلاد في الصيف وسكنى الجبال في الصيف كانت موجودة عند كثير من امم الاقدمين فكلام هذا السواح في هذا الشان يمكن تصديقه كله ولكن يصعب ان نصدق بالكلية ما حكاه هذا السواح من وجود ٢٠٠٠٠ هرم صغير ذات ابواب وطاقات وانه رآها بعيني رأسه ليست بعيدة من قيسارية وعلى القرب جدا من ايرقوب انتهى ويمكن ان يقال ان هذا من باب المبالغات في العجائب وان كان له اصل صحيح فانه لا ينبغي لنا ان نرفض جملة واحدة جميع ما يظهر لنا انه من الغريب الذي لا يصدق به عقلنا لجواز أن يكون لبعضه اصل صحيح ومعنى رجيح

قيسارية

غرائب حوالها

والارض التي على حافة ملاس (قراسو) بها القبائل رحالة نزالة من التركمان مراع خفيفة هينة حتى ان القرى

بها شبه بواحات فى وسط الصحارى ولكن اذا قربنا من نهر الفرات فانشرح النظر فى منتزه حدائق وبساتين ورياض وغيطان وباقات من شجر الحور بجوار مدينة ملطية التى كانت قديما مدينة ملطينة وهذه المدينة بها نحو ١٢٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ بيت وهى اشهر مدن ارمنية الصغرى وارمنية الصغرى كانت فى الاعصر الوسطى طريقا يجتازها التجار للتجارة الواقعة بين اوروبا والهند وفى عهدنا هذا لم يسلكها من الجنوب الى الشمال من ارباب السفر الا سواحان فقط ولذلك كانت من جملة الاراضى المجهولة الحال للافرنج ومن المعلوم انا اذا ذهبنا من ملطية الى مدينة اياس وهى ايسوس القديمة لزمنا ان نجتاز اقليما صغيرا يسميه العثمانية دلكادر ايلى وهذا الاقليم يحكمه باشا مقيم فى مدينة مرعش ثم ان الجغرافى دنويل جعل هذه المدينة على الجنوب الغربى من جبل امانوس وارادبذلك ان يجعلها فى محل جرمانيقيا القديمة فشاهدها بعض السواحين فرآها فى الشمال الشرقى من هذا الجبل وعلى مرأى من نهر الفرات

مرعش

ساحل قرمانيا

واقليم قيليقيا الذى هو ساحل قرمانيا ليس معروفا حق المعرفة بل هو فى معرفته مثل ارمنية الصغرى تقريبا ثم ان كلام اسطرابونيس واوطر يدل على ان اغلب انهر هذا الساحل تنبع من شمال سلسلة طوروس فتخرج من هذه الجبال بواسطة حلوق ضيقة والهضبة التى تتولد فيها هذه الانهر بين طوروس وانطى طوروس هى فى معظمها عبارة عن اقليم قطاونيا القديم وفى هذه الجبال يبحث اهل قرمانى الرحالة النزالة بل واهل انقرى عن السكنى بها صيفا ليتقوا حر الشمس الذى يؤذى شطوط البحر واعالى هذه الجبال عليها كاليل شجر الارز وشطوط البحر مغطاة بغابات كاملة من شجر الغار والآس ومن مدن هذا الاقليم مدينة ادنا التى هى مقر حكومة باشا ومدينة سيس التى كانت دار اقامة ملوك ارمنية الصغرى وهاتان المدينتان ليستا مهمتين كثيرا ومدينة

طرسوس

طرسوس التى كانت فى قديم الزمان منافسة فى العلوم لمدينة اثينا ومفاخرة لمدينة اسكندرية ليست الآن الا قرية صغيرة ولكن مياه قودونوس الطرية التى كانت خطرة على اسكندر الذى كانت همته لا تكل وجهده لا يمل لم تزل الى الآن تسقى هذه السهول الخضرة النضرة التى نقش فيها نردانا بالس فى اسفل تمثال مصور هذه الحكمة تمتع بلذات الحياة وغير ذلك كالعدم واقليم قيليقيا الملقب طراخيا يعنى خلاها والآن اقليم يسمى ايجل وهو من حكم متسلم قبرص وباشا كوتاهية مستول على اقليم تكية وهو ساحل يغوليا القديمة

ستاليا

ولوقيا ومدينة ستاليا على جون خطر فى اسفل غابة برتقان وليمون شهيرة بالتجارة واهلها البالغ من ٣٠٠٠٠ نفس وعلى السواحل المبتهجة المنظر التى لبلاد لوقيا نشاهد آثارا طريفة باقية من مدينة يقال لها ميرا اومورا

كاداما

وتسمى الآن فاقاما وهذه الردوم تدل على سعادة عصر ادريانوس اوطرايانوس وذلك لان مبانى النقر بوليس

اسبرطة

يعنى المقبرة لها منظر فى حد ذاتها يشبه منظر مدينة كاملة وفى داخل اراضى لوقيا حيث كانت مدينة بيسيديا القديمة بقى بالصدفة والاتفاق اسم سبرطة او اسبرطة لمدينة عامرة اهلها اتراك وهذه المدينة بقية من مدينة سغاليسوس القديمة التى كانت تفتخر بان اصل اهلها يونان من اهالى لقدمونة (اسبرطة) وبقرب اسبرطة العثمانية آثار عظيمة من آثار سغاليسوس وهذا الاقليم يقل اجتياز الافرنج به وهو ربوة ذات بحيرة واحدة او جملة بحيرات ومياهها تجرى من نهر دودن وهذا النهر كثيرا ما تذهب مياهه فى الملهاوى التى تحت الاراضى الشبيهة بالجب او بالمخادع

السواحل الغربية

واما السواحل الغربية من آسيا التى يتردد اليها ارباب الاسفار اكثر من ترددهم الى الجهة المتقدمة فان بسط الكلام عليها يحتاج لمجلد كامل فقد كان بها فى قديم الزمان الفنون والعلوم الادبية مزينة لمدن اقاليم دوريدة وايونية وايوليدة وبها الآن الآثار المحزنة لمدن هالوقرناسة وميليطة وافسوس التى هى مدينة اهل الكهف وهذه

آثار افسوس

الآثار يقف عندها المتعجب المشتغلين بالبحث عن آثار القدماء قال بعضهم ان آثار افسوس على الجنوب الغربى من مدينة ايسالوك انتهى واذا كان هذا الامر صحيحا وكان تحديد افسوس قد عرف فان تحديد محل هيكل ديانة الشهير بهذه المدينة لم يعرف الى الآن ولم يقف على معرفة هذا الهيكل الحكيم شندلر ولا المهندس شوازول نحو فير ولا مانع من ان من اراد ان يبحث عن آثار هذا الهيكل فانه يجدها فى شمال ايسالوك فى السهول المسبخة التى يسقيها نهر

آثار ميليطة

قيسترة وايسالوك تشغل اول محل من افسوس قبل اينية لوسياق ولا يعلم ايضا الى الآن محل ميليطة القديمة وقد عثر السواح اسبون فى مدينة بلنسها على كتابات ونقوش فيها اسماء المليطيين فظن انه وجد آثار

جون لطميانوس

محل مدينتهم القديمة فطابين الحكيم شندلر هذا كلام اسبون بحث بلاطائل عن جون لطميانوس بهذه الجهة وعن مدن موس وهرقنة وغيرهما من المدن التى على شطوط ذلك الجون وقد توهم هذا الحكيم ان ذلك الجون

هو الآن عبارة عن بحيرة اوفاباسي فان الاراضي الواطية التي فصلت هذه البحيرة من البحر متجمعة كالقيوف بواسطة نهر ميندرة وهذا المذهب الغير الواضح الاصل هو ايضا معترض الاس كما نبه على خدشه واحد من علماء النفساوية حيث اعتمد ان آثار بلنسها المتقدمة انما هي آثار مدينة موسوس وهي مدينة صغيرة مختلطة بمدينة ميليطة حتى ان اهالها يلقبون بالميليطيين وقال هذا العالم النمساوي ان بحيرة اوفاباسي هي التي تحدث عنها بوسانياس من هبوط بقرب موسوس فآثار ميليطة وجون لطميانوس يلزم البحث عنهما على البعد من ذلك جنوبا وغربا ولكن ما صححه به بعض البارعين في الجغرافيا من الفرنساوية مذهب شندلر في هذا العهد والخرطات الظريفة التي رسمها شوازول غوفير كل هذا يؤيد انه حصل هنالك قيوف تجمعت في ازمان متأخرة عن الازمان التي ذكرها اسطرابونيس وبوسانياس فان بحيرة اوفاباسي يظهر انها الجون القديم المسمى لطميانوس وعلى كل حال فآثار ميليطة يلزم ان تكون ابعد غورا من بلنسها وهذه المسئلة النافعة في الجغرافيا لم تزل غير واضحة كما هو الظاهر

مدن جديدة

وهذه الاقاليم الظريفة مدنها الجديدة قليلة الجدوى وذلك ان مدينة ملاسو بها آثار كثيرة من مدينة مولاسا القديمة ومدينة كوزل حصار هي المدينة التي كانت تسمى مغنيسا على نهر ميندرة وهي الى الآن ذات تجارة عظيمة وما صعد بعض السواحين المتأخرين الوادي العظيم المنظر وهو وادي نهر ميندرة رأى آثار المدينة العظيمة الغنية المسماة سابقا لاوديقة معمورة بالخراب لا انيس بها ومدينة تيرة ذات فبريقات وورش عظيمة والمينا الضيقة المسماة مينا سقلانوفا هي مطروقة جدا وهذه المدينة التي تشبه ان تكون عوضا عن مدينة افسوس هي على علوة بمساجدها المملوءة من ظريف اشجار السرو

ازمير

تجارة هذه المدينة

وملكة مدن اناطولي وهي ازمير هي دائما ممثلة مقاومة لما يعتريها من الحريق والزلازل وقد خربت عشر مرات واقيمت عشر مرات واكسبت فخارا جديدا وهي بواسطة وضعها كالمركز وبجمال مينا ها تجذب اليها جما غفيرا من تجار جميع الامم بحرا وبرا بالقوافل والتجارة التي تؤخذ من ازمير هي الحرير واصواف المعز والابل والقشة القطن والشاش المزركش بالقصب والتلي والسختيان والسير نجك الملون واقشة الصوف والشمع والعفص والزيب الفورنتي وكثير من العقاقير مثل القانوشق المسمى القنة والراوند والعنبر والمسك وحجر اللازورد وعدة صموغ مختلفة ويبحث في ازمير ايضا عن البسط والسجاجيد المختلفة النوع وعن اللؤلؤ والالماس والزمرد والياقوت وغير ذلك من الاحجار النفيسة وبالجملة فازمير هي مركز تجارة بلاد المشرق وهي عرضة للطاعون واهلها ١٢٠٠٠٠ نفس

بقية السواحل الغربية

ومن نهر ميندرة الى بحر البروبنطيدة تجد في البلاد حسن الترتيب والراحة للاهل والنجاح في البلاد وهذا مما يدل على تمام عقل عشيرة قراعثمان وحسن تدبيرهم فان هذه العشيرة منذ ستين سنة تحكم هذه الاراضي كانهم بها ولاة لهم فيها تصرف مطلق وذلك ان ارباب الزراعة يبذرون ويحصدون وهم في الراحة والسكون من غير فتن وقيام حرب وللاروام في اقليم ايوليدة القديم مكاتب يونانية يقرؤون فيها كتب اوميروس الادبية وكتب توقوديدس والتركمان المخيمون بقرب منابع نهر هرموس المسمى الآن سربات دأبهم الزراعة ثم ان مدينة الملك قريسوس التي كانت دار اقامته وان كانت الآن قد وضع محلها قرية سرت وصارت لا تعرف انها هي لحقارتها وذهاب رونقها فليس مثلها غيرها فان ثم مدنا اخرى كانت مثلها لم ترل باقية بها الى الآن خيال رونقها القديم وذلك لان التجارة لم تزل ذات رونق وبهجة بمدينتي مغنيسيا وفيلدلفيا المسعاة عند العثمانية الاشهر والزراعة الكثيرة للقطن الظريف باسيا مزينة لمدينة اق حصار وهي ثياطيرة القديمة وكذلك مدينة قرق اغاج وهي مدينة جديدة ومدينة برغامو التي في محل برغامة القديمة ذات آثار وبقايا جليلة ومدينة فوقيا التي هي في محل فوقة القديمة لم تزل الى الآن بمبناها العظيمة والبحيرة الصغيرة التي هي المملكة القديمة التي كان صاحبها الملك پرياموس قد شاهدها بعض سواحي الافرنج واختبر حالها مع كمال الدقة في عهدنا هذا وقد عرف جريان نهري سمواس وسيقصندرة وقد عرفوا أن طروادة القديمة التي سماها اوميروس مدينة هيوم كانت مرتفعة على تل عليه الآن قرية بونارباشي واما مدينة هيوم التي كانت في زمن اسطرابونيس فانها كانت اقرب للبحر من هيوم اوميروس وكذلك مدينة هلسبنطش فانه قد بحث عن آثارها ثانيا بحثا جديدا وآثار ابودوس القديمة ابعد شمالا من الحصن الذي كان يسمى في قديم الزمان حصن آسيا وهي حصن غير منيع والمحل المسمى لمساكي انما هو ضاحية من ضواحي مدينة لمبساقوس التي آثارها قد عرفت عن قريب في جردق

مدن على نهر هرموس وقيقوس

محل طروادة

وقد تممنا الكلام على بحيثجزيرة آسيا الصغرى فلندخل البصرة ونبحث عن سلسلة الجزائر التي تحفها جهة الغرب فان كل صخر بهذه الجزائر له تاريخ وكل جزيرة لها عصر عزوهنا آلها خول رجال وارباب قرائح وعقول في اقصى

درجات الكمال

جزيرة تندوس ومتلينا

وجزيرة تندوس الى الآن مفتاح الهلسبنطش وقد سماها العثمانية بكجا الطاسى ومن هذه الجزيرة الكثيرة النبيذ نصل الى جزيرة متلينا وهى جزيرة كانت تسمى فى قديم الزمان لسبوس وحول الخيرات الصغيرة القريبة من هذه الجزيرة مضبات كثيرة النخيل والزيتون والجبال التى بداخلها مغطاة باشجار المصطكا المسماة بالكمكام و باشجار التربنتين وهو البطم و باشجار الصنوبر والحلبى وصنوبر الحمام و باشجار اللادن وتجد ايضا بهذه الجزيرة الغدران والجداول تجرى تحت ظل اشجار الدلب ثم ان انبذة هذه الجزيرة وتينها ونساءها لم تزل على كمال حالها المشهور من قديم الزمان فى التواريخ واهلها ٢٥٠٠٠ منهم ٨٠٠٠ فى مدينة قسترو

ساقز

ولا نعرج اصلا على رأس قرابوروم ولا نحل بساحة سكانه الاجلاف الخشنين وانما ننزل بجزيرة ساقز التى كانت تسمى سابقا جزيرة خيوس وتسمى جزيرة المصطكا لانها امتازت عن غيرها بهذه الشجرة ولعظمها بذلك كانت التزام ام السلطان العثمانى الملقبة السلطانة الوالدة ولهذا كان لهذه الجزيرة نوع حرية واستقلال وصارت بما فيها من البراعة والصناعة كانها بستان عظيم مع ان اكثرها احجار صوانية او كلسية واهلها على ما قاله الحكيم اقلوير نحو ١١٠٠٠٠ ومعظمهم اروام منهم ٣٠٠٠٠ مقيمون فى المدينة التى هى قاعدة الجزيرة وتسمى باسمها ايضا فيقال مدينة ساقز وفى جميع نواحى الجزيرة تفوح روائح اشجار الليمون والبرتقان والاترج فتعبق فى الهواء وتطيبه بها ايضا يسير من اشجار التين والرمان واما الورد فانه بها اكثر من وجود ونوار الشولة بغيرها من الاماكن ويزرعون فيها الشعير والزيت ويستخرجون النبيذ الممسك وبها القطن ودود القز بل قد توصل اهلها بمهارتهم الى تقليد اقمشة الفرنساوية المشغولة فى مدينة ليونة والاقمشة الهندية ونساء ساقز ربات جمال مثل التماثيل اليونانية ولكن يتغير جمالهن بملابسهن المضحكة

ساموس

وبعد مجاوزتنا جون اسقلانوا ندخل مينا وانى فى جزيرة ساموس التى هى اصغر من ساقز بنحو النصف واهلها على ما قيل ليسوا الا ١٢٠٠٠ نفس ولكن ارضها خصبة جدا فيخرج بها العنب الطيب الرائحة والبرتقان ونباتات الزيوت والحرير وفيها رخام ظريف وبجزيرة ساموس للمتولعين بآثار القدماء آثار عظيمة من هيكل يونون وهذه الجزيرة من دون جزائر بحر الروم شهيرة بوحاشة نسائها ومدينة مغلوخورى او مكاوشورى هى بندرها الآن وجبلها المسمى جبل قرطيس لم يزل الى الآن تغمره الثلوج مدة معظم فصل الصيف

نيقاريا

وتمر امام جزيرة نيقاريا وهى جزيرة كثيرة الخشاب العمارات وان كانت مجدبة بالنسبة لما عدا ذلك واهلها اروام وهم قليلو العدد ارباب فقر وكبريزعمون انهم من ذرية الملوك القسطنطينيين ولا يناموا بدا على فراش ولو كان لهم قدرة على ذلك وكما اختصرنا الكلام على هذه الجزيرة نختصر الكلام ايضا على جزيرة بتموس فنقول ان بعض اهلها خططها بانها كثيرة النبيذ والحنطة والتين مزينة باشجار السرو والمشمش البرى المسمى القطاب ومملوءة بخوسع عشرة قرية ولكن منذ مدة ضعف امرها وتعب حالها وكذلك جزيرة ليرو وجزيرة قالياتة وبها يخرج العسل الجيد وكذلك عدة جزائر اخرى متتابعة فى شمال ساموس ومنها نصل الى منشأ بقراط الحكيم وهى جزيرة قوس التى حرف اسمها الى استنكو وهذه الجزيرة كثيرة الليمون والاسفندان المسمى شجر العرب وقد يسمى باسم هذه الجزيرة باللغة اللاطينية نوع من حجر البلاط يسمى حجر المسن

بتموس

ليرو الخ

قوس او استنكو

رودس

وبمصاقبة اطراف آسيا جهة الجنوب الغربى جزيرة رودس الشهيرة فى قديم الزمان بقوانينها الخمسة واحكامها المستحسنة وقد اشتهرت ايضا هذه الجزيرة فى القرن الرابع عشر والخامس عشر من تاريخ الافرنج بانها مقام طائفة سنت جوان داورشليم يعنى طائفة مارى يوحنا المقدسى وهى طائفة تحارب للحماية والذب عن بيت المقدس وهذه الجزيرة قليلة الخصب بالنسبة للجنوب ولكنها ممدوحة الثمار كما كانت فى قديم الزمان وشمعها ممدوح ايضا كعسلها ويؤخذ منها لغيرها الصابون والسجاجيد العظيمة وقماش الصوف الرفيع وقاعدتها مدينة تسمى ايضا رودس وهى على منزل تل بمصاقبة البحر ومحيط هذه المدينة فرسخ واحد ومنظرها مبتهج لانك تبصر فيه اشياء متنوعة وممتزجا بعضها ببعض وهى البساتين والحدائق مشوبة بالمنارات الاسلامية والابراج والكنائس المسيحية ومدينة رودس من اعظم حصون العثمانية وهى ذات ميناطيبة ومدخل ميناها محصور بين صخرين وعليه برجان لمنع العدو من الدخول والتمثال العظيم الشهير المصطنع من النحاس الاصفر الذى كان ارتفاعه مائة وثلاثين قدما لا يظهر انه كان موضوعا داخل مدخل هذه الميناء العظيمة بل يظهر ان محله هو الاحجار المرصوصة التى تفصل هذه الميناء من الميناء الداخلية التى كان بها سفن طائفة مارى يوحنا المقدسى المتقدمين

واما السواحل الجنوبية من اسيا الصغرى فانها قليلة الجزائر جدا بحيث يمكن ان يقال انها خالية عن الجزائر في الجملة وذلك ان قيام جبال طوروس بهذه الجهة منتصبة يجعل هذه الجبال مضايقة للبحر وحاصرة له بقيوفها الضخمة وثم خلجان ضيقة تفرز منه بعض جزائر صغيرة صخرية مثل قسطلروسة فانترك رأس خليدوني اوشليدوني ورآ ناظهر يا ونتوجه الى مينا مدينة بافوس في جزيرة قبرص ثم ان بعض المتأخرين يسمي تلك المدينة باسم بفا وكانت تسمى ايضا امانثوسة فحرف بعضهم هذا الاسم وسماها لياسول وقد كانت ايضا هذه الجزيرة مدينة سلامينة فخسفت بزلزلة وقعت فيها وقد وجد آثار مسماة بهذا الاسم ولما كانت هذه الآثار قريبة من نهر بديوس وجب ان تكون هذه الآثار من آثار مدينة قسطنتيا التي بناها الملك قسطنطين وليست من سلامينة في شيء ولكن ظهر بهذه الجزيرة مدن اخرى ابطلت الاولى وعظم امرها ايضا فمنها مدينة الافقسية التي يسميها بعضهم نيقوسيا وهي في مركز الجزيرة وقاعدتها ومقر الحكومة بها وبهذه الجزيرة ايضا فماقسطة ولرنيقا وقريه سالينة وهذه الثلاثة ذات تجارة هينة وقد ذكرنا في الجزء الاول خصوصية هذه الجزيرة تبعا للقدما والمتأخرون ايضا ذكروا مثل كلام المتقدمين تقريبا فيما يتعلق بتخطيطها ثم ان الثلوج التي تنتشر مدة طويلة على جبل اولمپس المسمى الآن جبل سنت كرواش تجعل بهذه الجزيرة بردا قويا وهذا البرد الشديد يجعل حر الصيف فيها لا يطاق واعظم ما يخرج منها الآن من خيرات الارض القطن ومنها ايضا تؤخذ التربنتينة وهي البطم واخشاب العمارة والبرتقان ولاسيما نبيذها والازهار التي تستدعى ببلاد الافرنج تعبا في صحتها تخرج بهذه المدينة من غير مشقة مثل السنبل والخزاما وشقايق النعمان بانواعها والنرجس البسيط والمطبق فتجد هذه الازهار مفروشة كالبسط على اراضي الجبال حتى ان الخلاء تجده كله كأنه روضة عظيمة متسعة ولكن الزراعة بهذه الجزيرة ليست مخدومة اصلا بل مهملة وبهذه الجزيرة بعض اقاليم صغيرة رديئة الهوآء بسبب جهل اهلها طريقة اجرآء المياه وتوزيعها وظن بعضهم ان هذه الجزيرة انما سميت قبرص بسبب كثرة نحاسها وغير ما فيها من معدن النحاس كان بها في الزمن السابق الذهب والفضة والزمرد والحجر الذي يسمونه الماس بافوس انما هو حجر بلور يوجد بقرب هذه المدينة وينقل من هذه الجزيرة ايضا حجر القيلة وحجر اليشب الاحمر ونوع من التراب يسمى تراب الظل

واهل قبرص من اجناس البشر الظريفة ونساؤهم اللواتي لا امان لجور عيونهن على المتأمل في جمالهن يحفظن دائما قضاء شهواتهن ولا يبخلن بجمالهن فهن آمن الامناء على توفية حظوظ العهر والفجور فكانهن على عهد من سلف من امهاتهن في نذرهن فروجهن لصنمة الجمال المسماة الزهرة وهذه الجزيرة كانت في قديم الزمان تسع ممالك كل مملكة منها ذات مدن عامرة وربما كان اهلها في قديم الزمان نحو مليون على ما يظهر من كلام الجغرافيين فليس اهلها الآن الا ٨٣٠٠٠ ثم ان سلطان العثمانية يقطع دآئما هذه الجزيرة للصدر الاعظم من وزرآئه في نظير المنصب والوزير الاعظم يعطيها للمسلم الذي يدفع اكثر من غيره وقد كانت قبرص من مملكة الرومانيين المشرقية فحين ضعفت هذه المملكة المسماة مملكة الشرق تغلب على جزيرة قبرص ريشارد الاول ملك انكلترة فاعطيت لبيت لوزنيان التزاما انكليزيا في نظير خسارة كرسي مملكة القدس وفي القرن الخامس عشر من الميلاد انتهى امر الجزيرة أن صارت ورائة لبنت من بيت لوزنيان فنزلت عن هذه الجزيرة للبنادقة وفي سنة ١٥٧٠ من الميلاد فتح العثمانيون هذه الجزيرة واخذوها من يد النصارى البندقيين وقد تزوج امير من امرآء سردنيا من بيت سبوى بنت امير من امرآء لوزنيان فلهذا تجد ملوك سردنيا من دون ملوك الافرنج يزعمون ان تيجان مملكتي قبرص والقدس من حقوقهم دون غيرهم من الافرنج

وهنا تم تخطيط آسيا الصغرى وما جاورها من الجزائر وقد لزم كون هذا التخطيط مختصرا لما ان المسافات العظيمة المجهولة الحال او المعروفة بمجرد اخبار المشرقيين بمجرد الاخبار التي لا تجدي فائدة تفصل الطرق التي يجتازها الافرنج وهذه الطرق ليست كثيرة ولا متنوعة حتى ان تخطيطها الآن يفيد تخطيطا مثل تخطيط الاقدمين لها المأخوذ من كتب اليونان والرومانيين وانما يسهل لنا ان نطيل في تخطيطها عند ذكرنا الامور المشاهدة التي عهدت غير مرة في الايام المختلفة الساكنة بهذه البقعة الظريفة فان اطنابنا في هذا يكون في محله واليونان والارمن الساكنون بالمدن التجارية تذكرهم حين تخطيط الولايات التي خلعت اسماءها عليهم والاكراد والتركمان ارباب القبائل الرحالة النزالة في الجانب الزراعة في غير الغالب والذين هم منتشرون في داخل آسيا الصغرى نذكرهم ايضا في مبحث لهم بخصوصهم واما العثمانيون وقوتهم واحوالهم المدنية فلا ينبغي لنا ان نبحث عنهم الا بعد تمام تخطيط عثمانية آسيا والفراغ

قسطلروسة
قبرص
مدن
تولدات
اهالي
عدة اهلها
تنبيه تاريخي

من ذلك بالمرة

فلم يبق انما الآن الامقابلة التقسيمات القديمة بالجديدة وهو عمل صعب تسأم منه النفس ولكنه مفيد لمن يطلع على كتابنا هذا فانه يجد في الجداول الآتية منافع عظيمة في الجغرافيا

جدول مقابلة المعاني المترادفة على لفظ آسيا فقط وعلى لفظ آسيا الصغرى

آسيا * اواسيس * اقليم من ولاية لوديا		هو كورة داخلة بين جبل طمولوس * وجبل ميسوجيس * ونهر قيستره *
اسيا قسم من اقسام الدنيا	اسفل اسيا	بنطش * بلاغونيا * بوثينيا * لوديا الخ * فروجيا * قبادوقيا * قيليقيا * سوريا * اوالشام * (عربيا)
	اعلا اسيا	قوقاسيا * ارمنية * ميسوبوتاميا * (الجزيرة) ميديا * (ادربيجان) * بلاد العجم الخ الخ اتقوثيا هندستان
مملكة اسيا (المسماة ايضا مملكة برغامسة)		موسيا * فروجيا * لوقاونيا * لوديا
اسيا * اقليم برطريانى * وبعد ذلك قنصلى		موسيا * لوديا * يونية * قاريا * فروجيا
اسيا الحقيقية		بعض الاحيان مرادفة لآسيا البرطريانية * وبعض الاحيان فى الاستعمال المتداول على الالسن تطلق على جميع البحيجزيرة الى حد نهر هالوس * والى جون طرطوس *
اسيا * ديوقيسة * فى مملكة قسطنطين		آسيا البرطريانية مع لوقيا * وپخوليا * الا السواحل الغربية
اسيا پريفنصلية فى ذلك الزمن اى زمن قسطنطين		السواحل الغربية من راس لقطوم الى حوالى مدينة * ملطية
اسيا الصغرى فى القرن الرابع من الميلاد		جميع البحيجزيرة التى تسمى الآن اسيا الصغرى

﴿جدول سهل الماخذ فى تقسيمات آسيا الصغرى﴾

١ تقسيم آسيا تبعا للتقسيمات الشهيرة المتداولة بكثرة عند اليونان

اقسام كبيرة اوائلية	اقسام ثانوية اى اقسام الاقسام	مدن اصلية اوامهات المدن
موسيا	موسيا الكبرى	برغامة
	ثيوطرونيا	
	ابوليدة	قومه
	سواحل البلسجة واللياجة الخ	ادرامطيوم
	جزيرة لسبوس	موطيلينة
	طرواده اوتروادة	طرواه اوتروايه
	دردونيا	
	موسيا الصغرى	قوزيقه لمياقه
	تنبيه طروادة وموسيا الصغرى هما فروجيا الصغرى	
لوديا	لوديا الداخلة	سردس فيلادلفيا
	١ لوديا	ثياطيرة
	٢ ميونيا	
	٣ اسيس اواسيا	
	لوديا البحرية اويونية	فوقة * ازمير * ايرثرس قلازومينة طيوس * لبدوس * قولوفون افسوس * پريئة ميوس * ملايطة (هذه الثلاثة فى قاريا) جزيرة ساموس * وساقز
قاريا	قاريا الداخلة	الابندة * سطراطونيقه * مولاسة
	قاريا البحرية اودوريدة	هالوقرناسة * قوس * قنيدة *
لوقيا	لوقيا الحقيقية	رودس * بطارة * ميرة
	ملياس (سيلمى)	
پمفوليا		اطاليا
پيسيديا	پيسيديا الحقيقية	سلاغاسوس * سلجه
	كورة اطنفسه	
	كورة هوموناديسة	
	كورة اوروندية	
	ايسورة	ايسورة * بحيرة قورالس
فروجيا	فروجيا الحقيقية	سونادة * افامة * قيوطاوم قيبوره
	لقوانيا	ايقونيوم * لوديقيا قبسطا * اموريوم *
	غلاطية (غالواغريقيا)	انقورة * غرديوم * طاويوم *
	١ طروقى (طاونيوم)	پسينوس
	٢ طقطوساجوس (انقورة)	
	٣ طولستوبوجى (پسينوس)	

(من تقسيم آسيا الصغرى تبعا للتقسيمات الشهيرة المتداولة بكثرة عند اليونان)

اقسام كبيرة اولية	اقسام ثانوية اى اقسام الاقسام	مدن اصليه اوامهات مدن
بيثونيا	بيثونيا	پروسة * نيقة
	نونيا	نيقوميديا * خلقدون
	مرياندونس	هرقلية پنتيونيوم
بفلاغونيا		غنغرا پمپيوپوليس سينوپة امسطريس
	بلادلوقوسورة	اميسوس
	غاديلوتيطيس	
	سرامينة	
	فزمونيطس	
	پنطس الغلاطية	اماسيس قومانا پنطيقا اى قومانا پنطشية
	تميسقورا	
	فناريا	
	داشيونيطيس	
پنطش	پنطش پولمنياق	سيبسطيا * نيو * قيصرية
	سيدنة	ايونوه * پولمنيوم
	قالوبنة	
	خالويه (غربيه)	
	پنطش قبادوقية	فرناقة قيصروس طراپزوس
	طيبرق	رهزيوم ايساروس
	موسونق	
	قلخية (غربية)	
	هيطاقوصيطة (سبع كور)	
	مقرونة اوطزانية	
قبادوقيا	قبادوقيا الحقيقية	مزاقا اوقيصريا ارخيلايس
	١ مورامينة	نزيانزوس طيانة
	٢ غرسوريطيس	
	٣ كامينة	
	٤ طيانيطيس	
	٥ قيلقيا	
	٦ سرغارنسينة	
	قاطونيا	قوبسطرة * قومانا
	مليطينة	مليطينة
	ارمنية الصغرى	زيمارا
	قيلقيا الحقيقية	طرسوس ميسوطيا
قيليقيا	قيلقيا طراخيا (اسپرا)	سيلوقيا سلينوس

(من تقسيم آسيا الصغرى تبعا للتقسيمات الشهيرة المتداولة بكثرة عند اليونان)

اقسام كبيرة اولية	اقسام ثانوية اى اقسام الاقسام		مدن اصلية اوامهات مدن
قبرص	مملكة سلاميس مملكة خوطرو	سلاميفيا	سلاميس
	مملكة قطيوم مملكة توريوم	امانوسيا	امانونطة
	مملكة بافوس مملكة أرسينوق	بافيا	بافوس
	مملكة سالوه مملكة لابثوس مملكة قيرونيا	لابثيا	لابثوس

٢ آسيا الصغرى على تقسيمات قسطنطين الى ديوقسات اى ابريشية

ديوقسات	اقاليم		مدن
ديوقسة آسيا قاعدتها افسوس	بمفوليا		اطاليا
	بسيديا		سغالاسوس لقدومون
	لوقونيا		ايقونيوم
	فروجيا بقطيانة		لوديقا
	فروجيا سلوطيره اى ساله		سوناداقوطيوم
	هلسپنطش		برغامة
	لوديا		فيلادلفيا
	قاريا		اسطراطونيقة
	لوقيا		ميرا اومورا
	الجزائر		رودس
	اقاليم اسيا القنصلية المنفصل عن ديوقسية آسيا (الآن باشوية قبودان باشا نيا)		ادراموطيوم
			فوقية
			ازمير
			ميلطة
ديوقسة بنطش قاعدتها قيصرية	بيثونيا		خالدون
	هونوریاس		اقلوديو پوليس
	بفلاغونيا		پمپيوپوليس
	غلاطيا فى زمن تاودسيوس	غلاطيا الاولى	انجورة او انكورة
		غلاطيا ثانية	
		مدينة سالمة	پسينوس
	هيليبونطش		سينوبة اميسوس نيوقيصرا
	بنطش بولمنياق		غوراسوس طرابيزوس
	قبادوقيا فى زمن ولنقس	قبادوقيا الاولى	قيصرية
		قبادوقيا ثانية	طيانة
	ارمنية الاولى		سابو
	ارمنية الثانية		ملطينة
	قيليقيا الاولى		انزربوس
	قيليقيا الثانية		طرسوس
	ايسوريا		سيلينوس سلوقيا لارندا
	قبرص		قسطنطيا (سلاميس)

تنبيه تقسيمات كتاب تماطا المملكة المشرق حيث لم تستمر زمنا طويلا ولم يكن لها فائدة تتوقف عليها التقسيمات الجديدة ضربنا عنها صفحا ومن اراد هافعليه ان يراجعها فى كتاب بندورى المسمى مملكة المشرق وانما نقول ان تقسيم تماطا فى اناطولية البوزنطانيين هو عبارة عن آسيا البرطريانية وارل مرة ظهر فيها اسم اناطولى فى الجغرافيا هو فى كتاب تماطا ولكن لفظ اناطولية المحذوف منه لفظ خورة يعنى بلاد المشرق هو سابق على تماطا

٣ اسيا الصغرى تبعا لتقسيمات كتاب الجغرافيا العثمانية المسمى جهانما الذى الفه الحاج خليفة الملقب كاتب جلبى ومعنى جهانما مرآة الدنيا

تقسيمات عثمانية	مدن اصلية اواصهات مدن	اقسام قديمة مقابلة ومرادفة
١ ايالة اناطولى		
١ لواء اوصنجقية كوتاهية	كوتاهية (قوطيوم)	
	دانكيلو اولاذقية (غير بعيدة من لاودقية التى على لوقوس)	الاجزاء الغربية والوسطى من فروجيا الحقيقية
٢ لواء ساروخان	مغنيسيا (مغنيسيا ادسيبولوم)	لوديا الشمالية تنبيه ساروخان اسم لامير كان يحكم بهذه البلاد
	ماق حصار (ثياطيرا)	
	فوچيا (فوقه)	
٣ لواء ايدين	تيرة	لوديا الوسطى والجنوبية واجزاء يونية
	كوزل حصار (مغنيسيا ادميندروم)	
	الاشهر (فيلادلفيا)	
	ايلاسلوق سرت الخ	
٤ لواء منطشه	ملاه	قاريا ولامانع من جزء من لوقيا ايضا
	منطشه (موندوس)	
	مولاسو (مولاسا)	
٥ لواء طكية	انطالية (اطاليا)	لوقيا وپمفوليا
	قبرى بزار (لعلها برغا)	
	ايغدر (لعلها اولبيوس)	
٦ لواء حميد	اسبرطة (سغالاسوس لقدمونة)	مليا س وبيسيديا الداخلة
	بردة	
	آق شهر	
٧ لواء قراحصار نهيب	قراحصار (لعلها قيلونة)	الجزء الجنوبى الشرقى من فروجيا
	بولوادين (فيلليوم)	
	سندوخى	
٨ لواء سلطان اونى	اسكى حصار (دورولیوم)	فروجيا ابيقطيطوس اجزاء غلاطية
	قوچاشهر (ناقوليا)	
	عين اونى	

تقسيمات عثمانية	مدن اصلية اوامهات مدن	اقسام قديمة مقابلة ومرادفة
٩ انجورى	انجورى (انقريا)	غلاطية الوسطى
	كورة هامانه	(تكتوزاجس)
١٠ كيانغارى	كيانغارى (غنغرا)	داخل اقليم بفلاغونيا (اذا فرضنا
	توسية (طوسيا)	ان شنغرى وكيانغارى
	جركس	مدلولهما واحد)
	طوكهه	
١١ قسطمونى	قسطمونى	اقليم بفلاغونيا البحرى مع جبل
	سينوب (سينوب)	اولغاسيس
	طاش كوپرو (پمپيوپوليس)	
	اينابولى (ايونوپوليس)	
١٢ بولى	بولى (كلوديوپوليس)	هونرياس اولبثنية الشرقية
	اماسيرا (امسطريس)	مع جزء بفلاغونيا
	باندير كلى (هرقلة)	
	ورنس شهر	
١٣ خوداوندكيار	برسا (پروسا ادولبونه)	بيثنيا الجنوبية مع داخل ميزيا
	يكيشهر	الكبرى
	برغامة (برغاموس)	
	بازاركوى	
١٤ كراس	باليقصرى (ميليظوبوليس)	سواحل ميزيا وايوليدة امام
	ادروميد (ادراميتوم)	لسبوس وجزء من الداخل
	سندار كوى	
	ايازمن (ايليا)	
١٥ خواجه ايلى	ايسنكميد (نيقوميديا)	بثنة فى غربى سنغاريوس
	اسنيق (نيقيا)	
	قاضى كوى (قلقدون)	
	اسكودار (كريزوپوليس)	
	اقطاعات سلطانية	
١٦ بيجاه	بيجاه (زوليا)	تروادة وميزيا الصغرى
	سلطانية	
	قبوداغى	
	بوكاربانى (تروادة)	
١٧ صوغله	ازمير (ازميرن)	جزء من ايونة
	اورله	
٢ ايالة سيواس	منينة (تمنيس)	

تقسيمات عثمانية	مدن اصلية اوامهات مدن	اقسام قديمة مقابلة ومرادفة
١ لواء اوصنجق سيواس	سيواس (سيباستيا)	كالبيئة فى قنطرة پولمنياق
	طوقه (كومنا پونطيقا) ويوودة	دكسيمونيتيس فى قنطرة غلاطيقية
٢ دياريك	سمسوم (اميزوس)	سواحل هيلينو پونط من مبدء
	اونية (اونويه)	نهر هاليس وقنطرة غلاطيقية وپولمنياق
٣ عربكير	عربكير (اروراسى)	حدود ارمنية الصغرى وحدود القنطرة
٤ دوريكى	دوريكى	مثله
٥ چرم	چرم (طوبوم)	غلاطيا الشرقية
	عثمانجق	
٦ اماسيا	اماسيا (امازيا)	خليكوم اوشليكوم وفنارولا فى قنطرة غلاطيقية
	مرزبان (فزمون)	
٧ بوزوق	بوزقات (مثريداتيوم)	حدود القنطرة قپادوقة وغلاطيا
٣ ايالة طرابزان		
١ لواء اوصنجق طرابزان	قضا طرابزان (طرابوزيس)	القنطرة القپادوقية
	كريسونت (سيرازيس)	
	ويزة (ويزاليوم)	
٢ غونيا	غونيا (أپسريس)	كذلك
	أتينا (انينا)	
	سوماله	
	ويكه	
٣ باتومى	باتومى	كلشيدة الجنوبية
٤ ايالة قونيا		
١ لواء اوصنجق قونيا	قونيوم (ايقنيوم)	ليقاوونيا الوسطى والجنوبية
	لادقية	
	ابركلى	
٢ نجده	نجده	الجزء الغربى من قاطاوونيا
	پسترة (سيبسترة)	
٣ بيشرى	بيشرى	اپزوريا
	سركى سراى (ايزورا)	
٤ آق شهر	آق شهر (تريادم)	الجزء الغربى من ليقاوونيا
٥ آق سراى	آق سراى (امرها مجهول بالكلية)	
٦ قيصرية	قيصرية (قيسارية)	الاجزاء الغربية والوسطى من قپادوقة
٧ قرشهرى	قرشهرى (ارشالس)	
٥ ايالة سرعش		

تقسيمات عثمانية	مدن اصلية او امهات مدن	اقسام قديمة مقابلة ومرادفة
١ لواء اوصنجق مرعش	مرعش (امرها مجهول)	
	بستان (كومان دوكاوونيا)	
٢ قرص	قرص ذو القادرى	حدود الشام كوماجينة
٣ عينتاب	عينتاب (وامرها مجهول)	وقاطاوونياوسيلسيا
٤ سومزاط	سومزاط (ساموزاط)	
٥ ملاطية	ملاطية (ملطين)	ملطين
٦ ايالة أدنه		
١ لواء اوصنجق أدنه	أدنه (انطاكيه أدسروم)	سيلسيا الحقيقية
٢ طرسوس	طرسوس (طرسويس)	كذلك
٧ مسلية قبرص		
ا جزيرة قبرص	لفقوسيا (وتسمى عند الفرنج نيقوسيا)	
لا تقسيم فيها		
ب بلاد ايتشيل		
١ لواء صنجق ايتشيل	سلفكه (سلوسيا)	سليسيا طراشيا
	سيلنتى (سيلينوس)	
٢ علاية	علاية (سيدة)	بنفيليا

المقالة التاسعة والاربعون

في بقية تخطيط اسيا وبلاد العثمانية في آسيا والقسم الثاني المشتمل على ارمنية والجزيرة وعراق العرب

اعلم ان الاقاليم الشرقية من دولة العثمانية بآسيا ثلاثة اقسام طبيعية قسم نهر العاصي وجبل لبنان وهو الشام وفلسطين وقسم منابع الفرات ودجلة وهو ارمنية مع كردستان وقسم اسفل الفرات وهو الجزيرة مع العراق العربي والجزيرة تسمى ايضا ميسوبوطاميا وعراق العرب يسمى ايضا بابلونيا ولنخطط هنا قسمي الفرات كلا على حدته واما قسم الشام المسمى سورستان فاننا نخططه فيما بعد على استقلاله

لمحة عامة

ثم ان ارمنية والجزيرة والعراق العربي قد اهمل تخطيطها جغرافيو المتأخرين مع انها تستحق التنبيه عليها فان بهذه الاقاليم قد نشأت المدن الاولية واقدم الممالك المذكورة في التواريخ وفي هذه الاقاليم ايضا حل اسكندر الاول نظام دولة الفرس وكانت قوية متينة على غاية من الاحكام وبعد زمن اسكندر صارت برور الفرات والنيل لامراء الرومانيين ميادين حروب حيث ان كلا من طرايانوس ويوليانوس وهرقليوس سهل عليها بطوابير عساكر الرومانيين لمقاتلة فوارس البرثة (الفرس) العاصية التي لا تميل الى الدخول تحت طاعة احد وفي القرون الاخيرة صارت ايضا هذه الولايات سببا للنزاع بين دولتين عظيمتين وهما العثمانية والعجم على اننا لو قطعنا النظر عن ذكر ارباب الدول ومدة استمرار دولهم الزائلة فان الطبيعة تجعل هنا نصب اعيننا كثيرا من الاشياء النافعة اذا تأملها الانسان حق التأمل وطالعها جيد المطالعة فقلما يجد الانسان باقسام الارض في جزء صغير قدر هذه الولايات نظير ما يجده بها من العجائب المتناقضة المجتمعة وذلك ان اتساع عشر درجات من العرض يظهر به عند بغداد حر يساوي حر سنغمبيا وعلى قلة جبل عرارة تجد ثلوجا مستمرة وفي الجزيرة تجد غابات الصنوبر والبلوط بجانب غابات النخيل والليمون واسود بلاد العرب تجاوب بجنوبها نبع دباب جبال طوروس وبالجملة ففي هذه البقعة تولدت الاقطار الباردة والاقطار الحارة حتى كانما قواعد على الاجتماع فيها افريقة واسيرة

جبال عرارة الخ

ومنشأ التقارب بين هذه الامزجة المتضادة والاقطار المتخالفة هو الاختلاف العظيم في التسوية الارضية وتباين ارتفاع التربات وذلك ان ارمنية ربوة مرتفعة جدا ويحيط بها من جميع جهاتها جبال ايضا عظيمة الارتفاع وجبل عرارة قائم ايضا في وسط هذه البلاد ورأسه دائما بيضاء بالثلوج وفي الشمال جبال چلدير وجانكه تفصل ارمنية من البحر الاسود وان كان معظم هذه السلسلة مستورا بالغابات الظريفة لا يظهر ان ارتفاعه دون ارتفاع جبل كوه قاف لان بمخدراته الجنوبية بارض روم يسقط بعض الاحيان الثلوج في شهر يونية الافرنجي وسلسلة طوروس تدخل في ارمنية بقرب شلالات الفرات وترتفع ارتفاعا ذريعا في دخولها في الشرق فالفرع المسمى عند الاقدمين جبال نيفاطة بالجنوب الشرقي من بحيرة وان استدامته من الثلوج السائرة اقلاله في جميع ايام السنة والجبال التي سماها زنفونس غرديانة او كرديانة هي تملا جميع الكردستان وثم فرع ممتد جنوبا وهو المسمى عند الاقدمين زغروس وهو يفصل بلاد العثمانية من بلاد العجم وفروعه السافلة تنتهي الى عدة فراسخ من الشط الشرقي من نهر الدجلة وثم فرع منقطع من جبال طوروس وهو المسمى عند الاقدمين جبل ماسيوس وهو يدخل فيما بين دجلة والفرات وعلى وعرة قائمة منه مدينة ماردين وينتهي في تلول سنجار على غرب الموصل ومن هذين الموضعين وهما تلول سنجار وغرب الموصل يمتد الى سواحل الخليج الفارسي سهل عظيم الاتساع حيث يكل نظر المتأمل في هذه الارض السهلة لعدم رؤيته الا منظرا واحدا متحد الشكل فقل ان وجد بها بعض انخفاضات وارتفاعات صغيرة تروحه بعض شيء وجزء عظيم من هذا السهل تحت مجمع النهرين كان سابقا مغمورا بعدة بحيرات يابسة الآن بل يوجد بها الآن كثير من الاراضي التي يفيض ماؤها بمجرد زيادة الانهر

سهول

وحيث خططنا ارض هذه الاقاليم بوجه عام وجب علينا ان نتبع ذلك بتخطيط النهرين العظيمين اللذين يسقيانها وهما الفرات ودجلة فنقول

منابع الفرات

يتولد الفرات من عدة منابع فيتشعب عنها عدة شعب فمن هذه الفروع فرعان كل منهما يسافس الآخر على انه ينبوعه واصله وانه يمتاز بهذه الخاصية عن غيره واحد هذين الفرعين يخرج بقرب مدينة بايزيد من جبال تسمى الاداغ وهي في قديم الزمان مشهورة باسم جبل ابوس وجبل عرارة جزء من هذا الجبل وهذا الفرع نهر صغير يسمى باسم نهر مراد يغيض تحت الارض مسيرة اربع ساعات من طريق مدينة بايزيد ثم يظهر ثانيا فتنزل فيه بقرب مدينة ملاسگرد مياه نهر آخر يسمى باسمه فيجتمع اقليم طوروران وهو الجزء الجنوبي من نفس ارمنية الحقيقية والفرع الثاني من نهر الفرات المشهور عند اهل الشرق باسم الفرات يتكون عند اسوار مدينة ارض روم باجتماع نهرين

صغيرين احدهما النهر الذى سماه بلنياس باسم لوقوس وهذان النهران بعد اجتماعهما الايسار يان معا نهر مراد الذى اعتمد زنفونس انه هو الفرات الحقيقى فقرات المشارقة ومراد يختلطان معا على القرب من مدينة عربكير بسير يسير فتجد النهر فى هذا المحل يعظم جدا فيخدر بسرعة جهة المضيق المسمى مجاز نوشار فاذا جاوز هذا المضيق سار بازوار وانعطاف على سهل مرتفع ثم بعد قليل من سيره يصادف فى طريقه تضريسات اخرى من الارض فيحدث شلالين على البعد بثمانية فراسخ فوق مدينة سرميساط المسماة ايضا شميساط فحينئذ يخلو من الموانع التى تملك قوته عن انطلاق سيره فيجرى مع غاية العظم فى واد واسع معشوشب وبجنوب قرقسية يدخل فى السهول المتسعة المسماة سهول صنار ولكن فى جهة بلاد العرب ارتفاعات رملية وحجرية تدفعه من هذه الجهة فيحوجه ذلك الى أن يقرب من نهر دجلة سائرا بالتوآء وانعطاف نحوه

جريان دجلة

ونهر دجلة الذى يسمى ايضا نهر تجرة والماضاهى لنهر الفرات والقرين له اظهر منابعه فى جبال بلاد الزوف المسماة فى قديم الزمان زوفينة وهى جزء من بلاد ارمنية وذلك ان مياه الفرات بهذه الجهة قوية فلهذا تأخذ من هذا القطر جميع المياه الجارية به وتضمها اليها ولكن من الاتفاق الغريب ان نهر دجلة وحده مع انه اصغر انهر هذه الجبال يتخلص من تلك الربقة التى وقع فيها امثاله وتطائره بسبب ان بعض الارتفاعات يمنعه ان يجرى جهة الفرات بل ثم حاق فى الجبال فوق ديار بكر يفوت منه فيهم على اراض دانما غير مستوية بالكلية ومستمرة الانحدار والميل الشديد ويد خلها ويسرع الجريان بسبب طبيعة محله المقتضية لذلك ولهذه السرعة البليغة كان حريا باسمه

اسماؤه

فى عدة السن وهو انه يسمى تجرة فى لسان الادر بيجانية القديم ويقال له دجلة بالعربية وحذقل فى اللغة العبرانية وكل هذه الاسماء تدل على طيران السهم وخروجه بسرعة وهذا الفرع هو المعروف عند المتأخرين وقد ذكر بلنياس ايضا فرعا آخر غيره وبسط الكلام عليه وقال انه يخرج من جبال كردستان على غرب بحيرة وان وهذا النهر الصغير يمر ببحيرة اريثوسة فتجمزه فى مسير مشعبة من جبال طوروس فيخدر فى غار يسمى غار زوروندا ثم يظهر فى حضيض الجبل والدليل على ان هذا الفرع هو نفس الدجلة هو انك اذا قذفت فيه شيأ فى اعلى الجبال ظهر على سطحه حين خروجه من تحت سفحها ثم يمر ايضا ببحيرة نوسيبطيس (بقرب مدينة ارزن) ثم يغيض فى مغارات تحت الارض ثم يظهر بعد ذلك بخمسة وعشرين ميلا بقرب محل يقال له الآن نومفيوم وهذا الفرع ينضم مع دجلة الغربى تحت مدينة ديار بكر

اجتماع دجلة والفرات

وكلما تقارب دجلة والفرات وازداد قربهما اخذت الاراضى المتوسطة بينهما فى تناقص الارتفاع وقلته وصارت مملوءة فى جميع امتدادها بالبرك والمروج وقبل اجتماع النهرين وامتزاجهما تتقدم عدة ترع صناعية فتوصل مياه احدهما بمياه الآخر ورب مما كان من هذه الترع واحدة طبيعية اواثنتان كذلك ثم يختلطان معا الاختلاط الكامل عند قرنا فالنهر المشتمل على اجتماع النهرين يسمى شط العرب يعنى نهر بلاد العرب وتم ثلاثة

مصاب

مصاب غير ترعة صغيرة وهذه الفروع الثلاثة تجرى فى مسير ١٥ فرسخا ومن هذه الفروع فرع اخلص جريا واعظم عمقا يسمى نهر الجنوب او النهر القبلى ونهر دجلة تتراكم بقرائشه الرمال التى يحملها مياهه وهذه الرمال من عادتها السبح والتموج وعدم الرسوب بمحل مخصوص فلهذا كان ركوبه للملاحين خطرا جدا ومابه من المد والجزر الى حد البصرة بل والى خلف قرنا يجعل غالبا مياه النهر تفيض بعنفوان وتصير امواجا مزبدة شديدة العلو والارتفاع

شكوك متعلقة بمصاب نهر الفرات وترعه

فهذا اصح ما نعرفه من المسائل المتعلقة بهذين النهرين وهما الفرات ودجلة من جهة جريانهما ومن اراد ان يوضح امرهما ويزيل جميع ماقيل من الظنون والشكوك فى كيفية جريانهما فلا يكفيه الاكتاب فى خصوص هذا المعنى وخلاصة الكلام على ذلك ان من الاقدمين من زعم ان الفرات يصب فى بحيرات وبرك فى جنوب بابل ومنهم من زعم ايضا ان مجمع دجلة والفرات انما هو مجرد مجرى الفرات دون غيره ومنهم من قال ان الفرات كان يصب اصالة من فوهة مخصوصة فسدها العرب بسد وهذا الرأى المعتقد قديما جدده احد سواحى الافرنج المتأخرين لكن لا على اصله بالكلية حيث ظن خليج نهر سارس المتشعب عن الفرات فى شمال بابل يستمر من غير تقطع الى البصر فعلى هذا الفرض يكون الجون الصغير المسمى خور عبد الله هو المصب القديم لنهر الفرات لكن هذا الخور موجود على حالته التى هو عليها الآن من زمن بطليموس فكان مشهورا باسم جون المسانيطة واما خليج نهر سارس فالظاهر انه يجمع بالفرات على القرب من سماوة والفرش اليابس الذى هو موضع خور عبد الله وبه آثار البصرة القديمة يتصل بالفرات على غدير قرنا ببير وخليج بلاقوباس وهو خليج الكوفة لا يظهر انه يمتد الا الى البحيرات

التى

التى فى جنوب بابل ثم ان التغيير الذى حصل فى هذه الارض المستوية الصالحة للزراعة والفيضات واشغال ايدى البشر كل هذا جعل حل هذه المسائل المشكوك مستحيلا اذ ذلك لم نزل باقية على ما هى عليه

(عظم هذين النهرين) ومثل هذا الجهل ايضا باق بالنسبة لمساحة دجلة والفرات فنهر الفرات مجراه اطول ولكنه يضعف بكثرة الفروع المتشعبة عنه فليس عرضه فى مدينة هلة الا ٤٠٠ قدم بخلاف دجلة بقرب بغداد فعرضه ٦٠٠ قدم واهل السواحل الذين على شطوط هذه الانهر اذا ارادوا سقى ارضهم حبسوا مياه دجلة والفرات بجسور ظن مؤرخو اسكندر الاكبران هذه السدود انما هى اسوار عسكرية حصن بها اهل هذه البلاد بلادهم خوفا من غارة ارباب الصيال من اهالى بلاد العرب وهذا من اعجوبات الظنون الكاذبة

(تخطيط ارمنية) وتخطيط بلاد الارمن يوصلنا الآن لمنابع نهر الفرات وقد تقدم لنا ان هذا الاقليم هو نجد مرتفع وربوة عالية حتى

(جبال) ان جبال عرارة وجبال كوهى سيبان تظهر قلالها الدائمة الثلوج على بعد مسافة عظيمة والزلازل قد اثرت بكثير من الاماكن ببلاد ارمنية وجبل النمرود قذف سابقا نيرانا عظيمة والآن على ذروته بحيرة صغيرة يفهم من تخطيط بعض جغرافى العثمانية انها منفس قديم لنيران هذا البركان والظاهر ان ارض هذا الاقليم كثيرة الغرائب التولدية والعجائب الطبيعية وذلك ان بحيرة وان التى تسمى بعض الاحيان بحيرة ارجيس وسماها بطليموس

(بحيرة وان) بحيرة ارسيسا ليس وسماها اسطرابونيس بحيرة منطيان ذات مياه ملحة جدا وهنالك نهران صغيران بقرب سوشترى يتولد باحدهما ملح ابيض وبالآخر ملح احمر واحجار الرلط الطبيعية الموجودة بقرب قوافى يظهر انها نوى احجار الصوان المستديرة ولما كان البرد شديدا بالاجزاء العالية من البلاد لم يكن فيها للبذر والحصاد الا ثلاثة اشهر وهى مدة الصيف ولكن تخرج فيها الحنطة بكثرة ويدخر بها من الفواكه الجوز والتفاح حتى ان التفاح فى اقليم اخلاط

(تولدات) يعطى ثمار ثلثة الثمرة الواحدة مائة درهم واذا انحدرنا فى نهر الفرات رأينا الخضرار العنب بل والزيتون واما حوالى مدينة ارض روم فلا تجد اشجارا فواكه ولا خشب للحرق وقد اطنب القدماء فى مدح الخيول الارمنية كما ذكروا ايضا عدة معادن ذهب كانوا يستخرجون ذهبها وانما يحمل منها الآن النحاس والحديد الى مدينة الموصل

(مدن) (ارض روم الخ) ومن مدن ارمنية مدينة ارض روم وهى حصن العثمانية جهة الشمال الشرقى وهى ذات جدران مبنية بالطوب الغير المحروق بل المبيس فى الشمس واهلها ٢٥٠٠٠ منها ٨٠٠٠ ارمن ومن هؤلاء الارمن من يشتغل بصناعة الاوانى والادوات المتخذة من النحاس ومنهم من يتجر خصوصا فى الفراء فانهم يتجرون فيها تجارة عظيمة ومن مدنها مدينتا قرس ووان وهما جهة حدود عجمستان فلذلك كان حالهما مجهولا للفرنج وهاتان المدينتان مع مدينة ارض روم مقر حكومات ثلاثة باشات يحكمون بلاد ارمنية ومن جملة مدن ارمنية ايضا مدينة ارجيس اوارد جيس على بحيرة وان ومنها ايضا مدينة ارزنجيان على نهر الفرات ومنها ايضا مدينة خاوس وهى موضوعة فى وطاة صخر منحوتة وهذا الصخر حصن طبيعى حول هذه المدينة وفى وسط المدينة صخر منعزل مرتفع فبهذه الخاصية يظهر ان هذه المدينة هى غير المدينة القديمة التى كانت تسمى ثيودوسيوبوليس

(ثيودوسيوبوليس التى) كانت بعيدة عن منابع الفرات جنوبا باثنتين واربعين استادة اى غلوة ومن مدنها ايضا مدينتا بيبوط وايسبير وهما فى واد خصب يخرج منهما الخشاب العمارات وعسل عظيم وسمن جيد

(ايالة جلدير اواقلزيقة) وعلى الشمال الشرقى من ارمنية تجد الايالة القديمة المسماة جلدير التى ذكرها ريقوط وبحث عنها عدة من الجغرافيين فلم يعرفوا موضعها وهى المسماة اقلزيقة اواخلزيخة سميت باسم قلعة على نهر الكور وهى بندر هذه الايالة وهذه الايالة هى ما يسمى كورجستان العثمانية اوالكورجية التركية

(الكلام على امة الارمن) ثم ان امة الارمن هى احدى الامم القديمة يسمون فى لسانهم باسم هيقانية وما قاله المؤرخ الارمنى المسمى موسى الخورينى انهم منسوبون الى ملك قديم يسمى هيقا من اولاد يافث بن نوح عليه السلام مع ما فيه من الخفاء فالمحقق ان اللسان الارمنى هو يابس الصوت غريب حاله بالنسبة لمخارج الحروف كثير النسبة والقرب فى قواعده من اللغات الافرنجية دون اللغات المشرقية ثم ان الارمن يمتازون عن غيرهم بلطافة القد وبصفة دالة على الذكاء والفطنة ولما كانوا دائما عرضة للقتل فى الحروب الواقعة بين الدول العظيمة التى يشن الغارات بعضها مع بعض للاستيلاء على بلاد الارمن كانوا مجبورين على الخروج من وطنهم ومسقط رؤس سلفهم وعادة الارمن الانهماك على التجارات والصناعة فلهذا كانت ارزاقهم واسعة اينما حلوا من بلاد الهجار الى بلاد الصين بل ربما دخلوا فى الاقطار التى لا يمكن للافرنج الدخول فيها فانهم يدخلون هضبة بلاد التتار وربوة بلاد السودان التى يسقيها نيل السودان المسمى نهر النجير (مملكة تنبكتو) وهم ارباب قناعة فلهذا يحفظون ما يكتسبون وهم فى بلادهم كما فى البلاد

الغربية يعيشون معا بالاجتماع والايتناس كل عائلة مع كبيرها فكأنهم اخوة مجتمعون تحت حكم كبارهم سنا وكان مشايخهم آباء عشائرهم فتراهم جميعا على قلب رجل واحد لامشاحنة ولاتباغض بينهم وهذه العيشة بين اقاربهم لاتمنع من تجبرهم وظلمهم وغدرهم لمن كان من دم غير دمهم يعني الغربا فالعائلة مع بعضها متفقة دائما ومع اهل عائلة اخرى قد يقع الفشل والحقد ودين الارمن هو دين الكنيسة القديمة المشرقية وانما تفترق عنها بكون الارمن لايعتقدون الطبيعتين في عيسى يعني انهم يعتقدون ان الطبيعتين وان كانتا موجودتين الا انهما امتزجتا معا واختلطتا وصارتا طبيعة واحدة ولهم ايضا اعتقادات خاصة فيما يتعلق بالايخارسطيا اي تقريب القربان ويجوزون ايضا مثل الملة اليونانية زواج القسيسين وصومهم بانواعه هم فيه اشد تغاليا وتشديدا من جميع ملل النصارى وكنيسة الارمن اي دين الارمن تحت رياسة بطريقين عظيمين يلقبان قاثوليقية يعني عمومية احدهما مقيم في اشميازين ومن مئذ مائة وخمسين سنة كانت اتباعه ١٥٠٠٠٠ عشيرة والثاني في بطريق سيس في ارمنية الصغرى القديمة وقد انضم الى كنيسة الرومانيين ولم تكن اتباعه في ذلك الوقت الا ٢٠٠٠٠ عشيرة لاغير فاذا بنينا على هذا العدد في ذلك الوقت كان جميع امة الارمن في ذلك الزمان ١٧٠٠٠٠٠ لااقل من ذلك والظاهر انهم لم ينقصوا عن هذا القدر (دين الارمن)

ثم ان بلاد ارمنية زيادة على ما فيها من الارمن الذين هم ارباب تجارة واكارة ومن الترك العثمانية الذين هم ارباب المناصب البلدية والعسكرية بها ايضا امة تتارية ينبغي اشتاقطيط واصقاها واحوالها فنقول ان هذه الامة هي امة التركمانية واصلها من شطوط بحر الخزر الشرقية اقامت اول الامر باسيا الصغرى فلهذا سميت سابقا تركمانيا ولما كانت هذه الامة رحالة نزالة تميل الى الهيام والسير جاء منها عدة اقوام الى داخل آسيا الصغرى والى ولاية ايجيل واتخذوا لسان الترك لسانا لهم وتمسكوا بالدين المحمدي الا ان تمسكهم به لم يكن كاملا وهم ارباب جهالة وفقر يرضون بمرتبتهم ولايغتذون الا بما يتحصل من مواشيهم واغلب سكناهم في خيام من الصوف والوبر ونساؤهم يغزلن الصوف ويشتغلن بالسجاجيد التي يتخذونها في هذه البلاد من قديم الزمان واما الرجال فلا شغل لهم الا شرب الدخان وحراسة البهائم وهم دائما على ظهور خيولهم ورماحهم على كواهلهم متقلدون بسيوفهم وطبنجاتهم في احزمتهم فهم فرسان شداد وعساكر ارباب صمول واستعداد ولهم في غالب الاحوال منازعات ومطاردات مع الاتراك حتى ان الاتراك يخشون سطوتهم واما عددهم فان منهم رحالة نزالة جهة ايالتي حلب ودمشق نحو ٣٠٠٠٠ هاتم وليس بايالات الشام من يخالطه التركمان ويتردد ون عليه غير هاتين الايالتين ومن هذه القبائل التركمانية جزء عظيم ينتقل في وقت الصيف الى بلاد ارمنية وبلاد قره مانى حيث يكون المرعى كثيرا ويرجع مدة الشتاء الى منازله المعتادة (التركمان)

واما كردستان اي بلاد الكرد فانها ممتدة في جنوب ارمنية مسيرة خمس وعشرين مرحلة من الطول وفي عرض عشر مراحل والجبال المعروفة عند الاقدمين باسم جبال الغردية والنيفاطة هي دائما مستورة في معظمها بثلوج مستمرة ثم ان شدة الحر المحرق لسهول الجزيرة لاتسري ابدا الى مخضر الكلا الذي يترك الاكراد معزهم تسرح فيه واودية الكرد المعشوشبة وسطوح الجبال الممتدة على الاستطالة يخرج بها اشجار الفواكه ونبات الارز وغاباتهم هي بالاصالة اشجار البلوط التي يخرج منها اعظم الفصف المشرقي واما السهول فتزرع بالحبوب والقطن والكتان والسمسم وهنالك شجرة صغيرة شبيهة بشجر البلوط مستورة بالمرّ المسمى ايضا بالترنجبين والمن المذكور لطيف مدحه الاقدمون والمتأخرون من غيران يعرف احد منهم جنسه ولا اصله (تخطيط كردستان)

وانهارها تتحدر بسرعة نحو نهر دجلة واكبرها نهر ادياليا والذاب

قال الغرزوني الذي اقام ثمانى عشرة سنة في بلاد الكردستان ان هذه الولاية تنقسم الى خمس امارات كبيرة الاولى منها امارة بيتليس ويقال بيدليس وهذه الامارة تشتمل على جميع الاقاليم التي على غربي بحيرة وان وعلى جنوبها الغربي حيث يجور الكردستان على ارمنستان اي يختلطان فلا يمكن تمييز احدهما من الآخر وقاعدة هذه الامارة تسمى باسم الامارة وهي موضوعة في وادي ظريف مستور باشجار التفاح والكمثرى وعلى البعد جنوبا من هذه المدينة بفرسخ فارسي طريق الحج الى بلاد الشام وهي طريق مفتوحة في صخر منقوب واكراد هذه الامارة تسمى بيتليسية وعلى جنوب بحيرة وان مدينة جيولامرك وهي بندر امارة تسمى ايضا بهذا الاسم وهي الامارة الثانية واهلها يقال لهم الصينبو وقيل انهم يسمون ايضا الهقيارية ولعل هذا الاسم هو اسم العشيرة المحاكمة وكرد بلديان على الغرب من امارة جيولامرك بين الموصل وقبائل البيتليس وبلادهم ثالث الامارات وقاعدتها (١ بيتليس) (٢ جيولامرك) (الامارات الخمسة)

(٣ امارة اماديا)
(٤ امارة جزيرا)
(٥ امارة قراجيولان)
(الاورغيانية)
(الكلام على الاكراد)
(اخلاق واديان الخ)
(اكراد نسطورية)
(حكم)
(اهالى)

تسمى اماديا ويقال ايمادية وهذه الكورة كثيرة الفواكه لاسيما الاعناب الجيدة الصفة وعلى البعد من ذلك جهة الشمال الشرقي وفي ايالة ديار بكر مدينة يقال لها جزيرا وهي قاعدة الامارة الرابعة التي يسميها اهل البلاد امارة بطاني وهذه الكورة بها جبل الجودي الذي استوت عليه سفينة نوح كما في القرآن وبها كذلك جبل كاوة المشتمل على الضبابات والغيوم وعلى هذا الجبل النحل البري تسكن في بيوت تحت الارض وعسلها عظيم وشمعها طيب الرائحة واعظم جميع الامارات الكردية هي امارة قراجيولان وهي الخامسة وقاعدتها تسمى بهذا الاسم وقبيلتها تسمى سوسانة هكذا قاله غرزوني وقال ثيبوهر ان سوسانة انما هو اسم للعشيرة الحاكمة وهذه الولاية المشتملة على جميع الكردستان الجنوبي يمكنها ان تجهز من العساكر خمسة عشر الف بنادقي واما الولايات الخمس الاخر فلا يمكن لكل امارة منها ان تجهز الا عشرة آلاف مقاتل اواثني عشر الفا واياتا شهرزور وقرقوق اوكركوك الصغيرتان الشأن في حكم العثمانية ومحكومتان الآن بمسلمين وكانتا محكومتين سابقا بباشاث يظهر انهما كانتا ايضا قبل ذلك من امارة قراجيولان فاغار عليهما العثمانية وفصلوهما من هذه الامارة واستولوا عليهما وهنالك قرية شاه حران التي على نهر ديالاه وهي موضوعة على مرتقى صعب لا يمكن الوصول اليها الا اذا صعد الانسان على سلم يعمل من شعشاع العنب ونم قرية اربل ايضا وهي محل مدينة اربلس الشهيرة في التواريخ على ممر الايام بانهزام دارا ملك الفرس عنها وبدمار مملكة الفرس وانقراضها منذ هذه الغلبة

وقد ذكروا ايضا عدة كور مستقلة بحكم نفسها حرة غير داخلة في حكم احد غير الامارات المتقدمة فمنها بلاد الاورغيانية وهم طوائف على حدود مجمستان مباينون لمن عداهم من الاكراد ولعلهم من نسل النهورقانيين الذين بعث منهم المجم قبائل لينزلوا خارج مملكتهم في اماكن اخرى وكذلك امة الشكانة وهم قطاع طريق ومنهم رعاة يخربون بلاد ارمنية وقد ذكر صاحب الجغرافيا العثمانية عدة قبائل كردية تعلق ايالة ديار بكر ولكن ذكر هؤلاء القبائل الرحالة النزالة في تخطيط الكردستان في غير محله

والاكراد من نسل الكردوكية الاقدمين ويسمون ايضا الغوردية والكورطي يتكلمون ايضا باللغة الفارسية مشوبة بالفاظ عربية وخلدية اي عراقية ويكتبون بالفارسي وفي كل قرية ملاء يعني عالما ماخبيرا بلغة الفرس وهم اسلام ولهم عقائد زائغة يظهر انها بقايا عندهم من دين المجوس وينقل العثمانية عنهم انهم يعظمون الشيطان يعني العنصر القبيح وهو اله الشر عند قدماء الفرس المسمى اهريمان ومن الاكراد ايضا نصارى نسطورية وهم نحو مائة الف نفس تحت طاعة بطرقين منصبهما متوارث احدهما يسمى دائما مارشمعون وهو مقيم في قوجيانيس بقرب مدينة جيولامرك وله خمسة اساقفة اتباع له والبطرق الثاني يقيم في ربان هرمس ويسمى مار الياس واتباعه ثلاثة عشر اسقفا وكذلك منصب الاساقفة متوارث ايضا من العم لابن الاخ او الخال لابن الاخت فقد يتولى منصب الاسقفية الواحد منهم وهو في سن اثني عشرة سنة واما القسوس ارباب المناصب الصغيرة فلا يشترط كثرة معرفتهم بحيث ان الواحد منهم قد يتولى القسيسية وهو لا يحسن القراءة وقد قال زنفونس ان بلاد الكردوكية اي قدماء الاكراد من جميع جهاتها في مملكة الفرس ومع هذا فقد خالفوا كثيرا ملك العجم واظهروا العصيان عليه وعلى حكامه وباشاته ومع انهم مبريون ظاهرا لسلطان العثمانية فطالما يخالفون اوامر السلطان ولا يكترثون بغرماناته ولا بباشاته ولم تتغير ديانتهم عما كانت في قديم الزمان اللهم الا تغييرا يسيرا وقد ظهر للمعلم ثيبوهر باستقصائه اخبار الاكراد ان بالجبال عندهم نوعا من الاحكام الالتزامية وذلك ان كل قرية لها شيخ وهو يدفع الميري لامير القبيلة وكل الامة منقسمة الى ثلاثة اقوام اصلية متعادية كسعد وحرام وقد اقر المعلم غرزوني ان الاسرطا اي القبائل الصغيرة يقومون غالبا على الامراء ويخرجون عليهم ويعزلونهم اذا قدروا على ذلك ولما كانت هذه الولاية في حروب معتادة في غالب الاحيان وفي تخبيطة وفتن متواترة كان هذا سببا في انفصال كثير من العشائر عن قبائلهم وسلوكهم معايش الامم الرحالة كعيشة التركمان وعرب البادية فانتشروا في بلاد ديار بكر وفي سهول ارض روم واروان وسيواس وحلب ودمشق وعدد اهل هذه العشائر مجتمعة نحو مائة واربعين خيمة يعني مائة واربعين رجلا مسلحا وهؤلاء الاكراد هم مثل التركمان وعاتموا ش وقطاع طريق ولكنهم يخالفونهم في بعض عوايدهم وذلك ان التركمان يدفعون صداق بناتهم لتزويجهم واما الاكراد فلا يزوجون بناتهم الا بدفع نقود لهم ولا يكترث احد من التركمان بشرف اصل ولا بنسب وحسب بخلاف الاكراد فانهم يفتخرون بذلك وهو عندهم من الامور المهمة وليست عادة التركمان السرقة واغلب الاكراد متدربون على السلب والنهب ومشهورون بذلك في جميع الاماكن ولون الاكراد بياض البشرة وفطنة السحنة واعتدال القوام وامة الاكراد للاشتغال بكل شئ فقد نص عليهم افضل البرية

عليه اكمل الصلاة واتم التحية حيث قال مامعناه انهم يخربون الارض

(تخطيط الجزيرة) ثم ان بلاد المبسوبوطاميا اى بلاد الجزيرة اذا نظرنا اليها بالمعنى المتسع اى اطلقناها على غاية ما تطلق عليه

(ايالة ديار بكر) فانها تتصل بالارمنية القديمة واما ايالة ديار بكر فانها تشتمل على سوفينة القديمة وهى ارض ذات جبال ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة وهذه الارض مسقية بالانهر سقيا مستحسنا ويخترقها اودية ظريفة وبها معادن يستخرج منها الذهب والفضة والنحاس شهيرة باسم المعادن ثم ان الغابات التى كان يستخرج منها اسكندر الاكبر وطرايانوس الرومى ما يحتاجانه من الاخشاب لعمارة السفن لم تذهب بالكلية من شطوط دجلة بل بقى منها بقية وشطوط الفرات مزينة باشجار اللعل والياسمين والعنب والزيتون وغير ذلك من الاشجار ذات الثمار وبهذا الاقليم ايضا الدخان والقطن والحرير والصوف وانما عدم ريع اهله ونجاحهم من سرقة الاكراد وصيالهم فلو كان به دولة عظيمة

(ديار بكر) تحسم باب مضرة الاكراد وصيالهم وقطعهم للطريق لكانت هذه البلاد ذات غنى ويسار ثم ان المدينة التى كانت تسمى فى قديم الزمان أميدا وتسمى الآن آمد وتسمى فى غالب الاوقات ديار بكر عامرة زاهرة بما فيها من فبريقات السحتيان والحرير وبيوتها مبنية من حجر اللاف وهو احجار الخفاف واقل ما تكون بيوتها ثمانية آلاف بيت واهلها البالغ من ٤٠٠٠٠ وحول هذه المدينة مزارع البطيخ والقاوون وتزن البطيخة مائة رطل والحنطة فيها تخرج ثلاثين حبة فى نظير كل حبة من البذر ومدينة ماردين فيها نحو اربعة آلاف بيت او خمسة آلاف مشرفة فى اعالى صخور هى الجبرية على سهول اسفل الجزيرة

(ايالة الموصل) واذا انحدرنا من نهر دجلة دخلنا فى ايالة الموصل وهى ارض قليلة الاتساع غير انها خصبة منها جزء على الشرق من ذلك النهر من اسوريا القديمة اى ديار بكر وهى خصبة حبوبا وقطنا ومانا وتينا وقطرها باردة جدا فى الشتا

(مدينة الموصل) وربما كان مولدا للعمى فى الخريف ومدينة الموصل بها من ستين الى سبعين الف نفس منهم خمسة عشر الفا اتراك ومثلهم اكراد وخمسة وعشرون الفا من العرب وثمانية آلاف نصارى وهى محكومة بباشا يكاد ان يكون منصبه متوارثا فلهذا كانت مغتمة لحريتها فائزة باطلاق زمامها على قدر الحاجة اى غير مظلومة وهى محل تجارة مطروق لتجار الاجناس وبها فبريقات للسحتيان وانشة القطن يشتغل فيها الشاش المسمى عند الفرنساوية قماش الموصلية اى الموصلى نسبة الى هذه البلدة

(ايالة اورفا) والجزء الغربى من الجزيرة الذى يتصل به الفرات فى انعطافاته منفصل من السهل الخالى بنهر الخابور المسمى فى قديم الزمان خابوراس وهو على ما قاله ابو الفدا متكون من اول وهلة من ثلثمائة عين نابعة ومثل هذه العيون عدة ايضا فى مواضع أخر خضرة عظيمة ولكن فى الغالب فقد السقى ينقص خصب هذه الارض الاصلى وهى ما كانت تسمى

(اورفا) فى قديم الزمان اوسطرينة وهى الآن مسلمية اورفا التى كانت قبل ذلك ايالة محكومة بباشا ومدينتها ايضا تسمى بهذا الاسم واهل هذه المدينة من ثلاثين الى اربعين الف نفس وهى عامرة بالفبريقات وبمرور قوافل حلب بها وبقربها آثار براكين نار وعلى مسيرة اربع ساعات من جاوركورى التى هى على الشمال الشرقى من اورفا عدة لا تحصى

(المغارات الشهيرة) من المغارات المتسلسلة والكهوف المتواصلة المنحوتة والمرتبة بيد الصناعة والتدبير وهى آثار مدينة تحت الارض ثم ان الحرارة الصيفية والبرودة الشتائية الموجودة بهذه الاقاليم لم تضر فى الاعصر الخالية امم الصوقلوبة التى هى عرب اوسريانية لتوقيهم ذلك بسكناهم فى هذه البيوت القديمة ثم ان مدينة حران الخربة التى كانت معروفة فى عصر سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام هى مذكورة فى تاريخ الرومانيين باسم خرة وفى هذه المدينة هلك كراسوس مع الايانه وعلى مسيرة ساعتين من هذه المدينة كما قاله الجغرافى العثمانى تجد على تل يسمى تل ابراهيم آثار

(مبانى قديمة) هيكل لعبادة الصابئة اى عباد النجوم ويؤيد هذا ان الاقدمين ذكروا فى مدينة خرة (حوران) هيكلا لعبادة صنم لونوس (القمر)

(ربض نصيبين) والجزء الشمالى من ايالة اورفا وهو ما كان يسمى فى قديم الزمان موجوديا اومجدوديا به مراع عظيمة وتلال مزينة بما لا يحصى من الازهار المتنوعة ولذلك لقبه اليونان فى لغتهم الظريفة بلقب انثيموسيا اى الزاهر وفى هذا المحل حصن نصيبين شهير سكت زمنا طويلا وهو يحجز عساكر الفرث (قدماء الفرس) من التغلب على تلك البلاد ولم يبق فى تلك الجهة الا آثار ورسوم فى قرية نصيبين التى جميع ما حولها من الورد ابيض وثم ايضا اطلال عظيمة ورسوم لمدينة كانت تسمى فى قديم الزمان مدينة دارا وهى حصن رومانى واذا انحدرنا فى نهر يصب عند نصيبين فى نهر الخابور وصلنا الى بحيرة تسمى الخاطونية وفيها جزيرة عليها هرم مرتفع وعلى الجنوب الشرق تجد جبلا منعزلا وحده يسمى جبل سنجار وهو مطل من بعيد على سهول قفلة وجنبات هذا الجبل مسقية بمياه

(جبل سنجار)

حية نشطة الجرى فلهذا كانت مزينة بالنخيل والرمان غيرانها ماوى امة متوحشة قاطعة للطريق تميل بطبعها لسفك الدماء وللصيال وهى امة اليزيدية وهم خوارج يدعون الاسلام ويقال انهم يعبدون الشيطان وعلى كل حال فهم مبتدعة (اليزيدية)

فالآن صحراء الجزيرة تظهر نصب اعيننا وتبين بجميع ارجائها مستوية الشكل ليس بها تغير واختلاف يسر بقعة الناظر ويفرح به الخاطر وذلك ان ما فيها من النباتات المالحة الممتدة فى مسافة عظيمة من الارض يغمر رمالها المحرقة اوجبسها اليابس فتجد نبات الاسفنتين يمتد فيها كما يكثر فى اوروبا نبات الخلنج ويغمر مسافات عظيمة من الاراضى ويطرد ما عداه من النبات وافاطيع الغزلان التى هى حيوانات خفيفة تجوب هذه الاراضى التى كان يلمع بها سابقا الحمر الوحشية والاسود تختفى فى سواحل الانهر تترقب الغزلان لتصطادها فاذا لم يمكن الاسد صيدها واشتد به الجوع ولم يجد ما يسد به رمقه خرج من هذه الشطوط كالمجنون وصاح صيحات مزعجة فى هذه الصحراء المنقطعة حتى يظن انه رعد شديد ومياه هذه الصحراء فى الغالب مرة او مالحة لا يمكن اساغتها وقد يصلحونها اصلاحا هينا بان يضعوا فيها عرق السوس وهو موجود بهذه الجهات بكثرة وهذه الصحراء متصلة ببادية العرب التى خلف نهر الفرات فكانها تموذجها وقطرها كقطر بلاد العرب فى الغالب نقى الهواء يابس وفى الغالب محرق فى السهول الكثيرة الرمال القرعة المجردة من الزروع فان الابخرة الرديئة المتصعدة من المياه الراكدة تنتشر فى اجزائها وكذلك ادخنة البحيرات الكبريتية المالحة تزيد فى المادة الوبائية فاذا اختلت موازنة عمود هو آء مصاب بالعفونة فاضطربت اجزاؤه وكثر توجها بسرعة حدثت عنها ريح قاتلة تسمى بالسموم وهو مخوف بداخل بلاد العرب ويخشى ضرره اكثر من ذلك ايضا فى حدودها خصوصا بلاد الشام والجزيرة فاذا هب هذا الهواء المشؤم فان الهواء يفقد حالا خلوصه وطيبته وتصير الشمس حتى تصير كانها مستورة بالدم وجميع الحيوانات يحصل لها دهشة وحيرة فتنام بالارض لتتقى اذى هذا الريح المحرق الذى يختنق من لم يتوقه ويعرض نفسه له (ريح السموم)

ثم ان حواشى هذه الصحراء وما فاتها منها ما هو خصب نظير فان اشجار النمر هندى والكريز البرى والسرو وشجر الخلاف الشبيه نواره باذناب السنانير تظل فى كثير من المحال شطوط نهر الفرات فتسقى منه بالنواعير والدواليب بل قد يسقى منه فى بعض المحال غيطان الرمان والليمون والجميز فمن هذه المحال الظريفة مدينة اناه وهى تمتد على شاطئ نهر الفرات حتى ان من رآها يقول ان حقها ان تكون من بادية العرب فان بعض ارباب الجغرافيا الذاكرين طرق قال انها قاعدة العرب هنالك فانظر هل نحو مائة قبيلة رحالة احرار لا حاكم عليهم من الغرباء يستكثر عليهم مدينة تكون قاعدتهم والظاهر ان هذه المدينة تكون زمنا بعد زمن محل اقامة امير من امراء العرب رئيس قبيلة ذات سطوة وشوكة وعلى شمال اناه يمتد على ساحل الفرات الى حد مكان يسمى بليس اقليم صغير كثير اشجار التوت فاذا سرت فى طرقات ضيقة وصلت الى الخصاص وعشش لا تكاد تظهر من تجمع هذه الاشجار فتجد هناك مقام قبيلة من العرب اهلها ارباب صلح وهدء وهم بنو اسمين يربون دود القز ويحملون ما يخرج منه للتجارة فيه خارج بلادهم وهذا الاقليم قل ان يعرفه احد من ارباب الاسفار من الافرنجيين ويسمى بلاد الزومبول (بلاد الزومبول)

وبمدينة اناه تمر عادة القوافل التى تنقل التجارة بين حلب وبغداد وتدفع صرة للعرب الذين يرون انفسهم انهم اصحاب البادية ولو خلف نهر الفرات وتخشى القوافل ايضا من الرياح المهلكة وسراب الجراد وفقد المياه بمجرد البعد من نهر الفرات وقد ذكر بعض سياحى الفرنساوية انه شاهد بين مدينتى اناه وطيبة من هذه الاهوال هولا شديدا الا براه انسان به حاسية وانسانية الا ويحنق وذلك ان الجراد بعد أن اكل كل شئ كان عاقبة امره انه هلك ايضا عن آخره فبقيت رممه فاكسبت العفونة لجميع البر الذى يأخذ منها القوافل ما يشرونه عند فقد العيون فما يشعر هذا المسافر الفرنساوى الا ورجل تركى يترآى من عينه الغضب والياس نزل من تل وقرب من الفرنساوى وصاح انى اشتريت بثمن جسيم ما يتى جارية من اجمل بنات الروم والكرج وتعهدتهن بحسن التربية حتى وصلن الى سن البلوغ فاردت ان اسافر الى دار السلام لبيعهن والكسب فيهن فكدن يهلكن فى هذه البادية ظمأ وانا ايضا قد اشتد بى الحال وازداد ظمأى اكثر منهن فاجتاز الفرنساوى التل بسرعة فرآى مالكه فى سابع عمره وهو ان بين اثنى عشر خصيا ونحو مائة من الابل هؤلاء البنات ربات الجمال البديع اللواتى عمرهن من اثنتى عشرة سنة الى خمس عشرة سنة ناعمات بالارض ذابلات من العطش الشديد مشرفات على الموت بل متيقنات الهلاك بل منهن من ماتت ودفنت بحفرات ومنهن ايضا عدة جوارمتن بجانب حزامها ولم يمكن لهم ان يدفنوهن لذ ذاب

قواهم من الم العطش ومن سائر الجهات يسمع غرغرة اللواتى يمتن وصياح من بقيت فيهن الروح وبعض قوة يطلبن من غير طائل جرعة ماء فما كان من السواح الفرنساوى الا انه فتح قربته ولم يكن بها الا يسير من الماء ليسقى هؤلاء العطاش واراد أن يقدمها لواحدة منهن وكان مع هذا الافرنجى جمال عربى فصاح وقال له ماتريد تفعل يامجنون اتريد أن تموت مثلهم من العطش ورمى هذا الجمال الجارية التى بيدها القربة فماتت وقد هدد كل من امسكت القربة بالقتل واشار على مالك الجوارى ان يذهب الى طيبة ليأخذ منها الماء فلم يرض مالك الجوارى بذلك وقال ان بطيبة قطاع طريق يسلبون منى جميع جوارى وجذب الجمال هذا السواح وذهب من عند تاجر الجوارى فلما رأى الجوارى هذا الفرنساوى ذاهبا من عندهم وعرفن انه لاسبيل لهن الى الشرب وتيقن اليأس صحن جميعا صيحة مزعجة فما كان من العربى الجمال الا أن اخذته الشفقة فقرب من واحدة منهن وصب لها يسيرا من الماء على شفتيها المحترقتين ووضعها على رحله وقصد ان يهديها لامرأته وسار بها من الطريق التى كانت مرت بها ومعها صويحباتها فانعمى عليها ثلاث مرات حيث رأت صويحباتها ساقطات ميتات من العطش فعما قليل فرغ الماء من القوافل التى كان هذا الفرنساوى يصحبها فابصروا بئرا ظريفة مياهها باردة رائقة ولكن حبلهم كان قصيرا بحيث لايمس سطح الماء فقطعوا اعبيتهم شرطانا وربطوها فى بعضها وصاروا يملؤن بها الماء لكن لايخرجون فى المرة الا يسيرا خوفا من ان تقطع فيسقط الدلو فى البئر فبلغوا منازل الشام الاولية الابتدائية الخطر والمشاق العظيمة

(تخطيط الجزيرة) وكلما اشتد قرب النهرين العظيمين وهما دجلة والفرات خصوصا جهة بغداد عظم قربهما هنالك حيث يكون البعد بينهما مسافة ست ساعات وتغيرت البادية وصارت كانها روض واسع الارجاء لايحتاج فى سعة الخير وكمال الخصب الا الى مجرد السقى فيخرج منها اذا سقيت خيرات عجيبة وهذا الاقليم هو ما كان فى قديم الزمان بابلونيا وهو متكون مثل بحيرة مصر المسماة دلطة من ارض قيفية اى من قيوف الانهر حيث انحسر عنها الماء وحر هذا الاقليم شديد ولو عند اهله وبه الشتاء بارد لقربه من جبال الكردستان ويسقى دجلة والفرات الاراضى الواطية ولكن لايكسبها طينا مثل مايكسبه نيل مصر لارض مصر ولكن هذه السقاية الطبيعية اذا دربت بالصناعة

(تولدات) تجعل ايضا اراضى بغداد بستان آسيا وكان الشعير والارز بها متضاعفى الحبة الواحدة من البذر فتخرج مائتى حبة والآن الخلجان والترع مهملة مهجورة فلهذا كان حاصلها الآن انما هو ما كان يحصل فى قديم الزمان ويهايزرع القطن ولو زرعت بها النيلة لنجحت وربما صبغ بها ايضا قصب السكر وهى جيدة الليمون والمشمش وهذه البلاد عديمة الاشجار وليس بها من الشجر مايزين فلا تحا الا النخيل ومايخرج منه وهو التمر يكون غذاء اهلها

(عيون النفط) وجريد هايسقف به البيوت وجذوعها تكون اعمدة لها وعلى امتداد شط الدجلة عيون النفط وهو نوع من القفر وتوجد هنالك بكثرة والقفر الاسود يسد مسد الزيت والابيض المسمى بالنفط تسمية حقيقية معدود من الادوية النفيسة ولم تزل الى الآن عادة طلاء القوارب المضفورة من فروع البندق التى يسافرون بها فى النهر وهذه المادة القفرية تكثر جدا حتى انهم يدعونها تصب فى نهر الدجلة فتسبح فيه على وجه الماء فاذا شعلها المراكبية بالنار ربما ظهرت بالنهر محاكية لنهر متقد بتمامه فيكون منظرها من اعجب مايراه الانسان

(بغداد دار السلام) ومن مدن هذه البلاد مدينة بغداد التى كانها بابل ثانية وقد كانت فى قديم الزمان دار الخلافة وكم مر بها من فتن عظيمة ولم يكن بها الآن من الاهل الا نحو ٨٠٠٠٠ منهم ٥٠٠٠٠ من العرب وهى مزينة بما فيها من الاسواق الظريفة فلهذا كان منظرها كمنظر المدن الفارسية لا التركية ولكن حاراتها وازقتها متسخة وبيوتها لايظهر منها جمال منظرها ونفس المدينة محصنة بسور قوى شاخ وبها فبريقات القطن والقطيفة وينضم الى هذا ماياتيها من البضائع الهندية فبهذا كان اهلها ارباب غنى ويسار ولم يزل عندهم الى الآن بقية من آداب الاخلاق وحسن الطباع التى كانت زاهرة فى دواوين الخلفاء العباسيين وقد شاهد بعض السواحين انهم لايذبحون بسلطاناتها البقر اصلا قال الجغرافى التركى ان بعض الخلفاء العباسية امر بعدم ذبح البقر بها لحفظ الزراعة وتعهد شانها وحكم باشا بغداد من البصرة الى اورفا ومن شهرزور الى بابل وفى وسعه ان يجهز خمسين الفا من العساكر ولم يكن من تحت اوامر الدولة العثمانية الا يسيرا

(اثار سلوقية واقسطيفون الخ) وتحت بغداد آثار تسمى المدائن وهما اثار مدينتين تسميلان ارباب الاسفار احداهما هى ما كانت تسمى فى قديم الزمان اقطسيفون فهى هى ولابد واما المدينة المعتدة على ميسرة النهر فليست مدينة سلوقية خلافا لجميع ارباب السياحة بل هى مدينة كانت تسمى كوشة وكانت حصنا بمقابلة مدينة سلوقية فهى غير سلوقية كما حقق ذلك كل من اريانوس وغرغوارس النزيازى واما آثار سلوقية فانه ينبغى البحث عنها على البعد

من دجلة بفرسخ عظيم على خليج يصل الدجلة بالفرات وفي آثار اقطسيفون تجد هيكلا عظيما يسمى طاق خسرو واشهر تفاسيره انه ايوان كسرى وجميع هذا الاقليم منتشر فيه آثار المدن اليونانية والرومانية والفارسية والعربية مختلطة معا متشابهة بعضها مع بعض في التلاشي وفي القرن الثامن من الميلاد كانت قرية سمرا وقريتها رونية وقرية جفاريك (لعلها الجعفرية) عبارة عن طريق مستطيلة مسيرة سبعة فراسخ وقد رأى آثارها طاورنيار فاثبت صحة هذا القول

(آثار بابل) وليس من هذه المدن ما يضاهي في العظم مدينة بابل التي آثارها الآن شاغلة لكورة بتمامها حوالي الحلة وقد بنيت هذه المدينة بقراميد مشوية بالنفط فلهذا تجد مبانيها التي كانت في القرن الاول من تاريخ النصارى خالية من الاهل قد تهدمت وحدث من انقاضها تلول وقد محا آثارها ما علاها من التراب وتداول الايام ودائما يبحثون فيها ويحفرون ليستخرجوا انها شيأ فيخرجون منها كثيرا من القراميد المنقوشة المكتوبة منها ما فيه رسوم عربية مؤرخة من عصر العرب ومنها ما فيه رسوم قدماء البابليين وهذه القراميد ايضا وقع في شأنها خلاف بين علماء الآثار

(الحلة) الغربية ومن مدن هذا الاقليم ايضا الحلة وهي مدينة عظيمة عامرة بما فيها من الفبريقات وحسنة الوضع في غابات النخيل والظاهر انها مبنية بكليتها من قراميد مستخرجة من انقاض بابل القديمة وبرج النمرود الشهير في كتب التاريخ هو اسوار متهدمة في شكل مربع عظيم على فرسخين من الحلة واذا اعتبرنا ما كانت عليه بابل من الاتساع العظيم ساغ لنا ان نقول ان هذا الهيكل الذي هو برج النمرود يجوز ان يكون هو هيكل بلوس اله الواقيين

(مشهد علي ومشهد الحسين) وعلى غرب الحلة مدينتان معظمتان عند العجم وجميع الشيعة لما انه استشهد بهما امامان عظيمان من ائمة الاسلام وهما مشهد علي ومشهد الحسين وهما مدينتان كبيرتان كانتا سابقا مشحونتين باشياء ثمينة وضعها فيهما الاعجام فنهبتها الوهابية المتوحشون واخذتها الى بواديها وفي هذه البقعة ايضا مدينة

(الكوفة) الكوفة الشهيرة التي ينسب اليها الخط الكوفي والمذهب الكوفي في النحو لما كان بها من العلماء المشاهير وليس في آثارها شيء عجيب ولا نعرف كل اتساع البحيرات والبرك التي هي في هذا الحمل خلجان متشعبة عن نهر الفرات والظاهر ان السواح طاورنيار سلكها ولكن توغل في الغرب ازيد من جميع متأخري السواحين الافرنجيين فلابد انه على امتداد نهر الفرات عدة برك متوالية متواصلة او كما يقوله اهل البلاد بطائح في وسطها قرية جميدة وهي بندر قبيلة تعبد النجوم وتزعم انها من نسل شيث عليه السلام (ذكره الحاج خليفة)

فاذا انحدرنا من مجتمع النهرين وهو شط العرب رأينا المياه المالحة الخارجة من البحر تعلو الاراضي الواطية وتغمرها وتجعلها عقيمة مجدبة ولكن الاراضي التي بها ارتفاع يسير ليس بها الا غابة نخل واحدة

(البصرة) ومدينة البصرة تحت مجتمع الفرات ودجلة يمكن ان تعتبر كانها ولاية عربية مستقلة لا تعطى لسلطان العثمانية الا التعظيم الظاهري واهل هذه المدينة من ١٥٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ نفس ومينا ها مجمع اوروبا وآسيا فبضائع اوروبا والهند تستبدل فيها ببضائع العجم ومنها تخرج القوافل العظيمة الغنية الذاهبة الى المدن الجليلة من مدن آسيا التي بايدي العثمانية

وعرب البصرة لا يقتصرون على حفظ اجناس خيولهم بل يحافظون ايضا على عدم خلط اجناس حمامهم وغنمهم ويقال ان جميع اغنامهم ممتازة بجلطة بيضاء في طرف الاذن يقولون ان هذه من اصابع النبي عليه الصلاة والسلام في اول كبش عندهم من هذا الجنس

(جدول تقسيم البلاد التي على نهر دجلة والفرات)

تقسيم جديد	مدن اصلية	تقسيم قديم	
ايالة قرص	قرص (قرطه)	خرزينة	ارمنية
	بايزيد	بسنيا	
ايالة ارض روم	ارض روم (ارزه)	قارينا	
	ملازجرد	ملازا	
	اسپير	هسپيراطيس	
		آسيليزين	
	ارزن	ارزانينه	
	تارو	طاورانطيوم الخ	
ايالة وان	وان (ايسان)	وسبوراقانيا	
	ارجيش	ارسيسا	
		مكسين	
		بغروندان	
ايالة ديار بكر	ديار بكر (امد)	سوفينة	
	ماردين (مرديس)		
	نصيبين (نصيبيس)	موجونيا	الجزيرة
		اتموزيا	
ايالة اورفا القديمة (تحت بغداد)	اورفا (ايدسا)	اوسرهونة	
	حران (حرة)	خالقيطيس	
	الرقه (نيقيفوريوم)	غوسانيطيس	
		انتوباريطيس	
ايالة الموصل	الموصل (لعلها البانا)	افابنا	
	اربل (اربلا)		
	اسكي موصل (نينوى الرومانيين)	اسوريا	اسورية
كردستان	بدليس	كردوينا غردوينة	
	جزيرة	كردونيسيا الخ	
	جيولامرك	اراپوغيطيس	
	قراجيولان		
	اماديا	ادياينة	
ايالة بغداد	بغداد (لعلها سطوقينة)	سطوقينة	بابلونيا
		ابولونياتيس	
	الحلة (بابل)	بابلونيا	
	البصرة	خدلديا	

وهذا جدول يتضمن تقسيم بلاد ارمنية على مقتضى تقسيم مورخ ارمني يسمى موسى الخورينى في القرن الخامس وهذا التقسيم مطابق لما كان معروفا عند اليونان والرومان سابقا

اقسام كبيرة اى اقاليم	اقسام صغيرة على مقتضى تقسيم موسى المذكور	اقسام يونانية ورومانية	اسماء جديدة مقابلة ومرادفة
١ ارمنية العليا على اعلى نهر الفرات	قارينا	قارابيتس	ارض روم
	اسپيرا	اسپيراتس	اسپير وهى مدينة
	درزانة	اكسپرسان اودرسان	على جنوب ارض روم
	اكلوزيا	اكيليزان	اجكليس
	(خمسة اخرى)	غير معروفة	غير معروفة
	خورزينة	خورزينة	قرص
	هـ تيانة	استيانينة * اوستاتس	غير محققة
	بلهويسيا	بولبينة	كذلك
٢ ارمنية الرابعة وحدودها من قرص الى ديار بكر	زوفا	سوفينة	جزء من ديار بكر
	شداخيا	سوديقينة	مجهولة
	هنسيتا	آزوتينة * انسقينة	كذلك
	(ثلاثة اخرى)	غير معروفة	غير معروفة
٣ آلزنيا على دجلة	ارزن	ارزانين	ارزن
	نوفرسرتة	غير محققة	ميافارقين وهى مدينة
	(ثمانية اخرى)	غير معروفة	غير محققة
٤ توروبيرنيا * بين مراد وبحيرة وان	تارون	تورانسيوم	تارو
	هرخ	بازيليسينة	جهة منابع مراد
	كرشورونيا	غير محققة	هالى كركا (لعلها خان كركر)
	بيزنونيا	مجهولة	على بحيرة وان
	(ثلاثة عشر اخرى)	كذلك	غير محققة
	. . . . .	موكسوينه	موخ بقرب بحيرة وان
٥ مخا * بين الاقليم الثالث والرابع	ايرزنسيس	ايرنخى	مجهولة
	(ثمانية اخرى)	غير محققة	كذلك
٦ كورزوا فى شمال كردستان	كورديرة	كوردينوس * كوردوين	فى كردستان
	اتروانة	اتروپاتين الحقيقية	فى اذربيجان
	غارتينزيا	غوردينزيا	فى كردستان
	ألبقيا	مجهولة	ألباق وهى مدينة من اذربيجان
	(اربعة اخرى)	كذلك	غير محققة
٧ پرسرخى (اى ارمنية العجم) وهى جزء من اذربيجان	ماريا	ماروند	مراند (عجم)
	زركوان	مجهولة	زروا
	(سبعة اخرى)	كذلك	غير محققة

اقسام كبيرة اى اقاليم	اقسام صغيرة على مقتضى تقسيم موسى	اقسام يونانية ورومانية	اسماء جديدة مقابلة ومرادفة
٨ وسيبرقانيا وهى وسيبرقانيا الخرطات الاخيرة وجزء عظيم من ايروان	ابيان وهى تخت	غير محققة	وان
	ارجيسا كوويتا	آرسيزا	ارجيش وهى ارض
	ارتازاكا	ارتكزاتا	غير محققة
	غلوثين	كاوتين	كذلك
	نكسيانا	نكسيانا	نخجوان
	(احدى وثلاثون اخرى)	مجهولة	غير محققة
٩ سينيا وهى سيونيخ	. . . .	مجهولة	سينيخ وهى خط في الجنوب الغربى من بحيرة ايروان
	سيسلاقين	سيباقين	غير محققة
	(تسعة اخرى)	مجهولة	كذلك
١٠ ارساخا في جنوب بحيرة ايروان وشرقيها	ايرانيا الكبرى	غير محققة	ايريوان المسماة ايضا ايران
	موقانيا	كذلك	موقان
	(اثنتا عشرة اخرى)	كذلك	غير محققة
١١ فتقارانيا في جنوب البحيرة السابقة	بغاوين	بغروندين	. . . .
	ألوان	مجهولة	في اذربيجان
	(عشرة اخرى)	كذلك	. . . .
١٢ ايتيا على نهر ارباز وهو اوزيس القديم	ايتيا الحقيقية	اوتين	في ايروان
	سيكاسين	ساكاسين	غير محققة
	(ستة اخرى)	غير معروفة	كذلك
١٣ غوغاريا في بلاد الجرج	. . . .	غوغارينة	جرجستان
	كلبوفريا	كاوتينة	غير معروفة
	تريليا	غير محققة	تريالتى (جرج)
	كنعر	غنغارا	غير محققة
	تسكيرا	غير معروفة	تسكير (جرج)
	ارتوانيا	كذلك	ارتواند (جرج)
	زواكيا	كذلك	زوالث (جرج)
	(ثلاثة اخرى)	كذلك	غير محققة
١٤ طيا في الجرج	كولبا	كولوا	على كور الاعلى
	آزرتا	سورتا	كذلك
	(ستة اخرى)	غير محققة	غير محققة

اقسام كبيرة اى اقاليم	اقسام صغيرة على مقتضى تقسيم موسى	اقسام يونانية ورومانية	اسماء جديدة مقابلة ومرادفة
١٥ عرارنيا حول عرارة	بسفيا	غير معروفة	بازن سفلى
	ارساروسيا	كذلك	على لاركس فى شمال اسكميازان
	سيراسيا	كذلك	على سنكى
	بغروندا	بغروندين	غير محققة
	واتندا	فاتينة	كذلك
	ملازا	غير محققة	ملازجرد وهى مدينة
	(اربعة عشر اخرى)	كذلك	غير محققة

المقالة المكملة للخمسين فى تخطيط آسيا

بلاد الدولة العثمانية فى آسيا * القسم الثالث فى بلاد الشام وبلاد فلسطين * وتنبيهات عامة تتعلق ببلاد العثمانية

ثم ان الذى بقى علينا من الاقاليم التى هى من عثمانية آسيا هو الذى يستميل دائما عقول ارباب السياحات حتى حملهم على أن يصنفوا فيه أكثر الجمة فلو اردنا أن نذكر اسماء السواحين الذين جوابيت المقدس لما كفانا ثلاث صحائف لمجرد سرد اسمائهم ومؤلفاتهم وان كان اغلب هذه المؤلفات مشتملا على التكرار والترهات ولكن لا باس أن يتأمل اليها صاحب الفكر الصائب ويراجعها ولما قوبلت مع كتب ابى الفدا وكتب يوسف المؤرخ وكانت مقابلتها بشدة اعتناء واهتمام كانت مادة للحكيم بوشنغ فى تأليف قطعة عظيمة من الجغرافيا وفى عهدنا هذا عرف سوّاحوا الافرنج على اختلاف علومهم جملة من البلاد كل واحد منهم عرف مواد متفرقة مخصوصة تتعلق بها فذهب الى هذه البلاد لذلك من القسيسين جماعة منهم دندينى ومن المتولعين بآثار الاقدمين أخرون منهم الحكيم وود وكذلك من علماء التولدات كثير مثل موندرل وهسليكست فكل منهم تكلم عليها بما يناسب فنه ولكن قد بقى الفخار لحكيم آخر صاحب قريحة متينة وهو الحكيم ولنه فانه مزج جميع هذه المواد المتفرقة بما شاهده ورآه وما اطلع عليه فخطط ما يتعلق بالشام تخطيطا عظيما فحينئذ لا لوم علينا اذا اعتمدنا فى الغالب ما ظهر من تفتيشات الحكيمين بوشنغ وولنه لما ان غرض رسالتنا هذه الايجاز وهو بابى التدقيق الفلسفى فى التخطيط فنقول

مؤلفات متعلقة بالشام

(حدود) الشام محدودة بحدود ثابتة فهى من جهة الشمال الشرقى محدودة بالفرات ومن جهة الشمال الحقيقى بجبال امانوس المسماة الان بجبال الماطاغ ومن جهة الغرب بالبحر الابيض المتوسط ولكنها جهة الشرق تختلط صحاريها مع صحارى بلاد العرب ولم يمكن المتقدمين ولا المتأخرين أن يحدوها بحد مخصوص فقد كان الاقدمون يعتبرون تدمر ودمشق والبحيرة المنتنة المسماة بركة لوط كانها مدن اطراف لبلاد الشام والان آثار مدينة تدمر معدودة من بلاد العرب البادية وكذلك من جهة الجنوب اذا توهمنا خطا هندسيا مرسوما من طرف بحيرة لوط على مصب سيل العريش فانه يكون هو الحد المتعين على ما يظهر بين الشام ومصر من جهة وبين الشام وبلاد العرب الحجازية من الجهة الاخرى ولا يمكن غير ذلك

(اسماء) وهذه البلاد كانت تسمى فى قديم الزمان باسم ارم ومنه اريمية اومبروس شاعر اليونان والعرب يسمونها بر الشام ومعناه الشط الايسر بمقابلتها ببلاد اليمن اى بلاد اليمين وهذه التسمية مبنية على وضع مكة وفى هذا اشارة الى معنى صحيح وهو ان بلاد الشام انما هى ضلع من بلاد العرب (والترك يسمونها سورستان والافرنج سورية)

(جبال) ولبست جبال الشام كلها متشعبة عن جبال طوروس فان جبل ألرسوس خارج من جبال امانوس ومنته فى وادى نهر حماة المسمى نهر العاصى وجبال أخرى ايضا تمتد على امتداد نهر الفرات الى تدمر ولكن سلسلة الجبال الخاصة ببلاد الشام تبتدئ فى جنوب انطاكية بالجبل البارز كالسن المسمى قسيوس وهو جبل شامخ فى الهواء وله رأس ترتفع كالمسلة حولها غابات فتلك السلسلة تتوجه على شطوط البحر الابيض المتوسط وتسمى باسماء مختلفة وليست بعيدة عن البحر عادة الا بسبعة فراسخ اوثمانية والظاهر ان اعلى رؤس هذه الجبال هو جبل لبنان وهو سلسلة جبال تمتد بين متوازيات عكا وطرابلس ورأسها تسمى باسم هرمان فى التوراة وهذه الرأس بين دمشق وهليوبوليس ثم ان هذه السلسلة تنقسم الى سلسلتين احداهما غربية وهى تقابل البحر الابيض المتوسط والثانية شرقية وهى على حافة سهول دمشق وهذه السلسلة الثانية سماها يونان الشام باسم انطى لبنان وهو اسم لا يعرفه اهل البلاد وهذا الاسم اطلقه المؤرخون على السلسلة اطلاقا جغرافيا من عند انفسهم فكان ذلك سببا لكثير من المباحثات التدقيقية التى تمللها النفوس ثم ان جبل لبنان وسائر جبال الشام بها فى كثير من الاحيان آثار بروج وحصون وقصور وهذه الجبال مركبة من حجر جيرى صلد مبيض له صوت رنان

(آثار جبال نار) وقل أن ظهر الصوان بها الا عند القرب من جبل طورسينا وخليج العرب وبقرب دمشق مغارات عظيمة كل مغارة تسع اربعة آلاف نفس تسكنها وحوض نهر الاردن يظهر كثيرا من آثار براكين النار وهى ما عندها من المياه القفرية والكبريتية التى ببحيرة لوط واحجار اللاف وهى احجار الخفاف واحجار السفنج التى على شطوطها والحمام الحامى الموجود طبرية فان هذا كله يدل على ان هذا الوادى كان فى قديم الزمان محل تسلطن نار لم تخمد الى الآن وقد تامل بعضهم فى البحيرة الميتة فشاهد انه يخرج منها زوابع دخان وانه ينفتح فيها من فس جديدة تحدث بها على حافتها قال اسطرابو نيس ان اخبار اهل هذه البلاد تدل على ان وادى هذه البركة كان به ثلاث عشرة مدينة عامرة وانها خسفت بزلزله ولكن اعترف بان الحكيم ايراطستيفس جعل سبب هذه البلية هو مجرد هبوط الارض وغورانها لا شئ آخر وهيجان هذه

(زلازل)

النيران ونورانها قد زال وانقطع منذ زمن طويل ولكن الزلازل التي كان لها مدخلية لم تزل باقية في هذا الاقليم تظهر حينا بعد حين وفي العادة الساحل عرضة لذلك وقد نص التاريخ على مرات عديدة وقع فيها ذلك حتى تغيرت بالزلازل صورة انطاكية واللاذقية وطرابلس وبيروت وصيدا وصور وبل وعلى القرب من عهدنا هذا في سنة ١٧٥٩ من الميلاد ظهرت زلزلة عظيمة حصل بها فساد عظيم وتخريب جسيم زعم بعضهم انه هلك بها في وادي بعلبك ما ينيف عن عشرين الف نفس وخسارتهم لم تجبر الى الآن ومن المشاهد في الشام ان الزلازل لا تكاد تقع الا في الشتاء بعد امطار الخريف

(انهر)

ثم ان كلا من نهري العاصي والاردن ينزلان من جبل لبنان فنهر العاصي يجري من الشمال والثاني يجري من الجنوب والاول يجمع على انه ملك نهر الشام ولكن لولا المواقع الكثيرة التي تحجز ماءه ليبس في الصيف بالكلية وذلك ان هذا النهر لما كان عميق الفراش عالي الحافات لم يمكنه ان يسقي ما جاوره من المزارع الا بنعاء عير على حوافيه ولهذا سمي نهر العاصي واما نهر الاردن الذي ذمه ولتير الشاعر فقد مدحه بلينياس العالم بالمواليد فقال انه نهر جميل رائق عريض بالنسبة للوادي الذي هو يسقيه ووافقه على ذلك جميع السواحين المتأخرين حيث لاحظوا ما لاحظ وثم انهر أخر غايتها انما هو سيول لا انهر فنها نهر القاسمي الذي كان يسمى قديما قاسميروه وفي شمال صوروس والظاهر انه هو الذي كان يسمى في الاعصر الخالية نهر ليونطس واما النهر المسمى بالنهر الكبير فهو الذي كان يدعى قديما باسم ايلوثروس وهو نهاية بلاد الصوريين وقد ذكر الاخباريون في شأنه خبرا يقتضي انه مات فيه الملك افريد يقوس برير وس وهو خبر كاذب

(بحيرات)

ولما كانت انهر الشام ممنوعة المسير بعدة جبال معترضة تولد بها كثير من البحيرات فحوضة نهر العاصي تشتمل على بحر الكديس بقرب حمص وعلى بحيرة افامية ويمر بها هذا النهر وكذلك بحيرة انطاكية

بحيرات لا جريان لها

وفي الاجزاء المشرقية والجنوبية عدة بحيرات لا جريان لها مثل بحيرة عقلا وبحيرة حلب القديمة وهاتان البحيرتان مياههما ملاحة وبحيرة المرج وهي بقرب دمشق تجتمع مياهها المتولدة على سواقات الجبل من الجبال المجاورة لها وأشهر جميع هذه البحيرات البحيرة الاسفالطيطية اي بحيرة قفر اليهودي المسماة البحر الميت وتسمى بركة لوط والظاهر انها كانت دائما على حالها التي هي عليه الآن يعني انها منقطعة غير متصلة بالبحر

امزجة الاقاليم

واقطار الشام ثلاثة مختلفة وذلك ان رؤس لبنان مستورة بثلوج فهي تشعر على داخل الاراضي طراوة طيبة بخلاف الاجزاء البحرية فانها انخفض من الداخل فهي دائما تذوق الحرارة الرطبة وبخلاف السهول المجاورة لبادية العرب فانها دائما عرضة للحر القليا بس في الحر فلهذا تختلف فصول بلاد الشام وتولداتها ففي الجبال انتظام الفصول يكاد يكون مثل فصول وسط فرانسا فان الشتاء يمكث من نوفمبر الافرنجي الى غاية مارث ويكون قويا شديد البرد ولا تمضي هناك سنة من غير نزول ثلوج تغمر في الغالب الارض فتكون عليها عدة اقدام وتمكث عدة شهور كاملة ويكون الربيع والخريف بهذه الجبال لين المزاج وفصل الصيف لا ثقل فيه على الانسان بحيث يتعمله بغير ما تعب والامر بالعكس في السهول فانه بمجرد حلول الشمس في خط الاستواء يظهر الحر الشديد المتعب دفعة واحدة ولا ينتهي الا في شهر أغسطوبر الافرنجي ولكن الشتاء معتدل عند الاعظيما بحيث يمكن نمو اشجار البرتقان والنخيل والموز وغير ذلك من الاشجار اللطيفة التي لا تحمل الحر فلذلك تجد بالشام طريقا مسيرة عدة ساعات تفصل الربيع من الشتاء هكذا حققه بعضهم

خصب الشام

فاذا عاونت الصناعة طبيعة هذه الاراضي فانه يمكن أن يجلب الى الشام في مسيرة خمسة وعشرين فرسخا نبات البلاد البعيدة لتغتني الارض وزيادة على ما فيها من الخطة بانواعها والشعير والفول والقمان الذي يزرع في جميع نواحيها فيها ايضا كثير من الاشياء النافعة والمستظرفة غير انها مخصوصة بأماكن كل محل وما يناسبه مثلا بلاد فلسطين كثيرة السمسم النافع لعمل الزيت وبها الذرة بكثرة نظير ذرة مصر والذرة التركية تصح ايضا في ارض بعلبك الخفيفة بل والارز ايضا يزرع ويصح وينجح في ارض الحاولة السبخية وقد استحسنوا منذ عشرين سنة أن يزرعوا قصب السكر في بساتين صيدا وبيروت فخرجت مثل قصب السكر الذي يزرع في بحيرة مصر والنيلة تخرج من غير صناعة على شطوط نهر الاردن في ارض بسان او بزان فلا تحتاج الا لقليل تعهد لتكون جيدة الصفة وهضبات اللاذقية يخرج بها دخان للشرب وهو اساس البضائع التي تحمل الى دمياط والى مصر المحروسة وزراعة الدخان الآن منتشرة في جميع الجبال واما الاشجار فان مثل زيتون اقليم برونسه بفرانسا يخرج في انطاكية وفي الرملة ويرتفع حتى يكون كشجر الزان والتوت الابيض هو سبب يسار الدروز لما يخرج منه من الحرير الطريف وشجر العنب

تعلو دواليه على شجر البلوط ويخرج منه تبيذ احمر وابيض يضاهي تبيذ بردو في بلاد فرانسا وليون يافا ممدوح وكذلك بطيخها وفي غزة نخيل مكة ورمان الجزائر بالمغرب وطرابلس الشام برتقان بها عظيم ينظم في سلك برتقان مالطة وبيروت تين لا ينقص شيأ عن تين مرسيليا وبها موز ايضا كموز سفدو منغ وليس لخوخ حلب نظير في الدنيا ودمشق تفاخر اوروبا في جميع ما فيها من الفواكه والواقع انها يحق لها ذلك فان ارضها الحجرية تصلح لكل من تفاح نرمنديا وبرقوق اقليم تورينة وخوخ حوالي باريس

وقد ظن تيبو هران بلاد الفلسطين تصح فيها زراعة بن اليمن

حيوانات

وفي الشام سائر ما في اوروبا من الحيوانات الاهلية وتزيد الشام على اوروبا بالجواميس والابل وفي اوروبا المعز الوحشية وفي الشام نظيرها الظباء والغزلان وفي اوروبا الذياب وفي الشام بدلها الجكال وهو ابن آوى

الجراد

وكذلك الضباع والنمورة الصغيرة وتسمى الاونقة وليست في الحقيقة نمورة بل وهم من قال انها كذلك والجراد بهذه البلاد اكثر عليها ضررا من جميع هذه الحيوانات المتوحشة وذلك انه اذا جاء الشتاء وكان البرد هينا كثر الجراد بارض العرب وجاء اقاما يع اقاطيع الى بر الشام فتنشف الزروع واوراق الاشجار عقب ذلك ويكون هذا سبب قحط الشام في اغلب الاحوال فاذا حل بهم هذا دعوا الله تعالى أن يرزقهم بطير السمرمر ويسلطه على الجراد فيأكله او يريح الجنوب الشرقي ليطرده جهة البحر ومن الجراد نوع يكون لحمه غذاء وقوتا لاردينا ولا طيبا

الامم الساكنة بالشام

ثم ان بلاد الشام اخذها عدة مرات بالمناوبة العجم والروم والعرب والافرنج والعثمانية فلهذا حصل اختلاط اهلها بالعرب وامتزج دمهم بدمهم وتناسلوا بينهم حتى صاروا جنسا غير خالص وصار اهلها الحقيقيون قليلين جدا وارباب المناصب المدنية والعسكرية هم الاتراك دون غيرهم وبها كثير من العرب استوطنوا وفلحوا الارض وبها ايضا عرب البوادي الرحالة المتنقلون خصوصا في ايالة دمشق وبارض حلب كثير من الاكراد والتركمان الرحالة النزالة

لغات

ومن امم الشام الدروز والمتاولة والنصارية والموارنة وسيأتي ذكرها واصل لسان اهل الشام السرياني القديم ولا يعرف الآن الا في بعض اقاليم صغيرة لاسيما حوالي دمشق وفي جبل لبنان ومع ذلك فمن يعرفه في بلاد الجزيرة واورفا وحران يحسن التكلم به عمن يعرفه في بلاد الشام واما اللسان العربي فهو المتداول في الامصار والارياف واما لغة النبيط فهي لغة مركبة من السريانية والكلدانية حرفها نبيط الآن وتداولوها والنبيط هم فلاحو

اديان

هذه البلاد ومن الملل النصرانية التي لا تتعرض دولة الاسلام لمن يتعبد عليها دين الشوام التابعين للملة اليونانية واهلها هم اكثر باقي ملل النصارى بهذه البلاد ثم الملة المقلبة الملكية وتسميتها بذلك تذكر قبيح سياسات ملوك بوزنطيا التي هي القسطنطينية فان ملوكها كانوا يدخلون انفسهم مع القسوس في المحاورات والمرآء في الديانات ومن الملل كذلك ملة اليعقوبية ومقادوها ايضا كثيرون والموارنة تبع لبابة رومة ودينا الدروز والنصارية هما مركبان كما هو الظاهر من عقائد سريانية قديمة ومن احكام اسلامية واما المتاولة فانهم رواضف ينتسبون الى الامام علي رضي الله تعالى عنه ويبغضهم الاتراك بغضا شديدا ويضاف الى هذه العبادات الشنعاء ويسمون البوهيمية وهم الغجر واما عرب البوادي فانهم وان صح ان لهم دينا يتمسكون بعقائده فلا عبادة لهم اصلا ويضم الى ذلك ايضا الافرنج واليهود والارمن والنسطورية ويقال انه لا يوجد اقليم يجتمع فيه من الديانات مثل ما يجتمع ببلاد الشام فيها سائر العقائد الدينية فيها دين الاسلام سنية وشيعة وكذلك دين النصرانية بسائر شعبه وضلالاته ثم ان هذه الامم المجتمعة المختلفة الجنس والدين كانت محكومة باربعة باشات ولكن باشا حلب في ايالته كثير من الطوائف السواحة من الاكراد والتركمان التي لا تمتثل اوامره في غالب الاحيان واما باشا دمشق فانه يدفع لمشايخ العربان نقودا في خرقة وتسمى صرة السلطان لانه يدفعها لهم باسم السلطان واما باشا طرابلس وباشا صيدا وهو باشا عكا فقد يقوم عليهما الموارنة والدروز وغيرهم ويهجمون على بلادهما ويتعبونهما خصوصا ان كان شيخ القبيلة اوامير الدروز صاحب شهامة وشجاعة وتثبت وصبر فقد شوهد خروجهم عن الطاعة

امم مستقلة

واستقلالهم بالحرية وعدم تعلق ولاياتهم بالدولة العلية ولكن عاقبة امرهم الدخول في الطاعة بطلب الامان او بالقهر والغلبة وبالجملة فلا زال تعب رعايا الشام باقيا على ما هو عليه وذلك لانه طالما ظلم الباشات الفلاحين واستولوا على اموالهم ظلما وتارة ينهب الفلاحين ايضا قطاع الطريق من العرب النهابة وارباب السفر مجبورون على اخذ قطاع الطريق معهم ليكونوا خفراء عليهم وبها تضعف الفنون والصنائع لقلة الاهل والمعارف والتجارة فيها عرضة للخسارات المسببة عن الظلم والجور ونهب القوافل فهي قاصرة مع ان هذه البلاد بحسن وضعها تستدعي حالة عظيمة للتجارة لحسن

حكم

مما هي عليه الآن فان تغيرت عن هذه الحالة المستوحشة صلح شأنها والا تيسر التغلب عليها بغزوة افرنجية تأخذها

بالسهولة

بالسهولة من ايدى المستولين عليها ارباب الخشونة والتبربر

ايالة حلب
حلب الشهبا

ولنبحث الآن عن اشهر الاماكن مبتدئين بالقسم الذى بجوار الفرات وهو ايالة حلب فنقول ان المدينة المسماة بهذا الاسم هى كما فى كتاب البوزنطينيا بترة القديمة وهى اعظم جميع مدن العثمانية باسيا سواء بتأدب اهلها او بعظمها او كثرة اموالها وغناها وظن بعضهم ان اهلها لا يزيدون عن مائة وخمسين الف نفس ومبانيها من الحجر النضد كما ان طرقها السلطانية مبلطة به ايضا ومنظرها عجيب لما فيها من اشجار السرو والظلة الاوراق المباينة بالكلية لمناراتها البيضاء فالحسن اختلاط كل من الجنسين بصاحبه وبها فبريقات القطن والحرير على حالة زاهية واليها تاتى القوافل العظيمة من بغداد والبصرة فتحمل اليها بضائع بلاد العجم والهند وبالجملة فمدينة حلب الشهباء هى ما يسميه المتأخرون تدمر ورياضها مزروعة بالعنب والزيتون كثيرة الخضرة ولكن العرب والتركمان ينهبون من الفلاحين ما كسبوه بعرق جبينهم وبمدينة حلب مرض غير خطر يسمى حب حلب والظاهر ان سببه ما فى مياهها من يسير المرارة

واذا اقلعنا فى نهر قويق الذى يتصل بمدينة حلب ولا جريان لمياهه وجدنا على جانب جبل طوروس المدينة العظيمة المسماة عنتاب اوعين طاب وبيوتها يصعد اليها على درج فهى اشبه بسطوح يتوصل اليها بعد اجتياز طرق المدينة المسقوفة بالزجاج وفى سائر هذه الكورة الكثيرة التفاح العظيم والعنب الجيد لسان الترك هو المتكلم به دون غيره وفى مدينة بير وهى مدينة صغيرة مرورنهر الفرات وعلى جنوب مدينة بير آثار عظيمة من مدينة هيروبوليس وهى معروفة الآن باسم سريا فى قديم كان لها فى قديم الزمان وهو اسم مانبوج وتقول العرب منبجة وجدرانها ايضا قائمة على ساقها تشهد بان هذه المدينة كانت فى قديم الزمان عظيمة وكانت دار عبادة اسطوطه (اى الزهرة)

آثار هيروبوليس

والصحراء الممتدة الآن من منبجة الى تدمر سليمان كانت سابقا محروثة متعهدة الزرع فهى الاقليم المسمى خالوبونطيس وكان بندره مدينة تسمى خالوبون والظاهر انها غير مدينة حلب وان قال بعضهم انها هى

انطاكية

واما مدينة انطاكية الجليلة التى كانت فى سالف الزمان اعظم من مدينة رومة وان كانت تهدمت عدة مرات وهدمها آخر مرة المماليك فى سنة ١٢٦٩ من الميلاد فليست الآن الا قرية كثيرة البساتين معروفة باسم انطاكية واما مينا اسكندرونة المطروقة للافرنج فهى ذات قطر يكاد يكون مهلكا لرداءته وحمامها شهير فى سائر بلاد الشرق وقد كانوا سابقا يرسلونه منها بالبطائق ليوصل الاخبار بالسرعة الى حلب حيث ان اسكندرونة لها كالمينا والجبال المتوسطة بين اسكندرونة وحلب كثيرة القرى والضياع ففى قريتى قسفين ومارطوان يشتد كرم النساء حتى انهم يكرمون بما لا يليق ذكره كما كان يفعله نساء اهل بابل فى الاعصر الخالية والظاهر ان مثل هذا الفجور المأذون فى تلك البلاد هو بقية من العبادات القديمة الاسيانية وبجبل قسيوس تعبق روائح الياسمين الاصفر والابيض وفى هذا الجبل على بعد نوعان من شجر العرعر المسمى الكوكلان يعظم ارتفاعهما حتى يساوى ارتفاع السرو واشجار التنوب واللاديس والبلوط والبقس والغار والاشجار الشبيهة بالسرو وتسمى الاثف واشجار الآس كل هذه الاشجار تغطى فى جميع ارجاء هذا الجبل لحولة الصخرات

مراسلات الحمام عادة خبيثة

واذا تتبعنا شطوط نهر العاصى وجدنا نموذج مدينتين كانتا فى التاريخ شهيرتين وهما مدينة افامة المسماة الآن افامية وحمص التى كانت سابقا تسمى ايمصا وقد كانوا سابقا يعبدون بهذه المدينة حجرا اسود فى هيكل شهير لم يبق منه رسم ولا طلل ومدينة حماه رجعت لها اهميتها القديمة وعظمها كما كانت فى زمن العبرانيين ومن هذه المدينة التجار يتغشأ الامير عماد الدين اسماعيل ابو الفدا وكان اميرا عالما بالجغرافيا وقد بالغ فى مدح خصب البلاد المسقية بنهر العاصى وسعة خيرها وزرعها

افامية حماة الخ

تدمر

ومن حماه اومن افامية وهو الاحسن فى التعبير طريق قديمة رومانية توصل الى مدينة بلموره وهى تدمر سليمان التى كانت دار اقامة زنوبية الشهيرة فى كتب التاريخ وهذه المدينة القديمة فى ٦٩ فرسخا على الجنوب الشرقى من حلب وفى مثل هذه المسافة من شمال شرقى دمشق فى اقليم صغير يحيط به الصحارى من كل جانب بل هو نفسه صحراء فاذا اقدم المسافر من هذا الاقليم وجد دفعة واحدة باحة عظيمة من الردوم والرسوم والاطلال ومن سائر نواحيه اقواس وقباب وهيا كل وايوانات وبه صف اعمدة يظهر انه كان طوله اربعة آلاف قدم متصلة بصورة من نحاس عظيمة ومع طول الزمن فقد بقى بعض الاروقة والمبانى التى بين الاعمدة والخرجات والطافة هذه الاشياء

فى نظم بنائها تساوى جودة المواد المبنية بها فانظرا الى هذه الآثار الغريبة والرسوم العجيبة بجانب العشش الحقيرة وخصوص العرب المستوحشة الفقيرة التى هى الآن مقصور عليها ساكنى هذه المدينة التى كانت فى قديم الزمان تفتخر بانها مماثلة فى الجمالة والبهجة السنية لمدينة رومية

ايالة طرابلس وعكا

وبعد ذكر الاجزاء الشامية المجاورة لنهرى الفرات والعاصى وجب علينا أن نرجع الى ساحل البحر لتخطيط ايالتى طرابلس وعكا وهما عبارة عما كان يسمى فى قديم الزمان فينيكيا وعن جزء من الاقليم الذى كان يسمى قلصوريا وعن اقسام اخرى صغيرة قديمة والحز الرطب الذى يجعل قطر هذا الساحل خطرا على الافرنج هو الذى بها يمتد عدة نباتات مخضرة عظيمة وبسفوح الجبال التى تخرج منها فروع مختلفة المناظر تجد اشجار البرتقان والليمون والرمان مجتمعة حزما حزما وباقات باقات ومع قلة الزرع والنباتات بهذا الاقليم فهو بقعة ظريفة فى غاية اللطافة والعظم ومن مدنه مدينة اللاذقية ويقال اللاطقية وكانت تسمى عند الرومانيين لاذيقة البحر وهى الآن ايضا مدينة شهيرة بعظم تجارتها ينقل منها الدخان وكانت هذه المدينة قد تهدمت بالكلية وخربت فاقامها اغاه من اغوات الاتراك وهذا امر عجيب لان هذه المدينة كانت عمارتها على يد من يحترفون المدن فى اكثر الاحيان وجزيرة رواد كانت سابقا بها مدينة ارادوس وكانت بيوتها مثل بيوت الافرنج ذات خمسة ادوار اوستة وكانت كثيرة الاهل لان بها العدل والتجارة فلذلك كان يهرع اليها الناس بكثرة والآن هذه الجزيرة خربة بالمرة ليس بها آثارا صلا بل لا وجود بها الآن لآثار عين ماء عذب وجدها الارادويون فى وسط البحر على ما حكاه ارباب الاخبار ومدينة طرابلس التى كانت تسمى طرابيولى وهى مدينة كثيرة التجارة وان كانت مينا ها الا تراح عليها السفن ولا تامن فيها كسائر مينات هذا الساحل ينقل منها الحرير والقطن والرمان وللموارنة مينتان وهما مدينتا بطرون وجبايل وهذه المدينة هى بوبلوس القديمة وعلى القرب من هذه المدينة يجرى نهر ابراهيم باشا الذى كان يسمى آدونيس وليس سبب حمرة مائه من دم عاشق الزهرة وهى صفة الجمال عند اليونان بل سببه الطبا شير المحمرة التى تحمل فيه فى ايام من السنة ومدينة بيروطوس القديمة هى الآن مدينة بيروت وهى مدخل قطن بلاد الدروز وحريرهم وبها يشاهد آثار قصر ظريف بناه امير شهير يسمى فخر الدين ويحدق بهذه المدينة اشجار ظريفة من التوت وهى ذات قطر طيب

طرابلس

نهر آدونيس

صيدا

والمدينة التى كانت تسمى سابقا صيدون وكانت ام جميع مدن الصوريين هى الآن تسمى صيدا وهى مدينة تجارة وليس اهلها الا سبعة آلاف اوثمانية وهى اعظم ابواب دمشق ومينا صيدا مثل سائر مينات هذه السواحل مصطنعة بالصناعة العظيمة وبمصاريف جسيمة وبصف الحجارة المستطيل وهذه الاشغال التى كانت موجودة فى زمن القيا صرة المتاخرة قد اهملت الآن وهجرت والمينا ردمت وما كان الامير فخر الدين يخاف من زيارات سفن الترك ومجيئهم بسواحل البلاد الشامية كل مخرب المينات الشهيرة ببلاد الصوريين وقد اصاب مدينة صور مصيبة اعظم من هذه المصائب التى كانت مستولية على البحار وكانت منبع تمدن بلاد الدنيا وذلك ان ما كان فيها من القصور صار الآن بدله عشش وخصوص حقيرة وصيادو السمك يبيتون فى المخادع المقبوة التى كانت سابقا مشتملة على خزائن اموال الدنيا وفى وسط الانقاض والردوم عمود قائم يدل على المكان الذى كان به خورس الكنيسة الكبيرة التى كانت لعبادة اوسيبس وخورس الكنيسة صدرها كالدكة للجامع واما اوسيبس فهو صنم الصوريين ومع انه جرت العادة بان البحر يفنى على ممر الايام اعمال البشر وتدبيرصناعاتهم فقد احترم رصيف صور ولم يتعد عليه ولا جار بل وسعه وقلبه برزخا ولسانا فى البحر بعد أن كان مجرد حجارة مرصوصة جمع اسكندر بها جزيرة صور بالبر

صور

عكا

واما مدينة عكا الشهيرة المسماة عند الافرنج مدينة سنت جوان داكرة اى مدينة ماري يوحنا الاكرى واشتهرت عندهم بهذا الاسم فى تاريخ حرب اهل الصليب فى قديم الزمان مع ملوك مصر والشام لحماية بيت المقدس والذب عنه وكانت مشهورة فى الاعصار الخالية والاحقاب الماضية المتقاصية باسم بطلمايس فكانت فى اثناء القرن الثامن عشر من الميلاد محلا يكاد يكون خربا خاليا عن الاهل والسكان فعمرها الشيخ الظاهر وهو امير من امراء العربان خرج على الدولة العلية واعاد الى تلك المدينة التجارة والملاحة وكان هذا الشيخ اميرا صاحب همة حاكما على جميع الاقليم الذى كان يسمى سابقا جليلة وتسمى بلاد البشرى فتبعه الباشا الجزار الشهير بالظلم والجور فحصن الجزار مدينة عكا وبنى بها مسجدا عظيما ذا عمدة من رخام عظيم قديم اخذه هذا الباشا من سائر المدن القريبة من عكا ومينا عكا التى قد خربت الآن وردمت كانت من احسن مينات هذا الساحل (حاصرها الفرنساوية سنة ١٢١٤ من الهجرة بلا طائل وحاصرها عسكر مصر صاحب النصر فظفر بها وبواليها)

ولنترك هذه البرور المحرقة ونشرع فى تخطيط البلاد الجبلية المشرفة فوقها وهى البقاع الممتدة من انطاكية

بلاد النصارية

الى النهر المسمى بالنهر الكبير المسكونة بقبائل النصارية ويقال لهم الانصارية وهم على ما يقوله الافرنج العارفون باللغات المشرقية والتواريخ الاسلامية فرقة من الاسلام خارجة عن سنة سيد الانام تبعوا في القرن السابع من الميلاد شخصا يقال له نصار ولكن عبارة بالياس تنتضى كما فهمه منرط انهم فرقة قديمة سريانية كانت موجودة في زمن الرومانيين وكان لها شيخ خاص بها يلقب الططرق وهو اميرها وفي هذا الاقليم وجد الافرنج حين حربهم القديم تلك الجهة الطائفة الشهيرة باسم الحشاشين الذين كان حاكمهم هو شيخ الجبل وكان اميرا عظيم السطوة له محبة عظيمة في قلوب اتباعه وكانت كلمته نافذة فيهم لا يسألون عن حكمة ما يأمرهم به بل يذهبون لقتل من يأمر بقتله من الناس بل ربما كان بعثهم لاعظم الكرامى والملوك ولا يبالى ويوعدهم انهم اذا ماتوا في هذا الجهاد فازوا في جنان الخلد بالحور العين وقد جال بركارد وهو مؤلف كتاب في مسالك الارض المقدسة بلاد الحشاشين وكان ذلك في القرن الثالث عشر من الميلاد فوجدها خصبة عظيما ومتعهدة بالزراعة احسن تعهد وقد وقع اضطراب عظيم في تفسير لفظ حشاشين المذكور في كتب التواريخ ولم يظفروا بمعنى لائق ولا اطلاق فائق وانما يخطر ببالنا ان الاولى أن يعتمد على ما ظنه صاحب المعارف المغربية والمشرقية الخواجة دساسى ان الحشاشين جمع حشاش وهو المتعاطى للحشيشة وهي نبات مخدر مغيب فسميت بهذا الاسم قبيلة لاتصافها بتعاطى هذه الحشيشة التي ابيحت لها التهييج شجاعتها وقوتها فشيخ الجبل انما هو شيخ من مشايخ العرب وذلك لان لفظ شيخ يطلق بالاشتراك على من طعن سنه ومن عظم قدره بل الى الآن ليس من المستحيل على امير من امراء العرب أن يعطى السلاح لاحد من اتباعه ارباب الحمية والحماقة ليسفك به دم ملك من الملوك في دياره لاخذ ثاردم فان اخذ الثار كما هو الظاهر متوارث عند العرب كابرا عن كابر هذا ما يظهر في شأن امور الحشاشين واصله ما ذكرناه والتخيلات تولد عنها الباقي

الحشاشون

تخطيط جبل لبنان

وبعد بلاد النصارية يظهر جبل لبنان كأن رؤوسه تتطاول الغيوم ارتفاعا وهو مستقل باشجار الارز ومزين بكثير من النباتات الغريبة النادرة الوجود في غيره وذلك لان النبات المسمى عند العقاتيرية انثوليس طراغاقطونيدس يعرش فيه بازهاره الارجوانية وكذلك قرنفل لبنان وقطيفة العروس الشبيهة باللعل الموجودة بالجبال * والزنبق الابيض والاصفر تجد لالوانها بهجة وزهوا بجانب خضرة البرقوق الدابلة حتى ان الثلوج تحدق بها على حافاتها نبات ظريف يسمى السيرنسهوم الفريجيدوم وهذا الجبل العظيم الشأن ليست اجراؤه كثيرة الاختلاف والتغير بمعنى ان صخوره ليست مركبة من اجزاء عديدة متنوعة وذلك لان كتلته انما هي حجر كلسي سنجابي اللون وفي اوديته يظهر الطين الفخاري الموضوع على هيئة الصفائح بعضه طبقات فوق بعض وكذلك التربة (وهي نوع من الصخر ينكسر الى قطع مكعبة متوازية الاضلاع) وحجر البلاط المتفسد وقد تجد ايضا بهذه الاودية بوديغات (وهو نوع من الصدف مخروطي الشكل) وكثيرا ما تشاهد قنغلومراط كلسية (وهو نوع من الحجارة) وقد وجد واقطعة من الكهرباء الاصفر في وسط صخر كلسي صلد وامازيد البورق وهو ملح البارود فيوجد فيه بكثرة ويوجد به ايضا الشب والزاج لكن لا بكثرة كما البارود وليس به غير معدن الحديد * ومسيلات هذا الجبل العميقة محددة بكثير من المياه الجارية الخارجة من كل جهة مع غاية الكثرة * والثلوج عامرة دائما اللاودية الشديدة الارتفاع كما شاهد ذلك السواحون مثل اروبوش و باكوكه فانهما عاينا ذلك في نهر بونية ورأى ذلك راؤلف و كرملة في شهر اغسطس ورآها القسيس كوش وفليبوش في بعض الاماكن في شهر اغلوبر ولكن لم تظهر الى الآن صحة ما قيل من ان بهذه الاودية رؤوسا عليها طيلسان من الثلوج * واودية هذا الجبل بها دائما خضرة مستمرة وسبب ذلك الماء والطراوة وجودة الارض ولكن اى منفعة للعطايا الالهية والهدايا الربانية حيث لم يصحبها عدل ولا حرية ولا حماية لاشغال اهلها وكدهم وتعبهم فان جبال لبنان لها حرية تزيد مما لغيرها من اهل الشام فلذلك اصطنع اهلها جدرانهم المرتفعة سطوحا وتعهدوا اراضيهم الخصبة بالزراعة وكذلك عنهم المغروس بالاحكام والاتقان ورياضهم ومرجهم المخدومة بالحرث وكذلك ما عندهم من رياض القطن والزيتون والتوت فانهم يزرعون هذا في سائر الجهات وفي الاماكن الصعبة المرتقى فهذا كله يدلنا على ان الانسان يصلح لعمل شئ كثيرة وتأهل لتدبير معايشه على حسب همته فان العنب هناك يظهر عناقيد عجيبة الضخامة والمقدار وكل عنبة منها تبلغ قدر البرقوقة واغلب حيوانات هذا الجبل المعز وحيوان السنجاب والحجل والسلاحف وتصطاد الفسور والنمور هذه الحيوانات وهذه النمور هي في الحقيقة ليست النمور المعتادة وانما هي نوع يسمى البنثرة او البيرة وهي يخلطونه مع النمر فلا يفترقون بينهما وهذه البلاد لا يمكن أن يصل اليها عساكر العثمانية وانما تصلها حيل باشوا تهم وهي مسكونة بطائفتين مختلفتين في الاديان والاخلاق والآداب وانما يحملهم ميلهم الى الحرية والاستقلال على الاجتماع والتآلف وهما الموارنة

خصب وتولدات

والدروز

بلاد الموارنة كسروان

وبلاد الموارنة تسمى كسروان وقد حرف هذا الاسم افرنج الصليب فقالوا كستروان وتداولوه فيما بينهم وتمتد هذه البلاد من النهر الكبير الى نهر الكلب واهل الموارنة نحو ١٢٠٠٠٠ يعيشون فى قرى وضياع ولهم بطرق مقيم فى دير قنوبين وهو قرية يتخذونها كالبندر لهم * وتخرج حنطتهم وتبيذهم وقطنهم الى البلاد القريبة من طرابلس وجبيلة وهم منقسمون الى رعية ومشايخ اى اعيان البلاد وكلهم يتخذون الزراعة صناعتهم ويخدمونها بايديهم وهم جميعا ارباب قناعة يعيشون عيشة طيبة بين عشائرهم واهالى بيوتهم * ونساؤهم ذوات عفة ولهم مقاعد خشنية يتلقون فيها الضيوف من النصارى ومن نزل عندهم من هذا الجنس لا شك فى الترحيب به

عبادة النصرانية

وعبادة دين النصرانية بهذه البقعة فى غاية من الحرية والسراح كما يدل على ذلك دق النواقيس فى اوقات التقديس والاحتفالات للعبادات فى جميع الطرقات وبها نحو مائتى دير يتسلك اهلها بدين مارانطون غاية التمسك وكثير من عبادهم ورهبانهم يسكنون المغارات والكهوف ومع ان هذه الفرقة تابعة دين بابة رومة وتاركة لملة مارون مؤسس اصل معتقدهم فعندهم الآن من جملة احكام دينهم زواج القسيسين وعندهم حمية دينية كالحمية التى كانت عند النصارى فى الزمن السابق * ومن بدعهم التى تدل على جهلهم انهم يعظمون غابة من الارز يزعمون انه اخذ من اخشابها لمسجد سيدنا سليمان (عليه السلام) وهو المسجد الاقصى ولم يبق منها الا نحو عشرين شجرة كبيرة والظاهر ان هذه البقية من الجنس القديم آيلة الى الزوال وفى كل سنة يوم عيد التجلى يجتمع فى هذه الاشجار الاروام والارمن والموارنة ويقدسون على محراب من احجار عتيقة مرفوعة فى سيقان هذه الاشجار المباركة على معتقدهم

بلاد الدروز

واما الدروز فعددهم ايضا ١٢٠٠٠٠ نفس وهم على الجنوب من الموارنة وقليمهم منقسم الى عدة اخطاط مختلفة التربة والتولدات فمنها ارض تسمى ارض المتنة وهى خط الشمال وفى صخورها معادن الحديد الجيدة ثم خط الغرب وهو كثير غابات الصنوبر ثم خط السهل المجاور للبحر وهو كثير التوت والعنب ثم خط الشوف او الخوف وهو الخط الوسط ويخرج به الحرير الجيد ثم خط التفاح وهو خط الجنوب وخط الشحيف وفيه احسن الدخان وآخرها هو خط الجرد وهو ارض مرتفعة باردة ترعى بها الزعاة دوابهم ويقيمون بها وقت القيظ ومن قرى بلادهم

دين الدروز

دير القمر وهى قرية كبيرة رديئة البناء فى خط الشوف او الخوف هى مقام امير الدروز ثم ان الدين هو الحصن بين هذه الطائفة وباقى طوائف الشوام وقد مكنت الدروز رضا طو بلا وهى مجهولة لاهل اوروبا حيث انها لا تفارق اصلا مشايخ دينها الملقبين عقلا وهى الآن معروفة بمشاع واشتهر من كتب ديانتها العديدة المؤلفة باللغة العربية ولكن عباراتها غير نيرة ومعانيها خفية على من لم يكن من اهلها فتعتقد الدروز صفة الوحدانية للمولى جل وعلا لانهم يعتقدون انه تعالى يعاملون أرى ذاته لعباده آخر مرة فى صورة الحاكم بامر الله ملك مصر سنة ١٠٣٠ من الميلاد الموافق تقريبا لسنة ٤٣٢ من الهجرة ويعتقدون جميع العقائد الاخرى راجعة الى معتقدهم وآيلة اليه فلهذا يرون جميع الاديان سواء غير ان من خالطهم من النصارى شاهد منهم انهم فى الباطن اعداء لدين الاسلام ولهم اعتقادات اخرى من اعتقادات بعض الفلاسفة الاقدمين كالقول بتناسخ الارواح وتعظيم العجل وهذه العقائد التى توافق دين السامرية القديم وبعض مذاهب من دين اليهود تؤيد الظن الغالب الذى له مقويات ودلائل تعضده

اصل الدروز

وهو ان اجتماع الدروز بهذا الاجتماع السياسى قديم سابق على وجود الحاكم بامر الله وعلى وجود حمزة رئيس دينهم ومما يؤيد هذا ايضا تأييدا قويا العبارات المذكورة فى كتب العبرانيين المتكلمة على امة تسمى فى قديم الزمان ايطوريس وكذلك العبارات التى مدح فيها اليونان والرومانيون امة متعاصية تسمى ايطورية صاحبة جبل لبنان من بيروت الى دمشق وكذلك شهادة سواح افرنجى من المتأخرين حقق ان اسم الدروز الحقيقى هو دورزية او تورزية فيكون على ذلك قدماء ايطورية او الايطوريس او التورزية مكثوا دائما على حربتهم واستقلالهم فى مدة الفتن والتقلبات التى حصلت ببلاد الشام ولم يفدها مذهب الحاكم فى محبة الحرية

اداب واحكام

الاحساس جديدا وغيرة حادثة واجتماعا كان سابقا حاصلا وايما كان هذا الظن فى اصل الدروز فان هذه الامة وان كانت قليلة العدد فهى دون غيرها من بلاد الاتراك صاحبة مروءة خاصة بها * وذلك ان هذه الامة جمهورية صعبة الاخلاق فلهذا كانت تخشى سطوتها من حيث انها عاصية ومحترمة عند من جاورها من الباشوات من حيث انها تابعة حرة تدفع الميرى للسلطان ولكنها محكومة بامير تولى عليهم ومنصبه متوارث فى ابنائه وعندهم عدة عشائر يوت لهم معافاة ومزايا خاصة بهم ولكن معيشتهم مبنية على عدم الزينة فلهذا يجمعهم التناس واحد وتربطهم لحمة واحدة تقرب بعضهم من بعض ولما كانوا دائما آمنين فى جبالهم من أن يهزمهم احد اصلا كانوا يجهلون صناعة الحرب

في السهول وهم شجعان لا يخونون اصلا ولا يغدرون يمن جار عليه الدهر واحتمى بجوارهم غيرانهم ينتقمون من الدم بالدم اى يأخذون الثار وقد شوهدان الغدارية وهم احزاب امرهم الذين يشبهون قدماء الحشاشين ضربوا عدو سيدهم على رؤوس الاشهاد وسط المدن الكثيرة الاهل * وغيرة الدروز على نسائهم عجيبة فان لنسائهم براقع سائرة لوجوههم عن نظر الاجانب ويقال ان نساءهم حسان القدود ربات عفة مثل نساء حماة لقد مونة ولا يحسن أن تمدح المرأة لزوجها فان ذلك يغضبه بل اذا مدح انسان اجنبي المرأة عند زوجها وبالغ في ذلك فان هذا ربما ترتب عليه تلف المرأة وقتلها وانما عادة الدروز المساهرة على الزراعة والسياسة وامور الدول فيجتمعون قدام اخصاصهم ويتحادثون في هذا الشأن واولادهم يسمعون ولا يشاركون آباءهم في الكلام بل يلزمون الصمت في هذه المجالس ولا يعرفون القراءة والكتابة فيشغلون اوقاتهم في الرياضات الحربية والتمرينات العسكرية

المتاولة

واما المتاولة الذين اول من تكلم عليهم في كتب الافرنج هو ارويوش فانهم ساكنون في الوادى العظيم الذى يفصل سلسلتى الجبل الاصليتين اللتين يسمى المتأخرون السلسلة القريبة منهما للشرق باسم انطى لبنان وهم من قدماء الشاميين لكنهم نسبوا انفسهم لعلى كرم الله وجهه * يقال انهم يعظمون عليا جدا حتى انهم يعبدونه كالاله وهم محكومون مثل الدروز الذين هم اعداؤهم دائما بمشايخ وامراء وتحشى الاتراك سطوتهم وفرسانهم معدودة من الابطال الذين لا تخطر لهم الغلبة على بال ولكنهم دائما ينازع بعضهم بعضا فلهذا ضعفت دولتهم * وفي اقليمهم مدينة بعلبك واهلها ٥٠٠٠ وهي في آثار مدينة هليوبوليس كانها مدفونة في هذه البقايا ويشاهد بهذه الآثار ايوان هيكل الشمس ولكنه تغير عن اصله بيرجين بناهما الاتراك ومع ذلك فهو وذو جمالة وحسن تقصر عنه العبارة وبقرب بعلبك مقطع حجر وهو الذى اخذ منه لبناء ذلك الهيكل ولم يزل الى الآن بداخل المقطع حجر طوله سبعون قدما وعرضه اربعة عشر قدما وثخنه اربعة عشر قدما وخمسة اصابع وهذا الحجر مشهور الى الآن بالمقطع لم ينفصل عنه فكيف عظم هذا الهيكل الذى يستعمل فيه هذه الاحجار العاتية

آثار مدينة هليوبوليس

مدينة دمشق

وفي السفح الشرقى من جبل لبنان عدة غدران وجداول تسقى الرياض العظيمة الخصب التي ترتفع فيها مدينة دمشق التي هي مدينة قديمة كان الرومانيون يسمونها دمشقوس ويسميها الافرنج دماس وقد كانت شهيرة بما كان فيها من فبريقات السيوف والظاهر ان هذه السيوف كانت تصطنع من صفائح دقيقة مستطيلة تصب على التعاقب من الحديد والفولاذ ولهذا كانت لينة مرنة بحيث ان السيف ينثنى الى مقبضه ومع ذلك يقطع في اصلب الاجسام وسر هذه الصناعة الآن قد ذهب وقد اخذ تيمورلنك الصنائعية من دمشق وذهب بهم الى بلاد العجم ومع ذلك فصناعتها دون صناعة دمشق في الجودة وبدمشق فبريقات يخرج منها الصابون العظيم والاقمشة القطنية التي هي قطن مخلوط بحرير ويشتغل بها خشب الابنوس فيصطنع منه مواد صغيرة مزينة بالعاج والصدف واللؤلؤ وهو مما يتعجب منه اهالى اوروبا ومما يزيد هذه المدينة عمارة التجارة والركب الشامى الذى يسافر الى الحج والطريق العظيم الذى يشق المدينة به صفان من الحوانيت بهما بضائع الهند تسطع بجانب بضائع اوروبا واهلها نحو ١٠٠٠٠٠ والبيوت المعتادة في دمشق ذات منظر خالص عن الزينة من الخارج ولكنه من الداخل له رونق وبهجة عظيمة وهو على غاية ما يمكن من اللطف والرفاهية الكاملة وذلك لانك تمشى فيه على الرخام وتجد رونق المرمر الابيض والتذهيب من كل ناحية وكل بيت كبير به عدة فساقى تلعب مياهها في حوضاتها الظريفة واقل البيوت له ثلاثة مجار توصل اليه المياه احدهما في المطبخ والثانى في الحديقة والثالث لتنظيف القاذورات وكذلك المساجد والكنائس والقهاوى بهذه المدينة فيها نظير هذه الزينة فمن تمها وبهائها قهوة الخان وردى اى قهوة شجار الورد وهى من اغرب قهاوى بلاد الشرق وحوالى هذه المدينة نهر بردية وغيره من الانهر الصغيرة التي تسقى هذه المزارع وتمدها دائما بالخضرة المستمرة في كل فصل من فصول السنة وتسقى ايضا عدة بساتين وبيوت في الحلا للتنزه * ووادى دمشق المسمى غوطة دمشق هو على ما قاله ابوالفدا احدى جنات الدنيا الاربع ومن العجائب ان الاماكن الظريفة يسكنها شرار الناس فان الدمشقيين يتهمهم النصارى بانهم ارباب حيلة ومغالاة في الدين ويتهمهم المسلمون بانهم ارباب خداع ومكر ومن الالفاظ المتداولة المتعلقة بسكان المدن الثلاثة الكبيرة القريبة من بلاد العرب الشامى شومى والحلبى جلبى والمصرى حرامى ولكن بعض السواحين المتأخرين لم يسلم هذا خصوصا بالنسبة لما يتعلق باهالى دمشق وان كانت مسلمة عند العامة

زينة اهل دمشق

حوالى دمشق

طبع الاهالى

وقد بقى علينا أن ننظر الى حال بلاد فلسطين القديمة مع الاقاليم الصغيرة التي كانت في غالب الاحيان جزأ منها فنقول في جنوب دمشق يمتد اقليمان كانا يسميان عند الاقدمين اورانيطيس وغولانيطيس ويسميان الآن حوران

تخطيط فلسطين

بلاد خولان وحوران

وخولان اثولان وهما متكونان فى اغلب اجزائهما من سهل واسع عظيم ممتد جهة الشمال بجبل هرمون الاقدمين المسمى الآن جبل الشيخ ومن جهة الجنوب الغربى بجبل اجهلون ومن جهة الشرق بجبل حوران وليس بهذه الاراضى نهر مبقى ماؤه مدة الصيف وليس به الا سيول تسمى عندهم مياه الوادى والغالب القرى بطبيعات ماء كل قرية لنهايركتها فتتلقى هذه البطيحات من الوادى مدة فصل المطر واشهر مزارع الحنطة ببلاد الشام بقعة حوران فانها تنجب فيها زراعته ومنظر هذا الزرع فيها حسن فان الهواء اذا موج فيها عيدان الحنطة رأيت كأن هذا السهل المتسع الارجاء بحر من خضرة تموج وبهذا السهل تلال متفرقة منتشرة كل تل منها عليه قرية عامرة او خالية

احجار البزلطة

وهذه التلال والاحجار التى توجد فى الخلاء والاحجار المبنى بها وجبال حوران بتمامها كل هذا من احجار البزلطة او البسلطة وهى صنف من اسود الرخام وسائر البيوت مبنية من هذا الحجر فلهذا كان منظرها مظلما غير مفرح بل ابوابهم من هذه المادة ولم تزل مدينة بسطرا التى كانت فى الاعصر الخالية قاعدة بلاد العرب الرومانية فى القرن الثالث من الميلاد حافظة لاسمها الا انها تهدمت وبقيت آثارها

بوطين طرغودية

وخط بوطين الذى كان يسمى سابقا بطانيا ليست جباله الا كلسية فتجد به مغارات واسعة محفورة فى الصخور يسكنها عشائر رعاة العرب على عادة الطائفة القديمة التى كانت تسمى الطرغلودية فتأتى اليهم اقاطيع المعز وحدها ليحتلبوها ويتغذوا بألبانها وفى الليل يوقدون جذع شجرة غليظا يتدفئون به ويستضيئون وفى هذه الجهة استكشف بعض السواحين المتأخرين آثار مدينة جرسا ورسومها العظيمة وتسمى الآن جراش ففى هذه الآثار تجد هياكل عظمية ومقاعد ظريفة ونحو مائة من الاعمدة قائمة على سوقها الى الآن وكل هذا يدل على عظم الرومانيين وشدة همتهم وقوتهم وهذا الاستكشاف يؤيد رأى منرط ان محل جرسا متوغل فى الجنوب اكثر مما ظنه الحكيم دنويل

اقليم البلقا

وجبل عجلون الذى كان يسمى قديما جلياد يخرج به بلوط العفص واهل بلدة الزلط او اسزلط التى هى قاعدة اقليم البلقا الذى كان يسمى سابقا اقليم پريا ليسوا تحت طاعة احد وعلى ربوات ارضها تجد الكرم والزيتون والرمان مختلطة متفننة ومدينة كرك مواب وهى مدينة اقليم كان فى سالف الزمان بلاد الموابيطيس هى غير مدينة اخرى تسمى الكرك فى بلاد الحجاز فهذه هى الاقاليم التى على شرقى نهر الاردن

وهذا النهر فى الجزء الاعلى من مجراه يفصل بلاد جليلة المسماة بلاد البشرى والتى هى اقليم خصب حسن المنظر من بلاد جولان والآن بلاد البشرى تسمى اقليم صفد اوصفت ومدينة صفد هى على ما يقال مدينة باتوليا القديمة التى كان حاصرها فيما سبق هلوفرن وهى على جبل فى سفحه يمتد من كل جهة باقات الآس وهناك قرية طبرية وهى بلدة رديئة فى محل مدينة كانت تسمى فى كتب القدماء طبرياس والبحيرة القريبة منها سميت باسمها

بحيرة ناصرة

لجامع المجاورة وتسمى ايضا بحيرة ناصرة وعلى شطوط هذه الحوضة النخيل والبرتقان والنيلة وفى هذه البركة كثير من الاسماك التى لاعدد لها تلعب فى وسطها من غير أن يتعرض لها صائد ولا يقصدها قاصد ومدينة ناصرة التى ولد فيها عيسى (عليه السلام) قرية متوسطة وعلى الجنوب من ناصرة بفرسخين يرتفع على سهل اسدريلون

جبل طابور

اهرام من الرياض فتجد الزيتون والجميز كالاكاليل لرأس هذه الاهرام وفيها يمتد سهل مغمور بالحنطة البرية وهذا الهرم هو جبل طابور وهذا ما كان يسمى عند القدماء اطابوريون وفى اعلى هذا الجبل الذى فى كتب النصارى انه حصل عليه تجلى عيسى (عليه السلام) يحول نظر الانسان على نهر الاردن وبحيرة طبرية والبحر الابيض الاوسط ولو كانت بلاد جليلة التى هى بلاد صفد مسكونة بامة ذات مهارة لكانت جنة من جنات الدنيا ففيها دوالى العنب قطر الدالية قدم او قدمان والدوالى مع الفروع يحدث منها اروقة واسعة من الخضرة فعنقود العنب قد يكون طوله قدمين او ثلاثة فاذا انضم اليه الماء والخبز كان كافيا لعشاء اهل بيت ثم ان سهول اسدرلون وجميع الاقاليم الاخر ذات المراعى مسكونة بقبائل عرب وحول خيامهم السنجابية اللون تنبت الاغنام على نغم صوت زوامير الرعاة الذين يدخلونها بها حين دخول الليل

سمرية

واقليم سمرية القديم يشتمل على خطى آرنه ونابلس ففى الخط الاول يوجد فى شمال غابة البلوط المسماة قديما سارونا س آثار قديمة من مدينة قيصارية وعلى جون عكا قرية حيفا وهى مرسى عظيم وفى الجنوب الغربى

جبل كرمل

من هذا الجون تمتد سلسلة جبال قرنتها شهيرة باسم جبل كرمل وهذا الاسم شهير فى كتب التواريخ الدينية يقال ان الياس (عليه السلام) اظهر عليه معجزة تحدى بها وكان مأوى كثير من النصارى الساكنين فى بيوت منحوتة فى الحجر فلهذا كان الجبل كله مشحونا بالمعابد والبساتين والآن ليس به الا ردوم متفرقة فى وسط غابات من البلوط والزيتون وخضرتها متقطعة بحنور بيضاء كلسية وبأعلى جبل كرمل هواء خالص حى طيب

الرائحة بخلاف داخل جليلة وسمرية فان الهواء قد يكون مظلما بالضباب اليابس

ومدينة ناباس كانت تسمى في عصر هردوط نيابوليس ولكن كانت مشهورة ايضا اكثر من ذلك باسمها الاول القديم وهو سيشم وهي ذات دور لا حسن لظاهرها واهلها كثيرون بالنسبة لهذا الاقليم القليل الاهل فطوائف السمريطية وهم السمرية يعبدون الله مسمين له باسم ياهو ويقيمون في خضرة اعالي جبل غريزيم وقد قنعوا لغتهم الاصلية وهي لغة من اللسان العبراني وعلى البعد من ذلك بفرسخين جهة الشمال تجد غيطانا تستر آثار سمريا والارض هنالك خصبة الحبوب والحرير والزيتون

السمرية

واقليم يهوذا الحقيقي هو الآن خط بغزة وهي بلاد فلسطين القديمة وبلاد الخليل المسماة حبرون وبلاد القدس المسماة اورشليم وفي الخط المذكور مدينة غزة وهي بندر ومدينة يافا وهي ميناء يافا وكانت تسمى في قديم الزمان يوبة وقد اختلف كلام ارباب الاسفار في تخطيط هذه المدينة ومنشأ الاختلاف ان المدينة المذكورة اختلفت احوالها فقد حصنت تارة وتهدم حصنها تارة اخرى وهدمت وبنيت ثانيا وفي هذه المدينة يرسو حجاج بيت المقدس ولو كانت ارض يهوذا مزروعة كما ينبغي لكان ما يخرج منها من القطن لبلاد الافرنج له وقع عظيم وكثرة بالغة

بلاد يهوذا الحقيقية

وارضها مركبة من اجزاء سبخة ترتفع من يافا نحو جبال يهوذا ويتكون منها اربعة تلال فتسطوح البحر متوجة بشجر المصطكا والنخيل والنوبل (وهو نوع من اشجار تين الهند) وعلى البعد من ذلك والذهاب الى اعلى تجد العنب والزيتون والجميز متعهدة ناجحة واما الاشجار التي تخرج من غير فعل فاعل فهي بانات البلوط الاخضر والسرو والاندراخته (وهو نوع من القريبون) والبطم المسمى التربنتينة والارض مستورة بحصا اللبان الاخضر واللادن والطبري المسمى بالياسمين البحري وقد قال بطرس بلون ان نبات هذه الجبال مثل نباتات جبل ايدا الذي في جزيرة جبل كريد وحكى بعض سواحي الافرنج انه تظلل بشجرة ليمون تساوي في عظمها وارتفاعها شجرة بلوط غاب الافرنج بل من شجر الجميز ما وهدان الشجر يستظل تحتها ثلاثون فارسا بخيولهم وتبيد سفت جوان اي ماري يوحنا بقرب بيت لحم مشهور بالجودة وبقرب اريحا زيتون يرى تطرح الشجرة منه ثمارا كثيرة جيدة الصفة وفي الاماكن المسقية بعد أن تعطى الارض الحنطة في شهر مايه يخرج منها ايضا في الخريف خضراوات بل قد يكون بها اشجار مثمرة واسقة للثمار وللازهار معا في زمن واحد واشجار التوت المزروعة صفوفا في الخلاء مشبولة فيها اغصان العنب ولكن في وقت الحر يظهر ان هذه الزروع تذبل بل تموت وفي الجبال تكون في جميع الفصول متفرقة غير غزيرة وليس بسبب هذا الطبيعة الاقليم وحده بل يضاف الى ذلك حالة الخشونة التي عليها الآن اهل هذه البلاد فانك تشاهد الآن ما كان في قديم الزمان من بقايا الجدران التي كان اهلها القدماء يستندون بها الاراضي وآثار الصهاريج القديمة التي كانوا يخزنون فيها مياه الامطار وآثار الحجلان والترع التي كانوا يوزعون بها المياه في الخلاء فكانت هذه التعهدات كما هو الظاهر تنشأ عنها عظيم الخصب تحت حرارة الشمس حيث لا يلزم لها الا يسير الماء لاحياء النباتات وقد حكى القدماء خصب بلاد يهوذا كما نقل ذلك عنهم القسيس غينة فكان ما قيل من الاخبار موجودا بما يشاهد الآن من حالها قال بطرس بلون انها مثل جزائر الارخبيل فان المسافة التي يشاهد بها الآن نحو مائة نفس لا يجدون قوتهم الا بمشقة كانت سابقا تغذي ألوفا من الانفس قال موسى ان بلاد كنعان كان العسل واللبن يجريان كالماء والآن سواشي العرب لم تزل تجد فيها مراعي مغذية والنحل البري يجمع في الصخور عسلا مطيبا يجري بعض الاحيان من الصخور لامتلائها وقد نبه القدماء ايضا الاسيما العبرانيون على سهولة السلسلة الوسطى التي ببلاد يهوذا والعصارى التي تمتد في شرق هذه الجبال الى جهة بحيرة لوط فلم يشاهد بها القدماء ولا المتأخرون الا الحجارة والرمال والرماد وبعض اشجار شوكية وقد نبه بلون على هذا الاختلاف المشاهد بجانبي هذه السلسلة التي تلك البلاد

الخصب القديم

جبال

وقال بعض مشاهير المؤلفين ما نصه * اذا قربنا من وسط يهوذا وجدنا اجناب الجبال تأخذ في العرض كما زاد القرب كما انها تأخذ في العظم والجدب ولا تزال كذلك حتى ان النباتات تذبل على التدريج كلما اشتد القرب وينتهي امرها انها تموت بل الطلب يضمحل وينقد بالكلية ويعوض عن قلة زهو الصخور وعن ذبول لونها لون احمر وشدة حرارة تصل للاحراق وفي وسط هذه الجبال تجد بركة مسدودة من جميع الجهات برؤوس صفراء وعرة صخرية وليس لهذه الارؤس مرتقى الا في الشرق فاذا اصعد عليها الانسان من هذه الجهة رأى سهوة بركة لوط والجبال البعيدة التي ببلاد العرب وفي وسط هذه المناظر الحجرية في داخل سور تجد ردوما واثقاضا واسعة متراكمة ومستورة باشجار السرو

المتفرقة المنتشرة وبشجيرات الصبر والنوبل (تقدم تفسيره) وبعض مبان عربية خربة اشبه بمقابر مبيضة وهذه هى مدينة اورشليم ذات المنظر المحزن انتهت عبارة بلون فهذا تخطيط عجيب لمدينة القدس فى القرن الثالث من الميلاد وهو الى الآن ايضا يمكن تطبيقه عليها لكن لا برمته بل على وجه التقريب ومع ان اهل هذه المدينة من عشرين الفا الى ثلاثين على تخمين ارباب الاسفار تخمينا غير مبنى على التحقيق فليست الا خرابا يشبه السجن فى منظره ولا يصلح أن يكون سكنا ولكن الانصاف ان داخل المدينة اظرف والطف واجمل مما يدل عليه الظاهر وبهذه المدينة ثلاثة اديار للروم واليونان والارمن وهى اشبه بقلاع والمسجد المبنى فى محل مسجد سليمان (عليه السلام) يطل على رحبة عظيمة كالميدان مع البهجة والرونق ولا يمكن للنصارى القرب منه فضلا عن الدخول فيه وكنيسة سنت سبلقرس اى مارى سبلقرس كان فى داخلها الظريف الغير المنتظم الشكل محل يعتقد النصارى ان المسيح صلب فيه وكذلك المغار الذى يعتقدون ان جسمه دفن فيه كان ايضا فى داخل هذه الكنيسة وعلى هذه الكنيسة خفير عثمانى يأخذ شيأ مقررا من كل من يدخل من زوارها الذين يريدون زيارة هذه الاماكن القديمة التى يعتقدون ان عيسى صاحب دينهم مات بها فهذا الجبل محل مشرف معظم يعظمه النصارى وقد بالغ ايضا عوام الاسلام فى احترامه معتقدين ان عيسى عليه السلام مات فيه وقد حرقت هذه الكنيسة التى كانت مشتركة بين جميع امم النصارى واما احترقت القبة وسقطت بقى على حاله الضريح الذى يغطى دهليز المقبرة

وقل أن ذاقت مدينة من المدن ما ذاقته مدينة القدس من التغيرات والتقلبات فقد كانت دار مملكة داود وسليمان عليهما السلام فلهذا ذهبت هيا كلها بالذهب اوفير وعمرت باخشاب ارز لبنان ثم هدمها البابليون وخربوها ثم عمرت وصارت احسن مما كانت فى زمن الملوك المخابة والهرودة وقد عمر فيها ارباب النحاتة والعمارة من اليونان كما يشاهد ذلك فى المقابر الملكية بشمال هذه المدينة وقد كان اهلها فى ذلك العصر عدة مائة الوف ولكن حصلت نكبة عظيمة ومصيبة جسيمة فى سنة سبعين من الميلاد وقد هدمها طيطوس بجعل عاليها سافلها فبنى ادريانوس محلها مدينة سماها ايليا وايطوليا ولكن من زمن قسطنطين استعملوا اسم اورشليم بعد أن كان مهملا بالكلية وقد بنت هيلينا او هيلانة ام الملك قسطنطين بهذه المدينة عدة مبان عظيمة كانت لها كالحلية وفى القرن السابع من الميلاد وقعت فى ايدى العجم والعرب فسماها العرب مدينة القدس الشريف وقد جاء للتغلب عليها من بلاد الافرنج طوائف امراء يقال لهم الشوالية فاخذوها من ايدى الاسلام فى سنة ١٠٩٨ من الميلاد واتخذت مملكة وضمت لبعض العائلات الافرنجية وصار لها رونق وبهجة ولكن حصل بينهم الشقاق والتخاصم فانكسفت انوار ملكهم وذهب امرهم واضمحل نظامهم وفى سنة ١١٨٧ استولى الملك صلاح الدين عليها ونشر اعلام الاسلام على رؤوس جبل صهيون ومن هذا الوقت دخلت على المناوبة فى ايدى ملوك دمشق و بغداد و مصر وفى سنة ١٥١٧ من الميلاد غيرت سيدها ودخلت فى ايدى العثمانية وكانت هذه المرة التى حصل فيها هذا التغيير تمام السابعة عشر فسبحان من لا يتغير

ومن بلاد فلسطين قرية بيت لحم وهى التى ولد بها عيسى عليه السلام وسكانها مسلمون ونصارى وكل منهما يميل للفتن والعصيان والخروج على الدولة والمذود الذى ولد به عيسى عليه السلام مبنى عليه كنيسة ظريفة مزينة بهدايا الافرنج ولا ندقق فى البحث عن تحقيق المدن التى تشرفت بمشاهدة عيسى عليه السلام لان هذا يشتمل على كثير من الهوس وان كان لا يخلو عن امور صحيحة وانما نقول ان مدينة حبرون المسماة ايضا مدينة الخليل تتمدح من غير برهان بان فيها قبر سيدنا ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) وان عظمها بذلك المسلمون والنصارى وانما المحقق انها فى جنوب القدس فى اقليم اقل خصوبة من القدس واهلها نحو ١٠٠٠ او ١٢٠٠ نفس يخرج منها الزجاج الظريف ويخرج منها ايضا للتجارة مقدار عظيم من الدبس وهو صنف من سكر الزبيب وعلى الشمال الشرقى من مدينة القدس فى سهل ظريف خصب يسمى بلاد الغور مسقى بنهر الاردن قرية اريحا وكانت تسمى بريخو وكان موسى عليه السلام يسميها مدينة النخل وهى حرية بهذا الاسم ولكن ما كان فيها من اشجار البلسان الملكى قد ذهب بالكلية ولم يبق له الآن اثر ولم يبق حول هذه المدينة شئ من هذه الازهار التى كان ارباب الاوهام الفاسدة يسمونها ازهار اريحا

وعلى الشرق من اريحا سلسلتا جبال قاحلة عقيمة وبين جذرانها المسودة بركة طويلة محفورة فى ارض منفارية مخلوطة بالقفر والملح الاندرانى وهذه الوطاة مستورة بالمياه المسماة البحر الميت او بحيرة لوط مشوبة بالملح اصالة ويدخلها ايضا حامض بحرى وحامض كبريتى فتجد هذه المياه منحلا فى اجزائها سلفات الجير ومريات الجير اى كبريته وملحه وكذلك المغنيسا والقلى فاذا اخرجت منها هذه الاجزاء ووزنتها رأيتها ربع الماء والمادة القفرية المسماة قفر اليهودى

مدينة القدس

مارى سبلقرس

تاريخ القدس وما حصل لها من التقلبات

بيت لحم

حبرون

اريحا

البحر الميت او بحيرة لوط

وتسمى ايضا اسفلطة ترتفع زمنا بعد زمن على سطح البحيرة بعد أن تكون فى اسفلها فيأخذونها من الشطوط وقد كانوا سابقا يذهبون فى القوارب ليلتقطوها بعد البحث عنها فى وسط البركة ولم يخطر ببال احد من ارباب الاسفار أن يركب هذه البحيرة ليجوبها مع ان هذا احسن طرق معرفتها واغلب الناس الذين عاينوها يقولون انها خالية من السمك والصدف بالمرة وانه يتصعد منها بخار ردئ بانضمامه الى تحولة شطوطها كان سببا فى انه لا يسمع فيها تغريد شئ من الطيور والظاهر ان حوضة هذه البركة اى واديها كان فى سالف الزمان واديا خصبا كان بعضه معلقا فوق الماء المتراكم الذى تحت الارض وبعضه مركبا من طبقات من القفر فاضرمت نار السماء فى هذه المواد القابلة للاحراق فخسفت الارض الخصبة وغارت تحت الارض وابتلعت ومثل هذا حصل لمدينتى سدوم وعمورة وغيرهما من المدن التى كانت مبنية كما هو الظاهر من احجار قفرية ولما نص موسى عليه السلام على خراب هذه المدن علل علماء الجغرافيا الطبيعية هذه التغيرات والتقلبات بما ذكرنا وما والى اعتماده والتعويل عليه

الانقلابات الطبيعية الحاصلة فى هذه الاماكن

جدول يتضمن تقسيمات بلاد الشام فى عهد الرومان مدة القرون الثلاثة الاولى

تقسيمات كبرى	تقسيمات صغرى اوثانوية	مدن اصلية
	حماه	سميساط
	كورة قورس	قورس * حلب * منبج
	بيريا	سكندرونة
	سلوسيدة	سلوسيا
	أنطيوشينة	انطاكية
الشام العليا	كازيوتيس	اللاذقية * أدمار
	أفامينة	افامية * حمص
	كورة قنسرين	قنسرين
	كاليبونيتيس	كاليبون (وهى حلب القديمة) طبسا
	كورة تدمر	تدمر
سيل سيريا وهى غوطة دمشق		دمشق * هليوبوليس (وهى بعلبك)
فينيس (فينيكا)		أرادوس * طرابلس * بيروت * صيدا
		صور * بتولمايس (وهى عكا)
	جليلة	
	جليلة العليا	قيسارية فيليبش * بانياس
	جليلة السفلى	طبرية * الناصرة
	سمريا	سمريا * نابلس * سيشم * قيسارية
	يهوذا	
	يهوذا الحقيقية	هيروزوليمة وهى بيت المقدس * اريحا * يافا
	بنتابوليس اوفلسطين الحقيقية	غزة * أرسوف
	ايدومية	حبرون
فلسطين	بريا (البلقا)	
	طراخونيتيس	
	غولونيتيس	(وهى الآن شولان)
	بانانيا	(وهى الآن بيسان)
	كورة حوران	بصرى
	ايتوريا (بلاد الدروز)	
	ديكابوليس	جراش * كدار
	بريا الحقيقية (البلقا الحقيقية)	بلا * اماتوس اواماثطه
	امونيطية	فيلادلفيا (وتسمى الآن عمان)
	كرلماب	

وهذا

وهذا جدول المقابلة بين الاقسام الفلسطينية او الكنعانية بالنظر لمن نزل بها من الاسباط الاثنى عشر

الاقسام الكنعانية القديمة	اقسام يهوذا	اقسام رومانية
اهل صيدا	(سبط اشار * فى وادى لبنان	صفت العليا
اسباط مجهولة	سبط نفتالى فى الشمال الغربى من بحيرة طبرية	
فريزيتية	سبط زبولون فى غربى البحيرة المذكورة	صفت السفلى
مثله	سبط يساخر وادى امدريلون * جبل طابور	
هوريتية	نصف سبط منشا وكان مع السبط الآتى (دورة وقيسارية)	سمريا
مثله	سبط افرايم نابلس * سمريا * خط سارونا س	
يبزيانية	سبط بنيامين بين افرايم ويهوذا * اريحا بيت المقدس	يهوذا
هيتيتية اموريتية	سبط يهوذا حبرون * يهوذا الاصلية	
فلسطين (بنتاپوليس او فلسطين الحقيقية)	سبط شمعون فى الجنوب الغربى من يهوذا سبط دان يافا الخ	
مابية	سبط روبيل البلقا الاصلية الجنوبية حسبون	البلقا
امونيطية * جيلاد	سبط غاد (لعله كان) البلقا الشمالية وجزء من ديكاپوليس وأمونيطية	
بيسان (مملكة)	نصف سبط منشا شولان * بيسان	

وهذا جدول يتضمن بيان مارتبه قسطنطين الاكبر وخلفاؤه ورتب بعضه طرايانوس من تقسيمات ابرشية المشرق

اقاليم	مدن اصلية	تقسيمات مقابلة ومرادفة
بلاد العرب	بصرى	بيسان * حوران
فلسطين الاولى	قيسارية (أدمار)	سمريا * يهوذا الاصلية
	بيت المقدس	بنتاپوليس اوبلاد فلسطين
فلسطين الثانية	سيتوپوليس (بيسان)	صفت * شولان
		ديكاپوليس
فلسطين الثالثة		
اوساليتاريس	الحاجر	ايدمية * عرب الحاجر
فينيكيا الاولى	عكا	السواحل
	صور	
فينيكيا البنان	هليوپوليس (بعلبك) دمشق	غوطة دمشق
الشام	انطاكية	ساوسيا * سيريا * قاسيوتيس
	افامية	الافامية الخ
شام الفرات	سميساط	جماه * سرهستيكة
	منبج	كورة قنسرين
شام ساليتاريس	تدمر	كورة تدمر * كالسيونيتيس
أوسروهين * الجزيرة	راجع الجزيرة	
قليقيا الاولى والثانية (القرمان) قبرص * ايزوريا	راجع اناطولى	

جدول يتضمن تقسيمات مملكة بيت المقدس فى القرن الثانى عشر على ما قاله رئيس الرهبان غينة

		اقسام التزامية	
١ التزامات الملك		بيت المقدس واعمالها	
		نابلس واعمالها	
		عكا واعمالها	
		صور واعمالها	
		قونتية يافا	
		قونتية عسقلان	
٢ البارونية الاولى الكبرى		التزام الرملة	
		التزام ميرابيلة	
		التزام ايبولين	
٣ البارونية الثانية الكبرى		امارة صفت	
٤ البارونية الثالثة الكبرى		التزام صيدا	
		التزام قيسارية	
		التزام بيسان	
٥ البارونية الرابعة الكبرى		التزام الكرك (الحاجر)	
		التزام حبرون	
		التزام مونتريال	
٦ قونتية طرابلس		امارة مستقلة ومنفصلة عن مملكة بيت المقدس	
		اقسام قسيسية	
١ بطرقية بيت لحم		اسقفية بيت لحم	
		اسقفية لودة	
		اسقفية حبرون	
٢ ابرشية الكرك		اسقفية جبل طورسينا	
٣ ابرشية قيسارية		اسقفية سباست (سمريا)	
٤ ابرشية الناصرة		اسقفية طبرية	
		برجبل طابور	
٥ ابرشية صور		اسقفية بيروت	
		اسقفية صيدا	
		اسقفية بانياس	
		اسقفية عكا	

جدول يتضمن الاقسام الكبيرة التي عليها الآن بلاد الشام

اقسام	مدن	تقسيمات مقابلة ومرادفة
ايالة حلب	حلب * عنتاب * بيرمنيج انطاكية * سكندرونه	حماه * سرسنيك * شالديك * ساسى * انطيوشينة (من بلاد الشام العليا)
ايالة طرابلس	(طرابلس * اللاذقية * جبله	كازيوتيس (من بلاد الشام العليا) وشمال بلاد فينيكا
ايالة صيدا (اوعكا)	صيدا * عكا * دير القمر * (في بلاد الدروز) صفت	فينيكا * غوطة دمشق بالمعنى الاصلى من غير توسع * صفت
ايالة دمشق	فامييه (افامية) تدمر (بلميرا) بيت المقدس * دمشق غزه	كورة افامية * وكورة تدمر (من بلاد الشام العليا) الغوطة المشرقية * فلسطين ماعدا صفت

جدول ماعليه الآن فلسطين القديمة من الاقسام على ماذكره بوشنغ و وولني وغيرهما

١ القدس	بيت المقدس اريحا * وغيرهما الشمال الغربي من يهوذا	
٢ الخليل	حبرون * وجنوب يهوذا	
٣ غزة اوفلسطين	الساحل مع يافا * غزة الخ	
٤ لود	قسم مدينة لود	
٥ نابلس اونابلوس	المدينة المسماة بهذا الاسم مع الولاية القديمة من سمريا	
٦ أرتا	جبل كرمل مع جزء من سهل اسدريلون	
٧ صفت	صفت القديمة المسماة ايضا بلد البشرى اى بلد الانجيل	
٨ بلاد دشقيف	طراشونيتيس القديمة مع بلاد حوران (اورانيتيس وغيرذلك)	
٩ الغور الشرقي	(البلقا القديمة واقليم الزلط في الجنوب الشرقي وفي جنوب	
١٠ الشرات	بحيرة لوطمع الجبال * الجبلان القديمان	

المقالة الحادية والخمسون من تخطيط آسيا *

بلاد العثمانية بآسيا * القسم الرابع * تنبيهات اجمالية * تتعلق بالدولة العثمانية العلية

قد خططنا اقاليم العثمانية التي بآسيا مع التدقيق والاهتمام اللائق بهذه البلاد التي كانت شهيرة جدًا في سالف الزمان ولا مانع ايضا من انه يأتي عليها زمن يعود لها فيه قديم تمدنها وسالف فخارها وبقي علينا أن نخطط احوال بلاد الدولة العلية وما يتعلق بها من الامور السياسية فانها مملكة عظيمة لها بلاد ايضا في اوروبا و افريقة غاية الامر ان اصول بلادها ومالكها في آسيا فنقول

اصل الاتراك العثمانية

ان تاريخ الامم التركية والامم التتارية المجهولة الاصل مستور بظلمات الخفاء فلهذا كان تاريخ امة العثمانية التي اشتهرت حتى الاصل ايضا على الافرنج وقد تقدم لنا ان طوائف من الترك كان يحكم عليها امراء من نسل السلجوقية وكان لهم في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر دولة ذات شوكة وملك ذات بأس كانت تسمى سلطنة قونيا وتسمى ايضا سلطنة الروم وكانت مستولية على آسيا الصغرى وارمنية وبلاد كورجستان فدمرها ملوك المغول هذه السلطنة في سنة ١٣٠٨ من الميلاد وظهر في محلها دولة العثمانية وقد برهن الحكيم دي غينس على ان هؤلاء العثمانية قبيلة تومانية طردت من خوارزم حيث اخرجهم منها هؤلاء المغول بعينهم فجاؤا من خوارزم وسكنوا جبال طوروس واستجاروا بسلاطين قونيا واقاموا تحت حمايتهم وكان هذا قريبا من سنة ١٢٣١ من الميلاد ولا حاجة الى ذكر ما وقع لهم من الحوادث وانما نقتصر على أن نقول ان احد كبار هذه القبيلة المسمى عثمان خرج عن الطاعة واستقل بنفسه سنة ١٣٠٠ فكان اميرا قبيلة ثم بعد أن غير حكام هذه القبيلة لقب امير وصاروا يلقبون بلقب سلطان ووسعوا دائرة مملكتهم فلم تمض مائة سنة الا وسلطنتهم قد امتدت من شطوط الفرات الى شطوط نهر طونة فدخلت تحت طاعتهم بلاد روم ايلي والسرب وبلاد ولاية مقدونيا المسماة ولاية فيليبش وكذلك اقليم تساليا وفتحوا ما حول القسطنطينية فبيناهم فرحون بهذه

فتوحات العثمانية

الفتوحات اذ قدم تيمورلنك ملك التتار وانتصر على السلطان بايزيد الاول سنة ١٤٠٢ من الميلاد فتلاشى حال الدولة العلية وظهر من حالها انها قد اشرفت على الزوال وكانت مدينة القسطنطينية مع النصارى لكن كأنما كانت في الاحتضار والغرغرة فقيض الله تعالى السلطان محمدا الاول وشد عضده بوزيره ابراهيم خان فاصلحا شأن الدولة العثمانية وحارب السلطان مراد الثاني عساكر حنا هونياد واسكندربك وكان السلطان مراد رجلا عظيما وكان هذان الاميران ايضا اعداء له ارباب خصومات لا يصلح لها الا هو وهو شهورين بين ابناء جنسهما فما كان من هذا السلطان العظيم الا ان عاقب النصارى على خيانتهم عقابا عظيما حيث هزم جيوشهم الكثيرة عند مدينة

فتح مدينة القسطنطينية

الورن فاخذ السلطان محمد الثاني مدينة القسطنطينية من ايدي النصارى سنة ١٤٥٣ من الميلاد فسهلت له الفتوحات ومن طرابوزان الى بلاد البشناق لم يتعاص عليه احد اصلا ولم يقف له في طريقة عدو وفتح بلاد القرم بل جاهدت سفنه الحربية ايضا في بلاد ايطاليا وفي سنة ١٥١٧ ابطل سليم الاول سلطان العثمانية دولة المماليك الذين كانوا سلاطين بالشام و مصر واستولى على هذه الولايات واخذت جزيرة رودس من ايدي النصارى الشوالية المنتصبين لحماية الدين ولم تغن شجاعتهم شيأ وكانت بلاد المجار المسماة هونغريا ممزقة في داخلها بالحروب الواقعة بينهم بعضهم يحارب بعضا ففتحت في سنة ١٥٢٩ من الميلاد للسلطان سليمان

اول حصار لمدينة بجه

الثاني طريق مدينة بجه كرسي سلطنة النمساوية ولكن هذه المدينة السلطانية كانت حدا مشؤما على تقدم الدولة الاسلامية وصارت مبدأ ضعفهم ولكن اخذ السلطان سليمان الثاني جزيرة قبرص من ايدي البنادقة ولم يكن لانهزام سفن العثمانية بقرب ليبنته سنة ١٥٧١ من الميلاد نتيجة مضرة يترتب عليها خلل عظيم في المملكة وانما صار عقب ذلك السلطان في العثمانية سلاطين ضعفاء العقل والرأي لا يحسنون السياسة والتدبير وكنت تقع عندهم الفتن في دواوينهم والشرور تكتنفهم في قصورهم وسراياتهم فمن هذا الوقت انتشر في المملكة العثمانية الفساد والكساد وعجز في طيفها خيرة لانحلال الانتظام في الاحكام وكادت تكون عن الاحكام الملكية خالية وعلى عروشها خاوية

وفي زمن السلطان محمد الرابع سلطان العثمانية عاد للامة العثمانية حماسها القديم وانتعش اجتهادها بعد أن كان كالسقيم وايقظها هذا السلطان من نوم الغفلة فتقوت واخذت جزيرة كريد وحاصرت مدينة بجه كرسي النمسا

ثاني محاصرة لمدينة بجه

مرة ثانية سنة ١٦٨٣ وبفتوح العثمانية لمدينة بغداد ظهر لهم قوة وبأس وابهة على دولة العجم ولكن لم يكن على كرسي القسطنطينية مثل السلطان سليمان ولا نظير السلطان مراد بل جميع سلاطينهم كان بينهم وبين هذين السلطانين بون بعيد فمضى قرن كامل على الدولة العثمانية وهي في حروب مستمرة ولكنها غير قاضية ولا متممة

ولا منتجة في الغالب وذلك انهم من جهة شمال مملكتهم استولوا في سنة ١٦٤٢ على مدينة ازاق ثم اخذت من ايديهم ثم اعادوها ولا زالت على هذه الحالة وبلاد المورة اخذت من ايديهم في سنة ١٦٩٩ ثم بعد يسير من الزمن استولوا عليها (ثم صارت حرة) وفي سنتي ١٦٩٩ و ١٧١٨ تركت العثمانية للنمساوية محال في بلاد السرب والافلاق ثم خسر النمساوية هذه المحال في صلح سنة ١٧٣٩ الذي هو معيب في حقهم بل وفي حق الموسقوبية حيث جبرهم على أن يتركوا للعثمانية جميع البلاد التي اخذوها منهم بواسطة العساكر التي كان قائدها عسكرها منيخ ولكن بهذا الحرب عرف الموسقوبية واهالي اوروبا سر ضعف الدولة العثمانية وكان لا يخطر ببالهم انهم يبلغوا هذا المبلغ في الضعف فعما قليل حارب الموسقو العثمانية وحده وآذاها برا وبحرا وعدى القائد دمنزوف نهر طونة وطاف عمارة مراكب القبطان باشا الموسقوبي المسمى اورلوف حول اوروبا (لعلها جاءت من بحر بلطق الى بوغاز اسلامبول) وحرقت السفن العثمانية في جون چسمة فوقع الصلح بين العثمانية والموسقوبية على ان بلاد القرم وبلاد كوبان تصير حرة مستقلة وان الثغور والرباطات اي الاماكن العسكرية التي بهذه البلاد تسلم للموسقوبية وأن يفتح للبندرة الموسقوبية البحر الاسود وبوغاز الدردانيل وهو بوغاز اسلامبول وكان هذا في سنة ١٧٨٣ فما كان من الدولة العثمانية الا انها رضيت بهذه الشروط الصعبة فترتب على ذلك ان الموسقو لما وضعوا عسكرهم ببلاد القرم وشغلوها سنة ١٧٨٣ وخمس سنوات بعد ذلك تسبب عن ذلك اشهار الحرب بين النمسا والموسقو واخذوا في القتال حتى ظهر أن هذا الحرب ينتهي باخراج دولة العثمانية من بلاد اوروبا وبأبي الله الا ما اراد فانتهى الحرب بموت اوچاكوف قائد العساكر وكان سبب انتهائه عدم تجربة الملك يوسف الثاني والامير بطمكين واجتهادات قسطاوة الثالث وتوسط ملوك البروسية والانكليز ولما وقعت الفتنة الاولى في بلاد فرانسا تحيل الفرنساوية على العثمانية وتشارطوا معهم وتعاهدوا فكانت هذه المعاهدة مشؤمة على العثمانية وضررها اعظم من ضرر الحروب وذلك انها كانت فرصة للموسقو انتهزوها في وقت تلك الفتنة واختلسوها كالسرقة لان ارباب ديوان المشورة العثمانية كانوا ضعاف العقل والتدبير وتحيل عليهم الموسقو ببذل المعاملة والرشوة فلرجاحتهم أن يأخذوا مصر من ايدي الفرنساوية فرطوا في خروج المملكة بتمامها من ايديهم فجاءت سفن الموسقو الى ما تحت السراية السلطانية ونزلت عساكر الروسية في جزائر بحر الروم وخرج السرب على السلطان وكذلك اهل الافلاق واستغاثوا بالموسقو لقطع التخاصم والشقاق فصارت في هذا الوقت دولة الموسقوبية مزاحمة من كل جهة ومحاصرة من كل وجهة للدولة العلية

سقوط الدولة العلية

وفي عين هذا الزمان * تغلبت على الدولة العثمانية صروف الحدثان * وجرعهم الطالع النحس كأس الهوان * وذلك لانه لم يبق للعثمانية وقتئذ في بلاد افريقية الا السيادة ظاهرية * حتى كأنهم بقايا من اواخر خلفاء العباسية * يكفون بالخطبة والسكة * ولا يأمرون ولا ينهون لضعف الشوكة * وكان العرب ايضا يتعدون على حدود الشام * حيث ان حدودها غير محققة وخالية عن الاستحكام * وحدودهم من جهات بحمستان * باقية على حالها منذ قرن لم يصبها زيادة ولا نقصان * ولكن باشوات دار السلام * بكاشات الاكراد لم يؤدوا حق الطاعة بالاخلاص لسلطان الاسلام * واختلطت حدود الدولة العلية * فصارت لا تميز من حدود الدولة الموسقوبية * فان الموسقوبية امتدت دولتهم * ووصلت صولتهم * في آسيا الى شطوط نهر فاش * وفي اوروبا الى نهر طونة فعظم حالهم وخرجوا عن زمرة الاوباش * وفي ناحية بلاد القما كادت جبال اردل وجزء من نهر طونة وآخر من نهر ساوة تكون علامة لحد طبيعي لبلاد الترك ولكنه صار عندهم غير نافع بسبب وضع دلماسيا التي كانت في ذلك الزمن فرنساوية فكان يكتنفها بلاد بوسنية وبلاد السرب وكانت بلاد العثمانية ايضا تمس بلاد الفرنساوية التي استولى عليها نابليون وتتصل بها بواسطة جزائر بحر اليونان التي اعانت نابليون على النصرة (كل هذا في زمان التكلم والا فدلماسيا ليست مع الفرنساوية ولا جزائر اليونان مع الانكليز لا الترك)

حدود الدولة العثمانية

فاذا استولى على هذه البلاد دولة اوروبية (او احسنت تدبيرها العثمانية على منوال ملوك اوروبا) فانها تهتبها وتدبرها حتى تصير من اعظم ممالك الدنيا فانه يستخرج من حالة وضعها منافع تجارية لكونها موضوعة وضعا حسنا في مركز اقسام الارض الثلاثة المعروفة من قديم الزمان فتفتح لهذه الاقسام الثلاثة البحرين المحيطين الموجودين في الكرة الارضية بواسطة البحر الابيض المتوسط ونهر الفرات والخليج الفارسي فان الترك لا يميلون الى المعارف النافعة فلا يريدون اخذ عدد جميع اهل بلادهم ولا اخذ صور الاقاليم والبلاد والمناظر فانهم لا يعرفون هل بلادهم قليلة الاهالي كما يذكره الافرنج او ليست كذلك وانما كلام الافرنج في ذكر ضعفهم وخراب بلادهم من حيز المبالغات

منفعة وضعها

اتساع ممالك العثمانية

ولنذكرهنا جدولا مشتملا على ماظهر من مقابلة اخبار المتاخرين وماظهر من خرطاتهم المتأخرة المتعلقة بتقسيم هذه الدولة وذكر اتساعها فنقول

بلاد العثمانية فى اوروبا	فراسخ مربعة للدرجة ٢٥	مربع ميلا
بغدان (مع بلاد تو بجاق)	٣٥٠٠	٦٩٣
اغلاق	٢٩٠٠	٥٧٤
سرب وبوسنية ودلماسيا العثمانية	٤١٠٠	٨١٦
بلاد البلغار	٣٥٧٠	٧٠٧
رومانيا اوروم ايلى الحقيقية	٣٣٨٠	٦٦٩
مقدونيا اوفيليب ولايتى	٢٧٨٠	٥٥٠
بلاد الارناوط المسماة البانيا الحقيقية	٢١٩٠	٤٣٣
ابيرة وتساليا وليوادية	١٩٦٠	٣٨٨
مورة	٩٥٠	١٨٨
كريد	٦١٠	١٢٠
جزيرة اغريبوزة وغيرها من جزائر اوروبا	٥٠٠	٩٩
مجموع ذلك	٢٦٤٤٠	٥٢٣٧

بلاد العثمانية فى آسيا	فراسخ مربعة للدرجة ٢٥	مربع ميلا
اناطولى مع قرمان وروم الى الفرات	٢٦٣٠٠	٥٢٠٨
الشام غير البادية	٦٨٠٠	١٣٤٧
ارمنية مع كورجستان العثمانية الخ	٨٤٠٠	١٦٦٥
ديار بكر والجزيرة وغيرها	١٩٠٠٠	٣٧٦٣
مجموع ذلك	٦٠٥٠٠	١١٩٨٣
مجموع بلاد العثمانية فى اوروبا	٢٦٤٤٠	٥٢٣٧
مصر	٢٠٠٠٠	٣٩٦١
مجموع اتساع بلاد الدولة العثمانية بتمامها	١٠٦٩٤٠	٢١١٨١

اهالى

ولا فائدة فى كوننا نريد أن نعرف بالتخمين عدد اهل دولة لا يعرف اربابها تقييد اسماء الاهالى فى جريدة وضبطهم ضبطا منتظما واما المصنفون الذين قالوا على وجه التخمين التقريبى ان اهل بلاد العثمانية باوروبا تبلغ عدتهم اثنين وعشرين مليونا فذكروا دلائل ظاهرة مثل دلائل الذين جعلوهم ثمانية ملايين فكل عال بما يؤيد كلامه وهذا موجب للشك وعدم اليقين واما عدد اهالى العثمانية بآسيا فغالب العقلاء يقرّ أن عددهم اشد جهالة من عدد اهالى اوروبا وغاية ما نقوله بحسب الظن اننا اذا فرضنا ان الاقاليم العثمانية محالها المسكونة ليست كثيرة الاهالى وهى ايضا متباعدة متفرقة عن بعضها مثل اقل اقاليم اسبانيا عمارة واهلا وجدنا بهذا الفرض والتقدير أن جميع اهالى بلاد العثمانية بآسيا و اوروبا و افريقية يمكن أن تبلغ من ٢٥ مليونا الى ثلاثين نضنها فى بلاد العثمانية التى بآسيا فبحسب الظن اذا فرضنا البلاد اناطولى خمسة ملايين ولارمنية مليونين ولكردستان مليونا واحدا ولايالة بغداد والموصل وديار بكر مليونا ونصفا ولبلاد الشام مليونا وثمانمائة الف نفس اومليونين وهو نهاية ما يمكن فاننا لا نشك فى اننا قربنا بعض قرب من الظاهر

خلقة العثمانية

واما ذكرنا نبذة من احوال آداب العثمانية وسياساتهم فانه يكون اقل بناء على الاشياء المشكوكة واعظم فائدة مما ذكر فلا خلاف بين ارباب الاسفار فى ان رجال العثمانية طوال القامات حسان التقاويم والصور شداد ارباب صحنات بادية تلهم الهيبة والوقار والشهامة وبلونهم يسير السمرة الخفيفة وشعورهم فى الغالب اقرب للسمرة من السواد وعيونهم الطبيعى الدال على الهيبة هو ايضا يرداد بتوسيع ملابسهم وبلبسهم العمائم التى تكسبهم الهيبة وبتطويلهم السبالين المسمين عند العامة بالاشناب وعندهم ارخاء السبالين امر عظيم كما فى امم آسيا ولا شئ فى ظاهر ابدانهم واحوالهم

لسان الترك

الا يذكرنا ما ينسبه اليهم مؤلفوهم من ان اصلهم من امة المغول فالظاهر انهم لا يختلفون عن غيرهم من امم التتار الا بتغييرات نافعة يمكن أن يقال انها جاءتهم من تناسلهم وتولدهم من امم اوروبا وايضا اللسان التركي على ما اعتمده اغلب العلماء وارباب المعارف يدومنه في قواعده واصوله تشابه عظيم للسان التتار ولكن علماء اللسان التركي ادخلوا في لسانهم وتاليفهم كلمات وتعبيرات مأخوذة من لغة العرب التي هي لغة واسعة ومن اللغة الفارسية الجديدة التي هي لغة ظريفة لطيفة ولهذا كانت اللغة التركية تلقب معلمة (اوكو الجي ومعناه الفرس المجملة) ولما كان العثمانية مثل باقي الامم الذين جاؤا من آسيا الوسطى ودخلوا اوروبا عن قريب بالنسبة لغيرهم وكان تفوقهم وايهتهم وشوكتهم وغير ذلك قد اكسبهم كبرا خاصا بجنسهم استمروا على ذلك ولم يغيروا منه شيأ خصوصا في بلاد آسيا كانهم حفظوا دينهم وعقائدهم وآدابهم واخلاقهم وعوايدهم التي كانت تميزهم عن غيرهم من مئة ثلثمائة سنة

عيشة العثمانية

وهذا الثبات وعدم التلون ممدوح لو كان مبنيا على سياسة نيرة وكياسة عظيمة ترشده وتصلحه وهم ارباب قناعة يأكلون يسيرا من الغذاء الذي معظمه من النبات ولا يشرب الخمر الا النادر منهم ويعتادون على رياضة الجسم كما يليق بالشهامة والرجولية كركوب الخيل والتمرن على استعمال السلاح لا كالرقص للرجال ويكرمون الضيف ويسلكون في ذلك سبيل الجد والاحتفال واعطاء الرسوم حقها وكثرة الصمت ويظهرون العبادة والديانة ويسكنون في مساكن غير مزينة بدون هرج ولا كثير حركة ويتخذون بساتين خشفية منعزلة منفردة فهذه مناقب الاتراك النبل وغالب المشرقيين على الاطلاق فهي تجعل طباعهم عجيبة وعوايدهم غريبة

التسلي والتنعم الغذائي

فمن هذا يفهم ان التركي قل أن يتطبع بغير طباعه فلهذا تجدهم لا يعرفون اصلا التلونات والتقلبات التي تكون في جمعيات الافرنج ولا الحركات والمبادرة في الامور بل تجد انسان من العثمانية متكئا على وسادات صفته يشرب الدخان الصوري ويشرب القهوة اليمانية بكثرة حتى تؤدي الى حرارة جوفه وينظر رقص بعض جواريه ويتعاطى شيأ

تعدد الزوجات

من الافيون يغيب عقله حتى يظن انه في الجنة مع الحور العين ومع ذلك فتعدد الزوجات والتسري بالجواري العديدة لا يخشى منه الفتنة عند الاسلام ولا الاتهام على اللذات والشهوات وان كان عند شبان الافرنج اذا تذكروا ان الاتراك تتعدد عندهم الزوجات افتتنوا بالالفاظ الدالة على معنى التعدد فانهم اذا سمعوا لفظ بولوغاميا اى التزوج بعدة زوجات ربما حرك الساكن عندهم ولما كان لا يجب على النساء عندهم أن يتحملن بصرف شئ في البيت كانت الرجال الغير الاغنياء لا يتزوجن الا بواحدة فقط وقد يقع في بعض الاحيان ان النساء الغنيات من كسبهن اياما كان وجهه حلالا او حراما واللاتي لهن اموال من اباهن يشترطن على الزوج أن لا يتزوج عليهن اصلا وان كان الدين المحمدي اباح له التزوج باربع فليس تعدد الزوجات الا نوعا من الزينة عند الاغنياء والاعيان فان حريمهم مشحونة

حريم العثمانية

بالجواري الجركسية والكورجية واللسغية (الداغستانلية) والحريم هو مسكن منعزل لا يقربه انسان لاحترامه مقصور فيه دولة الجمال ومنشور عليه اجنحة غيرة صاحبه على ربات الدلال وخارج هذا الحريم المسمى عند الافرنج سراية وان كانت هذه التسمية لا وجه لها اصلا وانما هي كلمة تعورفت معناها حريم لا تخرج النساء سواء كن زوجات او سراري الا مستورات بالبراقع المطبقة والغطاء الذي يسترهن عن اعين جميع الناس ولو عن من تأمل كل التأمل فان هذا الغطاء كما يمنع شكلهن او تقاطيع بدنهن يمنع من رؤية شخصها فكانهن موميا ملفوفة في كفنها وقل أن تجتمع النساء ويلعبن ويظهرن الفرح الا في الحمامات التي لا يدخلها غيرهن او في بيوتهن فيظهرن المواسم ويتعاطين الشربات والقهوة والمربى بل والدخان على ما يقال وفي هذه المحال يظهرن احسن ما عليهن من الثياب والملابس الفاخرة الرفيعة والحلى الفاريف ويتسامرن على ذكر ما في ازواجهن او جيرانهن من الحسن او القبح ويحضرن ايضا الرقاصات في هذه المحال ليرقصن لهن ويفعلن امورا خارجة عن قانون الحياء ولكن في بلاد العثمانية لا ترقص النساء ذوات العفة بالفسهن اصلا فالنساء الاتراك لا يؤذن لهن في الذهاب الى المساجد فان حضور صلاة الجماعة ليس بواجب عليهن شرعا ومع هذا التضييق والمنع الشديد لا يخلو بعض النساء في بلاد العثمانية من خيانة الفراش حيث خانهن ازواجهن او لم يعفوهن فتتقدم النساء منهم بانواع الحيل على ما يقال وذلك بتوسط نساء اليهود والارمن الدلالات والبائعات للمحارم ونحوها ويقال ان العشق ببلاد العثمانية مع هذا التشديد على النساء قد يجتاز ثلاثة حيطان من حيطان البيوت ولو بيوت بعض الباشوات ارباب السطوة والصعوبة يعني ان العاشق يتوصل الى مراده ويتخفى حتى يدخل هذه البيوت وزعم

لسان الازهار

بعضهم وان كان لا يعلم هل هو صحيح او باطل ان باقات الازهار اذا رتبت بترتيب خاص مفهوم للعاشق ومحبوبته تكون وصلة تلتراسل وتقوم مقام الاوراق والمكاتيب فان غالب نساء الاتراك لا يعرفن القراءة ولا الكتابة فيتراسلن بهذه الازهار على ذلك الوضع

الشفقة على الحيوانات

ويحكى عن العثمانية نكات ونوادر تدل على ان عندهم حنوا اولين جانب بالطبع وذلك ان شفقة الهنديين على الحيوانات بعدم ذبحهم لها يوجد نظيرها في الجملة عند العثمانية فانك تجد في المدن التركية الكلاب والهرات تعيش في ارغد عيش وشبع بحيث لورأى عيشتهم الشحاذون من الافرنج لحسدوها لكونهم لا يجدون مثيلها وكذلك الحمام يحوم اقاطيع في الجو ويأتي الى القوارب الموسوقة بالغلال كأنه يسألهم شيأ من غلالهم فقل أن منعوه ذلك وكذلك الطيور المائية معمرة شطوط الخليج القسطنطيني من غير أن يتعرض اليها انسان بل اوكارها الا تقربها الاطفال لاحترامهم لها ولو كانت هذه الطيور في اقليم آخر لكانت لعبة لهم وعرضة لجبرهم فانظر الى مكارم الاخلاق عند الترك في حق الحيوانات بل قد تصل مكارم اخلاقهم الى الاشجار وذلك ان من اوهامهم انه لا يجوز لصاحب الشجرة المظلة في مدينة اوخلاء أن يقتلعها وهذا الوهم نافع طريف لا بأس به لانه يمنع طمع كثير من الناس ويفتخر الاغنياء عند الاتراك باصلاح الطرق والمتنزهات العامة السلطانية وبتحسينها وتزيينها بالسبل او بالمحال التي يرتاح فيها الانسان وكذلك يتقربون ببناء المساجد والزوايا العامة النفع وبلاد العثمانية منازل للضيوف تسمى الخانات او الكروان سرايات ينزل بها المسافرون والصناعية و يسكنونها من غير مقابل وبالجملة فقد شاهد كثير من ارباب الاسفار أن في مورة واناطولي وكريد آدابا حسنة واخلاقا نقية لا دنس بها وان الرجل يعيش عيشة هنيئة في عياله واهل بيته ووجد هنالك اكراما كاملا يشبه ما يحكونه عن الانبياء كسيدنا ابراهيم ابي الضيفان عليه الصلاة والسلام

متنزهات عامة
كروان سراى

تكبر الاتراك

ولكن شدة الكبر عند الاتراك منضمة الى خشونة احوالهم وهيئاتهم يتأذى منها الناس اكثر من الكبر عند غيرهم فلهذا اغضبت اكثر ارباب الاسفار وتاذوا منها غاية التأذي حتى ظنوا جميعا ان الامة التركية بتمامها انما هي اوباش متوحشون جهال خشفيون غير متأهلين اصلا لشيء من التمدن وحسن الحال والرفاهية وليس الامر كذلك فان الافرنج حين حكمهم بهذا على الاتراك نسوا فكر كل من السلطان مراد والسلطان سليمان واهالي دواوينهما كما نسوا البهية هذين السلطانين وحسن سياستهما وتدبيرهما أما كان الافرنج يخشون الاتراك وتعتريهم الدهشة والحيرة عند مشاهدتهم وكانوا يتعجبون و يستحسنون طباعهم فخلف هذا كله انهم الآن احتقروهم وازدروهم غاية الازدراء ونفروا منهم بغير حق ولا انصاف وسبب هذا ان الانسان لا يتذكر اصلا ان الامم انما هم على دين ملوكهم اي على حسب ما تاذن به احكامهم وسياساتهم فهم يدورون معها رفاهية وخشونة

وليس سبب شقاء بلاد العثمانية وضعفها اطلاق التصرف بالمعنى المشهور عند الافرنج في هذا العهد اذ هو بمعنى الظلم والتعدي وفعل جميع ما يريده الحاكم وذلك لان سلطان العثمانية الذي يلقب ايضا بادي شاه ليس له شرعا تصرف غير محدود اصلا فانه لا يمكنه اصلا أن يتباعد عما في الكتاب والسنة فان احكام الكتاب والسنة الهية يجب على كل مسلم أن يتبعها بل لا يمكن للسلطان بلا خطر أن يغير الامور التي جرت بها العوايد القديمة وان كانت مبنية على مجرد اوهام العوام وانما يقلد المناصب المدنية والعسكرية لمن اراد ولايته و يعزل من اراد عزله وهو سيد اموال ارباب المناصب وما لك ارواحهم (اي بسبب ظاهري) له أن يتصرف فيهم كيف يشاء ولكن تنفيذ مراده في هذا الامر تمنع منه موانع وذلك لان السلطان اذا غضب على بعض الباشات وارسل اليه جيشا ليخرجه من ولايته فان الباشا يقاتل الجيش ولا يخرج اصلا وقد يرسل ايضا السلطان الى بعض الباشات فيجي باشي ليقطع رأسه ويأتي به الى اسلامبول فيقطع هذا الباشا رأس القبجي ويرسلها ولا يرضى بقطع رأس نفسه وعلى كل حال فان السلطان وان كانت قدرته غير ممتدة بل هي مقصورة على امور فلانة عند الافرنج ايضا مقيدة التصرف بالمعنى المشهور عندهم فليست دولة العثمانية دولة محدودة بمعنى انها مبنية على قوانين ثابتة غير متغيرة بل يمكن أن يقال ان احكام هذه المملكة انما هي احكام عسكرية شديدة الظلم والتفويض انحلت وتفسدت عن اصلها وانقلبت احكاما للمملكة وصارت سياسة للدولة بتمامها حيث لم يمكن السلطان أن يدبر المملكة بما في الكتاب والسنة من الاحكام واما تعرض الرعايا وعدم رضائهم في بعض الاحيان بالاحكام ولبطالهم لها وكذلك معارضة الباشات فلا تقتضي ان السلطان مقيد التصرف يحتاج في انفاذ احكامه لقدرة غير قدرته وانما ذلك يعد من قبيل الفتن والخروج عن الطاعة ولا يتسبب عنه في الملك الا الخراب والفساد واما الاحكام السياسية فيمكن تقريب معرفتها وتصور صفاتها باصلين الاصل الاول ان كل انسان في الدولة له قدرة يمكنه أن يعطيها لانسان آخر يقوم مقامه مثال ذلك ان السلطان خليفة النبي عليه افضل الصلاة والسلام وكل باشا هو نائب السلطان وكل جندي معه امر من الباشا هو نائب الباشا وهذا الاصل الذي يمكن أن تتعدد افراده الى ما لا نهاية ويزيد في افراد الظالمين والحكام الذين يفعلون كما يريدون في جميع الناس على اختلاف مراتبهم هو مبني على قانون عسكري

قدرة البادي شاه

اصول الحكومة

من قانون المملكة العثمانية وايضا هذه الدولة المنصورة التي فتحت البلاد هي دائما تدبر بلادها الواسعة كما تدبر المدينة المأخوذة عنوة فليست في الحقيقة امة ولا دولة بل هي اشبه بجيش حط في وسط امم مغلوبة منهزمة ومن هذا تولد اصل ثلث وهو ان كل الناس والاملاك التي تغلب عليها السلطان وفتح بلادها فهي له * فاولا الناس له ولابد وذلك لانه كيف يكون النصارى واليهود والارمن وغيرهم ممن يسميه التراك كلابا الاعبيد المنصور عليهم فليس لهم الى غير ذلك سبيل فقد اذن لهم أن يعيشوا ولكن يلزم ان يشتروا هذا الاذن بدفعهم الجوالي ويأخذوا ورقة ايصال مكتوبا فيها فداء قطع الرأس وهذا الاصل اذا طبق على الاراضي واعتبر فيها منع جميع اهل المملكة ومن جملتهم الاتراك ايضا أن يكون لهم املاك ارضية ثابتة مأمونة الاخذ من ايديهم فهم في الحقيقة انما هم متنعمون فقط بمدخولها وليسوا ما لكين للعين فاذا مات انسان منهم ولم يترك اولادا ذكورا كان الوارث هو السلطان فاذا مات عن اولاد ذكور كان له عشر ذلك فقط والذي يقدر هذا العشر انما هم جماعة مستخدمون يضبطون الاموال ويحكمون في التقدير كما يريدون واما المستخدم في الديوان فانه لا يحظى بما ذكرنا بتمامه بل جميع ما في يده للسلطان بمجرد مونه فعدم كون العقارات ثابتة لاصحابها وخوف نزعها من ايديهم كان سببا في كون الناس لا يبنون اصلا بناء محكما ولا يعمرون عمارات كثيرة المصرف فيحب العثمانية احسن من ذلك تكثير الحلي والصيغة وجمع الاموال لان هذا يسهل نقله واخفاؤه عند الخوف واحسن الطرق عندهم في حفن الاموال وجعلها في امن من ضبطها للميري هو أن يعمل الانسان بها اوقافا للمساجد من المساجد فيدفع صاحب البيت قدر اجنا للمسجد فبهذا لا ينزع من يده ويصير عقارا ثابتا ولكن لا ينتفع به الا نظار الاوقاف ويضاف الى الاصلين المتقدمين اللذين تبني عليهما احكام المملكة العثمانية امر ثالث وهو شراء المناصب فان هذا من اغرب ما يكون واشنع ما يوجد وذلك لان مناصب الباشوية والقضاء وغيرها تعطى لمن يتغالى في الثمن ولا شك ان ارباب هذه المناصب حيث ان مدة توليتهم قصيرة يبادرون الى اخذ ما صرفوه من الرعايا الذين هم تحت ايديهم وتدبيرهم ومن المعلوم ان خفاء القوانين والاحكام يريد لخبطة الدولة فان هذه الدولة الواسعة خالية عن كتاب قوانين يكون ادق واوفق لهذه الازمنة من قوانين السلطان سليمان الثاني فانك تجد بهذه القوانين احكاما من قوانين ملوك الروم ممزوجة باحكام من الشريعة المحمدية فالدولة العثمانية خالية عن احكام تضبط ارباب المناصب حتى لا يمكن لاحد منهم أن يفعل ما سولته له نفسه وتكون هذه الاحكام ايضا كفيلة بتنفيذ ما في القوانين حتى لا يستطيع احد أن يتجاوزها وأن يكون معافى منها

وضعف عقول غالب سلاطين العثمانية الذين تربوا في السراية اى في الحريم يحملهم على أن يتخلصوا من مباشرة الاحكام في الدولة وأن يفوضوا الامر في ذلك لوكيل من اقل وكلاء دولتهم يلقب الوزير الاعظم او الصدر الاعظم فهو وكيل السلطان وكالة كاملة يفعل ما يفعله السلطان ومعه حتم المملكة وهو ايضا امير الجيوش بنفسه يتصرف في الاموال كيف يشاء وينصب جميع المناصب التدبيرية والعسكرية وكلما كان الوزير كثير التصرف وكثير التفويض وواسع الاقتدار كان ضمانه عظيما وكفالته كاملة فعليه جميع ما يقع في الدولة من الخلل والقحط والحريق وانهزام العساكر وقيام الرعايا وخروجهم عن الطاعة والاوباء فقل أن مات الوزير الا قتيلا اما لكونه لا يحب الرعايا ولكونه يغضب السلطان ولما كان الوزير دائما كالطير الذي ينصب لها في كل ناحية شرك وكان مرمى لجميع الرماة كان من النادر جدا أن يصل الى درجة الشيخوخة في منصبه الخطر

والديوان وهو مشورة الدولة مؤلف من عدة وكلاء ووزراء وهم الرئيس افندى وهو رئيس وجاق الافندية اى ارباب الاقلام وهذا الوجاق له كلمة نافذة في السياسات وفي الدولة وهو الآن محتو على فضلاء امة العثمانية واكثرها معارف في الادبيات والسياسات

والعلماء وهم ايضا وجاق آخر وهو وجاق ارباب العلوم الشرعية سواء في مواد العبادات او المعاملات وهذا الوجاق لحفظ ناموس الشريعة في المملكة ولابقاء التمسك بشعار الدين المحمدى الذي هو اساس الدولة واجراء الاحكام الشرعية بين الناس لئلا يتعدى احد على احد وهذه الاحكام الشرعية استنبطها المجتهدون من الكتاب والسنة فالعلماء ايضا وياقبون افندية لهم قوتان قوة حاكمة وقوة دينية اى لهم مدخلية في العبادات والمعاملات فيعلمون الناس دينهم ويفتون في مواد المعاملات والجنايات ولا يمكن في الدولة قتل واحد منهم الا بعد رضاء رئيسهم وهو شيخ الاسلام

فالمفتي اى شيخ الاسلام هو شيخ العلماء وهو نائب السلطان في منصب الخلافة الذي هو رتبة النبي عليها الصلاة والسلام فهو رئيس الدين وعليه المعول حتى ان السلطان لا يضع قانونا ولا يعقد حربا ولا يضرب خراجا على الرعية الا بفتوى من شيخ الاسلام ولولا ان السلطان له أن يعزل هذا المفتي وأن يقتله بل وأن يقتله بعد عزله لكانت مرتبة المفتي

الجوالي حق الاملاك

تسويم المناصب

قوانين واحكام

صدر اعظم

ديوان

العلماء

المفتي

في الدولة

فى الدولة عظيمة نافعة لانه تكون قدرته ونفوذ كلمته معارضة ومعادلة لقدرة السلطان التى نكاد أن تكون لانهاية لها فكان يمكن المفتى أن يبطل مايقصده السلطان من الخلل وأن يرشده الى طريق الحق وعادة المفتى ان يقدم للسلطان فى كل سنة دفتر فيه اسماء العلماء الذين يتولون القضاء فى الاقاليم ولو كان شيخ الاسلام وباقى العلماء ارباب صلاح وقلة طمع لما فى ايدى الناس لكانت ايضا شوكتهم اعظم من ذلك ولكن البيع والشراء للمناصب ترتب عنه فى جميع ارباب المناصب والرتب والصنائع فى المملكة العثمانية فساد عظيم بحيث لاينال اقل معروف ولا تقضى ادنى حاجة الا برشوة اوهدية فان الانسان يدفع شيأ فى تظير حكم القاضى وابطال الشاهدين كما يدفع ايضا مقدار الاخذ منصب او للحظوة عند صاحب منصب ونيل القبول لديه فلا تو جد مملكة من ممالك الدنيا يكثر فيها شهاد الزور من غير حياء ولا خشية مثل مافى بلاد العثمانية وافظع من ذلك كله ان للحاكم الاكبر والملا والقاضى والنائب أن يحكم كل منهم وحده و بيت الحكم من غير رفع الدعوى الى حاكم اعلا فاقامة الدعاوى فى بلاد العثمانية هى مثل حكم مشورة عسكرية اهلها رحالة نزالة وذلك ان كلا من الخصمين يحكى دعواه فيحلف المدعى على اثبات مادعاه ويحلف المدعى عليه على نفيه فيبت الحكم القاضى من غير رفع دعوى شرعية فيستدل بآية من كتاب الله اوسنة رسوله اوبعبارة من كلام الفقهاء سواء كان هذا دليلا فى الواقع لما حكم به اولا فيؤدب احد الخصمين اذا كان من رعاع الناس و يضرب به على رجليه ويأخذ الرشوة من الغنى لاسيما من اليهود والارووم اوالافرنج فانهم يدفعون مايطلبه منهم على سبيل البرطيل و يسمى النصارى هذا البرطيل عوانية اى بلصة وظلما فاذا جيء الى القاضى العثمانى بسارق امر بتعليقه وشنقه فهذا مبلغ مايعرفه قضاة العثمانية من الاحكام الشرعية فليس فى المحكمة معارف وليس بها وكلاء عن الخصمين يدافعون عنهما و ينتصرون لهما كما عند الافرنج فالانسان الذاهب عند القاضى ياخذ حقه اويفوت حقه فى ساعات قلائل اى ان القاضى يحكم بالحق اوالباطل فى حصة يسيرة من الزمان (بخلاف الافرنج فان الدعاوى عندهم تحقق الغاية) والظاهر ان هذا الامر هو نظير ما كان يعمل فى معسكر الاخير عثمان الذى ينسب اليه العثمانية ولهذا لقب كل من القاضيين العظيمين فى المملكة وهما قاضى روم ايلى الذى هو قاضى بلاد العثمانية فى اوروبا وقاضى اناطولى وهو قاضى بلاد العثمانية بآسيا بلقب قاضى العسكر مع انهما ليسا قضاة العساكر بل هما قضاة المدن

القضاة والاحكام الشرعية

ولكن بلاد العثمانية طائفة ايضا وكيلة عن الرعية وكبار الوكلاء يقال لهم الاعيان ووظيفتهم أن يمانعوا عن نفوس الآحاد واموالهم وأن ينظروا فى مصالحهم وترتيبهم وأن ينبهوا الدفع الاعداء عن المدينة وأن يعارضوا الباشات اذا شرعوا فى الظلم وأن يعارضوا فى ظلم العساكر وذبهم عن الرعية وأن يحال عليهم توزيع الفرد على آحاد الرعية وهذه الطائفة فى العادة مؤلفة ممن ينتخب عليهم للرعية خيرا ويختارونهم لهذه الرتبة الممدوحة فيدخلون فى هذه الرتبة احتسابا لوجه الله تعالى فاذا اراد الاعيان أن يعقدوا مجلسا يتعلق بامور مهمة كمصلحة يعود نفعها على الرعايا اوككتابة تقرير مهم للباشا المتولى على اقليمهم اوللكتابة عرضحال للسلطان شكوى منهم فى ذلك الباشا هو الى ديوان مشورتهم اكابر المدينة والعلماء ليشركوهم معهم فى الشورى وليعضدوهم حيث يكتبون معهم ثم ان جميع المسلمين من التجار الى العملة ينتسبون الى حرفة من الحرف فمشايخ الحرف وظيفتهم أن يراعوا مصالح اهالى الحرف وحقوقهم فاذا كان لاى واحد من اهل الحرفة دعوى فى المحكمة ذهب شيخ الحرفة ليذب عنه ويمانع بل قد تجد بعض الاحيان جميع اهل الحرفة يتوسطون فى دعوى شخص من حرفتهم برئ يريد القاضى معاقبته ولكن فى غالب الاوقات لا يمكنهم تخليصه الا بدفع رشوة عظيمة لاهل المحكمة

الاعيان

حرف

وتدبير الاقاليم وادارتها هو ايضا على منوال ادارة المملكة اى مبنى على الاصول التى بها سياسة المملكة وذلك ان الباشات الذين مناصبهم على حسب اطواعهم التى هى كالاعلام والبيارق هم ارباب الادارة الاقليمية والادارة العسكرية واغرب من ذلك واضر بمصالح الرعية ان الباشا مدبر الاقليم قد يضيف ايضا الى هذين المنصبين التزام خراج جميع الاقليم ولحوال الفردة ولولا ان القضاة فى الاقاليم هم ارباب الحكم الشرعى لكان هؤلاء الباشات فيها سلاطين صغيرة فالباشا ذو ثلاثة الاطواغ كالسلطان الذى هو قائم مقامه فى كونه له أن يقتل من شاء ممن فى طرفه بل له ايضا أن يسفك دم كل من يخشى منه الفتنة واختلال نظام الرعية وبعض الباشات ذوى الثلاثة الاطواغ يلقب بكربيك ولاسيما باشا رومللى وباشا اناطولى ولكل باشا وبيك عساكر على حسب حاله وايراد ايالته واذا كان امره السلطان بالحضور اليه اوخاف على حدود ايالته من العدو سار بجميع عساكره مسلحة والبيكات الصناجق تحت اوامره فاجتماع هذه القوات فى ايالة يكون فى العادة سببا لكثرة الجور والظلم فى هذه الايالة واما دار السلطنة الاسلامية وهى اسلامبول . فان بها اسبابا عديدة تمنع وقوع الظلم فيها من الحكام وارباب المناصب وهذه الاسباب هى وجود السلطان

باشا

الظلم فى الاقاليم

بهاوكثرة المعارف زيادة عن غيرها من مدن الايالات وكثرة اهاليها والاشتراك فى الرأى والقبول والقدرة فالوزير الاعظم ينظر الى الوزراء والوكلاء ويضبطهم وهم ايضا يكونون منه على حذر ويراقبون افعاله وحركاته بل السلطان ايضا له اناس عسس يتجسسون سرا ويراقبون اطوار الناس وافعالهم بل والرعية التى تخرج فى غالب الاحيان عن طاعة هؤلاء الظالمين وتوقد النار لاحراق المدينة لايحصل لها بذلك عظيم مضرة بل فى غالب الاحيان تجد من يدافع عنها من ارباب الكلمة النافذة اما للغيرة عليها اولاخذ شئ من حطام الدنيا اولوجه الله تعالى واما اهل الاقاليم فليس عندهم نظير ذلك يستعينون به على باشاتهم فاذا جار عليهم وعظم الحال وشكوا منه لديوان الدولة العلية واثبتوا ذلك اوقامت بينهم الفتن واظهروا العصيان واثبتوا ايضا ظلم هذا الباشا بعثت الدولة العلية الى الايالة فايحى بامر سرى اوبعث باشا آخر بتجريدة فتأخذ هذا الباشا المذنب وتقطع رأسه وتعلق على باب السراية وتضبط امواله للميرى فهذا هو نار الرعية لاغير فما هو الآن فى الدولة العلية هو ما كان فى سالف الزمان فى دولة الرومان فان قياصرتهم كانوا يصنعون ذلك مع ولاتهم وعمالهم حيث كانوا يظلمون بلاد الغالية وبلاد الشام وبلاد افريقية فكان بعد ظلم العمال فى هذه البلاد مدة طويلة يبعث القياصرة اليهم شخصا يلقب القنطوريون فيأتى برؤسهم ويضعها تحت كرسى القيصر

الباشات

اختلاف الدين

ومن اعظم مصائب الدولة العثمانية اختلاف اديان اهلها وذلك ان العثمانية وجميع اهل الاسلام لايبلغون ثلث الاهالى ببلاد اوروبا ولايزيدون عن خمسى الاهالى ببلاد آسيا فثلاثة اخماس مجموع الاهالى اوثلثا ذلك المجموع نصارى منهم نصارى اروام حقيقيون ومنهم امم اصلهم صقالبة وهم السرب والافلاق والمنتغرين يتبعون الملة اليونانية الشرقية وهذه الملة اليونانية تسمى شسماتية عن القائلين يقين الرومانيين وهى مؤذية للملة القليلة الاهل المسماة الاروام المجتمعة اى الاروام التبع الذين يقرون بان بابا رومية هو رئيس دينهم وملة الارمن ايضا ملة كثيرة الاهل وهى ايضا بين ملل النصارى ذات قوة وباس لانها مشهورة بالصعوبة والصلاح بين ابناء جنسها وثم جمعيات اخرى دينية مثل اليعقوبية المسماة قبطة فى مصر والنسطورية والموارنة وهم ايضا لهم قوة فى الجملة بسبب أن كل ملة منهم تجتمع مع افرادها وبينها وبين اهل وجاقها اتحاد وائتلاف وامة الدروز ايضا لاتحشى من امة الاسلام شيأ وبلاد الاسلام اليهود ايضا اكثر مما فى اى ولاية من ولايات اوروبا وجميع هؤلاء الجمعيات والملل عند العثمانية كانهم اعداء متعصبون عليهم ومتحزبون على الخروج عن طاعتهم وهؤلاء الملل ماعدا الموارنة والدروز لايمكنهم أن يشهروا عبادتهم ولاشعائر دينهم الاحتفالية ولهم علامات تدل على صغارهم وذلهم ولااحد يحميهم اذا ظلمهم العثمانية وهم ايضا جميعا يتباغضون ويلعن بعضهم بعضا فهؤلاء الاشقياء الذين هم من نسل امم مشاهير فى الزمان القديم بالظهور والمفاخر ليسوا الآن الا اخلاط ناس ورعاع خلق ومع انهم الآن جميعا مستعبدون * وفى سلاسل الاسر مغلولون * فلا توا طئ بينهم ولاحسن اتفاق * بل دائما مضمرون لبعضهم على التفاقم والشقاق * فلا مفر لهم من اسباب المهلك * التى يذوقونها بينهم على سبيل الاشتراك * حيث انهم من اهل الاشراك

وخصة

صفة دين الاسلام

وقد عاب النصارى دين الاسلام افتراء وكذبا ونسبوا اليه ماتنسبوا ويأبى الله الا أن يكذب بعضهم بعضا فانهم فى هذه الاعصر نزهوه عما قاله فيه بعض المتقدمين منهم فاصوله وعقائده سهلة خالية عن المحاولات * والتعنت فى المحاورات * فهو دين يصلح لارباب الجهاد * ويبقى على حالة واحدة الى يوم التناد * وعادة امم الاسلام التابعين لكتابهم * المتمسكين بسنة رسولهم فى اقترابهم واغترابهم * أن لايوادوا من حاد الله ورسوله * ولايلغ منهم عدوهم مأموله وسوله * غير أن عوامهم قد يحتقرون المعارف المتعلقة بالتمدن والتحضر * والفنون النافعة فى العمران والتبصر * فهم عن هذه العلوم فى حجاب * وازالته عنهم تعد من الامور الصعاب

تكليف واداب دينية

وربما ادت صعوبة التكليف الى ترك الواجبات * وارتكاب المحظورات * كشرب الخمر سرا وهو حرام * وتحذير العقل بالافيون وهو من الآثام * وما كل مسلم من الله خائف * ولا كل مؤمن للاوامر مخالف * ثم ان وجوب الوضوء والاغتسال * لاداء الصلاة الذى هو اعظم الاعمال * نشأ عنه انشاء السبل والحنفيات * والمغاطس والميضآت * ومن فعل الخيرات بناء المقابر العظيمة * فان المكث فيها لارباب الزهد له خيرقيمة * فتجد المقابر محفوفة بالازهار * مظللة بالسرو والذى يقيها الحر فى وسط النهار * وترى العشائر تأتى لزيارة هذه المقابر * واشهار موسم يقر الناظر ويسر الخاطر * كل هذا اعجب ارباب السياحات من الافرنج فاقره كل بار وفاجر * لما انه مشتمل على مجتمع ثلاثة امور * الحزن والعبادة والنزاهة فى الخلا * فجلب السرور * ثم ان المسلمين يحافظون كثيرهم على صوم الفرض والمسنون الذى ليس له حصر * فقد يصوم الانسان الدهر * نعم لايجوز صوم العيدين * واما صوم رمضان فهو فرض عين * وبعد صوم رمضان المكرم *

يشهر العيد الاصغر ويعظم * ويسمى عند الترك بجك بيرام * وعند النصارى عيد الفصح يكون فى احتفالهم له كالعيد الاصغر عند الاسلام

دراويش

وعند الاسلام جماعة يقال لهم الدراويش جمع درويش وهم عباد يفعلون امورا دينية قد تكون هوسية فيتعجب الناس من رقصهم واهتزازهم على وجه صعب

تقدم العثمانية فى العلوم والفنون والمعارف

فاذا فهمت ماسبق علمت أن تقدم العثمانية فى الفنون الادبية والعلوم المدنية قليل الى الآن ولكنهم خطر لهم أن لابد من التعليمات العمومية فتجد فى الجوامع السلطانية باسلامبول و بروسا وادرنة مدارس يسافر اليها من جميع اجزاء المملكة التلامذة ليتعلموا فيها العلوم الشرعية من توحيد وفقه وحديث وتفسير ويتحنون فى هذه المدارس اذا ارادوا التدريس فمن رأوه صالحا للتدريس اجازوه وهذه المدارس اسسها عدة من السلاطين العثمانية واول جامع حدث فى اسنيق سنة ١٣٣٠ من الميلاد بناه السلطان اورخان ولكن جامع سليمان فى اسلامبول اعظم منه ولهما ترتيبات كثيرة تكفى الفى تلميذ اوثلاثة آلاف وتلامذتهما بعد تعلمهم يقلدون وظائف القضاء ونحوه اووظائف خدم فى الدولة وهؤلاء التلامذة لايكون تعلمهم للعلوم منتجا للعدل بل دائما فى البلاد التى تكون المعارف فيها مقصورة على جملة مخصوصة من الناس لايفيد التعليم فى الغالب الاتكثير حيل الظلم ولاتجد فى بلاد العثمانية وسائط للتعليم والتعلم * ووسائل للتفهيم والتفهم * حتى تصل المعارف الى الخاص والعام * وينتشر التعليم الكامل بين امة خير الانام * نعم ان علماء الاسلام قد الفوا كثيرا من الكتب المعتبرة تتعلق بعلوم العربية والفارسية والفلسفة والادب وعلم السيرة وجغرافية اقاليمهم الا أن هذه المؤلفات التى اكثرها عبارته متشدق فيها اذا وجد فيها بعض معارف صحيحة وفوائد مهمة فان اغلب الناس لايحيطون بها علما فلا تنتشر بين اغلب الناس ولما كان ببلاد العثمانية كتاب يتعلقون بنسخ الكتب ويتكسبون منها وكانوا لايريدون طباعة الكتب لكونها تعود عليهم بالضرر وكان اغلب العلماء يعارضون فى طبع الكتب كان هذا سببا فى كون المطبعة فى بلاد العثمانية ليست على وجه ثابت نافع كما ينبغى فاذا ادعى اهل الدولة العثمانية ان صناعة الطباعة غير نافعة ورد عليهم الافرنج بقولهم لولا ظهور هذه الصناعة لما تقدم التمدن ولا كثرت العلوم والمعارف ولا كانت بلاد اوروبا مثل الآن

تجربة الطباعة

وفقد المعارف الساطعة * يعود دائما بالضرر على الصنائع النافعة * وذلك لان العثمانية لاسيما عثمانية آسيا وان كانوا اليوم اجردين بالكلية عن الميل الى الفلاحة فان هذه الصناعة عندهم هى اول الصناعات المطروحة فى زوايا الخمول والذبول وضعيفة فى جميع اجزاء المملكة من اولها الى آخرها وذلك لان الفلاحين لايجيدون زراعة ارض يخشون على حصيدها من جور الباشجت ونهب ارباب الصيال المتعرضين للسرقات واما المهارة فى اشغال التفريقات فانها مقصورة على عدة مدن اعظمها اسلامبول ومن هذه المدن باآسيا دمشق وحلب والموصل وانجورة اوانكورة وقسطامونى وبروسا وازمير وفى اوروبا سلانيك وادرنة وروسجوق وغير ذلك واصول مايخرج بهذه التفريقات السجاجيد والسختيان والقشة الحرير ونوع من السلك يسمى خيط الترك والسلاح الابيض ومعظم استمداد التجارة وزيادتها من نقل البضائع الغشيمة وحملها من هذه البلاد لتباع فى غيرها كالصوف والحرير والقطن والجلد والدخان وبعض المعادن لاسيما النحاس وكالنبيذ والزيوت والادهان والتين والتمر واللوز والزبيب القورنتى وغير ذلك من الفواكه فان هذه كلها تكون فروع تجارة عظيمة ويأخذ الافرنج ايضا من هذه البلاد دودة الصباغة والعفص والشب وعدة اطيان واتربة مخصوصة لاسيما نوع من الطين يسمى عند الافرنج السمجيلة وهو الطين المختوم وكذلك مادة طينية تسمى رغوة البحر او زبد البحر هذا مايستبضعه الافرنج من تلك البلاد

خالة الفنون والصنائع والاشغال

براعة اهل الاسلام فى الاشغال الاروام

واهل الاسلام لايتجرون الاقليلا ولكن فيهم ارباب زراعة ماهرون ومنهم ايضا من له براعة فى عمل الجوخ والاسلحة والدباغ وغير ذلك وتعلمهم البولاد والنحاس وصباغتهم ان لم تفق عن شغل الافرنج فانها تساويها فقد بلغوا فيها درجة كمال وكذلك عندهم خياطون واسكافية اعظم مما عند الافرنج وابرع منهم بكثير ولما كان الاروام بهذه البلاد كثيرين جدا تشبثوا بهذه الصنائع والفنون جميعها وبغيرها مما لايشتغل به العثمانية فتجدهم بحريون لايوجد نظيرهم فى مملكة العثمانية ولكن معرفتهم بالعلوم البحرية هينة جدا بالنسبة للافرنج اللهم الا بعض بحارة اروام فى جزائر بحر الروم المسمى بالارخبيل واعظم تجارة مملكة العثمانية يشتغل بها امة الارمن ولما كانوا ارباب تجلد وصبر واقتصاد فى المعيشة وارباب هم لاتكل ولا تمل تعلقت آمالهم بالاسفار البعيدة فيسافرون فى داخل بلاد آسيا وفى بلاد الهند ولهم حوائل تجارة ومراسلات ومشاركات فى جميع المحال ومنهم من يشتغل بالحرف والصنائع اليدية ومنهم صيارف وسماسرة ومنهم وكلاء للباشوات وغيرهم من الاعيان يقضون مصالحهم واما اليهود فى الدولة العثمانية فهم دون ماهم عليه

الارمن

في بلاد الافرنج فكل نوع من انواع التجارة يليق بحالهم بشرط أن يكون فيه لهم الربح ولو كان حقيرا خسيسا والاغنياء منهم يتعاطون الربا ومنهم من يخدم في دواوين المكوس فتجد الاتراك ياخذون في هذه الدواوين فقراء اليهود ليقوموا البضائع ويقدروا ما يؤخذ عليها من المكس

ايراد الدولة

واما ايراد الدولة العثمانية فلا يمكن تقديره ومعرفته قياسا على ما يقع في بلاد اوروباه بمقتضى الاصول هناك وذلك لانه في هذه الدولة تتفرع اصول القدرة والقوة على وجه عجيب اى ياخذون الاموال باوجه عديدة ولكن بانواع من القوة والقهر فكم من الباشات من يجمع مواد عظيمة من الناس ولا يصل منها شيء لبيد الدفتردار افندى وهو الوكيل على الاموال وخازندار المملكة العثمانية وتحت يده الخزينة العامرة التي تصب فيها الاموال التي تحصل من بيع المناصب العظيمة والتي تاتي من تقريرات الابناء كل سنة في اولها ومن اصحاب الاقطاعات على اختلافها والملتزمين وكذلك ما يحصل من الخراج وهو فرد الرؤوس على اليهود والنصارى والالتزامات المستأجرة ومن المكوس والجمارك وثم شخص ايضا يلقب وكيل الخزينة وهو اغاة حريم اسود خصي موكل بتدبير الخزينة السلطانية الداخلية وهذه الخزينة يدخل فيها الاموال التي تضبط من ارباب الذنوب والتي يرثها السلطان ومنها يكون مصاريف السراية السلطانية وثم خزينة اخرى وهي خزينة السلطان لاموالة الخاصة به وهي تحت يد احد غلمان السلطان الذين ياتونهم ويلقب خازنها بلقب خازندار اغاه وايراداها من كسب دار الضرب وتزيد دائما مما يوفره فيها اغلب السلاطين

نظام جديد

ثم ان وظيفة چلبي افندى حدثت من زمن سلطنة السلطان سليم الثالث وكذلك ما يؤخذ على النبيذ والمطعومات واغلب السلع التي للتجارة كالقطن والصوف والحرير فلما حدث هذا المكس سموه النظام الجديد وقرر لفرق العساكر الجديدة وهم الطوبجية وطوبجية القنبرة وغيرهم والرماة بالبندق فان هذه العساكر كانت حدثت جديدا وكذلك جددت الطوبخانات وورشات البندق وغيرها من الورشات النافعة وكانت الدولة تحب أن تحدث لها ايرادا من الرعايا وحادثة جديدة لمصاريفها فوقع أن هذه التجديدات بطلت عدة مرات بعدة فتن وقيامات سفكت فيها الدماء ولا يدرى هل يمكن للسلطان أن يحدث ما يريد تجديده لنفع دولته ويغلب على منع رعاياه له ويضبطهم اولا

ثم ان بعض المؤلفين ذكر أن ايراد الدولة العلية في جميع السلطنة هو نحو مائة وستين مليونا من الفرنكات وأن مصرفها لا يزيد ابدا عن مائة وعشرين مليونا من الفرنكات ايضا وهذا بالتخمين والتقدير فلا يمكننا أن نقول فيه بايجاب ولا نفي اى ليس في قدرتنا أن نحكم بصدقه ولا بكذبه

عساكر العثمانية

وقد حقق اثنان من ارباب المعرفة العسكرية ان عساكر العثمانية لم تبلغ اصلا المبلغ الذى نسبه بعضهم لها من المقاتلين فان هذا من مبالغات الامم الذين هزموا بعساكرهم فأطروا في ذكر عدتها وذلك لان للسلطان سليمان الثاني حين حاصر مدينة السلطنة النمساوية وازعج جميع الملل الافرنجية لم يكن تحت يده من العساكر الا مائة وخمسون الف مقاتل لاغير وعساكر العثمانية مؤلفة تاليفا عجيبا ومركبة تركيبا غريبا لم يزل باقيا الى الآن على حاله من غير أن يوافق ويمازج اصول صناعة العسكرية الموجودة الآن عند الامم الافرنجية وذلك لان الامة العثمانية لم تكن في مبدء امرها الا قبيلة صاحبة غارات وحروب وكان عليها رؤساء يقال لهم اغوات والآن يلقبون بلقب اغاه الملتزم الذى له زعامة او تيمارة فيقال له زعيم او تيمار فهؤلاء الاغوات لهم خدمة عسكرية بانفسهم ومجبورون في وقت الحرب على أن يحضروا معهم واحدا او عدة من فلاحيهم الملقبين بالجبلية والاغفار التي يحضرونها اما أن تكون فرسانا او مشاة مسلحة مجهزة على حسب حالة التزامهم سعة وضيقا والتيمار لا يخالف الزعيم الا في كونه ادنى درجة من الزعيم وهؤلاء الملتزمون يعطون للسلطان في وقت الحرب نحو ستين الف جندى وقد مكثت هذه الجنود زمنا طويلا وهي القوة العسكرية للدولة العثمانية فبها انتصر السلاطين المتقدمون على اعدائهم وفتحوا البلاد واقاموا على ذلك مدة طويلة وعساكرهم منصورة وعند العثمانية وجاق ايضا يقال له وجاق السافية وهم اقدم من الانكشارية وماهياتهم اعظم من ماهيات الانكشارية ويعدون من اولاد الاعيان والاغنياء ويجاهدون ايضا تحت رايات الزعماء والتيمارية ويلزمهم أن يخلفوهم في اقطاعاتهم والتزاماتهم بعد موتهم اذا عمل بمقتضى قوانين السلاطين القديمة وفي مدة سلطنة السلطان مراد الاول شرعوا في انتخاب خمس جميع الاسرى دائما لاجل أن يعمل منهم وجاق جديد من العساكر المشاة يسمى يني شيري فخرف ذلك وقيل انكشارية والافرنج تقول يانسير ثم ان ضرورة الحرب احوجت بعد ذلك الى ظهور قانون آخر يوجب أن يدخل في هذا الوجاق عشر اولاد النصارى وهذا من غريب سياسات العثمانية وتحيلاتهم التدبيرية ولازال هذا القانون متبعا معمولا به مع غاية التدقيق الى سلطنة السلطان مراد الرابع فكان في سلطنة السلطان سليمان الاول نحو مائة واحدى وستين اوضة من الانكشارية في اسلامبول وكل اوضة كان بها من العساكر من ثلثمائة الى ثمانمائة نفس

سافية

انكشارية

فيمكن حينئذ أن يقدر أن هذا الوجاق كان مشتملا على مائة الف مقاتل والآن لا يدخل فى هذا الوجاق الا العساكر الاسلامية وكثير من الاغنياء ينتظم فى سلك وجاق الانكشارية لمجرد غرض الحماية فيهم وأن يحظى بالمزايا والخصوصيات التى يتازبها هذا الوجاق ولكن هؤلاء الاغنياء الداخلون بهذا القصد ليسوا بمحكمين واذا دفعوا شيأ هينا من النقود تخلصوا من الخدمة العسكرية وعوفوا منها وقد تامل السواحون الماهرون لانكشارية اسلامبول وحسبوهم فوجدوا عددهم ليس على حالة واحدة دائما بل يحصل فيهم التغيير والتبديل ولكنهم لا ينقصون عن عشرة آلاف مقاتل ولا يزيدون عن عشرين الفا فاهرهم دائرين هذين العددين

طاعة العسكرية

واما الانكشارية الذين فى غير اسلامبول من باقى المملكة فهم نحو ستين الف عسكرى ولكن لا ميل لهم اصلا الى المقاتلة وحرب العدو وهذا الوجاق الذى كان سابقا مهولا على جميع الافرنج ويخشى منه ليس الآن مهابا وموخوفا الا عند النصارى الذين هم رعايا للدولة العثمانية ولو تعلم العثمانيون الحروب الافرنجية والحركات العسكرية على منوال اهل اوروبا واعتنوا بذلك وتركوا احتقاره وضعوا هذا التعليم العظيم الى شجاعتهم الطبيعية وقوتهم الاصلية لما كانت عساكرهم الا منصورة واعداؤهم الا مهزومة مقهورة فقد جربوا ذلك مرارا وشرعوا الآن ايضا فى الاختبار والتجربة وابتدءوا فى التعليمات والحركات الافرنجية على اصول اهل اوروبا ولكن الخلق ارباب الكسل وقلة الهمة يبغضون هذا الامر الجديد ويضمرون دائما العصيان ويقوى ذلك ايضا كبرهم وتعاظمهم فلا يقبلون فى ذلك الا بشق الانفس ولا يظهر نجاحهم الا بعد تجشم دولتهم الاخطار لبلوغ هذه الاوطار

حركة عسكرية

القوة البحرية

ثم ان القوة البحرية تجددت فى زمن السلطان محمد الثانى وعظمت السفن البحرية قوة وشوكة فى زمن السلطان سليمان الاول ثم اعتراها الضعف والذبول وكان مبدأ ضعفها من زمن سلاطين القرن الثامن عشر من الميلاد وكانت عامرة ثم هدمها الموسقوبية سنة ١٧٧٠ من الميلاد والآن اعتبروا فى عماراتها طرق الانكليز وقلدوهم فى ذلك على مقتضى ما كان نواه السلطان سليمان الثالث ولم يتم ذلك على مقتضى هذه الصورة الظريفة الظاهرية الى الآن غاية الامر انها الآن مركبة من نحو ثلاثين قباقا عظيما ومن كثير من الفرقاطات وغيرها من السفن الصغيرة لاسيما الاغربة ذات المجاذيف ونحوها من السفن التى تليق بالبحر الابيض المتوسط ولكن البحريون اروام لا معرفة ولا نظافة لهم فى العلوم البحرية اللهم الا شيأ هينا على انهم لهم رغبة عظيمة وميل كامل فى الخيانة للعثمانية وغيرة على ملتهم وعلى ابناء جنسهم الذين خرجوا عن الطاعة واستقلوا وصاروا وحدهم جماعة فغرضهم أن يكونوا سلمهم فى الخروج من الاسر واجتناب خدمة العثمانية فى البر والبحر

سراية السلطان

واعلمنا أن نضم للعمالات العثمانية التى ذكرناها ذكر السراية السلطانية يعنى ديوان السلطان وبيته المحترم وان كانت حرمته قد هتكت عدة مرات فى ايام الفتن والقيامات فى اسلامبول بل هذه السراية فى اغلب الاوقات فى خوف وتكدر لاسيما وهى ماوى اللذات وقلة الشجاعة ودار الشهوات فتجد فيها عدة آلوف من البستانجية شاكين الاسلحة مستعدين دائما للنزال فهم كالحرس لهذه السراية التى فى داخل دائرها قصور كثيرة وبساتين متعددة وفى المساكن المنعزلة المتفرقة التى يسمى كل مسكن منها حريما اى محل النساء عدة مئات من الخصيان المسمين اغوات الحريم ووظيفتهم الخدمة وحراسة طوائف السرارى اللاتى يكون عددهن على حسب هوى السلطان قلة وكثرة ومن هذه السرارى من ترتقى بالحبا وبالتزوير الى رتبة الخاتون اى زوجة السلطان واغوات الحريم منهم البيض والسود والاغوات السود تارة يكونون مجلوبين من بلاد السودان الجوانية وتارة من جزائر السوند وعلى كل حال فهم باتون من بلادهم مجردين عن الاحساسات البشرية فيخلصون فى صناعات الخدمة ورئيسهم الملقب كسلاراغاه هو دائما موثمن على سر السلطان وسميره فقد يكون له القبول العظيم فى الدولة وقد يحظى باعلى كلمة فيها فقد شوهد أن هؤلاء العبيد الاغنياء جمعوا من الاموال الملايين ونصبوا الوزراء وصيروا الرعية والملك تحت امرهم ونهيهم

تتمة

فهذا تخطيط حالة الدولة العثمانية وتحقيق امرها وشانها على وجه الاختصار فحاصل نموذجها انها عبارة عن اختلال انتظام وضعف ووهن فى جميع فروع الادارة والتدبير وذات ظلم للرعايا وجميع اقاليمها وعمالاتها مملوءة بالفتن وفجر الاهالى والصيال وقطع الطريق فى جميع المسالك البرانية وفى كل اركان المملكة العصاة على السلطنة والقائمون على السلطان وبجوارها اعداء ارباب طمع وشوكة وليس عند العثمانية معاهدات ومحالفات ومشارطات مؤسسة معقودة عقيدا لا يحل وليس لها ما يعضدها من خارجها اى ليس لها احباب من الملوك البرانية بل من ملوك الافرنج من يحب تشييد كرسى الملك قسطنطين بسلبه من سلطان العثمانية واعطائه لملك آخر يفتخبه على مراده ومن ملوك الافرنج من يريد قبرص وكريد ومنهم من يريد بلاد البشناق والسرب والافلاق ومقدونيا ولا يمكن فى هذا العهد لملك من

ملوك الافرنج اخذ شئ من بلاد العثمانية التي في قسم اوروبا من غير أن يضر ذلك ببعض دول من الافرنج ارباب الشوكة والبأس الذين لهم في ذلك مقصد سرّي سياسي وقد عضدت الافرنج سابقا هذه السلطنة العثمانية التي نفعت عساكرها سياسة الفرنساوية من حيث لا تشعر هذه العساكر بذلك حيث كانت سببا في ضبط قوة الموسقو وعدم ارجحيتهم على غيرهم وايضا ميل الفرنساوية لشدة عضد الدولة العلية في سالف الزمان مربيه ايضا ان ما يخرج من بلاد العثمانية من ثمرات الزراعات والصنائع كان فرعا عظيما لتجاراتهم في مينا مرسيليا وليغرنية وتتقوى الامر في هذا العهد حيث ان بلاد العثمانية صارت مجاورة لبلاد فرنسا بواسطة اقليم ايليريا الفرنساوية فاقامة العثمانية في قسم اوروبا وبقاء دولتهم ودوام صولتهم كل هذا موافق لاغراض الفرنساوية الآن ولمقتضى اصول سياستهم ولما اضمروه في انفسهم (كل هذا في زمن سلطنة نابليون)

جدول يتضمن بيان اطوال وعروض اصول اماكن بلاد العثمانية فى آسيا على مقتضى احسن ما حسبوه من الارصاد الافرنجية

اسماء الاماكن	العرض الشمالى			الطول الشرقى من باريس			المنقول عنهم
	درجات	دقائق	ثوان	درجات	دقائق	ثوان	
سواحل البحر الاسود							
طرابوزان	٤١	٢	٠٠	٣٧	٢٣	٣٠	بوشمب
طرابوزان ايضا	٤١	٢	٤١	٣٧	١٦	١٥	كتاب تقويم الازمان
أونية	٠٠	٠٠	٠٠	٣٤	٥٩	٢٢	بوشمب
قزل ارمق	٤١	٣٢	٥٢	٣٣	٥١	٣٠	بوشمب ايضا
سينوب	٤٢	٢	١٦	٣٢	٤٦	٥٧	تقويم الازمان
سينوب ايضا	٤٢	٢	١٧	٣٢	٤٨	٠٠	بوشمب
راس كيروميه	٤٢	٥	٣٠	٣٠	٤٦	٠٠	كذلك
اينجبى (ايلجيا)	٤٢	٠٠	٢٦	٣١	٣٦	١٥	كذلك
اماسترس	٤١	٤٦	٣	٣٠	١	١٦	كذلك
ايركلى	٤١	١٧	٥١	٢٩	٧	٥	كذلك
بقية اقليم اناطولى							
جزيرة مرمرة وهى اللسان الشرقى	٤٠	٣٧	٠٠	٢٥	٥	٠٠	دون غليانو تقويم الازمان
قلعة الدردانيل بآسيا	٤٠	٩	٣٧	٢٣	٥٥	٣٠	كذلك
تنيدوس وهى لسان							
الشمال الشرقى	٣٩	٥١	١٥	٢٣	٣٢	٤٥	كذلك
راس بابا	٣٩	٣٠	١٥	٢٣	٣١	٢٥	كذلك
برسا	٤٠	٧	٢	٢٦	٣٨	١٢	ستزين *مراسلات زالك
آق حصار	٣٩	٥	١٠	٢٥	٢٨	٠٠	كذلك
ازمير	٣٨	٢٨	٥٥	٢٤	٤٤	٤٥	دون غليانو
ازمير ايضا	٣٨	٢٨	٧	٢٤	٥٣	٣٨	تريسنيك *من سجل ليكتنستروم
ساقز اطه سى اى مدينة ساقز	٣٨	٢٣	٢٧	٠٠	٠٠	٠٠	سيتزين
كورة (جزيرة سوسام)	٣٧	٤٢	٢٤	٠٠	٠٠	٠٠	كذلك
رودس (المينا)	٣٦	٢٦	٠٠	٢٥	٥٢	١٥	نيبوهر *مراسلات زالك
رودس ايضا	٣٦	٢٨	٣٠	٠٠	٠٠	٠٠	دوكازيلس فى كتاب اكدميه العلوم سنة ١٧٦١ من الميلاد
رودس ايضا	٣٧	٥٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	غروواپس *كتاب اللسنة النقلية
كاليدونى (راس)	٣٦	١٣	٢٥	٢٨	٠٠	١٠	غليانو
انجورة	٣٩	٣١	٠٠	٣٠	٢١	١٧	جداول جغرافية
كوتاهية	٣٩	٢٥	٠٠	٢٧	٣٢	٠٠	نيبور بوكوك
قره حصار (افيون)	٣٨	٤٦	٠٠	٢٨	١	٢٠	كذلك
قونية	٣٧	٥٢	٠٠	٣٠	٢٠	٠٠	كذلك
ملاطيا	٣٥	١١	٠٠	٣٨	٣٤	٣٠	شيلا نغير

اسماء الاماكن	العرض الشمالي			الطول الشرقي من باريس			المنقول عنهم
	درجات	دقائق	ثوان	درجات	دقائق	ثوان	
مرعش	٣٥	٦	٠٠	٣٧	٤٤	٠٠	كذلك
قبرص							
راس سنت ابدرى	٣٥	٣٦	٣٠	٣٢	١١	٣٠	غليانو
لاركانا (قلعة)	٣٤	٥٤	٣٠	٣١	٢٠	٣٠	كذلك
لاركانا ايضا	٣٤	٥٦	٥٤	٣١	٢٧	٣٠	رحلة بخط اليد * كتاب تقويم الازمان سنة ١٨١١
نيقوزيا	٣٥	١٣	١٤	٣١	٦	٣٠	كذلك
ليزول	٣٤	١٢	١٤	٣٠	٣٦	٣٠	كذلك
يافا (مينا)	٣٤	٤٦	٣٤	٢٩	٥٨	٣٠	كذلك
سيريا	٣٥	٢٥	٠٠	٣١	١	٣٠	كذلك
الشام							
راس خنازير	٣٦	١٧	٥٠	٣٣	٢٠	٠٠	دون غليانو
لاتاقيا (اللاذقية)	٣٥	٣٢	٣٠	٣٣	٢٤	٠٠	كذلك
طرابلس	٣٤	٢٦	٢٦	٣٣	٢٤	٥	كذلك
الراس الابيض	٣٣	١١	٣٠	٣٢	٤٧	٠٠	كذلك
حلب	٣٦	١١	٣٠	٣٤	٥٢	٩	سيون بمقتضى تقويم مونير وتريسنيوكير *راجع مراسلات زالك
كذلك	٣٦	١١	٣٣	٠٠	٠٠	٠٠	نيبوهر
بيت المقدس	٣١	٤٧	٤٦	٣٣	٢١	١٠	سيتزين
كذلك	٣١	٤٨	٠٠	٣٣	٩	٠٠	بونتر *خارنة الشام
بلاد الفرات							
ارض روم	٣٩	٥٨	٣٥	٣٩	١٥	٤٥	بوشمب
ديار بكر	٣٧	٥٤	٠٠	٣٧	٠٠	٠٠	سيون بمقتضى تقويم مونير
كذلك	٣٧	٥٥	٣٠	٠٠	٠٠	٠٠	نيبوهر
كذلك				٣٧	٣١	٣٥	سيون بمقتضى تقويم تريسنيوكير مراسلات زالك
ماردان	٣٧	١٨	٤٨				نيبوهر
الموصل	٣٦	٢٠	٣٠				كذلك
بغداد	٣٣	١٩	٥٠	٤٢	٤	٣٠	بوشمب * تذكرة الاكدمية
كذلك	٣٣	١٩	٥٤	٠٠	٠٠	٠٠	سيون
كذلك	٣٣	٢٠	٤	٠٠	٠٠	٠٠	نيبوهر
الحلة (بابل)	٣٣	٣٤	٠٠	٥١	٥٣	١٥	بوشمب على مقتضى تذكرة الاكدمية
	٠٠	٠٠	٠٠				
كذلك	٠٠	٠٠	٠٠	٤٢	٤	٢٧	بوشمب على مقتضى تقويم ترسنيوكير
	٠٠	٠٠	٠٠				
البصرة	٣٠	٣٠	٢	٠٠	٠٠	٠٠	نيبوهر

المقالة الثانية والخمسون

في تخطيط اسيا * ذكر بلاد العرب والخليج العربي والخليج الفارسي

وضعها

اعلم انه يتوسط بين افريقة وباقي آسيا بحيث جزيرة العرب وهي تحف من جنوبها الشرقي جزا من البحر المحيط الهندي ومن جهة الشمال تتوسط بينها وبين بحر سفيد بلاد الشام ولولا بلاد الشمال لاتصلت بلاد العرب في تلك الجهة بالبحر الابيض * ومن جهة الشمال الشرقي تختلف حدودها وفي الغالب تتبع نهر الفرات وهي منفصلة من جهة الشرق عن بلاد العجم بالخليج الفارسي ويفصلها من بلاد مصر وبلاد الحبشة الخليج العربي

وهذا الوضع جعل بلاد العرب كانها مركز للقارة القديمة فتارة كانت طريقا ومستودعا للتجارة التي تربط الامم بعضها ببعض وتوجب بعض المخالطة والعشرة وتارة كانت محلا للتقلب العظيم الذي حصل به تغيير لصورة الدنيا وهو ظهور سيد الاولين والآخرين ولكن مضى الازمان المتوالية وتقادم الاحقاب المتتالية انسى الناس القرابة التي بين العرب والحبشة واهل سواحل الشام وان كانت هذه القرابة ليس لها ماخذا لاتقارب الالسن كانه بطول الازمنة ايضا وتداولها لاتعرف حق المعرفة غزوات تتابعة الحميرية ولا شوكتهم وصولتهم وقد افادت كتب موسى و ايوب عليهما السلام صورة التمدن النبوي الذي يستميل القلوب لاسيما وقد بقي منه آثار مركوزة الى الآن في طباع العرب وظاهرة في اخلاقهم وعوائدهم وباقية الى هذا العهد من غير أن تمحى اصلا وقد حكى بعض المؤرخين أن اسكندر الاكبر كان عازما على أن يجعل قاعدة ملكه بلاد العرب او على حدودها وشرع في ذلك فكانت سفن الامير نيارخس مستعدة جاهزة لتطوف حول بلاد العرب فبينا هذه العمارة تستعد لذلك اذ المنية قد اخترمت اسكندر فبطل جميع ما كان اضمره في نفسه * وفي زمن مملكة الملوك البطلميوسية وزمن قياصرة الرومانيين كانت مصر تتلقى من البحر الاحمر ومن ايدي تجار العرب البضائع النفيسة التي كان يظن في اول الامر انها ناشئة ببلاد اليمن ثم عرف بعد ذلك أن اعظم البهارات والعاج وآنية الصين تاتي من الهند و قرمان وبلاد الصين ومع ذلك فهذا لا يقدح فيما كان يعتقد في بلاد العرب من المحاسن العظيمة وقد ذهب امير من امراء ملك الرومانيين المسمى اغسطوس الى بلاد العرب واراد أن يدخل بلاد سبا الشهيرة بالغنى واليسار ولكن منعه من ذلك كون بلاد العرب محصنة بالبوادي والصحارى والمفاوز وكونها كانت منقسمة في ذلك الوقت كما في هذا العهد الى عدة ولايات صغيرة كانت عامرة بالتجارات

تمدن العرب القديم

وكانت مدن العرب وهيا كلهم وقصورهم مزينة بالمعادن النفيسة التي كانوا ياخذونها بالمبادلة من الروم والعجم ويعطونهم في مقابلتها البهارات والعطريات والبلسان المكي والبخورات والاحجار الكريمة والآنية الصينية وكانوا لايشترون من الاجانب شيأ من انواع الغلال ونحوها وكان علم البحرية قليل التقدم فكانوا ياتون ببضائع الهند بل وببضائع افريقية الشرقية كما هو الظاهر في قوارب رديئة فكان الذهاب والاياب ربما يبلغ خمس سنوات وكان سفرهم هذا بحذاء السواحل والشطوط فلم يكونوا يعرفون السفر في وسط البحر بواسطة الرياح الدورية المسماة رياح الموسم او الموسون كما نقول الافرنج الا في القرن الاول من تاريخ النصارى قبل ظهور الاسلام بستة قرون فهذا خلاصة تمدن العرب في قديم الزمان كما هو الظاهر ومعرفة تمدنهم بغية كثير من مؤلفي المتأخرين وبها شغفهم وتولعهم ولكن الظاهر ان قبائل العرب نزلوا من قديم الزمان بلاد افريقية والهند واستوطنوا فيها وتناسلوا وليس نزولهم بتلك البلاد وقع آخر الامر فقط

ظهور المذهب

وفي زمن ظهور المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام كان باقيا بلاد العرب الغنى العظيم والثروة الكاملة فظهر صلى الله عليه وسلم وغير صورة سياستها ودينها تغييرا كليا فصارت اول بلاد الدين المتبع المنصور ثم صارت بعد ذلك حاكمة على اعظم جزء من بلاد القارة القديمة وظهرت الشريعة المحمدية وظفر المسلمون حتى وصل فتوحهم لبلاد التتار الباردة وبلاد الزنج الحمارة وبلغت هدايته وسطوته من بلاد الاندلس الى جزائر الملوك في البحر المحيط بل ربما وصلت ايضا في ذلك الزمن الى مجمع جزائر كاروابنة وتجاوزت سلطنته في الجنوب بلاد موزنبيق وجزيرة مدغشقار

ثم ان امة العرب حذرت مما يحصل عادة للامم الفاتحة للبلاد من كون عاقبة امرها أن يتنعمها ايضا عدو اصعب منها فوقيت هذا الامر ولا زالت الى عهدنا هذا تحتفظ باستقلالها القديم ولكن ليس بها الآن مجتهد كما كان في سالف الزمان * كالاجماع الاعيان * وتجردت عن المعارف الفلسفية * والتاريخية والجغرافية * فهل تحتوي بقعتها الآن على ابن سينا وامثاله * وعلى ابي الفرج المؤرخ ومن ينسج على منواله * وهل ينشأ جغرافي كالادريسي * فانى الاطلاع * او هل تنعقد فيها مجالس العلوم المسماة بالاجماع * فقد نكصت على اعقابها في التحضر والتمدن * ورجعت القهقرى وفقدت ما كانت تعقله بالتجربة والتمرن * وهي الآن محكومة بعدة ولاة امور ضعاف * وبحكام ظلمة ترتكب الجبر والاعتساف *

تنبيهات تاريخية

فشتان بينهم وبين الخلفاء السابقين * والسلاطين المتقدمين * الذين كانوا ينبون عن المعارف وينشرونها * ويعتنون بالعلوم ويخصونها * وكان في ذلك الزمان المملوء بالانوار * سائر امم الافرنج في سائر الاقطار * في ظلام جهالتهم يعمهون * وفي الخشونة والتبربر يتقلبون * فكانوا يذهبون الى بلاد الاسلام * لاخذ ما يتعيشون به من الفنون والصنائع وما به يقيم النظام * فسبحان الملك المنان * الذي كل يوم هو في شان *

تخطيط الخليج العربي والفارسي

واول شئ ينبغي الاهتمام به في تخطيط بلاد العرب طبيعة الجونين اللذين يتصلان بها ولنذكرهما فنقول ان مجرد تواصل حوضة الفرات واستمرارها يحدث الخليج الفارسي بخلاف الخليج العربي فانه بانفراده يشغل غوطة لايصب فيها شئ من الانهر فلهذا ظن ارباب الفروض والاجتهادات اخذا من منظوره انه كان في قديم الزمان بوغاز اموصلا بحر سفيد بالبحر المحيط الهندي ولكنه حصل له سد في طرفه الشمالي وقد شبهه اسطرابونيس في شكله بنهر عظيم فاصاب في ذلك وكل من الخليج الفارسي وخليج العرب مشحون بالذكات الرمادية والمخاضات والجزائر الصغيرة جدا فليس به للسفر الا قليل من الطرق الخالصة المأمونة ومما يسهل السفر بهذا الجون ريح الموسم الذي يهب من الشمال الشرقي من

الرياح المسلطنة المذو والجزر

نصف شهر اقطوبر الافرنجي الى نصف شهر ابريل ولا يمكن دخوله مع ريح الموسم المقابل للريح المتقدم الذي يهب على عكسه وهذان الريحان الدوريان يزيدان في قوة الجزر والمد وفي ضعفهما فيكمن للانسان بعض الاحيان أن يمشي في اليبس على طرف لسان الماء الذي يفصل مدينة السويس من بلاد العرب وفي الخليج الفارسي تهب رياح الشمال الغربي من اقطوبر الى يولية ولكن تخللها في بعض الاحيان التلاقيح الشديدة التي تهب في الجنوب الغربي واما رياح الجنوب الشرقي التي تهب في باقي السنة فانها تناسب السفن الداخلة في هذا الخليج وفي مدة هبوبها تتسلط الرطوبة الشديدة وشطوط كل من الخليجين وحافاتهما مركبة في الغالب من صخور جيرية صدفية واعماقها مفروشة بالمرجان

عرق اللؤلؤ

المائل الى الخضرة ففي زمن الغليني يظن الانسان أن تحت الماء بساطا من الغابات المخضرة والرياض النضرة وهذا المنظر الظريف هو ضد المنظر المحزن الموجود بالساحل حيث ان هذا المنظر انما هو مجرد رمال قفرة لا يتخللها شئ يسر الناظر ولكن هذا المرجان دون مرجان البحر الابيض المسمى بحر سفيد وبهذا البحر نباتات الفوقوس الظريفة وقد تعجب منها الاقدمون وهي الحشائش البحرية التي اوجبت للخليج العربي اسم بحر سوف ومعناه بالعبرانية بحر القش المتولد بالبحر المالح واما لفظ بحر احمر الذي كان يطلقه اليونان على سائر البحور التي تتصل ببلاد العرب فانه يظهر انه ترجمة عن اسم علم وهو ايدوم ويقال ايدومة ومعناه احمر والسهول الواسعة التي على ساحل هذين الجونين يتراءى انها كانت مغمورة بالمياه في زمان قليل التقادم ولكن سهل تهامة لا يتبع شط خليج العرب الا من الجهة الشرقية بخلاف سهل العراق والجزيرة فانه يوجد في شمال الخليج الفارسي ويتبعه في اتجاهه وسوبه * قال بعض المؤلفين

قيوف

من القدماء ان قيوف الانهر ليست ابدا ظاهرة وبارزة في نهر من الانهر مثل ظهورها في مصاب نهر الفرات * وبوغاز هرمز اقل ضيقا واوزحا ما بالجزائر من بوغاز باب المندب الذي لمسماه من اسمه نصيب فهو باب الغرق وسنذكر

غرائب طبيعية

في غير هذا المحل جزائر هذا البحر ومما ينبغي التنبيه عليه انه في الخليج الفارسي تتبع في عدة اماكن لاسيما بقرب جزيرة البحرين عيون مياه عذبة في وسط الامواج المالحة والخليج العربي يظهر في جزيرة جبل الطور خمود عمله وهيجانه

جبال

واصول سلاسل جبال بلاد العرب يتراءى انها تتبع البحر الاحمر وتوازيه وان البعد بينها وبينه من عشرة فراسخ فرنساوية الى ثلاثين فرسخا ويعظم ارتفاعها عن اصله عند امتدادها الى الجنوب ويظهر لنا أن لا شك في استمرارها متواصلة من امتداد بحر الهند الى بحر عمان ولا مانع من كون هذه السلسلة بها قلال مرتفعة شامخة بل هذا هو الظاهر فان ركب الحاج المسافر من دمشق الى مكة يلمح جبلا يسمى شهاق او شاهق ويظهر من مسافة يومين ويرتفع كالبرج في وسط السهل وداخل بلاد العرب هو ربوة عظيمة كما هو الظاهر تاخذ في الميل جهة الخليج الفارسي ومنها جزء عظيم مفاوز وقفار ولكن يتخللها واحات صغيرة جبلية تفصلها عن بعضها وهذه الواحات اذا نظرت الى وضعها ونسبة بعضها الى بعض وجدتها كانها سلسلة مستمرة من جنوب فلسطين الشرقي الى جهة عمان

انهر وبحيرات

وجميع انهر بلاد العرب كالسيول تارة تقرب منها قرباً عظيما وتارة يكون شبهها بها يسيرا وتسمى أودية ويبس ارض بلاد العرب مما تكلم عليه جميع المؤلفين حتى كاد أن يكون معنى من المعاني التي كل انسان يظهر في وصفها بلاغته وفصاحته ولكن نبه بعض الجغرافيين من العثمانية على ان بنجد التي هي الربوة داخل بلاد العرب عدة بطيحات ويؤيده ما شاهده اسطرابونيس ونص عليه حيث قال ان هنالك بحيرات تتكون من الانهر

قطر

وقطر بلاد العرب كقطر البلاد الشمالية من قسم افريقة فنجد بجبال بلاد البربر امطارا دورية من وسط شهر

يونية الى غاية نهر سبطمبر وقل أن مكثت الغيوم اربعا وعشرين ساعة متوالية مدة زمن الاسطار وما بقى من السنة يندر أن ترى شيأ من الغيوم وفى مسقط وجبال عمان يبتدئ فصل المطر من وسط شهر نونبر الافرنجى ويمكث الى النصف فبرايه وفى سهول بلاد اليمن قد تمتر السنة بتمامها من غير نزول المطر وفى شهر يولية وشهر اغسطس يصعد ميزان الحر فى المخا الى ٩٨ درجة بخلاف ذلك فى صنعا اليمن وفى الجبال فلا يرتفع الا الى ٨٥ درجة وكل هذا بمقياس ميزان فهرنهيط وبمدينة صنعا اليمن قد ينعقد الماء ويحصل الجليد الا ان هذا من النادر وقد ذكر الادريسى عدة جبال هنالك يكون بها الجليد فى الصيف وفى الصحراء التى بين البصرة وبغداد وحلب ومكة يخشى من ريح السموم اكثر من غيره من الرياح ولا يكون مخوفا الا فى شدة الحر ولما كان عرب البوادى فى غالب احوالهم ليس عندهم الا الرياح النقية السليمة كان بعضهم على ما يقال يشم هبوب هذا الريح كرائحة الكبريت لقوة حاسة شمه وسلامتها ويقال ان من علامة هبوب ريح السموم ان مهبه يظهر به فى الجو حمرة خفيفة فمتى شم العرب قربه ينامون بالارض ويقولون ان من طبيعة الحيوانات فى وقت هبوبه طأطأة رؤسها ومن جازف وشمه مات وانتفخت جثته حتى ان من نظرها تراءى له ان هذا الريح يحمل معه سما كما ذكرنا ريح السموم

وقفار بلاد العرب اتحفتها لم يرض اقتحامها ارباب علم المواليد وان كانوا دائما ارباب جسارة ورغبة ولكن ما فيها من الواحات الكثيرة الجبال المظللة بالنخل بانواعه يستحق أن يشاهده ارباب الرغبات ويطلع عليه علماء الكائنات وحاصل ذلك ان السهول الرملية يخرج منها من النباتات كما يخرج ببلاد افريقية الشمالية واغلب هذه النباتات ما لحمة دسمة مثل المسيمبريثية وشجرة العود القماقلى والفربيون المسمى اللبانة المغربية والاسطابل والقلى فهذه السهول تطفى ظمأ الابل وتنعش المسافر وعندها ترتاح القافلة من مشاق السير نباتات السهول

واما ساحل البحر فان منظره اكثر من هذه السهول نباتا واعظم منها نزاهة لوجود الاختلاف والتغير فى نباتاته وذلك ان مابه من الجداول التى تنزل من الجبال تجد دائما على شطوطها خضرة نظريفة والنباتات المتولدة فى الرمال التى تستر الاراضى المجاورة للبحر هى مثل نباتات البادية المتقدمة ولكن شطوط الانهار والاودية والسهول ذات خصب مخالف بالكلية لتحولة الجبال * وكثير من نباتات الهند والعجم الشهيرة بجمال صورتها او بكمال نفعها يتولد اصالة فى هذه الشطوط فى كل زمن من الازمان كالتمر هندى والقطن والموز والتين الهندى وقصب السكر وصنف من شجر جوز الطيب والبطل المسمى ايضا بالطبهول وجميع انواع البطيخ وكذلك اليقطين ويحق لليمن الافتخار بشجرتين عظيمتين وهما شجرة البن وشجرة البلسان المكى الذى هو اطيب رائحة من سائر انواع الراتينج واعلى منها قيمة ومزارع البن تكون بمنحدر غربى الجبال العظيمة التى تخترق بلاد اليمن وتوجد ايضا مزروعة فى اقاليم اليمن مثل اقليم حاشد المسمى ايضا اقليم بكيل وكاقليم قطبة واقليم يافا ولكن الظاهر ان اقاليم اودن وتوسما وصابى او نظابى يصح فيها البن اكثر من المتقدمة فيخرج منها اعظم البن واكثره ويقال ان العرب منعوا خروج زرعة البن من بلادهم ونهوا عن ذلك وجعلوا جزاء من يخرجها عقابا شديدا ومع مثل هذا التشديد فقد وجد الفرنساوية والفلمنك والانكليز طريقا لنقل شجرة البن الى قبائلهم ونزلاتهم المهاجرة والمستوطنة فى البلاد البرانية عن بلادهم ومع ذلك فشتان بين بن الافرنج وبن اليمن فان بن اليمن لا زال باقيا على جودته وقد ادعى العرب انهم نقلوا شجرة البن فى الاصل من بلاد الحبشة ولعل اول من عرف خاصة نفع البن وزراعته هم الحبشة شجرة البن وشجرة البلسان

وقد كانت سابقا ببلاد العرب شهيرة بالجنوبات كما كانت مشهورة ايضا بالذهب ولكن جميع الجنوبات التى كان ينقلها اهل البلاد الشمالية من بلاد اليمن لم تكن من اقليم اليمن والآن لا يزرع عندهم منها الا اللبان وهو ردئ ويزرعونه على ساحل العرب الجنوبى الشرقى وحوالى مدن رشين ودفار ومريط وحاشك وكذلك فى اقليم شجر وهو اعظمها والجبال التى ينبت بها الجنوب هى طفلية وبها طبيعة ملح البارود وتنقل العرب اصناف الجنوب من بلاد الحبشة ومن بلاد سيام ومن جزيرة سوطرا وجاوه ومن هذه البلاد ينقل الى بلاد العثمانية بكثرة واقل ثلاثة اصناف الجنوب الجاوى الذى يبيعه التجار اعظم من لبان بلاد العرب واجود منه جنوبات

وببلاد العرب تجد علات اشجار كثيرة وليس بها غابات عظيمة اصلا ومن جنس النخيل بلاد العرب تجد نخل التمر ونخل جوز الطيب وكذلك الصنف العالى المسمى نخل المروحة ومن الاشجار المتولدة وحدها او المزروعة بهذه الجهة اشجار التين والبرتقان والجميز والموز واللوز والمشمش وشجر اليسر الذى يتخذ حبه للسبح واما قنا النيل وهى السدر وصنف يسمى بالسنسيليف وغيره ايضا من اصناف الجنس المسمى الميموسة ويزرعون ايضا العنب والسفرجل ويصح ذلك عندهم ويتفعون به ومن النباتات والاشجار الصغيرة التى ينبغى التنبيه عليها شجر حب الملوك والسنامكى وكذا انواع النخل

هاتين الحشيشتين داخلة في الادوية ومنها نوع من الفل يسمى القطيعة المدورة والزنبق الابيض ونبات عال يسمى البنفر انيوم وكل هذه النباتات ممتازة بطيب روائحها وكونها من العطريات ويها ايضا النند المسمى بالقاقلى وهو دون نند سنة لمرا والاسطيراش (وهو نوع من الراتينج طيب الرائحة) والسمسم وهو يمد مد الزيتون في استخراج الزيت

الزراعة — والحنطة والذرة الشامي والصفراء تستزرعان في بلاد اليمن وبعض اقاليم اخرى من بلاد العرب خصبة والخيول بهذه الجهة تعلف بالشعير واما الحمير فعلفها بالفول وتزرع بها ايضا النبلة والورس وهو صبغة صفراء وتخرج بكثرة من المخا الى بلاد عمان والقهوة يستعملونها في صبغ الاحمر بها ومحراثهم بسيط ليس مستقلا على سواد كثيرة مثل محاريث الافرنج ويستعملون المعول المسمى بالطورية دون الفاس وتعهد المزارع بعظمه توصيل مياه الغدران او الآبار او البرك للاراضي المبذورة وفي الحصاد يتقلعون السنبل من اصله ويجذون العيدان بالمقاصيل والمحشات

الابل — ثمن الابل ذوات السنمة الواحدة تسعا ها بعضهم السفينة الحيوانية لانه بدونها لا يمكن للعرب العبور بحور الرمال الفائضة ببلادهم ثمان ارسطو و بلنياس بيناغاية البيان صنفي الجمال المعروفين الى الآن اللذين لم يعرف لهما ثالث الى هذا العهد احدهما ماله سنمة واحدة بظهره وهو كثير ببلاد العرب ومصر والنصف الشمالي من افريقية وهذا الصنف يسمى بالجمال العربية * والثاني وهو بارض العجم والموصل الجنوبية وبلاد بخارى وصنعه يسمى

اختلاف اصناف الابل — بالجمال البخارية وجمال العرب تنقسم ايضا باعتبار نقل حملها وسرعة سيرها الى الرواحل والهجن هذا ما اشتهر و جمال بخارى مشهورة باسم الجمال البخاتي وقد عرفوا الآن ان الابل العربية تتولد وتتناسل مع البخاتية ولكن لا يعلم هل هذا الجنس المركب المختلف مولد او عقيم كالبغال

المواشي وغيرها — وبقر بلاد العرب له سنمة في ظهره مثل بقر الشام وفي بلاد نجد الغربية يقوم السمن مقام الزيت ولا يعلم حق العلم جنس غنم بلاد العرب وانما يقال ان اذنابها سمينة جدا تجتر على عربات صغيرة والظاهر انها اصوافها خشنة غير جيدة ولحومها غير لذيذة الطعم وهنالك معز برية تسمى معز الخور توجد في جبال الحجاز وبلاد العرب حيوانات غير ذلك وهي الجكال وهو ابن آوى والضباع والقرود واليربوع والظباء وبقر الوحش والنمور والثعالب والخنازير الوحشية وصنف يشبه النمر يسمى البشير وهو صنفان كبير وصغير وكلاهما موجود ببلاد العرب وباقي بقاع البلاد من ارض العجم

الطيور — المشرقية كل سنة طير من اصناف الدح او السمان يهلك الجراد الذي هو جائحة الزروع بامرها فلذلك تراهم يعظمون هذا الطير ويحترمونه ومن الجراد صنف يأكلونه ويقولون انه لذيذ الطعم وسهولهم معمورة بالحجل والدويلة الوحشية تكثر بالغابات الصغيرة التي ببلادهم ويكثر السمان بالجبال والنعام التي هي احق الطيور تنزل بيضها بعض الاحيان في الصحاري والبوادي والاسماك تكثر على سائر السواحل كما تكثر بها السلاحف كثرة بالغة فيقتات بها قبائل بتمامها لاغذاء لهم الا بها وسلاحف الارض ايضا تكثر ببلاد العرب يأكلها النصارى في ايام صيامهم وبها نوع من الثعابين

السلاحف والثعابين — سمرقش بنقط بيض وهو عظيم السم ولدغته تورث الموت وبها نوع عظيم من الضب فخم له قوة كقوة التمساح على مازعمه بعضهم

الخيل — ولا ننسى فضل الخيول العربية التي هي فخر بلاد العرب وهي قسمان الكديشية وهي الخيول المعتادة والكحيلانية وهي الخيول الجيدة الجنس ويقال ان اصلها الاصيل من اصطبلات سليمان عليه السلام وان نسلها باق من منذ الفي سنة ومحفوظ من غير دخيل في جنسها وهذه الخيول تصهل على التعب وتمكث عدة ايام من غير اكل وتدخل كثيرة على الاعداد في الغارات واحسنها ما يربيه عرب البادية في صحاري بلاد الشمال

الحمير — وهذه الاراضي بها ايضا صنف من الحمير جيد الاصل يباع باغلى قيمة وصنفه تقرب من صفة البغال وفي بلاد اليمن تدور الحمراء للعسس وتطوف البلد هو على ظهور هذه الحمير ليلا ونهارا وتفعل سائر الخدمة العسكرية راكبة ايضا عليها ما عدا المواكب والاحتفالات العامة وعليها تذهب الحجاج من اليمن الى مكة المشرفة وتحمل معهم على تعب الطريق وقد صح عند نيبوهر ان الحمار من هذا الصنف يمشي في مقدار نصف ساعة ١٧٥٠ خطوة وخطوة هذه الحمير قدر خطوة الانسان مرتين والابل العربية الكبيرة لا تمشي في نصف الساعة الا ٧٧٥ خطوة كخطوات هذه الحمير واكثر سير الابل الصغيرة في هذا الزمن خمسمائة من هذه الخطوة ايضا والركض على الابل متعب بخلاف رماحة الحمير فلا تعب فيها

معادن — وعلى ما قاله نيبوهر ان هذه البلاد ليس بها معادن الفضة ولا الذهب وانما يوجد بها بقلة فضة مخلوطة بالرصاص المستخرج من اقليم عمان ويوجد باقليم سعادة او سعد الذي هو في الجزء الشمالي من بلاد اليمن معادن حديد

ولكنها سهلة التكسير ويخرج من بلاد اليمن الجزع ويجلب اليها العقيق اليماني المسمى حجر الها من مدينة سورت بالهند وقال ايضا هذا الحكيم المتقدم ان بلاد العرب ليس بها شئ من الجواهر والاحجار النفيسة وما يوجد فيها فهو منقول اليها من بلاد الهند وهذا كله مخالف لما عاينه المتقدمون من ارباب السياحة واجمعوا عليه من جودة معادن بلاد العرب وكثرتها فلا يمكن لمعتقد خلافه فكيف يمكن أن تكون الارض المتسعة بهذا الاتساع خالية عن المعادن كيف وقد كانوا يستخرجون سابقا معادن ذهب بلاد اليمن فيجدون بعضها مخفيا في باطن الصخرات وبعضها الآخر في اراضي الحرث والى الآن يستخرجون ملح الطعام بقرب لوهيا وبكثير من المواضع غيرها وكانت مدينة جزه على الخليج الفارسي مبنية باحجار الملح وهي الآن مدينة قطيف والظاهر ان الاقدمين كانوا يسمون الكهربا حجر اروماطيقي اى حجر العطر او البهار وما سمي بالزمرذ الاعرج ونسب الى تلك البلاد وقيل انه في مدينة ايربه فلعله هو حجر الدياليج ومن الاحجار النفيسة ببلاد العرب الحجر الازرق والطوباز وقد شاهد تيبوهر في اليمن اعمدة من الرخام الاسود طول الواحد خمسة اشبار والمرمر الازرق وحجر القمر وعدة اصناف من حجر السباط وهو معدن ذوبريق ولمعان

معادن ذهب القدما

ثم انه حان لنا الآن أن نخطط بلاد العرب اقليما اقليما فنقول ان الاقدمين كانوا يقسمونها ثلاثة اقسام متباينة المقدار وهي بلاد الحجاز وهو اقليم صغيرين مصر و فلسطين في شمال البحر الاحمر ثم بلاد البادية وهي ممتدة جهة نهر الفرات وجهة وسط بلاد العرب وما عدا ذلك كانوا يسمونه بلاد اليمن وكلام تيبوهر يقتضي ان بلاد العرب منقسمة انقساما غير انقسامها في الزمن القديم وذلك ان وسط بلاد العرب مشغول باقليم واسع يشبه عقد تبيا متسلسلة وهو بلاد نجد ثم الحجاز على البحر الاحمر وفيه مكة و المدينة ثم اليمن في الجنوب جهة بوغاز باب المندب ثم حضرموت وهي تمتد على سواحل البحر المحيط الهندي ثم عمان وهي في جنوب مدخل الخليج الفارسي ثم الاحسا المسماة ايضا هجر بفتح الجيم وان كسرها دنويل وهي على الساحل الشمالي من الخليج المتقدم وانفصالها فنقول

اقسام

البحيرة المصنوعة من جوفي ايله والسويس المسماة بريطورسينا تجلب السواحين بتقديم شهرتها لا بسبب آخر لان مدن ايلة التي على لسان ماء من خليج العرب ومدينة العكر لة التي في جنوب بركة لوط ومدينة الطور ليس بها شئ تعود منه ثمرة على من يأتي اليها وجبل سينا الذي هو هضبات عظيمة من الصخور الصوانية يسقفه دير روسي يسمى دير القديسة كاترينة وراكب على سلسلة جبال تسمى عند العرب جبال موسى ولا يمكن للانسان ان يدور حولها الا بمسير عدة ايام وهذه الجبال معظم تركيبها من احجار البلاط وبها عدة اودية خصبة ذات بساتين وحدائق مزروعة بالعنب والنخيل والكمثرى وغير ذلك من الفواكه الطيبة التي تنقل الى القاهرة وتباع باغلى ثمن هذا حال الجبل واما البحيرة التي بين جوفي ايله و السويس فيظهر لارباب الاسفار انها عبارة عن سبخة ماء يهوى ارضها القاحلة للنوار المسمى ورد اريحا و الحنظل ونبات آخر يسمى الوتين ويخرج ايضا بها بعض اشجار صغيرة كالسدر وشوك مصر الذي يخرج منه الصمغ العربي وهذا الصمغ عند الضرورة يمكن أن يستعمل غذاء وكذلك شجر الترهندي يخرج به رشح كالصمغ في شهري يونية و يولية وهذا الصمغ يكون حلو الطعم الرائحة حتى انهم قد يسمونه بالمن وهو من موسى عليه السلام وكذلك شجر البان وله ثمر يخرج منه دهن عظيم يرغب فيه ثمن شجر الكبار او القبار وشجر الغار الوردي المسمى بالدفلى والقطن وغير ذلك من الاشجار الصغيرة كل هذه الاشجار منتشرة متفرقة شذر بذر فتجدها باوقات خضرة في وسط صخور مسودة من حجر الصوان والشب والسيفط (وهو حجر يدخل في صناعة الصيني) وفي وسط سهول مشحونة بالرمال وأحجار الزناد والرلط والعرب الذين ينزلون بهذه البلاد قليلون من رآهم يقول انهم زهاد هائمون ولكن بها غزلان كثيرة وغيرها مما يصطاد وسواحل هذه البحيرة محفوفة بصخور من المرجان وبها نباتات وحيوانات مستحجرة بكثرة

بريطورسينا

نباتات

حيوانات

وجبلا سينا و عريب مقدسان عند الاسلام واليهود والنصارى لما ورد فيهما حتى ان الحجاج في رجوعهم من المدينة يذبحون الذبائح اكراما للمحل الذي سمع فيه موسى عليه السلام كلام المولى عز وجل ويجلى عليه فيه وجبل المقطب صخر عظيم على طريق جبل سينا الموصلة للسويس وبه نقوش بقلم قديم وقع فيها مناقشات بين العلماء والمذهب اليه تيبوهر رأى به مقابر جليلة فيها احجار منقوشة بالقلم القديم وهذا يدل على وجود مدن كانت في قديم الزمان عامرة زاهرة

جبل المقطب

ولو امكن للافرنج أن يسيروا مع الحجاج لبعض اعن مدن الحديدية و معن وغيرهما من المدن الموضوعة في واحات

الحجاز

خصبة فى وسط الحجاز الذى هو اطيب اقل خرابا مما حوالى طور سينا والمسافر فى هذه الجهة يترك على يمينه الساحل الذى يظن انه يوجد به آثار مدين و حورا وغيرهما من الاماكن ولا يذهب اليه وانما الحجاج دائما بعد قضاء الحج يزورون المدينة المنورة على يسار المسافر فى الحجاز فيعزجون عليها ولا يجب على الحجاج زيارة مقام المصطفى عليه الصلاة والسلام الذى هو مدفون عظيم فى احسن ما يوجد من قلة الزينة وازخرفة ويقال ان المسجد النبوى به نحو اربعمائة عمود وبه نحو ثلثمائة قنديل توقد كل ليلة وفيه غير مدفون المصطفى عليه الصلاة والسلام مدفن صاحبيه ابى بكر وعمر وميناء المدينة هى الينبع

المدينة المنورة

وجميع ارض مكة حرم و مكة التى كانت ايضا فى قديم الزمان قاعدة بلاد العرب كانت تعرف عند اليونان باسم المتربة وكانوا يصفونها بانها عظيمة عامرة وسع عظمها او كونها حرما آمنا فارضها مجدبة وبئر زمزم مع فضلها فليس ماؤها كامل العذوبة والمراعى بعيدة عن هذه المدينة وتاتيها القوافل من بساتين الطائف التى هى فى ارض عالية يقع عليها الجليد ولو فى الصيف وشجاعة قريش جعلتها مشهورة بين العرب وكانوا ملوك مكة وارضهم غير صالحة للزراعة لكنها مناسبة للتجارة بواسطة ميناء جدة التى بينها وبين مكة مسافة اربعين ميلا فكان يتيسر لهم التجارة دائما مع بلاد الحبشة وكان اهل افريقية يجتازون بلاد العرب الى حد مدينة القطيف ببلاد هجر بخزائن اموالهم وكانوا يستقون القوارب من لؤلؤ الخليج الفارسى ويسيرون حتى يصلوا الى مصب نهر الفرات و مكة متوسطة تقريبا بين الشام و اليمن فهى بعيدة عن كل من هذين الاقليمين بنحو ثلاثين يوما فالشام على يسيرتها واليمن على ميمنتها فكانت قوافل مكة تحط فى الشتاء فى اليمن وفى الصيف بالشام وكانوا ذاهبين هذه القوافل الى اليمن او الشام حصل سرور عظيم للتجار البحريين الذين جاؤا من الهند واقتحموا مشاق البحر الاحمر للتعامل مع قريش فكانت جمال قريش توسق من العطريات التى تشتريها من اسواق صنعاء اليمن و مارب او من ميناء عمان وعدن وكان قريش اينما يشترون الحنطة وغيرها من اسواق البصرة ودمشق

حياة قريش بتجارة

ولكن الآن تغيرت طرق التجارة وصارت مكة مطروقة للحجاج بالاصالة وفى كتب الجغرافيا المتداولة مدحوا جمال الكعبة وزينتها وابوابها الكثيرة وقبتها المذهبة فلما شاهدها المعلم نيبوهر قال فى وصفه لها ان هيئتها تشبه هياكل الهند القديمة وهياكل بلاد سيام وشبهها بهذه الهياكل اقرب من شبهها بمساجد الاسلام التى تجددت وحدثت بعد ظهور الاسلام لان الكعبة اى المسجد الحرام بناء مربع مكشوف يحيط به اعمدة غير أن هياكل الهند يهيا الهرام ومصلات والكعبة يهاسنارات وفى هذا الحرم عدة ابوابات للصلاة وداخله بناء مربع وهو الكعبة الحقيقية والحجر الاسود مربع فيه ياقوت والظاهر انه كان ايضا معظما فى زمن الجاهلية وقبل البعثة فكانت الكعبة ايضا يحج اليها فى زمن الجاهلية سائر العرب ويطوفون بها سبعا ويقبلون هذا الحجر الاسود وكانوا يقربون الهدايا من الغنم والابل لنحو ثلثمائة وستين صنما كانت معلقة بالكعبة فلما ظهر صلى الله عليه وسلم ابطل هذه الاصنام وظن بعضهم ان هذه الاصنام انما كانت بهذا العدد لانه كعدد خدام ايام السنة من الجن وان الصنم الذى كان معلقا على رأس الكعبة هو الشمس وكانوا يسمونه باسم هبل

الكعبة

قدم الكعبة

ثم انه يوجد بجبال الحجاز عدة ولايات صغيرة والموجود من العرب بهذه الجبال لا يعيشون فى الخيام مثل غيرهم من عرب السهول بل لهم مدن وقرى مسورة يمانعون عن انفسهم ويحفظون بلادهم بقلاع صغيرة على صخور وجبال صعبة المرتقى ومن هذه الولايات اقليم خيبر وهو على الشمال الشرقى من المدينة المنورة ويقال ان اهل هذا الاقليم يهود متغلبون احرار يحكمهم مشايخهم كغيرهم من العرب وهم اعداء للقوافل فلهذا كانوا مبغوضين جدا لاهل الاسلام والظاهر أن يهود خيبر لا قرابة بينهم وبين اليهود الساكنين باطراف بلاد العرب ولعل يهود خيبر من الملة اليهودية المسماة قرائية وهذه الملة اعداء للملة الاخرى المسماة فرسية ومن المعلوم ان البغضة بين هاتين الفرقتين عظيمة جدا كالبغضة الواقعة بين الاسلام والنصارى

يهود خيبر

وعلى شرقى الحجاز صحارى نجد وهى واسعة عظيمة وبلاد نجد محدودة جهة الشمال ببرية الشام وجهة الجنوب باليمن وجهة الشرق بعراق العرب وجهة الغرب بالحجاز وعلى ذلك فهو كناية عما يسميه جغرافيو الفرنج بلاد العرب البادية وجزء هذا الاقليم الذى هو نجد الحقيقى كثير الجبال والمدن والقرى مشحون بالبلاد الالتزامية المهيئة لحق ان المدينة قد تكون التزام شيخ يحكمها كما يشاء ويستقل بها وهى خصبة يخرج بها سائر الفواكه خصوصا التمر وهى قليلة الانهار حتى ان نهر عطشان المرسوم على بعض الخرطات ليس الا واديا وسيلا لا يجتلى الا بعد كثرة المطر

نجد

وبهذا الاقليم كثير من الاخطاط فنها خط العارض المسمى نجد العارض وهو يتصل جهة الشرق بهجر وفيه

خط العارض

كورة حنيفة المشهورة الآن باسم الدرعية ومن مدن الدرعية مدينة ايانا او اجانا وهي التي نشأ بها عبد الوهاب الذي تنسب اليه فرقة الوهابية ثم ان الخريم نهر وهو جعل خط الخرجة في الجزء الجنوبي الغربي من نجد فيكون على اطراف بلاد اليمن والظاهر أن من دله فقد غشه لان الخرجة على قول العرب هي التي يندر هامدينة اليمامة الشهيرة من زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم بخروج مسيلمة الكذاب منها فاذا تاملنا في وضعها بالنسبة لمدينة الاحسا ومدينة بيرين رايناشكل هذه الثلاثة بنسبة بعضها الى بعض مثلثا متساوي الاضلاع كل ضلع منه مسيرة ثلاث مراحل وجبل العارض الذي تكلم عليه جغرافيو العرب وظهرانه هضبة صخور كاسية وهو صعب المرتقى جهة الغرب وبه ميل وهبوط جهة الشرق وممتد من الشمال للجنوب وهو الذي سماه بطليموس في جغرافيته جبل المريتي

مدينة اليمامة

جبل العارض

قال بعض من سافر من اهل دمشق انه من آخر ارض حوران الى شط نهر الفرات سهل عظيم خال من الانهر والعيون الدائمة المياه والربوات والمدن والقرى ولكن به بعض نباتات شوكية واشجار حسنة المنظر قوية كاملة وهذا السهل يسمى الحماد وهو الذي سماه الملك المؤيد ابو الفدا بالدهنا وبه عرب المعزة وبنو صاهر اوثاهر والظياب وغيرهم من عرب الخيام وعرب المتنقية ساكنة على شطي الفرات من قرنه الى اراسية واذا ارتحلت قوافل دمشق في جنوب هذا السهل من امراق التي هي على مرحلة وتصف من البصرة فانهم يتبعون مسيرة سبع مراحل واديا زهو فراش نهر لاماء به في الصيف يسمى وادي عرب السرحان وهذه الطريق اذا تتبعوها جهة الجنوب الشرقي وصلوا الى ارض تسمى الجوف ويقال لها ايضا جوف السرحان وقد ذكرها دنويل واحسن وضعها ويشاهد فيها برج عال على شكل الهرم راها لهايعيشون دائما في حروب مستمرة مع بعضهم ويقال ان عندهم كلابا بريه يأكرونها ثم بعد ذلك يجتازون بصحراء كلها احجار طولها مسيرة مرحلتين ثم بصحراء اخرى كلها رمال طولها مسيرة ثلاث مراحل يذهب اليها الصيد بقر الوحش ووراء هذه الصحراء يرتفع جبل شمر المملوء بالغابات والقرى ويترآى ان ارتفاعه واتساعه يجعلانه مساويا لجبل لبنان والى هنا ينتهي طريق المسافر من دمشق فلا يدخل في اقليم شمر الذي سماه بطليموس جبل زاميطاس وسمي دنويل هذا الاقليم بلاد شمر ولكن جعله ابعد غربا مما يستحقه كما يظهر من عبارته بل ربما جعله ايضا ابعد ايرا جهة الجنوب زيادة عما يستحقه ايضا ثم ان ذلك السواح الدمشقي اخبر بعض ارباب المعرفة ان مدينة الدرعية قاعدة الوهابية وهي بعيدة عن جبل شمر بمسيرة عشر مراحل ولا بد ايضا انها تبعد بنظير هذه المسافة تقريبا من سواحل الخليج الفارسي وهذا على تقدير العرب للمسافات ولكن المعلم رنود الذي هو من سواحي الانكليز مضى اليها حين ذهابه من البصرة بحرا فصار ولا سبع مراحل من اقطيف الى الاحسا (في الاصل اشا) التي بها خيل ذات منظر ظريف ولكن قامة الفرس لا تزيد على خمسين اصبعا ومن الاحسا سار مسافة ثمان مراحل في داخل البراري والقفار حتى وصل الى درعية وهي مدينة غير بالغة في الاتساع ولكنها ظريفة في بابها اي بالنسبة لمدن العرب وما يجاورها من الربوات يتحصل منه كل نوع من انواع الثمار ويربون فيها خيلا جيدة الا انها ما رود الا تحصى عددا

مدينة الدرعية

سفر السواح رنود

وفي الجنوب والجنوب الشرقي تجد بلاد نجد منفصلة من بلاد اليمن وعمان بصحراء الاحقاف التي كانت سابقا كما تقتضيه الاخبار جنة ومتنزها من متنزهات الدنيا معمورة باقوام جبابرة كفرة يسمون قوم عاد فاهلكهم الله بريح صرصر عاتية جلبت اليهم طوفانا من الرمال ولكن لم يزل لسانهم باقيا الى الآن في جزيرق كريان ومريان او كوريان وموريان

صحراء الاحقاف

قوم عاد

ومدن نجد ذات تجارات عظيمة فيتجر اهلها بعضهم مع بعض اومع المدن المجاورة لهم من بلاد الحجاز واليمن والاحسا فلهذا لا يقطع الرجاء سواحوالا فرنج من التوغل في داخل بلاد العرب ومعرفة احوالها بمجرد تيسر اسباب هذا السفر ووجود فرصة ومن بلاد نجد خرج مذهب الوهابية المهول الذي شوكته الآن صارت مما يجب منها اهل آسيا واوروبا (في زمن التاليف)

وخلاصة الكلام على اصل ظهور هذا المذهب وما حدث له من القوة والباس عند هؤلاء الناس انه قد تحدث العرب لاسيما اهل اليمن بأن شخصا فقير الحال من رعاء المواشي اسمه سليمان رأى في المنام شعلة نار انفصلت من بدنه وانتشرت في الارض وصارت تحرق من قابلها فقص هذه الرؤيا على بعض المعبرين فعبر له بان ولدا من اولاده يحدث دولة قوية فتحققت الرؤيا في حفيده الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان المذكور فالمبتدع لهذا المذهب هو محمد بن عبد الوهاب ولكن نسب المذهب لعبد الوهاب فلما كبر محمد صار محترما عند بادياته بسبب

خلاصة الكلام على الوهابية

مبتدع مذهب الوهابية

امارد داخل بلاد العرب

الحماد

جوف السرحان

جبل شمر

عقائد

هذه الرؤيا التي لا يعلم هل هي صدق او كذب فاخبرهم بانه قريشي من نسل النبي صلى الله عليه وسلم واسمه كاسمه والف لهم عقائد دينية واصولا كلامية تتضمن عبادة الله واحد قديم قادر حق رحمن يثيب المطيع ويعاقب العاصي وان القرآن قديم يجب اتباعه دون الفروع المستنبطة وان محمد ارسول الله وحبيبه ولكن لا ينبغي وصفه باوصاف المدح والتعظيم اذ لا يليق ذلك الا بالقديم وان ذلك من قبيل الاشراك بالله تعالى حيث لم يرض بهذا الشرك ارسله ليهدي الناس الى سواء السبيل فمن اجاب كان من الاحباب * ومن عصى حق عليه العذاب * ووجب قتله بلا ارتياب * انتهت قواعد ابتداعه * وضلالات اتباعه

معاهدة سياسية تحويلية

فاول امره بين مذهبه سرا فافاده عدة اتباع ثم سافر الى الشام لهذا الغرض فخاب سعيه ولم يجد من يقلده فرجع الى بلاد العرب بعد بعده عنها ثلاثة اعوام فكانت له خير امن الشام حيث كان لها ملاذ به يستحوذ عليها كمال الاستحواذ وهو ابن سعود من قبيلة نجد من مشايخ العرب وهو شهم كريم النفس بعد أن تولى حكم قبيلته تغلب على قبيلتين من قبائل اليمن فانضم اليه سائر العرب الرحالة بهذه الجهة فتبعوه ومالوا اليه وصاروا احزابه فاغاروا بهم على البلاد وبعد تمام خمس عشرة سنة صارت ولايته واسعة وارجاؤها شاسعة ومع ذلك فلم تكفه هذه البلاد بل كان غرضه ازيد من ذلك فظن ان محمدا الوهابي يجذب العرب بمذهبه وحميته فيتم غرضه الذي اضمره فاعلن هذا المذهب وقواه فاخذ هذا المذهب في الازدياد والانتشار فاتبعه سائر امة نجد فرتب محمد بن عبد الوهاب مذهبه وجعله مطردا ثم اظهر الاجتهاد وانه كبير دين الوهابية واما ابن سعود فتولى امير الوهابية وحاكمهم وقائد عسكرهم فصارت ذرية كل من الاثنين تتولى رتبة سلفها واختاروا مدينة الدرعية قاعدة بلادهم ودار ولايتهم في الجنوب الشرقي من البصرة في البادية

ابن سعود

ولازال ابن سعود مشتغلا بتحقيق ما اضمره في نفسه من توسيع ولايته فاحدث جيشا جيد التعليم وصار يجهدهم ويحيي قلوبهم ويرغبهم ببشراهم بالنصر فاخترمته المنية قبل انجاز غرضه فخلفه ابنه عبد العزيز وورث منه شجاعته وهمته وغيرته فكان اذا اراد أن يدخل قبيلة من القبائل تحت طاعته بعث اليها امرا يحرضها على اعتقاد القرآن على مقتضى تفسيره على اعتقاد الوهابية فان اعتقدت ما قال خلى سبيلها والا قطع دابرها اذ انه لا يتعرض للنساء والاطفال بالشر وانما يسبي جميع الاموال واذا اطاعته القبيلة اعطاها حاكما يضبطها وانما يأخذ من هذا الحاكم عشر المواشي والنقود والعروض بل وعشر الاثمار فيضرب القرعة ويأخذ عشر الناس فبهذا حاز اموالا لها صورة في قليل من الزمان وجيش جيشا عظيما يخوف عن ١٢٠٠٠٠ مقاتل فسلم له عرب البادية قبيلة بعد قبيلة وانضموا تحت لوائه فصار تحت قبضته جميع البادية التي بين البحر الاحمر وبحر فارس وحوالي بلاد حلب ودمشق وانتشرت فرقة الوهابية في تلك النواحي (والآن انكسرت شوكتها وذهبت دولتها بافناس افندينا صاحب مصر)

مخازي الوهابية

ثم ان الوهابية يبغضون من عداهم من الاسلام غاية البغضة لما يتهم من الخالفة الواضحة لكتهم يوافقون اهل السنة في فروع كثيرة مثل الختان والوضوء والغسل والصلاة والصوم والضحايا وغير ذلك ولكن لا يحلقون في مساجدهم منارات ولا قبابا ولا غيرها قائلين ان هذا من قبيل الابتداع ولا يعظمون الائمة ولا الاولياء ويدفنون موتاهم بغير احتفال ولا جنازة مزينة ويأكلون خبز الشعير والتمر والجراد والسمك ولا يأكلون اللحم والارز الا نادرا ولا يتعاطون شرب القهوة ومساكنهم وملابسهم غير مزينة ولا كثيرة المصرف ويمكن اعتبار امة الوهابية ثلاث طوائف المحاربين وارباب الزراعة والمحترفين اي ارباب الصنائع حيث ان هذه الامة تقاتل وتزرع وتشتغل بعدة حرف كشغل الخوص والقماش من صوف او قطن والحديد والنحاس وصناعتهم في ذلك لا تنقص شيأ عن صناعة غيرهم من العرب

هجر

واذا نزلت من نجد بلاد العرب وصلت الى هجر واقليم هجر ينتهي جهة الغرب بالخليج الفارسي وحكامه من قبيلة بني خالد الآن الوهابية تغلبوا عليه ومدينة الاحساء في هذا الاقليم وهي على نهر عطشان وهي قاعدته حتى ان اقليم هجر قد يسمى اقليم الاحساء ومن مدن هذا الاقليم مدينة القطيف والظاهر انها هي التي كانت تسمى سابقا جدة وكانت مدينة جدة مبنية باحجار الملح واهلها غواصون يستخرجون اللؤلؤ من البحر وهو جل معاشهم فمنهم من يستخرجه لنفسه ومنهم من لا قدرة له على مصرف الاستخراج فيستخرجه لغيره من التجار بالاجرة ويشاهد في هذه المدينة الآن آثار قلعة بورتغالية ومن مدن هجر مدينة تسمى قويط وجميعها العجم كرائن واهلها غواصون للدر وصيادون للسمك على شط جزائر البحرين ويقال انهم نحو عشرة آلاف نفس

الاحساء

القطيف

قويط

خصب هجر

وجميع هذه النواحي عامر كثير الاهل وارضه كثيرة النخيل والارز والقطن وعلى حافات انهارها الزنبق والفاغية ولكن قد

تهب فيها الرياح بهذا الساحل فتهوج الرمل كالبحر الهياج فيجعل عليها فيغمرها بقاع كاملة ومن مدن هجر ايضا مدينة تاروت على شرقي مدينة القطيف وبها كروم مستطابة تغرق بعض الاحيان وقت المد وهذا محل القطر الذي سماه اسطرابونيس باسم ماقينا الذي قال ان العنب يزرع فيه في كرابيل من القصب الفارسي وفي بعض الاحيان تجذبه الامواج الى البحر ثم يرجع الى محله بجذف الجاذيف المشهورة عند العامة بالمقاديف وفي بعض مدن هجر فبريقات الصوف فيصطنعون هناك العباء والاكسية

جزيرة البحرين

ومما ينبغي نظمه في سلك بلاد هجر جزائر البحرين في الخليج الفارسي بقرب ساحل بلاد العرب وهي شهيرة بما يجوارها من اللؤلؤ الذي يستخرجه الغواصون في يونية ويولية و اغسطس وهذا اللؤلؤ يوجد في تلك

غوص اللؤلؤ

الناحية بكثرة وقد كانت قيمة ما يخرج من اللؤلؤ في القرن السادس عشر من الميلاد ٥٠٠٠٠ دوقة ولفظ بحرين تثنية بحر والظاهر ان هذا الاسم من اوضاع المتأخرين وذلك لان ابا لغدا وعرب الاحساء يسمون الجزيرة الكبيرة جزيرة اوال ولبصب المعلم دنويل حيث جعل هذا الاسم وهو اوال لبحيثجزيرة سر (لعلها شهر) التي هي على شرقيها بثلثمائة ميل والجزيرة الكبيرة من جزائر البحرين بها مدينة محصنة وهي كثيرة النخل على قول المتأخرين والمتقدمون يسمونها جزيرة طولوس وقد اجاد والتخطيطها وفاقوا المتأخرين بذلك فقالوا انها ارض سهلة

نباتات

قليلة الغابات يخرج بها التين والعنب والنخل والقطن وبها شجرة ذات ازهار واوراق مشابهة لشجرة الورد تفتح وتضاد نور النهار وانثمر هندي الذي هو في غيرها شجرة صغيرة يصير فيها من الاشجار العالية وليس المطر فيها مناسبا للنباتات بل اهلها يسقون غيطانهم بالماء المالح وعلى حافات سواحلها بالبطوبارة (وهي شجرة التين الهندي) انتهى تخطيط المتقدمين فهل جميع ذلك تغير

بلاد عمان

ثم ان بعد مغني مسافة عظيمة مجهولة الحال يقال انه كان بها مدينتا مسقلات وبولغار تصل الى بلاد عمان وهي كثيرة الجبال وجبالها تمتد غالبا الى البحر وهي كثيرة الحبوب والفواكه والبحر المتصل بها كثير الاسماك كثيرة بالغة حتى ان السمك لكثرته يجعلونه علفا للبقر والحمير وغيرها من الحيوانات بل يستعملون ايضا السمك لتسميد المزارع وينقل منها الى غيرها من البلاد التمر وبها معادن النحاس والرصاص وامام عمان هو اعظم امراء بلاد عمان

مسقط

شوكة وقوة يقيم في مدينة رستاق ولكن مدينة مسقط المسماة ايضا مسكت اعظم من رستاق والنهر منها عند الافرنج وهي على الطرف الشمالي من خور طوله ٩٠٠ خطوة هندسية وعرضه ٤٠٠ ويعلق بهذا الجون شرقا وغربا صخور وعرة وفي داخل هذه الصخور تكون السفن العظيمة في امن من الرياح الشديدة وفي كلا جانبي هذه الميناء النظريفة عدة حصون مشرفة مدافع وعدة قلاع صغيرة والمحال التي ليست المدينة محصنة فيها تحصينا خلقيا مضروب عليها سور ووراء هذا السور يفتح باب سهل عظيم ينتهي ايضا بصخور ليس لها الا ثلاثة مسالك ضيقة ومدينة مسقط مستودع التجارة العربية والعجمية والهندية سابقا ولا حقا وقد تغلب عليها البورتوغاليون سنة ١٥٠٨ من الميلاد وامير مسقط يتجر ايضا وله عدة سفن مسلحة يجلب بها كل سنة بضائع بلاد افريقية كالرقيق والعاج ونحو ذلك

مناخ عمان اجود مناخ العمائر

واهل عمان هم احسن البحريين ببلاد العرب ولهم سفن صغيرة تجارية تسمى ترانكي ليست قلوعها من البارية (وهو صنف كالحصير) مثل التين ولكن من القماش كالفي اوروبا وهذه السفن زائدة العرض بالنسبة للعرض الذي يستحقه طولها ومنخفضة المقدم جدا وعالية المؤخر علوا بليغا ومن خصوصيات هذه السفن ان الواحها غير مثبتة بالمسامير ولكنها ملحومة ملصوقة بعضها كانها خيطية بعضها واغلب عمل اكرام مسقط الملقب ايضا امام عمان عبيد من بلاد الكفرة المشهورة عند الافرنج باسم بلاد كفرية

وثم امارة مستقلة تسمى امارة سر او صهر وهي جهة رأس موتندون المشرف على مدخل الخليج الفارسي وبلاد عمان تنتهي جهة الشرق برأس تسمى رأس الحد فبالضرورة هذه الرأس تكون نهاية بلاد العرب

حضرموت

والساحل الجنوبي من بلاد العرب يتوجه اولا جهة الجنوب الجنوبي الغربي الى حد رأس كنسلي ثم يهتدي بعد ذلك جهة الجنوب الغربي فيتوجه نحو بوغاز باب المندب وهو في الجزء الشرقي مسبوق بدكات رمال عالية وفراش مرصوصة من المرجان وينبت في هذا الساحل على قول اسطرابونيس اشجار يغمرها البحر عند مده وفيضانه الكامل والظاهر ان هذه النباتات هي المسماة البابليطو بارة وبعد ذلك يأتي ساحل بلاد حجر وهو اكثر

بلاد حجر

جبالا من الساحل المتقدم تنبت فيه البخورات وميناؤها هي مدينة حاسك على جون عظيم يسمى كوريا سوريا

المهرة

ويحيط به عدة بحيرات ثم مدينتا مريط ودفار وورا هذه لبلاد اقليم المعزة او المهرة وهو ارض واسعة كثيرة الجبال ولاهلها لغة خاصة بهم والظاهر ان جميع هذه الاقاليم داخلة في اسم حضرموت بالتوسع في لفظ حضرموت لان حضرموت مدلوله الاصلي انما هو ما كان على الجنوب الغربي وبجوار بلاد اليمن وبها مدينة دوان ويقال انها مدينة واسعة ظريفة ولكن لم يستكشفها الافرنج ولم يطلعوا عليها لكونها في داخل بلاد العرب وهي على خمس وعشرين مرحلة من صنعا وعلى احدى عشرة مرحلة من كشين التي هي مدينة على البحر واهل حضرموت ارباب حسن خلق مع الافرنج وجميع الغرباء والشيخ المستولي على بلاد اقليم واسع في بلاد العرب وتحت حكمه ايضا جزيرة سقطرا الشهيرة بعودها المسمى بالند او القاقلي وشيخ شبوان هو من المشايخ ارباب الكلمة والبأس في الجبال المسكونة بالقبائل وبلاد حضرموت التي كانت شهيرة من عهد الملك اغسطوس بشجاعة اهلها لم يبق عدة اماكن اقاليم كثيرة الجبال والخصوبة ووديان مروية بالمياه التي تنزل من الجبال وبهذه البلاد عدة معينات يجلب منها البلاد مسقط وبلاد الهند الجفور والصمغ والمر والنبات المسمى عرق الخمرة ويقال له ايضا دم التنين والقاقلي ويجلب منها لبلاد اليمن القماش والسمسم الجيد ومقدار عظيم من السكاكين الكبيرة التي تضعها العرب في الحزام من أمام ويسمونها جنبية

حضرموت الحقيقية

اليمن

ثم ينبغي لنا أن نمعن النظر في اعظم اقاليم العرب وهو بلاد اليمن فنقول كانت بلاد اليمن سابقا مملكة واسعة وقال بعضهم انها هي نفس مملكة سبا فتحت بالاسلام وكانت في يد الخلفاء ثم اخذها السلطان صلاح الدين فصارت تحت يد ملوك مصر فلما ضعف المماليك خرجت عن طاعتهم سنة ٩٣٢ من الهجرة الموافقة لسنة ١٥١٧ من الميلاد وفي سنة ١٠٤٠ من الهجرة الموافقة لسنة ١٦٣٠ من الميلاد اقر السلطان مراد الرابع السيد حسنا بن محمد على مملكة اليمن واعترف له بانه ملك اليمن لكن تحت سيادة الدولة العثمانية ومن هذا الزمن ذهب من مملكة اليمن عدة اقاليم لاسيما جهة الشمال والشرق ومع ذلك فمملكة اليمن الحقيقية سطحها تقريبا ٢٥٠٠ فرسخا مربعا واهلها نحو ١٠٠٠٠٠٠ نفس وملك اليمن رئيس فرقة الزيدية الموجودين بجميع بلاد اليمن ويلقب بامام اليمن وللامام سعدان معروفة في السكة يكتب اسيرا المؤمنين وربما لقب ايضا بالخليفة ومملكة اليمن متوارثة وصاحب اليمن مستقل باحكامه في الاحكام السياسية والشرعية ويشهر الحرب ويعقد الصلح وحده ولكن عرب اليمن ارباب نفوس شريفة وهممهم عالية لا يحملون الظلم ابدا حتى ان ملكهم لا يقدر على قتل الكافر فضلا عن المسلم الا اذا قضت محكمة صنعاء بذلك وتحكمة صنعاء مؤلفة من عدة قضاة رئيسهم الملك فمتى ظهر لاهل اليمن ان الملك يريد التعدي عزلوه في الحال وبلاد اليمن يلقبون من حازت رتبة اهل الفضل بالفقيه وحكام الاخطاط يقال لهم دولة واذا كان حكام الاخطاط من اعيان الناس والشرفاء يقال لهم ولاة مفرده وال والحاكم بمدينة لارباط بها يسمى شيخا فاذا كان حاكما على موضع اشرف من ذلك واعلى رتبة يقال له امير وكذلك في دولة اليمن مفتشو عموم يجمعون عن سلوك العمال والحكام وليس علينا أن نرتكب مثل هذا التدقيق فان من اراد ذلك فعليه بقراءة كتاب نيبوهر

سياسة ملك اليمن

قوة عسكرية

وقوته العسكرية في زمن الصلح هي عادة اربعة آلاف مشاة والف فارس وعساكرهم على عدد بلاد الشرق ليس لهم نظام واتحاد ولا تعليم عندهم ولا حركة عسكرية فاكثر ما يعرفون الرمي بالبندق وليس لليمن قوة بحرية ومنتهم الخشنية العادية لها شراعات من البارية

ايراد

وايراد صاحب اليمن كل سنة على كلام نيبوهر ٤٨٠٠٠٠ ريال دانيري وهو نحو ١٩٠٠٠٠٠ فرنك وقد استظهر هذا السواح ان اغلب هذا الايراد يأتي من مكس البن الخارج من اليمن وكما يخرج من اليمن هذه الحبوب الثمينة ينقل منها ايضا البن والمر والمزاج الجيد يأتيها من بلاد الحبشة وكذا النبات المسمى لوبانة وهو البخور الدوكن والسنامكي والعاج وذهب بلاد الحبشة وبضائع اوربا التي تجلب اليمن هي الحديد والفولاذ والمدافع والرصاص والقصدير ودودة الصباغين والمرايات والسكاكين والسيوف وزجاج المشغول واللؤلؤ الكذاب والذهب والفضة بصنعان في معامل اصحابها يهود يدل السكة كذلك ويشتغلون بعض زنبلكات وهي المسماة مكاحل ولكنها غير جيدة بل متوسطة الصناعة وفي مدينة الحما معمل للنيازك كذلك في بلاد اليمن عدة فبريقات للنشاش واكثرها خشنية واليهود ببلاد اليمن نحو خمسة آلاف بيت او عائلة يتجرون تجارة عظيمة ناقصة ولكن يبغضهم اهل اليمن ويتملونهم لانهم يغالون منهم ويبغضونهم بغضة دينية

تجارة وفنون

اقاليم اليمن ومدنه

فهذه احوال اعظم ممالك بلاد العرب شوكة وهي تنقسم الى كثير من الاخطاط وتنقسم انقساما اجماليا الى تسعين اراض مرتفعة تسمى عند العرب جبلا واراض منخفضة تسمى عندهم تهامة وامهات مدن اليمن مدينة صنعاء

في سفح

فى سفح جبل يسمى جبل نيقوم وعلى كلام نيبوهر هذه المدينة ليست واسعة جدا بل يمكن أن يطوف الانسان حولها فى مسافة ساعة على أن جزأ من هذه المسافة به بساتين كثيرة وجدرانها من طوب وبها ستة ابواب وعدة مساجد طريفة وبها قصور من مبانيها ما هو مبنى بالآجر ومنها ما هو مبنى بالحجارة والدور المعتادة ليست مبقية الا باللبن وهو الطوب اليابس فى الشمس وبها كثير من الخانات وتسمى سمسرة ينزل بها التجار والمسافرون والوقود بها ضرورى وقليل ولكن بها بعض معادن فحم حجر وبعض معادن التوربا وهى الحشائش العطنة التى فسدت وصار يوقد بها ولا يظهر بها ما قاله بلنياس من ان العرب يدفنون بالاخشاب العطرية والفواكه بها مستطابة لذيذة ولا سيما العنب فانه بهذه المدينة على اصناف

مارب

وعلى ما قاله بلنياس واسطرابونيس وان كان غير واضح أن مارب المسماة مريابا كانت سابقا دار مملكة اليمن والمار أى الحكيم دنويل ذلك استظهر ايضا حالا ان مدينة مارب هى مدينة سبا المشهورة عند العبرانيين وهى التى ذكرها بطليموس واغاثرخيدس وغيرهما من جغرافى اليونان وهذه المدينة هى الآن اعظم اماكن بلاد الجوف التى كانت تحت يد ملك اليمن وخرجت عن طاعته وصارت مستقلة وفى واد طوله مسيرة ستة فراسخ متصل بلاد الجوف تجد ستة غدران او سبعة مجتمعة وبعض هذه الغدران ذو اعمال وبه الماء مدة السنة تمامها وسلسلتا الجبال اللتان بينهما هذا الوادى يتقاربان جدا من جهة الشرق حتى انه قد تكون مسيرة الوادى بينهما نحو خمس دقائق اوست ويقال ان هذه النرجة سدت سابقا بسور غليظ فكان هذا السد يمنع الماء الزائد مدة المطر وبعده ويوزعه على المزارع والبساتين التى فى سفح هذه الجبال وهذا السد كان فى بلاد العرب معدودا من عجائب الدنيا حتى ان مؤلفى العرب تكلموا على هدم هذا السد وعلى ما ترتب على هدمه من المكاره وأرخوا بزمن هذا الهدم وعينوه بتاريخ غير مجمع عليه عند العلماء

سد مارب

مدن الجبال

وفى بلاد الجبال اى الارانى المرتفعة يحكم ملك اليمن على مدينة ذمار وفيها مدرسة عظيمة للزيدية وكذلك من مدن الجبال التى فى حكمه مدينة دوران وفيها شونة حنطة كبيرة منقوبة فى الصخور ومنها مدينة جبلا وهى ممتازة بكون طرقها مبلطة ومنها مدينة تعز ولها فخر بعظم مساجدها ومنها مدينة قوسيا ويصعد اليها بدرج فيصعد اليها سدة يوم من جاء من تهامة ومن مدن بلاد الجبل مدينة مناسك وسائر البيوت فيها منقوبة فى الصخور الحادة

اقليم صهان

وبلاد الجبل المستقلة عن حكم ملك اليمن تشتمل على اقاليم صغيرة منها اقليم صهان وبندره مدينة سعادة وفى هذا الاقليم تكثر افواكه والعنب وبه ايضا معادن حديد يستخرجونها واهل هذا الاقليم لا يخالطون الغرباء الا نادرا واستظهر بعضهم أن لغتهم تقرب كثيرا من لغة العرب الاصلية ومن لغة القرآن حيث لم يختلطوا بالاعاجم ومع قرب لغتهم على ما قيل بلغة القرآن لا يعرفون منه الا الاسم ويغتذون باللحم والعسل واللبن والخضراوات وما كانوا لا يتزوجون الا كبارا فى السن بخلاف غيرهم من العرب الذين يتزوجون وهم صغار السن كانوا يعمرون كثيرا ويبقى بصرهم على صحته الى موتهم ومن النهب يكرمون ضيوفهم ومن بلاد الجبل المستقلة نجران وبلاد التزام صغيرة فى بقعة طيبة كثيرة الماء وهى على الشرق الشمالى الشرقى من مدينة سعادة بثلاث مراحل وكثيرة الخصب والربع بها الحنطة والفواكه لاسيما التمر ومشايخ اقليم حاشد أليكيل متعاهدون ومتحدون فلهذا كان امام اليمن يخشى سطوتهم

نجران

مدن السهل عدن

بل فى بلاد السهل وهى تهامة عدة ولايات صغيرة خرجوا عن طاعة ملك اليمن كولاية عدن وهى مدينة قديمة جدا شهيرة بالتجارة وبنظر افة ميناءها التى على البحر المحيط الهندى حتى ان الجغرافيين من العرب بسطوا الكلام فى تخطيطها وذكروا مخالطتها لبلاد الهند والصين فى القرن الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر من الميلاد فكانت اموال بلاد الشرق تتراكم فى ساحلها كثير الصخور الخالى عن الماء والشجر وقد خربت عدن فى حرب الترك والبرتغالية وبطلت تجارتها من زمن دخولها تحت ولاية امام اليمن فان هذا الملك بيده احسن المدن التى على خليج العرب كمدينة المخا التى لا زال اسمها معظما عند المتولعين بشرب القهوة ومدينة بيت الفقيه ذات المينا العظيمة وهى الحديدة يخرج منها كثير من البن ومدينة لوهيا تجر ايضا فى البن بكثرة ولكن بنها ليس جيد الصفة كبن المخا وبيت الفقيه ومن مدنه على هذا الخليج ايضا مدينة زبيد وليست هى سيوتا القديمة غير أنها كانت قبل هدم ميناها سيدة على جميع التجارة وجزيرة قمران الخصيبة التربة الردينة القطر لم يزل بها الى الآن قنطرة عظيمة بناها عليها البرتغاليون

آداب العرب

وقد تكلمنا على البلاد فلنتكلم الآن على اهلها فنقول ان العرب ارباب قدود متوسطة اى ربعة وهم نحاف الابدان

وكأن الحزق قد ايبسهم وهم سمر اللون سود الاعين والشعور خفاف فى العدو والجرى يحسنون ركوب الخيل وهم دائما معدودون من ارباب الشجاعة ولهم براعة فى الرمى بالقوس والرمح ويحسنون الرمى بالبندق من مئذ تشبثهم بهذا السلاح وعادة الناس ارباب التربية الحسنة ببلاد المشرق أن ترى دائما عندهم نوعا من العبوس فتراهم مع اين ويظهر أن هذه الصفة فى الاتراك من طباعهم الاصلية ولهم فيها عراقة اكثر من العرب ثم ان السلب والنهب وقطع الطريق من حرف عدة قبائل من العرب يسمون بالبدو ان من غير أن تعد عندهم من العيوب واما عرب المدن التجارية فعندهم فى مقابلة هذه الخصلة الذميمة خصلة اخرى وهى الغش والخداع ومع ما عند العرب من هذه المذام الناشئة من فقد الاحكام المنتظمة السياسات عندهم فليهم خصلة اخرى ممدوحة وهى اكرام الضيف وذلك لانه اذا نزل مسافر من آحاد الناس بساحة شيخ من مشايخ العرب فانه يرحب به ويكرمه اكراما عظيما وفى بعض القرى من بلاد تهامة بيوت وسية معدة لنزول ارباب الاسفار بها فقد يقيمون عدة ايام آكلين شاربين من غير مثابل وعادة العرب أنه اذا دخل عليهم انسان وهم يأكلون دعوه أن ياكل معهم سواء كان مسلما او نصرانيا كبيرا او صغيرا ويقال ان شيخ العرب البدو اذا اكل مع انسان خبزا كان ذلك الانسان على هذا الشيخ حق الحماية فيبذل هذا الشيخ جهده فى حمايته وربما يقع أن الانسان المنهوب الذى سرقت ثيابه يدخل فى خيمة الناهب من غير أن يعرفه فيرق لحاله ويرحمه قائلا ان الله رحيم ويعطيه ثيابا اخرى غير التى نهبها منه فيأخذها المنهوب منه مغضيا ومظهرا أنه لا يعرف أن هذا الناهب هو الذى كان جرده من ثيابه وللعرب آداب مشابهة لآداب من جاورهم من العجم كتقبيل الانسان يد من فوقه تعظيما له

اكرام الضيف

مساكن

ثم ان بيوت عرب المدن وان كانت مبنية بالحجر فهى خلية عن الجمالة ومحال الرجال فى مقدم البيت ومساكن النساء فى مؤخره وهذا ما تقتضيه الغيرة عليهن حتى ان اليد وى الفقير الحال يقسم خيمته الى قسمين بستارة حائلة بينهما تمكث النساء خلف هذه الستارة التى تحجبهن عن اعين الناظرين والعرب ارباب قناعة يكفيهم يسير الغذاء حتى ان رعاع الناس يكتفون باكلة واحدة من ردىء خبز الذرة وعندهم نوع آخر من الدخن يأكلونه وقد يلتقون هذا الخبز بلبن الابل او بالزيت او بالسمن او الشحم المسمى عندهم العامة بالدهن وشربهم الماء خالصا لا يشوبونه بشىء ولا يكثرون من اكل اللحم ويحرم عليهم اكل لحم الخنزير من زمن الجاهلية ثم اقرت تحريمه الشريعة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وصفة اكلهم انهم يضعون طبلية مرتفعة نحو قدم وتحتها سجادة او حصير يجلس حولها الحاشرون ثم ان اهل المشرق يحبون الفطورات محبة عظيمة ومن المعلوم ان مألوفهم من المشروبات القهوة فيحمصونها فى مقلاة مفتوحة ثم يدقونها فى هاون من حجر او خشب وبهذه الكيفية يحفظ البن طيبه رائحته ولو طحن فى الطاحون لذهبت عنه هذه الرائحة واهل اليمن لا يشربون القهوة الا نادرا لكونهم يردونها حارة على المعدة ولكنهم يصطنعون من قشورها شرابا يشبه الشاى واكابر العرب يستعملون الاوانى الصينية ومع أن الاشربة المسكرة حرام فى الشريعة المحمدية فليست مجهولة عند العرب ولا مجتنبة وقد تشرب العرب حشيشة شبيهة بالقنب وهى تخدر العقل ايضا نوع تخدير وتغيب

ملابس

والعرب كالترك والعجم يألفون الثياب الطويلة ويلبسون ايضا سراويل واسعة وينتطقون بحزام من جلد وتحته خنجر او سكين وسائر العرب يلبسون العباءة وهى ثوب مربع مطبق مشقوق من الوسط له تقوير فى محل الرقبة وفتحتان من الجهتين يخرج منهما الذراع وتنسج هذه العباءة من شعر المعز المغتزل مع شعر الابل وتختار العباءة قبل شرائها بصب دلو ماء فيها فبعض الاحيان لا يتندى خلالها ومساميها قطرة ماء مدة ربع ساعة ثم ان العرب يكثرون من لبس الطواقى والطرابيش على الرأس ويلفون ايضا عليها عصابة وهى العمامة واغلبهم لا يلبس النعال فيطوون ارجلهم تصلب حتى تقوى على تحمل الرمال المحرقة ولكن فى الجبال يسترونها بجلود الغنم ومن العرب من يحلق رأسه ومنهم من لا يحلقه ونساء عامتهم وهم ماعدا الاعيان يلبسن ثوبا واحدا سراويل لا غير وفى الحجاز ومصر لا تظهر اعينهن الا من داخل قناع ملفوف على رؤسهن ولكن فى اليمن لهن براقع طويلة ومما وقع للمعلم نيبوهر أنه بينما هو داخل فى محل اذا بامرأة من نساء العرب مكشوفة البدن فسترت وجهها بيديها وتركت ما عدا ذلك مكشوفا ونساء العرب يتزين بالخواتم الكثيرة والاساور وعقود اللؤلؤ الكذاب وبعض الاحيان يلبسن زيادة على قرط الاذن حلقة فى الانف وهى الخزامة كما هو فى بلاد الهند عند النساء ويخضبن بالحناء الاظافر ويخضبن الارجل والايدى بخضاب اسمر مائل للصفرة ويكحلن بالاثمد ليسود انسان العين وقد كانت عادة العرب فى الجاهلية الوشم وهو أن يرسم على جلد الانسان صور حيوانات او ازهارا او نجوما فبقى من هذه العادة بقية عند نساء البدو لان العادات فى البلاد المشرقية طويلة التغير لان ملابس بعض السلف فى الاعصر الخالية المذكورة فى التوراة لم يزل نموذجها باقيا الى الآن عند العرب المتاخرين

صور مرسومة على البدن

ومع أن نساء العرب يعشن فى غاية الخوف فهذا لا يمنعهن من العشق والتبرج ولكن من يريد من الشبان الدخول

عشق العرب

في محال الخريم فانه يحصل له غاية الخطر وقد يترتب على ذلك القتال والموت وهذا في بلاد الحضر واما البدو ان فيسهل عندهم رؤية الرجال النساء بعض سهولة ولهذا كانت بادية العرب ميدانا للعشق كما يدل على ذلك قصائدهم وما يحكونه عن عشاقهم من النوادر والجمال عند العرب هو اعتدال القد وبروز رمان النهد وتكسر العيون السود واحمرار الخدود وابيضاض مرمر الصدر ونقل الردف وتحول الخصر وطول الجيد وفي ذلك ما يغني عن المزيد ونساء رعاع العرب في السهول التي على سواحل البحور لونهن الصفرة الضاربة للسمرة بخلاف نساء الجبال فلونهن البياض كلون نساء الاروام وافرنج ايطاليا وهن ذات تقاطيع لطيفة وتناسب في الاعضاء واعتدال في القامة وهذه الصفات توجد ولو في نساء الفلاحين

الجمال عند العرب

ولسان العرب له شبه باسان العبرانيين وقد كان قبل المصطفى صلى الله عليه وسلم متشعبا الى لغتين اصليتين وهما لغة حمير ولغة قريش فلغة حمير لغة اهل اليمن ولغة قريش لغة مكة وما حولها وهي التي نزل بها القرآن العظيم فغلبت على لغة حمير وبقيت متداولة بين الناس في المكاتبات والتآليف والاشعار ولغة العرب اشرف اللغات واضبطها دونت علوم العربية ولا زالت تدرس ويشتغل بها حذرا من الضياع * وليتوصل بها الى فهم كتب الشريعة حتى لا يخوض القارئ في بحار الضلال والابتداع * فهذا هو لسان التعلم والتعليم * والتفهم والتفهيم * والمحاورات والمناظرات * والمباحثات والمجادلات * ونمط لسان آخر يستعمل في المحاورة لغير العلمية والمخاطبات العادية ويسمى لغة دارجة اي سائرة متداولة وهذه اللغة لا ضابط لها ولا قاعدة بل تختلف باختلاف الاقاليم والبلاد والمدن وانتقائل وتقبل الكلمات الدخيلة والتغيير والتبديل وذلك لان عرب جبال اليمن لغتهم مباينة لعرب تهامة بل الاكابر لهم الفاظ يصعب النطق بها مخالفة للكلام اجلاف بلادهم في التعبير عن اشياء مختلفة وسائر هذه اللغات لا تشبه لغة اهل البادية الا شبها يسيرا هينا جدا وتعظم المباينة بين لغات العرب المتداولة كلما عظم بعد الاقاليم بعضها عن بعض ولسان العرب كثير الكلمات المترادفة على معنى واحد مثال ذلك البعير فان له نحو الف اسم وللاسد نحو خمسمائة وتلفظ عرب الجنوب والشرق بظهر انه اسهل في حلق الافرنج من لسان عرب مصر والشام وبفتوح البلاد بالاسلام انتشرت لغة العرب في جنوب البحر الابيض من مصر الى بوغاز سبتة وعلى ساحل المحيط الهندي من جهة جزيرة مدغشقار

لسان العرب
لغة العرب الصحيحة الفصيحة

والظاهر ان العرب في الزمن المتوغل في القدم كانوا يستعملون في الخط حروف الهجاء القديمة التي على شكل المسامير المسماة عند علماء التفتيش حروفا برتوليطينية وهي الفارسية القديمة ثم تغيرت بالحروف الحميرية ثم ابدل الخط الحميري بالكوفي ثم بطل الكوفي وقام مقامه هذه الخطوط المختلفة

حروف الكتابة

وبلاد العرب قليلة العلوم والمعارف ليس بها الا يسير الطب الخشبي وشيء من التنجيم ولا ينكر حماس فكرهم وحدة تخيلهم كما تشهد بذلك اشعارهم ولا زالوا الى الآن يشتغلون بالحكمة الادبية والاشعار واقليم الجوف بلاد اليمن يخرج منه كثير من الشعراء ومع ان تأديب الاولاد وتربيتهم قد اضمحلت وتلاشت الا انهم لم يهملوا بالكلية فان كثيرا من العرب ولو من آحاد الناس يعرفون القراءة والكتابة بل لاعيانهم مؤدبون يعلمون اولادهم وعمالهم في بيوتهم وكثيرا ما تجد في المساجد مدارس عليها اوقاف للمدرسين والتلامذة منتشرا بل وفي المدن مدارس اخرى خاصة يبعث اليها اوساط الناس ابناءهم ليتعلم فيتعلمون القرآءة والكتابة والحساب والظاهر ان للبنات فيها معلمات من النساء وفي بعض المدن العلمية مدارس يقرأ فيها الهيئة والتنجيم والفلسفة والطب وبلاد اليمن مدرستان جامعتان اي ديوانان للعلماء شهيران احداهما في مدينة زبيد واهلها شافعية والثانية في مدينة ذمار واهلها بدعية يلقبون بالزيدية فالدروس التي تقرأ فيها في جميع الازمان هي العلوم الشرعية والسير النبوية وتواريخ الخلفاء وغير ذلك

الاشتغال بالمعارف

تاديب وتربية

نعم النبي الاعظم * والرسول الاكرم * سيد اهل الدنيا والآخرة * المؤيد بالآيات الباهرة * والمبعوث بالمعجزات الظاهرة * والحجة العالية القاهرة * ليظهر دين الاسلام * ويبطل الشرك وعبادة الاصنام * ويجاهد في الله حق جهاده * ليهدي من قضى الله بارشاده من عباده * فراعى عباد الاصنام والاوثان من العرب * وبلغ بالنفر عليم الارب * والظاهر أن مقاربة الآدميين قربانا كالانعام * كان عادة في الجاهلية عند العرب والمغاربة واهل الشام * وكان دين النصارى واليهود والصابئين * منتشرا ببلاد العرب والشام والعراقيين * فكانوا يخصون النجوم والاوثان * بما حقه أن يكون للواحد الديان * فما ظهر المصطفى المختار * وفتح هذه البلاد زينت بالاسلام والايمان ذلك الاقطار * ولكن بعد انتقاله عليه الصلاة والسلام * تشعب دين الاسلام الى شعب كما اخبر خير الانام * فكان المذهب الحق من الضلالة * هو مذهب السادة السنية لاهل الله * وما عداه فخروج واعتزال * وابتداع وضلال * وكان ببلاد العرب غير مذهب اهل

دين

السنة الناجين * مذهب يقال له مذهب الزيدية البدعيين * واتباع هذا المذهب متكاثرة * مع انه لا يتقذ المهج من النار في الاخرة * كيف وهو يبيح ترك الفروع * ولا يوجب الاصل المشروع * وفي اثناء ذلك القرن الماضي الاخير * ظهر باليمن شيخ كبير * يقال له الشيخ المكرمي * فابتدع مذهبا اليه يعزى ويتمي * وكان ظهوره مقارنا لمذهب الوهابية * ببلاد نجد والدرعية * وعلى ساحل خليج فارس الجلي * مذهب فرقة من الشيعة اصحاب علي * وحيث خرج باليمن ونجد اصحاب مذاهب * خرج ايضا في ارض عمان مذهب غير صائب * يقول بعدم خصايص الاشراف * ويشنع على تقدم قريش مع غاية الاسراف

حالة الفنون

وقد اسلفنا بعض شيء فيما يتعلق بالفنون والتجارة في بلاد اليمن وعمان ولنورد هنا بعض فوائد عامة فنقول ان الفنون مجهولة ببلاد العرب فليس بهذه البلاد مطبعة اصلا والسبب الغالب الموجب لذلك هو أن حروف العرب الحديدة مرتبطة بعضها وشتبكة وفي الغالب بعضها فوق بعض وقد تكون الحروف منقطة متداخلة في بعضها فالاليق في ظرافتها وتجويدها أن تكتب باليد لا بالطبع فانها لا تصل فيه اصلا الى جودة القلم ولما كان التصوير منهيا عنه في الشريعة المحمدية خلت بلاد العرب من فن الرسم ونحاتة الاحجار ولكن ينقشون اسماءهم على خواتمهم نقشا جيدا وفي اليمن يحسنون شغل الذهب والفضة ولكن اكثر الحلي ونحوه يصطنعه اليهود والبنيان حتى ان السكة في مدينة صنعا يضربها اليهود وصناعة الساعات غير مرغوبة ولا متقدمة وصناعة الموسيقى بها متروكة مهجورة فلا يسمع عندهم الا دق الطنبور والمزامير دون غيرها وبلادهم خالية من ارحاء الماء وارحاء الهواء اي الطواحين التي تدور بالماء او بالهواء وقد عاين بعض السواحين ببلاد تهامة معصرة زيت تدور بثور واحد فاخذ بالتخمين أن عندهم طواحين بهذه الصنعة غير الارحية التي يطحن عليها باليد

هذا ويمكن أن نعتبر أن اهل بلاد العرب نحو من عشرة ملايين الى اثني عشر مليونا فاذا اراد الله تعالى ودخلوا تحت راية حاكم واحد حصل لهم شوكة عظيمة وتصير دولة ملكهم جسيمة

جدول الاوضاع الجغرافية للبلاد العربية

اسماء الاماكن	عرض شمالى			طول باريس الشرق			الثقة فى النقل
	درجات	دقائق	ثوان	درجات	دقائق	ثوان	
الطور (عرب البصرة)				٣١	١٢	٥٥	رحلة بخط اليد تشتمل على معرفة الازمان
كذلك	٢٨	١٢	١٩				نيبوهر فى مراسلاته
رأس ابى محمد	٢٧	٥٠					رحلة بخط اليد تشتمل على معرفة الازمان
قلعة المويلح	٢٧	٢٨					كذلك
الهمان فيران				٣٠	٤٣	٢٥	كذلك
الينبع	٢٤	٧	٦	٣٥	١٢	١٥	كذلك
كذلك	٢٤	٥					نيبوهر فى مراسلاته
رأس عبياد	٢٣	٣٠					رحلة بخط اليد فى معرفة الازمان
اربوغ	٢٢	٣٣		٣٦	٣١	٤٥	كذلك
جدة	٢١	٣٢	٤٢	٣٦	٤٥	٤٥	كذلك
كذلك	٢١	٢٨	٢٣	٣٧	٤	٤٥	نيبوهر بالابعاد القمرية
مكة	٢١	٢٨	٩	٣٧	٥٤	٤٥	رحلة بخط اليد فى معرفة الازمان
قنفده	١٩	٧		٣٩	٢١	٤٥	نيبوهر فى مراسلاته
لوهيا	١٥	٤٢	٨	٣٩	٤٨	٣٠	نيبوهر فى ملاحظاته
بيت الفقيه	١٤	٣١	١٧				كذلك
زبيد	١٤	١٢					كذلك
الطايف	١٣	٣٤	٧				كذلك
صنعا تحت اليمن	١٥	٢١	٦				كذلك
المخا	١٣	١٨	٤١				كذلك
كذلك	١٣	١٦		٤٠	٥٠		معرفة الازمان
جزيرة بريم فى بوغاز باب المندب	١٢	٣٨					نيبوهر

﴿ المقالة الثالثة والخمسون من تخطيط اسيا ﴾

(بلاد العجم ﴿ تخطيط يتعلق بطبيعة بلاد العجم على سبيل الاجمال)

بلاد العجم الآن منقسمة اصالة الى ولايتين كل ولاية لها حاكم واحد وهما ولاية الافغان جهة الشرق وولاية فتح علي شاه جهة الغرب ولكن حيث ان هذا التقسيم السياسي يمكن أن يختلف من زمن الى آخر كان الاحسن لنا أن نجري على التقسيم القديم الذي كان موجودا في زمن دولة العجم الصوفية ولكن بجعل بلاد كورجستان من تعلقات الدولة الموسقوبية وهذه البلاد المجتمعة التي تمتد من بركة نهري دجلة والفرات من جانب الى بركتي نهري الهند وسيحون من الجانب الآخر يتكون منها قسم عظيم طبيعي يتصل به من بعض جهاته بحر الخزر ومن البعض الآخر الخليج الفارسي وبحر الهند ومع أن اراضي هذه البلاد التي هي بربوة مرتفعة كثيرة التنوع والاختلاف وبها عدة حوضات ممتازة وعروقات ظاهرة فهي مع ذلك متشابهة متماثلة يمكن أن تعتبر كلا واحدا وهيكلا متحدا لاسيما في الجغرافية العمومية

لانحة اجمالية

ثم ان التغيرات البوليتيقية والتقلبات السياسية والقيامات والفتن التي تكررت في هذه البلاد وتكاثرت بين هؤلاء العباد انتهى امرها في سائر الازمان باضافة هذه البلاد كلها الى حكم واحد ودولة واحدة وقد اعرب لنا التاريخ عن عدة امم من امم العجم مستقلة غير تابعة لحاكم اجنبي كامة الفرس في الجنوب وامة الاريانية في الشرق وامة الادر بيجانية في الوسط وعدة قبائل رحالة متبربرين كالهرقانية والبرث والقادسية جهة الشمال ومن المشكوك فيه جدا أن سلطنتي نينوى وبابل ادخلتا في زمن من الازمان تحت حكم هما مملكة العجم القديمة التي هي الآن بلاد فارس وكرمان ولارستان وقد ذكر التاريخ غزوات سميراميس العجيبة ولكن لم يقل في حقها بايجاب ولا نفي ومن المعلوم انه في الازمنة المتقادمة العهد المفسية الذكر المجهولة الحال كل غارة وقتية تذكرها التاريخ على انها نصرة عظيمة وفتوح مع انها ليست الا مجرد هجوم واما هل ادر بيجان فانهم تغلبوا على امة الفرس تغلبا محققا والظاهر أن هذه الامة حاربت قبل ذلك الاستوثية من آسيا في بلاد توران التي هي بلاد التتار الآن وحاربت ايضا الهنديين وقبل ميلاد عيسى عليه السلام بخمسة قرون ونيف ظهر الملك قوروس ملك الهند وخلص امة الهند من اسرهم وجعلهم مستولين على آسيا الغربية ولكن حين دخول هؤلاء الامم في اوربا واراد تهم التغلب عليها اوقفت مسيرهم امة قليلة وهي امة اليونان وكان الفرس يومئذ كعدد نجوم السماء ثم بعد قليل من الزمن اجتمع اليونان تحت راية اسكندر الاكبر وانهبوا بالكلية الدولة الفارسية وحل انتظام ملكها ثم بعد انتصار اليونان بزمن حصل بينهم شقاق عظيم واختلاف آرا فتفرقوا وصارت بلادهم منقسمة الى عدة ممالك والعجم من جملتها ايضا ممزقة وكان في هذا الوقت قبيلة من قبائل فارس ذات حروب وغارات فتغلبت على الاقاليم التي تسمى الآن بمستان وكان ذلك الامر قبل ميلاد عيسى عليه السلام بقدر ٢٤٨ سنة ولكن مازال بيد اليونان اقاليم خراسان التي كانت تسمى بتطريانة وكان من جملة ملوكهم الملك دمطريوس فاستولى على بلاد هندستان وعمرها وادخل فيها التمدن والحضر وفي زمن الملك اڤرقاطيدس الاول اليوناني ملك خراسان كان تحت حكم هذه المملكة اليونانية الف مدينة ولكن اجتاحت امم التتار التي سكنت بلاد الاستوثية وانضمت الى امامة البرث وابطلت كرسي اليونان بخراسان وازالت عنهم الملك وصارت الدولة للبرثية حتى ان البرثية في زمن ملوكهم الذين هم من دولة الاشقانية المسماة في كتب اليونان باسم الارسقية كانت تزاحم ملوك الرومانيين وفي نحو سنة مائتين وعشرين من الميلاد ظهر انسان من آحاد الفرس على ما قاله اليونان وسلب الملك من البرثية واسس دولة الساسانية ولكن مؤرخو المشرقيين لم يفرقوا بين الفرس المتأخرين والبرثة ويعتقدون أن اول ملك من ملوك الفرس وهو ارطكزرسيس الثاني وهو الملك اردشير لخذ مملكة البرثة وعلى اي حال من احوال هذه المملكة الفارسية المجهولة الحال فهذه المملكة وقعت بينها وبين القسطنطينية حروب ثم ظهرت ظهورا عظيما وقوى شأنها في زمن الملك العادل كسرى انو شروان ثم آل امرها أن وقعت في ايدي العرب وفتحها الاسلام نحو سنة ٦٣٦ من الميلاد

التقسيمات القديمة البوليتيقية

دولة الفرس والبرث وغيرهم

وبعد هذا بقرنين اقيمت دولة الفرس في خراسان وبعد عدة فتن واضطرابات رجعت الى مالها الاصلي واتسعت وفي سنة تسعمائة واربع وثلاثين من الميلاد توصلت عائلة بويه الى أن تولت كرسي السلطنة وجعلت دار اقامتها مدينة شيراز ثم صارت داخلة في فتوحات جنكيز وتيمرلنك وصارت محصورة فيها ثم خلصت وبلغت راحتها في حكم العائلة المسماة الصوفية التي تولت ملك فارس سنة ١٥٠٦ من الميلاد ثم ان شاه عباس الملقب

دولة الصوفية

بالاكبر

بالاكبر اخذ زمام السلطنة سنة ١٥٨٦ وحكم نحو نصف قرن وفى مدته صار لهذه الدولة ظهور عظيم وهيبة كاملة وان كانت كيفية سياستها بوجه خارج عن طور العدل والانصاف بالكلية وتغلب الافغان على بلاد العجم سنة ١٧٢٢ من الميلاد فاعقب هذا حادثة اخرى سنة ١٧٣٦ وهى انقراض عائلة الصوفية بالكلية وتقليد المملكة لشخص يقال له نادر ويلقب طاماس قولى خان وكان هذا الملك جبارا من الجبابرة لانه كان حازما رأيه والاقدار مساعدة له وكان مولودا فى خراسان وفى سنة ١٧٤٦ قتل بعد أن تولى احدى عشرة سنة فعمل بها اشياء عالية منها انه تغلب على بلاد هندستان

انقسام العجم سلطنة الافغان

وبعد انقضاء ملك هذا الملك حدثت اشياء جديدة نافعة فى معرفة الجغرافيا الجديدة وهى ان ضعف دولة نادرشاه بانضمامه الى الحرب المهول الذى كثر به سفك الدماء فى بلاد عجمستان الغربية كان سببا فى كون الافغان قووا مملكة جديدة ودولة مستحدثة صارت مدينة قندهار كرسى سلطنتها وصارت حاكمة على جميع عجمستان الشرقية فصارت سلطنة الافغان فى بلاد العجم مشتملة على خراسان الشرقية وعجستان واروكاشية وقندهار وغيرها من الاقاليم وكان للافغان فى بلاد الهند قوطورة وكابل وكشمير وتغلبوا ايضا على جزء من بلاد بخارى

والظاهر أن اصح ما قيل فى بداية تعلق بسلطنة قندهار المسماة ايضا سلطنة الافغان هو ملخصه الماجور رنل وخلاصته ان احمد عبدالله اول ملوك قندهار كان فى الاصل رئيس قبيلة من الافغان كان نادرشاه ادخلها تحت ولايته فلما مات نادرشاه ظهر احمد على حين غفلة بين رعيته القديمة وهى قبيلته واستولى على اقاليم الهند التى تخلى عنها المغول لنادرشاه واختار كابل دار مملكته لان هذه المدينة ظهرت له أنها آمن من غيرها من غارة العجم الغربيين فمات احمد فى سنة ١٧٧٣ فخلفه تيمور واقام ايضا فى مدينة كابل ومات تيمور وخلفه زمان والظاهر انه متوال الى الآن (زمن التأليف) ومن منذ واقعة پانيپوط التى هى واقعة عظيمة حارب فيها الافغان المهرات وكان احمد عبدالله ملك الافغان هو الذى تولاها لا زالت مملكة الافغان على حالتها لم يدخلها زيادة ولا نقصان بل بقيت على حدودها

عجم غربية كريم خان

واما الجزء الغربى من بلاد العجم فانه تمتع ببعض راحة فى زمن حكم كريم خان الذى لم يلقب بلقب شاه وانما اكتفى بلقب وكيل وهذا الامير العظيم خدم تحت راية نادر وكان عنده ذا قبول ومحبة وفى وقت موت هذا الملك الظالم كان كريم فى شيراز فتولى حكم هذه الولاية وعضده اهل هذه المدينة حيث احبهم حسن فعله وكمال عدله ولاجل أن يكافئ معروفهم بنى هذه المدينة قصورا حسنة ومساجد وانشأ بها بساتين عظيمة واصلح الطرق الكبيرة وعمرها وجدد بناية الخانات التى ينزل فيها الغرباء والمسافرون ولم يلوث حكمه بقتل ولا سفك دماء بل مدح باحسانه للفقراء واجتهاده فى تجديد بهجة الحجارة والظاهر انه مات نحو سنة ١٧٧٩ من الميلاد بعد أن حكم ست عشرة سنة

وبعد موت كريم اعقبه مدة من الزمن حصل فيها تعب واختلال فى البلاد وذلك ان اخوته تحيلوا حتى سلبوا الملك من اولاده وكان من اقاربه امير يقال له على مراد تولى مملكة العجم سنة ١٧٨٤ وملك فيها فى كمال السكون من غير حروب وكان عقب موت كريم شخص خصى يسمى اغا محمد فتغلب على مازندران واستقل بحكمها وخرج عن الطاعة فجرد عليه على مراد وسار اليه فوقع هذا الامير من فوق جواد مفات لوقته فتولى ولده جعفر المملكة فكسره اغا محمد فى بردة كسته فذهب منهزما الى مدينة شيراز

اغا محمد الخصى

وفى سنة ١٧٩٢ حارب اغا محمد مدينة شيراز التى مات بها جعفر فى فتنة قامت بعد موته فاخذها وهدم قرية كريم وهتك حرمة جثته وعظامه وكان لجعفر ولد يسمى لطف على فقام وقاتل فى عدة حروب مع هذا الطوائفى وكانت حروبا مهولة طويلة لم يظهر فيها الغالب من المغلوب ولم ينقض حرب لطف على فكانت عاقبة الامر ان ذلك الطوائفى استولى على جميع بلاد العجم الغربية وعين ابن اخيه بابا خان خليفة بعده فتولى الملك سنة ١٧٩٦ وبها الميلاد ولا زال يحكم فى البلاد مع السكون والصلح ولقب فتح على شاه وحارب الموسقو عدة مرات ولاجل أن يحمى الاقاليم الشمالية من مملكته جعل دار اقامته مدينة تهران وفى سنة ١٨١٠ من الميلاد كان فى مملكة ايروان واذربيجان وكيلان ومازندران وخراسان الغربية وعراق العجم وكردستان العجم وفارسستان وكرمان ومشايخ العرب الذين على الخليج الفارسى يدفعون له ميريا مقررا عليهم ووالى مكران يبعث اليه هدايا احتراما وتعظيما

فتح على شاه

الطائفة الرابعة فى الجغرافية الموجودة الآن

فهذا ما كانت عليه عن قريب مملكة العجم التى كانت عادتها عدم تتويج الملك ولكن مجرد الاعلان بالمملكة والمناداة

له فى كل صباح بان الخان الفلانى هو المتولى الآن ولكن فتح على يلقب بلقب شاه اى ملك وهذا اللقب يدل على العظمة وعلو الشان والظاهر أن هذا الملك صاحب العزم الذى لا يتغير والصعوبة وعدم الاهمال انتقد رعيته وديوانه من الاحكام الغرضية التى كان كل خان يفعلها كما يريد كما انتقد هم من الظلم الذى كان دأب كثيرين من خاناتهم ولفظ خان من الالقاب التتارية معناه كمعنى لفظ مرزا عندالعجم الذى يطلق الآن على جميع الاعيان والخانات قد يكونون ولاة اقاليم وقد لا يكونون الا ملتزمين لبعض كور ويطلبون دائما أن يكون التزامهم متوارثا مع انهم عرضة للضبط على ما فى ايديهم بل وللموت اذا امر بذلك ولى الامر ولو من غير ذنب بل بمجرد رأيه وارادته والخانات الكبار قد يلقب احدهم بعض الاحيان بيكلربكى وفى زمن الحرب يلقب سردار اى سرعسكر واما الخان الذى يحكم فى مدينة فانه يلقب عادة باسم دروغه اى حاكم اوضابط

ثم ان فتح على شاه كان فى وسعه أن يجهز من العساكر اكثر من ١٠٠٠٠٠ نفس والظاهر أن عدد اهل رعيته من ستة ملايين الى ثمانية وان كانت تداولت عليهم الحروب الكثيرة فهلك منهم كثير ومملكة قندهار مع اقاليمها بالهند يمكن أن اهلها يضاعفون هذا العدد المتقدم ولكن الاختلال وقلة الانتظام وعدم الحكم اضعف قوتها وشوكتها ومع شجاعة المشاة الافغانية والفرسان الجمية فهما كان الدولتان وهما دولة الافغان ودولة العجم اذا استمرتا على الانفصال والتفرق لا يكون لهما اصلا بوليتيقية مهمة جدا ولا سياسة يخشى سطوتها غاية الخشية ولا يكون لها شان عظيم بين الدول

حدود العجم

وقد انهينا الكلام على تاريخ هذه البلاد بوجه مختصر ذكرناه تمهيدا لتخطيط البلاد اذ بدون هذا التاريخ لا يمكن تخطيطها ولنشرع الآن فى هذا التخطيط فنقول ان بلاد العجم الغربية تجاور من جهة الشمال بحر الخزر وبلاد كورجستان وكل منهما الآن فى حكم الروسية واما اقليم شروان فانه وان كان بعضه فيه عساكر الموسقوبية الا أنه لم يترك لهم بالكلية صراحة (هذا فى وقت التأليف والآن مع الروسية) بل ان العجم الآن لم يرضوا بالحقوق التى زعمها الكورجستانيون بدخولهم فى حكم الروسية واما حدودها من جهة البلاد العثمانية فانها باقية على حالها منذ ارجاع على مراد للعثمانية مدينة البصرة * والخليج الفارسى الذى خط طناه فيما سبق مع بلاد عربستان يتصل بسواحل بحمستان الجنوبية ومع ان بلاد العجم بين بحرين فهم دائما لا يشتغلون بالامور البحرية والملاحة وبلاد بحمستان المشرقية لم تزل حدودها بالنسبة لاية التركمان باقية على حالها واما حدودها من جهة بخارى والهند فانها تحيت بالتوجات الافغانية فان هذه الامة صارت يقينا مجاورة للسلطنة الصين لان اقاليم كشمير الذى هو من حكم الافغان يتصل ببلاد التبت الصغرى المجهولة الحال بل ويتصل ايضا بالطرف الغربى من التبت الكبرى ونهر السند ويفصل هذه المملكة من بلاد السيك

ربوة العجم

وجميع بلاد العجم ربوة مرتفعة جدا كما يدل على ذلك كثرة التلول بها وهى متصلة بربوة آسيا الصغرى وارمنية من جهة الغرب واما من جهة الشرق فانها تمتزج بربوة آسيا الوسطى اى تتصل بها فهذه سلسلة اراض مرتفعة يسميها الاقدمون باسم طوروس وهى تقسم آسيا الى قسمين او الى ثلاثة على رأى استرابونيس وهو اولى فالقسم الاول فى شمال الجبال والثانى على ظهر طوروس بين عدة سلاسل جبال شامخة عليه كالرؤس له والقسم الثالث فى الجنوب وحكمة هذه القسمة مبنية فى ارصادات صحيحة جدا على اختلاف الاقطار والاقاليم ومايولد فيها فكان السلف يعرفون تحقيقا أن السلاسل العديدة الداخلة فى اسم طوروس متقطعة باودية كثيرة وسهول مرتفعة جدا وكانوا يعرفون ايضا أن جبال العجم شامخة بارزة من اول وهلة فى وسط سهول وبعد هذا الشموخ الذى هو فى بعض اماكن تجده فى بعض اماكن اخرى يعقبه ربوة مسطوحة كاملة السطح اى انه لا واسطة بين الضدين اى بتدرج الانسان من السهل الى الجبل الشامخ ومنه الى ربوة من غير توطئة لذلك ولا شئ تدريجى وقد رأى سوا حو المتأخرين ان مقالة الاقدمين حق فان جبال العجم على ما ذكره اولوبار لا يترائى انه يحدث منها سلسلة متتابعة منتظمة وليس لها توجه اصلى تنسب اليه فهى تمتد من غير انتظام من كل الجهات وبعضها براحم بعضا ويتراكم عليه فكأنها متوجهة لا الى جهة مقصودة والجبال المتجمعة التى اعتبارها سبد ألهذه السلاسل تراها ايضا قد انفصلت عنها اقتضابا بسهول مسطوحة خالية عن التضريسات وكثيرة الاتساع والارتفاع بل الربوة التى فوقها هذه الجبال المتواكمة يجب أن يكون لها من تقيان وعران احدهما جهة الفرات والخليج الفارسى والآخر جهة بحر الخزر وهما فرما طوروس اللذان ذكرهما الاقدمون ونصوا عليهما

جبال شمال العجم

ويذبغى أن نبحث عن التسلسل الشمالى لطوروس فى جنوب بركة نهر الكور الذى كان يسمى عند الاقدمين

قوروس فنقول ان جبل عرارة والسلسلة التى هو منها يجتمعان بجبال شاهخة تفصل بحيرة وان من بحيرة اورميا وهذه الجبال الشاهخة جزء من الجبال المعروفة فى قديم الزمان باسم ينفاطة ولكن فى جنوب نهر الرس سلسلة جبال شديدة البرودة تحتوى من جهة الجنوب على بلاد اذربيجان التى كانت تسمى سابقا اطروباتينة وهذه الجبال لم تنل بعساكر اسكندر الاكبر ومن جنباتها ينفصل جهة الشرق جبال البون وهى حاشية من الجبال الكاسية العالية علوا متوسطا التى تحيط بالجزء الجنوبى من بحر الخزر وفى الاقليم الذى كان يسمى سابقا هرقانيا يتوجه من جهة الجبال جهة البحر جنبات وعرة صعبة المرتقى بل ومرصوصة بحيث ان الانهار تقذف الماء من حافاتها فى البحر فيتكون من مياهها قوس ماء يمكن أن يمشى تحته فى اليبس

الابواب الخزرية

وابواب الخزر كانت مجازا بين جبال طوله ٢٨ ميلا رومانيا وكان بجافاته صخور سود يتجدول منها تيارات مياه مالحة وعرض هذا المجاز اى البوغاز الجبلى لا يمكن أن يمر به الا عربة واحدة * والطريق التى به من اصطناع البشر وتدبيرهم وليست خلقية ويظهر من كلامهم أن هذا الطريق كان يقرب دماوند على عشرة فراسخ فارسية من تهران وكلام الاقدمين يقتضى أن هذه الجبال التى هى جبال هرقانيا تمتد متواصلة الى جهة بلاد بخارى وتتصل هنالك بجبال بارو باميسوس المسماة عند المتأخرين جبال الغور ولم يوجد الى الآن ما يدل على بطلان هذا القول نعم لم ير السواح فرسطر جبالا بين قندهار وهرات ولكن هذا لا يدل الا على أن هذا السواح كان طريقه ربوة وأنه لم يمعن النظر فى ابحاثه ولم يتوغل فى تفتيشاته على أن كلامه يعضد ما قلناه ايضا حيث رصد فى شمال طرشيتز سلسلة جبال شاهخة مغمورة بالثلوج وهى ما كان يسمى عند الاقدمين بالجبال البرتيانية

جبال جنوب العجم

والجبال الجنوبية تدخل بلاد العجم من جهة جنوب بحيرة اورميا * والفرع المسمى الآن باقاطاغ الذى يخرج منها فى الجنوب فيكون حد المملكة هنالك هو ما كان يسمى عند الاقدمين زغروس وهو مأوى الاكراد دائما واول سلسلة عظيمة تدخل بلاد العجم تسمى جبال الوند وجغرافية ابن حوقل تفيد أن جميع الارض من قرب كردستان الى نحو اصفهان جبلية وذكر من جملة ما فيها من الجبال الشهيرة جبل دماوند الشاهق وعلى عالى هذا الجبل يمتد البصر مسافة خمسين فرسخا فارسيا وهى اثنان وسبعون فرسخا فرنسا وبالخلاف جبل بيستون الذى هو ايضا فى هذه الاراضى التى فيها جبل دماوند فالمشاهد تمثاله بما فيه من الصور والاشياء المحفورة الغريبة التى لم تزل الى الآن موجودة واما جبال هتزردارا يعنى الف جبل فتحتوى شمالا وغربا على البركة التى بها شيراز وآثار مدينة برسبوليس اى اصطخر وهذه السلسلة لم يعبرها اسكندر الا بعد جهد جهيد وذلك لان فرقة من اهل فارس رابطوا بالمجاز المسمى ابواب سوس ويسمى ايضا ابواب برسيدة وثم مضيق آخر يوصل من العجم الى بلاد اذربيجان وكان يسمى السلم الاكبر لان طريقه كانت محفوفة درجا يصعد به ثم ان هذه الجبال تقرب جنوبا من الخليج الفارسى وتشق بلاد كرمان ومع أن احد فروعها يظهر أنه يصل فى الصحراء على شرق بحيرة بكنغيان يظهر أن السلسلة الاصلية متصلة بالسلسلة التى تفصل سجستان وهى درنجيانة القديمة من مكران وهى جدروسيا القديمة وقد سمى بعض مؤلفى المتأخرين هذه الجبال جبل اباد وهذه الجبال تفصل بجبال سليمان التى يتكون منها مع جبال وولى ربوة طويلة بين الهند والعجم وهذه الربوة التى لا مانع من أن لا يكون فوقها الا تلال متنزهة كما شاهد ذلك فرسطر بقرب قندهار هى فى حد ذاتها مرتفعة كما يشهد لذلك مزاج قطرها وهى تتصل بالهضبة الكبرى التى فى وسط آسيا

ابواب برسيدة

فهذا ما يظهر فى شأن مجموع الجبال والهضبات او الربوات التى ترتفع بين بحر الخزر وبحر الهند ثم ان تادينا مع مؤلفى السلف لا سيما اسطرابون حملنا على أن نهتم باستقصاء اتركل سلسلة من هذه الجبال ومع ذلك فحبنا للصدق اوجب علينا أن نعترف ونقر بأن هذه المادة تستدعى ارصادا جديدة على المحل نفسه قبل أن يبحث فيها على وجه مفيد

واذا لم ننظر الى جبال العجم الا بالنظر لكون كل واحد على حدته وقطعنا النظر عن الربوات حكمنا بان هذه الجبال والغالب عليها الارتفاع وان كانت قلالها تغمر بالثلوج مدة عظيمة من السنة وهذا يدل على أن القاعدة التى هذه الجبال راسية عليها مرتفعة جدا

صحارى مالحة ومرملة

ومن خواص ربوة العجم المميزة لها عن غيرها من الربوات اشتمالها على متسع عظيم من الصحارى التى اكثرها مالح وباقيها مرمل ويمكن حصر الصحارى فى خمسة اصلية فابعدها صحراء قراكوم اوكراكوم فى شمال خراسان وهى رملية والصحراء التى تفصل خراسان من العراق العجمى المسماة الصحراء الكبرى المالحة التى طولها مائة وثلاثون فرسخا

وعرضها سبعون ويظهر اتصالها بالصحارى التى تشغل جميع شمال اقليم كرمان وكان هذا الاقليم يسمى فى قديم الزمان كرمانيا الصحراوية ومن هذه الصحارى المالحة ايضا صحراء كاب وصحراء مكران وهذه الصحارى تشغل ثلاثة اعشار الاراضى وفى الصحراء الكبيرة المالحة طبقة الملح البحرى المتبلورة تبلورا عظيما والسائرة لسطح الارض يكون لونها اصبعيا وكلام بوشمب يقتضى أن فى هذه الصحراء الغير البعيدة من قم جبل النسم المسمى عند الافرنج جبل الطلسمان وهذا الجبل القعل الوعر الشامخ يترأى انه يتغير شكله على حسب تغيير مناظر بصر المبصر وذلك لان الرمل الاسود المتموج الذى يستره يساعد على تكثير هذه المناظر الخيالية ويمر بقربه نهر صغير ماؤه ثقيل جدا ومالح

جبل الطلسمان

بحيرات

وهذه الصحارى التى ببلاد العجم المشابهة لصحارى افريقة يظهر بها بحيرات من قبيل بحيرات صحارى افريقة ولكنها اكبر منها فان بحيرة درة المسماة بحيرة الدرة تقدر طولها بسعة ١٤٠ فرسخا فى مثلها وفيها يصب نهر هندمند الذى مجراه ١٥٠ فرسخا وهذه البحيرة كانت تسمى سابقا اريا بالوس وقال ابن حوقل ان طولها ثلاثون فرسخا فارسيا فى عرض مرحلة وماؤها بارد مسموم وثم بحيرة اخرى غير جارية وهى بحيرة بكتغيان وهى مالحة وان كان يصب فيها كثير من الانهر العذبة لاسيما نهر بندامير وهو اركسيس القرس اى رس القرس ونهر كودن اوكورنك وهو قوروس

بحيرة درة

بحيرة اورميا اوشاهى

وفى بلاد العجم ما يناهز على ثلاثين بحيرة راكدة منها بين شوامخ جبال اذربيجان وارمنية بحيرة اورميا وهى بحيرة كبيرة سميت بذلك باسم مدينة قريبة من طرفها الجنوبى وهذه البحيرة يعتقد أن طولها سبعة عشر فرسخا وعرضها على النصف من ذلك وقد ظن دانويل أن بحيرة وان القريبة من تلك البحيرة هى بحيرة اريسيا القديمة فعلى ذلك تكون بحيرة اورميا هى التى سماها اسطرابونيس اسپوطا وسماها جغرافيو الارمن كايوطون وهذه البحيرة مالحة جدا ويظهر على وجهها ملح شديد الحموضة حين زنجرتها كالمعادن ✻ وفيضان الانهر التى تصب فيها يجعل سطح مياهها يزيد على ثلاثين قدما عن ميزانها الاصلى وشطوطها المتكونة من الصدف تقضى بانها كانت سابقا ذات امتداد جهة الجنوب والشمال اكثر من امتدادها الآن * والجبال الكلسية المجاورة لها شهيرة بأنها كانت سابقا بلادا حشائش وبحيرة اريوان على نحو مائة ميل شمالا ومحيطها ٢٥ فرسخا وفى وسطها جزيرة صغيرة وهى كثيرة سمك اللبث المسمى بالشبوط والسمك المنقوش المسمى سمك اريوان ويسمى بالتركية آلاباليق وهذه البحيرة فى كتاب بطليموس تسمى لوخنيطس

بحيرة اريوان

انهر

ولا يمكن أن تعد دجلة والفرات من انهر بلاد العجم وليس فى الانهر التى تصب فى الخليج الفارسى ما يستحق أن يذكر هنا وانهر مكران غير معروفة للمتأخرين واما ما قاله المتقدمون فيقتضى أن نهرى هندمند المسمى ايضا كورنك ونهنك وان كان يترأى أن مجراهما مستطيل لم يخرجا عن كونهما واديين يمتلآن من السيل ويجفان فى الصيف او تضيع مياههما فى سهول الرمال المتموجة التى حافتاها محتفتان بهما وقد حصل اسكندر الاكبر الماء فى هذه الحافة بحفر فيها صهاريج بل لم يخرج الماء الا بعد مسافة بعيدة وكلام اسطرابونيس يقتضى أن هذه الحافات بها كمال شبه بتهامة العرب حيث ان انهرها لا يكثر ماؤها الا من الامطار ويخرج من الربوة الوسطى التى ببلاد العجم عدة انهر لا تصل ابدا للبحر وانما تصب فى ارمال او الغيرات فنهر بندمير المشهور بشطوطه المملوءة بخضرة الظلالة بالانهار الكثيرة يصب فى بحيرة بكتغيان وان قال ما قاله بعض ارباب السياحة ونهر هندمند يصب فى بحيرة ذرة اودرة واعظم انهر خراسان نهر تجيان الذى كان يسمى عند الاقدمين اوخوس وهو يصب فى بحيرة سجستة على ما قاله وهل السواح والظاهر أنه فى خلال البرنك التى يكونها يصل بحيرة بلكان وليس فى انهر العجم التى تصب فى بحر الخزر ما له مجرى عظيم الا نهر واحد وهو كرل اوسن وهذا اسمه عند السواحلية وهو من لغة الترکمانية ويسميه العجم سفيدرود وكان الاقدمون يسمونه مردوس وماؤه ينحدر بقوة بسرعة من ثلاثة الى اخرى خلال اودية بحيرة المناظر وعند مصبه فى البحر تجد امواجه قوية جدا فتدافع امواج البحر وتقطعها

هندمند

تجيان

كرل اوسن

طبيعة لارض

وقد تقدم هنا أن جزءا عظيما من بلاد العجم مملوء بالسهول المغمورة بالرمال والمشوبة بالملح واغلب ارض هذه السهول طفل صلب ولم يكن الى الآن اختبار الجبال ولكن يظهر أن اكثرها من طبيعة كلسية ويؤيد هذا ما قاله الاقدمون من أن بها كهوفا ومغارات عديدة ثم ان بعض سواحى الفرنساوية مر عن قريب بطريقين من السلسلة الكبيرة من جبال البرنة التى تحدق بكيلان ومزندران والتى بها جبل دماوند وهو يرتفع فوق سطح سهول تهران من ١٢ قامة الى ١٣٠٠ وسهول تهران ايضا مرتفعة عن سطح بحر الخزر بنحو ٥٠٠ قامة فلم يجد

سلاسل كلسية

في هذه الجبال الاصخور اكلسية ورخاما ومرمرا ابيض ولكن بها ايضا هدفات عظيمة من حجر الصوان متفرقة في بعض اماكن متباعدة والحجارة التي بساحل اقليم مزندران من حجر الصوان

وارباب الاسفار من المتأخرين وجدوا في السلسلة الابعد غربا المسماة زغروس المسمى بالغاطاغ صخورا متتابعة من حجر البلاط وصخورا كلسية وصوانية شبيهة بما يوجد عدة في جبال اوروبا ولا مانع من أن يؤخذ هذا من تخطيط طور فرط أن يجيل عرارة وما جاوره من السلاسل كثيرا من الاحجار المصطفة كالصنائع المسماة بالحجارة الشمسية الفرنجية اى الموضوعة على بعضها راقات والمنقولة كالقرن بل الظاهر أن هذه البلاد الواسعة يظهر بها في المستقبل للراصدين جميع اصناف الصخور والاراضي وجميع الغرائب الارضية فيجدر بارباب الرصد ما في احشاء الارض مكشوفا لا يحتاج الى حفر ونقب على ما يقتضيه كلام شردين حيث قال ان جبال العجم اشد جبال الدنيا حقولة وعثما لانها صخور يابسة لا اشجار بها ولا اعشاب

زلازل

ولما كانت بلاد عجمستان واسعة اخذ من ذلك شردين انها في العادة غير عرضة للزلازل ولكن ينبغي أن يستثنى من هذا الضابط الكلي كيلان ومزندران فان ارتجاج ما تحت الارض بهذين الاقليمين واهتزازه شديد وكثيرة وآثار ذلك ما حوالي جبال طوروس فانه في سنة ١٧٢١ من الميلاد وقع به خسف عظيم مهول لم يسمع بمثله في التاريخ ويستثنى ايضا جبال العراق العجمي فان بها جبل البرس او البرج معدود من جبال النار ومنها ايضا جبال نار غيره وكذلك يستثنى سلاسل فرس ولارستان الابعد جنوبا فانه شوهد بها في هذا العهد زلازل

قمار

قال قوروس احد ابناء ملوك العجم لزنثونس اليوناني ان ملك ابي واسع جدا يموت الانسان في احد اطرافه من شدة البرد ومن طرفه الآخر من الحر انتهى وهذا الوصف يناسب الآن بلاد العجم ايضا فينبغي أن يقسم

شط بحر الخزر

قطرها الى ثلاثة اقطار اصلية وذلك أن سواحل بحر الخزر مخفضة جدا بحيث ان سطح هذا البحر في حد ذاته يظهر انه اخفض من سطح البحر المحيط بخمسين قدما فلذلك كان حوزه هذه السواحل اشد واعظم استمرارا من حر بلاد الهند الغربية والشتاء فيها لينة هينة بسبب الرياح المعتدلة المزاج التي تهب من بحر الخزر ولكن في كلا الفصلين تتسلط فيها رطوبة شديدة بحيث ان الغولاذ يفقد فيها نورانيته في اقرب زمن ووجوه اهلها مصبوغة بذبول من الحميات وهذا هو القطر الاول والقطر الثاني هو قطر الربوة التي في وسط بلاد العجم وذلك أنه يحيط بهذه الربوة جبال

مزاج الربوة الوسطى

بعضها يستر عليه الثلوج ويذوق هذا القسم من قندهار الى اصفهان على المناوبة فصول صيف شديدة الحر وفصول شتاء شديدة البرد ومن شهر مارث الى شهر ماية تكثر فيها الرياح ولكن من ماية الى سبطمبر تكون السماء صحوا والهواء كذلك ويطرء نسيم الليل حتى ان صحو الليل يكن فيه للانسان أن يقرأ في كتاب على مجرد نور النجوم ومن سبطمبر الى نوفمبر تتسلط الرياح ايضا والهواء في الغالب يكون يابسا يسا عظيما والرعد والبرق فيها من الامور النادرة وفي غالب الاحوال لا يشاهد فيها قوس قزح ولكن البرد يفتح الراء يفسد فيها المأكل والغسل في الربيع وهذا هو القطر العام لهذا القسم بتمامه وما ذكرناه فيه هو بالنظر للمجموع واما بالنظر لكل فرد من افراده اى كل جزء من اجزائه فانه يستدعي تقييدات خاصة على حسب ما يقتضيه حال المحل مثلا

قطر فارستان وكردستان

فارستان لها سهل وادي شيراز في وقاية من الحر الشديد والبرد الشديد وجبال الكردستان وادربيجان قطرهما اكثر رطوبة وهو في الحر والشتاء له مزاج اقرب الى التساوي وسبب هذا اشد ارتفاع الجبال وكثرة الغابات

سواحل الخليج الفارسي

وجميع ما قلناه يختلف اذا نزلنا من الربوة الوسطى الفارسية وقصدنا جهة شطوط الخليج الفارسي فر بما هلك المسافر بالرياح المحرقة وبريح السموم وقد حكى اسطرابون أن اهل سوس لا يمكنهم أن يخرجوا من بيوتهم وقت الظهيرة ومن أتته الجرأة الى الخروج في ذلك الوقت والتعرض للحر فانه يموت في طريقه وفي ولاية مكران قد يكون الحر عندهم قويا كحر الهند والامطار التي في الاماكن بين المدارين يفيض ماؤها على التلول التي تيبس في باقي السنة

نباتات (١) على السواحل الجنوبية

وزيادة تجد في بلاد مكران نخيل الهند واشجار التين الطيبة الرائحة فقد كان عساكر اسكندر الاكبر يعتدون في هذا الاقليم بالكرنب النخلي ويصطنعون الاسرة التي ينامون عليها من خشب النارديين ويتخذون خصوصهم نوع من شجر الجنوب والخيل تسمن باكل نوع من شجر الغار وزراعة القمح فيها ممتنعة وغيره تحقيقا للصلاح ويشاهد قرب ساحل البحر ساحل قليل ليس به الا النخل والاثل والاشجار الصغيرة الشوكية ولا يوجد به ما عدا ذلك ولا شيء ينبات به ولكن اقليم كرمان خصب من جميع انواع الفواكه الا الزيتون وبه صنف من العنب يغلظ جدا والقطن

وقصب السكر يزرعان على امتداد ساحل الخليج الفارسي وفي زمن بلنياس كان القطن يخرج بالافعل فاعل في الجزائر وكلام هذا المؤلف يقتضي ايضا أن نباتات البلطوبارة او المنغليارة تحتف بشطوط هذه البحور

(٢) على الجزء الشمالي الغربي

وهذا القسم الجنوبي البحري المجهول الحال للمتأخرين يظهر أنه يشبه كثيرا بلاد الهندستان ويمكن أن يستنتج من كلام مؤلفي الاقدمين أن جبال الشمال الشرقي مستورة اصالة بشجر الغار والبقس والبطم وشجر المصطكى والصمغ بل واشجار دم الاخوين المسمى قلرمكة ودم الثعبان ويسمى العندم ولكن جبال الغور القحلة الباردة ليس بها الانبات هين بل واقليم بجستان الذي هو خصب بفيضان نهر هندمند وكثيرا نواع الغلال لا وجود للعنب به اصلا وبلاد العجم الشرقية لا تعرف الا نادرا بالنسبة لما يتولد منها وبالنسبة لما عدا ذلك ايضا

(٣) على الجبال الجنوبية

وما بقي من بلاد العجم ينبغي أن يقسم ايضا الى ثلاثة اقسام وهي الجبال الجنوبية والربوة والجبال الشمالية والمتكلم عليها فنقول بلاد فارستان التي هي بلاد العجم الحقيقية وان كانت قد فقدت كما هو الظاهر الغابات التي كانت في قديم الزمان ساترة لسائر الجبال الا انه لم يزل باقيا فيها اثر ذلك فان الراصد يتنزه في وديان شيراز تحت ظلال شجر العرعر وكريز الزعرور والصفصاف المستي وشجر الحور وكل هذه الاشجار ترتفع ارتفاعا شديدا وبين هذه الاشجار نوع من شقائق النعمان يظهر بلون ازرق واحمر واصفر يضم الى ذلك بياضه اليقق والنبات المسمى هو بريقون هتر افولوم ينوح منه شذاه الطيب الرائحة والسنبل وشقايق النعمان مفروشة على المروج وقد اخذ الحكيم اوليويارة منها كثيرا من النباتات المجهولة وقد بحث عن بعض النباتات في جبل البرس حتى انه لشدة اعتنائه واستكشافه لنباتات مجهولة تسمى بعض النباتات التي استكشفها باسمه

(٤) على السهول الوسطى

والسهول المرتفعة ببلاد العجم الوسطى تشتمل على نباتات مالحة منها نبات يسمى اسبطاطيق التتار ولكن بعض هذه السهول المكشوفة ذات مراع غنية كان يغتذى بها سابقا الخيل التي كانت سابقا مخصوصة بكونها تجز عربة الملك

(٥) على ساحل بحر الخزر

ونعظم الغابات وترتفع ارتفاعا شديدا جهة شطوط بحر الخزر الرطبة وذلك أن دوام الثلج الكثير وطول زمن الربيع بها يعينان على نمو النباتات فالهواء الحار الرطب جعل قصب السكر ينبت فيها بل ويخرج منه محصول متوسط وسنذكره في التخطيط عند ذكر كل اقليم على حدته فاذا صعد الانسان في خلال باقات من النسرين وزهر العسل وارتقى الى جنبات تلال مضرسة وحشية المنظر وجد نفسه بهذه التلال في وسط اشجار الاندر والبلوط والسوسن وشجر الشاهبلوط * وفوقها رؤوس الجبال تتوج باشجار الارز والسرو وغير ذلك من انواع الصنوبر وكذلك السماق الذي به خاصية القبض وهو نافع ايضا للصبغ والدبغ ينبت بهذه الجبال بكثرة وشجر لسان العصافير الذي يخرج منه شئ يسمى بالمن موجود هنالك ايضا بكثرة ويكثر البقس ببلاد كيلان حتى انهم لا يدخلون فيها الابل خشية أن تسمم اذا كانت من ورق هذه الشجرة فان الابل لا تعقل سميتها وقد اخبر بعض ارباب الرصد من الاقدمين أن في الجنوب الشرقي من بحر الخزر اقليم هرقانيا القديم يكثر فيه البلوط وغيره ولكن لا يخرج به شئ من انواع الصنوبر

الفلاحة

ولكن بلاد العجم ذات الاراضي المتنوعة التي تعجب علماء النباتات وارباب التصوير ليس بها اراض صالحة للزراعة الا ماثل وذلك ان الاقاليم الوسطى والجنوبية يكون فيها الظل صلبا يابسا يخلف الصخور العقيمة وهذه الارض تحتاج الى سقي بالصناعة ومن حيل الحرب المستعملة عند العجم غالبا في الحروب الداخلية هدم الخلجان لقطع الماء ومنعه عن الاعداء وهذا مضر بمصلحة البلاد العامة والآن جميع ما هو مزروع من الاراضي لا يزيد عن جزء من عشرين جزأ والتسعة عشر غير مزروعة والحبوب الكثيرة في بلاد العجم هي الحنطة وهي جيدة والارز عندهم من المأكولات العظيمة وهو يخرج غالبا في الشمال الذي اقاليمه مسقية سقيا جيدا ويزرع فيها الشعير والذرة ويندر بها الهرطمان والعجم يزرعون قليلا من الجاودار ومحار يثهم صغيرة ولا تستعمل الا لتخطيط هين في الارض ويجزها البقر النصف الضاوي

اشجار الفواكه

ثم ان بلاد العجم تتسلى عن قلة خيراتها بجمال فواكهها وثمارها فعندهم من اليصيح نحو عشرين صنفا واحسن اصنافه يخرج في خراسان والبطيخ في بلاد العجم كثير المادة اللحمية لا ضرر في اكله ومنه البطيخ الضخم الذي لا يمكن للانسان أن يحمل منه الا اثنتين او ثلاثة واعظم فواكه اوروبا يعتقد أنها جاءت في الاصل من بلاد العجم كالتين والرمان والتوت واللوز والخوخ والمشمش * والبرتقان في تلك البلاد ضخم جدا ويوجد في المحال التي في وقاية من الجبال

ثم ان الحر الذي يعود من حرارة الرمال مناسب للزراعة لاسيما زراعة الليمون * والعنب ايضا بهذه البلاد يخرج على اجود ما يكون واحسن ما يكون ولكن لا يزرعه هنالك الا المجوس عباد النار * واصناف النبيذ كثيرة ولكن منها هنالك ثلاثة اصناف ممدوحة وهي نبيذ شيراز وهو احسنها وهو للملك واهل ديوانه ونبيذ يزد وهو لذيذ الطعم وينقل الى لار وهرمس ونبيذ اصفهان وهو حلو الطعم

نباتات نافعة

ومن النباتات النافعة لذيذ بلاد العجم الكتان والتيل والدخان والسمسم الذي يعتصر منه زيتا والقطن والزعفران والتربنتينة المسماة بالبطم والمصطكى والصمغ والعفص وليس في الاقاليم ما يخرج منه الزيت الا اقليم مزندران وان كان الزيتون البري ينبت في بلاد العجم في سائر الاراضي الرطبة وقد نبه اسطرابونيس على ان اختبار الزيتون في ميديا اي اذربيجان لم يفلح

وزعم بعضهم ان بلاد العجم يخرج منها كل سنة ٢٠٠٠٠ بالة حرير وزن كل بالة ٢١٦ رطلا ولا يستعمل منها في البلاد الا الف بالة لا غير ويباع الباقي ببلاد العثمانية وبلاد الهند والروسية وما ينقل من بلاد العجم الى غيرها من البلاد الخشخاش الذي يخرج منه الافيون وكذلك المن المسمى الترنجبين بل والراوند هذا هو المشهور ولا يشك احد في ان الخشخاش يزرع فيها بكثرة

حيوانات انسية

وعساكر العجم يركبون الخيول التتارية وقد سار كريم خان مسيرة ١٢٠ فرسخا في ٥٨ ساعة على فرس من هذه الخيول ولكن المشهور أن الخيول الفارسية اطرف منظرا واحسن خلقة من سائر الخيول المشرقية وان لم تصل في درجة العدو لخيول العرب وهي اعلى من الخيول الانكليزية ورؤسها صغيرة وارجلها نحيفة وجسمها متناسب الاعضاء وهي ذات هدو ولين وكثرة اشغال ونشاط وخفة * ويغال العجم ايضا جيدة والحمير عندهم اشبه بحمير اوروبا ولكن قد نقل العجم الى بلادهم جنسا من حمير العرب وهو جيد سريع الحركة نشط القوة سهل المطاوعة وشعره ناعم ورأسه مرفوع ويعتنى ببلاد العجم الابل وموانئ بلاد العجم تشبه موانئ اوروبا الا موانئ البلاد التي بقرب الهند فللماشية بها احديداب في الاكتاف والغنم بها ذات اذناب سمينة يبلغ الذنب منها ثلاثين رطلا وعرضها من اسفلها مديد بحيث تكون على شكل القلب وكثير من المواشي يرى في الاقاليم الشمالية من ولاية اذربيجان ولا تخشى اليهود بها غالبا من وجود الحيوان النجس الذي حرم لحمه عليهم موسى عليه السلام واوصى بقراط الحكيم باكله وهذا الحيوان هو الخنزير فوجوده نادر بهذه البلاد

حيوانات برية

وبعض غابات بهذه البلاد ذات ظباء وارام والارانب تتخذ افاحيصها في الاراضي التي لا زراعة بها ويوجد هنالك بكثرة وفي الغابات المظلمة تختفي الخنازير البرية والدببة والاسود وزاد بعضهم الفرا الذي هو من الجنس الصغير الجسم وقال اولي وبارة ان بقرب الفرات نوعا من الاسد لا يلد له وقد كان معروفا للاقدمين والظاهر أن ما قاله المؤرخون من أن بلاد عجمستان مكثت مدة طويلة وهي توانس الحيوانات الوحشية حتى انهم كانوا يصطادون بالاسد والنمر على اختلاف انواعهما صغيرة كانت او كبيرة مبرقشة او لا تحمل على الاسد الا الذين سهل الانقياد وقد حكي ان قريقس أن البرث اي الفرس استعانوا الاسد واراد وا أن يدربوه على الحرب و يدخلوه في جيوشهم فلم يفلحوا في ذلك

ثم ان السنانير القسبينية اي الخزرية والحيوان المسمى العاها ويسمى ايضا قرقوس بوغرغوس وغيرهما من حيوانات مخصوصة تسكن القفار والغابات المجاورة لبحر الخزر ونوع صنف من اصناف حيوان السنجاب يسمى السنجاب الفارسي * والخنزير البري ببلاد العجم عظيم التوحش وحمر الوحش تسكن صحاري وسط بلاد العجم ويقيم الضبع والاسد في اقاليم الجنوب و ببحر الخزر نوع من السمك يسمى الاسطورجون ونوع آخر من سمك البلتي المسمى ايضا للبيت وهو مستطاب والحمام والحجل يوجدان بكثرة وهما من المطعومات المألوفة وكاتا كلها الناس هنالك يغتذى ايضا بها الفور * والعقاب والباز يسكنان في الجبال القفرة

المقالة الرابعة والخمسون من تخطيط آسيا

تفاصيل تخطيطية تتعلق بالاقاليم والمدن العجمستانية

لما انهينا الكلام على بلاد العجم بوجه الايجاز حان لنا أن نشرع فى ذكر المدن الشهيرة وفى ذكر مقاصد اخرى واغراض من موضوع الجغرافية الخصوصية المجردة عن التخطيطات الاجنبية ولنبن فى ذلك على كون اصفهان هى الاصل حيث انها مدينة قديمة شهيرة مبتدئين اولا بالاقاليم الوسطى والشمالية الغربية ثم نعقب ذلك باقاليم الجنوب الشرقى والغربى فنقول

اقليم عراق العجم

ان اقليم العراق العجمى الكثير الاتساع هو عبارة عما كان يسمى فى قديم الزمان ميديا الكبرى وانما سمى عجميا باسم اول مؤسس لدولة العجم المسمى بجمشيد عند المشارقة ويسمى اشميش عند اليونان وكتبنا شيد وانيس انما هما زائدتان فى آخر الكلمة الاصلية للاعراب ونحوه فالاسم بجم او اشم والعرب تسمى بلاد فارس بلاد العجم فسموا ايضا ذلك الاقليم باسم عراق وهى بلاد بابل ثم لقصد التمييز زادوا الصفة وهى لفظ عجمى والعراق العجمى يشغل الجزء الاكبر من الربوة الوسطى العجمية بجميع ماقلناه فى تخطيط هذه الربوة يصلح لان يقال فيه بخصوصه

مدينة اصفهان

وعلى الحدود الجنوبية من العراق تجد بقية اصفهان وهذه المدينة العظيمة الاتساع على قول شاردين محيطها اثنا عشر فرسخا فعلى هذا يمكن أن اهلها كانوا نحو ستمائة الف نفس او سبعمائة ركانت قاعدة العجم وكانوا يسمونها نصف الدنيا وليست الآن الا اطلالا لنفسها خيالا لافتراهم الآن يعمرون ما كان سابقا حدائق وبساتين ذات روائح طيبة يفوح شذاها على ارجاء المدينة ترى على الانسان مسيرة ثلاث ساعات فى طرق كانت سابقا من حارات المدينة حتى يصل الى وسطها قال اولويار ان اسواق شاه عباس كانت سابقا مسقوفة بقبوات منورة بقباب وكانت واسعة جدا وهى تدل على عظم هذه المدينة فى قديم الزمان وبها ميدان عظيم من اوسع ميادين الدنيا وهو مربع طوله تقريبا مائتا قامة فى عرض مائة ويحدق به خليج على حافاته بيوت منتظمة البناء ومشرفة على قصور الملوك التى يظهر فيها بقايا عظم شاه عباس ويجانب هذا الميدان المسجد الساطان وهو بديع الشكل مكسو الظاهر بالرخام وجدرانه مغطاة بالصينى الملون المنقوش بالرواق وفى باطنه الحروف المنقوشة المموهة بالذهب تزين جدرانه وقبته ومدينة اصفهان وان كان قد هدم الشاه ابها من الاهلين نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس وجميع الفنون والصنايع موجودة فيها وفى جنوبها

منتزه الشرباك

المجاور عظيمة فى الطريق المسماة شرباك وهى تشبه ما فى مدينة ورسالية التى بقرب باريس وطولها نحو ثلاثة آلاف قامة وهى مزروعة باربعة صفوف من شجر الدلب وعلى حافاتها بساتين وقصور عظيمة وبهذه المنتزهات العجيبة ايضا عدة خلجان وبرك تزيد فى حسنها وهذه المنتزهات من الآثار الصالحة التى جددها شاه عباس ويشق نهر زندرود المسمى زوهرود هذه المدينة الى شطرين وعلى هذا النهر بداخل المدينة قنطرة مبنية بالطوب وحجر النحالة وهى مركبة من ست وثلاثين قوصرة وبها ممشى عظيم بكل جانب من جوانبه مقعد من النوع الذى يسمى مستنة من جلس به يرى ما حول المدينة من البساتين وريضها المسمى جلفا او يلفا الموضوع على شط النهر وقد خرب هذا الريض الآن واذا عدت من هذه القنطرة يسيرا تجد ايضا قنطرة اخرى عظيمة حسنة البنيان من بناء شاه عباس وهما شيآ العرض من جميع ما فى السابقة وبهما فى الوسط فسحة مسدسة الشكل وثم سقف متصل بهذه من تحت القوائم يخرج منه الماء بقوة كالنافورة فيسمع لخرير الماء دوى عظيم وبمصاقبته قصر عظيم حسن الوضع بهذا الماء وبما حوله من البساتين الانيقة ولا عيب اذا فقدت هذه القناطر الماء بعض الاحيان فان عباسا الاكبر انفق اموالا عظيمة على نقب الجبال التى على ثلاثين فرسخا من اصفهان وادخل فى فراش نهر زندرود نهرا آخر قال شاردين ان نهر زندرود صار نهرا عظيما عرضه فى الربيع قدر عرض نهر السين وقت الشتاء فى داخل مدينة باريس

قاشان (خمسة آلاف بيت)

واذا اراد المسافر أن يذهب لمشاهدة طاعة الشاه فتح على فى مدينة تهران التى هى دار اقامته الآن فانه يخرج من اصفهان ويرى أن يزور بمدينة قاشان فيرى بها قصرا بناه عباس الاكبر وغير بقات يشتغل فى آنية النحاس وهذه المدينة الحسنة يظهر أن بها عقارب اكثر من باقى بلاد العجم ثم يصل من هذه المدينة الى مدينة

قم (٢٠٠٠ بيت)

وهى مدينة كبيرة جدا وبها جامع به مشهد يقصده الزوار من كل جانب للتبرك به ولكن قد هدم بعضها بزلزلة * وما حوله من الاراضى خصب الجوب والتطن ولكن مياهها غير عذبة

تهران (٧٠٠٠ بيت)

ومدينة تهران او طهران من مذ صارت دار اقامة الشاهات العجم عظمت وصارت من المدن الجليلة المهمة

وليست جديدة البناء وان قيل ذلك اولو يار فقد كانت في زمن عباس الاكبر مدينة مهمة وكانت ملوءة العامة الصوفية يقيمون بها في غالب الازمان واهلها في فصل الشتاء من اربعين الف نفس الى خمسين الف ويبوتها مبنية بالطين كسائر مدن العجم واسوار المدينة محيطة بمسافة عظيمة خالية لم تعمر الى الان وشكل المدينة مربع مضروب حولها سور فيه قصر الملك وهو قصر عظيم واسع في غاية الحسن والظرافة وابها

الرى

وعلى الجنوب الشرقي من تهران انقاض واسعة ورسوم واطلال من مدينة الرى وكانت تسمى سابقا رهاجة ورجماقيل رهاجيانه ومكثت مدة من الزمان تسمى ارساقيا وهي على شرق اقبطانا التي هي همدان بالفي استادة (غلوة سهم) وعلى خمسمائة استادة من باسة اى الابواب الخزرية واذا ذهبت من تهران جهة الشمال الغربي وصلت الى مدينتي قزوين وسلطانية ومدينة سلطانية بين جبال قحلة في قطر شديد البرد وقد تلاشت من مدة مستطيلة وكانت في القرن الخامس عشر من تاريخ الافرنج عامرة سأوى تجارة الافرنج مع الهند ومدينة

سلطانية

زنغان (٢٠٠٠ بيت)

قزوين (٣٥٠٠ بيت)

زنغان مدينة عظيمة ايضا على ستة فراسخ اسلامية من سلطانية واما مدينة قزوين على رأى بوشب الذي حدد درجة طولها فلم يمكن بها من الاهلي في سنة ١٧٨٧ من الميلاد الا من عشر آلاف نفس الى اثني عشر الفا ولم تزل الى الآن يشاهد فيها قصور الملوك القديمة ولكنها الآن خالية عن البهجة والعمار وهي شهيرة بفرية السيوف وقال فريارة انه يصطنع بها اكثير من النحاس الذي يستخرج من الجبال التي بجوارها ويخرج من تحت ايدي اهلها الاشغال آنية النحاس اعظم مما يشتغل في بلاد الغثمانية * والقوافل تنزل فيها بكثرة من خراسان واذربيجان وهي مركز التجارة

همدان (٤٠٠٠ بيت)

ومدينة همدان باصل وضعها من اعظم مدن العجم وهي رديئة المباني واكثر بيوتها بساتين مستقية بعيون كثيرة تابعة من التلال فجميع المدينة عظيم المنظر وفيها مدفن ابن سينا واذا اجتزنا جبل الوند الذي هو في الجنوب الغربي من همدان بقرب المدينة العامرة المسماة كرمانشاه رأينا في جبل بيسطون مباني غريبة

كرمانشاه (٣٠٠٠ بيت)

مباني بيسطون

تسمى سرير رسطان وهو رواقان منحوتان في الصخر الصلب على شكل ايوان واحد هما قد ارتفع من تحتهما ولم يمكن أن يكون كل بعده من ابعاده من خمسة وعشرين قدما الى ثلاثين وبينهما تمثال على فرس وجسمه فخم جدا وهنالك ايضا تماثيل اخرى ونقوش ورسوم

كردستان العجم

وفي شمال كرمانشاه وغرب همدان وسلطانية اقليم مرتفع كثير الجبال لم تزل اعشابه ولا اوراق اشجاره بحر الصيف لطافته وهذا الاقليم مقر لاكراد الذين هم دائما متهيئون لنقل خيامهم ومواشيهم لتخير جوانب ربيعة الظل وهذه البلاد تسمى بلاد الجبال اركردستان العجم وليس بهذه البلاد طريق مطروقة مسلوكة وتبقى الثلوج على الجبال في شهر اوغسطس واودية الكردستان كثيرة الغابات الظريفة والغيطان والمزارع المتعهدة بالزراعة والمراعي المستمرة الخضرة في جميع الفصول ومعظم القرى مبني على قلال الجبال وكذلك المقابر راعليهم سفية فالمذهب السفية هو المتحكم ومن المدن الاصلية ببلاد كردستان العجم مدينة سنية ويحدق بها مزارع طريفة وجميع البلاد يمكن أن يخرج منها عشرون الف فارس وبها قبائل مستقلة وحرة بالكلية كقبيلة المكرية التي قاعدتها التي تسمى شارش بولاه

سنية (٣٠٠٠ بيت)

اذربيجان

واما اذربيجان فهي معروفة لنا اكثر من بلاد الجبل وكانت تسمى عند الاقدمين اطروباطينة ومعنى اذربيجان اواطروباطينة ارض النار اما لكون عبادة النار ظهرت بها ونشأت فيها او لكونها معزضة لهبجان جبال النار وهي اراض جبلية قحلة يابسة منتشر فيها اودية خصبة كثيرة الفواكه والقرى ومن مدنها تبريز وهي مدينة عظيمة واسعة الاسواق والمباني وبها ميدان كبير يقال انه وسع ثلاثين الف نفس اصطنعوا طابرا واقد كانت هذه المدينة دار اقامة ملوك العجم مدة عدة قرون وهي الى الآن تعبر ايضا تجارة عظيمة في الحرير * وورود الترك والكورجستانية والاكراد بها يجعلها تظهر للاعين أنها عامرة كثيرة الاهل و يشتغلون فيها كثيرا من جلود السافرى التي يتخذها العجم نعالا وهذه المدينة عجيبة المساجد المستورة بالطوب الملون والتي بها لرخام الابيض بكثرة لكون مقاطعه حولها ايضا كثيرة

تبريز (٧٠٠٠ بيت)

المراغة (٣٠٠٠ بيت)

والجزء الجنوبي الغربي من اذربيجان الذي به زيادة عن تبريز مدينة المراغة معظمه داخل في حوضة بحيرة و ... اورميا مؤسسة على غرب البحيرة بين جبال وعرة يكثر بها الثلج تسعة اشهر * والجزء الشمالي الغربي

اردبيل (٢٥٠٠ بيت)

ن اذربيجان مكون من حوضة نهر خراسان الذي يصب في نهر الرس وفي هذا الجزء مدينة اردبيل وهي ... بل عظيم التجارة وحولها تخرج الفواكه العظيمة والزراعة ناجحة بها لكثرة خلجان السقاية

ارمنية بيسطان

وبلاد الارمنية العجمية ليست الاوديا عظيما وهو قطعة من حوضة نهر الرس الذي هو نهر عظيم في هذا الجزء لا تزال مياهه شديدة الجريان حتى كأنه غضبان من حمله لقناطر وأنه يريد هدمها ولهذا هدمت قنطرة الجلفا التي يشون

اريوان (٢٠٠٠ بيت)

خوى (١١٠٠ بيت)

استطرادات فى البحث عن عدن وعن جنة آدم

مذهب دلوق

مذاهب جديدة

ء فيها عادة حين قصد اجتيازه غير مرة و بحيرة اريوان لكونها داخلة فى حوضة خاصة كانت لا تجرى لها وميا هها الصافية يتولد بها كثير من الاسماك وهذا الاقليم المملوء من المناظر الوحشية طيب القطر وان كان هوا ؤه به ثقل هن وشتاؤه طويل قاس كثير الثلج وصيفه ايضا بارد حتى ان فلاحى الارمن يغطون اعنابهم بالبناء المتخذ من الطين مدة عدة اشهر و يقولون ان اول من زرع فيه العنب نوح عليه السلام وصفة تبيذهذا الاقليم وجودته يدلان على فخار اول من زُرعه وقاعدة بلاد ارمنية بجمستان تسمى اريوان وهى مدينة مضروب حولها سور من الطين استولى عليها العجم من سنة ١٦٣٥ وعلى القرب منها جهة الجنوب الغربى يشاهد دير ارمنى شهير يسمى دير ثلاث الكنائس وجبل عرارة الشهير * وهذا الجبل يمكن أن يعتبر أنه كالحد بين بلاد العثمانية وبلاد العجم * والارمن يحجون الى هذا الدير الواسع المبانى والارجاء والطرق يعيش فيه عيشة رهبة كعيشة الرهبان وذلك لان عادة الارمن أن الانسان كلما زاد فى درجة القسيسية كثر صومه وزهده ومدينة نقيجوان المشهورة باسم نقشوان قد اضمحلت وتلاشت وصارت مدينة خوى هى المدينة الثانية من مدن هذا الاقليم

ثم ان الجم الغفير من مؤلفى المشارقة بل ومن مؤلفى النصارى يجعل أن بلاد الارمن العجمستانية هى مبدأ النوع البشرى ولها انتصار بذلك فيقولون ان اباء جميع البشر شاهدوا فى وادى عدن الموجودات مزينة بجمال الربيع الدائم وان سفينة نوح فى زمن الطوفان الذى اهلك المشركين لكثرة ذنوبهم وآثامهم حفظت جنس البشر من الغرق و بعد أن سارت بحرا محيطا بالساحل له رست وقذفتها الامواج على قلة جبل عرارة والظاهر أن المعنى الاول من هذين المعنيين لا تعلق له بالشأن اصلا فلأى شئ يجب أن نوع البشر تولد ثانيا وتجدد فى محل منشائه الاولى وخلقته * والجادلات الاولية والمباحثات القديمة التى تعقب بها العلماء فى قديم الزمان هذا المعنى المبهم لم تميز بين هذين المعنيين ولم تفرق بينهما بل بقيت الكلام فيهما على حاله فبحثت غالبا عن الجنة التى هبط منها آدم وعن ارض عدن فى شط نهر الفرات فكأنه من بين انهار الجنة الاربعة هو الذى لا شك توجود هذه الاماكن به ولكن الحاجة دلوق الذى هو متدين كثيرا ولا يميل للفلسفة سلم للفلسفة بعض اشياء لا تليق بشريعة النصارى وتؤيد الفلسفة وذلك لانه اعترف بأن الجنة التى هبط منها آدم يجب أن تكون فى ارض قارة كانت موجودة قبل الطوفان وذهب الى أن هذه الارض قد غرقت بالكلية وانه لا مدخلية لنهر الفرات اصلا فى هذا البحث لان هذا الاسم واسم الخرقيل الدال على دجلة لا مانع من كون نوح عليه السلام هو الذى سمى بهما هذين النهرين تذكارا لانهار الجنة التى بقى ذكرها متوارثا من جيل الى جيل فليس من انهار الجنة فى شئ وهذا الرأى هو احسن ما يليق بمن يعتقد عصمة موسى عليه السلام و يصدق كلامه فيه يوجه كلام موسى عليه السلام * وبعض علماء النيمسا ممن لم يصلوا فى التدين الى درجة دلوق بحثوا عن الجنة فى الارض الموجودة الان اى اعتمدوا ان آدم خلق فى هذه الارض ولكن على وجه غير موافق لدين النصارى الذى لا اعتزل فيه فرآى بعض علماء النيمسا المتقدم أن الجزء الجغرافى الذى ذكره موسى فى سفر الخليقة ليس من باب العقائد ولا من الديانة والوحى الذى يقطع بصدقه وانما هو حكايات تخيلية وقصص حماسية وارآء مخلوقة بشرية غير الهية واخبار شائعة بين قبيلة رحالة متنقلة تولد منهم الاسر آتيون وتساسلوا منهم و بقيت الاخبار فى الذرية فنقلها عنهم موسى عليه السلام وقد فتحت لارباب البحث ابواب المنازعات والمجادلات والاجتهادات والتذهب الى ما شاؤا فيبنوا هذا المعنى باوجه واضحة واكثرها دائما لا توصل الى درجة اليقين فمن قائل ان عدنا معناها جميع بلاد العجم لانها ارض عامرة من قديم الزمان ومتمدنة فى سالف الاوان وبقابل عدنا بهذا المعنى بلاد الهمل و بلاد المساكين وهى ارض نود التى طرد اليها قابيل حين قتل اخاه وارتكب هذا الاثم العظيم وايد هذا بأن انهار الجنة الاربعة التى هى جيحون والرس المسمى ايضا فاسيس اوفاسون ونهر الفرات ونهر حرقيل وهو دجلة تتصل بعدن اى بلاد العجم وهى منشأ النوع البشرى اى آدم وأن الجنة التى عاش فيها ابو البشر سميت باسم فارسى عراقى وهو فردوس لخرقه اليونان الى فرادوسوس وهذا الاسم يدل على جميع الجنات السلطانية الفارسية ولهذا ايضا سميت به عدة اماكن خارج بلاد العجم الحقيقية فعلى هذا المذهب جنة آدم هى اقليم اياما كان من اقاليم بلاد فارس وآخرون قالوا ان عدنا اريد بها جميع بلاد الشرق التى كانت معروفة لاوائل النا ... متقلل اخبارها فى عبارات متفرقة فجمعها علماء العبرانيين ومؤلفوهم ومنهم موسى عليه الس ... فى هذا المذهب الانهار الاربعة التى يلزم أن توجد فى عدن هى الفرات ونهر السند المسمى هندقل ونهر الكنك اونهر جيحون ونهر ايراباطى الذى سماه بطليموس بسنغا وهو المذكور فى كتب العبرانيين باسم فيسون واذا سلم هذا المذهب الكثير الجرأة كانت ارض جنة آدم هى بلاد كشمير التى هى وادى نضر والظاهر أن هذه الابحاث لا تؤدى الا الى نتائج

مشكوكة

مشكوكة لا معنى لها ومثلها الابحاث التي تتعلق بالاماكن التي استوت عليها سفينة نوح عليه السلام وبعبارة خالية من التخيل سالكة طريق الظاهر هي الاماكن التي اجتمع فيها بعد طوفان عام من بقي من البشر ومنها انتشروا على الارض فاذا سلمنا على تأويل دلوق عموم الطوفان وأنه ناشئ عن خسف وفرضنا أن الارض التي ابتلعت كانت محل البحر المحيط الموجود الآن فلا عرابة في كون آثار باقية من جنس البشر ركبت على ظهر سفن ردينة وجاءت الى سفح جبل عرارة وسفح سلسلة جبال طوروس حين هبوط الماء فكان هذا السفح فوقه الماء فعلى هذا بلاد كردستان وبلاد الارمن في ذلك الوقت تباعدت ارتفاعهما بغمر الماء لهما بأن صارتا جزيرة سطحها اقل ارتفاعا فوق سطح البحر مما عليه الآن فكان مزاج قطرها احسن من الآن ولما كانت بلاد الارمن في مركز القارة القديمة تقريبا كانت اشبه بمهد طبيعي ينتقل منه النوع البشري الذي عمر اوروبا واسيا وافريقة وهذا المذهب قابل للتأييد والتقوية ولكنه ليس الاقولا فرضيا تقديريا فالحق أن معارف التاريخ الغير الشرعي سواء كان متعلقا بالاخبار عن الامور السياسيات او باحثا عن احوال تولدات الكائنات لا تجول فيما وراء الزمن الذي كان فيه عشائر نوع الآدميين منتشرين كالاشجار والنباتات والحيوانات على ظهر الارض لا يفهم من حالهم دليل قاطع وبرهان ساطع على انهم مشتركون في اب واحد ومتفرعون عن اصل كذلك

تنبيه عام في شان التفحص في ذلك

ولكن لنرجع عن سبل التخليط * الى طرق التخطيط * ولنترك المتولعين بالغرائب * والمتطلعين الى العجائب * يبحثون عن سفينة نوح في جبل عرارة * لعلهم يجدون منها جذاذات او كسارة * وقد خططنا في المقالة السابعة والاربعين في قسم كوه قاف اقاليم شروان وداغستان وكورجستان التي كانت سابقا في ايدي العجم ومكثت تحت ولاية تهم مدة طويلة والآن معظمها في ايدي الروسية ولنبحث هنا عن الجزء العجمي الذي على بحر الخزر فنقول

كيلان تخطيطات طبيعية قطر

يوجد على شرق بلاد الارمن واذربيجان وعلى جنوب شرق شروان اقليم خصب نضير الا أنه ردئ الهواء وهو اقليم كيلان وما به من مزارع الارز الكثيرة والجبال الكثيرة الاشجار صيرت قطره كثيف الهواء وقد اخبر بعض من جاء منه من السواحين أنه في اجتيازه الغابات التي تملأ هذا الاقليم احس حالا بوجع الرأس وبالتعب ولم يكن لذلك سبب الا بخرة النباتات والاشجار والمياه الراكدة حتى ان كثرة رطوبة الهواء ادخلت الصدأ في الساعات التي يحفظونها مع غاية الاهتمام وقد رصد اهل هذا الاقليم أن النساء والبغال والطيور تعيش فيه صحاح البدن واردأ هواء السنة يكون مدة اشهر يونية ويولية واغسطوس ويكثر المطر عادة في اشهر اقطوبر ونونبر ودقمبر وفي سنة ١٧٤١ من الميلاد نزل بكيلان مطر عظيم حتى ان اهل تلك البلاد مكثوا عدة ايام لا يخطا الطون بعضهم الاعلى سطوح دورهم التي هي غير مرتفعة كثيرا ويمكث الربيع عندهم عدة اشهر والمروج والغابات دائما مزينة بالازهار وارض كيلان في غاية الخصوبة يخرج منها التيل وحشيشة الدينار وجل الفواكه من غير خدمة ويكثر فيها البرتقان والليمون والخوخ والرمان وفي هذا الاقليم كما في شطوط نهر مسيسبي باسريقة حشيشة اللبلاب التي هي حشيشة طفيلية تزاحم البلوط والدردار ولسان العصافير وتزيد في زينتها ظاهرا لكنها مضرة بها وكذلك دوالي العنب تعلق بالاشجار وتخرج وحدها في الجبال من غير زرعة ولكن لعدم الخدمة لا يصل العنب الى درجة جودة بحيث يمكن أن ينتبذ اللهم الا اذا خلط بغيره من العنب الجيد واعظم ما يخرج بهذه البلاد الحرير ثم ان الكيلانية زرق العيون شقر الشعور صغار الوجوه وتقاطيعهم لطيفة كاطافة قدودهم وصغار هم ارباب جمال في صغرهم ويتغير جمال الذكور بالكبر والرجال نحاف الابدان ارباب وساخة وطباع غير قارة لا ثبات لها واهلهم لسان خاص بهم لا تعلق له بلغة العرب ولا بلغة العجم واهل هذا الاقليم نحو ٥٠٠٠٠ عائلة

اهل كيلان

مدن

ومن مدن كيلان مدينة رشت وهي قاعدة الاقليم وعلى فرسخين من البحر وهي في اعظم اراضي الحرير وبيوتها نحو ٣٠٠٠ بيت وبها ٢٠٠٠ دولاب لصناعة الحرير ومن مدن كيلان ايضا مدينة انزلي وهي مينا مطروقة لسفن روسية ازدراهان

وقد ذكرنا فيما سبق سلسلة الجبال التي تفصل كيلان ومازندران من بقية بلاد العجم وبينا ارتفاعها وطبيعتها الكلية وقلنا ان الاودية الداخلة في هذه السلسلة والمنقية رياح بحر الخزر يابسة الهواء ذات مزاج مستقر وفصول ظاهرة عن فصول بلاد جيلان التي على البحر وبهذه السلسلة مجازان ضيقان مخطوطان احدهما يوصل من اردبيل الى استرا والآخر من قزوين بواسطة روبر الى مدينة رشت وثم مجاز آخر يقرب لتعكران بين الجبال والبحر يوصل لاقليم شروان وهذا الجزء الجبلي من كيلان يسمى بلاد الديلم تسمية له باسم قبيلة

جزء كيلان اسمى ديلم

بادية الذكر عند العجم ذكرها موسى الخورنى وهو اقول من ذكرها وسماها الدلمى ثم ان اسم الكيلانيين او الكيلاكية هو عين ما كان يسمى سابقا الكيلة وبلاد كيلان طوائف تسمى الامبرلية ومعناه اهل الوادى يسكنون بارض تنكيبون ويحكمهم خان مخصوص

امبرلية

مازندران

واقليم مازندران فى شرقى كيلان وهو اقرب شبها باقليم كيلان وذلك لان بجنوبه جبالا عالية وبشماله بحر الخزر وبين هذه الجبال وبحر الخزر اودية مستورة الارض بالغابات يشقها تيارات ماء سريعة الجرى والهواء فى مواضع كثيرة منها اعظم من هواء كيلان واهلها اقوى من اهل كيلان وصحة ابدانهم عظيمة ويقال ان حواجب اعينهم مقرونة اى شعرها متواصل ويقتاتون بالارز والسمك والشوم * والحنطة قليلة النجاح بهذا الاقليم ولكنهم يجدون فيه قصب السكر وخروج هذا القصب فيه امر عجيب بالنسبة لدرجة العرض وهى ٣٧ التى هى قريبة من مركز آسيا والقصب ينضج بهذا الاقليم قبل نضج قصب الهند الغربية باربعة اشهر ويخرج منه كثير من الماء يعتصره اهل البلاد ويجمعونه من غير صناعة ولا تعهد ولو تعهدوه كل التعهد لذهبت منه رداءة طعمه وقد حاول بعض الموسقوبية أن يعمر هنالك معملا لتكرير السكر فاختبر وجرب فلم يفلح

زراعة قصب السكر

بلفروخ (٥٠٠٠ بيت)

ساري (٤٠٠٠ بيت)

استراباد (٣٠٠٠ بيت)

واحسن مدن هذا الاقليم مدينة بلفروخ او بلفروش واهلها ٢٥٠٠٠ وهى عامرة بتجارة الحرير ومن مدنه آمل وفيها يشتغل حديد الاقليم وهى ذات قنطرة عظيمة ومن مدنه ايضا ساري وهى مستقر خان هذه الولاية ومدينة استراباد وهى كورة طرية جميلة المنظر تكون فى بعض الاحيان مستقلة عن مملكة الفرس وهى ذات قبر يقات تماثل الحرير والصوف وبقربها يخرج نبات عظيم لصباغة الاحمر يستعمله العجم فى صبغ اشتهم ومن مدنه منهدسر وهى مبنية يحمل منها القطن والنيلة وعقاقير الهند ومنها مدينة اشرف وقد قصد شاه عباس أن يجعلها دار اقامته ومحل عمارته البحرية فهدمت قصوره بها قبل أن تسكن ويقال ان اهل مازندران نحو مائة ونحو سبعين الف عائلة فيكون اهلها على ذلك من ستمائة الف نفس الى سبعمائة الف نفس

اشرف (٤٠٠٠ بيت)

طبرستان

والجزء الكثير الجبال من اقليم مازندران يسمى طبرستان وهو مأخوذ اما من اسم امة كانت تسمى قديما طبورية او من اسم مركب من لغة العرب والكلدانية ومعناه جبال ذات غابات وفى هذا الاقليم مجاز طويل وهو الجاز الاصلى من ابواب الخزر يوصل من الرى الى آمل ومجاز آخر يوصل من مازندران الشرقى بواسطة ارض قومس الى خراسان وطرق الاسفار فى بلاد مازندران رديئة جدا لعدم السير فى السفن وذلك لان التوارب منتوحة رديئة الادوات فلا تمكنها أن تقاوم الامواج وعواصف الرياح والبيوت بهذه البلاد مبنية بالطوب والمونة وسطوحها مبسوطة غير منحدرة واذا دخل غريب من الاعيان فى قرية اجتمع اهل البلد وزينوا الحجرة اكراما له ونصبوا له مركة بحضرته ثم ان الكيلانية يلبسون طاقية صنوبرية الشكل وطاقية المازندرانية محفوفة بالفرا مستطيلة فتكون منتهية بحرف معوج ولهم ملبس كالعباءة الافرنجية وسراويل فهذا تراهم اقرب شبها بالافرنج ممن عداهم من امم العجم

اخلاق وآداب

بلاد خوزستان او خورستان

ومن بلاد العجم جزآن ينبغى ايضا أن يعتنى بشأنهما احدهما مائل الى جهة الخليج الفارسى وبحر الهند والآخر على ربوة التتار والخط الاول اولا فنقول

اذا ذهبنا من اصفهان وتوجهنا جهة الجنوب الغربى واجتزنا اولا جبال الاهواز التى كانت تسمى سابقا برخواطرا اى جبال النار وجدنا بعد ذلك سهلا عظيما ينعطف فيه ما لا يحصى من الانهر وبه يتسلطن حر رطب وليس به من الشجر الا النخل وبعض مزارع ارز وهذا السهل هو سوسيانة القديمة ولكن مدينة سوس التى معناها مدينة السوسن التى كانت سابقا اعظم بلاد الشهوات زد اركار المملوء ليست الآن الا انقاضا وردوما وافظ خوزستان الذى اشتهر به هذا الاقليم عند الجغرافيين من زمن دنويل قد ذهب ايضا وانحمى على ما قاله نيبوهر وصارت هذه الارض لا تسمى الا باسم لورستان ولكن علماء افرنج المتبحرون بمعرفة اللغات المشرقية رصدوا أن الاسم الحقيقى العام للاقليم هو خورستان وانه ينقسم الى اربعة اقسام * الاول قسم خورستان وهو عبارة عما كان يسمى فى قديم الزمان اوسية وقطره معتدل * الثانى خوزستان وهو عبارة عن قوسية القديمة والقوسية امة جبلية يحتمى من صيال قطاع طريقها وهذا هو عين لورستان * الثالث سوزستان وهو سوسيانة الحقيقى * الرابع ايلام ويسمى ايلومايند وهو يمتد جهة مصاب نهر الفرات وقد تغرب اقوام ايلام قبائل عرب وكذلك سوزستان وهما قليمان خصيبان رديئان وقبيلة كياب اشتهرت من منذ تغلب الشيخ سليمان سنة ١٧٦٥ من الميلاد على ثلاث سفن حربية من سفن الانكليز واستولى على جميع الخليج الفارسى ومدينة سوستر التى تحت يد العجم تتجر تجارة عظيمة فى اقمشة القصب والحرير

اسم هذا الاقليم واقسامه خورستان خوزستان سوزستان ايلام

سوستر (٣٠٠٠ بيت)

ومن سوستر يمكن أن تدخل مدينة رجيان ومجازات زنجران وهي ابواب سوسيانة اوسوزستان في اقليم فارستان وهو ما كان يسمى عند الاقدمين پرسيس وهو اعظم اقليم من اقاليم المملكة وبه المدينة الثانية المهمة الشهيرة وهي مدينة شيراز وهي على كلام فرنكلين السوّاح قاعدة فارستان وهي موضوعة في واد خصب يبلغ نحو ستة وعشرين ميلا من الطول في اثني عشر من العرض مسدود من كل جهة بجبال عالية ومحيط هذه المدينة نحو اربعة اميال وعليها سور ارتفاعه نحو خمسة وعشرين قدما في غلظ عشرة اقدام مع بروج مدورة بين كل برجين ثمانون خطوة والقلعة مبنية بالطوب وقبلها ميدان عظيم مملوء من طوب بحانة مدافع رديئة وبها مسجد كريم وهو مسجد جامع الا أنه لم يتم والنجم المنجّاخرون يظهر أنهم يحسنون التزويق بالازرق والذهب على وجه ظريف لا يمحى وسوق الوكيل به حوانيت عظيمة مجتمعة وقبر حافظ شاعر العجم في الشمال الشرقي على ميلين من السور

فارستان
مدينة شيراز
(٢٠٠٠ بيت)

ماحول شيراز

وليس في الدنيا مدينة تكثر فيها الامور المعاش وتحسن اعظم من شيراز ولا يتصوّر واد اعظم من وادي هذه المدينة فانه مفروش بزروع الارز والحنطة والشعير وتحصد في شهر مايه الافرنجي ويتم الحصاد في نصف شهر يولية ويوكل فيها كثير من الفواكه من اصناف فواكه الافرنج ولكنها اضخم منها بكثير واطعم واطيب راتحة لاسيما المشمش والعنب ومدينة شيراز هي في اعظم قطر من اقطار الدنيا ولا يشعر فيها الانسان ابدا بشدّة حر ولا برد في مدة الربيع يعبق فيها شذا الازهار من كل صنف وكل لون فتفوح في الهواء الذي هو بطبعه معتدل لين وهزار البستان الذي يسميه العجم بولبوط هزار دستان والزقزيقة المسماة السكاكه ونحوها تنعم في هذا الفصل نغمها الى نغم الهزار فجميع هذه الظرائف اذا انضمت الى لطف اهل البلاد واديهم تكون عذرا لاهل شيراز في زعمهم انه لا نظير لمدينتهم في جميع مدن الدنيا فمثل هذه المدينة وما حولها من المتنزهات اهل لان يتغزل فيها حافظ والسعدي وجامي والظاهر ايضا أن الذي اعجب هؤلاء الشعراء العشاق ارباب الظرافة هو نساء شيراز بجمالهن لاسيما سواد عيونهن ولكن هذه المدينة العظيمة لم تنج من مضار الفتن والقيامات فقد اخذت عنوة غير مرّة وحرقت ونهبت

ولا يمكن أن يسافر الانسان خطوة ببلاد العجم من غير أن يصادف في طريقه عدّة آثار تدل على قساوة ارباب الفتوحات وعلى ما اصاب النوع البشري من النكبات فعلى ١٢ فرسخا من مدينة شيراز جهة الشمال الغربي وعلى ثلاثة اوار بعة فراسخ من قرية سيان تجد آثار مدينة اصطخر الشهيرة في قديم الزمان باسم پرسپوليس وهي مدينة قديمة كانت سابقا دار سلطنة بلاد فارس وليس الذي هدمها هو اسكندر الاكبر كما زعمه قوانطس قرقس وانما هدمها في القرن السابع من الميلاد العرب كما برهن على ذلك لنغليز في تذكرته الغربية الكثيرة المعارف وهذه الآثار على ارض مرتفعة مطلة على سهل واسع ويكتنف القصر الذي بهذه المدينة جبل على شكل متعد مدرج يصعد اليه بسلالم من حجر ازرق وهي نحو ٥٠٠ سلم واول ما يجب منه الناظر حال دخوله ايوانان من الحجر ارتفاع كل ايوان ٥٠ قدما وتمثالان من صورة ما يقال له ابو الهول وهما قائمان منتصبان ضخمان ضخامة عظيمة ومزينان بجانبي الايوانين وعلى اعلى هذين الجانبين كثير من النقوش اليونانية والعربية الكوفية والفارسية وبهما حروف على منوال رؤوس المسامير وبقرب الايوانين يرتقى على سلالم سهلة حتى يتوصل الى رواق الاعمدة الكبيرة وفي ناحيتي السلالم كثير من الصور المنقوشة ومن هذه الصور عدّة متباعدة عن بعضها وبيد الصورة شيء من الآنية ومن جملة هذه الزينة عربات تضمر مرسومة على الوجه اليوناني وابل وخيل وبقر وغنم وفي اسفل السلالم اسد مصوّر وبجانبه ثور وتبقى من اعمدة الرواق خمسة عشر عمودا على حالها قائمة على ساقها وارتفاع العمود من سبعين قدما الى ثمانين ويمكن أن يقال انها من احكم صنعة واتقن عمل في العمارة والبناء

آثار اصطخر

حروف رأس المسامير

ولما كان لا يمكننا ببسط الكلام على هذه الآثار العظيمة حق لنا أن نقتصر على أن نقول ان ذلك القصر محيطه ٤٢٠٠ قدم من اقدام فرانسا والجنبة ستمائة خطوة من الشمال الى الجنوب وثلثمائة وتسعون من الشرق الى الغرب ويسمى في بلاد الشرق باسم چلمنار يعني الاربعين عمودا وقد يسمى تخت جمشيد اي كرسي جمشيد وهو من اوائل ملوك فارس

قشا (١١٠٠ بيت)
يزد (٤٥٠٠ بيت)

وغير المدن المذكورة من مدن فارستان ليست الآن عظيمة * واصولها قشا وكزرون وفيروزباد وهنالك مدينة يحتاج لتنبيه عليها دون غيرها وهي مدينة يزد التي تكاد أن تكون في وسط مملكة العجم وبعض الجغرافيين يجعلها في عراق العجم وقال بعض آخرانها بولاية كرمان وهذه المدينة موضوعة بطريق كرمان الموصلة الى اصفهان واكثر اهلها المجوس وهم عبدة النار وهي ذات فريشات السجاجيد واقمشة مشغولة من وبر الابل واهلها

يتجرون في الحرير وقماش القطن وما حولها من الاراضي المتصلة بها محروثة مزروعة ويخرج منها الظرف خنطة بلاد العجم وهذا مصداق المثل السائر عند العجم السعيد من اكل خبز يزد وفواكه اذربيجان وشرب خمر شيراز وكان عنده جارية كورجية

تنبيهات من الجغرافية الطبيعية

والغابات المتقدمة بجبال فارستان والمياه التي تسقي واديها العجيب تجعل هذا الاقليم اعظم من سهول عراق العجم التي هي قحلة رديئة فان جبال فارستان كثيرة البلوط والبتولا والسرو والصنوبر وهو شجر المصطكى ومزينة بهذه الاشجار واما السهول فهي ايضا مزينة بالرمان والداذ والبرتقان والعنب وقد فقدت الخيل بعض جودتها ولكن جنس الغنم ذوات الاذناب الغليظة لا زال باقيا على حاله غير أن هذا الاقليم الظريف به صحارى واسعة جدا وسهول متسعة كثيرة الرمال وكثير من العنصر العقيق * والعنصر التي في نواحي داراب غرد يخرج منها شيء من التولدات

الموم او المومیا

شهير نفيس يسمى الموم وهو نوع من النفط رائق جدا وله رائحة طيبة ويعتني غاية الاعتناء بحفظ غار الجوانب الذي يقطر فيه هذا النفط وفي كل سنة يفتحه حاكم داراب ويأخذ منه مقدارا صغيرا ويبيعه لديوان ملك العجم ويعتقد العجم أن الموم مرهم عجيب به تشفى الجراحات المخوفة حالا

سواحل بحرية

والسواحل البحرية من فارستان ذات مينائين مهمتين يسكنهما مشايخ عرب فالاولى وهي الابعد جنوبا ابوشهر ويسميها القرنساوية بوشر ويسميها الانكليز بوشهر ثم ان السفن التي لا تأخذ من الماء الا اثنى عشر قدما يمكن أن تصل في وقت المد الى البيوت وشيخ ابي شهر يحكم ايضا على جزائر البحرين ولهذا كان له عدة سفن معدة للحرب تسمى قلوبطة وتثنى دائما مدينة شيراز التي اقرب مينا تها مينا ابي شهر أن مشايخ هذه المينا لا تخرج على سلطان العجم اصلا لان ذلك يعود بالضرر عليهم والثانية بندر ريغك وهي حصن ومن تعلقاته التزام عظيم

ابوشهر (١٢٠٠ بيت)

بندر ريغك

قبائل عرب على الساحل

وكثير من العرب المستقلين على سواحل الخليج الفارسي واغلبهم في مادة التعيش مستورون فان اغلب معيشتهم من التجارة البحرية وغوص اللولو وصيد السمك ويقتدون بالتمر والسمك وخبز الذرة وقليل المواشي التي عندهم تقتات ايضا بالاسماك وكل قرية من قراهم لها شيخ مستقل غير تابع لاحد ولا يدفعون للشيخها الا شيأ تافها واسلحة هؤلاء العرب المكحلة ذات الفتيلة والسيف والترس وسائر قواربهم تصير سفن حرب اذا ارادوا القتال واعظم قبائلهم قبيلة الهولة وهم يتكلمون بلغة العرب على اختلاف فروعها وشعبها وجلهم سنية وانهذا تجدهم اعداء للعجم عداوة مؤسسة فلا يتعاهدون معهم اصلا وبيوت هؤلاء العرب حقيرة جدا يستنكف العدو هدمها واذا هدمها يتندم على تعبه ومشقته فيها ولما كان هؤلاء العرب ليس لهم ما يخافون عليه في البر كانوا بمجرد نوتة عساكر العجم منهم تجدهم جميعا سواء كانوا سكان مدن او قرى يركبون سفنهم التي هي صغيرة ويمرون في بعض جزائر من الخليج الفارسي

هولة

لارستان (١٥٠٠ بيت)

واقليم لارستان الذي منه حاشية على البحر تسمى كرماسير يعني بلاد الحر هو في الغالب جزء من ولاية فارستان وقاعدته مدينة لار وهي ذات فبريقات سلاح وقشة حرير وهذا الاقليم وان كان كثير الرمال الا أن ارضه مملوءة بالبرتقان والليمون وشجر النرهندي والمرو يشرب فيه ماء الصهاريج المطرية ويتعهد بتسخينه ليخرج منه دودة معدية لانه لولا هذا التعهد لانتقلت تلك الدودة واقامت بين الجلد واللحم وهي كالشعرة رقة ولا تخرج من الجسد الا اذا ذاق الانسان باخراجها غاية الالم بل ربما خاطر بروحه وليس هذا الامر من خصوصيات هذا الاقليم بل هو منتشر في اكثر سواحل الخليج الفارسي ومدينة بندر عباسي هي مينا بمصاقبة هرمس مشهورة باسم نمرون اكثر من اشتهارها بذلك الاسم وكانت سابقا اشهر مراسي الخليج الفارسي ومستودع جميع التجارات وكان البورتغاليون قد استولوا عليها فساعد الانكليز عباسا الاكبر فطردهم منها سنة ١٦١٤ من الميلاد وتجارتها الزاهرة قد تلاشت الآن بل هجرها الفلمنكيون ايضا وانتقلوا منها الى جزيرة كرك ومستودع تجارة الانكليز الآن في البصرة وبندر كنغ مينا مطروقة يتوارد عليها التجار اكثر من نمرون وهي بين نمرون وابي شهر ونمرون شديدة الحر وكذلك باقي الساحل فاذا لم يحذر الانسان من ذلك وعرض نفسه لاشعة الشمس وقت الظهيرة ربما مات بغتة وينجو في هذا الساحل زراعة قصب السكر وبين سيراف وباتان متسلسل صخور اشبه بمصلات متكسرة او ببروج مهدومة خربة فتراها عالية وسط ربوة يابسة فاحلة

بندر عباسي او نمرون (٥٠٠ بيت)

بندر كنغ (٤٠٠ بيت)

جزائر الخليج الفارسي

وهذا الساحل باسره مخوف بالجزائر وقد ذكرنا انفا جزيرة كرك وتسمى الخرجة وبيوراها الانكليز بطرفة ارض منها وما ثم ورساها ولذلك بنوا فيها مدينة سنة ١٧٦٤ من الميلاد وهي مسدودة بدكات مرجان موضوعة على صخر كالسية والظاهر أن طبيعة هذا الصخر تكون فيما بعد هذه الجزيرة من الجزائر الاجزيرة قيس فانها على مقتضى عبارة ابن الوردي يخرج منها الحديد الجيد واعظم هذه الجزائر اتساعا وخصوبة جزيرة كشميس التي سماها البرتغاليون

كشميس

القرن الحادى عشر من الميلاد باسمى قيسوم وبركت واسم بركت يذكرنا اسم ورقطا عند الاقدمين ولاشئ من هذه الجزائر المتطللة باشجار النارجيل والموزله شهرة كشهرة جزيرة هرمز وسمعة اسمها ولكن هرمز اوهرمس انما هى صخر مغطى بالاحجار الملحية الحمر آ والمبيضة الخالية عن المياه التى تقبلها النفس و يندر بها وجود النبات وقد كانت سابقا ذات تجارات عظيمة فكانت حائزة لاموال جميع التجار المشرقيين ومن منذ سنة ١٦٢٢ من الميلاد هجرت وتنوسيت * والآن سكن بها الانكليز ليختبروا مكسبها لشدة طمعهم فى ذلك

هرمز

كرمان

ثم ان ولاية كرمان التى مدح الاقدمون اعنابها وحنطتها ومعادنها هى الآن شهيرة بظرافة شيلانها المتخذة من وبر الابل وبأغشتها المتخذة من شعر الماعز كالحرير وهو شعر صنف من المعز يشبه معز انجورة وفيها ايضا كثير من العقاقير الطبية ومن الصمغ والموم والتوتيا و يكثر بها الورد وبها جبل قوفز اى القفص وهو مستور بخضرة دائمة ولكن نصف داخل هذه البلاد صحراء واسعة ومدينة كرمان شهيرة بأنوال الشيلان والاقمشة ولكن لا يظهر أن بها

مدن

غير بقات الآنية الصينية واسمها الحقيقى سرجان واما مدن كرماصين وورزغرد و برداشير فليس بها شئ ينبغى التنبيه عليه الا اسماؤها ومدينة خدا اوحدان بها على ما يقوله اليهود مدفن اشير الجيلة والحكيم مردوخس والجزء الساحلى من كرمان ردئ الهواء ويسمى موجستان يعنى بلاد التمر

موجستان

وولاية مكران مجهولة للافرنج فهم لا يعرفون حالة مدنها الراهنة فلا يمكنهم أن يتصدوا لتخطيطها وانما يقال ان مدينة كيه يظهر أنها هى التى كانت فى قديم الزمان تسمى باسم جدروسيا و يقال كدروسيا وهو الاولى وكانت قاعدة اقليم يسمى باسمها وهل هى قاعدة هذا الاقليم الآن كما ادعاه اوطر وفاقا للبغرافى العثمانى وهل هى عين مدينة كيجة التى هى على كلام شرف الدين بندر الاقليم فعلى هذا تكون كيجة على قول الجغرافى العثمانى مدينة قدر مدينة حلب فى العظم والاتساع بل وفى العمار * ومن محالها رأس غوادل وكان على هذا الرأس سابقا مدينة تسمى مدينة غوادل ومن مدنها مدينة تيز ولها مينا لا يطرقها الا قليل من الناس يحمل منها الحرير والقطن والشيلان وهذه المينا تسمى شربار وقبيلتا هور والعرابة يسكان آخر حدود بلاد العجم الآن كما كانتا على عهد اسكندر ومدينة ملان التى كانت تسمى سابقا ملانا هى على قول بعض المؤلفين بندر اقليم صغير منفصل عن مكران وقد ذكرنا فى اثناء هذا الكتاب تخطيطات الاقدمين لاقليم مكران التى تكلموا فيها على باقات الآس والغار المتفرقة فى صحرائه الرملية وسيوله اليابسة صيفا وغابات النخل التى يستر بعضها اساحله وحرارة قطره المحرقة وفاقة اهله الذين يقتاتون فى عدة اماكن بالاسماك وهو اشيهم ثم ان سياحى المتأخرين وجغرافى المشرقيين لم يزيدوا على ما قاله الاقدمون شيأ بالنسبة لهذه البلاد ولا مانع من أن داخل هذا الاقليم به بعض وديان خصيبة طيبة وقبيلة البالوچة المستوحشة المنتشرة ايضا فى بلاد الهند هى هائمة سياحة فى بلاد مكران

هور وعرابة

ملان

بالوچه

التى يسكن بعضها على ما يقال فرس مجوس

واقاليم الشمال الشرقى تستدعى ايضا أن نخطط لها فنقول اولها اقليم سجستان وما يذكر فى شأنه ينسب الى ميثولوجية العجم اى جاهليتهم لا الى الجغرافيا فان الحق أن الافرنج لا يعرفون اسمها معرفة يقينية فانه يعنون عنها اذا بغير الاسم الذى ذكرناه فيقال سدجستان ومستان وساغستان اوساكستينة وهذا الاسم الاخير ذكره ايسيدورس قبل ميلاد عيسى عليه السلام بثلثمائة سنة ثم ان علماء الافرنج المشتغلين باللغات المشرقية ارتبكوا فى اصل هذه الاسماء وما أخذها ولم يحكموا بشئ فى شأن سجستان ولم يجزموا بكون معناه بلاد الكلاب او بلاد الذهب او بلاد السهول وهذا المعنى الاخير مطابق لاخبار بعض السياحين الذين شاهدوا هذا الاقليم ولما كانت ارضه رملية مكشوفة كان معظمها صالحا لزراعة الحنطة واغلبها مشغول بالمراعى وسكان المدن والفلاحون الذين هم من نسل العجم لا تنقطع عداوتهم مع الرعاة ارباب المواشى الذين هم من ذرية الافغان وقد تنزل الرمال وتتوج بهذا الاقليم فتغطى فى بعض الاحيان اراضى واسعة وقرى كاملة والمشهور أن مدينة زرنج من اكبر مدن سجستان وقد بقى لها اسم سرنغة الذى هو اسم قديم مدلوله عين مدلول درنجة وهو قد ماء اهالى هذا الاقليم وهى تصطنع الآنية الصينية الجيدة الصناعة من الاخرى الكبيرة الموضوعة على نهر هندمند هى مدينة درغش وهى تذكر كرامة اريسية او وزريسبه ومدينة بست وكذلك مدينة رخج المسماة ايضا اروخاجة وقد ذكرها ابن حوقل وعلى نهر آفريض فى بحيرة زرة مدينة زرة وهى الآن مجهولة لا يعرف من احوالها الا القليل ولكن كانت فى القرن السابع عشر من الميلاد تتجر تجارة عظيمة فى الحرير

سجستان

اصل الاسم

مدن سجستان

صابلستان

على ما يقتضيه كلام العارف بلغات المشرق الخواجه وهل يكون مدلول اسم سابولستان اوسابلستان اقليما من بلاد العجم يشتمل على كورة اروخاجة وهى اركوريا القديمة وعلى كورة ويهند وقندهار وكورتا الغور وبميان هما الآن من اقاليم بخارى الكبرى وقد ذكرنا آنفا أن ارض اروخاجة على كلام اغلب المتأخرين داخلة فى سجستان ولا يعرف من ارض ويهند الا مجرّد الاسم ويظهر أن هذه الارض ربوة كثيرة الرمال يصب فيها ماء نهر صغير ويغيض فى رمالها واما ارض قندهار فهى نهيرة جدا وهى طريق معتادة لمن يأتى من الهند الى بلاد العجم وقد جعلها الخواجة دنوبل من اراضى العجم ولنخرج على ذلك فى التقسيم ونقطع النظر عن التغييرات البوليتيقية الغير المحققة ومدينة قندهار كانت تسمى سابقا اسكندرية اوبروپاميسوم وهى الآن عظيمة التجارة كثيرة الغلال ومواد المعاش ولاسيما العنب والقاوون العظيم الطعم وارض قندهار التى بها صحارى عظيمة يظهر أنها بلاد افغانستان الاصلية اى ارض الافغان

ارض قندهار

اقليم خراسان
تخطيط طبيعى

ثم ان اقليم خراسان اقليم واسع يستدعى وحده تخطيطا جغرافيا مبسوطا ولكن لنقتصر هنا على ذكر ما يحتاج للتنبيه عليه فنقول ان هذا الاقليم مجاور لبلاد التتار فلهذا كان به اختلاف عظيم فى الحرارة والبرودة وارضه وان كانت فى كثير من المواضع رملية خلة الا انه يخرج منها بكثرة ماهو لازم للمعاش ويخرج منها كثير من النيلة ولعنص ودودة الصباغة وبهذا الاقليم كثير من التركمان وذلك لان به مراعى عظيمة لمواشيهم واعظم مجادات العجم وبسطها مشغولة فى خراسان ويصنع بها السلحة السيوف العظيمة الشهيرة التى تضاهى سيوف دمشق فى قديم الزمان وبجبالها احجار اللعل والفيروزج وشهرة الخيل بهذا الاقليم وجودة جنسها تحملنا على أن نبحث فيه عن ارض تولد جنس الخيل العظيمة المسماة نيسانية الممدوحة فى التواريخ وقد اتفقت كلمة المتقدمين على أن محل الهيپوبوطوس اى الاصطبل العظيم الذى كان به خيول الفرس فى سهول بلاد الرى بحيث اذا ذهبت من اصطخر اومن بابل الى ابواب الخزر مررت بهذه السهول التى بها تلك الاصطبلات وقد جعل ايضا لاقدمون فى الجملة ارض نيسان هى هذه الاصطبلات التى فى بلاد ميديا اى اذربيجان ولكنهم ترددوا فى صحة هذا التفسير ترددا قويا فانا بنينا على هذه الفروض المتقدمة كانت خيل نيسان جنسا منتشرا كثيرا لان الهيپوبوطوس كان له ١٥٠٠٠٠ من اناث الخيل وقيل ٥٠٠٠٠ فقط ولكن اذا نظرنا الى أن كزرسيس ملك العجم كان بموكبه أمام عربة النصرة عشرة خيول نيسانية معدّة لها ومزينة باحسن زينة وأن عربات هذا الملك العظيم يجرّها خيول نيسانية بخلاف اتباعه وحشمه وحفره واهل موكبه حيث لم يعط لهم شئ من هذه الركوبات العظيمة اخذنا من ذلك تبعا لشرط أن هناك فرقا بين خيول الهيپوبوطوس الكبير المعدّة لركوب جميع فرسان الدولة واصطبل الملك المخصوص به الذى هو فى نيسا ولكن لا يعلم هى اى نيسا من الاماكن المسماة بهذا الاسم عند المتقدمين وجوابه أن الاقدمين جعلوا اصطبلات ملك العجم فى بلاد ميديا ولفظ ميديا متسع المعنى على مقتضى عبارة هردوط فيمكن أن يشمل اقليمى هرقانيا وپرثينة فحينئذ لا مانع أن يقال ان نيسا التى على نهر نيجان والتى هى فى محل ما كان فى قديم الزمان يسمى نيسية على نهر الخسوس كانت وطن هذه الخيول النيسانية التى كان يعتنى بالبحث عنها وبركوبها ملوك العجم

الخيول النيسانية

مدينة هراة

ثم ان الحروب الداخلية التى وقعت بين اهل خراسان خربت منذ نصف قرن مدن هذا الاقليم العديدة ثم اخذت فى العمار لكن مع البقاء فمنها مدينة هراة وهى فى سهل واسع الارجاء مسقى بما لا يحصى من الجداول والغدران التى يخترقها مسافة بعد مسافة كثير من القناطر والقرى والنباتات وهذا الاقليم يترقرق به نظر المسافر الذى كل بصره من رؤية صحارى افغانستان المتحدة الصورة والشكل ثم ان مدينة هراة وان كانت دون قندهار فى الاتساع الا أن تجارتها اوسع دائرة من تجارة قندهار واموز المعاش بها كثيرة رخيصة ويأتى اليها بضائع افرنجية بواسطة الخليج الفارسى ولكن ما فيها من الجوخ الغليظ يصنع فى الاراضى المجاورة لها وقد مكثت هراة دار ولاية خراسان مدة من الزمان الى أن ظهر اول ملوك دولة العجم المسماة الصوفية فجعل دار المملكة مدينة لشمال الشرق وهى مدينة مشهد التى فيها مدفن موزا احد كبار ائمة الفرس الاثنى عشر ويزعم الفرس أنهم من نسل موزا ومن مدن خراسان ايضا مدينة نيسابور وهى مدينة عظيمة ومنها ايضا مدينة كلات وهى منشأ نادرشاه الشهير ومنها نسا وهى شهيرة بكثرة الخيل والعيون وبها مقابر الاولياء والصلحاء ومنها مدينة روهى وهى مقتر امير يسمى كلش خان شيخ ١٢٠٠٠ خلف من الانخفاض الرحالة التركمانية وبين نيسابور وهراة مرو الشاهجان ومرو ارذو وهما فى واد خصب كان يسمى مرجيانا ينتهى بصحراء التتار

مدينة مشهد (٤٠٠٠ بيت)
نيسابور (٢٠٠٠ بيت)
روهى (٢٠٠٠ بيت)

واقليم

داهستان

واقليم داهستان وهو ارض رامة كانت تسمى الداهية واقليم جرجان الذى هو اقليم مدينة هرقانيا القديمة هما حدّ خراسان من جهة الغرب ويخرج بارنسهما نظير ما يخرج بارض خراسان

قوموس وكوهستان

ويجب علينا فى تكميل تخطيط بلاد عجمستان أن نسرد كورتى قوميس اوقوموس وكوهستان فنقول هما اقليمان صغيران فكورة قوموس بجوار مازندران والعراق العجمى وهى تحتوى على مدينة دمغان وبهذا الاقليم عين يخرج منها فى بعض الاحيان ريح شديدة تنقل الناس والحيوانات وترفعها الى العلى وتستأصل الاشجار وتسمى هذه العين بادخانة اى بيت الريح وتسمى ايضا چشمهٔ باد اى عين الريح واما اقليم كوهستان فانما هو صحراء وا ظاهر أنه ذروة الربوة الوسطى ببلاد العجم ومدينة طبه وتسمى طاباس هى مدينة عظيمة ثم ان بعض الجغرافيين يجعل كوهستان من اقليم عراق العجم وبعض آخر يقول انها من بلاد خراسان وجعلها حمد الله الجغرافى العجمى اقليما على حدته وقال انه يمتد الى بلاد الغور

طبه (١٥٠٠ بيت)

المقالة الخامسة والخمسون من تخطيط آسيا في اخر تخطيط بجمستان

نبذة ادبية سياسية

قد ذكرنا فيما سبق اخبارا اجمالية تتعلق بيولينيقة العجم في عهدنا هذا والان يجب علينا أن نبحث عن هذه الامة التي خططنا وطنها ولكن ينبغي لنا أن نعترف بان هذه المادة يظهر بها من الخفاء بقدر ما اشتملت عليه من النفع (يعني ان خفاءها عظيم وفائدتها كذلك)

ايران وتوران اى العجم والتتار

اعلم ان الاقدمين كانوا يفرقون بين العجم جميعا وجميع الاسقوثية وهم قدماء التتار وكذلك مؤلفوا المشارقة يفرقون ايضا توران وهو اقليم اسقوثية اسيا من ايران او ايران وهو بلاد العجم "وايران مكتوب على مباني اصطخر اريانة وهو عين اسم اريانة الذي كان معروفا لليونان غير أن بطليموس وايراطثينس لم يطلقا اريانة الا على بلاد العجم الشرقية والظاهر أن ايران اوارياتة بعد أن كان عاما لجميع بلاد العجم خصص بالدلالة على هذا الجزء وهو العجم الشرقية وذلك لان العجم والاذربيجانية لما صاروا فاتحين للممالك سموا بلادهم باسماء خاصة لتتشرف باسمائهم ولكن يظهر من كلام هردوط عموم لفظ ايران اوارياتة حيث قال ان اهل ميديا كانوا سابقا يسمون اريا واسم ايران لم يجر اصلا ببلاد المشرق فان الجغرافي الارمني المسمى موسى الخورينى المولود بهذه البلاد عبر في جغرافيته بلفظ آريا اوارياتا واراد به جميع مملكة العجم في القرن الرابع من الميلاد

ثم ان اسقوثية اسيا كانوا اعداء للفرس على الدوام لا يزول ما بينهم من الحقد في وقت من الاوقات فلا يتوهم انهم طائفة واحدة اصلا حتى ان العجم كانوا يسمون الايسقوثية باسم سك ومعناه باللغة الفارسية كلب وكلام بعض المؤلفين الذين لا يوثق بهم يظهر منه أن الاسقوثية كانوا اسموا في قديم الزمان المجهول الحال الخرافي الاقوال والافعال دولة عظيمة ومملكة كبيرة محتوية على بلاد العجم وجميع بلاد اسيا الغربية ولكن اذا سلم أن هذه المملكة سبق لها وجود فانه لم يبق منها اثر ولم يدل التاريخ الاعلى غارة للاسقوثية حصلت قبل ميلاد عيسى عليه السلام بستمائة واربع وعشرين سنة ولا مانع من أن القبائل الرحالة النازلة من قدماء الفرس كقبائل القوسية والاوسيه والمردة وغيرهم من القبائل الرعاة كانوا بقايا من قبائل الاسقوثية الذين طردوا الى الجبال فاستمروا على تخريب السهول المزروعة بصيالهم وقطعهم للطرقات

غارة الاسقوثية

البرثة

ثم ان امة البرثة التي ارجعت بعد اسكندر بمائتي سنة لبلاد الفرس حرثتها واستقلالها بحكمها حتى صار لها بذلك الفخار العظيم كانت اسقوثية او ساقة على ما يقتضيه كلام بعض المؤلفين الذين هم من خيار الامور في الوثوق بهم واما هردوط وغيره من المؤلفين ارباب الاقوال الراجحة والاراء الناجحة فقد ذكروا البرثة على انهم سكان اقليم من بلاد العجم الشرقية ولا دلالة من احوالهم واطوارهم وعاداتهم ولا من اسمائهم ولوكهم على أن اصلهم اسقوثي

فقد تبين من هذا كله والظاهر انه الى زمن فتوح بلاد ايران او العجم بالاسلام وتغييرا حوالها بما ادخلته فيها شريعة خير الانام كانت تلك البلاد في الواقع عامرة بجنس واحد متأصل فيها متولد بارضها وهذا الجنس تشعب عنه عدة امم تتكلم بلسان واحد وان اختلفت لغات هذا اللسان

لغات قديمة

ولو ابقى الدهر وارباب التخريب آثارا كاملة كبعض كتب يوثق بها يوثوقا تاما لا يمكن مناقضتها القابلة بين لغات العجم الاصلية ولكانت نتيجة هذه المقابلة تؤيد هذه الدلائل التاريخية الواقعية وتبينها وتزيدها وضوحا واندكرهنا ما امكن لارباب المباحثات جمعه فنقول ان اقدم لغات العجم لغة زند وهو لسان كتب دين الفرس المسماة زنداوستا وهذه الكتب وان كانت مجزءة عما يوثق به يوثوقا كافيا فهي مشتملة على اخبار قديمة جدا بل الظاهر ايضا أن بها عبارات ونبذا قديمة سابقة على ما يدعى من افساد كتب الفرس المنسوخة واضاعتها المنسوب ذلك الى اسكندر الاكبر ويأبى فهم من له ذوق سليم وطبع مستقيم أن يرى أن هذه اللغة القديمة انما هي لغة شاذة جديدة ابتدعها المجوس المتأخرون من عند انفسهم ولكن من يعتقد اقدميتها وانها لسان كتب وامم قديمة يصعب عليه أن يعين الاماكن التي كانت تستعمل فيها فمن كان من المؤلفين يعتقد اقدمية كتب الزنداوستا وصحتها جعل مقرها مختلفا بين بخارى التي هي ابعد نهاية جهة الشرق واذربيجان وهي اقصى نهاية جهة الغرب فيقول انه كان لا يخرج التكلم بها واستعمالها عن الاراضي التي بين هذين الاقليمين ولا مانع أنها كانت لغة مقدسة عند المجوس ليست الا في كتبهم فقط كالفتح للسنسقريط

الزند زنداوستا

البهلوية

عند علماء دين الهنود ويؤيد هذا أن بين لغة الزند والسنسقريط كثيرا من الاصول المشتركة واما لغة البهلوية او البهلوانية اى لغة المقاتلين والشجعان فالظاهر أنها كانت مستعملة في العراق العجمي وفي ميديا الكبرى وعند البرثة وادعى بعضهم أن هذه اللغة كانوا لا يستعملون غيرها في ديوان الملوك الذين هم من نسل قيروس وعند امة

البرثة وبها كثير من الالفاظ الكلدانية والسريانية وهذا لا يوجب اصلا أنها لغة من لسان الكلدانيين خلافا للمؤلف وليفس جونس فانه توهم ذلك ولغة البهلوانية على قول بعض المؤلفين لازالت الى الان تستعمل عند بعض قبائل في شمال العجم لا سيما قبيلة بتدار في اقليم شروان وقال الجغرافي العثماني ان هذه اللغة مستعملة ايضا في جزء من اقليم فارستان ثم ان كتب المجوس الدينية ترجمت من لغة الزند الى لغة البهلوية وبلغة البهلوية ايضا كتابات منقوشة من زمن ملوك الساسانية ولكن ملوك الساسانية رفضوا على التدريج من سنة ٢١١ من الميلاد الى سنة ٦٣٢ من الميلاد لغة البهلوية فذهبوا الى جبال البرثية وادخلوا في بلاد العجم بامر ملوكي وقوانين صريحة اللغة الفارسية يعني لغة اقليم فارستان الذي هو اقليم العجم الحقيقية وهذه اللغة اسهل من لغة البهلوية كما أن لغة البهلوية اسهل من الزند والظاهر أنها استعملت قبل ذلك في دولة العجم مدة طويلة ولا يوجد بغير هذه اللغة من لغات العجم تفسير غالب الاسماء الفارسية المعروفة لليونان والرومانيين ولما فتحت بلاد العجم بالاسلام في القرن السابع من الميلاد بطل اللسان الفارسي من ديوان ملوك العجم ونقد بهجته ورونقه وفي سنة ٩٧٧ في زمن الديلمية لما ارادوا أن يعيدوا لهذا اللسان قوته القديمة واستعماله وجدوه قد تغير حاله واختلط بكثير من الكلمات العربية الدخيلة ولكن الشعراء العظام وارباب الخطابات وانشاء الكلام انتخبوا منه لغة كثيرة الالفاظ والكلمات عذبة الاصوات والنغمات وسموها باللغة الفارسية الجديدة واللغة الفارسية القديمة المستعملة عند المجوس انما بقيت على ممر الايام ولم يعرض لها الانعدام بسبب تاريخ شاه نامة الفردوسي وبكتاب احوال سياسة الهندسة المسمى عين الاخبار المؤلف سنة ١٦٠٠ من الميلاد وذلك لان اللسان الفارسي الحقيقي كلما ضعف في بلاد العجم التي تولد فيها زاد حسنا في ديوان سلطان المغول الاكبر والآن قد هجر الفارسي الجديد في شمال بلاد العجم بل وفي تهران دار المملكة وقامت مقامه اللغة التركية التي هي لغة خشنية فلسان الفارسي الجديد لا يلقب بلقب الدري يعني لغة ديوان الملك الا مجازا كما لقبه الفردوسي بهذا اللقب في عبارة نصها

لغة فارسية

اللغة الفارسية الجديدة

وكان اللسان الفارسي منقسما الى سبع لغات مختلفة اربعة منها وهي السوكية والهروية والسجستية والسوالية قد هجرت الآن فلا يتعلق بها احد ولم تقو اصلا واما الثلاثة الاخرى فليست كذلك وهي الفارسية والدرية والبهلوية فاللسان الفارسي شهير بعذوبته ولينه وهو مستعمل اصالة في اقليم اصطخر والدري مأخوذ من الفارسي القديم وهو شهير بظرافته ولطف عبارته ويتكلم به في مدن بالولومر والشاه جان وبخارى وزاد بعضهم مدينة باذقصان انتهت ترجمة عبارته فمن هذه اللغات لغة الهروي بفتح الهاء او كسرها مع ضم الراء لمن فتح وتسكينها لمن كسر كانت مستعملة سابقا في خراسان ومنها السكزي والسجستي وكان مستعملا في سجستان والسوالي او الزابولي وكان مستعملا في زابولستان ومنهم من زاد ايضا لغة صغد ولغة الخوزية وغير ذلك ولغة الاكراد لغة فارسية مشوبة بشيء من اللغة الكلدانية كاللغة البهلوية

اللغات الفارسية

ولنذكر هنا مادة غريبة تبدو من اللسان الفارسي القديم والجديد للجغرافيا التاريخية فنقول ان اللسان الفارسي في جميع لغاته وفي سائر الازمنة وجد به كثير من الكلمات الجرمانية اي الغماوية القديمة بل ووجد به ايضا كثير من التصريف والتركيب الالماني اي الجرماني وبه ايضا كلمات دانيمرقية واسلندية وانكليزية ليست بجرمانية بل غوطية محضة واغرب من هذا كله أن اللسان الفارسي في اشعاره يتبع في الغالب قواعد علم الشعر الاسلندي التي هي غريبة جعلية غير مبنية على امور عقلية وليس هذا التقارب قويا جدا ولا كاملا كما ذكره ليبنتز ونقل عباراته كثير من المؤلفين الذين يجمعون العبارات وينقلونها بمرتها ومع ذلك فالشبه بين لغة الفرس والاسلندية قريب قريبا بحيث يمكن للاسلندي اذا انتقل الى شيراز أن يتعجب غاية العجب حيث يرى أن الاسماء القديمة الفارسية والاسكندناوية يفسر بعضها بعضا فتفسر كلمات الاولى بكلمات الثانية وبالعكس مثلا مدينة باسرغادة التي اسمها معناه معسكر محصن من معسكرات العجم لو اريد أن يوضع لمدلولها اسم اسلندي لقيل برساغرد والظاهر أن اليونان اخذوا لفظ باسرغادة من العجم وسموا به هذه المدينة

ارتباط اللسان الفارسي بالجرماني والغوثي او الغوطي

ثم ان ارباب الاجتهادات والفروض والتقديرات والمذاهب والمباحثات بنوا على هذه المشابهة واستنتجوا من ذلك نتائج مبنية على الصدفة والاتفاق فقال بعضهم ان امة الغوطية الجرمانية هي نزلة فارسية نزلت ببلاد الجرمانية وقال آخرون ان ولاية كرمان هي بلاد الجرمانية في قديم الزمان وبعض المؤلفين الجامعين لكلام غيرهم توغلوا في هذا الشان وارتكبوا الجرأة في الركض في هذا الميدان حيث جددوا بعض الايقوسيين الخطأ القديم الذي كان بطل وهو خلط الايسقوثية والجيتة والغوطة وتجاري ايضا فريم من بلاد العجم الى ايقوسيا ببلاد الانكليز طريتا وهمية

النتائج التي اخذت من هذا النسب

لام تخيلية لا وجود لها واخترع مواد مختلفة واصولا منبائية وهذه الهوسيات تزول بالكلية كانها اضغاث احلام اذا تذكرنا أن مشابهة اللسان الفارسي للغوطي ليست اقوى من المشابهة التي بين هذا اللسان بعينه ولسان السنسقريط الهندي وغيره من لغات هندستان وايضا يظهر أن اللسان الهندي السنسقري بينه وبين اللغة اليونانية واللاطينية نظير هذا الشبه وقد استقرى بعض المتأخرين لسان الصقالبة القديم الذي قربه من لغة الفرس معلوم قبل ذلك فرأى أن هذا اللسان بينه وبين لسان الالمان والاسلندية مناسبة اشد مما بينه وبين لسان الصقالبة المتأخرين فحينئذ هذه اللغات كلها يشابه بعضها بعضا فليست احداها اصلا للاخرى واما الهابل كلها اصل مشترك مجهول فهل تم اناس من جنس واحد اهلوا هذه البلاد كلها في زمن سابق على كتابة التاريخ وأنه كان ثم تواصل ومخالطة نشرت في هذه البلاد جميع مواد التمدن المتحدة وادخلت الاصوات تحت ضوابط وقواعد يشابه بعضها بعضا فالحق أنه لا يعلم في هذا الشان حقيقة الحال وانما المحقق أن كلتا هاتين الامتين ليس لها حق على الاخرى يقتضي أنها اصل لها والاخرى فرع عنها

تركيب ابدان العجم

وتقويم ابدان العجم يجعل بينهم وبين الشوام والعرب واليهود قربا وذلك لان دم اجسادهم لطيف الاان ألوانها ضاربة الى الصفرة ولو في الاقاليم الجنوبية وفي اقليم فارستان وكرمان تجد ابدان العجم مائلة الى اللون الزيتون لاسيما في الرجال بل يظهر ايضا أن في الاقاليم المجاورة للهند يكون لون الرجال السمرة وهم سود الشعور جبينهم مرتفع وبانوفهم قنى وخدودهم ممتلئات وذقونهم عريضة وتقاطيع وجوههم في الاغلب على شكل البيضة والاعيان والاغنياء يتميزون عن غيرهم غالبا بجعم ابدانهم اي بمقدارها وذات الجمال من النساء لابد أن تكون ربعة لا بالطويلة ولا بالقصيرة طويلة الشعور السود واسعة الاعين مقوسة الحواجب طويلة الاهداب ذات لون طريف وبياض مشرب بحمرة صغيرة الانف ضيقة الفم محصورة الذقن بيضاء الاسنان طويلة الجيد بارزة النهدين صغيرة اليدين والرجلين نحيفة الخصر ثقيلة الردف ناعمة الجسد ورجال العجم في الغالب اقوياء شداد يصلحون للرياضات العسكرية ولكن بيوسة ابدانهم وحرارتها وامتلاؤها باجزاء صلبية تجعلهم عرضة لوجع الاعين وهم يلبسون على رؤوسهم المحلوقة

ملابس

طرابيش طوالا حمراء وشكل العمامة وزينتها يختلفان باختلاف المناصب والوظائف والغنى وهوى النفس فعمائم الكبار والامراء عليها ريش وجلنك مغروس فيها واللؤلؤ والماس وعلى رأس الملك تاج في صورة الشمس اوكرة الارض والعلماء محترمة عند العجم يتعهدونها بالتنظيف غاية الامكان وفي الغالب يلبسون ثلاثة اوار بعة ثياب بعضها فوق بعض ويتحزمون عليها بحزام والفلاحون لا يلبسون الا ثوبا واحدا والغالب انه مربع الشكل وهذه الثياب يختلف طولها وعرضها باختلاف الاقاليم * والنساء يغطين رؤسهن بخرق قماش من الحرير المختلف اللون وثياب النساء الراقصات اقصر من ثياب الرجال واما نساء الاكابر فثيابهن تصل الى باطن القدم ولما كانت هذه الملابس واسعة وخفيفة كان يتراءى على وجه من يلبسها الديانة والصلاح او الخفر والدلال الظريف والتبرقع في المدن امر لازم للنساء وعادتهن في بلاد الشرق الاسلامية لبس السراويل المسماة الشنتيانات فلهذا احتاج العجم أن يلبسن نساءهن شنتيانات واسعة جدا متكلكة من القطن والزينة في الثياب نقصت من منذ القرن الاخيرة

حالة معيشة العجم

وعادة العجم انهم يأكلون مرتين او ثلاثا في اليوم يتغدون في نحو الظهر واحسن اكلهم هو ما يؤكل في العشاء والاغنياء يألفون اكل الارز المفلفل المسمى بلاو ويطبخون منه اصنافا والحنطة هي القوت المعتاد عند الناس والقاوون والفواكه والمربة امرها عظيم في ولائمهم واغلب اكابر البلاد يشربون النبيذ وان كانوا يعلمون حرمته ويعتقدونها ولكن احاد الناس لا يتعاطون ذلك ولا يسكرون ومدة الاكل عندهم لا تزيد ابدا على ساعة لانهم ارباب سكوت وآداب للطعام ويمدح عند العجم النظافة في البدن والملبس والمسكن ولكن اخلاط الناس ارباب وساخة ويحتمي العجم اولادهم المذكور والخان لهم هو الجرايحية ولا يحفضون بناتهم ولكن العرب تفعل ذلك وازواج يحصل بتوسط الوكلاء وصداق المرأة عندهم جهازها لا غير وتذهب العروس عند زوجها ليلا بمحمل عظيم تزف فيه على نور المصابيح ونغمات الآلات وتعدد الزوجات واقع عندهم كغيرهم من باقي تلك النواحي الا أن الزوجة الاولى لها خصوصيات ويتنافس العجم في زينة الجنائز والاموات فالاغنياء تبنى لهم قبور عالية طريفة من خرفة كقبور الائمة الاثني عشر الذين يعتقد العجم انهم خلفاء النبي عليه الصلاة والسلام بالاستحقاق

رفاهية قديمة وجديدة

ورفاهية العجم الآن لها بعض شبه برفاهية العجم الاقدمين وذلك أن عندهم حدائق عظيمة وبساتين جليلة منعزلة وحدها تتنزه فيها نساء الاكابر لان غيرة ازواجهن عليهن تحجبهن دائما عن اعين الاجانب وحريمات الاكابر معمورة بالسراري الجميلات وعادة هذه الجواري أن يتغالين في الزينة الباطلة حتى يؤول الامر الى فساد اموال سيدهن

وذهابها

وذهابها ماشيا منثورا وعادة الرجال الميل والتولع بالتزين من المعادن الثمينة والجواهر مع أن هذا يوجب الاربخاء والتكسر كالنساء بل لم تزل عندهم بقية جاهلية وهي صبغ الحواجب واللحا بالسواد ثم انه قد وصل الى بلاد الافرنج امور نافعة من آداب قدماء العجم كاتخاذ الشمسيات والكراسي المنقولة والسجاجيد الصغيرة التي تفرش تحت الكراسي لوضع الارجل عليها وغير ذلك من عادات الرفاهية والراحة وقد كانت عادة ملوك العجم وامرائهم ان يأكلوا على صوت المغاني والآلات ورقص الراقصات اللاتي كن يسمين عند اليونان موسورجة وعند الفرنساوية بيادرة وكل ما قاله في شأن ذلك سوبداس واثينة يليق بمتأخري العجم وينطبق عليهم ويناسب احوالهم حتى ان من سمع ذلك يظن انه منقول في كتاب شردين ومن جملة الاشياء الباقية عندهم من العوايد القديمة موسم كاروزة اي نشر الازهار وذلك لان جمالة القطر وكثرة لزوع جعلت هذا الموسم مؤيدا ومن نخار العجم الذي هو في الحقيقة من اكبر المذام كونهم على قول القدماء اول من ابتدع خصي الآدميين ليجعلوا حريمهم حراسا جبابرة ليس في قلوبهم رأفة ولا رحمة وذلك لان من المحقق ان اغوات الحريم الخصي كانوا في سراية ملوك اصطخر اكثر عددا وشوكة من ديوان ملوك العجم المتأخرين سواء في اصفهان اوتهران وقد مدح افلاطون الحكيم ما كان عند قدماء العجم من تربية اولاد ملوكهم تحت ايدي أناس مقاطيع بعض الاعضاء وقد بقيت هذه العادة عند العجم المتأخرين (لعل مراده اعضاء التناسل) ومن احكامهم القديمة عدة انواع من العقوبات الخشنية الجبرية لم تزل باقية الى الآن وذلك انهم كانوا يسلخون عصاة امر الدولة بالحياة ويقطعون بدن العاصي نصفين ويفقأون اعين من يخشون منه فتنة في الدولة واما قطع الآذان والانوف والايدي فهو من مسرات ملوك المتقدمين والمتأخرين من العجم وعادة العجم قديما وحديثا أن الانسان اذا جلد منهم بامر شاه العجم يأتي عند الملك ويجلس على ركبتيه ويثني على الملك خيرا ويحمده على جميل صنعه حيث انه تذكره والقى البال منه وخطر في خاطره وذلك لان الاذلال والاهانة والاستعباد القبيح لا يغضب اعيان العجم اصلا سواء في قديم الزمان وحديثه ولا عجب فان من عوايدهم الآن أن ملازم ابواب الملوك والامراء يسمى كلب سيده وفي قديم الزمان كان ولاة الاقاليم والباشات على عهد ملوك البرنة تنام تحت مائدة الملوك ويتلقون مع غاية الاحترام والتعظيم ما يفضل من الطعام ويرمى لهم وكان ملوك العجم يظنون انهم ليسوا من البشر اصلا حيث ان رعاياهم كانوا يحيونهم بالسجود ويلقبونهم باخي الشمس والقمر فكانوا يقبون مثل ملوك الدولة الصوفية المتأخرين في بيوتهم مستوحشين لا يدنو منهم انسان وانما كانوا دائما بين النساء والخصي وجميع رعاياهم من غير استثنا سواء كانوا اكابر او اصاغر يلقبون عبيدا وبالجملة فجميع ما يشاهد الآن في تلك المملكة من قبيح الظلم والاستعباد يوافق بالكلية ما ذكره المؤرخون في شان قدماء ملوك العجم لان الطبائع وانواع الظلم متوارثة عندهم توارثا فاحشا فلم يبق الخلف منهم ولم يذروا من اوصاف سلفهم شيأ الا ورثوه عنهم

وقد اشتهر عند كثير أن العجم هم فرنساوية آسيا وذلك لان اهل شيراز لهم شبه باهل باريس في قوة مشيهم مع الخفة وسرعة دوران لسانهم وفصاحتهم في المخاطبات كالتحيات والتسليمات وتفننهم في التعبيرات وفي كونهم يسرعون بانقل ما يقال لهم من انواع التبسط والتعظيم وشدة تدقيقهم في الملبس والزينة والغالب على العجم الذكاء والدقة بل حدة عقلهم شديدة مجاوزة للحد ثم ان المؤلف شردين وهو احسن مؤلفي نوادرهم وافق على انهم ارباب غش ومحبة لانفسهم يتهمكون على اظهار ما عندهم من البضاعة ولا يظلمون في شغل عام ولا يجتمعون في عمل ولا يحكمونه غاية الاحكام ولا يكتسبون الظهور بين امم الامام وليس لديهم الا تمكنا باطلا وتلطفا عاطلا وكرمهم غير خالص من الرياء والحرص والطمع حيث يصلهم في نظيره هدايا ويتراءى منهم أنهم يعتقدون في انفسهم انهم احكم جميع الامم وافطنهم ومع ذلك فهم دائما يخوضون في بحار الفتن والجور وتراهم ارباب لين جانب واصحاب مروة وانسانية زمن الصلح يخلافهم في وقت الفتن وحروب بعضهم مع بعض فيظهر أنه قد تغير دمهم وفارا عتهم الحماقة وصاروا من الاشرار وتجد الغالب منهم والمغلوب والسالب والمسلوب والغني والفقير والعظيم والحقير لا تنفك عنه البشاشة والبشر ولا يغيب فكره ولا يختل امره فتجد الانسان منهم يعقب شدة غضبه وتشاجره فرح بليغ ومسرة متجاوزة الحد

ومع انهم اسلام فليس فيهم الغيرة الاسلامية والحمية المحمدية الموجودة في غيرهم فان دينهم قد رق وايمانهم انمحق ولما كانوا شيعة من اصحاب علي كانوا يبغضون العثمانية الذين يميلون الى عمر كما يبغضون ايضا غيرهم من امم الاسلام المخالفين لمذهبهم البدعي ففي موسم مولد سيدنا الحسين ابن الامام علي رضي الله عنهما تسمع في طرق شيراز لعن السادة العثمنية والظاهر أن هذا المجرد المعاسرة السياسية بين مملكتي العجم والعثمانية والا فهذه العداوة لا تشمل باقي الاديان فليس في غير بلاد العجم تطريكرم فيه نصارى الافرنج احسن من بلاد العجم واما اليهود والارمن فهم بها مهانون

راقصات

الطواشيه

عقوبات خشنية

عوايد دنيئة

القاب الفخار

اوصاف ذميمه

دين

ولكن اقل من غيرهما من البلاد وكان العجم سابقا يتبعون المجوس بالاذى ومن منذ مدة طويلة تركوا ذلك بل الملك الموجود فى زمن تأليف هذا الكتاب يرخص فى بلاده اظهار عدة مذاهب اسلامية رغما عن انف علماء العجم فيرخص مثلا لطائفة الاسماعيلية التى يقيم كبير طائفتها فى مدينة قم فى اقليم عراق العجم فعلماء العجم يتجرعون هذه المصيبة وقد نزل بهم ايضا قبل ذلك فى مملكة نادرشاه الشهير نازلة اخرى اصعب من هذه وذلك أن هذا الفاتح كان صاحب سياسة مكينة * وبولتيقية متينة * ولكن كان جبارا عنيدا * وشيطانا مريدا * فاضمر فى نفسه ان يجمع جميع فرق الاسلام فاحضر بين يديه كل ملا وامام * والامام معروف والملا عند العجم العالم بالعلوم الشرعية لاسيما علم الكلام * وسألهم ماذا يصنعون بما يصلهم من الوظائف والرواتب * فاجابوه تنفقها فى الخير والدعاء للدولة بدوام نجاحها فى كل جانب * ومنها ما هو للتعليم والتعلم * والتفهيم والتفهم * فقال لهم هذا الملك الظالم المهول * ان حالها منذ خمسين سنة يدل على عدم القبول * واما المكاتب والمدارس فانا اتكفل بها واوفى بلوازمها فلا يكن احد يخالف عليها وحيث ان جندى هو الذى يحمى الدين والمملكة * ففى الحقيقة هو الملا والامام المنقذ المهيج من المهلكة * وامر أن تضبط اموال هؤلاء العلماء لبيت المال * وأن تكون لمصرف العساكر فى الحال والمآل

طائفة الزايبة

وينبغى ان ننبه هنا فى عبارة مختصرة على أن فى بلاد خوزستان فرقة خوارج تنسب انفسها للاسلام وامرها غريب وحالها عجيب تسمى الزايبة واخطأ من سماها صابئة وخلطها بالصابئين عبدة النجوم ووهم ايضا من قال انها من اهل سبأ باليمن المسماة عند اليونان السابية نعم وان كان لها اتباع فى البصرة والاحساء الا انه لا علقة بينها وبين سبأ اليمن ولا الصابئة وانما ابتدعها فى القرن التاسع من الميلاد خارجى يقال له نصايرى وكتب عبادته مؤلفة بعبارة لغة من اللسان السريانى فى شبيهة بلغة اهل بلاد الجليلة القديمة وبهذا تعرف البلاد التى تولد فيها ابتداع هذا المذهب ولما كانت فرقة الزايبة تتبرك بالصليب وتعمل شيأ كعمودية النصارى ويسمون انفسهم اصحاب يوحنس توهم الناس أنهم فرقة تشعبت عن دين النصرانية ببلاد الجليلة التى هى اقليم صفد ولكن الظاهر أن هذا المذهب مناقض بما يبطله وذلك لان قواعده تقرب من قواعد الاسماعيلية ويشوبها شئ من عقائد المجوس ومعنى يوحنس على ما قاله بعض علماء اللغات المشرقية النور ولا علاقة بينه وبين اسم سانت يوحنا فى الهند ولا مانع أن هذا بقية من الخرافة الكلدانية المتعلقة بنبى يسمى وانس او هو خلق من خلول الرجال وهذا من اثر اتباع هذا النبى ثمان الزايبة يتقربون بذبح الدجاج والغنم وزواجهم محجوب بكثير من الاحتفالات والاجتماعات المتعلقة ببقاء البكارة

حالة العلوم والفنون

ولنعد لتخطيط العجم فنقول ان العلوم والفنون كانت فى زمن دولة صوفية العجم ذات بهجة ورونق اعظم من جميع ولايات بلاد اسيا باسرها بعد زمن الخلفاء العباسية فانظر الى قصائد الفردوسى والسعدى وحافظ فانها ترجمت الى لسان الافرنج واعجبت اهل اوروبا وذلك لان ما اشتملت عليه من التخيل الحماسى * اليانع الزهور * لا تشم منه الا رائحة الورد والمنثور * ولا يسمع من الفاظها الا تغريد الهزار والشحرور * ولا يشاهد بها الانسان الا فى عالم السحر الحلال والولدان والحور * ولكن تجد المعانى كفارغ بندق * والبواعث النفسانية قل أن تصدق * وقد بقى بعض اشياء هينة تحتاج للتوضيح وهى أن ملك الفرس الموجود فى عهدنا هذا يحاول دائما أن يقوى ويشيع لغة العرب والترك والفرس وعلوم البلاغة وعلم العروض والعلوم الشرعية والطب والنجوم فتجد هذه العلوم تدرس فى عدة مدارس ولولا أن الدولة العثمانية كالحاجز بين المعارف الاوربية * وانقرائح الفارسية * تمنع من وصول هذه المعارف * الى الاذهان ذات اللطائف * لما بقيت امة العجم فى العلوم والمعارف على هذا الحال * بل كانت تنقل الى الكمال فى جميع الفنون بعد الاضمحلال * وحالة العجم الآن اكرام ارباب المعرفة وهم الذين يحظون بالمناصب المهمة بخلاف بلاد العثمانية فان الحلاق بها والحجام * قد يتولى شيخ الاسلام * وقد يتقلد العتل العتال الوزارة * ويبلغ الحمال درجة الامارة * وليس من باب الواجب والشرط * فى ارتقاء المناصب عند الاتراك معرفة القراءة والخط

صنايع وتجارات الصينى

وذكا العجم قد تدرب على الصناعات فقد ذكر شردين على وجه مبسوط خلاصة فبريقات العجم وتجاراتهم فى القرن السابع عشر من الميلاد فقد وصلوا الى درجة كمال بالنسبة للتطريز على القماش والحرير والجلد وآنية الفخار العجمى تصنع فى جميع بلاد العجم ولكن الجيد منها يأتى من مدن شيراز ومشهد ويزد وكان فخار زرنج يساوى آنية الصين فى الدقة والصفاء والشفافية وكانوا يشتغلون منه آنية جيدة تقاوم حر النار لان مادته كانت صلبة جدا بحيث كان يصنع منه اهونة صلبة يحق فيها عدة جواهر مختلفة والصينى الذى يصطنع الآن فى كرمان الشهير بخفته مشهور ايضا لغرض آخر * قال بلنياس ان الآنية المرهينية كان يحمل بعضها من هذا الاقليم الذى كان يسمى سابقا

الساغرى والسختيان

كرمانيا ولعل الآنية المرهينية انما كانت نوعا من الصيني المصنوع بطرق نسيت الآن وضاعت وفبريقات الجلود والساغرى والسختيان كانت ببلاد العجم من زمن ملوك البرثة بل ربما كانت من زمن الملك قوروس وقد بقيت موجودة حين سفر شردين ولم تزل الى الآن ايضا زاهية زاهرة والعجم يحسنون شغل النحاس ويتخذون قصدير جزيرة سومطرا لتبييض اوانى الاطبخة وكانت القسى الفارسية اعظم الاقواس ببلاد الشرق قال شردين ولا يمكن لارباب صناعة الاسلحة ببلاد اوروبا أن يقلدوا السيوف العجمية المصطنعة من الحديد والبولاد على ملوال السيوف الدمشقية القديمة المسماة طابانات والموسى عندهم ايضا جيد الصناعة وكذلك باقى ادوات البولاد كانت مرغوبة فانه كان يمكن أن يقطع بمواسهم فى الجواهر وكان فيه صلاحية عظيمة لتحتها وتزويقها زواقا عظيما نيرا متينا لا يمحى ولكن فبريقاتهم التى يصطنع فيها الزجاج لم تكن كبيرة وأما القشتهم القطنية والصوفية من شعر المعز وو بر الابل وحريرهم وقماشهم المخيش والمشجر فان هذه كلها بلغت درجة عالية فى الجودة والسجاجيد العظيمة كانت تحمل من اقليم سجستان وذكر شردين انه فى زمنه كانت هذه السجاجيد تسمى سجاجيد الترك وذلك لانها كانت تأتى الى اوروبا من بلاد العثمانية والاقمشة المتخذة من وبر الابل تصنع اصالة فى اقليم كرمان والاقمشة المتخذة من شعر المعز تصنع اصالة فى جبال مازندران ولكن قماش القطن يحمل اصالة من بلاد هندستان والقماش العريض لم يكن معروفا عندهم بل كان يستورد نوع من البلاد وقد كان السلطان نفسه يرغب فى تجارة الحرير والمشجر والقطنية والسجاجيد والحلى والظاهر أن هذه التجارة كانت قليلة النفع بالنسبة للبلاد واصول بضائع تلك البلاد كانت فى ذلك الزمان هى الحرير بسائر اصنافه وكانوا يبعثون الى بلاد الهند الدخان والفواكه المصنوعة مربات ولاسيما التمر والزبيب والخيل والصيني والجلد على اختلاف الوانه وكانوا يبعثون الى بلاد الاتراك الدخان وآلات الطباخة والى بلاد الروسية الحرير المشغول

السجاجيد

القسى والسيوف

حالة فبريقاتهم الآن

وهذه الحالة لم تتغير عندهم كما هو الواقع بحسب الظن فانه يشتغل الآن ايضا سيوف عظيمة فى قزوين وفى خراسان وتعرف صفة البولاد الجيد المصطنعة منه تلك السيوف اذا وجد عليها عروق متوجة تكون على شكل فتلات الحرير ويسقطون بولادها بالذهب وهذه السيوف لا تثنى ابدا وسيف قزوين قيمته من ستين الى ثمانين غرشا ولكن سيوف خراسان قيمة الواحد منها نحو مائة ستين (وهو المعروف بالبندقى او الشربتى) ومقدارها ٧٥٠ فرنكا فرنسا ويا والعجم والعثمانية يدقون جميع المعادن على البارد من غير وضعها على النار بل وحديد نعال الخيل ويقال ان هذا يجعلها صلبة ويعرف العجم الآن تبييض المرآى وصقل الالماس وشغله فيظهر فى الجملة أنهم لم يفقدوا فنا من الفنون التى كانت مستعملة فى زمن شردين بل اضافوا اليها امورا جديدة فمن ذلك صناعة شغل التفصيص بالزجاج والميناقا فانهم الآن يعرفون ذلك معرفة جيدة ويحسنون صناعته

تجارتهم البحرية وتجاراتهم

ثم ان فندخشب العمارة وحرا القطر منعا العجم من انشاء عمارة بحرية تقى ميناتهم على الخليج الفارسى وتجارتهم البحرية لا تحصل الا على سفن غربية واعظم تجاراتهم الكثيرة الربح هى التى كانت فى هرموز وتمرون مع الانكليز ومع عدة امم اخر ولكن حروبهم المستمرة ابطلت هذه التجارة وزعم بعضهم أن البضائع التى تدخل كل سنة فى الخليج الفارسى قيمتها اثنا عشر مليونا من الفرنكات ويجاب الانكليز لمن يدعى هذا القدر والثالث الباقى يحمله المغاربة والهنود والارمن والعرب وسوق سفن هؤلاء التجار هو الارز والسكر والقطن والشاش الناعم المخطط او الممازر الذى يأتى من بنغالة بالهند وافاوية سيلان وجزائر الملوك والقشة عليلة بيضاء وزرقاء من كورومندل بالهند وكذلك القاقلة المسماة بالحبهان والفلفل وسائر العقاقير الهندية ويمكن أن يترتب على استيلاء الدول الافرنجية على بلاد العثمانية ولا سيما أن يرجع للخليج الفارسى حاله القديم وذلك لان القوافل بين البصرة وانكلات الشام سفرها أأمن من السفر فى بحر العرب وكذلك اذا استولى الافرنج على تلك الناحية المذكورة فان نهر طونة يمكن أن يتلقى السفن التى تحمل من طرابزان ومن نهر فاش بضائع بلاد العجم وايضا اذا تقوت مملكة الافغانستان بأخذ بخارى وخوارزم فان دولة الموسقو تبادر بأن تعقد مع امة الافغان مصالحة ومشارطة صورتها أن تأذن دولة الافغان للموسقو أن يعطفوا الى بحر الخزر بحصة من سفنهم المملوءة من الذهب الذى يحمل الآن من نهر كنك الى نهر التامير (هى من الهند فى بلاد الانكليز لان نهر التامير هو نهر لدرة ونهر كنك هو نهر الهند)

قبائل رحالة التركمان

فهذه هى صورة تخطيط بلاد العجم الجديدة بوجه عام لخصناها من كلام ارباب السياحات فكانت خلاصة مقابلة كلام السياح بعضه ببعض ولكن لنعترف بأن هذه الخلاصة غير كاملة ولا تعدها كاملة تامة الا اذا عرفنا عدة القبائل الرحالة التركمانية التى هى كثيرة ومنتشرة فى جميع ارض العجم حتى ان بعض ارباب السياحة من المتأخرين

قال انه يتكون منها امة ثانية تكاد تكون مستقلة وفي الغالب بينها وبين العجم عداوة فان هيل الترك او التركمان
قبائل تركمانية المنتشرين في شمال المملكة يبلغ عددهم ٤٢٠٠٠٠ شخص وهيل قبائل الافشار في اقليم اذربيجان نحو
٨٨٠٠٠ رأس ومن هذه القبيلة نشأ نادرشاه الذي كان جبارا فظنا في كل الامور حسن التدبير وقبيلة قجر تشتمل
قبائل الكرد على ٤٠٠٠٠ نفس وهي ساكنة حوالي مدينة تهران ومن هذه القبيلة نشأ الشاه الموجود الآن ولهذا كانت
قبائل لورة لغة الترك هي الغالبة في ديوان فتح علي شاه ومن هذه القبائل قبائل اكراد العجم ومنها قبيلة اردلاني وهي اعظمها
واهلها ٩٠٠٠٠ نفس وهذا الحصر لا يشمل الاكراد النلاحين المشتغلين بالزراعة ومنهم قبائل لوره ويقال
لورستانية واهلها نحو ١٤٠٠٠٠ نفس وهي رحالة نزالة تسيح اصالة في الاقاليم الجبالية بين خوزستان والعراق
العربي ومن اسم هذه القبيلة قيل لبلادهم اقليم لورستان ولهم لغة خاصة بهم ولكن لها بعض شبه باللغة الكردية
حتى ان بعضهم توهم اتحادهما وحيث ان الحاج خليفة ذكر أن في اقليم فارستان يتكلم ثلاثة السن الفارسي
والعربي واليهلوي فالظاهر أنه يمكن أن يستنتج من هذا أن لسان قبيلة لورة المتقدمة الذي لا يعرف غيره في فارس
بعد الفارسي والعربي هو اما أن يكون اليهلوي او لغة قديمة متشعبة منه واما ساحل الخليج الفارسي فكائنا هو متروك
قبائل العرب لقبائل العرب التي ذكرناها فيما سلف ولكن في داخل البلاد ايضا قبائل عرب رحالة نزالة من ٩٠٠٠٠ نفس الى
١٠٠٠٠٠ والظاهر أن امة الجلاقية هي طائفة خاصة بجبال كيلان ويتكلمون بلغة خاصة بهم واما اهل وادي كيلان
قبائل مختلفة المسمون امبرلين يعني سكان الشعاب فانهم يتكلمون بلغة متفرعة من اللغة الفارسية واما قبائل البدار والهسارية
وغيرهم من القبائل المجهولة الحال فانها هائمة على شطوط نهر الرس المسمى بالافرنجية نهر اركس وجميع هذه القبائل
الرحالة النزالة التي تسمى عند العجم الايلات هي منذ زمن طويل اعظم عساكر العجم وهي تفسد في ارض العجم وتسعى
فيها بالخراب كما كانت قبائل الغوطية في قديم الزمان تهلك الحرث والنسل في مملكة الرومان ولم يظهر من هذه القبائل
الافغان قبيلة مثل ظهور قبيلة الافغان وتسمى ايضا قبيلة الاعوان والى الآن لا يعرف اصل هذه القبيلة المشهورة في بلاد
الهند باسم بطانة فهل هم نزلة ألبانية كما قاله بعضهم اخذا من اتحاد اسمي اعوان وألوهان فان اعوان
يدل على الافغانستانية وألوهان يدل على الالبانية ومعنى افغان ألوهان ولكن اتحاد هذين
اصلهم الاسمين لا دليل عليه فهل هم قبائل من نسل الاسباط العشرة الاسرائيلية المنفيين في بلاد ارزارث المسماة ايضا
هزارث كما ظن ذلك بعضهم واسم هزارث الدال على اقليم من بلاد الافغانستان معناه باللغة الكردية والكلدانية
قبائل الافغان المسماة بطانة التي هي لغة قريبة من لغة الافغان قبائل اياما كانوا الحينئذ هو اسم عام الدلالة والحق انا اذا تأملنا في كثرة عدة قبائل
الافغان يغلب على ظننا أن هذه القبائل متولدة ومتأصلة في الاقاليم التي هي بها فان اسكندر الاكبر حين قدم الى
هذه الاقاليم وجد فيها قبائل عديدة اصحاب حروب وغارات فالظن انهم لم يزالوا الى الآن
وعلى كل حال فقبائل الافغان الاصليون مع من صاحبهم من القبائل الثانوية تشغل جميع الحافة الشرقية من بلاد العجم
ثم ان فرقة الروهيلا التي صارت الآن ولاية مستقلة في بلاد الهندستان خارجة من هذه البلاد وقبائل البلوخ التي تسيح
في جميع اقليم مكران وفي بعض الهندستان مشهورة ايضا بانها من قبائل الافغان وكورة قندهار المسماة ايضا
سركار قندهار يظهر أنها مركز قبائل الافغان الثانية اي غير الرحالة النزالة وهذه الامة التي يظهر ان اهلها اكثر من مليون
تحكم الآن بعض اقاليم هندية وهي بلاد كشمير وكابل وملتان وتحكم ايضا على اقاليم عجمية وهي بعض اقليم
مكران وسجستان وقندهار وخراسان الشرقية ولما كان الافغان غلاظا شدادا ارباب شجاعة وسفك دماء
لكنهم غير متعلين الطاعة لامرائهم ظهر من حالهم ادعاؤهم الخشنى واحتقارهم لجميع اسباب المعاش والتمدن
لسان الافغان فلا يشتغلون بها واما لسانهم فيسمى لسان البوكتو وقد رأى وليام يونس قاموسا من هذه اللغة فوجد باعتهم
شبها كثيرا باللغة الكلدانية ولما فتح التتار بلاد الافغان ادخلوا فيها دين الاسلام فهم سنية ولكن المشهور
ملابس عنهم الآن انهم اكثر اهل الاسلام تساهلا في الدين ثم ان ملبسهم الخشنى هو أنهم يلبسون قلنسوة صنوبرية الشكل
وجبة من الصوف وسراويل ضيقة وليس لهم شبه بالهنود ولا بالعجم
عيشة ثم ان الافغان لا يقتدون الا بالخبز واللبن المنعقد ولا يشربون الا الماء واقليمهم يعتريه التغير بحيث انه في اليوم الشديد الحرارة
يظهر البرد العظيم ونساؤهم مخدرات ولكن غيرة رجالهم قليلة ولا يعتنون بكثرة النساء كما عتناء الهنود والعجم والترك
دولة ودولتهم التزامية ورؤساء البلاد يكونون في قراهم المحصنة ولهم سفن في البحر يركبونها ويصولون بها على ما لاحق لهم فيه
لكن على وجه خفيف ولا يعتبرون رئيس دولتهم الذي يلقب بالشاه اللهم الا اذا دعت المصلحة العامة لذلك كأن خيف
على ذهاب دولتهم ففي هذه الحالة يرتدون للشاه حق الطاعة وعادة هذا الشاه أن يعامل رعاياه الافغانية مع غاية لين

الجانب

الجانب وعدم التشديد واوامره قل أن يصحبها اراقة دم ولا يظهر منه أنه عدو لاى فرقة من الفرق الدينية وفى زمن احمد شاه المؤسس لمملكة الافغان كان ايراد هذه البلاد نحو خمسة وسبعين مليونا من الفرنكات التورنية ولكن فى زمن تيمورشاه لم يبلغ ذلك الايراد الا نحو خمسة وعشرين مليونا وسبب ذلك ضعف هذا الملك واعظم قوة الافغانستانية الفرسان ومن هذه البلاد تشترى الخيول العظيمة بثمن بخس وكذلك من اقاليم التتار والعجم التى يجوارها وكذلك فرقة من المشاة مسلحة بالبندق هى جزء من جيش الافغانية وهذه العساكر المشاة اقوى من عساكر الهند القليلة التعليم فقد كانت عساكر احمد شاه ١٠٠٠٠٠ فارس من الخيالة واما تيمورشاه فلم يكن عنده من الفرسان الا ٣٠٠٠٠ وطوبجية الافغان مثل عساكرهم المشاة فى قلة التعلم وجيوشهم مؤلفة من اشخاص مأخوذة من عدة امم مختلفة ولكن احسن عساكر المملكة من كان مأخوذا من اقليم افغان

ايراد
قوة عسكرية

فهذا ما كانت عليه حالة مملكة الافغانستان منذ سنوات قلائل وهذه المملكة اقيمت وتأسست وتعضدت بالشقاق بين اهالى الممالك المجاورة لها فلم يظهر الآن أنها ذات قوة يمكن بها الغارة على غيرها ولا يظهر ايضا أنها ذات قوة تحفظ بها بلادها فى مستقبل الازمان

وهذا جدول الاوضاع الجغرافية للبلاد العجمية المرصودة بعلم الهيئة

اسماء الاماكن	الطول			العرض			المنقول عنهم
	درجات	* دقائق	* ثوان	درجات	* دقائق	* ثوان	
بلفروخ	٠٠٠		٠٠٠	٣٦	٣٤	٤٣	تبريزيل
تهران	٠٠٠		٠٠٠	٣٥	٣٩	٥٥	تبريزيل وهو كسابقه من ارباب السياحة
قزوين	٤٧	١٣	٠٠	٣٦	١١	٠٠	بوشهب
اصبهان	٤٩	٣٠	٠٠	٣٢	٢٤	٣٤	كذلك
يزد	٠٠٠		٠٠٠	٣٢	٧	١١	تبريزيل
هرموز	٠٠٠		٠٠٠	٢٧	٨	٠٠	كذلك
لار	٠٠٠		٠٠٠	٢٧	٢١	١٥	كذلك
بوشهر (بندر بوشر)	٠٠٠		٠٠٠	٢٨	٥٩	٠٠	بلدوهر
شيراز	٠٠٠		٠٠٠	٢٩	٣٦	٣٧	كذلك
سينا اوسنه (وهى بحسب الظن سينا اوسينه التى ببلاد كردستان)	٠٠٠		٠٠٠	٣٤	٢٣	٣٥	سيمون وهو قنصل فرنساوى

وهذا جدول المقابلة بين الاقسام القديمة والجديدة من بلاد ايران او العجم

اقاليم جديدة	اقاليم قديمة	مدن اصلية	حكام سنة ١٨١٠ من الميلاد
اسكروان (شروان)	ألبانيا	اسكاكيا وغيرها	كان عليها خانات
راجع الاقسام الثانوية	راجع المقالة السابعة	راجع المقالة السابعة	من طرف الدولة
في المقالة السابعة والاربعين	والاربعين	والاربعين	الروسية
		سكوش	
ايريوان او ارمنية العجم	ارمنية العجم	ايريوان	فتح على شاه العجم
راجع المقالة التاسعة	راجع المقالة التاسعة	نقجوان	
والاربعين	والاربعين	خوينج	
اذربيجان	ميديا اتروپاتين	توريز (تبريز)	كذلك
		اردبيل	
		مراغة	
		ارمية	
جيلان او كيلان	جيل (بلاد القادسية)	ريشت	كذلك
الديلم			
خط لنكوران		استارا	
		انزيليا	
مازندران	الجزء الغربي من باشورية	لنكوران	خان من عمال دولة ازوسيا
	هرقانيا	بلفروش	فتح على شاه
(لواحق مازندران)			
١ طبرستان	طبيري (بلاد طبري)	سارية	
٢ جرجان	هرقانيا	استراباذ	
٣ دهستان	دهيو (بلاد دين)	اكراف	
		آمل	كذلك
خراسان	پارثينه	مشهد	
		نيسابور	
		تون	
	آريا	هراه	سلطان او ملك قندهار
		روهى	خان بكاديكون مستقلا
	مرجيانا	مارو رود	دولة الازبك بخارى
عراق العجم	ميديا ماجنا	اصبهان (اصفهان)	فتح على شاه
اصفهان اسكيبار		تهران	
قم		قاشان	
تلقان		قم	
ازى	ميديا رجيانا	قسبين (قزوين)	
همدان وغيرها	قنبدنية (ايزيدور)	همدان	
		كرمانشاه وغيرها	

اقاليم جديدة	اقاليم قديمة	مدن اصلية	حكام سنة ١٨١٠ من الميلاد
(لواحق)			١
قوهستان	طبيانة	الطبسين	
قومس	قومسين		
كردستان العجم	قسم من اسبريا وغيرها	سينا	فتح علي شاه
		اسقوش بولاه	(تحت حكومتي المقريزية والبلباسية المستقلتين)
خورستان	سوزيانا وهي باشورية	سوستيرا واتشوشتير	فتح علي شاه
١ هوزستان	اوكسي (بلاد الاوكسية)		
٢ سوزستان	سوزيانا الحقيقي		
٣ خوزستان او لورستان	قوسي (بلاد القوسية) او سيروميديا		
٤ ايلام	ايلامايس		(قبائل من العرب تكاد تكون مستقلة)
برسستان او فرسستان (فارس	برسيس او العجم الحقيقية	اسكيراز (شيراز)	كذلك
١ خوره اشكنخ	پاريتاسين	قشا	
٢ قوباد		يزديكست	
٣ سابور (شيراز)		كازرون	
٤ ازدشير قرماسير او شيفلهر	ميزنبريا يعني الساحل الجنوبي	بندر ريغ	كذلك
٥ أرجان		بندر ابوشير	
٦ ادشور (فيروزاباذ)		فيروزاباذ	
٧ دراب	پازرجاد	ابرقوه	
٨ اصطخر	برسپوليس	دارابجرد	
٩ ابرقون		يزد	
١٠ يزد	ايزانيش بطليموس		
لارستان	قسم ميزنبريا او عجمستان البحرية		
قسم قرمزير		اللار	كذلك
هرموزوهو اقليم كان	هرموزيا	تروم	
موجودا في القرون الوسطى		قونيت	
		بندر عباسي او غمرون	(شيخ من مشايخ العرب مستقل بامارة مسقط ويلقب بالامام)
كرمان	كرمانيا		كذلك
السرجان		كرمان او السرجان	
بردشير		بردشير	
ولاشجرد وغيرها		ولاشجرد	
موجستان		مينو	

اقاليم جديدة	اقاليم قديمة	مدن اصلية	حكام سنة ١٨١٠ من الميلاد
مكران	جدروزيا مع ساحل الاكتيوفاجية		
مالان	عربيت وهوريت (بلاد الهوريت)	التيز كيبه بندجابور مالان	اميراوعدة امراء اووان مستقل اوضعيف التبعية
سجستان (سيجستان)	درنجيانة ساكستينة ايسيدورس	زرنج فرا درعش	الافغان اوملوك قندهار
زابلستان		رخج	كذلك
١ اروخاجة	ارخوزيا	الباميان	
٢ الباميان	باروپاميزادو (بلاد الباروپاميزادية)		
٣ غور			
قندهار اوافغانستان	باروپاميزادو (بلاد الباروپاميزادية)	قندهار	كذلك (تنبيه قد تطلق كلمة افغانستان او بلاد افغان على جميع ايمبراطورية افغان)
١ قندهار			
٢ بريا			
٣ ازريديجات			
٤ توران			

وهذا

وهذا جدول يتضمن بيان الاهالى القاطنين ببلاد العجم وهو ماخوذ من رحلات مكتوبة بخط اليد لعدة سياحين فرنساوية

(اولا) اهل الحضر سواء كانوا من اهل الفلاحة اومن ارباب الفنون والصنائع

١ العجم المتأخرون ويقال لهم عند الامم الرحالة النزالة تاجيك اى الخراجيون وهم اخلاط من قدماء العجم والتتار والعرب والجرج ونهاية ماتبلغ عدتهم ١٠ ملايين تقريبا

٢ البرسيس اوالجبير وهم بقايا المجوس الذين كانوا فى القرن الخامس والسادس بمدينة يزد وغيرها واقليم كرمان ومكران وعدتهم ١٠٠٠٠٠ تقريبا

٣ الافغان وهم قدماء الاهالى المتأصلين وذكر بعضهم أنهم فى الاصل من الجبال التى فى الجنوب الغربى من بحر الخزر (وهم ثلاثة اقسام)

ا الافغان الاصليون وهم اهل قندار وكابل واروخاجة وغيرها وعدتهم ٥٠٠٠٠٠

ب البلوچس راجع اهل البدو وهم الرحالة النزالة

ج الروهيلا اوبطانة باقليم هندستان

٤ الجلالية اوقدماء اهل كيلان وعدتهم ٥٠٠٠٠

٥ الارمن بارمنية واذربيجان وعدتهم ٧٠٠٠٠

٦ اليهود باصفهان وشيراز وتهران وقاشان وعدتهم ٣٥٠٠٠

٧ الزابين ببلاد خوزستان وعدتهم من ١٠٠٠٠ الى ١٢٠٠٠

(ثانيا) اهل البدو وهم قبائل يتعيشون من مواشيهم وصيدهم ويسكنون البادية ولايستوطنون محلا مخصوصا بل هم دائما على نية الانتقال (بمعنى انهم رحالة نزالة)

١ قبائل الترك

ا الافشار وعدتهم ٨٨٠٠٠ رأس وهم باقليم اذربيجان واقاليم اخرى كثيرة واصلهم من ارميه وينقسمون الى كازملو وايركلو

ب القجر وعدتهم ٤٠٠٠٠ نفس ومؤسس هذه القبيلة هو فتح على شاه واصلهم من استراباذ احدى بلاد مازندران ومن ميرو احدى بلاد كردستان ومن شروان وغيرها من البلاد وينقسمون الى بوكرى باغى واشاغاباشى

ج المحتدم وعدتهم ٥٠٠٠ نفس وهم نازلون بمراغة وهى مدينة باذربيجان وهذه القبيلة بمكان من الشجاعة

د دومبلو وعدتهم ١٢٠٠٠ نفس وهم فى اقليم ارمنية بضواحى مدينتى خوى وسلماس

ه التركمان وعدتهم ١٢٠٠٠ نفس وهم فى اقليم اذربيجان قريبا من همدان بالعراق ومن مدينة كازرون بفارس

و التالزة وعدتهم ١٥٠٠٠ نفس وهم نازلون فى مازندران وكيلان

ز الخرغوسلية وعدتهم ١٢٠٠٠ نفس وهم بضواحى همدان

ح البيات وعدتهم ٢٠٠٠٠ نفس وهم باذربيجان فى تهران ونيسابور (بخراسان) وفارس وغيرها

ط الشازوند وعدتهم ١٤٠٠٠ نفس وهم نازلون بضواحى اردبيل والرى

ى الديسونشير وعدتهم ٧٠٠٠ نفس وهم فى شوشة باقليم شروان التابع للروسيا

ك الديليم وعددهم مجهول وهم فى خلات من بلاد خراسان

ل فارس مودنلو وعدتهم ١٠٠٠٠ نفس وهم فى فارستان

م الخودبوند وعدتهم من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ وهم نازلون فى كيلان ومازندران

وهنالك قبائل اخرى غير مهمة يبلغ عددها ثمانية وعشرين ولم نقف فى شأنها على تفاصيل كافية

٢ قبائل العرب

(اولا) رعاة العرب الذين أنزلهم تلك الجهة تيمورلنك

ا البسطامية وعدتهم ١٢٠٠٠ نفس وهم نازلون فى بسطام من بلاد خراسان
ب قبيلة التوفى وعدتهم ١٥٠٠٠ نفس وهم فى خراسان ايضا
ج قبيلة الديبنداخى وهم نازلون بالواحات فى صحراء عظيمة ملحية
د قبيلة اغاخانى وعدتهم ١٥٠٠٠ نفس وهم بفارس السفلى
ه قبيلة الاهواز وهم نازلون فى سهول خوزستان
و قبيلة الثولاهى وعدتهم ٦٠٠٠ وهم فى كرمان
وهنالك ثلاث قبائل اخر عدد كل منها من ٨٠٠٠ الى ٩٠٠٠

(ثانيا) عرب صيادون على الساحل الجنوبى

ا بنوخياب وهم فى خوزستان (ايلام)
ب عرب الهنديان وهم على سواحل فارس
ج بنوهول * كذلك
د عرب لنديه * كذلك (ولعلهم من مدينة لنديه)

٣ قبائل لورة

ا الزند وعدتهم ١٢٠٠٠ نفس وهم فى ضواحى اصفهان وشمال فارس
ب الليخس وعدتهم ٢٠٠٠٠ نفس وهم فى فارس
ج الخوجلو * كذلك وعدتهم ١٥٠٠٠ نفس
د الزنغنية وعدتهم ٦٠٠٠ نفس وهم فى ضواحى كرمانشاه
ه الفيلية وعدتهم ٤٠٠٠٠ نفس وهم فى لورستان فيما بين سوستير وكرمانشاه
و البختيارية وعدتهم ٣٠٠٠٠ نفس وهم ايضا فى لورستان فيما بين سوستير وكرمانشاه
ز الظهروس وعدتهم من ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ نفس وهم فى ضواحى خامسى اوكامسى
ح الخرز نجرية وعدتهم ٧٠٠٠ نفس وهم بقرب كرمانشاه

٤ قبائل الكرد

(اولا) القبائل التى فى داخل كردستان

ا المخريس وهى قبيلة مستقلة فى وسعها أن تجمع فى اليوم الواحد ثلاثة آلاف خيال
ب البلباس وهى طوائف متفرقة ومستقلة بنفسها وفى وسعها أن تجند خمسة عشر الفا من المشاة ومن خمسة آلاف الى ستة من الخيالة
ج الغياض وهم فى ممالك عبد الرحمن وهو رئيس مستقل على عائلات تبلغ عدتهم من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ عائلة
د الغرار وهم فى ضواحى سنيه التى تحت حكم وهى اى حاكم العجم
ه البراس وعدتهم ١٠٠٠٠ عائله
و السنسور ١٢٠٠ عائله
ز اللنج وعدتهم ١٠٠٠ عائله } منزل الجميع واحد
ح الخوتشنلو وعدتهم ١٠٠٠٠ نفس
ط الشغاغيس وعدتهم ١٥٠٠٠ نفس وهذه القبيلة محبة للصلح وهى من ارباب الزراعة والفلاحة ذات ثروة وهى منتشرة فى اذربيجان

(ثانيا) القبائل التى فى خارج كردستان

ا ارشوندية وهم باقليم تارون قريبا من مضيق روتبار بين العراق ومازندران وعدتهم ١٠٠٠٠ نفس
ب البازيك وهم بين الرى وتهران وعدتهم ٣٠٠٠ نفس
ج الزفرلو وعدتهم ١٠٠٠٠ نفس وهم فى خراسان
د الاردلانية وهم فى خوزستان

ه البوانورد وهم فى خراسان وعدتهم ٨٠٠٠ نفس
و المودنلو وهم فى مازندران وعدتهم ٤٠٠٠ نفس
ز الامبرلو وغيرها
ح القبائل المسماة بطانة

البلوج وهم فى اقليم مكران والهيبير والسروانية والعبدولية وكثير من القبائل الاخرى المتفرعة عن الاصل الذى تفرع عنه اهل افغانستان ولغة الجميع تكاد تكون واحدة وهم جميعا رحالة بل الاولى أن يقال انهم قطاع طرق ومقرهم الجزء الشمالى من بلاد العجم

* (المقالة السادسة والخمسون فى تخطيط آسيا) *

ابحاث تتعلق ببحر الخزر وبالمصب القديم لنهر اوقسوس وهو نهر جيحون

لم تتعلق امال الجغرافيين بالبحث عن شئ اكثر من بحر الخزر وذلك لان الجغرافيا الطبيعية بحثت عن طبيعته المخصوصة وتعجبت منها غاية العجب * والجغرافيا الجدلية المتعلقة بالمناقضة والابطال والتعديل والتجريح والجدال غيرت وضع هذا البحر نحو عشرين مرة كما غيرت شكله واتساعه على الخرطات مع أن الظاهر أن كلا من شكله واستداده لم يحصل فيه تغير حقيقى من القرون الاولى التى اشتغل الناس فيها بالتواريخ

وضع

مثلا الارصاد الاخيرة الفلكية والاقيسة المحلية بينت لنا بحر الخزر وأنه يمتد من الشمال الى الجنوب اشبه بالمخنق ببروز بحيثيزيرة أبشيرون والجزء الشمالى من هذا البحر شكله كشكل جون عظيم ينعطف من الشمال الى الشمال الشرقى ويقرب من حوضة بحيرة ارال فاذا مسحنا بحر الخزر بالخطوط المستقيمة التى يمكن رسمها ولم نحسب بغيرها وجدنا طوله ٣ ١٢٢ مريامترا (٢٧٥ فرسخا) وعرضه من اضيق محل فيه ٧ ١٧ مريامترا (٤١ فرسخا) وعرضه فى اوسع محل فيه ٤ ٤٤ مريامترا (١٠٠ فرسخ) ثم ان اطلس كاتبا هذا يدل تفصيلا على وضع هذا البحر وبعينه والواقع أن هذا الوضع امر محقق الا بعض شئ يسير

اتساع

تاريخ خرطات بحر الخزر مذهب بطليموس

ولم يكن كذلك محققا ومعروفا قبل هذا العهد بمائة سنة فالخط الذى كان عاما لجميع القدماء الذين اعتقدوا أن بحر الخزر جون من المحيط الشمالى قد زال فى القرن الثانى من الميلاد وذكر بطليموس الحقيقة المعروفة لهيرودوط بل وللارسطو وصار بحر الخزر على الخرطات بحيرة او بحرا دا خلا منفصلا من كل جهة عن المحيط وغيره من سائر البحور لا يتصل بواحد منها ولكن بدلا عن أن يعطى الطول اتساعه من الشمال للجنوب اغتروا وجعلوه يتجه من الشرق الى الغرب وذلك لانهم توهموا أن المحيط الشمالى اقرب مما هو عليه فى الحقيقة وهذا احوج الى أن يكون المحل الذى تقتضيه ابعاد بحر الخزر المعروفة موجودا كما يمكن وايضا ان بحيرة ارال المعروفة معرفة ناقصة كانوا يعتقدون أنها جزء من بحر الخزر كما يدل عليه رأى الاقدمين فيما يتعلق بمصب نهر جيحون وهذا ازأى نبحث فيه فى آخر هذه التذكرة وفى مدة القرون المجهولة فى الاعصر الوسطى اقتصر اصحاب الخرطات على أن ينقلوا عبارة خرطة بطليموس فان بحر الخزر مرسوم على هذه الخرطة وشاغل فيها ٢٠ درجة من الشرق الى الغرب وكانت بحيرة ارال مخلوطة معه فكان يعتقد أن نهر جيحون بمصب نحو الشمال المرسوم فيه على خرطاتنا مدينة بلخ واول سياح عالم غير هذا النقل الباسد الذى لا يظهر بارصاد فلكية هو تاجر انكليزى يقال له يتقنسون سافر سنة ١٥٨٥ وسنة ١٦٦١ من الميلاد على مصرف شركة تجارة انكليزية فسافر من ازدراهان ورأى السواحل الشمالية الى مصب نهر يثبا ورساعلى منحدر لاق ومنها مضى الى بخارى فسمى بحر ارال باسم بحيرة كينايه وفى ثانى سفر من اسفاره بهذه الجهة وصل بواسطة كوه قاف الى الشطوط الجنوبية من بحر الخزر ثم سافر بعده بلديه كرستف بروغ الذى فى سنة ١٥٨٠ من الميلاد اجتاز بلاد الروسيا فلما ركب البحر فى ازدراهان سار بالسواحل الغربية من بحر الخزر وحدد عرضها فى عدة اماكن وفى سنة ١٦٣٣ سافر الحكيم اولياريوس مصاحبا لجماعة من الانكليز مبعوثة من طرف الدوق هولستين الى شاه العجم من الدولة الصوفية فى ذهاب هذا الحكيم عرض عدة اماكن من الساحل الغربى والجنوبى من بحر الخزر

اسفار يتقنسون وبرغ واولياريوس

وجميع هذه الارصاد المنفردة بقيت مجهولة لبلاد اوروبا صاحبة المعارف اى انه صعب عمل خرطة فرنساوية وانكليزية وألمانية من القرن السابع عشر الذى جعل لبحر الخزر شكلا يقرب من الحقيقة بعض قرب واما خرطة جوان سطريوس الفلمنكى التى هى اشهر الخرطات فانها جعلت مدينة ازدراهان على الساحل الشرقى وجعلت جزائر نهر الاتل فى وسط البحر والذى فتح للافرنج طريق الحقيقة فى هذا الشأن هى امة الروسية فكأن الله تعالى جعل الحقيقة فى هذا المعنى باقية لتظهر على ايديهم وبيان ذلك أن استيلاء بطرس الاكبر جار الموسقو على مدينة ازدراهان وجميع المقاصد السياسية التى اشعرها فى نفسه كل ذلك كان فى مبدأ الامر سببا لتشكول فى شأن بحر الخزر ثم بعد ذلك صار سببا لاسفار وتفتيشات ادروغرافية اى متعلقة بالمياه ثم ترتب عنها خرطات هى فى الواقع ونفس الامر خشنية غير منتظمة ولكن قل فيها الخطا وظهر فيها الصواب وهذه الخرطات التى رسمت ايضا من سنة ١٧٠٠ الى ١٧١٠ باشر رسمها وزير الدولة كيرلوف وقبودان باشا سوامونوف وقبودان بيك قرويوس التروبجى ذى الآن نادرة عزيزة حتى فى بلاد الروسية وفى سنة ١٧١٧ امر بطرس الاكبر ملك الروسيا بأن يسافر فى بحر الخزر عدة ملاحين فلمنكية فركبوا هذا البحر وسار وا فيه ثلاث سنوات واخذوا صورته ورسموا خرطة بمعرفة شخص يقال له

خرطة جوان سطريوس

خرطات الروسيا الاولية

كرلوس وان وردين وفي زمن سفر هذا الملك الى باريس تحادث كثيرا مع العالم بالجغرافيا المسمى غليوم دلسلة (وكان من ارباب ديوان العلوم الفرنساوية المسمى اكديميه) فطالب هذا الجغرافي من الملك المذكور أن يسلم لديوان علوم باريس خرطة وان وردين وخرطة قبودان بيك قرويوس وكانت كتابتهاتين الخرطتين خالية عن تعيين الاطوال فلما امتحن هاتين الخرطتين ذلك العالم الجغرافي وجد فيهما ايضا خطأ فاحشا وذلك لان خرطة قرويوس جعلت ازدراهان على الساحل الشرقي من بحر الخزر وكررت المكان الواحد مرتين بحيث جعل المسافة بينهما ازيد من مائة فرسخ وجميع العروض التي يمكن تحديدها على وجه التقريب بطريق سهل ولا يقع الخطأ فيها الا بنحو اربع دقائق او خمسة وقع بها الخطأ في هذه الخرطة بنحو خمس درجات او ستة وخرطة وان وردين المسماة في ذلك الوقت خرطة بطرس الاكبر كانت احسن من خرطة قرويوس الا أنه وقع فيها الخطأ في تحديد عرض استراباد بثلاث درجات فالف هذا العالم الجغرافي رسالة ذكر فيها صور خرطات بحر الخزر الاربعة التي أتحفها كلام بطليموس وابو الفدا وقرويوس وبطرس الاكبر واضاف اليها بذة مختصرة جدا بية تتبع فيها ارصاد بروغ وينقسون واوليار يوس

خرطة جدا بية للعالم دلسلة

وقد مضت من ذلك الوقت عشرون سنة قبل أن يشرعوا في تكميل جغرافية هذه الاقطار ليتحنوا ذلك ويختبروه ثم ظهر بعد ذلك جماعة من تجار الانكليز واخبروا أن يفتحوا طريقا موصلة للهند من طريق ازدراهان ثم ان الشهير يونس هنوية الذي كتب في رحلته لبلاد العجم تاريخ هذا المشروع جاء في سنة ١٧٤٥ من طرف القبطانين ألطون وودروف خرطة جديدة في بحر الخزر مشتملة على قليل من الارصاد التي لم تكن معروفة فيما سبق فالف هنوية ايضا خرطة اخرى ولما كانت هذه الخرطة مرسومة على منوال الخرطات القديمة المسطوحة افادت مجموعا غير مساو لما تقدم وفي نحو هذا التاريخ ظهر سياح ألماني يسمى الحكيم لرشة فرصد ارصادا عظيمة تتعلق بساحل داغستان وشروان

استرا هنوية وغير

ثم ظهر شهير الفرنساوية المسمى دنويل فوجد عدة نسخ مكتوبة باليد في الخزانة الملكية الفرنساوية فانتخب منها خرطة جديدة رسم فيها بحر الخزر بعيدا جهة الغرب عن محله بدرجة وهو في غيرها من الخرطات بعيد عما يستحقه بدرجتين وبعد ذلك بعشرين سنة ظهر شخص يسمى بونة اشتغل بالعلوم الادبية وغرافية اي المتعلقة بالمياه فظهر له في هذه المادة العظيمة رأي آخر فسلم أن ارصاد القسيس بيزه لطول طرابوزان صحيحة وان كانت الآن قد قامت البراهين على انها باطلة بسبع درجات ونصف اي أنها زائدة هذا القدر وبرهن له ايضا دلسلة على عدم صحتها وايضا جعل مدينة جورجيو على الطرف الشمالي من بحر الخزر وفاقا للارصاد الغطية التي رصدها لوويتز الذي هو من اهل ديوان العلوم في بلاد الموسقو فاذا جمعنا الرصد الصحيح مع الرصد الناسد اتضح ذلك أن بلاد كورجستان وغيرها من الاقاليم القوقازية البعيدة جهة الشرق بسبب عظم استطالة البحر الاسود ودخوله بها تجور على شمل وسط بحر الخزر الذي جزءه الشمالي باق في محله الحقيق وبذلك كان لهذا البحر اتجاهان مائل من الشمال الغربي ومن الجنوب الشرقي وزاد عما يستحقه من الطول بخمس وقد عارض دنويل هذا المذهب وابقى الاتجاه الحقيق لبحر الخزر

خرطة دنويل البا دلية مذهب بونة

والغزوات البحرية التي كان من جملة رجالها غملين وهيلبتزل حصل بها تحديد صحيح لجميع العروض ولبعض الاطوال المتعلقة بالساحل الشرقي والجنوبي لهذا البحر وقد قوبلت ارصاد هذين السياحين بطول قزوين الذي حدده الخواجة يوشمب وقوبلت ايضا منذ مدة يسيرة بالطرقات العديدة والمسافات التي ذكرها الضباط الفرنساوية الذين رجعوا من بلاد العجم فظهر أن هذه الارصاد كلها تحدد بها اتساع بحر الخزر ووضعه ولكن لما كان هذا البحر اقل بعدا جهة الشرق واكثر تضرسا واوزورا والعطافا فاما في رسم دنويل كان له مع ذلك اتجاه يكاد يكون موازيا لخط نصف النهار كما ذكر ذلك ايضا هذا العالم الجغرافي المتقدم والجار بطرس

ارصاد جديدة

ولنعقب هذه التخطيطات الصعبة والمسائل الطويلة التي هي من علم الهيئة بالتخطيطات الطبيعية السهلة التي تعجب النظار ولا تمل منها نفسه كالاولى فنقول ان بحر الخزر بحسب الظن القوي ذو تسوية اسفل من البحر المحيط والبحر الاسود بقدر جعل اولويار التفاوت بينهما ستين قدما وجعله لوويتز خمسين قدما لا غير والظاهر أن اولويار لم يطلع على اتجاه لوويتز ثم ان رياح الشمال والجنوب التي تهب في هذا الوادي المملوء بالماء ترفع مياه البحر وتحفظها بقوة فتختلف التسوية بنحو اربعة اقدام الى ثمانية وذوبان الثلوج يعين على زيادة الانهر التي تصب ماءها في هذا البحر فمن هذه الانهر نهر الائل ونهر اورال المسمى بايق من جهة اوروبا ونهر تيجان المسمى اوخوس ونهر كزل اوزن ونهر الكور من جهة آسيا وزعم بعضهم أنه رصد فيها اختلاف قرقي اي يقع في كل قرن اي في دور طويل وادعاء

تخطيطات طبيعية تسوية

اختلاف قرقي

بعضهم أنه من سنة ١٥٥٦ جارت مياه البحر على اراضى الروسية ثم لا يحتاج الى البرهان وذلك لان عمق هذا البحر المتقدم ليس بعظيم الامن الطرف الجنوبى فان مجس المياه الذى طوله ثلثمائة وثمانون قامة لم يصل الى العمق واستظهر بعض علماء التولدات الرأى الذى ذكرد قبل ذلك وارنيوس وهو أن بحر الخزر فى متقادم الاحقاب كان متسعا اتساعا عظيما جهة الشمال الغربى بل كان بينه وبين بحر ازاق اتصال وذلك لان فى هذه الجهة اراضى منخفضة كثيرة الرمال ونباتات مالحة فى ارض مشوبة بالملح واصدافا صالحة لأن تكون من بحر الخزر وهذه الاشياء رصدها غملين وبلاس فى سائر سهول عمالة ازدراهان لاسيما فى المخاضين اللذين يصب فيهما نهر مانوج جهة بحر ازاق ونهر قوما جهة بحر الخزر وكان فى هذين المخلين البوغاز القديم بين البحرين المذكورين ومع أن هذا البوغاز الممتد على التدريج بمتراكم نهر دون ونهر الاتل ونهر كو بان بقى زمنا طويلا بعد التقلب العظيم الاخير الذى حصل للارض فلهذا ظهر لنا أن التاريخ لا يدل فى كلام بعض المؤلفين من الثقاة على شئ من هذا واعتقادات جغرافيى القدماء فى شأن عظم اتساع بحر الخزر جهة الشرق لا علقة لها بهذا البوغاز فان سفر الارغونوط فى البحر لا يمكن تفسيره تفسيرا كافيا بوجود هذا البوغاز وانما يمكن تفسيره بغير ذلك (راجع المقالة الثانية من الجزء الاول)

خطأ فى هذا المعنى

واما توهم بناء اتصال هذا البحر الداخل بغيره على كسر بوغاز اسلامبول المسمى البسفورة وتسبة ذلك الكسر الى طوفان مفسد فتدل ظهرا أنه على خلاف الحقيقة الطبيعية اليقينية وذلك لأن وادى البسفورة هو بوغاز طبيعى لم ينشأ عن حادثة شديدة وبيانه أن المياه المجتمعة من بحر بنطس وبحر الخزر لو ارتفعت الى تسوية تحصل عنها طوفان شديد عام يترتب عنه ما تقدم لكان هذا الطوفان يفيض ايضا على اودية اخرى غير وادى البسفورة وايضا هذه الطوفانات العامة الادعائية ليست على الظاهر الا فيضانات محلية من بعض اجزاء من بلاد اليونان

نتيجة

فنقول ان سد البوغاز القديم بين بحر الخزر وبحر ازاق كان له وقوع قبل الزمن التاريخى وان بحر الخزر والبرزخ القوقازى او القوقازى كانا من زمن هردوط كما فى زمن بطليموس على الهما الذى هما عليه الآن وان البركة التى تكلم عليها بعض مؤلفى البوزنطنية وفهم من كلامه أنها موجودة فى القرن الرابع من الميلاد فى شمال كوه قاف ليست اصلا غير بحيرة بلشر تركوا التى هى موجودة الآن

صب المياه فى بحر الخزر

ولكن ان قيل ما محل اين تذهب جميع المياه التى تصب من عدة انهر عظيمة فى بحر الخزر فهل تصب فى مهواتين تتصلان بمياه الخليج الفارسى كما زعم بعض قدماء ارباب السياحة أنهما قالا كيف ذلك مع أن هاتين المهواتين كائنا فى جميع الازمنة عند ارباب الارصاد الصحيحة من قبيل الاوهام وذلك لان اوراق الصفصاف التى تظهر على سطح هذا الجون لا يلزم أنها اتت له من نهر جيحون وانما يمكن أن تأتى من نهر الفرات واما مياه بحر الخزر فانها تتفقد مازاد عليها بالتصعد اجبرة مثل ما يحصل للبحر المحيط والتصعد فيه شديد جدا وهذا يدل على دوام رطوبة الهواء فى داغستان وشيروان وكيلان ومازندران

المهواتان المفروضتان

سواحل

وسواحل بحر الخزر المتكونة شرقا من جبال وعرة هى مخوفة جنوبا بسهول رملية وفى عمقها كثير من الاصداف التى هى فى حالة رديمة وآثار واصداف اخرى مستجيرة وبه كثير من السلاشير وحجر البلاط وحجر النور المسمى حجر البوريطش وبه ايضا كثير من نصب النارمى يزاحم السواحل ويسترعى النظر مصب الانهر

طبيعة المياه

والماء الذى قرب مصب الانهر قريب من العذوبة ويصير ماؤه ملوحة متوسطة فى الخمال العريضة من النهر فيشتمل زيادة على العناصر الاصلية العادية المركبة لمياه البحرية على مقدار عظيم من ملح الغلوبر والظاهر أن هذا الملح يتولد من تحليل النفط الذى هو كثير فى الجبال القوقاسية وعروقه يتراءى أنها تمتد تحت البحر ورياح الشمال الغربى توجب تناقص المائية وتزايد المرارة وشدة ثقل مياه البحيرة الطينية بحر الخزر شاهدها بالحس ولكن اللون الاسود الذى يتراءى ظهوره فى الخمال العريضة او المصاب امر أن يكون سببه تخيلات نظرية اى اختلاف النظر او أنه لم تفحص رصداته واجتلاده بتروغلبا الا فى جوان الشمالية بهذا البحر

اسماك

وكثير من الحيوانات المائية تهوى شطوط تلك البحيرة العظيمة وكثير من السمك يتولد فيها لاسيما سمك الاستروجون وهو صنف من السمك الكبير البحرى وهو من اعظم ما يصاد ويتخذ خذ رامنه فى عدة سنوات ثلثمائة الف الى اربعمائة الف

صيد السمك

ولكن يقتصر على هذا الصنف خلاوة النهم صنفا آخر يسمى الاسطرليط وهو الاستروجون البرقوش ويسمى عند الموسقوبية سوبيجة يصطادونه ويخرجون منه الخيارى والفراء الصلب وقد قدروا أنه اذا اصطيد من هذا السمك فى السنة مليون ونصف تكون قيمته مليونا من انواع الذقود المعماة روبلة ثمن صنف السمك المسمى عند الموسقوبية بلزجا شوما يسمى عند الدرنساوية شوسون وهو نخم فخامة عظيمة حتى ان الواحدة لا يمكن أن تجز

الاثلاثة من الخيل ويوجد هذا السمك في بحيرة ارال وفي البحر الاسود وفي نهر طونة وفي بكار انهر سير الى نهر لينا وقد اخذ من بحر الخزر في سنة واحدة مائة الف من سمك الهوسون فبيعت بثلثمائة الف واربعين الفا وخمسمائة من النقود المسماة روبلة وفي هذا البحر ايضا اسماك فوكية اي من السمك الذي يسمى بقر الماء واصنافه الى الآن ليست محددة تحديدا جيدا واما اصناف الاصداف والنباتات البحرية فليست كثيرة

بقر الماء

وجزائر هذا البحر مذكورة في تخطيطات الاقاليم التي ينسب هو اليها وفي الغالب أن الجزائر المرتفعة فاقدة المياه والنباتات واما الجزائر المنخفضة فليست في الغالب الا دكك رمال يحدق بها القصب الفارسي ثم ان عدد المينات الامينة العميقة قليل جدا واذا انضم الى قلة المينات تغير الرياح بهذا البحر بغتة كان السفر فيه خطرا جدا

جزائر

ولا ينبغي لنا أن نطيل الكلام بذكر جميع الاسماء التي تواردت على هذا البحر لان سردها يؤدي الى ضياع الزمن وانما نقول ان اسمه عند الافرنج البحر القسبياني والظاهر أنه منسوب الى قسب وهو اسم لجبل كوه قاف وهذا الاسم من الاسماء القديمة لذلك البحر ولما كان هذا اللفظ شائعا في لغة اليونان واللاطينية كان ايضا مستعملا في اللغة الكرجانية والارمنية والسريانية واحبار اليهود ورهبانيتهم يسمونه بالبحر الميت واما التسمية التركية وهي خوسغون دانغيزي فقد ترجمت بعدة اوجه ولا وجه منها له معنى معقول وقدماء القسطنطينية قبل الملك قسطنطين يسمونه كالعرب بحر الخزر باسم امة قديمة ذات شوكة عظيمة وفي التواريخ السنوية المؤلفة في البلاد الموسقوبية اشتهر في القرن العاشر من الميلاد باسم غولين سكواية ويقال خولين سكواية مورة باسم امة تسمى الخوالبة وهي امة صقلبية لا تعرف وانما يعرف أنها كانت ساكنة على نهر الاثل وفي خرطات الاعصر الوسطى في زمن يتعذر تعيينه أن اسم هذا البحر ماردى سالا وترجمه الخواجة وله بلغة بحر مالح والظاهر أن تسمية بحر الخزر بذلك انما هي باسم مدينة سارا المسماة سراى التي هي قاعدة بلاد قبجاق فان هذه المدينة مسماة في بعض الخرطات باسم سالا ولا نذكر هنا تسمية هذا البحر المأخوذة من اضافته الى الاقاليم المتصلة به كتسميته بحر هرقانيا وغير ذلك ولكن ما يوجد في كتب المجوس المسماة زنداواسطى عجيب جدا فان هذه الكتب المنكرة الدالة على كثير من الاخبار القديمة تسمي بحر الخزر تشكايه ديطى ومعناه ماء الحكم والقضاء فهل طوفان نوح المشهور في البلاد المشرقية له مدخل في خسف نشأ عنه حدوث بحر الخزر

اسماء هذا البحر المختلفة

ولما فرغنا من تخطيط التاريخ الجغرافي لبحر الخزر وجب علينا أن نضم اليه نبذة ابحاث متعلقة به طبعا وهي مسئلة شهيرة في مبسوطات الجغرافيا وهي هل نهر جيحون كان سابقا يصب في هذا البحر اولا

ابحاث متعلقة نهر بمصب جيحون

وجوابه انا اذا اقتصرنا على قراءة الجغرافيا اليونانية والرومانية بوجه اجمالي ولم نثق بشهادة ما فيها وناقضنا هذه الشهادة ظهر من ذلك رأي موافق في هذا المعنى فنجد نهر جيحون يصب في بحر الخزر في الذهاب يمينا من الشرق الى الغرب وقد ذهب الى ذلك المذهب اسطرابونيس وبلنياس واما بطليموس فقد صرح بذلك ولكن بعض القرائن تناقض اتفاق هؤلاء الحكماء على هذا الامر وذلك لان عظم الاتساع الذي جعل هؤلاء الجغرافيون لبحر الخزر من جهة الشرق وسكوتهم على بحيرة خوارزم يقضيان بأنهم كانوا يرون أن هذه البحيرة جزء من بحر الخزر وأنهم بادعائهم اجتماع نهر جيحون ببحر الخزر يكون قصدهم به اجتماعه الحقيقي ببحيرة خوارزم ومن كان بيده خرطة ظهر له ما قلنا بالتأمل اذا تذكر العبارة التي اثبتها اسطرابونيس من أن نهر ايكزرطس وهو سوردريا يصب ايضا في بحر الخزر على عبارتهم فان اتجاه مجرى هذا النهر يجعل مصبه في بحر الخزر مستحيلا فحينئذ ما وقع في هذا النهر من الخطأ البين وقع تطبيره بالنسبة لنهر جيحون فما كان باطلا بالنسبة لاحدهما فهو باطل بالنسبة للآخر ولكن كلام بعض القدماء ممن يوثق بهم يقتضي أن مجرى نهر جيحون كان في الزمن القديم كحالته التي هو عليها الآن وهذا البعض هو بونبونيوس ملا فانه بعد أن جعل هذا النهر يجري من الشرق الى الغرب جعله يجري على الاستقامة الى الشمال وجعل له مصبا في خليج سماه باسم الخليج الاسقيثي فمن الواضح أن هذا النهر قبل وصوله الى بحر الخزر يلزم أن يجري من الشرق الى الغرب ولو كان به انعطاف الى الشمال لما امكنه أن يلاقي حوضة الاحوضة بحيرة ارال التي يعتقد المؤلفون الذين تبعوا مذهب ملا أنها جون من البحر المحيط الشمالي المسمى الاسقيثي وتسمية دنوس البريجيطي لنهر جيحون على وجه مخصوص تدل على أنه لم يجعل مصبه في بحر الخزر حيث جعل مصبه في نهر الصغد او في نهر خوارزم ولم يجعل مصبه اصلا عند امة الدربقة وهي امة تشغل ضواحي بحيرة بلكان فالظاهر حينئذ أنه عرف انعطاف هذا البحر جهة الشمال

مذهب بونبونيوس ملا

ومن عبارة مهمة ذكرها بطرقليس ونقلها عنه اسطرابونيس تدل صراحة على أن نهر جيحون كان مصبه

رأي بطرقليس

في الحل الذي هو عليه الآن ونص عبارته ذكر بعضهم أن نهر اوخوس المسمى تيجان يجري في داخل بلاد بخارى وآخرون يجعلونه يجري على حدود هذا الاقليم ويقولون انه مغاير لنهر جيحون الى حد مصبه وأنه ابعد منه جنوبا وان كان جميع النهرين يصبان باقليم هرقانيا والقائلون بأنه يجري في داخل بخارى يقولون ان هذين النهرين مختلفان ومفترقان من اصلهما ولكن يجتمعان وان فرش جيحون يكون في الغالب من سبع استادات الى ثمانية من العرض ولاشك أن نهر ايكزرطس المسمى سوردريا من مبدءه الى منتهاه يخالف نهر جيحون وان كان يصب في البحر الذي يصب فيه نهر جيحون قال بطرقليس ان ابعدهما بعيد عن مصب الآخر بنحو ثمانين فرسخا اسلاميا فارسيا والفرسخ الفارسي ستون استادة على قول بعضهم وثلاثون على قول بعض آخر وقيل اربعون انتهت عبارة اسطرابونيس فاذا قسنا بفحة بيكار المسافة الواقعة الآن بين المصب الابعد جنوبا لنهر سوردريا والابعد شمالا لنهر جيحون وجدنا هادرجتين وعشرين دقيقة وهذا المقدار يساوي الفين وخمسمائة واثنتين وتسعين استادة عما تقوم الدرجة فيه بالف ومائة واحدى عشرة استادة وتسع استادة وحيث كان الفرسخ مأخوذا له ثلاثون استادة فالمسافة على كلام بطرقليس تكون الفين واربعمائة استادة وهذا العدد هو قدر ماذكره ايراطستينس كما نقله اسطرابونيس فيما تقدم فحينئذ المسافات القديمة والجديدة متفقة تقريبا وهذا الاتفاق يظهر أنه عجيب اذا امتحنا هذه المسافات المأخوذة على امتداد شطوط بحيرة ارال فتكون حينئذ ثلاثة آلاف وثلثمائة وعشرين استادة اوثلاثة وثمانين فرسخا كل فرسخ اربعون استادة فاذا جعلنا اقصى النهايات المصب الابعد غربا لنهر جيحون والابعد شمالا لنهر سوردريا كانت المسافة اثنين وثمانين فرسخا لكل فرسخ ستون استادة فحينئذ الاقوال الثلاثة التي ذكرها بطرقليس اوالتي ذكرها العجم الذين راجعوا عبارته تدل على أن مصبي جيحون وسوردريا كانا في الزمان القديم على بعد واحد من بعضهما كما هما الآن فاذن كل منهما كان يصب في بحر ارال

مسافات بين نهري جيحون وسوردريا

نتيجة

وقد بقي علينا أن نبرهن على أن اليونان والرومانيين لم يكن عندهم في كتبهم معرفة صحيحة يقينية متعلقة بمصب نهر جيحون ولكن الاخبار التي التقطوها من اقوال غيرهم وعدة مسائل جغرافية وصلتهم الى أن استظهروا بها أن هذا النهر كان مجراه ومصبه فيما مضى هما عين مجراه ومصبه الآن فلم يجعله اليونان والرومانيون يصب في بحر الخزر الا لنتيجة صادرة عن مذهبهم الفاسد بالنسبة لهذا البحر فهم في الحقيقة جعلوا مصبه في بحيرة ارال

اراء جغرافي العرب والعجم

وكتب المشارقة يمكن أن يستخرج منها عدة معارف تزيل جهل الافرنج في هذا المعنى لكن لما كان لا يمكن للافرنج أن يراجعوا الكتب المشرقية بلغتها الاصلية المؤلفة بها لم يمكنهم البحث تفصيلا في آراء المشارقة المتعلقة بهذه الانهر وانما يقال ان ابن حوقل الذي تبعه ابو الفدا رسم نهر جيحون على وفاق خرطات الافرنج الجديدة وجعل مصبه في بحيرة خوارزم التي يسمونها بحيرة ارال ثم ان ابا الفدا ذكر عبارة لم يقرها منقولة من كتاب رسم المعمور حاصلها أن ذراعا من نهر جيحون يصب في البحر الاخضر يعني الخليج الفارسي ونقل الجغرفي العثماني الحاج خليفة عن حمد الله جغرافي العجم أن فرعا من نهر جيحون يتوجه جهة بحر الخزر ويجتاز في طريقه وادي خرلاوة ويسمع له هناك خرير دوي عظيم ثم ان عبد الكريم السياح الذي شاهد الاماكن من سنة ١٧٣٠ الى سنة ١٧٤٠ قال ان نهر جيحون لا يصب في اقليم مازندران كما قاله بعض المؤلفين بل لا يصل الى بحيرة خوارزم لان في طريقه اخاديد لحاجة الزراعة فهي تشرب مياهه بالكلية اه

اسفار الافرنج

وسياحو الافرنج في القرن السادس عشر والسابع عشر من الميلاد يظهر أنهم عولوا على كلام بطليموس اكثر مما شاهدوه باعينهم والا لما تناقضت عباراتهم غاية التناقض وذلك لان هنوية وبروسة ويتقنسون زعموا جميعا أنهم عرفوا فرعا من نهر جيحون يبس وكان سابقا تجري مياهه اوجزأ من مائه في بحر الخزر ولكن احدهم وجد مصب هذا الفرع بقرب سلسورة في اثنين واربعين درجة ونصف وآخر منهم وجده في جون بلكان الكبير في تسع وثلاثين درجة واما الطلس الموسقو الذي ظهر عن قريب فجعله في الجون الصغير المسمى بلكان وكما لا يعرف مصب هذا الفرع بوجه صحيح كذلك لا يعرف المحل الذي انفصل منه هذا الفرع من نهر جيحون عن الفرع الذي يصب في بحيرة ارال فبعضهم جعل مبدأ انفصاله في هزرسب وآخرون في وزبرقند وبعضهم يخدر الى اورنبرغ بأن يجعلوه ينفصل هناك وبالجملة فتاريخ يبس هذا الفرع وتجفيف انتشاره هو ايضا امر غير محقق واقواله متناقضة فجغرافيو العرب الذين نقلنا رأيهم آنفا لم يسلموا يبس فرع من نهر جيحون في الازمنة الجديدة فوجب أن يكون قد يبس سابقا على زمن ابن حوقل يعني القرن العاشر بخلاف الموسقوية فانهم زعموا أن في نحو سنة ١٧١٩ من الميلاد

اخبار الموسقوية

جفاف انتشار هذا الفرع لمنعية التغلب على البلاد

ولنبسط الكلام على حكاية الموسقوبية المتعلقة بتشعب سياه نهر جيحون وهو تشعب ادعاءى فنقول ان بطرس الاكبر سمع أن رمال الذهب تجرى فى نهر كزل داريا الذى يجئ من الشرق ويصب فى جيحون حتى توهم بعضهم أنه هو عين جيحون فاراد أن يتغلب على البلاد التى يرجو أن يجد بها معادن ذهب عظيمة ويتوصل بها ايضا لفتح تجارة بينة وبين الهند فبعث ملاحين ليبحثوا عن مصب كزل داريا الذى كانوا يعتقدون أنه يصب فى بحر الخزر فوجدوا نهرا لم يعينوه ولعله نهر تيجان فاعتقدوا أنه كزل داريا فلما استشار حكماء بلاده قضوا بانه نهر جيحون فعزم على غزوة وجهز لها ما يلزم وامر اسكندر بقويطز وهو ابن امير من امراء الجراكسة ويوزباشى وردبان لجار المرسقو وكان خبيرا بلغة التتار أن يوصل فرقة قدرها ثلاثة آلاف نفس الى المصبات الادعائية لنهر كزل داريا وأن يتغلبوا على الاراضى المجاورة لهذا النهر فلما رأى التتار الموسقو قد رجعوا عدة مرات الى هذا المحل حولوا على ما يقال مجرى هذا النهر فسدوه بسد عظيم وواصلوه الى بحيرة خوارزم بثلاثة خلجان فوصل بقويطز بجيشه وبحث عن النهر الذى قصد أن يصعد فيه الى خيوا فلم يجده ولم يكترث بهذه الحادثة بل بنى قلعة من الحجر الكلسى ومن مجمون الجير والصدف كالخافق ولحم هذه الاحجار على رأس قراغنسكوى وجعل هذه القلعة رباطا لعساكره ثم هيم بعد ذلك بهم على خيوا فمضى خان خيوا ليلتقى معه قائدا جيشا جرارا ولكن لما كان مع عساكر الموسقو مدافع افرنجية انتصرت فى اقرب وقت على عساكر الخان فلما رأى الخان نفسه مغلوبا وايس من النصرة بعث لقائد عسكر المرسقو يسأله عن سبب هذا الحرب واى مظلمة للموسقو واى شئ يطلبونه منه فانه يدفعه فلما كان هذا الامير متولعا بهذا الفرع الادعاءى لنهر كزل داريا طلب من الخان أن يهدم السدود التى منعت النهر من أن يصب فى بحر الخزر ويرجع اليه مجراه القديم فاجابه هذا الخان بأن هذا العمل ليس فى طاقته ولا قوته فانه لا يمكنه أن يسد الخلجان التى يجرى فيها هذا النهر الآن فاجابه القائد الموسقوبى بأنه ينعل هذا العمل مع اصحابه بشرط أن يضمن له الامان وعدم التعدى عليه وطلب من الخان رهينة فى نظير ذلك ففرح التتار بهذه المشارطة وسلموا الرهينة فاستخدمت رجال الرهينة عند الموسقو ليدلوهم على الطريق فدلوهم مدة خمسة ايام على الفراش الادعاءى اليابس من هذا النهر فلم يصادفوا فى طريقهم الا بركا صغيرة تراكدة الماء ولحق عساكرهم ظمأ شديد فاشار عليهم الرجال الذين كانوا يدلونهم على الطريق باشارة مطمع نظرهم فيها الغش والغدر وهى أن يتفرقوا فرقا صغيرة ويسلكوا طرقا مختلفة فالجأت الضرورة رئيس هؤلاء الموسقو أن يتبع نصيحة اعدائه فبمجرد تفرق هذا الجيش القليل فى مجارى مجهولة ترصد لهم التتار واغاروا عليهم من كل جهة لقلتهم فضربوا اعناق بعضهم واسروا البعض الآخر وكان فيهم قائد الجيش فلما مثل بين يدى الخان قطعه ارباثم سلخوه وصنعوا من جلده طبلا باقيا فى مدينة خيوا علامة على النصرة لتدل من بعدهم على سوء عاقبة هذه الغزوة التى نواها الموسقو من غير تبصر فى العواقب فوصل الخبر الى بلاد الموسقو من العساكر الذين كانوا باقين فى قلعة قراغنسكوى لانهم هربوا فى السفن ومضوا الى بلادهم

غزوة اسكندر بقويطز فى نواحى بلاد خيوا مع التتار

مصيبة الموسقو

نتيجة هذه الحكاية

فهل هذه الحكاية تقلب علينا اعتقادنا فى قديم مجرى نهر جيحون بل يظهر لنا أنه لا يمكن أن يحكم العقل بأن امة تتارية ضعيفة يمكنها فى سنة او سنتين أن تعمل سدودا عظيمة توجب تشعب نهر عظيم الى عدة شعب فلا اقرب أن يتصور أن فرقة من الموسقو بعثت مقدمة لترود المصب الادعاءى لنهر كزل داريا فغلطت فى استمرارها على الصعود مدة فرسخا وفرسخين الى واد مملوء بمياه المطر التى صادفت هذه المقدمة فلما رأى التتار أن بقويطز قد تصدى لتحصيل غرض ادعاءى لم يوقفوه على حقيقة الامر حيث رأوا مصلحتهم انما هى فى الاخبار بخلاف الواقع

وجميع هذه المسائل يمكن حلها اذا كان ثم سياح صاحب معارف وبيده ميزان الهواء يذهب برا من غورد الى استراباذ طائفا بحر الخزر من جهة الشرق ثم ان خرطات الموسقو مرسوم عليها اودية رملية بين مجرى نهر جيحون الآن وبحر الخزر ولكن لا يعلم ماسببها ولا على اى قول من اقوال النقاد بنيت عليه وقد ذكر جرجى فى تخطيطه لبلاد الموسقو وغيلين فى سياحته أن تلك الارض مملوءة بسلاسل جبال تخرج من صحراء الغرغير وتمتد الى استراباذ وتتصل بالكلية حوضة ارال من حوضة بحر الخزر

ولا يمكننا أن نقضى بشئ فى هذه الدعوى لكن قد ذكرنا جزما لا واضحا على قدر ما تأذن به المعارف الموجودة فى عصرنا

﴿ المقالة السابعة والخمسون فى تخطيط آسيا ﴾

التتار المستقلون المسمون بهذا الاسم حقيقة وارضهم تشتمل على بلاد بخارى الكبرى وخوارزم والتركمانيا وتركستان وبلاد الغرغيز والخرخيز

الاقاليم التى على شرق بحر الخزر ويرويها نهرا سيحون وجيحون تسمى عند اليونان اسعوبية اسيا طبقية فالظاهر أن الاسطوئيين الحقيقيين فى اوروبا وهم امم الجنس الفينى الذى تكلم عليه فى محله سكنوا تلك البلاد

استونية اسيا

باسيا فى ازمان متقادمة جدا لكن الامم الذين يجعلهم التاريخ اهالى بلاد استونية آسيا يظهر أنهم لم يخالفوا فى اصلهم التتار الموجودين الآن والاسماء التاترية للانهر والجبال والاقاليم تتميز من بين الاسماء الفارسية التى ذكرها جغرافيو اليونان من عهد اسكندر ولم يوجد فيها اثر من اللغات الفينية فليست تتار آسيا من تتار اوروبا وهم الفينية وايضا من عصر اسكندر الى القرن الرابع والخامس من الميلاد لم يثبت فى التاريخ أنه وقع مهاجرة وهجيج عظيم حدث به فى آسيا نزلات جديدة من اوروبا

ولكن القبائل ذات الغارات الرحالة النزالة لابد لها فى الغالب من تغير الرتبة والاسم والمكان فامم الساقة والمساجيطة محيت من الخرطات بين القرن الثانى والرابع من الميلاد ولم يبق لها اثر ببلاد الفرس وبوزنطيا عرفوا اسماء اتراك ماوراء النهر الذين هم ارباب سطوة واسماء الهونس البيض الذين يقال لهم ايضا افتالبطة وانما سميت بذلك لانها كانت تسكن على نهر جيحون المسمى ايطلاه باللغة الفارسية والظاهر أنها امة تركية لاتغاير اصلا الاوزبك المسماة اوزبك التى بعد عدة فتن بقيت صاحبة بخارى الكبرى ومستولية عليها ثم ان الترك الذين كانت دار مملكتهم طراز ثم اورار سموا قطعة عظيمة من الارض باسم تركستان وجميع الامم الذين تسميهم بالتتار انما يسمون انفسهم جميعا باسم الترك ولم يعلم الى الآن هل يجب محو هذا الاسم من كتاب بونبونيوس ملا وكتاب بلنياس وعلى فرض ثبوت هذا الاسم فيهما فهو موجود قبل تأليف هذين المختصرين وشهرته مذكورة فى كتب الاسلندية المسماة الساغا ويظهر منها أن بين امة الغوط والامم التركية لحمة وقرابة وآثار هذه القرابة توجد فى تشابه لغات هاتين الامتين

قدماء الترك

التتار والترتار

ولم يشتهر فى بلاد اوروبا اسم التتار الا فى القرن الثانى عشر من الميلاد فقد ذكر ابو الغازى أنه يوجد من هذه القبائل التركية الرحالة النزالة قبيلة تسمى التتار وذكر أنها اعظم قبائل امة الترك العظيمة وقال ايضا ان هؤلاء التتار ينقسمون الى عدة قبائل وان احداها فى حروب وسفك دماء مع امة الصين وهذا يوافق ما فى تاريخ الصينيين ونم رأى آخر يرى أن اسم التتار اجنبى عن الامم التركية وانه جاء اليهم من بلاد الصين والواقع أنه يظهر أن الصينيين يسمون باسم تتار الامم الرحالة النزالة ببلاد آسيا الوسطى ثم ان بعض العلماء الصغار سنا وهو الحكيم انيان كاترومير عزم على أن يؤلف رسالة يبرهن فيها على أن التتار كانت امة موغولية وليست تركية

اطلاق اسم التتار

وعلى كل حال فاسم التتار تغير الى لفظ ترتار باللغات الافرنجية وكانت له شهرة عظيمة فى القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من الميلاد بحيث انه اغار على جميع آسيا الوسطى والشمالية فابادا اسم المغول وان كان المغول قد تسلطنوا على التتار والظاهر أن سبب هذا هو نصرات جنكيزخان ملك المغول وذلك أن التتار لما دخلوا تحت طاعته انتظموا فى سلك جيوشه وجيوش خلفائه فكانوا اكثر عددا من رعايا هؤلاء الملوك المغولية حتى آل الامر الى أن تنوسى اسم المغول الغالبين للتتار ومما يدل على ذلك أن لغة التتار صارت هى المستعملة فى البلاد الجنكيزية التى اهلها ارباب لغات مخصوصة لا يعرفون التتار من المغول وانما لغة التتار على لغة المغول انما هو لكثرة عدد التتار الذين اقتسموا مع المغول فخار الغزوات والنصرات ولولا ذلك لما قدمت لغة التتار على الاخرى

الاختلاف بين التتار والمغول

ثم ان الاختلاف بين التتار والمغول بتقاطيع البدن وتناسب اعضائه وتقويم الجسم وباللسان كالاختلاف بين المغاربة والزنوج وذلك لان التتار قدودهم طوال ووجوههم افرنجية وان كان لونها مشوبا بالصفرة وشعورهم مسترخية ولحاهم طوال بخلاف المغول فان شكلهم مهول وذلك لانهم قصار جدا وانوفهم فطس وخدودهم بارزة واذقانهم قليلة الشعر وشعورهم واقفة يابسة فهذه هى حالة المغول المقيمين بالصحارى على أن بلاد هذين الجنسين منقسمة بالطبيعة الى قسمين طبيعيين وذلك لان المغول الذين هم امة القلوق فرع منهم يسكن جميع الهضبة الوسطى من بحيرة بلكاتى ومن جبل بلور الى السد الاعظم والى جبال سيولكى التى تفصل الفرع المذكور من المنجو وهى قبيلة من جنس التنغوزة واما التتار فقد انتهى امرهم أن صاروا مستولين على الاقليم الواسع الذى يمتد من جبال بلور الى بحيرة ارال والى بحر الخزر ويمكن أن تسمى ببلاد التتار اوتركستان والمعنى واحد

نعم ان التتار سكنوا بخارى الصغرى بل واستولوا عليها لكنهم استولى عليهم ايضا فيها القلوق وايضا قد تملك التتار مملكة سبير المسماة ايضا تورا ومملكة قزان ومملكة ازدراهان ومملكة القرم وهذه الممالك يقال لكل واحدة منها خانة لان الحاكم عليها يقال له خان ولكن هذه الخانات الاربعة تغلب عليها الموسقو وبقى فيها كثير من التتار بعضهم على نهر تبول ونهر ارتيش الى ينسبة فى سبير وبعضهم فى نواحى قزان وبقى منهم عدد قليل فى بلاد القرم وآوى الى جبل قوقاسة منهم بعض قبائل فهذا هو الاطلاق المتوسع فيه بالنسبة لاسم تتارستان اذا اعتبرنا بلاد التتار واما اذا اعتبرنا اسم التتار المستقلين فانا نجدهم محصورين فى بلاد ضيقة لا يشغلون الا القسم الطبيعى المحدود شمالا بجبال الجيد مزالو ومعنى هذه الكلمة مجرى ارتيش وغربا بحرى اورال وبحر الخزر وجنوبا باقليم خراسان وجبال الغور وشرقا بسلسلة جبل بلور

حدود التتار

فى الجهة الشمالية ينفصل بلاد التتار من بلاد الروس برية ايسيم ونهر ايتى وجبال بلور يفصلها من البلاد الصينية وفى جهة الغرب يكون بحر الخزر حدا طبيعيا لها واما من جهة الجنوب فليس لها حد طبيعى بهذه المثابة يحميها من غارات الافغان الذين استولوا على مدينة بلخ ولكن الجغرافيا تعتبر بلاد التتار كأنها تمتد جهة الجنوب الشرقى الى جبال هندوكوه التى تفصلها من اقليم كابل الذى هو اقليم من اقاليم الهند وهذه البلاد اذا قطعنا النظر فيها عن برية ايسيم التى يتطلبها الموسقو يكون قياس ارضها ستين فرسخا مربعا ولكن الظاهر أن اهلها ليسوا ازيد من خمسة ملايين

وحاصل تقسيماتها الاصلية أن نقول ان فى جهة الشمال بلاد الغرغيز مع اقليمى قراقلبك وأرالسان وولاية تشكنت وتركستان وعلى الغرب بحيرة خوارزم مع بلاد التركمان وفى الجنوب الشرقى بخارى الكبرى مع مدينة فرغانة وبلاد الصغد وبلاد اوسرونة وغير ذلك

طبيعة الارض

فبلاد تتارستان على هذا الحد الذى ذكرناه يمكن أن تكون الميل الغربى من الربوة الكبرى لبلاد اسيا الوسطى فهى عبارة عن حوضات متتابعة تتصل بحر ارال وبحر الخزر ثم ان تسوية هذا الجزء العظيم بهذه البلاد لا بد أن تكون منخفضة ولكن ثم جبال تحتاط بها كالدائرة من جهتى الجنوب والشرق وبعض الجزء الشمالى واصول الجبال

جبال بلور الالك

بها جهة الشرق جبال بلور التى اتفقت جميع الاخبار على أنها سلسلة جبال مغمورة بالثلوج المستمرة وهذه السلسلة متواصلة فى الشمال الشرقى بجبال تسمى الالك ويقال لها ايضا الالك اولا وهى ببلاد الغرغيز وفى شمال بخارى الصغرى تتصل بجبل بغدو الكبير وهو اعلى جبل بأسيا الوسطى على قول المغول والتتار وجبال الالك تسمى ايضا جبال المسرة على ما قاله بلاس وهى ذات زلاقات وفى الجنوب يكتنف بخارى الكبرى جبل هندوكوه وجبال الغور التى يظهر أنها عبارة عن امتداد سلسلة بلور وعلى كل حال فلا يعرف الافرنج فى هذه الجبال تقطعات الا حقا ضيقا فى جنوب اندراب والجزء الشرقى من حوضة جيحون يكتنفه جبال

نجازات دهن شير

مملوء بها ايضا وفى خلال هذه الجبال يخط النهر مسلكا غير بعيد من مدينة ترمذ وعرض هذا المجاز ليس الا ما خطوة واسمه بالفارسى دهن شير ويسمى ايضا فم الاسد ومن اسمه يظهر أنه مهول وبعد ذلك تبتدئ السهول الرملية

اكطو

فتشاهد بين حوضتى جيحون وسيحون المسمى سورداريا امتداد سلسلة الجبال المسماة اكطو يعنى الجبل الابيض وهو فرع خارج من جبل بلور واما جبل كوجك طاغ اى الجبل الصغير الذى هو من تتمة فى بلاد غرغز فانه كما هو الظاهر طرف الفرع الخارج من السلسلة الثانية وجبل اورال ينتهى بين منابع نهر تبول وقلعة اورنبرغ

اولوتو

ومن هنا ينفصل الى سلسلتين احداهما جهة الشرق تجاه برية الغرغيز الى نهر اشيم وتسمى غرغيز اولوتو يعنى غرغيز الجبل الاكبر ومن اشيم الى نهر ارتيش تسمى باسم جبل الچنكى وهى كلمة روسية او تسمى باسم

الجيد مشالو

الجيد مشالو بلغة القلوق والاخرى ذات ارتفاع متوسط تمتد جهة بحيرة ارال وتسمى باسم مغولد شار وهى تفصل بحر الخزر وتتواصل على ما يظن فتسمى بجبال مغيسلاك وهى ببلاد التركمانيا الى خراسان

برية غرغيز

ثم ان البرية العظيمة التى هى سهول خالية عن الانيس وكل شئ تشغل مسافة تزيد على نصف بلاد التتار وبلاد الغرغيز هى مجموع تلك السهول الا ما ندر وتم صحراء فى شمال بلاد بخارى الكبرى وصحراء اخرى على الغرب منها واقليم خوارزم تحيط به الصحارى من جميع الجهات فالشطوط الشرقية من بحر الخزر ليست الا سلسلة رمال طويلة وحضيضية والظاهر أن جميع الارض المسطوحة الداخلة بين سفوح الجبال وكذلك اودية الانهر هى ايضا يابسة حقيقية

انهر

وثم نهران عظيمان يرويان بلاد التتار المستقلة وهما آمو وسور ويضاف الى هذين الاسمين لفظ داريا ومعناه

نهر وجغرافيو المشارقة يسمون الاول جيحون والثانى سيحون

امو او جيحون

نهر جيحون المسمى آمو يخرج من جبال بلور على اكثر من سبعين فرسخا فى الشمال الشرقى من بلدخسهان وكان يسمى اولا باسم هرات وبعد أن تصب فيه عدة انهر من جبل اكطو الذى يحتوى عليه شمالا ومن هندوكوه الذى يتركه جنوبا ينزل بقرب ترمذ فى السهول ومياهه التى تزيد بنهر دهار المسمى نهر بلخ وبعدة انهار اخرى صغيرة تنزل من جبال الغور تمتدى جهة الشمال الغربى وتصب فى بحر ارال الذى يظهر دائما أنه المصب الاصلى لهذا النهر وجميع مجرى ذلك النهر العظيم يفوق مجرى نهر دجلة لان الظاهر أن مجراه لا ينقص عن ثمانمائة وعشرين فرسخا وبه كثير من الاسماك المختلفة الاصناف

ومن الانهر التى تصب بعض مياهها اوكلها فى نهر جيحون ثلاثة انهر مشهورة وهى نهر الصغد أى نهر سمرقند ونهر مرغاب ولكنه على ما قاله بعضهم يصب فى بحيرة منقطعة عن نهر جيحون والثالث نهر كزل داريا يعنى النهر الاحمر وهو اطول الثلاثة واعظمها ومنه فرع يصب فى بحر ارال

نهر السور او سيحون

ونهر السور المسمى ايضا نهر الساش يخرج ايضا من جبال بلور وبعد مجرى نحو مائتى فرسخ يصب فى بحر ارال على الشرق وقد سمى ابن حوقل هذا النهر شاجه او شاش واول منبع لنهر السور هو نهر نارين الذى ينبع فى جنوب بحيرة توسول فى جبال الالك فى محل اجتماعه بجبل بلور على القرب من منابع نهر تالاس وفى مدينة اوترار يزيد نهر سور من مياه طاراس حتى ان بعضهم يقول انه عين تالاس وآخرون يقولون ان نهر تالاس كنهر زوى يصب فى الرمال او فى بحيرة صغيرة ونهر السور يستعمل باقى مجراه فى اجتياز صحراء يقال لها بوروق ولا مانع من أن عدة بحيرات صغيرة وبركا تجمعه بنهر سراسو الذى يجتاز بلاد الغرغيز والذى يجرى فيه ايضا نهر ارغيز ونهر تورغاى وهما يصبان فى بحيرة فى شمال بحيرة ارال وعدة من هذه البحيرات والانهر معمورة الآن ومنسية الذكر وقد كانت سابقا شهيرة بنصرات جنكيزخان واتباعه حين اغاروا على شمال بحر الخزر فانهم اذ ذاك قتحوا اجزاء عظيما من بقية روسية اوروبا

بحيرة ارال

واعظم بحيرة فى تلك الاقاليم هى بحيرة ارال وسماها بعضهم بحر النسور او العقبان وعند المشرقيين تسمى بحيرة خوارزم وتسمى ايضا بحيرة اوغوز ومياهها تكاد تكون عذبة وبها كبحر الخزر السمك المسمى بقر الماء والنوع الآخر المسمى استرجون ولكن لو كانت بحيرة ارال اتصلت ببحر الخزر فى زمن من الازمان لم يكن محل اتصالهما الا بوغازا ضيقا لان السهول التى تفصلها منه مرتفعة جدا بل قال بعضهم ان بينهما جبالا حقيقية والشطوط الشرقية من هذه البحيرة مسطوحة سبخة

بحيرات مالحة

وغير هذه البحيرة من بحيرات التتار وان لم يكن شهيرا باتساعه فهو شهير بكون طبع مياهه الملوحة وقد ذكرنا فيما تقدم هذا النوع من البحيرات بما تقتضيه القوانين العامة فى الجغرافيا الطبيعية

ومن الغريب أن البلاد الجبلية جهة منابع جيحون وسيحون ليس بها متراكم بحيرات عظيمة كما فى سيبيريا العليا وكما هو كثير عادة بجوار سلاسل الجبال الكبرى

قطر

وقطر بلاد التتار عادة طيب بل الحر فى الاجزاء الجنوبية معتدل بقرب الجبال التى برؤسها ثلوج مستمرة ولو كانت موضوعة بموازاة اسبانيا واليونان وتركية آسيا فان قربها من صحارى سيبر ومن جبال التبت يجعل صيفها معتدلا حارا والشتاء فى شمال نهر سور تكون فى بعض الاحيان باردة وقد ذكر لنا المؤرخ شرف الدين

وصف الشتا

صورة ما ذاقته جيوش تيمورلنك المجتمعة على شط هذا النهر لتسير الى بلاد الصين فقال ان بعض العساكر فقد انفه واذنيه والآخر فقد اطرافه والسماء بهذه النواحى ليست الا غيوما كما أن ارضها مجرد قطعة ثلج انتهى

ولدات

والظاهر أن بلاد التتار ليس فيها الا رباب السياحة من علماء المواليد الا اصناف توليدات ومناظر من قبيل ما فى الجهات القوقاسية وتمتد الارض ببلاد التتار فتكون فى بعض الاماكن سهولا مبسوطة مستورة بحشيش خشن او متراكم رمال متموجة وفى بعض آخر تحترقها انهر لا عدد لها وتلال ظريفة وجبال وعرة والغابات بها نادرة فى الغالب كما فى بلاد العجم الشرقية ولا مانع أن يكون بها غابات عظيمة مجهولة على جنبات جبال بلور وخصوصا بارضها تظهر على شط الانهر حتى ان النباتات فى بعض الاماكن تتجاوز قامة الرجل والارز وكذا غيره من الحبوب يزرع فيها فى عدة اقاليم مع التدبير والصناعة والنجاح ولو كانت هذه الاراضى فى ايدى غير التتار لصارت زاهرة عامرة ومما يصح فى بلاد بخارى العنب وعدة اشجار مثمرة من اشجار اوروبا الجنوبية والظاهر أن جبال الجنوب الشرقى وجبال بلور وهندوكوه

معادن

مشتملة على الذهب والفضة واللازورد وعلى نوع آخر مخصوص وعلى الياقوت الاحمر الذى هو بلور وردى اللون

لكن به ذبول ويسمى بالافرنجية ياقوت بلاسيا وانما سمى بذلك اخذا من اسم بلسقيا وهى ارض محلها غير محقق وفى القرن العاشر من الميلاد قبل تعطيل صناعة اهل البلاد المتأصلين بها بسبب الظلم كانوا يأخذون من فرغانة التى هى كورة جهة منابع سيحون النوشادر والزاج والحديد والنحاس والرصاص والذهب والفيروزج ومن ذلك الوقت استكشفوا فيها معادن الزئبق وكان ايضا بجبال زرفا عيون نفط وقفر وحجر يلتهب ويحترق كما قاله بعضهم وهذا الوصف يليق بفحم الحجر وسنبسط الكلام ازيد من ذلك فى ذكر الاراضى المعروفة معرفة جيدة ولكن لنذكر هنا تنبيها عاما وهو أن كلام اسطرابونيس الذى انتهت معارفه جهة جيحون يقتضى أن اسقوثية هذه الاقاليم ليس عندهم حديد ولا فضة وانما يكثر عندهم الذهب والنحاس واستخراج هذين المعدنين اسهل من غيرهما فلذا كان الغرض من الاعمال القديمة المعدنية الواقعة فى جبلى التاى واورال المعزية لامة الايغورية والفينية انما هو الذهب والنحاس

معادن قديمة

ولنبدأ تخطيطنا للبلاد التتار بالوجه الشمالى فانه فى الحقيقة يمكن بواسطة قافلة موسقوبية من اورنبورغ الدخول فى هذه البلاد التى لم يذهب اليها سياحو المتأخرين كثيرا فنقول ان ارض الغرغيز الواسعة هى اول الجهات الشمالية والحدود بين هؤلاء القبائل الرحالة النزالة ومن جاورهم من الصينيين والروسية ليست محدودة على وجه ثابت وذلك أن القبيلة الصغيرة من قبائل الغرغيز تعيش بين نهر بايق وبحر ارال وحوالى اورنبورغ والقبيلة الوسطى تسيح فى شمال بحيرة ارال الى نهر سراس فى الجنوب الشرقى وهى فى الغالب تنزل خلف جبال الجيد مشالو فى صحراء ايسيم ثم ان الروسية يدخلون فى خرطاتهم جميع هذه المسافة فى حدود سلطنتهم ولكن ولاية الروس على ذلك انما هى ولاية اسمية فقط اى فى الظاهر واما القبيلة الكبرى فان حكمها يمتد فى الجنوب الشرقى من بحيرة ارال على شطوط نهرى سراسو وسير والى مدينة تشكنت بل والى فرغانة انلا مانع من ذلك

مقر قبائل الغرغيز اللائة

وانما عرفت هذه الاراضى معرفة هينة بواسطة غزوات الموسقو فظهر من ذلك على العموم أن الارض انما هى صحارى عالية كثيرة الرمال اوجبال رملية مشوبة بتلال من الطفل ومقطوعة بسهول واسعة مالحة حيث تصب عدة انهر فى الرمال اوفى برك وبحيرات مالحة وجبال اولوتو تبتدئ بتلال من الصفائح الطفلية واللاطية ثم بعد ذلك تجتاز بصخور كلسية بل وصوانية ولو فى بعض المواضع وبها ايضا هدفات من حجر اليشب ومن حجر الكوارتز الذى لونه كاللبن وفيها عدة امارات تدل على وجود معدن النحاس والفضة والرصاص بها وكذلك حجر الطوباز على مازعمه بعضهم وثم جبل منعزل مركب من احجار الحديد المغناطيسى الرديئة وجبل آخر من الطلق وبجبال الجنسكى نظير هذه الاشياء المتقدمة ويوجد على هذه الجبال من جهة الجنوب صف من تلال الجبس

طبيعة الارض جبال

وفى هذه الارض مدة الشتاء ريح شمالية شديدة جدا مصحوبة بثلج وبرد شديد متواز الحدة وبزوابع عنيفة جدا بحيث تجد عمود التراب يرتفع نحو ثلاثين قدما ولكن لا يقيم بها الثلج الا يسيرا من الزمن لاسيما جهة شطوط بحر الخزر

قطر ورياح باردة

والبحيرة المالحة المسماة بحيرة اندرسك بقرب شطوط نهر اورال المسمى نهر بايق تستحق على ما قاله بلاس أن تكون من عجائب المخلوقات وهى مستنقع ماء محيطه ثمانون ورستة مشوب بالملح كثيرا بحيث ان سطحه يظهر كله ابيض وثم عيون مالحة تصب فيه دائما مياها تمده بها والضباب الذى يتصعد منه يكون دائما محملا لاجزاء ملحية وكذلك الشطوط تجدها اختسلاطا عجيبا من رواقات طفلية ومرنيسة وتجدها اصداف ام الخلول وبلور الشب والكبريت

بحيرة اندرسك المالحة

والنباتات المالحة متسلطنة فى هذا الاقليم المجدب ولكن ينبت على شطوط الانهر عدة اصناف من الاشجار وبهذا الاقليم بعض مدة الصيف اودية او مخاضات ظريفة ولما كان خاليا عن المراعى الواسعة لم يكن به ما تقتات منه خيول الغرغيز وابلهم واغنامهم ومعزهم وقد اخبر بعضهم الحكيم بلاس أن بعض احاد القبيلة الوسطى له من الخيل نحو عشرة آلاف فرس وثلثمائة من الابل وثلاثة آلاف او اربعة آلاف من الغنم ونحو الفين من المعز وهى هى التى يجزونها كل سنة كالغنم يخرج منها مقدار عظيم من الوبر الشبيه بالصوف يشتريه منهم الموسقو والبخاريون وقوتهم المعتاد من نوع الغنم ذات الاذناب العريضة فتجد الكبش لذيذ الطعم فلذلك يبعثونه من اورنبورغ الى بتمبورغ لاجل اكل الملك منها وأما الصحارى فبها كثير من الصيد والثعلب والذئب على اختلاف انواعها وعناق الارض وحيوان القاقوم وابن عرس وحيوان يسمى المرموط وفى جبال الجنوب والشرق تجد الاوعال وبقر التبت المسمى ياق والظبا والشكل المسمى ابن آوى وصنفا من الحيوان يظنونه النمر والكولان اوحمار الوحش وحيوانا يسمى التيلوب سيغا والتاكيا اوالفرس الوحشى والغرغيز يعلمون الصيد للعقبان من نوع يسمى عند الروسية البركوت وفى الاراضى

نباتات

حيوانات اهلية

حيوانات وحشية

لسجنة الواسعة يكثر الاوز والبط وغيرهما من الحيوانات المائية وبها ايضا نعابين بيض طول الواحد منها ما يزيد على باع وهو مهولة يخشى منها عساكر الموسقو مع أن الغرغيز يقولون انها غير مضرة اصلا ويخشون ايضا نوعا من العناكب سميا اسود مستورا بالشعر له ثمانى اعين وغلظه كغلظ جوزة الطيب

صحنة الغرغيز

وامة الغرغيز تقاطيعها كالتتار فهم فطس الانوف صغار الاعين وليست عيونهم مائلة كالمغول رصينيين ويعيشون معيشة ذات قناعة وراحة فتطول اعمارهم وتحسن شيخوختهم وامراضهم المعتادة عندهم هى الحميات الدائرة المتقطعة والزكام والنزلة وتعسر النفس والداء الافرنجى منتشر عندهم ولكن يخشون كثيرا الجدرى

ولسان الغرغيز هو لغة من لغات التتار يفهمها التتار الآخرون ولكن تلفظهم شديد جدا يميلون الى العبارات الاشارية والرموز والكنايات والامراء ولاة العهد من الغرغيز شوكتهم قليلة فكل شئ يحكم به فى مشورة عامة فتد حكى بعضهم فى هذا العهد أن قبيلتى الغرغيز اللتين يقال لهما الصغرى والوسطى يبايعان امبراطور الموسقو بواسطة رسلهما الموكلين بالمبايعة عنهما ولكن لا يعترفون اصلا بأنهم رعاياه ولا يدفعون له شيأ من الميرى بل الامر بالعكس فان دولة الموسقو تبعث لهم هدايا صغيرة فى كل سنة وقوافل بخارى وخيوا وتشكنت تدفع قدرا معلوما فى نظير الاجازة لها بالسفر فى اراضى الغرغيز تحت خفرهم

حالة سياساتهم

اهل

واهالى القبيلة الوسطى والقبيلة الصغرى نحو ٣٠٠٠٠٠ عائلة لكل واحدة من القبيلتين فاذا قدرنا أن اهل القبيلة الكبرى ستون الف نفس بأن جعلنا كل عائلة ستة اشخاص كان اهل هذا الاقليم العظيم نحو ١٢٠٠٠٠٠٠

اخلاق وحالة معيشة

ولما كان الغرغيز احرارا ليسوا تحت اسر ظالم وكانوا لا يحتاجون الى شئ من لوازم معاشهم كانت معيشتهم اطيب مما يخطر بالبال فى شأنهم وذلك لان لحوم اغنامهم والبان جمراتهم تغذيهم وتجدهم يعتقلون الرماح وينددق الفتيلة ويصولون على ما جاور بلادهم من الاقاليم وهم وان لم يكونوا سفاكين للدماء الآن لهم مهارة فى قطع الطريق وتحيلا يضر بثغور الموسقو فيجيئون بسبى نساء القلموق لانهن يمكثن زمنا طويلا على زهو الشباب ثم ان هؤلاء القطاع الطريق يعيشون مع بعضهم كالاخوة ويستخدمون الاسرى الذين يسبونهم فى غاراتهم ويلبسون كلابس التتار وهى شروال عريض وجزمة محددة ويحلقون رؤسهم ويلبسون عليها قلانس على شكل المخروط الصنوبرى وطقوم خيولهم كثيرة الزينة وتغطى النساء رؤسهن برقاب نوع من حيوان يسمى هرون ويقال له دنكلة يرتبونه على شكل القرون ولما كان الغرغيز فرسانا متوحشين كانوا يحبون الالعاب والرياضات ورماحة الخيل وفى جنائزالاغنياء يفرق الوارث الشجاع عبيدا وابلا وخيلا وطقوما وغير ذلك من الاشياء الطريفة لمن غلب غيره فى الجرى والعدو على الفرس ويجتازون الانهار على قناطر مصنوعة من حصر الغاب المبرومة والمجموعة بعضها مع بعض وعندهم نوع من البارود للبندق الابيض يحقون صناعته لا بأس بالتفتيش عليه

اوهام وبدع

وفى اوائل القرن السابع عشر بعد أن كانت هذه الامة قبل ذلك بخمائة اتعظت بانذار امناء الدين من التركستان فختنت اولادها واسلمت ولكن وجدها الحكيم بلاس فى سنة ١٧٦٩ من الميلاد منهمكة على جميع الاوهام الفاسدة ومشتغلة كما كانت سابقا بامور السحر وتعظم الموتى وتكرمهم فتعمل فى كل سنة موسما لتذكارهم

تجارة

والغرغيز يتجرون مع الروسية ومدينة اورنبورغ هى عادة مستودع هذه التجارة والقبيلة الوسطى تسافر للتجارة الى مدينة امسك فى اقليم سيبر وقد قوم بعضهم ما يذهبون به من الغنم فى كل سنة الى مدينة اورنبورغ فوجده مائة وخمسين الف رأس وزيادة على ذلك يتجرون ايضا فى الخيول والمواشى والاكباش وصغار الغنم والفراء ووبر الابل والصوف المخير وفى بعض الاحيان يجلبون الى بلادهم المماليك العجمية او التركمانية ويأخذون بدل سلعهم ما يصنع فى المعامل والفبريقات لاسيما الجوخ واثاث البيوت ولما كانت دولة الروسية لا ترضى أن تسلمهم الاسلحة والرد جلبوا ذلك من بلاد بخارى وخيوا فهم يستبدلونها بما عندهم من الابل والمواشى

تركستان

وفى جنوب بلاد الغرغيز كثير من الاقسام الصغيرة التى يشق على الانسان معرفتها لاسيما واكثرها مجهول الحال فجميع البلاد التى تمتد على شاطئ نهر جيحون الى سلسلة جبال اقطان كانت سابقا داخلة فى قسم تركستان القديم وهذا القسم كان معروفا سابقا لموسى الخورينى فى القرن الخامس من الميلاد ولعله هو الاقليم الذى كان يسميه العجم والعرب توران ثم ان هذا الاقليم الذى هو تركستان يلقب بالشرقى تمييزا له عن تركستان آخر يسمى الغربى وهو مشتمل على جزء من بلاد القلموق وبلاد بخارى الصغرى

تقسيم جغرافى العرب

وكان اقليم تركستان مشتملا على ما قاله جغرافيو المشرقيين على اقليم فرغانة الذى به من المدن مدينة اندغان واشيكات وغيرهما على اعلى جيحون وكذلك على اقليم اوسروسانة الذى بندره يسمى كذلك وعلى اقليم ايلاق

اوايلستان

اوايلستان حيث يجرى نهر تنكات الذى يصب فيه سيحون وبهذا الاقليم مدينة اوترار وهى قاعدته القديمة وليست بعيدة من اطلال يسى التى هى قاعدة اقدم من مدينة اوترار وهذه المدينة يظهر أنها هى التى كانت تسمى عند اليونان ايس دون اشوئيقا ومن اقاليم تركستان اقليم الشاش وهو يمتد بالاستطالة على مصب نهر سيحون والسياحون من المتأخرين لا يعرفون الآن هذا التقسيم بل يذكرون أن اقليم تركستان فى هذا العهد اقليم صغير يسقيه نهر قرسو الذى يصب فى نهر السوروهو سيحون وارض هذا الاقليم بها خصوبة يخرج بها القطن والذرة والحنطة والبوزوة ولكن زراعتها متوسطة وفيه يشاهد العنكبوت السمى الذى ذكرناه آنفا وبه نوع من الضباب رجل الواحد منه مرتفعة قدر ربع ذراع وبه مدينة تسمى باسمين احدهما تركستان والاسم الثانى تراس بها الف بيت مبنية بالطوب وعليها امير من امراء الغرغيز يحكم بها منذ قليل وباقى الاقليم قاعدته مدينة تشكنت وهى على شطوط نهر سيحون ويقال ان بيوتها ستة آلاف واهلها يتجرون تجارة هينة ويزرعون الطوخ والعنب والحنطة والقطن والحرير ولا يمكث الشتاء بها الا ثلاثة اشهر ويجبى اليها معادن الذهب والدولة يحكمها خان تنتخبه الرعية من العائلة الحاكمة وفى أغلب الازمان لا يكون هذا الخان الا خراجيا للغرغيز الذين تجوب عساكرهم المتوحشة اراضى تشكنت ثم ان كورة كوكانيا اوخوخانيا التى دخلت بها قوافل الروسية عن قريب يظهر انها عين الارض المسماة فى خرطات الافرنج كوجند اوخوجند

مدينة تركستان
مدينة تشكنت

وامة القراقلبق تسكن ايضا على شطوط سيحون وتسمى هذه الامة نفسها قراقبجاق اى السوداء او المريبة وهى قبيلة من تتار القبجاق الذين تحت حكم الغرغيز وهى تنقسم الى قبيلتين عليا وسفلى والقبيلة يقال لها اولوس وفى سنة ١٧٤٢ من الميلاد كانت القبيلة السفلى نحو خمسة عشر الف عائلة فطلبت أن تكون تحت حماية الروسية التى يسمى ملكها عندهم الجار الابيض ولكن اهلكها الغرغيز بسبب أنها استعانت عليهم بالدولة الغربية

امة القراقلبق

ورئيس الاولوس اى القبائل يزعم أنه من نسل المصطفى عليه الصلاة والسلام وعندهم نوع من شرف الرتبة وحالة تعيشهم شبيهة بتعيش قبائل البشكير فى بلاد الروسية وخصوصهم التى يأوون اليها فى الشتاء ثابتة غير منتقلة واما عيشهم الصيف فمنتقلة ويتعهدون الزراعة وتربية الماشية ولما كانت خيولهم قليلة استعملوا ذوات القرون للجر والركوب ويتجمعون فى الاشتغال بعدة صنائع فيبيعون لمن يجاورهم السكاكين والسيوف والبندق وآنية الطبخ والبارود وهم اسلام يعرفون معرفة لا بأس بها عقائد دينهم وتصرف حياتهم مقيد فلا يفعل الخان كما يختار بل يشركه فى الشورى علماؤهم الذين يسمون خوجات

التعيش

والة كمان يسكنون الساحل الشرقى من بحر الخزر وارضهم رملية كثيرة الاحجار والحصى خالية عن المياه وسلسلة جبل موغل صار المسماة ايضا جبال مغيشلاك ليست عظيمة الارتفاع وانما هى وعرة مقطوعة بالسيول ويظهر منها على ساحل بحر الخزر صخور كلسية مملوءة بالاصداف الساحلية وطبقات الطباشير والطفل بانواعه وكثير من عيون النفط وبعض امارات من الرصاص والنحاس ويلتقى على الشطوط مجتمع صدف ورمل يلتحم فيه الصدف مع الرمل بواسطة مائع تستحجر به الاشياء وقد تكون هذه الاصداف متلفة مع الرمال بنفط وعلى البعد من البحر تجد هذه الاجزاء قد صارت صلبة جدا ومياه هذا الاقليم مالحة بالكلية او مشوبة بالملوحة ونباتات هذه الارض قليلة الاصناف ومن اصنافها السلسولا المشرقية وهى تمتاز باشكالها المتقنة الموترة ويشربها الاغنياء وكذلك شجر الكباد ويتدفئون بشجر يسمى رهمنوس البينا واشهر الحيوانات عندهم الثعالب والسنانير الوحشية والماكث الشرق والابل ويظهر بها صنف من الثور الصغيرة بل ومن الثور الكبيرة ايضا على ما يقال والهوام ايضا تكثر بها لا سيما الفراش والجراد وتجد فى الاجوان والخلجان دود التريس الليلى يظهر منه فى الليل نور مشتعل فى الماء

طبيعة الارض
نباتات
حيوانات

ثم ان التركمان يختصون من بين غيرهم من التتار بشدة سمرتهم وكونهم اقل طولا منهم واعضاؤهم اشد تربيعا منهم ويعيشون فى الخيام او فى الكهوف المنحوتة فى الصخور فهم رعاء خشنيون يتشبثون بقطع الطريق ولا يتعمدون ذلك غالبا وهم منقسمون الى عدة قبائل رؤساؤها من امراء الغرغيز

التركمان

والروسية يقسمونهم الى اثنين او الى ثلاث امم متعاهدة امة المغيشلاك وهى نحو الفين وخمسمائة عائلة الى ثلاثة آلاف واعظم قبائل هذه الامة قبيلة عبدالله ثم امة استرابان او العجم التى منها قبيلة تقيموت وهى اعظم قبائلها واهلها اثنا عشر الف عائلة ولها املاك جهة جنوب بلكان والتركمان يربون الابل والغنم بكثرة ولحوم غنمهم

قبائل

مستطابة ويصطنعون من وبر الابل قماشا خشنيا ويزرعون يسيرا من الحنطة والارز والبطيخ والقثاء وهم في ملابسهم واسلحتهم وعدتهم كالتتار والعجم ويسكنون خياما من اللبد وامراؤهم ومشايخهم ليس لهم عظيم سلطة عليهم

منجشلاك جون بلكان جزيرة نفطونيا

ومدينة منجشلاك كانت سابقا مدينة عظيمة ولا يشاهد بها الآن الا خصوص وقتية يأوى اليها تجار الروسية وميناها من اعظم مينات بحر الخزر وجون بلكان مطروق كثيرا بسفن الروسية والجزائر القريبة من هذا الجون يخرج بها قليل من الارز والقطن وجزيرة نفطونيا بها كثير من النفط الذي هو طين ثابت تمتد الى ناقو وتمتاز البحر في اتجاه جنوبي شرقي وهذه الجزائر التي يسكنها التركمان فيها عدة مينات يمكن أن يجعل بها حواصل تجارات وتسمى كلها جزائر اوغرجي وهذا الاسم يطلق ايضا على الساحل القريب من هذه الجزائر ويدل ايضا على ارض تسمى ارض القثا

خوارزم

وفي جنوب بحيرة ارال يكل بصر الانسان من رؤية الصحارى المتساوية ثم يجد للراحة منظر ارض يسيرة الخصوبة تسمى عند العرب خوارزم وعند التتار كاريسيم وكذلك عند الروسية وتسمى عند الاقدمين خورزميا وتسمى ايضا باسم خيوا وهو اسم مدينة من اعظم مدنها وقد كان لاتراك خوارزم في القرن الثاني عشر من الميلاد دولة عظيمة صاحبة قوة وبأس اضمحلت الآن وصارت مقصورة على اقليم خيوا الذي يمكن للفارس أن يطوفه في ثلاثة ايام

قطر

ثم ان الجغرافيين من المشارقة يجعلون بلاد خوارزم باردة بالنسبة لبلاد العجم لان نهر جيحون ينعقد ماؤه كل سنة واخبار الروسية تدل على أن هذا الاقليم معتدل ولا يمكث الجليد به الا قليلا من الايام وتقل به الثلوج وتذوب بسرعة وصيفه غير شديد الحرارة ولكن خريفه ممطر

طبيعة الارض جبال

وجبال ويسلوقا التي هي فرع من جبال اورتو تشغل جزأ من خوارزم الشرقية وبها معادن الذهب والفضة التي كانوا يستخرجونها في سابق الزمان ثم نهت دولتهم الآن عن البحث عن اثرها ويقال انه يوجد بهذه الجبال الزمرد والسردون وغيرهما من الاحجار النفيسة واعظم جزء من هذه البلاد سهول وارضه غالبا مركبة من طين طفلي يضرب الى الحمرة وهي صالحة للزراعة بانواعها ولكن الصحارى الرملية المتموجة المحيطة بالرمل قد تجور في بعض الاحيان باضرارها على عدة مزارع كثيرة

نهر جيحون

والنهر العظيم المسمى جيحون ويقال له ايضا امو يجتاز هذا الاقليم وعرضه على ما قاله مورخو اسكندر نحو ست استادات اوسبعة ولو في الجزء الاعلى من مجراه وهو عميق لا يمكن لاحد أن يخوضه والجغرافيون من العرب وصفوه بنظير هذه الاوصاف وذكروا له بعض فيضانات فاذا وصل لسفح جبال ويسلوقا في خوارزم انقسم الى عدة خلجان للسقي ويبقى فيه فرعان اصليان عظيمان احدهما باق مياهه في جميع الازمان والفصول واما الفرع الآخر فانه ينتشر في زيادته على سهل سبخ على حافاته فيكون مثل سائر الانهر الرديئة الفراش يمكث بعض الاحيان يابسا في عدة اماكن من مجراه

زيادته خلجان السقي

ثبانات

ومما يخرج بارض هذا الاقليم الحنطة والارز والشعير وذرة بخارى والجوغورا وهي صنف من الارز والحمص والفول والعدس والقنب والدخان والقطن والقوشوط العجمي وهو نبات يستخرج منه الزيت وسائر انواع الفواكه المستطابة والتوت والعنب يكثران في هذا الاقليم فينضج فيه العنب نضجا كاملا ولكن لكون اهله اسلاما يمنع عندهم عصيره نبيذا وفي مروجه الطريفة يسرح كثير من البقر والخيل لا تجد الا يسيرا من المراعي التي بهذا الاقليم ويكثر به الطيور الاهلية وانواع المصيدات ذات الاجنحة توجد فيه بكثرة لمن يقتنصها

حيوانات

اهال

واهالي هذا الاقليم بعضهم تتار من قبائل مختلفة لا سيما قبيلتي الازبك والتركمان وبعضهم الآخر من قبائل بخارية فهو منقسم ايضا كما في بخارى الى سرتية اي تجار والى تاجيق وهم رعاع الناس والبخاريون هم المتأصلون بهذا الاقليم حقيقة ثم ان امم التتار يسمون البخاريين الساكنين في دولة خيوا باسم ارجنج وهو اسم مدينة قديمة كانت قاعدة بلادهم سابقا

ولاية خيوا

ثم ان خوارزم منقسمة الى ولايتين هما الآن مستقلتان ولاية خيوا وولاية كونرات اوولاية الارالين وولاية خيوا سطحها نحو ستمائة فرسخ مربع واهلها من مائتي الف نفس الى مائتين وخمسين الفا ورئيس دولتها حان له ديوان عظيم بالنسبة لدواوين ملوك التتار ولكن ليس له حكم الا في الظاهر وانما وظيفته أن يختم بخاتم المملكة على جميع الخلاصات التي تقدم له وليست القوة والامر والنهي في الحقيقة الا لاحد الاعيان الذي يقال له الاياق وهو

دولة

رئيس

رئيس الديوان الذى هو مشورة الدولة واهل هذه المشورة هم ضباط العساكر ولا يتقلدون رتبهم الا برضاء الملكة وثم انسان آخر له نفوذ كلمة فى الدولة وهو ملاباشى اى رئيس الملا وهم العلماء ولا يندر بهذه الولاية قتل الخان بالسلاح او بالسم وقد انقرضت دولة الخان المتأصلة بهذه البلاد منذ خمسين سنة فاضطر اهل خيوا الى أن يختاروا خانهم من امراء الغرغز المجاورين لهم ويقال ان عساكر خيوا تبلغ عشرين الف مقاتل بدخول التركمان والازبك المحكمين من الخان وهذه العساكر اكثرها فرسان وسلاحهم القوس والرمح والسيف وقل أن ترى عندهم بندقا وما عندهم منه فهو من بندقى الفيلة

حالة عيشهم

ثم ان اهل خيوا الذين يسميهم الموسقو خيوانتز يعيشون على وجه يقضى بأنهم متمدنون تمدنا كافيا وكلام البرجندى يقتضى أن عقولهم واذهانهم احسن من غيرهم من امم التتار يصرفون همتهم فى الشعر ويميلون طبعا للموسيقى حتى ان اطفالهم اذا بكوا يظهر لبكائهم وصياحهم وزن وقد الف ابو الغازى امير خيوا كتابا يشتمل على تاريخ التتار ثم ان امم التتار يتعهدون اراضيهم بالزراعة ويربون دود القز ويشتغلون اقمشة الحرير والقطن والاقمشة القطنية التى تنسج من الحرير والقطن معا والذى يشتغل هذه الاقمشة هو النساء فى بيوتهن وليس عندهم اصلا

صناعة

فبريقة على منوال الافرنج ثم ان قوافل خيوا تحمل الى اورمبرغ الحنطة والقطن الخام واقمشة الحرير والقطن وثياب النوم المزركشة بالذهب مصنوعة جاهزة وتسمى الشالاتى وجلود الغنم وفى بعض الاحيان تحمل معها الى تلك المدينة نقودا محمية وهندية وتشترى من بلاد الروسية البضائع الافرنجية وتشترى من التركمان خيلا وبقرا وغنما ومدينة خيوا هى ايضا سوق عظيم للممالك والتجارة الخارجية لهذه الولاية تساوى ثلثمائة الف روبلة وهى نحو مليون ومائتى الف فرنك

تجارة

ومدينة خيوا على خليج خارج من جيحون ويحيط بها خندق وجدار من الطين وسور ولها ثلاثة ابواب وقلعة وثلاثون مسجدا ومدرسة عظيمة وبها ثلاثة آلاف بيت مبنية بالطين على نسق أبنية تلك البلاد واهلها نحو ١٠٠٠٠ وحولها الغيطان والكروم ومزارع الحنطة والقرى العامرة وكورة خيوا كلها تحتوى من الاهالى على ستين الفا وعلى احد عشر فرسخا فى شمال خيوا تجد مدينة اورغنج الجديدة على الخليج الذى عليه خيوا وبها عشرون مسجدا والف وخمسمائة بيت واهلها خمسة آلاف نفس وما بقى من اهل الكورة وهو خمسة وخمسون الفا يوزع على الاقليم

مدن

ومن مدنها مدينة ساباط وكاث وهما مدينتان صغيرتان احداهما اهلها الفا نفس والاخرى الفان وخمسمائة نفس ومن مدنها ايضا مدينة انبارى وليس اهلها الا الف نفس ولكن كورتها احد واربعون الفا واقليم شنكا اهله سبعة وعشرون الف نفس ومدينته تحتوى على الفى نفس من ذلك وازاريس التى يظهر أنها مدينة هزارسب ابن حوقل اهلها الف وخمسمائة نفس واما هى مع الاقليم فاهلها احد عشر الفا وخمسمائة واما هرليان فهو مكان صغير بعد من القلاع وكورته عامرة جدا اهلها ستة عشر الف نفس فهؤلاء الاهالى المجتمعون فى مسافة عشرين الى ثلاثين فرسخا من الطول والعرض يرى فيهم اركان دولة عظيمة لو امكن لنزلة افرنجية أن تستوطن بين هؤلاء الامم المتمسكين غاية التمسك بدين الاسلام

ثم ان الازبك الاراليين الساكنين بالسهول المجاورة لبحيرة ارال يسمون ايضا كونرات باسم مدينتهم الاصلية التى هى فى الحقيقة معسكرهم شتاء ومحيطها خمسة فراسخ وهى محصنة بسور من الطين ارتفاعه اثنا عشر ذراعا روسيا وابوابها تغلق عند الحاجة بالآلة المسماة باسم جك فلك ويقال جرخ فلك ودون هذه المدينة مدينة منوف وكزلكوشا وامامدينة قيجاق فهى قلعة بها داخلها من الرباط الف وخمسمائة نفس والاراليه يحكمهم الثنا عشر بيكات منتخبان يدفعان لدولة خيوا ميريا سنويا نحو الفى دوكات ولكن لا يدفعانه فى حالة حربهم مع دولة خيوا وحربهم مع هذه الدولة يحصل فى غالب السنين والاراليه مع قبائل قراقلبق والتركمان الذين يعيشون معهم يبلغون نحو مائة الف نفس وجميع هؤلاء الامم الذين هم ليسوا رحالة تزالة بالكلية بل عندهم نوع من العمران والتمدن يصطادون برا وبحرا ويضمون هذا الى ما يتحصل من مواشيهم

الاراليون
مدينة كونرات

واعظم اقاليم التتار واظرفها هو اقليم بخارى الكبرى ولكن حدود هذه البلاد تختلف شمالا وجنوبا على حسب تغير باس ارباب دولتها وهم امة الازبك التى تستولى عليها واما اقليم ماوراء النهر الشهير فانه جزء من بخارى الكبرى فى شمال جيحون

بخارى الكبرى

واشهر تلك الاقاليم واخصبها اقليم صغد وانما سمى بذلك باسم نهر يحتازه قال ابن حوقل يمكن السفر مدة ثمانية ايام فى بلاد الصغد من غير خروج من البساتين المستطابة وبجميع ارجائها القرى والضياع والمزارع العظيمة والغيطان

اقليم صغد

الكثيرة الربيع والكروم والقصور التي فى الخلاء والحدائق والمروج والغدران الجارية فى خلالها والحياض والخلجان وكل هذا يبدى لنا حسن تدبيرها وسعادتها

وذلك لان وادى صغد يتولد به كثير من العنب العظيم الكثير ومن القاوون والكمثرى والتفاح ومنه ينقل الى بلاد العجم بل والى بلاد الهند

سمرقند وقاعدة بخارى الكبرى مدينة سمرقند على الشاطئ الجنوبى من نهر الصغد وليس عند الافرنج اخبار جديدة تتعلق باحوال هذه المدينة الشهيرة تفصيلا والظاهر أنها فقدت كثيرا من بهجتها وزهوها من عهد تيمور فانه كان بها قبل ذلك مواسم عظيمة بها يحصل نورانية للقصر السلطانى والمدينة والارباض التى حولها والرساتيق والظاهر أن مدينة سمرقند كانت فى ابتداء القرن الماضى محصنة باسوار من طينة الحوارة واكثر بيوتها كانت مبنية من طين البزى صلب وبعضها مبنى بالحجارة التى تخرج من مقاطع الحجر التى بجوارها وخان بخارى الكبرى كان ينصب معسكره فى المروج التى حولها وقلعتها كانت فى ابتداء القرن الماضى مشرفة على التهدم وهذه المدينة مشهورة فى جميع اقاليم الشرق بجودة ورق الحرير ويقال ان الافرنج تناولوا عنها ابتداع هذا الورق وذكر ابن حوقل أن معمل ذلك الورق كان معروفا من سنة ٦٥٠ من الميلاد

ماحوالى بخارى وقال كنت فى كوهندين وهى قلعة بخارى فى قديم الزمان فنظرت حوالى فلم ار خضرة اعظم ولا اكثر من الخضرة التى حولها ولم ار بساطا من الازهار اوسع من ذلك وتزيد بهجة ذلك اذا نظرنا الى اختلاط هذه الخضرة بافق السماء الزرقاء فتجد الرياض الخلائية تعير المدن زينتها البسيطة وهذه الرياض مكللة بتجبان البيوت المبنية فيها للنزاهة فلا عجب اذا طالت اعمار اهل بخارى اكثر من اعمار غيرهم من سكان خراسان وماوراء النهر انتهى

مدينة بخارى ومدينة بخارى على نهر الصغد تنافس سمرقند فى كونها كانت ايضا دار الولاية وفى سنة ١٧٤١ من الميلاد زار وكلاء التجارة الانكليزية هذه المدينة التى تشرف على جانب سطح مرتفع على ضفة نهر وربوة مدرجة فوجدوا هذه المدينة واسعة الارجاء كثيرة الاهل يحكمها خان ويصطنع اهلها الصابون والقشة القطن ويزرعون الارز ويربون الضرع ويأتيهم من بلاد القلموق الراوند والمسك وحجر اللازورد وغيره من المعادن النفيسة البدخشانية وكان عندهم نقود الذهب والنحاس واهلها متمدنون الا أنهم ارباب خداع وذكر قول الجغرافى العثمانى ان ارضها خصبة جدا بحيث ان المزرعة التى مساحتها دومان اودومانان اى فدان عثمانى اوفدانان تكفى فى قوت عائلة كاملة

اقاليم واش وكيلان وبذخشان والجزء الشرقى من بخارى ارضه كثيرة الجبال فاقاليم واش وكتلان وكيلان تمتد الى جبال بلور ومن مدنه غير ما تقدم مدينة بذخشان وهى صغيرة لكنها حسنة البناء كثيرة الاهل واهلها ارباب ثروة عظيمة من الذهب والفضة واليواقيت التى توجد حولها لان السيول النازلة من الجبال عند ذوبان الثلج فى مبدا الصيف تجذب مقدارا عظيما من حبات الذهب والفصة وتذهب عدة قوافل الى بخارى الصغرى والى بلاد الصين فتمر بهذه المدينة وثم قوافل اخر تختار طريق التبت الصغيرة على الناحية الشرقية من هذه الجبال قال ابن حوقل ان ارض بذخشان اوبدخشان زيادة على مافيها من معادن اليواقيت واللازورد بها مقدار عظيم من المسك ومدينة ترمذ مدينة عظيمة مبنية بالطوب

اقليم الغور ثم ان اقاليم بلخ وطخارستان والغور هى فى جنوب نهر جيحون ويغلب على الظن أن اقليم الغور الذى مدينته تسمى مدينة الغور ايضا هو الآن جزء من مملكة قندهار ومدينة باميان التى هى من هذا الاقليم قد سبق ذكرها فى تخطيط بلاد العجم وهى شهيرة بعدة آثار منها عدة صور لا تحصى منحوتة فى جبالها

اقليم بلخ ويحكى عن بعض التجار أن الافغان استولوا فى قديم الزمان على بلخ التى كانت تسمى فى الزمن القديم بصر والتى هى احدى مدن بخارى الثلاثة وفى ابتداء القرن الماضى كان لمدينة بلخ خان مخصوص وكانت عظم تلك المدن وكانت بيوتها مبنية بالطوب او الحجر وكان معظم قلعتها مبنيا بالرخام الذى كان يستخرج من الجبال المجاورة لها وكانت مطمح نظر امة العجم والهند ولما كانت الغيرة حاصلة من اهل العجم والهند وكل منهما لا يحب تمكن الآخر من هذه المدينة كانت بلخ فى امان من ذلك اكثر من امان الجبال التى تحتوى على بلخ ومن امان الصحارى التى تحد فتحها هذه المدينة من الجهة الاخرى

طخارستان ومدينة اندراب هى قاعدة اقليم طخارستان وهى بقرب مجاز فى جبل منه يسلك جبال الهندوكوه وهذا المجاز كان تتعهد الخان حفظه مع غاية الاعتناء والاهتمام ولكن غيره الافغان وسلكوه وقربه مقاطع حجر اللازورد الذى هو مادة اخذها اسلاف الافرنج من بخارى الكبرى ولا زالت الى الآن بخارى تبعث هذا الجوهر

النفيس الى الافرنج

وهذا الاقليم العظيم الذى خططناه هو اقليم ماوراء النهر الذى ذكره مورخو العرب والتتار وفى هذا الاقليم كان كرسى تيمور لنك وكانت جميع الرسل المبعوثين من ملوك الدنيا تأتى خاضعة لرئيس هؤلاء المغول وفى سنة ١٤٩٤ من الميلاد طرد السلطان بابر وهو من نسل تيمور هو واتباعه من المغول ودخلوا فى بلاد الهندستان واسسوا فيها مملكة مغولية ثم ان التتار المنصورين الذين يسمون ازبك اقاموا دولة ذات شوكة فى بخارى فصار كرسى هذه الدولة يتعاقب عليه عدة خانات من سنة ١٤٩٤ الى سنة ١٦٥٨ من الميلاد ثم انقسم هذا الاقليم العظيم الى عدة ولايات من غير اذن احد من الخانات على اختلافهم

مملكة الازبك

سكان متاصلون

وامة الازبك التى يظهر أنها كانت ساكنة فى هذا الاقليم من القرن الثالث الى الرابع من الميلاد لم يمح منهم آثار جنسهم القديم وهؤلاء الساكنون المتولدون به يسمون التاجيك وهم اظرف من التتار بلطف شكلهم وظرافة تقاطيعهم وانهم شبيه بتتار بلاد بخارى الصغرى كما يشبههم ايضا فى الملبس وملابس ارباب اليسار الحرير والفرا والثياب العظيمة للنساء هى ذات الطيات العريضة المختلفة ويزين شعورهن بضفائر اللؤلؤ ثم ان البخاريين يعيشون معيشة القناعة يقتنون اصالة الارز والحنطة والذرة ولاسيما الفاكهة كالقاوون والعنب والتفاح وغير ذلك ويستعملون كثيرا زيت السمسم وشرابهم الشاى المتبل بالانيسون وعصير العنب المسمى بالنبيذ الحلو ويتعاطون الافيون وخبزهم من غير القمح

كيفية معيشتهم

وعادة البخاريين أن لا يحملوا السلاح اصلا بخلاف الازبك فان لهم خبرة بالرمى بالبندق بل ذكر بعضهم أن نساء الازبك اللاتى يفقن فى الملاحة نساء باقى التتار يتبعن ازواجهن فى الحروب بل ويقاتلن بجانب ازواجهن

لسان

ثم ان الازبك يتكلمون بلغة تسمى السغطيانية وهى لغة الترك او التركمان واما لغة البخاريين التى تستدعى انتباها غريبة فهى الى الآن لم تعرف حق المعرفة وقد وجد فيها عدة الفاظ جغرافية يظهر أنها فارسية وغوطية

دولة

والازبك والبخاريون دينهم دين الاسلام وهم على مذهب السنية وحكم الخان ليس مطلق التصرف بل هو مقيد بدخلية الدين وبعض قوانين يقال انها عظية ويقال ان ولاة الامر بخارى يجوز عزلهم شرعا

اهال

والى الآن لم تصل الى الافرنج اخبار صحيحة فى شان اهل تلك البلاد ولا مانع أن هذه الولاية عند الحاجة يمكنها أن تجهز ثمانين الف مقاتل وكلام هنوبية يقتضى أن خراسان كانت فى الزمن السابق لها من الايراد اربعة وعشرون مليونا من الفرنكات فى كل سنة فلا مانع من أن ايراد بخارى الكبرى يساوى ايراد خراسان وهذا اقل ما يمكن وذلك لان الخانات كانوا يأخذون فى قديم الزمان من التزاماتهم ومواشيهم اكثر من جميع المكوس

اوصاف البخاريين

ثم ان ابن حوقل الذى هو ابو الجغرافيا العربية ذكر لنا اوصاف امة بخارى فى هذه العبارة

ونصها قد بلغ البخاريون فى الكرم والسخاء مبلغا بحيث لا يأبى احد منهم حق الضيافة فاذا وصل اليهم غريب بادر كل منهم بالاحداق به وكل منهم يريد أن يأخذه عنده فيقع التنازع بينهم ويتنافسون فيه فمن اخذه منهم غبطه من عداه فاذا كان احدهم لا يملك الا ما يستدبه الرمق اخذ الضيف فى خصه ورحب به واطعمه شيأ من ثمر زراعته ولهذا كانوا اغنيا القلوب عند شدة الفقر ولما كنت فى بلاد الصغد رأيت مبانى عظية شبيهة بقصر ابوابه مفتوحة بالكلية ومثبتة فى الحائط بمسامير عظية تمسكها عن أن تغلق فسألت عن ذلك فاجابنى بعضهم بأنه من منذ مائتى سنة لم يغلق هذا البيت ليلا ولا نهارا وحتى الآن ما كان عددهم لا يصدهم عنه شئ فى اى ساعة من الساعات وصاحب البيت دائما يحرص من قبل على ما يحتاج اليه لتلقى الناس ولعلف الحيوانات ولا يسترد الا اذا امكث الضيوف عنده مدة من الزمن فلم ار عمرى نظير ذلك فى ارض من الاراضى وذلك لانه فيما عدا هذه الارض جميع الناس سواء كانوا اغنياء او ارباب شوكة او لا ينفقون اموالهم فى هوى انفسهم وزينتهم وعلى الناس لا استحقاق لهم فى ذلك ولا فضل لهم الا كونهم ارباب فساد كالمنفقين سواء بسواء واما اهالى ماوراء النهر فان لهم عادة احسن من ذلك بالنسبة للاقتصاد وذلك أنهم يبنون خانات وقناطر وغيرها من الامور النافعة ففى بلاد ماوراء النهر لا تنزل بمدينة ولو من اقبح المدن بل ولو كانت فى صحراء الا وتجد فيها خانات لبيع الاكل والسكنى وتجد المسكن مشتملا على جميع الاشياء اللازمة للمسافر فتخير ماوراء النهر لا يمكن أن يعموه فخر اقليم آخر فقد خرج منه كثير من عظماء السلاطين وامراء العساكر الماهرين وليس من امم الاسلام من يفوق امة هذا الاقليم فى الشجاعة وكثرة الاهالى وقاعتهم لولا تهم تجهلهم احسن من غيرهم من باقى الامم الذين اذا انهزمت عساكرهم

ال امرهم الى عدم امكان تحصيل غيرها لمنع العدو عنهم الابعد زمن طويل ولكن فى بلاد ماوراء النهر اذا حصلت هذه الحادثة بادرت قبيلة من القبائل بجبر خسارة الاخرى انتهت

الحالة الراهنة

وجميع التمدن الذى ادخله الاسلام عند هذه الامة انكسف نوره وذهبت دولته وفخاره وذلك لان اخبار الموسقو الذين دخلوا فى بلاد خيوا وبخارى تدل على أنه يخشى على السياحين من النصارى أن يجدوا موانع تمنعهم وهى تشديد ارباب الغيرة الاسلامية

المقالة الثامنة والخمسون فى تخطيط آسيا * بلاد سبير * اوصاف طبيعية عمومية

بيان هذا التخطيط

اعلم أن صور تخطيط اتنا لابد أن تختلف باختلاف طبيعية الاراضى والاقاليم فقد يوجد اقاليم كبلاد عثمانية آسيا مثلا يجمع فيها اختلاف تسوية الارض فى مسافة ضيقة عدة امزجة للهواء وتولدات مختلفة واهالى متنوعة ومن الاقاليم ما تكون ارضه متسعة جدا فيتحصل فيه تلك الاسباب الطبيعية دائما مسببات متحدة فاقليم سبير اوآسيا الشمالية من هذا القبيل وايضا فى بلاد الشام وفى آسيا الصغرى مدن شهيرة فى تواريخ الدنيا استدعت أن يعتنى بها بل وفى بلاد العجم اقليم صغير به غالبا فوائد تاريخية واما سبير فلا شئ فيها من ذلك بل نحن خارجون عن موضوع التاريخ بالنسبة لهذه الولاية وذلك لان آثار الوقائع الماضية فى بلاد الدنيا لا تصور هنا على وجه أن تدل فيها على عظيم شئ كغيرها وطبيعة هذا الاقليم الوحشية القفرة المتعاصية غالبة الى الآن على التمدن المشروع فيه فحينئذ يسوغ لنا أن نجمع هذه الاقاليم الواسعة فى تخطيط واحد ونختصر ذلك التخطيط الذى هو معروف جدا ومبسوط غاية البسط فى الكتب المترجمة من لغات النمسا والموسقو فنقول

كان قدماء اليونان والرومانيين يجعلون المحيط الاسقوفى يمتد على المسافة التى فيها ارض سبير واما بطليموس الذى كان اعلم منهم وامهر فقد جعل على الشمال الشرقى من بحر الخزر ارضا واسعة مجهولة فكانت نهاية معارف الجغرافية القديمة لا تزيد عن الجبال الاورالية وفى الاعصر الوسطى سمع السياحون ومنهم مرقبول التتار يتحدثون على وجه خفى فى شأن ولاية كثيرة الفرا ومحجوبة بالسحاب المظلم المستمر وفى سنة ١٢٤٢ من الميلاد اسس التتار على شطوط نهرى ارتيش واوبى خانة تسمى خانة سبير باسم قاعدتها وتسمى ايضا خانة تورا باسم نهر قريب منها ثم ان اسم سبير لاعلقة بينه وبين كلمة سوريا التى معناها باللسان الموسقوبى بلاد الشمال وان كانا متقاربين فى اللفظ جدا وقد ترتب على استيلاء القوزاق على هذه المملكة عدة استكشافات نشأ عنها اتساع حكم الروسية والمعارف الجغرافية حتى بلغت النهاية الشرقية بآسيا وقد اسلفنا ذلك فى الجزء الاول وصار اسم سبير يطلق على جميع الاراضى التى عرفت فى حادث الازمان بل اطلق ايضا على ممالك تتار ازدراهان وقزان التى اتحدت زمنا طويلا قبل ذلك مع مملكة روسية اوروبا على سبيل التوسع ومع ذلك فحيث كان هذا التوسع لا معنى له لزم أن لا نبقيه فى الجغرافيا ومن قرأ بالتأمل صورة تخطيط دولة الروسية المذكور فى خرطات مدرسة بتربورغ ظهر له أن اهل هذه المدرسة صاحبة المعارف ادركوا أن سلسلة الجبال الاورالية كما تقسم طبيعة مملكة الروس الى قسمين عظيمين تعين ايضا على وجه لا يتغير حدود سبير الحقيقية وايضا لا يخفى أن دنويل فى خرطة آسيا الطريفة وبوسشنغ فى جغرافيته وجورجى فى ذكره احوال بلاد الروسية جعلوا اسم سبير مقصورا على الولايات التى فى شرق الجبال الاورالية

التوسع فى اسم سبير

حدود

فاذا علمنا أن سبير محصورة فى هذه الحدود علمنا ايضا أنها محدودة شمالا بالبحر المنجمد وغربا بالجبال الاورالية التى تفصلها من اوروبا ومن جهة الجنوب الغربى بجبال الجيديم شالو التى تفصلها من التتار المستقلة ومن جهة الجنوب بسلاسل الجبال التائية والسيانية والدورية وهذه السلاسل تفصلها من سلطنة الصين ومن جهة الشرق بالبحر المحيط الشرقى وبيوغاز بهرنغ الذى يفصلها من امريقة الشمالية

اتساع

وطولها من الغرب الى الشرق لا يمكن أن يكون دون الف وخمسمائة فرسخ وعرضها من الجنوب الى الشمال يختلف ما بين اربعمائة فرسخ وسبعمائة وسطحها نحو سبعمائة الف فرسخ مربع يعنى أنه اكبر من سطح اوروبا بثمانها بجزءين من سبعة اجزاء اى سبعين ولو جعلنا اوروبا تمتد الى بحر الخزر

ونحن الآن لا معان النظر فى سلاسل الجبال والسهول العظيمة الواسعة والانهر الاصلية فنقول

جبال اورالية

ان الجبال الاورالية التى تفصل سبير من روسية اوروبا تتجه من الشمال الى الجنوب بمسافة ٤٠٠ فرسخ وعرضها يختلف من عشرين الى اربعين وهى قليلة الارتفاع بين اقليمى باسوبى واوسا ويزيد ارتفاعها فى اقليم بتشورا وفى نحو ستين درجة وثمانية وخمسين من العرض بقرب مدينتى سوليكمسك وويرشوتوريا ترتفع ارتفاعا عظيما وتنخفض وتنبسط فى عرض اكتر نبرغ ولكن تأخذ فى الارتفاع ثانيا ببلاد البشكير فى خمس وخمسين واربع وخمسين درجة من العرض ومنها جبل پاودنسكو كامن وقد مسحوا ارتفاعه بقوانين علم المثلثات فوجدوه يرتفع ستة آلاف وثلثمائة وسبعة وتسعين قدما على سطح بحر الخزر وعدة رؤس من جبال الورشوتورية تبقى عليها الثلوج المستمرة ولا يعلم هل هذه الصفة توجد فى جبال البشكير اولا وجبل اورال فى الغالب هو ربوة مستطيلة مرتفعة من اربعة آلاف قدم الى خمسة آلاف وعلى هذه الربوة جبال ارتفاعها من الف قدم الى الف وخمسمائة

ارتفاع

ولا تعرف حق المعرفة طبيعة جبال اورال الشمالية وانما يظهر أن العنصور الكلسية متحكمة فيها وهي خالية عن المعادن وغيرها في زبلة الجديدة التي يظهر أنها متصلة بجبال اورال ومن ستين الى اربع وخمسين اوالى اثنتين وخمسين درجة من العرض كان استخراج المعادن سببا في جعل هذه العنصور معروفة على سبيل التفصيل واذا صعدنا من جهة سولیکمسك وبرم اوافا نجتاز اولا سلسلة تلال مرصوصة طبقات طبقات مركبة من حجر البلاط ومن ثقوب كلسية ثم نأتي على سلسلة صخور كلسية خالصة ليست مستحجرة ثم نجتاز سلسلة جبال صفائحية متكونة اصالة من رافات طفلية واخرى على شكل القرن ومشتملة على مالا يحصى من احجار معدن الحديد التي هي تارة كالسلوك وتارة هدفات ثم نصل الى السلسلة الاصلية التي تقسمها الروسية الى ثلاثة اقسام اورال وبرشوتوريا واورال اكتيرنبرغ واورال البشكير وفي هذه السلسلة الاصلية يظهر حجر الصوان طبقات عظيمة وفي بعض الاحيان تجد عناصر هذا العنصر لاسيما الكورتز كما يرى بالقرب من دشجلغا كل عنصر على حدته ذا هدفات عظيمة وعلى المسيل الشرقي من هذه السلسلة تجد احجار صوان مصفحة يسميها علماء المعادن النيماوية والموسقوبية باسم غنيس وهنا ايضا كما في الجهة المقابلة تجد وانت نازل جبالا صفائحية ثم تجد بعدها جبالا كلسية ولكن حدود جميع هذه الجبال هي اقل تقطعا من غيرها وفيها كثير من اصناف العنصور والمعادن وكذلك الحديد يوجد بها دائما بكثرة والعنصرة التي يستخرجون مابها في بلاغوداد غلظها ماية وخمسون قامة بل هنالك تل كامل مركب من الحديد المغناطيسي ولكن زيادة على مافي هذه الجبال من الحديد يوجد بها ايضا كثير من النحاس ويسير من الذهب والرصاص وحجر الحية والشب والمر المحي وسلسلتا اورال الكلسيتان مثقوبتان بكثير من المغارات والكهوف ولكن المغارات المخروطية الشكل الكثيرة في هذا الجبل من جهة اوروبا والمتسعة من هذه الجهة اتساعا عظيما لاسيما بقرب كونغور وبرم لا توجد في هذه الجبال الا من جهة سبير

ثم ان جبل اورال يتفرع عنه جهة الجنوب عدة سلاسل جبال صغيرة منها جبال اوبشي سرت التي تدخل في اوروبا ولا تظهر في سبير وجبال غوبرانسكي وهي فرع منفصل عن اورال البشكيرية على الشرق من اورال تجتمع بجبال اولوتو وبجبال الجيدم شالو وهي التي تفصل كما اسلفناه صحراء الغرغيز من صحراء ايسيم وهذه الارض المرتفعة هي حلقة ارتباط بين اورال وربوة آسيا الوسطى

وجميع جبال سبير الجنوبية من ايرتيش الى غرب بحيرة بيكال ليست الا رؤسا اي حروفا بارزة من الربوة الوسطى ومن السلاسل العظيمة التي هي مرتفعة على هذه الربوة وينبغي أن يتذكر الانسان دائما هذه الربوة وانها هي الاصل لهذه الارتفاعات ولا يقطع النظر عنها فلا يلزم البحث في هذه السلاسل الصغيرة عن اتصال لم يكن بينها

ثم ان جبل التاي الصغير هو مسناة اسفل من التاي الكبير الذي هو خارج بالكلية عن حدود سبير واما التاي الصغير فانه نهاية حدها وهو يمتد من الايرتيش الى ينسية وفي خلال هذا الجبل حلق ضيق يسمى الادشبكان وهو اصل نهر اوبي وفي الجنوب ربوة عظيمة تفصل التاي الصغير من الكبير وفي الشمال واد ينفصل هذا التاي الصغير من الجبال المعدنية المسماة جبال كليوان والحفرات الكلسية تعظم في جميع الاجزاء المعروفة من جبل التاي الصغير وبه يوجد رخام فور اليطيق وقد راى السياح شخصين رؤس هذه الجبال فوجدوا بها الصوان طبقات وعلماء المعادن من الموسقوبية شاهدوا بها معادن عظيمة من النحاس والرصاص والفضة واضمروا في انفسهم أن يستخرجوها اذا فرغت معادن كليوان وقد سمع بعضهم بميزان الحرارة احد رؤس جبل التاي الصغير فوجده نحو خمسة آلاف وماية وثلاثة واربعين قدما فوق تل شلخنبرغ بقرب بحيرة كليوان

وثم شعبة صوانية انفصلت من جبل التاي الصغير وبرزت بين نهري ايرتيش واوبي وهي ترتفع كالسلسلة شرالف واربعمائة قدم الى الف وخمسمائة فوق السهول المجاورة لها وثم جبال صفائحية وكلسية كثيرة النحاس المشوب بالفضة والذهب تستر من جميع الجهات قلب الصوان وهي الجبال المعدنية التي في كليوان والارتفاعات التي تهتدي صوب نهر اوبي من الميسرة الى لتقائه بنهر ايرتيش تسمى اورمان

وبين نهري اوبي وينسية تجد جبال كتزنك التي تتسلط فيها الصفائح الطفلية وبها طبقات متينة من فحم الحجر حتى ان بعضها اشتعل بنار الصاعقة فحكت ازيد من نصف قرن وهو يحترق

وجبال السيانية بين نهر ينسية وبحيرة بيكال ومن رأينا وجدها اقرب لكونها ربوة صخور من كونها سلسلة جبال بل الصيادون لا يأتون بها الا نادرا ثم ان الجرابحي وشيسمان ذهب اليها البحث فيها عن الراوند الحر فوجدوا بها كثيرا من الصوان وهذه الربوة تنقسم الى سلسلتي جبال على حافة نهر ينسية احداهما تسمى باسم هذا النهر والاخرى

طبيعة العنصور

جبل المغناطيس

غمام ومغارات

فروع اورال

جبال سبير الجنوبية

جبال التاي الصغير

جبال كليوان المعدنية

اورمان

جبال كتزنك

جبال سيانية

تسمى باسم كرسنوار وهو اسم مدينة هنالك وكتلتها الاصلية صوان احمر مشتمل على النحاس

جبال سيبر الشرقية

وفي الجنوب الغربي من بحيرة بيكال تبدي لنا بلاد سيبر مجمع جبال منتظمة وذلك أن سلسلة الجبال الوسطى باسيا تدخل هنا في الارض الموسقوبية وتمتد فيها متواصلة وتسمى باسماء مختلفة ولا تزال متواصلة كذلك الى بوغاز بهرنغ فتجد اولا دائرة جبال شامخة بها وادٍ من تنغ في حد ذاته وفي هذا الوادي تمتد مياه بحيرة بيكال وهي عميقة

جبال بيكالية

في حوضة من صخرة قل وجود الرمل بها واحيانا ترتفع من اسفلها قطع احجار كبيرة صوانية والجبال البيكالية مرتفعة جدا في شمال البحيرة وغربيها والظاهر من حالها أنها من كتبة اصالة من الصوان ومن عناصر تلك الصخرة الميكا التي تظهر في الغالب على شكل صفائح منعزلة يمكن أن تستعمل بدل حجر البلاط وحجر الكورتزو هو حجر الزناد تتكون منه هنالك جبال كاملة

وثم سلسلة صغيرة اقل من المتقدمة تمر بجنوب نهر اونون وعلى امتداد ارغون وهذه الشعبة المرتفعة ارتفاعا

جبال نرچنسك

هينا هي كثيرة المعادن على اختلاف انواعها وتسمى باسم جبال نرچنسك وهي اقرب لحالة التصفح من حالة الصوانية والسلسلة الاصلية تمتد من غير انقطاع في الشمال الشرقي وتفصل زائد مياه نهر لينا من المياه التي تنزل في نهر امور ولما كانت هذه الجبال في مبدئها هينة الارتفاع ومختلطة بالاقليم الجبلي المرتفع الذي بجوار بحيرة بيكال لم تسم الا باسم كلي وهو جبال داوريا وجميع هذه البلاد على ما يقتضيه كلام بطرين يمكن أن تكون مشحونة بآثار بركانية

جبال داوريا

ويمكن أن يكون بها على شطوط نهر شيلوق فوهتان لجبال النار التي خمدت نيرانها وعلى الغرب بيسير من منابع نهر اولكما تسمى السلسلة باسم جبال بيلانوية يعني جبال التفاح لما أن شكل هذه فاتها المركبة لها مستدير والمغول يسمونها

جبال بيلانوية المسماة جبال دايا

دايا وهو اسم شهير لانه يذكر اسم طايس وهو حرف تنتهي به على ما قاله بلنياس وملا بلاد ايسقوثية آسيا جهة الشمال الشرقي فاذا ارتفعنا وقربنا مستترين من البحر المحيط الشرقي وجدنا هذه السلسلة من ابتداء منابع نهر

جبال استنوبوية

ألدان تسمى باسم جبال استنوبوية ثم تسمى بعد ذلك باسم جبال اوختسك ولا تعلم علة هذه التسمية والظاهر أن هذه الجبال صوانية وبرفيرية ولكن يوجد بها كثير من الجبال التي يكون منها الجبل بتمامه من اليشب الاحمر والاخضر

وثم فرع منفصل يمتد بطول نهر اولكما بل ويمر بنهر لينا وهذه الجبال طبيعتها صفائحية وبها معادن النشب وفحم الحجر ومنها يتكون على شطوط نهر لينا صخرات اهرامية متواصلة تواصلا عجيبا

والسلسلة الاصلية خلف نهر اوختسك لا تعرف الا قليلا قال بعضهم انه ليس بها انقطاع وانها تصل الى بوغاز بهرنغ وان كانت منخفضة انخفاضا عظيما وثم عدة فروع تمتد بين نهر لينا ونهر اندیجركا ونهر كوويما وبين هذه الفروع الجبالية والبحر المنجمد مسافة قليلة ولكن لا تصل الى شطه الذي على حافاته في الغالب تلال منخفضة على ما قاله بلنفيس وثم شعبة اخرى جبالية غير هذه الفروع اهم منها تدخل في بحيثجزيرة فجيتقا وبعد اختراقها تمتد ايضا كانها سلسلة

جبال فجيتقا براكين النار

بحرية تصل الى جزائر كوريلة وبابونيا وهذه الجبال التي هي جبال فجيتقا مستورة بثلوج دائمة ومشحونة ببراكين فمنها ثلاثة جبال نارية شغالة تقذف لهبها وهي بركان اوتيخا وبركان تلباچيق وبركان فجيتقا وهو مرتفع جدا وثم غيرها من البراكين التي انقطع دخانها وقذفها للهب ولكن هنالك ايضا جبلان يخرج منهما البخرة يحبها دوي وهدير يخشى منها أن تنقلب يوما وتصير براكين تقذف نيرانا وهنالك عدة عيون حامية وكثير من الكبريت الذي يستر في عدة اماكن الشط في شكل حصى وهذا يدل على أن هذه السلسلة الجبالية مستعدة لحالة البركانية وقد ذكرنا فيما سبق أن هذه البراكين لها اوصلة ببراكين جزائر بابونيا ولكيو وفرموزة وجزائر فليبينة

اسطيبة

ولنا الميل الكلام على تخطيط جبال سيبر آن لنا أن نشرع في تخطيط سهولها الواسعة المسماة اسطيبة التي تشغل من ارض سيبر جزأ عظيما فنقول انها مختلفة ومتباينة بعضها مع بعض بالنسبة لمناظرها وطبائعها فتجدها في بعض المواضع شبيهة بسهول امريقة المسماة ساوانة حيث ترى بها مراعي واسعة كثيرة الاعشاب الغزيرة العالية وفي مواضع اخرى تجد طبيعتها مالحة وهذه الاسطيبات تشتمل في الغالب على كثير من البحيرات وذلك لان المياه اذا لم تجد مسيلا منحدرا تضطر الى أن تمكث دآثارا كدة واقفة وقد سبق لنا أن بين مصبي نهر الدون ونهر الاتل اسطيبة اي سهلا يشبه فراش البحر وعلى الشط الجنوبي من نهر الاتل يمتد سهل شبيه بذلك السهل يسمى اسطيبة القلوق اي سهل القلوق وهذا السهل محدود جنوبا بحر الخزر وبحيرة خوارزم وليس مفصولا شمالا من سهل السيم الا بجبال اولوتو وسهل السيم وهو من سبير يمتد جهة شطوط نهر توبول في الشمال الغربي وجهة شطوط نهر ارتيش في جهة الشرق وفي هذه الجهة الاخيرة يجتمع بسهل برابا

اسطيبة السيم
اسطيبة برابا

وهذا السهل يمتد بين نهرى ايرتيش واوبى وبهما ينتهى جهة الغرب والشمال والشرق ويتصل من جهة الجنوب بالجبال التاى الصغيرة وطوله مائتان وخمسون فرسخا وعرضه ستون فرسخا فاكثر الى سبعين وارضه طيبة يخترقها غابات من شجر البتولا وارض السيم مثل هذا السهل فى المنظر وان كان هذا المنظر بها نادرا وفى كل من هذين السهلين مقابر بها آثار مشايخ القبائل التترية والمغولية

سهول سيخة جهة الشمال

وبين نهرى اوبى ، ويسية اقليم جبلى يفصل نهر شوليم من نهر يسيه ويجبره على ان يجرى جهة نهر اوبى ولكن هذا الارتفاع يضمحل ويتلاشى بنواحى مدينة يسية وفى الجنوب الغربى من اقليم منغاسيك مجامع تلال يجرى منها انهر صغيرة تذهب جهة البحر المتجمد فهى اشبه بجزائر فى وسط هذا السهل السبخ الذى يمتد بين اسفل اوبى واسفل يسية فتجد هذا القسم مهولا ليست ارضه الا طينا يكاد أن يكون دائما متجمدا وفيه فى بعض محال نباتات ذابلة وبسط من الطحلب لكن ليس هذا السهل بركة مستمرة بل الحروف العالية التى بحافات نهر اوبى يظهر بها على وجه الارض طبقات مسطوحة من الاحجار الطفلية التى يظهر أنه يتقوم منها جزء عظيم من اساس هذه الارض

زنبلة الجديدة

ثم ان جزيرتى زنبلة الجديدة يجتازهما من الجنوب الى الشمال ممتد من الجبال الاورالية لكن يظهر أن الجزء الاكبر سهل سبخ مستور بالطحلب وقد اخبر بعضهم عن قريب أنه يوجد بها بحيرات مالحة

الارض التى فى شرق نهر يسية

والاقليم الذى بين نهرى يسية ولينا يسمى عند الموسوا سطيبية وهو اسم لا معنى له ومثل هذه التسمية يقصد بها غالبا استجهال ارباب الاسفار والظاهر أن بها فى الحقيقة كثيرا من الاجزاء السبخة المسطوحة وبها اجزاء اخر تستحق أن تسمى اقاليم جبالية ونهر لينا بحافته غربا مرتفع مستمر به على القرب من ملتقى نهر ويلووى طبقات مسطوحة من النشست الرملى والكلسى وفراش من الطين الطفلى المخلوط بكثير من البوريطش المسمى حجر النور وثم اقليم آخر مرتفع يوجد فى الشمال الشرقى من اسفل تنغسكا ومنه يخرج نهر اولنك ونهر التبارى ونهر ختنغا وهذه الانهر تصب فى البحر المتجمد ثم ان الاقليم الذى بين نهر يسيه ونهر انغارا (اعلا تنغسكا) ونهر اسفل تنغسكا يظهر به ارتفاع عجيب يشاهد فيه وسط التلول الصخرية بركة عظيمة تسمى بركة الزنبق كانها معلقة فيه وهذه البركة تساوى بركة لادوغا اتساعا

انهر

ويعلم مما سبق أن انهر سيبر هى من اعظم انهر آسيا غير أن هذه الانهر تجرى فى خلال سهول خربة لما أن دوام الشتاء بها يمنع من وجود النمون والتأنس والاجتماع ومياه هذه الانهر لا تعود على المدن العظيمة بالبهجة والعمار ولا تنقاد للبيمنات الجليلة ولا يدخلها سفن واسقة تحمل ثمرات الاقاليم البعيدة بل تجد بساطا عظيما من المياه تارة يكون على غابة مظلمة وتارة على ارض سبخة وتجد ايضا عدة عظام نخرة من حيوان الماموط (وهى عظام الفيل والكركند) وهذه العظام تراها على وجه الارض بسبب علو المياه وجنيها لها وثم عدة قوارب للصيد تتنقل على وجه الماء بجانب اقاطيع طيور مائية لا حصر لعددها وكذلك كلب الماء الغير المؤذى المسمى قسطور يبنى وكره العجيب الصناعة من غير أن يحتشى أن يتبعه احد فهذا كله اغرب ما يوجد فى انهر سيبر ثم ان القبائل المتوحشة والجماعة المتغلبة عليهم ارباب الجهل سموا هذه المياه باسماء اتفاقية لا تدل على معنى من المعانى الا بالاتفاق والصدفة فنهر ايرتيش الذى هو نهر عظيم اصلى من مجمع الانهر الذى هذا النهر جزء منه مكث مدة مستطيلة وهم يعتقدون أنه نهر صغير يصب فى نهر اوبى ونهر

ايرتيش

ايرتيش المذكور يجرى زمنا طويلا على ربوة القلوق ويجتاز بحيرة سيسانور الكبرى وينزل من خلف جبل التاى الصغير فيجرى ثمانين فرسخا قبل وصوله الى ارض الروسية ويمكن المسير فيه من بحيرة سيسانور وعرضه يختلف من مائة قامة الى مائتين ونهر اوبى يتكون من اجتماع نهرى كاتونيا وبى الذى يخرج من بحيرة ألطين

نهر اوبى

لكن نهر دشايكان الذى يصب وحده فى تلك البحيرة يظهر لنا أنه يلزم أن يعتبر منبعا لنهر اوبى وهذا النهر يبدو بقدر اصله عند انضمامه الى نهر ايرتيش الذى يزيد قبل ذلك من مياه نهرى توبول وايسيم ومجرى نهر توبول مائة وعشرون فرسخا وعرضه من ثلاثين قامة الى مائة قامة ويتكون من نهر اوبى فى مصبه جون واسع ويمكن المسير فيه الى بحيرة الطون وهو كثير السمك لكن سمك ايرتيش المسمى اسطرجون اعظم من اسطرجون اوبى وكذلك مياهه اروق من مياه اوبى واذا انجمد نهر اوبى مدة من الزمن صار ماؤه مالحا منتنا وسبب هذا بطء مجراه وثم يلاقيه فى ممره من الساحات السبخة ولكن ينظف ويروق فى زمن الربيع بما ينزل فيه من ذائب الثلوج

نهر ايرتوبول وايسيم

يسية

وبعد تخطيط نهر اوبى يجب علينا تخطيط نهر يسية فنقول هو اعرض من الاول واعظم منه وان كان دونه فى الطول وهو يتكون فى الجبال على الجنوب الغربى من بيكال باجتماع نهرى سكيت وبيكم ثم يتوجه بعد ذلك

على الاستقامة جهة الشمال فيصب فى البحر الشمالى المنجمد ولكن يمكن أن نعتبر بالبرهان نهر ينسية الاعلى كأنه يصب فى نهر انغارا الذى هو على تنغسكا الذى يجىء من بحيرة بيكال فيجتمع به ولكنه يفوقه عظما وطولا بحيث يمكن أن نسمى نهر ينسية باسم انغارا الى مصبه فى المحيط الشمالى والمصبان الآخران الشهيران لنهر ينسية هما نهر بدكامينية تنغسكا يعنى تنغسكا الذى خلف الجبال واسفل تنغسكا وهو نهر اعظم من نهرين

تنغسكا

انغارا

ومياه نهر انغارا رائقة صافية بحيث تشاهد حصباؤها فى عمقها ولو بلغ عدة باعات وعلى البعد من بحيرة بيكال يكون فراش هذا النهر فى الغالب من ماء اذراع من العرض الى مائتين وينحصر مسيره ميل بين الصخور بحيث ان اصغر قارب لا يمكنه أن يسير فيه الا بغاية الاحتراس ومياهه تتكسر فى تموجها بالاحجار ويسمع لها دوى شبيه بمياه البحر عند عجيجه وهيجانه

سيلنغا

ونهر سيلنغا يصب فى بحيرة بيكال بعد أن يتلقى مياه نهر الاورشورن وغيره من الانهر التى منها نهر تولا الذى عرضه مائة وخمسون باعا ويجرى بالبط على ربوة من الصخرات

لينا

وآخر الانهر الصغيرة بهذه الجهة نهر لينا وهو يخرج من غرب بحر بيكال بعد أن يتلقى مياه نهرى ويتيم واولكما الخارجين من جبال دوريان ويستمر على جريانه حتى يقرب من نهر ياقوتسك فى الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى وهذا الاتجاه نافع جدا لانه يمكن المسير فيه مع غاية الامن الى الاقاليم البعيدة ومن ياقوتسك يجرى على الاستقامة الى جهة الشمال ويتلقى نهر ألدان جهة الشرق ونهر ويلووى جهة الغرب وفرشه عريض جدا وفيه كثير من الجزائر ثم ان السياحين فى مرورهم بنهر لينا يصعدون نهر ألدان وينحدرون بنهرى ميادوما ويكملون طريقهم الى اوشتسك على شطوط المحيط الشرقى

ألدان وويلووى

اولينق واندیجركا وغيرهما

ومن الانهر الصغيرة التى تصب فى البحر المنجمد عدة انهر منها نهر تاز ونهر شاتنغا ونهر اولينق على الغرب من نهر لينا ثم نهر انديجركا على الشرق من نهر لينا المذكور ونهر كووييما على الشرق من نهر انديجركا وهذه الانهر عظيمة الجرى ولكن مياهها كأسماكها تضل على وجه خفى فى البحور التى لا يمكن الوصول اليها

والسواحل الشرقية من بلاد سبير المنقطعة كالقرون البارزة من جهة البحر المحيط ليس بها من الانهر الشهيرة شئ الا نهر انادير الذى مجراه مع ذلك غير طويل جدا

بحيرة بيكال

وبلاد سبير ليست خالية عن البحيرات فبحيرة بيكال هى بعد بحر الخزر وبحر ارال احدى البحيرات العظيمة الداخلة فى القارة القديمة وطولها مائة وثلاثون فرسخا وعرضها من ثلاثة عشر فرسخا الى ثمانية عشر وعمقها يختلف من عشرين باعا روسيا الى ثمانين وفى بعض الاماكن يبلغ مائتى باع كل باع سبعة اقدام ومنظر هذه البحيرة فى مجيئها من اركوتسك عجيب حتى ان الروسية الذين يسيرون فى هذه البحيرة يتحدثون عنها بنوع من الاحترام والتعظيم حتى انهم يسمونها البحيرة المباركة بل ويسمون الجبال التى حولها باسم الجبال المباركة ايضا ومياه هذه البركة عذبة ذات شفافية متجاوزة للحد ولا يجمد ماؤها الا حين دخول عيد الميلاد عند النصارى ويذوب جليدها فى غرة شهر مايو ويعتريها حركات بليغة حتى ان الريح اللينة تهيجها فى هذا الوقت بخلاف الزمن الآخر فانه قل أن تحركها فيه شدة الرياح العواصف ورب ما غلى باطنها فى بعض الاحيان وفى وقت غليانها قد يكون سطحها مثل الجليد فترتج السفن فيه ارتجاجات مضرة ويوجد فى هذه البحيرة عجول البحر وكلابه وهذا امر عجيب لان هذه الحيوانات لا تصعد على نهرى ينسية وانغارا وبهذه البحيرة نوع مخصوص من السمك يسميه الروسية سولیومنكا قال الخواجة بلاس ان هذا السمك انما هو مركب من شول وشحم دهنى وقد تقذف امواج هذه البحيرة فى بعض المحال صنفا من التفريسمى قطران الجبل

طبيعة مياهها

تولدات

بحيرة چانى

واما بحيرات سبير الغربية فانها شهيرة بكثرة عددها دون اتساعها فان بحيرة چانى طولها ثلاثون فرسخا وعرضها فى بعض الاماكن اثنان وعشرون فرسخا وهى فى جزء من سهل برابا المملوء بحيرات بعضها يتصل ببعض وعلى خرطات شبير المرسومة فى سياحات بلاس يعد منها نحو سبع وعشرين بحيرة فى المسافة الداخلة بين اومسك وكولیوان وسميپالتنوا بخلاف دنويل فلم يعرف منها الا بحيرة او بحيرتين وسهل ايسيم يشتمل ايضا على عدة بحيرات كثيرة منها بحيرة كرغ أچليديم وهى اعظمها وعدد البحيرات الصغيرة لا يحصى فى اقليمى ايسيت وكاثرينبرغ ففى نحو مسافة طولها مائة فرسخ وعرضها ثلاثون من شطوط نهر اوى الى مصاب نهر توبا وعلى امتداد السفح الشرقى من الجبال الاورالية لا تشاهد الا بحيرات اقل عددها على الخرطة الصغيرة فى اطلس بلاس نحو مائة بحيرة

بحيرة كرغ أچليديم

بحيرات مالحة

والبحيرات المالحة ليست من خصوصيات السهول الرملية من الجزء الجنوبى بل يوجد منها ايضا فى الربوات وفى الجبال

المياه العذبة الى تصير مالحة

البادرة وهي جبال دورية وتوجد ايضا البحيرات المالحة في الاراضي المستنقعة المتجمدة في الشطوط الشمالية ومن الغريب ما يكون أن بحيرات الماء العذب يعتريها تغير فتصير مالحة مثال ذلك بحيرة سيديشوو في اقليم ايسيت (بين ضيعة تومليازسك وقلعة ازوبرينوغورلوفسكيا) فهذه البحيرة كانت سابقا مملوءة بالماء العذب ومنخفضة جدا وكثيرة الاسماك فزادت عقها دفعة واحدة وصار ماؤها ملحا ومات ما فيها من السمك وغرق فيها نصف غابة بجوارها ولكن من سوء الحظ أن هذه الغرائب لم يشاهدها احد مع القرب منها الا بعض من التتار ثم ان الحكيم سوكولوف خطط على وجه مفيد البحيرات المالحة الموجودة في اقليم ايسيت وهذه البحيرات المالحة متفرقة بين عدة بحيرات عذبة فتفقد شيأ من ملوحتها وذلك لانه يعرف عدة بحيرات كان الملح فيها متبلورا سابقا والآن لا يوجد بها الملح الا منحلا مذابا في بعض

بحيرات اقليم ايسيت

هذه البحيرات المالحة يوجد ملح بحرى دون غيره وتم بحيرات مياهها مشوبة بهذا الملح ومنحلة فيه الى ما يزيد عن شبعه وتحمله للملح وفي بعضها تجد ملحا مرا والملح غلوبير الذي لا يجتمع في صورة البلور بل يكون حبوبا مدورة وتم بحيرات اخر مالحة في سهل ايسيم واما بحيرة ايبلوى ويقال ايضا بيلوا فهي من البحيرات الكثيرة الملح وهي موضوعة بقرب منابع نهر توبول ويخرج منها ملح ظريف عند امة البشكير ويأتي الغرغير اليها مدة الصيف حين يذيب الحر ملحها فيتحممون فيها لاعتقادهم أن بها شفاء عدة امراض وبين نهري توبول وايرتيش في ارض ايسيم

ايبلوى

بحيرات ايضا مالحة مرة وفي وسط سهل برابا تجد بحيرة باميش التي محيطها عشرون رستا موسقوبية وملحها شديد البياض وينجمد ويتبلور فلا تخرج اشكاله عن المكعبات البلورية وقد قل الآن

بحيرة باميش

وفي بلاد سبير الشرقية تجد البحيرات المالحة اقل اتساعا مما تقدم لكن من ايركوتزك الى ياقوتسك تكون الجبال مملوءة من العيون المالحة وهذه العيون يتكون منها بحيرات في اكثر من موضع وقد شاهد المعلم بلاس بحيرة سلنجنسكوا فوجد بها ملحا مرا والعيون التي تصب فيها عذبة واصل المرارة يظهر أن يكون من الاناء الازرق الذي يشغل اسفلها

بحيرة سلنجسكوا

وبحيرة ناتروش ببلاد دورية قريبا من زيزان ليست منفردة في بابها بل يوجد مثلها في عدة اجزاء اخر من بلاد سبير

بحيرة ناتروش

وبحيرة موجيسان توجد ايضا قريبا من نهر صغير يسمى أويسات يصب في نهر ابكان ويسمع فيها صوت مزعج يدل على هيجان عظيم في جوف الارض شبيه بالهيجان الذي خسف السدود التي كانت حاصرة لبحيرة غوسينوا في ارض دورية ولهذا سميت تلك البحيرة باسم موجيسان فان موجيسان معناه يغلي ويهدر

بحيرة موجيسان

وببلاد سبير عدة مياه معدنية لاسيما بجبال التاى ودورية فان سلسلة جبال ثورال بقرب كاثرينبرغ يتولد منها عدة عيون زاجية او حديدية ويوجد ايضا بقرب بحر بيكال عيون مشوبة بالنفط ونوع آخر منه يسمى بطرولة وهذا الاقليم مملوء بالعيون الحامية ولكن اشهرها عيون قمتقا التي خططها ليسبس والحمامات التي اعتنى ببنائها كوشليو لنفع قمتقا متكونة من نوع كالشلال منحدر يسقط منه الماء من نحو ارتفاع ثلثمائة قدم والتيار المتكون من الماء عمقه نحو قدم ونصف وعرضه ستة اقدام او سبعة والماء فيه شديد الحرارة والظاهر أنه مشتمل على مقدار عظيم من الملح الراجي والبارودي مشوبا ببطين جيري وعلى الغرب من جون بئيينا عين ماء حامية عظيمة تصب في نهر توانوا ومنها يتصعد سحائب بخار شبيهة بالدخان

مياه معدنية

فوارات

والآن قد عرفنا ارض سبير فلا نتعجب اذا رأينا أن طبيعة قطرها ليست على ما تقتضيه درجة عرضها الفلكي وذلك لان ثلاثة ارباع سبير تكون في عرض نرويج ولابونيا ومنها قطعة على عرض لوندرة قاعدة مملكة الانكليز وعلى عرض بولين وشمال فرانسا وهذه القطعة مشتملة على جزء من اقليم كوليوان والاقليم المجاور لبحيرة بيكال ولكن حر الاقاليم العظيمة من بلاد سبير لا يضاهي اصلا حر نرويج والبرد في الجزء الشمالي اشد وادوم من برد لابونيا وفي بعض الاحيان يحس بثقل البرد في الاقاليم الجنوبية التي على خمسين درجة من العرض الى خمس وخمسين والشتاء يستمر في غالب بلاد سبير نحو تسعة اشهر او عشرة ويبتدئ وقوع الثلج غالبا في شهر سبطمبر ولا يندر وقوعه في شهر مايه فاذا كانت الحبوب غير ناضجة في شهر اغسطس فانهم يعتقدون أنها ضاعت ولا ينتفع بها فتديغير الثلج الغلال قبل حصادها وعلى الشرق من نهر ينسية والشمال من بحيرة بيكال يكون امر الزراعة مجهولا الا ماندر والبرك الواسعة التي يحترقها نهر اوبى في آخر جزء من مجراه لا يدخلها ذوبان الجليد الا في نحو قدم وبقرب ياقوتسك في ستين درجة من العرض جس غملين الارض في الثامن والعشرين من شهر يونية فوجد ايضا الجليد ثلاثة اقدام الى اربعة من العرض وقال اهل قلعة ارغنسك انه في خمسين درجة من العرض لا يخل

قطر

البرد الشديد

جليد مستمر

جليد ارضهم الا بذراع ونصف وذلك لان البرد الباطني يمنع من حفر العيون وفي كراسنوارسك على ست وخمسين درجة من العرض وجد الحكيم بلاس أن الزئبق يتجمد ويقبل التطرق

حرّ الصيف

وحرّ الصيف في جميع سبير قصير المدة الا أنه شديد يفاجيء بغتة وبقرب مدينة ياكوتسك تجد التنغوز دائما عرايا والحبوب وغيرها من النباتات تكاد تنبت بمجرد نظر العين لكن بقرب البحر المتجمد تحاول اشعة الشمس ليلا ونهارا تسخين تربة الارض المجبورة على الانجماد الدائمة فلا ينفع فيها شيء بل وفي اثناء اطول ايام الدائرة القطبية تكفي ريح الشمال في ستر المياه بقشرة جليد وفي صبغ اوراق النباتات بلون اصفر او احمر وفي الغالب لا تعيش النباتات تلك الجهة الا يسيرا من الايام وتزهر في هذه المدة القصيرة ويتكون فيها حبوب ورمانبتت بعض الاحيان في البرك فاذا رفع الطحلب من هذه الاماكن التي نبتت فيها النباتات وجد بها جليد خالص

قطر الجهات القطبية

والرياح العواصف متواترة في الجزء الجنوبي بين الجبال بخلاف شطوط البحر المتجمد فلا يسمع الرعد فيها الا قليلا وان شوهد البرق فيها متميزا ظاهرا وفي الاقاليم السفلى من نهر ينسيه جهة البحر المتجمد يشاهد من ابتداء شهر اوقطوبر الى عيد الميلاد كثير من الفجر الشمالي ولا تظهر هذه الحادثة العجيبة ظهورا بليغا مثل ظهورها في هذه الجهة

فجر الونات

الفجر الشمالي

ولو أن هذا الاقليم الشديد البرودة الخالي عن لذات الصنائع وحلاوة المعيشة اثبت للسبير بين عوضا عن ذلك خصايص كما يؤثر عن فرقة القدماء المسماة الهيبربورية اي سكان البلاد الشمالية من انهم كانوا يجهلون بالكلية الامراض ولا يموتون اصلا الا بعد الهرم وكبر السن جدا تقامت هذه الخصايص مقام ذلك لكن قطر هذا الاقليم وان كان مناسبا لصحة بدن الانسان الا أنه لا يخلو عن اسباب الامراض الوبائية وذلك لان الضباب المستمر الذي يستر السواحل الشرقية والشمالية من بلاد سبير يدخل بها داء الاسقوربوط اي فساد الدم ويقال ان الامم ارباب الصيد والقنص يتحفظون من ذلك بشرب دم الحيوانات التي يقتلونها فيتعاطون الدم وهو حار وثم ايضا ضبابات كثيفة متنة تتسلط في سهل برايا ولذلك تشاهد في اهلها كثرة المواد الفاسدة حتى كان ابدانهم معلولة وفي جبال دورية وجهة نسجنسك يتولد من الهواء المخزون في الاودية الضيقة الفاسد بالابخرة المعدنية الحميات والصداع وفساد الدم المسمى اسقوربوط وفي جميع السهول تكون المواشي لاسيما الخيل عرضة لمرض يسمى الهواء وهو نوع من الطاعون يظهر له كبب وحبات وربما اصاب الانسان وينسب هذا المرض لهامة من الهوام تمشي في الهواء سماها الحكيم لينة فوريا انفرنالس وهذه الآفة اهلكت سنة ١٧٨٥ من الميلاد نحو خمسة وثمانين الف فرس تقريبا

ضباب

اوباء

حيانة البهائم

وقد بقي علينا الآن أن نذكر ما يتولد في بلاد سبير ولا نذكر الا اصول التولدات فنقول ان هذه الولاية هي برّ الروسية ولكن من قديم الزمان قبل معرفة الناس لامم الروسية كانت امة البرمية المسماة ايضا بيارمية امد اصلها فينيّ كما يقول الروسيون ان اسمها جوده عملت اعمالا واسعة في جبال اورال و التاي بقي منها الى الآن آثار ولم يستخرج الروسية المعادن الا في زمن ملكهم ألكسيس ميخايلوويج واول من ألفهم ذلك اشخصان احدهما دانيرقي والآخر فلنكي ثم ان بطرس الاكبر فتح معادن برميا و سبير واستعان على ذلك بالفعمية ألمانية واستولى من جاء بعده من الملوك الروسية على معادن كولبوان و دورية

تولدات اجناس معدنية

فمعادن الذهب الاصلية ببلاد سبير هي معادن بريزوف وفي اتايم كتريبورغ على الشرق من الجبال الاورالية لم يستخرج منها الذهب الا في سنة ١٧٥٤ ولم تصر عظيمة مهمة الا في زمن ملكة الموسقو المسماة كاترينة الثانية فخرج منها من سنة ١٧٥٤ الى سنة ١٧٨٨ ذهب قيمته نحو ١١٩٨٠٠٠ روبلة منها لربح نحو ٨٠٠٠٠٠ وكان عدد العملة في استخراجها نحو ثلاثة آلاف نفس منهم الف وماتتان يشتغلون دائما وتجرها بور يطش حديدي مخلوط بحجر الزناد وفيه الذهب ومع غاية الاعتناء بانقاء هذا الذهب وتنقيته لا يمكن ابدا أن يصل الى درجة الخلوص ومن كل الف بود من الاحجار الغشيمة يستخرج من اربعين الى ستين زولاتنك من الذهب العظيم (والبود يساوي اربعين رطلا من ارطال الفرنساوية القديمة) وفي بعض الاوقات يوجد الذهب البريزولكن في الغالب يشوبه بعض جواهر احر لاسيما الفضة ومعادن بريزوف هي التي تستخرج بسبب ما فيها من الذهب دون غيرها واما معادن كولبوان و نرچنسك فانها معادن فضة ولا عبرة بذهبها القليل ما يخرج منه فيها

معادن الذهب

وقليلا ما توجد الفضة الاصلية وحدها بل هي في الغالب مشوبة بالذهب وتوجد في احد جبال دورية مخلوطة بالرصاص وصنف الفضة المسمى الفضة القرنية يوجد جهة قلعة شلنجنبرغ في جبل التاي الصغير حيث يكثر ايضا

معادن الفضة

المعدن الشبيه بالزجاج وهو فضة مخلوطة بالاتموان المكبرت ومعدن الزرنيخ الاحمر ومعدن نحاسي كبريتي ومن سنة ١٧٤٥ من الميلاد وهو تاريخ تغلب ملك الروسية على هذه المعادن الى سنة ١٧٨٧ اى فى ظرف اثنتين واربعين سنة خرج من هذه المعادن ٢٤٤٦٠ پودا من الفضة الرقيقة ومايزيد على ٨٥٠ پودا من الذهب النفيس ومجموعهما يزيد على ٣٠٠٠٠٠٠٠ روبلة والمصاريف فى مدة هذا الزمن كله باشتماله على التكرير والتنظيف فى مدينة پترپورغ لاتزيد عن ٧٠٠٠٠٠٠ روبلة فالربح حينئذ ٢٣٠٠٠٠٠٠ روبلة بل يظهر لنا أن هذا الايراد عظيم اذا نظرنا للثمن الحقيقى لنقود النحاس التى تدفع فى الاجرة لاسيما وهذه النقود مضروبة فى نفس تلك الاماكن ومعادن فضة نرچنسك التى فتحت سنة ١٧٠٤ من الميلاد موجودة فى دورية بين نهرى شلقا و ارغون وهى كثيرة العدد ولما كان محل استخراجها كثير الرصاص جدا وليس به من الفضة الا اليسير سهل خروج الفضة من الرصاص والشغالون به نحو ٢٠٠٠ وهنالك ايضا نحو ١٣٠٠٠ فلاح يشتغلون بقطع الخشب ومن سنة ١٧٠٤ الى سنة ١٧٨٧ يعنى فى ظرف ثلاث وثمانين سنة خرج من هذه المعادن ١١٦٤٤ پودا من الفضة ومن هذا المقدار استخرجوا من سنة ١٧٥٢ اثنين وثلاثين پودا ذهبا فالذهب والفضة معا قيمتهما عشرة ملايين من الروبلة

معادن الفضة

معادن النحاس

وغير معادن النحاس التى بجبال اورال معادن نحاس اخر فى جبال التاى والخارج منها خمسة عشر الف پود ولكن هذا شئ يسير بالنسبة لمعادن الجبال الاورالية واعظم المعادن بها ما كان منها من جهة سبير فى توريا و ازيليوسكوا وفى فروليوسكوا وفى اولغوسكوا وهى توجد فى منفصل الصخرات الصنائحية من الصخرات الكلسية المحضة وتوجد ايضا معادن عظيمة فى محال اخر وحاصل ما يخرج من جميع جبل اورال مندرج فى مضمون لوائح محصولا تتمة البلاد فى سنة ١٧٨٢ سبكوا فى هذا الجبل ١٩٠٧٥٢ پودا من النحاس منها ١٢٤٩٦٢ فى ايالة برمة والظاهر أن حاصل الجميع يبلغ ١٥٠٠٠٠ وهذا المقدار يخرج من ساحل سبير من سلسلة الجبال وتقدم أن البود اربعون رطلا ونحاس سبير ليس جدا سهل التطرق وفى جميع المعادن الكبيرة التى ذكرناها يغلب النحاس المصدؤ الاحمر والكربونات الازرق واما المادة المسماة ملشيطة اى النحاس المقطر الشبيه بالجليد فانها توجد بهذه الجهة فى درجة الكمال واما معادن الحديد الموجودة فى جميع بلاد سبير فانها قليلة الاستخراج وانما يسبك الفلاحون الحديد فى نواحى كرسنورسك و بنيسيسك ولكن فى نرچنسك و كوليوان لا يعتنون بهذا المعدن قائلين انه من المعادن العامة غير النفيسة واما فى اورال فانهم يعتنون به اكثر من غيره ثم ان المعادن توجد ايضا على حد سواء بجبال اورال من جهة اوروبا ومن جهة آسيا وقد بلغ المتحصل منها فى سنة ١٧٨٢ ثلاثة ملايين و ٩٤٠٤٩٠ پودا ومن هذه السنة لم يعلم حال المعادن وانما يقال ان معادن النحاس ضعفت عن حالها الاصلى وقل محصولها بخلاف معادن الحديد فانها لم تتغير

ملشيطة

معادن الحديد

والظاهر أن سبير بها معادن كثيرة غير ما ذكرناه ولكن لم نعلم الى الآن كلها بل لابد من ابحاث علماء المعادن فيما يتعلق بذلك والظاهر أن الزئبق منقود فيها فى الاغلب وقد رأى المعلم لكزمان امواج البحر الشرقى تقذف فى جون بينسك من الزنجفر احجارا شفافة كالزجاج وفى سبير يوجد رصاص احمر فى معادن بريزوف فى حجر رملى مشوب بمادة الميقا وبتلك المادة الجوهرية استدل على وجود المعدن المتطرق المستكشف عن قريب المسمى معدن الكروم ومن احجار سبير حجر الطوبازاى الياقوت الاصفر الرائق الشفاف وهو موجود بجبل آدون شولون فى دورية وفى جبل توچلنيا بقرب مرزنسك فى جبل اورال وقد وجدوه ايضا فى سهل الغرنيز وعلى سواحل البحر المنجمد فى مرزنسك يشاهد الزبرجد على شكل اعمدة صغيرة كل عمود تسعة اقتار واما الحجر الازرق الاسمى بريل سبير ويقال له ايضا اغومارين الغربى فهو كثير ايضا فى جبال دورية وجبال التاى وقد وجدوا عمودا منه ارتفاعه ثلاثون اصبعا وقطره خمس اصابع ولكنه تفتت وتكسر وذلك لان هذه الاشكال المنشورة دائما ذات فلول وانشعارات ثم ان كلا من الحجر الازرق والطوبازالمتغير بالدخان يوجد غالبا فى صورة واحدة على قالب واحد بل فى بعض الاحيان يظهر أن احد احجار هذين الصنفين كامن فى خلال الآخر الذى هو فى حالة الرخاوة ولا يندر هنالك زجاج حجر الزناد المسمى كوارتز فان احجار كوارتز تتبيجر وق فى جبل التاى ذات لون وردى ومازعموه من الزمرد فى جبل اورال انما هو بلور اخضر واما الاحجار الجميلة المسماة شعور الزهرة فانها زجاج حجر الزناد الرائق وهى مشتملة على مواد كاشعة خضراء اوحمراء وهى توجد فى جبل اورال ولا يعلم هل حجر سبير المسمى اويالة من الصنف الحر اولا واما حجر الجزع المسمى ظفارا الموجود فى دورية فهو ظريف جدا وحجر خلدونيا واحجار العقيق اليمانى كثيرة هنالك واما حجر الغرنباط

بريل

اويالة

الحر

الحزفهو نادر غال ويسمى هذا الحجر حجر سيلان اوعقيق سيلان ويصقل فى مدينة اكساترنبرغ وحجر البرق المسمى اونطورينة الموجود فى سبير هو حجر زناد احمر اومائل الى السنجابية مشتمل على صفائح ميتا روبيليط بلون الذهب اوالفضة ويوجد منه فى جبل اورال وبالصقل يصير كظاهر صدف اللؤلؤ واما حجر الروبيليط وهو حجر احمر الياقوت الذى يوجد فى سرانديكا غير بعيد من مرسنسك فهو امر عجيب للمتولعين بالتحف المعدنية وهم مضطربون فى بيان اوصافه واما حجر البيقاليط فانما هو من مادة الانثيبول المتبلور على شكل مناشير ثمانى فى جاريش بجبل التاى حائه الارتفاعه عشرون قدما متكونا من احجار الفلدسبات الاخضر والاصفر والبشم المختلف الالوان الصغير القطع والفلذات والرخام الاسود والابيض الشبيه بالصوان مع عروق خضر والفرفير الاسود وفى جبل سلودنكا بقرب بحيرة بيكال احجار اللازورد الظريفة وحجر المرقا الشفاف المسمى اخضر الموسقو يوجد فى الدون و ماما وهما نهران يصبان فى نهر لينا وهذه الاحجار توجد صفائح كل صفيحة منها ثلاثة اقدام اوار بعة واستخراجها فى تلك النواحى هو من اعمال عدة جمعيات وشركات للفلاحين فهذه الاشياء ايضا مما يسهل معرفته وهى جديرة بالذكر ولكن يشق علينا استيعاب جميع معادن هذه البلاد

غرائب توادية و ينبغى أن ننبه ايضا على أن من الغرائب كتلة الحديد التولدى التى وجدت فى سنة ١٧٤٩ بين مدينتى اياكنسك حديد توادى وكارولنوا ستروغ وقد بلغت زنتها القا وستمائة وثمانين رطلا ويقال انها سقطت من السماء على ماذكره التتار واما اسبيست الاسبيست ومنه حجر الفتيلة فهو موجود فى جبل اورال وهو جدير بالذكر وقد صنع منه بعضهم عن قريب اقمشة وقلانس واكياسا و بعض معلمى المكاتب ببلاد الروسية عرض للمشورة أن يصطنع منه الورق لدواوين الموسقوبية و ينبغى لنا ايضا أن ننبه على الطين الليثومرجى السيال المسمى قلب الحجرات فتقول انه يوجد على السواحل الشرقية وتأكله قبائل التنغوزة وحدها و بالبن ولا يضرهم اصلا و بقرب الجبال الاورالية يخلطون فى بعض الاحيان الخبز بسحيق الجبس المسمى عند العامة دقيق الحجور ولكن آثاره مشؤمة وفى جميع بلاد سبير يوجد على الصفائح الشبيهة زنجرة تسمى سمن الحجر وهذه المادة الشبيهة يستعملها الناس هنا لدواء للاسهال والامراض الافرنجية

سمن الحجر مرتبة النباتات واما مرتبة النباتات فانها اقل اصنافا وذلك لان شدة برد الاقليم تمنع من نجاحها ماعدا القوى منها فان البلوط والبندق والحورة الرومية وشجر الدلب وشجر التفاح البرى لا يمكن أن تقاوم برد شتاء سبير بل لا يوجد لها اثر فى جهة الجبال الاورالية ولا على شطوط نهر تبول ولكن توجد اشجار البلوط والبندق على شطوط نهر ارغون فى طرف دورية الا انها ضعيفة ذابلة والاشجار السوسن واشجار لسان العصافير يقطع اثرهما فى نواحى نهر ايرتيش واما شجر الراتينج الذى يخرج فى نروج الى حد سبعين درجة من العرض فانه لا يخرج بتلك النواحى الا فى الدرجة الستين من العرض و ينقطع فيما زاد عنها واما الراتينج المسمى بالمفضض فلا يصل الا الى الدرجة الثامنة والخمسين من العرض وعنب الثعلب المعتاد الذى يخرج فى غرونلند لا يخرج الا الى حد تورو خنسك على نهر ينسية وتفاح الارض يتناقص غلظه جهة الدرجة الستين من العرض فينتهى فى تلك الجهة بأن يشبه الحمص فى القدر واما الكرنب فانه فى هذه الدرجة لا يخرج رأسه اصلا ومع كون هذا القطر يتولد عنه ماذكر فلا يستنتج من ذلك أن انهر سبير العظيمة لا تسق الاصحارى عقيمة بل يكتنف هذه الانهر غابات كثيفة كثيرة الاشجار وهى البتولا وشجر الخلاف وشجر الدردار وشجر اسفندان التتار وشجر الحور الابيض والاسود وشجر حور الزجاج ومالا يحصى من انواع الاشجار الراتينجية التى منها ارز سبير الذى يرتفع بعض الاحيان الى مائة وعشرين قدما وقطره يدل على أن عمره من نحو مائة وخمسين الى مائتين وشجر الصنوبر العظيمة يوجد فى شطوط ينسية وكلما بعدت الى الشرق تناقص ارتفاعه ويقصر ارز سبير

خلف نهر لينا جهة شطوط المحيط الشرقى ولكن يبقى تناسبه وشجر الحور البلسانى تعبق منه رائحة عظيمة ولو من بعيد ويخرج منه صمغ زكى الرائحة ولا يخرج ببلاد سبير شجر التفاح ولا الكمثرى واما شجر الكمثرى البرية جهة دورية فلا يخرج منه الا ثمر من غير طعم وغلظه كغلظ النبق ولكن اشجار الحبوب والشجر المسمى روبوس شامبوروس وشجر روبوس ارقطيقوس وشجر واقسينيوم كلها تكثر بهذه الجهة و يستخرج منها الاشربة

اثمار الاشجار الطبية والسهول مملوءة بنوع من شجر الكرز الكثير الاثمار المستعملة فى نوع من النبيذ ومشمش سبير لا ينبت الا فى دورية وثمرته حامضة وشجر الكرز الكثير العناقيد ينمو فى جميع سبير ولكن المزروع يذبل فيما حوالى ايسيم فاذا بعد عن ذلك يموت بالكلية

ازهار وهذه الاقاليم الوحشية فى مدة صيفها القصيرة تكون مزينة بعدة نباتات ظريفة فتجد جملة من اصناف جنس الاورخيس المسمى نبات السحلب لها ازهار غريبة نيرة وهو متولد اصالة فى غابات سبير وكذلك نبات الاوفريس ونورخيس

ونبات السحلب الطريف المسمى سحلب كبوشون وزنبق الاودية والخريق الاسود والابيض واريس سبير وهو نوع من السوسن وكذلك شقايق النعمان العرجسي الازهار ونباتات البيغامون والبنفسج والبوطنطيل والاسطراغالة الساطعة التي بالجبال وهذه الازهار تظهر في كثير من المواضع بمجمع الوان ويعبق منها روائح عظيمة لا يمكن وجودها في الاقاليم الجنوبية وكل قطر من اقطار سبير به عدة ازهار خاصة فزهر السبير في جبل التاى لا يشبه سبير بتنا وازهار روبينير قرغان الطريف وشجرة الدفنة التائية والسافورة المشرقية وشجرة اللوز القصيرة والبوطنطيل ذوالجذع الصغير والاسفوديلة التائية ولحنقيانا التائية والقرنفل الملقب بالعظيم

زهر جبل التاى

و فوسبير كل هذه المذكورات لانخرج الابجبال التاى وفي سفح هذه الجبال تجد الاسطر الازرق والورد الذي اوراقه كاوراق المسيكة والسنبل الوحشي وغير ذلك كلها تزيد التلول والمروج بهجة ونضارة وبلاد دورية

ازهار دورية

محتوية على اعظم ازهار سبير فتجد الحنور ملونة بلونين ارجواني وذهبي وذلك بصنفين من الورد وبدالية دورية وبشجر المشمش السيبري وبالمنثور الذي ازهاره ذابلة وينضم الى هذه الازهار الزاهية الوان بيضاء يقفة ناشئة عن ازهار الكمثرى البرية والاغلنتيا والسنبق ذوالعناقيد والسبيرة ذات الاوراق الاوسقوردونية وينبت في سفح تلك الجبال الشقايق البواصاطيلية وعود الصليب ذوالازهار البيضاء واسطاطيق الذهب واسطاطيق الورد ونحو عشرين صنفا من البوطنطيل و القنطوريون وتجد ايضا النبات المسمى جنقيانا ألجيدا تنتشر ازهاره الظريفة الزرقاء والبيضاء على رؤس جبال اليه الكثيرة الثلوج وكذلك النبات المسمى رودودندرون الذي يحسن به منظر

ازهار سبير الشرقية

البقاع التي تمايل حولها اغصان صفصاف سبير الذهبية اللون و سبير الشرقية كثيرة الزنبق فمنها زنبق قحتقا وزنبق سارانة الذي يقتات بعرقه ولنذكر هنا نباتين وهما هيرقلوم بناقيا و هيرقلوم سبيرقوم فاذا يبس جذع هذين النباتين استخرج منه اهالي سبير نوعا من الزنجار حاوالطعم وهو قليل لا نفع له ولكن اذا قطروا جميع هذا النبات وجدوا به مائعا ردئ الطعم يطلب في قحتقا

عتاقير

وقد بحثوا عن الراوند الحر في بلاد سبير ولم يجد بحثهم نفعا وشجر الرابنطيق ينمو في الجبال الجنوبية من سبير على شرق ينسية وثم ثلاثة نباتات يمكن أن تستعمل بدل الشاى احدها يقال له سكسفراجه كراسيفوليا وهو ينمو على جبال بيلوا بقرب نهر اوبي والنباتان الاخران هما رودودندروم دوريقوم و بوليبوديوم فلغرنس وينبتان على اعالي صخور دورية والاخير يعالج به داء الاسقوربوط وداء الملوك

اقطار نباتية

ثم ان نحلين رأى النبات قد تغير وصفه حين جاوز نهر ينسية ولكن يصعب الافصاح عن مثل هذه التغيرات اذ من المعلوم أن عدة نباتات لا يمكنها أن تقاوم شدة البرد التي يحس بها عقب اجتيازذلك النهر وقد شاهد ايضا الحكيم بلاس بجوار الجبال الاورالية نباتات بانونيا واذا صعدت في نهر ايرتيش جهة جبال التاى شاهدت عدة اصناف من النباتات مخصوصة بسبير ويزيد عدد هذه الاصناف بعد عبور نهر ينسية لكن لا تكثر جدا الا على شرق بحيرة بيكال فنواحي دورية هي في الحقيقة اوطان هذه النباتات ولا تظهر تلك النباتات ابدا في الاقليم المسطوح الكثير الغابات الذي بين ينسية وبحيرة بيكال وانما يخرج به نباتات معتادة تتولد اصالة بارد قطار البارد وتكثر ايضا في اوربا ولكن على ارتفاعات الشمال الشرقي من نهر اوبي عدة نباتات مخصوصة بالجبال التائية

زراعة

وفي سبير الغربية على نهر اوبي تضمحل الزراعة وتنقلع بالكلية في الدرجة الستين من العرض وفي الجزء الابعد شرقا تنضج الغلة في اودسكوا في الدرجة الخامسة والخمسين من العرض ولا في تجتقا في الدرجة الحادية والخمسين واعظم الجبال المرتفعة في الحدود الجنوبية شديد البرد والقمولة فحينئذ ثلاثة اخماس سبير غير قابلة لشيء

اصناف الحبوب

من انواع الزراعة غير أن الاجزاء التي في الجنوب الغربي خصبة خصبا عظيما وفي شمال كولیوان يكثر الشعير فيضاعف الى اثنتي عشرة مرة وكذلك الهرطمان يضاعف الى عشرين والحنطة السوداء في هذه الارض السوداء اللطيفة تنمو الى ارتفاع عظيم ولكن اذا زرعت في اراض ارق من تلك الارض ضوعفت الحبة منها من اثنتي عشرة الى خمس عشرة واغلب الحبوب التي تنبت في اوربا تنبت ايضا في جنوب سبير ولكن قل أن يزرع منها [illegible] اي حنطة الشتا والشعير والهرطمان ولما كان التتار يحولون الخبز الابيض كانوا يجلبون الى بلادهم مع نهاية المشتة بسيرا من الحنطة الجيدة وتصح الذرة في غرب سبير والقمح الاسود التتاري يبذر في سهل يسخن قبل البذر بالنار وهذه الارض في مدة تحوار بع سنوات يخرج منها كل سنة في نظير كل حبة عشرة الى خمس عشرة من غير أن يلزم تجديد البذر بل يكفي في بذرها الحبوب التي تسقط مدة الحصاد ولكن بعد سنوات يكثر العشب الردئ المضر بالنباتات ومثل

هذه

هذه الزراعة يلايم بالكلية اهالى سبير ارباب الكسل الذين يدقون الحنطة على نفس المكان الذى يحصدونها به ويحرقون فيه القش لابعاد تعب حمله

بقاء الزراعة على حالتها الاصلية

واذا سلمنا أن استخراج المعادن والسير فى السفن فى داخل البلاد والاقتصادات التجارية قد حصل لها نوع كمال هين فى بلاد سبير فى زمن ثلاثة اوارعة من ملوكها المتأخرين لانسلم اصلا ماقاله مؤلفو الروسية من أن الزراعة قد حصل لها تقدم وكمال بل هى الآن باقية على حالتها التى كانت عليها منذ خمسين سنة وذلك لان الحكيم بيل دنظر موفى تبه منذ نصف قرن على ماشاهده من كثرة الحنطة السوداء والارز والشعير والهرطمان فى جنوب توبلسك وجنوب بحيرة بيكال ولكن جميع الموانع التى يمنع بها القطر اتساع لزراعة عارضها بعضهم معارضة هينة فلا تنجح الفلال اصلا خلف الدرجة الستين من العرض ولا فى الدرجة العاشرة بعد المائة من طول باريس وفى الشمال يتلفها البرد وفى الغرب يمنعها الضباب من النضج فحينئذ ثلثا سبير فاقدان للجبوب وانما شرعت الآن زراعة تفاح الارض فى أن تسد مسدها

كتان
قنب
اورطية

والكتان المعتاد ينبت فى عدة اماكن من اورال والنبات المسمى لينوم برينه يصل الى حد تورخانسك والقنب ينبت فى الجنوب فى نحو الدرجة الخامسة والخمسين من العرض ويشاهد فى سفح جبال التاى أن بعض التتار يشتغلون الخيط والاقمشة من اوراق صنفين من نبات الاورطية ويكثر هنالك الهوبلون وهو حشيشة الدينار

مرتبة الحيوانات

واما مرتبة الحيوانات فانها تستوعب جزأ عظيما من تخطيط هذه الولاية الوحشية فمن الحيوانات الاهلية حيوان يسمى الرنة وهو اشهر الحيوانات الاهلية وقد سبق لنا أن المنطقة الباردة لما كانت واسعة فى آسيا نزل فيها حيوان الرنة فى عرض اسفل مما فى اوروبا وقد شاهد بلاس و سوقولوف منه اقاطيع كثيرة بالجبال التى على حافة بلاد المغول الصينية بقرب منابع نهر اونون بين الدرجة التاسعة والاربعين والدرجة الخمسين من العرض فحينئذ اقطار الرنة والابل المتباعدة عن بعضها من عشرين درجة الى ثلاثين فى الجزء الغربى من بلاد القريخ يتصل بعضها ببعض وربما تلاقت فى الجزء الشرقى

منفعة هذا الحيوان

وحيوان الرنة هو من اعظم المخلوقات النافعة للامم الرحالة النزالة التى ببلاد القطب الشمالى فان هؤلاء الامم المساكين يجزون بهذه الحيوانات عيشهم ويشربون لبنها ويغتذون بلحومها ويلبسون جلودها بل و يستعملون مثانتها المسماة عند العامة بالمبولة فى حفظ المائعات وتسد عندهم مسد الزجاجات و يتخذون خيوطهم من مصارينها واعصابها ويبيعون قرونها الان لها مدخلية عند ارباب الادوية وغذاء تلك الحيوانات سهل لا كلفة فيه فانها تأكل نوعا من العلعاب الذى يوجد تحت الثلج وليس لها غذاء غيره ويمكن أن تستغنى عن الاصطبلات فى هذا القطر الذى لا يمكن أن تعيش فيه الحيوانات ولو كانت قوية وحيوان الرنة ليس له عظيم سير وان ذلك بعض ارباب التولدات وذلك لان هذا الحيوان ضعيف ومزاجه ضاق نفسه فلا يمكن أن يجرى به فى كل يوم الا مسيرة اربعة فراسخ الى ستة ثم ان طائفة السمويد يقال للواحد منهم غنى اذا كان عنده من مائة الى مائة وخمسين من هذه الحيوانات وطائفة التنغوز الذين يقتصدون فى المعيشة يوجد عند الواحد منهم نحو الف من الحيوانات المذكورة واما طائفة الكوريالك فيقتنى الواحد منهم عدة الوف منها وذكر بعضهم أن طوائف الجوكية عندهم رعاء يملك الواحد منهم نحو خمسين الفا من هذه الحيوانات

كلاب سبير

وكلب سبير يشبه الذئب وهو فى الغالب ملازم لحيوان الرنة وهو ايضا يجر العجل كغيره من الحيوانات عند عدة طوائف من تلك النواحى وهم اهم القمجتقا و التنغوذة و السمويد و بعض من قبائل الاوستياق وهذه الكلاب شديدة العدو والجرى ولكنها وحشية يصعب استحصابها وقد تسقط غالبا مع العجلات ومع سيدها من اعلى المنحدرات والعقبات الصعبة لكون جرها للعربات واهتدائها الى صوب مخصوص لا يحصل بالسهولة وبالجملة فهى رديئة فى مثل هذا العمل ثم ان القمجتقا يطعمون هذه الكلاب السمك الجاف

خيول

ولا يظهر أن تربية المواشى فى بلاد سبير بلغت درجة كمال وان كان يظن ذلك فى مثل هذه البلاد العظيمة المراعى فمن اهم سبير تمتاز طوائف البوریاطة و المغول بكثرة مواشيهم وذلك لان خيول المغول ذات جمالة خارقة للعادة وأما هو مخطط كنوع من النمور ومنها ما هو مبرقش كنوع آخر منها واغلب الامم العظيمة الرحالة النزالة من اهل وسط اسيا يرغبون فى اكل لحوم الخيل ويؤثرونها على لحوم البقر وفى الغالب يجففونها فى الشمس والهواء ثم يأكلونها من غير تجهيز آخر غير ماذكر فالاصطبل المسمى ادون عند اعيان المغول فيه نحو اربعمائة فرس ذكور واناثا وقد جاء تتار سبير الغربية من بلادهم الى سبير بهذه الحيوانات التى تحبها ملتهم وهى الخيل فتجد تلك الحيوانات تسرح وحدها فى سهل براين اقاطيع اقاطيع واغلب خيول سبير لونها البياض واغنامها

غنم

من نوع ذنبه عريض ولكن لهؤلاء الامم طريقة خشنية فى تحصيل جلود الاكياش الرقيقة وهى انهم يشقون بطون النعاج الحوامل ويخرجون مافيها ويجهزون جلوده للاستعمال تجهيزا جيدا او بقر الروسية نقل منه الى بلاد سبير ليتطبع فيها فتناقص طوله ولكن زادت قوته وفى الغالب تجد الحيوانات الصالحة للربوة الوسطى من اسيا تمتد امتدادا مختلفا قلة وكثرة فى الجبال الجنوبية من سبير والابل تأتى اليها مع القوافل بل شوهد منها فى دوريه عند المغول الروسية

بقر

وحشة

وهذه الارض بعد امريقة الشمالية وافريقة الجنوبية هى اوسع ميدان للصيد من سائر اجزاء الكرة ولكن الروسية اصطادوا كثيرا واهتموا بذلك واحرصوا عليه حتى ضعف حال الصيد بتلك الجهة فقل أن يصاد بها الآن شئ من حيوانات القنص بل اما أن تهرب او يقل عددها

حيوان السمور

واعظم حيوانات السمور يوجد الآن بقرب ياقتك و نرچنسك ولكنها تكثر فى قمچتقا والهم فى اصطيادها وفى قتل الحيوان من غير اتلاف لجلده حيل متنوعة لاسيما لماح القاعة المنفرجة وجلد الحيوان منها يساوى مائتين واربعين فرنكا فى نفس بلادهم وجلد الثعلب الاسود يباع بثمن يبلغ بعض الاحيان الف روبلة ويكفى غالبا

الثعالب

فى دفع سيرى قرية بقمامها وثعلب التخور او الجليد الذى لونه فى الغالب البياض ور بما مال الى ازرقة يسكن المنطقة المنجمدة وقمچتقا والجزائر الشرقية وهذا الحيوان يضاهى القرد فى شدة مكره وخداعه وادراكه الشديد الضرر ومن الحيوانات التى تصاد لاخذ فراها حيوان القاقوم والمرموط والمرط والسنجاب وغير ذلك من الحيوانات التى هى دون ما تقدم فى الشهرة والجودة ومما يرغب فيه كثيرا حيوانات السنجاب الفضية اللون التى ببلاد التلبوطية

الدب

والدب الابيض هو اشد وحوش سبير سطوة يصطاده الصياد الذى بيده رمح فيجد هذا الحيوان الاحق جالسا على رجليه فيقرب منه الحديد الذى يقتله ودب البر ايضا كثير يقتلونه بالتحيل عليه بعدة وسايط فيتوصل الكور بالة لتعليقه فى الشجر بواسطة الطعمة المربوطة بقطعة سير و يترقبونه فى الجبال و يضعون فى المسلك الذى يسلك منه عادة حبلا فى احد طرفيه ثقل جسيم جدا وفى طرفه الثانى عقدة جارية للطرف الآخر فاذا صاد احد هذه الحيوانات من عنقه تعب من جره لهذا الثقل الجسيم فيأتى اليه و يضربه بشدة الغضب و يقذفه فى اسفل حفرة فيقع هو بنفسه فيها وجبال دورية نوع صغير من النمر و يوجد الفهد وغيره فى سائر ارض سبير

وحيوان الايلان موجود ايضا فى سبير ولكن لا يتجاوز الدرجة الخامسة والستين من العرض و يصطاد فى شهر مارت حين تذوب الثلوج فيرلق الصياد سطحها بمزالق من الخشب يمشى عليها فينقب الايلان الثلج فى كل خطوة ثم ينغمس فيه فيأخذه الصائد ومما ينبغى ذكره حيوان التاهيا وهو فرس الوحش فانه يوجد فى جميع سهول ايسيم وكذلك

فرس الوحش

الكولان وهو حمار الوحش وحيوان آخر يسمى الديشهيطاى وهو حيوان بين الحمار والفرس ومن حيوانات تلك الجهة الايل ومعز الوحش وانواع الطباء و بعض خنازير وحشية على شطوط نهر ارتيش وحيوان المسك يوجد ايضا لكنه نادر وكثير من كلاب الماء لاسيما فى قمچتقا ولكن قط الزباد الذى ذكره بعض المؤلفين يظهر أنه لم يعرفه ايد اعلماء النباتات هنالك والظاهر أنه اشتبه عليهم بنوع من فارة المسك التى لا تسكن بلاد سبير الحقيقية بل على شطوط نهر كاما وسامرا والاثل والدون

والديشهيطاى وغيرهما

انواع الطبا

فارة المسك

ثم ان بسبير ايضا عدة حيوانات صغيرة مختلفة ينبغى ذكرها فمنها ارنب دورية وارنب المغول المنتشر الى جزائر الوتيينة وارنب الجبال الذى يدخر الخشيش اليابس ومن الحيوانات ايضا الفارة التى تلقب بالعمياء ولكنها ليست كذلك

الارانب والفيران وبنات عرس

ومنها ايضا انواع اخرى من الفيران وبنات عرس ومن هذه الفيران صنف يسمى لمنغ وهو يهرب غالبا ضرورة ما عدا فيما يبتدى دائما على سمت خط مستقيم ومنه صنف يسمى الفار الانسى الاقتصادى وهذا الصنف يحتكر فى بحره مقادير عديدة من العروق المغذية ومن البصل فيسلبها منه اهل سبير

هوام

والحشرات والهوام تضر دائما باهل البلاد والسياحين فان الناموس يكثر حتى يظلم به الجو بحيث يحجب السماء ومع شدة البرد هنالك يضر لبق بالماكن وتصيره منتنة وهوام القاقرلاق الموجودة باسيا دخلت بلاد سبير ادخلها شخص يقال له كاخطا وانتشرت جدا حتى وصلت الى شطوط نهر الاثل والنحل لا يمكن أن يعيش فى تلك البلاد

طيور

وهذه البلاد تكثر فيها الطيور كالبط والاوز الوحشى والدجاج البرى ودجاج الغابات والحجل ومن الطيور الطائرة فى الرواء الاوز القطيعة واوز الارض الجديدة المسمى اناس غلسيا ليس و بسبير الشرقية و قمچتقا صنف من الاوز يعيش على البحر وفى بعض الاحيان تجد منه عدة آلاف مطروحة على الشاطئ

صيد السمك فى البحر المتجمد

ومن العجائب أن الروسية لا يجنون اصلا عن صيد حوت يونس فى جزء البحر المتجمد الذى هو على الشرق من زنبلة الجديدة وهو فى الحقيقة ليس الا بوغازا عظيما وعلى كل حال ففيه انواع القسيج وغيره من الاسماك وكذلك الاسماك الكبيرة توجد فيه بكثرة ويصطاد السمويد من هذا البحر المتجمد اسماكا كالاسيما فى اجوان اوبى وكارا وفيه نوع من سمك الدولفين كل سمكة منه طولها ثلاثة انواع ويصطاد ايضا من هذه الاجوان مقدار عظيم من نوعى السمك الذى يسمى احدهما شيكال والآخر اومول وسمك الاومول يصعد البحر المتجمد فى كل الانهر ذات الاعماق الحجرية كنهر ينسية ونهر لينا وغيرهما من الانهار التى فى جهة الشرق ولا يدخل ابدا نهر اوبى الذى عمقه اناه اى ارشين وكذلك سمك ايريوان الابيض ونهر اوبى به كثير من السمك العظيم على اختلاف انواعه ولا حاجة لذكر جميع هذه الاسماك لثقل اسمائها وانما نقول ان بعض هذه الاسماك يصعد من النهر الى البحر ومنها ما ينزل فى البحيرات والجداول واغلبها يترك نهر اوبى بقرب الشتاء قبل فساد مياه هذا النهر تحت الجليد وفساد المياه الجارية تحت الجليد ليس له سبب الا كون الارض سبخة وكون مجرى هذا النهر العظيم بطيأ وسببه ايضا الاجزاء الملحية التى يحملها اليه نهر ايرتيش و ايسيم وتبقى مياهه عظمة خالصة بقرب مصب الانهر التى تكون ارضها حجرية وتأتى اليه لتصب فيه فتجد عدة اسماك تمكث فى هذه الاماكن والمياه الفاسدة تزول فى زمن الربيع حين ذوبان الثلوج فتصير مياه هذا النهر عظمة جديدة والمياه التى بها يسير الجير فى نهر ايرتيش يتغذى منها سمك عظيم يسمى الاسترجون وبه اسماك اخرى ذات ضخامة وطول وبالجملة فنهر ينسية ونهر لينا وغيرهما من انهار سبير المشرقية تكثر بها الاسماك العظيمة

صيد السمك فى نهرى اوبى وينسية وغيرهما

والصيد على الساحل وبين جزائر البحر المحيط الشرقى كثير شهير لا سيما عند اهل الجغرافيا الطبيعية وذلك لان هذا البحر بين بلاد التتار المنحورية و سبير و تجتقا وجزائر كوريلة هو بحر حقيقى داخل فى البلاد واما البحر الداخل بين اسيا وامريقة وجزائر الوتيينة فهو مشارك لما قبله فى الطبيعة والخواص فتجد فى اقطارهما كثيرا من هذه الحيوانات الغريبة التى هى بين ذوات الاربع والسمك كحوت يونس ودب البحر وذئب البحر وكاب الماء ولنبق ذكرها عند تخطيط امريقة فهذا هو تخطيط بلاد سبير على ما تقتضيه حالتها الآن بالنسبة للجغرافيا الطبيعية وهو شاهد لحالتها فى قديم الزمان حين وجود الحيوانات العظيمة التى كانت شبيهة بحيوانات المنطقة المحترقة وكانت تأكل الحشيش وتسرح فى مراع لطيفة تقتضى أن يكون لهذه الارض تقلبات ومزاج معتدل وقد ذكرنا فيما سبق آثار الفيلة وقاتل الفيل وهو الكركدان وكذلك غيرهما من حيوانات المنطقة المحترقة التى وجدوها فى سبير على امتداد نهر ايسيم ونهر ايرتيش ونهر اوبى وينسية الى شطوط البحر المتجمد وعظام هذه الدواب توجد مختلطة بصدف بحرى وبعظام اخرى تشبه أن تكون رؤس اسماك بحرية عظمية وبصادف الانسان هذه العظام على حافات الانهر وعلى طبقات الارض الطينية وبندر وجود ذلك بارض حجرية وجزائر ليا كوف ليست مركبة الا من حصى وجليد وعظام فيلة وكركدانات وجواميس واسماك كبيرة وقد رجدوا ايضا حيوانات كاملة ميتة من قاتل الفيل ومن فيلة سبير ووجدوا بعض جلودها باقيا على حاله لم يتغير

آثار حيوانات البلاد الحارة

وهذه الآثار العجيبة الباقية من الحيوانات الغريبة الاجنبية عن قطر سبير الآن هى التى كانت تعمره سابقا فتولد عنها عدة تخمينات وحدسيات فرأى الحكيم بير أن هذه الآثار من فيلة جاءت مع جيوش المغول والتتار حين وصولهم الى هذه البلاد ولا فائدة فى مناقشته اذ يبطل ما ادعاه وجود تلك العظام بكثرة فى حد ذاتها بقطع النظر عما وجد معها من آثار الحيوانات البحرية وعظامها فكلامه فاسد لا يحتاج لكثرة مناقشة وذهب الحكيم بلاس الى أن هذه الآثار نقلت الى سبير بطوفان ولكن ليس بها ما يدل على أن هذا الطوفان كان شديدا طويلا بل جميع القرائن تدل على أن هذه الآثار انما هى بقايا حيوانات عاشت فى المحل الموجودة به آثارها ولكن لقائل أن يقول كيف يمكن أن تعيش هذه الحيوانات فى اقليم عقيم بارد بل لو فرضنا أن سبير كانت فى قديم الزمان ذات قطر اطيب من ذلك وأخصب فان انقلابها الى هذه الحالة الراهنة يقتضى انها قد تغير جهتها ووضعها بالنسبة لمنطقة تلك البروج وللمناطق الارضية والواقع أن علماء الهندسة والهيئة لا يسلمون انه حصل تغير فى جهة الكرة بالنسبة لوضعها التذكيرى وان سبق ما يعنى أن قطر هذه الاقاليم كان سابقا اشد حرارة ولكن ما الذى يدل على انه كان مغمورا بمياه البحر وما كان احد ينتظر انه يجد فى سبير العمل العجيب لعرق اللؤلؤ الذى يتألف منه فى بحار خط الاستواء جزائر جديدة وان كانت جديرة كما شاهدوا على الشاطئ الايمن من نهر ايرتيش الغير البعيد من بطرسبورغ فسلام تقراكم يا دائما مصاطب المرجان بل قال بعض المؤلفين ان عرق اللؤلؤ يصنع بها الى الآن مصاطب جديدة فاذا امتحن هذا الشئ امتحانا كاملا امكن أن يحدث عنه معرفة تاريخ طبيعة الكرة الارضية اى معرفة احوالها فى الازمان

تخمينات فى شأن تلك الآثار

(المقالة التاسعة والخمسون من تخطيط اسيا)
ذكر اهم سيبير واقاليمها ومدنها

ولما فرغنا من تخطيط هذا الاقليم العظيم على وجه مخصوص ناسب أن ننظر اليه من جهتين مختلفتين باختلاف طبيعته بأن نقسمه بالنظر الى مافيه من البلاد الى ولايات واقاليم وكورات ونقسمه تقسيما آخر بالنظر الى الامم الساكنين به والتقسيم الاول يسمى خوروغرافيا والآخر يسمى اثنوغرافيا وقد جرت العادة بالابتداء بالاول ولكن نبتدئ هنا بالثانى رجاء أن يكتسب تخطيطنا بذلك وضوحا ويكون اتم فائدة فنقول

اهم السيبرية والقوزاق وغيرهم

ان الروسية والقوزاق وغيرهم من نزلات اوروبا نزلوا بلاد سيبير واستوطنوا فيها لاسيما فى المدن والرباطات والثغور العسكرية فأهل سيبير بعضهم من ذرية العساكر الذين استخدموا فى التغلب على هذه البلاد وبعضهم من ذرية المعاقبين ارباب الجنايات الذين طردوا الى سيبير ونفوا اليها ويزاد على هذين الصنفين من اجتمع معهما من الامم المهاجرة والفلاحين الهاربين والتجار الذين طرأ عليهم التفليس وجاؤا الى هذه البلاد ليتعاطوا اسباب الغنى والثروة فهؤلاء الامم المتنوعة حين جاؤا الى تلك البلاد نزلوا فى صحراء واسعة فانضم اولا لخشونتهم الاصلية خشونة اخرى صدرت عن قطرهم الوحشى ومع أن الجهل والكسل وشرب الخمر يضر فى الغالب بسعادتهم وراحتهم وجد فيهم ارباب الاسفار خصالا حميدة مدحوهم بها وهى شدة كرمهم وسخائهم وبشاشتهم وطلاقة وجوههم وانتظام احوالهم بحيث بعضهم لبعض وعدم وقوع الشقاق بينهم وقد كان السيبريون منذ قرن مشهورين بشراسة الاخلاق وخشونة الآداب حتى ان بطرس الاكبر جار الموسقو ظن انه لا يمكن عقابه لاهالى اسوج الذين كانوا اكبر اعدائه الا بتفريقهم وطردهم الى بلاد سيبير ولكن لما كان هؤلاء الاسوج ارباب شرف فى قومهم ومعارف بين ابناء جنسهم ادخلوا فى هذا الاقليم الذى نفوا اليه آداب اوروبا وعوايدها وصنائعها حيث انهم ارادوا تحسين احوال انفسهم فجر ذلك الى تحسين حال السيبريين فمن هنا حصل لسيبير نوع من التمدن وذلك لان الاسوج اسسوا سنة ١٧١٣ من الميلاد اول مكتب فى مدينة توبلسك وعلموا فيه الصغار اللغة الالمانية واللاطينية والفرنساوية والجغرافية والهندسة وفن الرسم وفى سنة ١٨٠١ لقى الخواجة قطزيبو جماعة فى توبلسك يشتغلون بعلوم الفصاحة الروسية والفرنساوية والالمانية ووجدهم يلعبون العابا افرنجية فى تياترة سلطانية وينشدون فيها قصائده وهذا يدل على أن اهل سيبير يتقدمون بالتدريج شيأ فشيأ بالنسبة للمعارف العقلية فهم يخدمون عقولهم ويمرنون قرائحهم وزيادة على ما حصل عند اهل سيبير من التمدن الذى عاد عليهم من اقامة الاسوج عندهم وصل اليهم تمدن آخر من ولاة اقاليمهم وضباطهم ارباب التدبير والعسكرية فادخلوا فى مدن سيبير آداب بتربورغ مع غاية الفخار وقصد الرياء والسمعة والمنافسة الموسقوبية وقد رأى الخواجة ليسيبس فى حارات مدينة ايركوتسك عربات ظريفة تجرى فيها دائما ولكن الرفاهية التى حصلت فى آداب السيبريين لم تصل الى المدن الصغيرة ولا الى القرى المنبثة فى وسط الغابات الواسعة على حالة محزنة فتجد بعض ارباب الزراعة عنده المواشى بكثرة ومع ذلك لا يعرف منفعة الفضة ولا استعمال النقود والسكة بل يعيش معيشة كمعيشة اهل الزمن الاول وارباب الصيد يهيمون فى الصحارى على حالة تكاد تكون وحشية فينامون على الارض الجليدية ويشربون من اوراق الاشجار الخضرة بل ربما شربوا دم الحيوانات التى يصطادونها بالرصاص ومما يدل ايضا على تأخرهم فى التمدن أن الشخص من القوزاق الذين هم اخس الناس اذا ارسل الى السمويد او يوكاجير ووكل فى جمع المرى او ضبط البلاد تجده فيها آتيا توبلسك و ايركوتسك بعد أن كان لا يعرف من اهلها الشدة تشبهه بهم بصيرا شبيه بالسلطان بسبب الوظيفة والمنصب الذى هو بصدده فيأخذ خصايخنذه كالقصر له ويأخذ عكازة الجاويش كانها عكازة الملك واعظم طعامه السمك المسمى سومون وهو حوت سليمان وكذلك لحوم حيوان الرنة وكذلك رأس الدب فذلك الدماغ فى مأدبته وبعض العائلات القوزاقية استوطنوا فى المدن واكتسبوا رتبة الدربانين يعنى اشراف البطارقة وتجار سيبير الآن يسافرون غالبا من مدينة الى اخرى ومن سوق الى آخر وعدد الافرنج المقيمين فى هذه البلاد والذين هم من نسل الافرنج نحو نصف مليون الآن ويقال لذراري الافرنج هناك سيبريا كه

تقدم التمدن

معيشة ارباب الزراعة والصيد وغيرهم

التتارية التشنزية

ثم ان قبائل التتار هنالك عديدة وهى تشغل الجزء الجنوبى من ولاية توبلسك والقبائل الاشد بعدا جهة الشرق هم قبائل اليروسة و الكتشنزية وتسمى ايضا كتشينية والبلتيرة وهذه القبائل الثلاثة مختلطة فى نسبها بدم المغول وهى تسكن جهة نهر ابكان الذى يصب فى اعلى ينسية ومن تلك القبائل امة الكتشنزة

غنية كثيرة المواشي وجوههم خالية عن اللحا فهي تدل على أن لهم نسبا بالمغول ومنهم جماعة كالسحرة عندهم شطارة وخفة في الامور يتزيون بملابس شبيهة بملابس الفرنساوية وفي الجنوب قبيلة تسمى السيانية وهي شاغلة لجبال عالية تسمى باسمهم وهذه القبيلة الرحالة النزالة لها شبه بقبائل المنجو وفي حوالي كوتزنسك قبيلة من قبائل التليوتة ويقال ايضا تلنغوتة واكثر قبائل التلنغوتة يعيش في بلاد القلوق بل يسمى الموسقو القلوق الابيض فمنهم من يضطر ويجبر على المعمودية والتنصر فيهمل بالكلية واجبات الملة اليونانية وشعارها ولسانهم هو لسان المغول لكنه ليس كاملا واذا نزلنا نهري تموسك وچوليم وجدنا امتين تتاريتين مسماتين باسمي هذين النهرين وقد نصرهم المطران فيلوفية وذلك أن فرقة من عساكر الروسية ذهبت تحت رياسة هذا القسيس فطردت هذه القبائل الى نهر چوليم فحكم هذا القسيس بأنهم بمقتضى الاحكام صاروا من اهل المعمودية ونظموا في سلك ابناء النصرانية والآن لما خلوا وانفسهم وتحرروا تدينوا بديانة على مقتضى عقولهم مختلطة من دين النصارى وعبدة الاوثان وتتار چوليم يتكلمون بلغة مركبة من لسان التتار ولسان المغول و بعض كلمات باقوتية ومن القبائل المختلفة التي لاحظ لها في الشهرة قبائل الابنزية وهم يسمون انفسهم آبا في المفرد وآبار في الجمع ويسكنون بين امم التلنغوتة اذا اجتزنا نهر اوبى وجدنا قبيلة البربنية وتسمى قبيلة البربنتزية وهم يعيشون من صيد البحر ومن مواشيهم ومحل اقامتهم سهل عظيم يسمى باسمهم وبعضهم اسلام وبعضهم وثنى وتتار اوبى يسكنون على امتداد ميسرة نهر اوبى الى اطراف ناريم وتتار توبلسك يسكنون على شطوط نهر توبلسك من ثغور البلاد الى مصبه وامة التارالية في اقليم تارا يتكلمون بلغة هي عين لغة الامة المتقدمة وامة التور التزية او التور البنية هي اعظم جميع تتار سبير تمدنا وتسكن المدن والقرى التي على شطوط نهر تورا من الجبال الى ما يقارب نهر تبول وقد دخلوا المعمودية حين تنصرهم فغمسوا في هذا النهر والذي عمدهم هو فيلوفية المتقدم وكان معه فرقة من القوزاق

السيانية

اتليوتة

تتار توسك وچوليم وغيرهم

الابنزية
البربنتزية
تتار اوبى وتارا و غيرهم

واما التتار بتلك الجهة في الغالب هم ارباب بنية قوية شديدة ومعيشتهم خالية عن الزينة والرفاهية لبقائهم فيما على اصل الفطرة مع القناعة والنظافة فهم بذلك محفوظون من اغلب الامراض المعدية والحادة الا الجدري فان هذا الداء عندهم مضر جدا ونظافة التتار وقناعتهم منشأهما في الغالب الدين المحمدي وذلك لان القرآن يوجب عليهم الوضوء والغسل للصلوات بل وعندهم اصول وفروض ولو على النساء فتجدهن يتبعنها فيما يتعلق بشؤنهن وما يليق بهن ولما حرم عليهم القرآن شرب الخمر حفظهم ذلك من مضار السكر الواقعة للموسقوبية واما تكليفهم بالصوم فانه ربما اضر بصحة ابدانهم وذلك لان التتار يصومون كل سنة من الفروض والنوافل مائتي يوم وخمسة ايام هذا ما يقوله الافرنج وعدد قبائل التتار يبلغ مائة الف

اخلاق التتار

ولنتكلم على القبائل المغولية الذين استولى عليهم الروسية فنقول ان المغول الحقيقيين ساكنون جهة كياكتا وسلنجنسك وعددهم قليل وامة البوريانة ويقال لهم برغاوراط هم جنس عظيم مغولي عمروا غالب اقليم ايرخوتسك واقليم نرچنسك وهم نحو ٩٨٠٠٠ نفس وهم اقوى شبها بالقلوق ومنهم اناس ضخام الجثث وشعورهم قليلة ومنهم من لا لحية له ولونهم ذابل اصفر وليس لهم قوة ولا شدة وذلك أن الشخص من الموسقو الذي يساوي في السن والقامة شخصا من البوريانة يقاتل عدة اشخاص من البوريانة ويظفر بهم والبوريانة مع ضعف بنيتهم صحاح الابدان لاداء بهم غير أنه يندر تقدمهم في السن وقد كان الجدري سابقا مضرا بهذه القبيلة مشؤما عليها فانه اذا ظهر منذ رتب بيت لتطعيم الجدري وتلقيحه بالبقري في مدينة ايرخوتسك والحرب منتشر فيهم ومنشأه هذا أوهم وحالة عيشتهم وملبسهم ويستعملون للامراض المزمنة الحمامات الحامية التي في شرق بحيرة بيكال واطباؤهم جماعة يسمون الخاية وهم ارباب رقيا يحاولون علاج المرض بالذبح والطلاسم ويستعملون ذلك اكثر من المعالجة بالادوية ونحوها وقبيلة البوريانة تتكلم بلغة مغولية يابسة لا تفهم بسبب توارد تغيير اوضاع الحروف الساكنة وتبديلها

قبائل مغولية بوريانة بنيتهم

حالة معيشتهم

النوع الثالث من الامم المتولدة في آسيا الشمالية هي امة التنغوزة التي تسمى انفسها في لغتها اووين ويسميها الصينيون سولون ويسميها اليوكاچير اريبچية وهي من نسل اصل تشترك فيه مع امة تتار المنجو وتمتازامة التونغوزة بانتظام اعضائها وتناسب تقاطيعها فهي في العادة ذات قامات متوسطة قابلة للتثني والانعطاف وحسنة الخلقة فتجد وجوههم اقل تسطحا من وجوه القلوق وعيونهم صغيرة وبصرهم حاد وانوفهم متناسبة ولحاهم خفيفة وهم سود الشعور وجوههم وسيمة ومناظرهم حسنة وهذه الامة ليست عرضة لكثير الامراض

تونغوز أو اووين

بنيتهم

ولكن لا يتقدمون في السن كثير الطبيعة قطرهم وصعوبة معيشتهم وشدة اخطارهم وقد يفسد الجدري عندهم الحرث والنسل ورؤساء دينهم الذي هو عبادة الاوثان هم ايضا الاطباء وعندامة التونغوزة حاسة البصر وحاسة الشم في غاية من الدقة واللطافة يتعجب من ذلك من رآهم واما باقي الحواس فانها اقل حدة من هاتين الحاستين فتراهم يعرفون باقليهم كل شجرة بخصوصها وكل صخر على حدته فيمكنهم أن يعينوا على وجه واحد طريق مائة ميل بتخطيط الاحجار والاشجار التي تكون فيها ويهتدي لون السياحين بحيث يمكن للسياح بهذا التخطيط الذي تلقاه عنهم مشافهة أن يتبع الطريق وحده ويتيعون ما يصطادونه بمشي خفيف لا يظهر اثره على الاعشاب او الطحلب او الاشنة المسماة شيبة العجوز ولم ترض هذه الامة أن تدخل المعمودية ولا أن تتدين بدين النصرانية بل تمسكت بدين هو فرع من دين الحمانية او الشمانية فهم يعبدون صنما يسمونه بوا ويتزوجون بعدة نساء وامير هم يلقب طاي شاه والظاهر أن هذا الاسم مغولي ولسان التونغوزة لغة منچورية اي مأخوذة من لغة المنچو مخلوطة ببعض كلمات مغولية لاسيما الكلمات الدالة على التمدن والتحضر ويشتمل لسان التنغوز على نحو عشر لغات

دينهم

وهذه القبيلة الرحالة النزالة تشغل بما لكها المنتقلة نحو ثلث سبير وتمتد من شطوط نهر ينسية الى بحر اخوتسك وتشغل في الجنوب الجزء الشرقي من دورية واهل هذه القبائل التنغوزية فرسان عظام ويحسنون الرمي بالقوس وجميعهم ارباب شجاعة وقوة وثم فرع آخر من سبير تسكنه امة التنغوزة وهو يمتد بين نهري لينا وينسية الى اسفل تونغسكا وهم فقراء الحال كأمة السمويد المجاورة لهم والتنغوزة النازلون على نهر لينا ويقال لهم اولينية يقتاتون من حيواناتهم المسماة الزبة ومن صيدهم البحري والبري ومن امم التنغوزة قبيلة تسمى لامونة يعني سكان الاودية وهي تشغل اقليم اوخوتسك الى حدود كوريا كة وعدد الجميع لا يزيد على ٢٤٠٠٠ وفي سفح جبال اورال في الشمال وعلى اسفل اوبي تجد عدة قبائل من نسل الفينية ولعلهم جاؤا من اوروبا لانه لا شيء يدل على أن الجنس الفيني كان متصلا باسيا

قبائل تنغوزية مختلفة

وقبيلة الووغول التي تسكن بين انهر تيول وبيريسو واوبي والجبال الاورالية قدودهم اصغر من الربعة وفي الغالب شعورهم سود ولحاهم قليلة ويشتغلون في اغلب اوقاتهم بالصيد البري ولهم في ذلك نشاط ومهارة غريبة ويحسنون الرمي بالبندق والرماح ويعرفون ايضا شدة المصايد والاشراك التي تستعمل لصيد الحيوانات الوحشية ويسمون انفسهم منسية ولسانهم مختلط ومركب من لغات عديدة

ووغول

وامة اوستياك اوبي هي ايضا جنس فيني وهي من اعظم قبائل سبير عددا فان فيها من الذكور ثلاثين الف نفس واسم اوستياك معناه غريب اجنبي وقد اطلقه التتار خاصة على ثلاث قبائل مختلفة واوستياك اوبي ويقال لهم عند امة الووغول منسية يعتقدون أنهم من نسل امة البرمية وقبل دخول الاوستياك في قبضة الروسية كان يحكمهم امراء من ملتهم فلذا كان مشايخ هذه القبائل من نسل امرائها الذين كانوا يحكمونها في قديم الزمان وهذه الامة ليس عندها احرف هجاء ولا يعرفون الحساب والعدد وانما يعدون الى حدة العشرة ولا يعرفون ما زاد عليها وهذه الصفة هي صفة من عداها من امم الفينية وهي نازلة فيما بين مدن سورغوت وبرزوف واوبدورسكوا

اوستياك اوبي

اخلاق الاوستياك وعوايدهم

قال بعض سياحي الموسقو ان قبائل الاوستياك قصار ضعاف وسحنتهم لا تمتاز بشيء مخصوص يميزهم عمن عداهم من الامم وشعورهم عادة ذات حمرة او شقرة ذهبية وملابسهم ضيقة متخذة من الجلود والفرا وللرجال علامة في بشرتهم وللنساء صور على ظهور ايديهن وعلى اعضاء هن والخاذهن وخصوصهم المعدة للصيف على شكل الاهرام بخلاف المعدة للشتاء فهي مربعة مبنية بالخشب وهم بالطبع صيادون في البحر ويغزون في الشتاء غزوة عظيمة لصيد البر راغبين في اقتناص حيوانات الزبة وليس هنالك شيء شد اتساخا من طاهرهم ومعيشتهم فاحوالهم رثة جدا وحياتهم تنتهي غالبا بالامراض المزمنة غير أن ابدانهم صحيحة لا سقم بها وان كان يعتريهم فساد الدم ووجع الاعصاب ولم يزالوا الى الآن عبدة اوثان واذا ارادوا مبايعة چار من چارات الموسقو عند توليته جثوا على ركبهم أمام جلد الدب او اناس يقتلون به الدب ويعطى لكل شخص منهم لقمة عيش على طرف سكين ويحلفونه يمينا صيغتها ان خنت الچار مقة حياتي او لم ادفع المرى او هربت من بلدي او نحو ذلك افترسني الدب وقتلني هذه اللقمة وقطعت رأسي هذه الفاس ومزقت كبدي هذا السكين فهذا هو المجلس المعتاد عند جميع امم سبير عبدة الاوثان وذلك لان الدب عندهم مبارك يجيء انهم قبل ذبحهم للعيد يقربون قربانا لهذا الحيوان واذا قتلوا دبا صنعوا موسما كفارة لهذه الخطيئة ووجهوا ذلك لروح هذا الميت

قبائل امة السمويد

والظاهر ان جميع جنس السمويد نزل الى البحر المتجمد متتبعا مجرى نهر ينسية لانه يوجد الى الآن من اعلى نهر ينسية

واما كان الى نحو الطرف الغربي من بحيرة بيكال قبائل اخر هينة لغاتها مشوبة كثيرا بكلمات من لغة السموييد بل قد تنسب هذه اللغات بتمامها الى لسان السموييد ومن هذه القبائل قبيلة سوايتة ويقال انها كثيرة الاهل في بلاد المغول الصينية ومنها ايضا قبيلة الكبالة وهي قبيلة تترك جنس اسوات اولادهم معرضة على الاشجار وعندهم الارانب الجبلية تجمع الحشيش لتأكله فتأخذ هذه القبيلة ما جمعته الارانب التي يقال انها ذات فطنة عظيمة ومنها امة المانورة وامة الغراغاسة والكماشنزة وكذلك اوستيالناريم والاوفق بالطبع أن يقال ان اوستيالك بنسبة المسماة بنيوكول انما هي حلقة من سلسلة السموييد والظاهر أن هذه القبيلة الصيادة تختص بلغة قبيحة تصرف المؤرخين عن أن يبحثوا عن اصولها

سوايتة
كبالة

الغراغاسة وغيرهم
اوستيالناريم
وغيرهم
السموييد

والسموييد الحقيقيون يشغلون ارضا واسعة مملوءة بالخلج والبحيرات وبلادهم محدودة من جهة اوروبا بنهر ميزن في نحو ارتفاع درجة من الطول الشرقي وفي آسيا يصلون الى نهر اولنق بقرب نهر لينا فيكونون في نحو مائة وخمس عشرة درجة من الطول الشرقي فطول بلادهم على الكرة خط ذو سبعمائة وخمسين فرسخا من مائة درجة الى مائتين من العرض اي الاتساع) (وقامات السموييد عادة من اربعة اقدام الى خمسة وفي الغالب بهم انحناء وسيقانهم قصيرة وركوبهم عظيمة مسطوحة وهم فطس الانوف والجزء الاسفل من وجوههم بارز وافواههم واسعة جدا واذانهم عريضة واذقانهم قليلة الشعر وعيونهم صغيرة سوداء مفتوحة ولونهم زيتوني يبرق بالشحم وشعورهم سود واقفة يتعهدونها غاية التعهد وان كانت بسيرة ونساؤهم لبنات القدود وتقاطيعهن ظريفة يصلن الى البلوغ بسرعة فاغلب بناتهم يصرن امهات في احدى عشرة او اثنتي عشرة سنة ولكن الاكثر في رجالهم العقم فقد ينقطع نسل الرجل قبل بلوغ المرأة ثلاثين سنة وهذه الامة الخشنية التي لشدة توحشها يمكن أن تسمى هوتنتوت الشمال لا تستعمل حيوانات الزنة الاهلية الا الجر للحملات وانما يغتذون بلحوم الزنات الوحشية وهم في الزائة والوساخة كاملة الاوسة بالله ولكن في الغنى والملابس احسن منهم ولا يعبدون الا اصناما خشنية فتجدهم يعبدون حجرا او قطعة خشب ولهم حرص شديد على عدم النطق باسماء الموتى وعندهم جماعة سحرة كالحواة السحرة ارباب العاب ذات خفة فيغرزون السكين في ابدانهم من غير أن تجرحهم اي يظهرون ذلك ويدعون انهم ارباب باطن والهام ومنهم من يعتريه بعد ذلك شدة الحماقة حتى يصير كالمجنون ومنهم من تجده بادي مسه او النظر اليه يعتريه نوع من الكلب وشدة الغضب فينقلب على الارض ويصيح ويضرب جميع الحاضرين بكل ما يجده في الارض حتى ان امة الروسية المعتادة على مشاهدة القبائل الوحشية يفزعون من هؤلاء الحواة الذين هم كرؤساء دين السموييد والنساء عند القبائل السموييدية محتقرات جدا يعشن في غاية من التعب والمشقة فهن اشبه بالنجاسة الكلبية ويكلفونهن بأن يتعطرن او يتبخرن قبل دخول عتبة الخص وحظ هؤلاء الامم الرحالة انما هو رقص موزون على صوت غناء انفي وهي منقسمة الى عدة قبائل فمنهم قبيلة الاوبدورية والبوراكه وهم اشهر هذه القبائل وجميعهم يبلغ عشرين الف نفس ولما كانت امة السموييد خارجة عن طريق الاعتبار ابقوا لغتهم على ما هي عليه فلم تشبه غيرها من اللغات وسموا انفسهم باسم يتميز اي الناس كما انهم سموا انفسهم ايضا شوزوفو اي الرجال او الذكور

بدع واوهام
سحرة

نساء

قبائل مختلفة

وامة الياكوته او الياقوتة وهي على الغرب من بلاد السموييد وحوالى مدينة ياقوتسك وعلى شطوط نهر لينا الى البحر المتجمد يظهر أنهم تتار خبث اصلهم وخرجوا عن حكم المغول وذهبوا الى الاقاليم البعيدة ويسمون انفسهم سوشا في المفرد وساشار في الجمع ومنهم تتار من الكرسنوارك وهم فرع من التتار يسمى بهذا الاسم ولا يكن تحادة مبانية لعادات من جاورهم وهي طول الشعور وقصر الملابس المفتوحة واما الزائة وشدة الاتساخ فلا يفوقهم فيها احد حتى ان بعض من يوثق به من المؤلفين اخبر أن المصاحن التي يسحقون فيها السمك اليابس متخذة من رؤوس البقر المليس بالجليد وعددهم نحو ٨٤٠٠٠ نفس

يا كوته

يوكاجيرة

وامة اليوكاجيرة تسكن الجبال التي يخرج منها كل من نهر اندیجركا و كوويما وهم نحو خمسمائة عائلة وكلهم قد تنصروا ودخلوا المعمودية ويغتذون من الصيد ومن حيوانا تهم المسماة رنة ولا يعلم هل هم من امة السموييد اومن امة الياكوته اومن القبائل الآتية

جوكية

وامة الجوكية تسكن الطرف الشرقي من آسيا وعلى شرق اليوكاجيرة وعلى شمال الكوريا كه وهي نحو الف عائلة يسكنون في معسكرات صغيرة قريبة من الانهر وخيامهم مربعة الشكل وهي اربع عصي يعلوها جلود الرنة كالسقف وأمام كل خيمة رماح وسهام مركوزة في الثلج معدة لدفع غارات الكوريا كه عليهم بغية مع أن امة الكوريا كه من جنس تلك الامة وهم دائما في حروب رديئة وفي وسط الخيمة فرن وفراشهم فروع صغيرة من الشجر

حال معيشتهم وملبسهم وغير ذلك

ممدودة على الثلج وعليها جلود الوحوش وملابسهم رثة وسخة وطعامهم ردىء تسأم منه النفوس وتمجه الطباع وليست ملابس النساء الا جلود الهما معلقة فى رقابهن ومعقودة بعقدة متى انحلت صرن عرايا وتقاطيع هذه الامة مخيفة ولكن ليست انوفهم مسطوحة كانوف القمجتقا ولا عيونهم كعيونهم فى الصغر وقد حقق لسيبس ان وجوههم شكلها كشكل وجوه اهل اسيا وقد نص على ذلك قبله الحكيم كوك وهذه الامة ارباب براعة فى الرمى بالمقاليع يظهر أن اهم شجاعة ومهارة فى صيد الاحمال العظيمة المسماة بحيتان يونس فهم يصطادونها على منوال صيد أهالى اوروبا مع انهم لم يتعلموا ذلك من الافرنج اصلا .

قبائل مختلفة

وامة الشيلاچية تسكن جهة رأس يسمى رأس الشيلاچية وكذلك امة الاشوشالات وامة البيسكولية على جزائر ايضا فى البحر المتجمد مجهولة الحال وهم من عشيرة امة الجوكة

كوريا كة

وامة الكوريا كة التى لا يزيد عددها على الفى نفس تقتات مما عندها من حيوانات الرنة ومما يصطادونه جهة نهرى انادير و اولوتورا وامة الالوتورزية تتكلم بلغة لينة ولغة الكوريا كة فى الغالب تقرب من لغة الچوكة كما تقرب من لغة القبيلة الآتية .

اهالى قمجتقا

و القمجادال اى اهالى قمجتقا ينقص عددهم كثيرا ولا زال آخذا فى النقصان بحيث يغلب على الظن أن هذه القبيلة لا تزال تأخذ فى الاضمحلال والتلاشى حتى يؤول امرها الى الانقراض واهلها تصار القامات جدا واكفافهم ضخمة ورؤسهم غليظة ووجوههم مستطيلة مسطوحة وعيونهم صغيرة وشفاههم دقيقة وشعورهم هينة ونساؤهم بشراتهن دقيقة وايديهن وارجلهن صغيرة وقدودهن متناسبة تناسبا غير كامل وليست هذه الامة عرضة الا لبسير من الامراض ولكن يشاهد فيهم كثيرا العرج ومن رأى ذلك منهم ظن أن هذه العوارض ناشئة عن اشغالهم واعمالهم الخطرة واعظم الآلام عندهم واشهرها امراض الاسقربوط المسمى فساد الدم وداء الفرنجى وهذا الداء كان معلوما عندهم قبل وصول الروسية الى بلادهم وليس بارضهم اطباء وتصعد التلوح ابخرة ينشأ عنه الرمد كثيرا واما الجدرى فهو شبيه بالطاعون

تلقيح الجدرى

فقد يهلك عائلة بتمامها ومع ذلك فالتلقيح مستعمل عندهم مدة مديدة وكل انسان منهم يعرف عمليته بأن يضع شوكة سمكة فى مادة الجدرى ومزاج الشخص منهم ذكرا كان او انثى حار جدا وذلك لان غذاءهم يوقد النار فى ابدانهم و يهيج دماءهم ومزاج قطرهم وكيفية عيشتهم يحدثان فيهم ميلا عظيما للفاحشة والفسق ولاهل الجنوب منهم عشش يقيمون بها صيفا وشتاء تسمى اسباس ويقال لها ايضا بلغان وهى مرفوعة على قوائم يبلغ ارتفاع كل قائمة منها اثنى عشر او ثلاثة عشر قدما وانما جعلوها على هذا الارتفاع ليخفوا اعلاها تحكم الذى هو بمفرده قوتهم و يلبسون على جلودهم قمصانا من القطن وشروالا عريضا من جلود الظباء ونعالهم من جلود مدبوغة وقلانسهم من الفرا والرجال يشتغلون اصالة بصيد السمك وفى الصيف تذهب النساء الى الغابات لالتقط النباتات فيعتريهن فى هذا الفصل داء السرسام وهو داء يشبه هيجان نساء الرومانيين اللاتى كن كالكهنة و يجرون بملاتهم الخفيفة التى يجلس السياح بجانبها بكلاب شبيهة بكلاب الزعاء ولا يستعملون فى ذلك حيوانات الرنة كغيرهم من اهل تلك النواحى وفى شمال قمجتقا خصوص محفورة تحت الارض والحر فيها اشد منه فى غيرها ولكن الهواء المخزون والابخرة التى تكمن فيها يتحصل منها هواء لا يطاق

وقد حان لنا الآن أن نشرع فى تخطيط الاقاليم والمدن التى ببلاد سيبر فنقول

اقليم ايكاتيرنبورغ

ان اقليم ايكاتيرنبورغ هو من ولاية پرميا التى معظمها فى اوروبا وهو يشغل المنحدرات الشرقية من الجبال الاورالية ومدينة هذا الاقليم تسمى ايكاتيرنبورغ والاحسن أن يقال يكاتيرنبورغ وبيوت هذه المدينة نحو الثلثى بيت وهى قاعدة ادارة عموم المعادن ومن مدن هذا الاقليم ايربيت وهى مدينة شهيرة بسوق عظيم يتجر فيه بتجارة عظيمة بين اوروبا و سيبر

خط تروايتزك

وخط تروايتزك يحتوى على مدينة تسمى بهذا الاسم وهذا الخط من ولاية اورنبورغ وتلك المدينة هى مجمع قوافل الغرغيز

ولاية تبولسك ودائرتها

وولاية تبولسك تمتد على شطوط انهر اوبى و ايرتيش و تبول ولنبتدئ تخطيطها بتخطيط دائرة تبولسك او كورة تبولسك الواقعة على ملتقى هذه الانهر الثلاثة فى وسط سهل عظيم مقطوع ببعض ارتفاعات من الرمل فنقول ان قطرها وان كان شديد البرودة الا أنه قابل فى الصيف للحر العظيم ولا يندر أن يكون ميزان الحر الذى صنعه ريومور يرتفع الى سبعة وعشرين او ثمان وعشرين درجة وتكثر فيه الرياح العاصفة والامطار فيه شديدة وكما أن الحر فيه لا يطاق صيفا فكذلك البرد لا يطاق فيه شتاء وميزان الحر ينزل فى الغالب الى اربعين درجة تحت الصفر ولكن هذا القطر الصعب

قطر

تولدات

ملايم للصحة وليس به الا مرضان متساطنان وهما الامراض الافرنجية والحميات الباردة ولا يوجد فيه اصلا شجرة من الاشجار ذات الفواكه واما بستان المدولة الذى هو من غير شك اطرف بقعة فى تلك الارض فاشجار الفواكه به مرسومة على دائرالملوحات التى تحدق بذلك البستان وشجرة الحمص فى سبير وكذلك البتولا والبردينة وهى الحورة الرومية السوداء كلها محبوبة لاهالى تبولسك ويوجد بها ايضا اشجار صغيرة من عنب الثعلب الاحمر والاخضر وكل جنف من الحنطة يصح فيها و ينجح والاعشاب تخرج فيها متكاملة متراكمة وارضها فى جميع الاماكن طين اسود خفيف لا يحتاج الى التسميد والتسييخ والفلاحون بها ارباب كسل عن نقل الزبل شيأ فشيأ من اصطبلاتهم ومذاودهم وفى بعض الاحيان يضطرون لهدم بيوتهم من محل لبنائها فى محل آخر لان جبال الزبل التى تحتاط بهم من جميع الجهات يشمون منها رائحة الابخرة التى تتصاعد من الزبل فتكون ريحها صعبة جدا عليهم ولو بالنسبة لحواسهم الغليظة الخشنة

مدينة تبولسك

و مدينة تبولسك واقعة على ميسرة نهر ارتيش تجاه مصب تبول وهى قاعدة ولاية سبير بتمامها فهى مقام الوالى و بها ايضا طريق وهذه المدينة العليا ارتفاعها خمس وثلاثون قامة فهى اكثر ارتفاعا من المدينة السفلى المسماة بهذا الاسم وسما يتصلان بواسطة بعض سلالم تبلغ نحو مائتين وتسعين درجة وهذه المدينة عظيمة المنظر فى بعض محال منها كالقباب العديدة وابراج النواقيس ونحو ذلك وفى قلعتها قصر الوالى وهو ايضا حسن المنظر غير ان هذا القصر حصل به حريق فصار لا يرى رونقه ونظرفه الاعلى بعد وحاراتها على غاية من الاستقامة والانتظام وهى مخشبة الارضية بالشواحى و بيوتها وان كانت جميلة الا أن اغلبها من الخشب وقد زاد عدد اهلها بزيادة التجارة والعمارة فبلغوا نحو ستة عشر او سبعة عشر الف نفس ثم ان كلا من نهر ارتيش ونهر تبول قد يفيض فى بعض الاحيان على ما حواليها من الاراضى و يبلغ فيضانهما اربعين ورستة بالاستدارة وفى ذلك الوقت لا يمكن دخول المدينة الا على الماء وكثيرا ما تكون الحارات مملوءة بالقوارب الصغيرة التى يذهب فيها الانسان لحاجته وقضاء اوطاره قال كوتزبيو ان تبولسك يحيط بها مخور اقتلعتها السيول على وجه عجيب ومن هنا يتعجب فى وقت المطر من السطح الماءى العظيم الذى يكتنفها الى سفح غابات كثيفة تتوج الافق من كل جهة وهذا هو سبب كون عين الانسان المطرود المنفى ترتاح برؤية كل سفينة وشراعاتها متوهما أن عياله قادمون اليه فيها ليقتسموا معه ما حل به من المصائب والنكبات انتهى

وقد كانت مدينة سبير قاعدة التتار مدة اقامتهم فى اقليم سبير وهذه المدينة واقعة على ست عشرة ورستة من تبولسك على نهر صغير يسمى سيبركا وقل أن يوجد الآن من مدينة سبير بعض آثار هينة

آثار مدينة سبير

وفى مدينة دمبانسكوايام وهى محل بوسطة العربات على نهر ارتيش لا يتكون للكرنب رؤس وانما يخرج منه اوراق متفرقة وفى قرية سمروفوسكوايام التى هى فوق ملتقى نهرى ارتيش واوبى تشرع الخيول فى عدم تحمل صعوبة القطر ثم بعد ذلك يدخل الانسان فى الدائرة الواسعة التى يقال لها بريزوف وهى ممتدة الى جون كارا واوبى وتاز ومسافتها اعظم بمرتين اوثلاث من فنلند ونرويج وهى مثلهما فى العرض الا انهما دونهما فى العمران بنحو مائتى مرة اوثلثمائة وحر الصيف فى بريزوف فى الدرجة الرابعة والستين من العرض وهو على قصر مدته فى غاية الشدة والشتاء يخلفه الحر بغتة وفى العادة يبتدى الجليد فى آخر شهر اغسطوس وجليد نهر اوبى لا ينكسر ابدا قبل انقضاء شهر ماية وليس بها زراعة وانما نصح فيها الخضراوات وغاباتها عبارة عن شجر البتولا والتنوب وارز سبير وكله عجز فيها بحيث صار لا يفوز بزيادة عما هو عليه ويكثر بها الصيد الماءى والسمك

دائرة بريزوف

اوبدوريا

والارض التى على مصب اوبى تسمى اوبدوريا وهو اقليم اقبح من الاول وذلك لانه مجرد اضلال الثلج نحو شهرين ولو فى مدة اطول ايام الصيف لا تجد بها الا مستنقعات ينبت فيها القصب الفارسى من كل نوع و يختلط به اشجار صغيرة

نباتات شمالية

من شجر الصفصاف الردى ومن شجر البتولا القصير الكبير الاوراق ومن شجر اللادن الذى يوجد فى المناقع ومن الشجر المتبايل المسمى اندروميدة ومن المشمش البرى الموجود بجبال ألبه وعلى الجبال الاورالية القليلة الانضاع اشجار اللاريس التى ارتفاعها نحو قامة واشجار الحورة الرومية واشجار الصفصاف و يتكون من مجموعها فى بعض الاحيان اشجار كثيفة تنتشر على الجدران كالالباب. وعلى شط البحر لا تجد الا علق الشمال وعلق العبرات

دائرة سورغوت

ودائرة سورغوت على الجنوب الشرقى من دائرة بريزوف وشمال تبولسك وهى تحتوى على اراض مرتفعة كثيرة الغابات السجية وكان بها سابقا كثير من حيوانات السمور والثعالب والزردوا ومدينة سورغوت هى مدينة صغيرة على نهر اوبى

دائرة تورنسك

ودائرة تورنسك على الشرق من تبولسك وبها اراض قابلة للزراعة ومواد المعيشة بها قليلة الثمن ومدينة تورنسك بندر تلك الدائرة على نهر تورا وهى مدينة عظيمة بالنسبة لهذه البلاد

تخطيط الفلد مارشال مرنيخ لاقليم بليم

وفى مدينة بليم اقام الشهير الفلد مارشال مونيخ عشرين سنة وكان نشطا نافعا للروسية الذين قابله اصنيعه بالجد وعدم الشكر وبالقسوة والخشونة ونصه فى تخطيط هذه المدينة واقليم بليم مملوء بالغابات السبخة التى لا يمكن عبورها صيفا ولو باصغر عربة وانما يمشون بها فى الشتاء بواسطة اخشاب طويلة طول الخشبة خمسة اقدام ريضة تحت القدم وعرضها ستة اصابع ويغطونها بجلود الرنة لئلا تزلق رجل الانسان واذا اراد اهل البلاد أن يدخلوا الى داخل هذه الغابات استعملوا بيت الابرة الذى يصطنعونه بانفسهم حيث ان المغناطيس ليس نادرا عندهم فى هذا الاقليم

دائرة تيومين

ودائرة تيومين فى الجنوب الغربى من تبولسك وهى مفتوحة مطروقة اكثر من الاولى وأقل امتلاء بالغابات من دائرة تورنسك وتحمل الغلال الى غيرها من البلاد بل يشاهد فيها اشجار التفاح ومن مدنها مدينة تيومين وهى مدينة زاهرة على نهر تورا كثيرة الاهل من التتار وكثيرة الفبريقات الظريفة التى يصطنع فيها السجاد النفيسة وعلى بعض مسافة منها تجد قبر السياح استيلير الذى خطط لنا قمجتقا

دائرة يالوتوروبسك
دائرة تارا

ودائرة يالوتوروبسك على الشرق من المتقدمة ولا يوجد فى غيرها مروج ادسم من مروجها وكل من جاء يأخذ منها واكثرها باق لم يقطع منه شئ لعدم المواشى التى تأكل جميع حشيشها والهوام بها كثيرة ودائرة تارا على نهر ارتيش فى الجنوب الشرقى من تبولسك وارضها مسطوحة كثيرة الغابات والصيد ومدينة تارا على النهر المذكور وهى مدينة جميلة

دائرة كورغان
ايطالياسبير

ودائرة كورغان واقعة على جنوب دائرة يالوتوروبسك على نهر تبول قال والى تبولسك للخواجة كوتزيو ان هذه الدائرة هى ايطالياسبير وذلك أن ارضها مشحونة بالازهار الظريفة والمواشى ذوات القرون والخيل كلها ترعى فيها من غير حارس وفيها كثير من الدجاج البرى والاوز والحمام البرى ومدينة كورغان هى فى الحقيقة عدة اراض مجتمعة على نهر تبول وانواع المؤونات التى يتعيش بها اهلها تتحصل بثمن بخس بخلاف بضائع اوروبا فهى فيها غالية جدا وقد تكلم الخواجة كوتزيو على العاب بنات كورغان على شطوط تبول فقال على شط هذا النهر ميادين تجتمع فيها بنات المدينة لاستحمامهن وغسل ثيابهن وهذه الحمامات عندهن من الرياضات البدنية العجيبة فانهن يجتزن نهر تبول ويرجعن عائمات من غير جهد ولا مكابدة ولم يتركن انفسهن زمنا طويلا لتيار الماء نائمات على ظهورهن ويتلاعبن غالبا ويتمازحن ويتراسين بالرمال ويتتبع بعضهن بعضا ويتغامسن فى الماء ويمسك بعضهن بعضا ويرمى بعضهن بعضا فى الماء فهن اشبه بعرائس البحر المذكورات فى خرافة اليونان وبالجملة فيجلن فى اللعب حتى ان المتفرج الذى لا معرفة له بذلك يخشى عليهن فى كل وقت الموت والغرق ولكن جميع ما يعملنه خال عما يخل بالحياء والادب فلا يظهر منهن خارج الماء الا رؤسهن ولا يعرف الانسان كونهن من النساء الا بسبب الاهتزاز الذى تظهر به نهودهن فاذا اردن فراغ اللعب والخروج من الماء شرعن فى ذلك مع كثير من العفة والحياء ويرجون من المتفرجين التباعد والذهاب عنهن فاذا ابى بعض الحاضرين الذهاب لكونه يحب أن يرى شيأ منهن اولسوء قصد اصطف النساء اللواتى خارج الماء وصنعن دائرة ضيقة حول البنات اللاتى يردن الخروج ورمين لكل واحدة منهن ملابسها بحيث تجدهن فى اقرب مدة لابسات ثيابهن مع غاية الادب والعفة انتهى

دائرة ايشيم

وعلى الشرق من الدائرة السابقة دائرة ايشيم وهى متصلة بالسهل العظيم المسمى سهل نهر ايسيم اوايسيم حيث يسيح الغرغيز الذين هم من القبيلة الوسطى وقد كانت عادة هذه القبيلة الغرغيزية فى قديم الزمان سلب الموستو اوربطهم فى اذناب خيولهم وجرهم على هذه الحالة فلما شق ذلك على الروسية وارادوا منع ذلك اقاموا حصنا عسكريا ممتدا من شطوط تبول الى شطوط ارتيش وملاصقا للوادى المذكور من البحيرة المالحة المرة

دائرة اومسك

وقلعة بترو بولوفسكايا هى مقام عرضى رجال هذا الحصن ودائرة اومسك على نهر ارتيش جهة برية برابين وليس بها شئ من الغرائب وبندرها هو مدينة اومسك وبها كثير من المنفيين المطرودين

ولاية تومسك

وولاية تومسك مشتملة على الاقاليم التى على اعلى نهر اوبى وعلى نهر ينسية

اقليم توروخنسك

وفى طرف اقليم تومسك الشمالى دائرة واسعة تسمى منغازيسك وهى مشهورة اكثر من ذلك باسم توروخنسك وهى عبارة عن غابات وبرارى وصحارى متتابعة وبهذا الاقليم دون غيره من اقاليم سيبر ثعالب الجليد والدب الابيض

والذئاب

تفاصيل طبيعية

والذئاب وشعور هذا الوحوش به اكثف من شعورها بغيره واجود صفة وتكثر فيه الاسمال والطيور المائية وعلى شط البحر المجمد على شرق ينسية يرسو كثير من الحطب السابح على وجه الماء وقطره اشد صعوبة من قطر الاقاليم الاخر التي على نهر اوبى فلا يزول منه الجليد اصلا الا في آخر شهر يونية ولا تنبو اوراق الدردار واللاريس والصفصاف والبتولا الا مدة شهرين فقط وتفتح الازهار يظهر به قبل غيره والكتان الصلب له في هذا الاقليم ازهار فخمة الخامة عجيبة ومدينة توروخنسك المسماة ايضا منغازيسك عامرة اهلها بحوالف نفس وخصوص القوزاق المسماة سيبوية واسعة تمتد نحو خمسمائة ورستة جهة الشمال وهذه الامة الشمالية تألف اقليمها المهول

دائرة ينسية

وفي جنوب توروخنسك دائرة ينسية تمتد على ساحل نهر يسمى بهذا الاسم وعلى نهر تونغوسكا الاعلى المسمى ايضا لخارا وفيها الحنطة واللبن والطيور بكثرة ولكن لا وجود فيها الا لاشجار الفواكه

ومدينة ينسية على نهر يسمى بهذا الاسم وهي حصن تجارة ومحيطها ست ورستات واهلها مشهورون بأنهم ارباب تحيل ومكر يشربون الخمر ويركبون الفسق

تاريم
چولیم
تومسك

ودوائر تاريم وچوليم وتومسك وكنسك تمتد في الجنوب الغربي من الدائرتين السابقتين فالاولى وهي ابعدها شمالا عبارة عن ارض صيد قليلة المواشي والزراعة وفي دائرة چوليم بعض مواش ولا شيء بها من الزراعة وفي دائرة تومسك التي يجتازها نهر اوبى تجد الارض خصبة في كل نوع من انواع الحبوب وبها مراع للخيل والبهائم ذوات القرون وتكثر في انهرها اصناف السمك وقد استكشف الحواجة لكسمان حجر الفحم في هذه الدائرة

مدينة تومسك

ومدينة تومسك على نهر توم الذي يصب في نهر اوبى وهي ثالث مدينة من مدن سبير العظمة واهلها نحو احد عشر الف نفس وهم يزيدون دائما على التدريج والظاهر أن وضعها في وسط سبير يجعلها في المستقبل قاعدة هذه البلاد وهي مقام كثير من التجار الروسية والتتارية والجارية والقلوق وهي ايضا مجتمع البضائع ومحل ميعادها واغلب اهل هذه المدينة روسكولنيقية اي خوارج شداد صعاب امورهم عجيبة يظهرون الصلاح وهم في الحقيقة ارباب فساد ومكر كما ذكره بعضهم

دائرة كنسك
اقليم كوليوان

ودائرة كنسك تشتمل على جزء من سهل برابين ويخرج منها كثير من القاقوم

واقليم كوليوان كان على عهد كاترينة الثانية ولاية على حدته وهو الجزء الجنوبي من سبير الغربية والاقليم الذي بين اوبى وتوم ارضه خصبة ولكن حين رآه بلاس لم يجده مشحونا الا بأشجار البتولا فقط ووجده ايضا قليل الاهل والعمران وفي هذا الاقليم بنيت مدينة كوليوان وهدمت ثم بنيت في عدة اماكن ومدينة كوليوان الجديدة الموجودة الآن هي مدينة متوسطة على نهر اوبى اي ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة

دائرة سميبالاتنوا

ودائرة سميبالاتنوا هي الطرف الجنوبي من سبير الغربية وينبغي أن نتكلم عليها تفصيلا بالنظر للجغرافيا الطبيعية فنقول ان السهل الذي بين نهري اوبى وايرتيش طبيعته الملوحة وبحافات نهر ايرتيش سلسلة تلال من الرمل المتموج العميق ويكثر به موت البهائم وتجد في عدة اماكن من الجزء الجنوبي الكثير الجبال مياها رديئة تجلب الحمى الدورية ومن كان بهذه الارض فهو عرضة للرياح العاصفة والفرطونات الشديدة ومع ذلك فالجبال المرتفعة هي في الغالب محلة لا يمكن أن يزرع بها الا المخاضات وكلما ارتفعت جهة الجبال وجدت النباتات البرية والاشجار الكبيرة والصغيرة تزيد نضارة وحسنا فشجرة السدر واشجار الحور البلسافي والكرز البري وشجر الافلوس الابيض والاحمر وعنب الثعلب الاحمر والحمان الابيض والاحمر والفاغية وجميع اصناف الورد البري كل ذلك يستر شطوط اوبا وتوت الارض المسمى بالتوت الافرنجي يوجد ايضا بهذه الجهة غليظا اصفر يعجب الذوق والبصر وشطوط نهر شولبا مزينة بازهار الزوفا والنعناع الماءي وحشيشة الدينار والقنب البري والدالية السوداء المشرقية تشتبك بها الاشجار على شكل شجر اللبلاب وثم عيون ماء صاف يجري تحت ظل الزهر المسمى زهر العسل التتاري واشجاره فخمة

قطر

وفي جبال التي تجد النباتات الخاصة بمزاج جبال ألبة مثل الجانطيان الربيعي ومثل الانوبروخيس بجبال ألبة ومثل الورد المسمى درياس الذي لكل زهرة منه خمس اوراق ومثل النبات المسمى بوليغالا سبير ومثل الهذب الظريف المسمى اسبيرا ألطايقا ومثل ذهب الفوو مثل الاشجار القديمة وجميع هذه الاشجار تمتد ازهاره الظريفة حتى الى شطوط الثلوج

نباتات

شلتجنبرغ

ومعدن شلتجنبرغ هو مع القرية المسماة بهذا الاسم اعظم موضع في تلك الدائرة ويسمى عند الروسية زميوسكايا غورا ومعناه جبل الثعابين وانما سمي بذلك لانه على جبل كثير الثعابين وقد اشتغلت امة الجودة في هذا المعدن زمانا طويلا قبل الروسية

دائرة بيسك

وحوالى برنول فى دائرة بيسك تجد الهواء اعتدالا والصيف اشد حرا من الاجزاء المتوغلة فى الجنوب الا انها اقرب للجبال وكل الاعشاب والخضراوات بل والحرشوف ينجح فيها ويصح ومدينة برنول هى مدينة معادن وبها الف بيت تقريبا وفيها مسابك شهيرة وحواليها افران للجير ومحال لضرب الطوب وورشة للجليد

دائرة كوتزنسك

ودائرة كوتزنسك مع مدينة تسمى بهذا الاسم تمتد حوالى منابع نهر تومسك بل والى نهر ينسية وبها عدة اراض خصبة جدا ومتنزهات

دائرة اباكنسك

ودائرة اباكنسك على الشرق من الدائرة المتقدمة وهى على اعلى نهر ينسية ومع انها كثيرة الجبال هى ايضا كثيرة المراعى الطيبة بل وبها مزارع خصبة كثيرة الغلال وبقرب مدينة اباكنسك تجد الحرز لينا بحيث يمكن أن يصح فيه البطيخ وهذا الخط كغالب ارض سيبر الجنوبية به كثير من الطومولوس القديمة وهى تلال معدة للدفن يسميها التتار قبور القشيان وما بها من زينة الذهب وغيره من المعادن يدل على أن الامة القديمة التى بنتها كانت بلادها عامرة بل يوجد على نهرى اباكان وجوايم تماثيل رجال كل تمثال نحو سبعة اقدام او ثمانية وعليها كتابة كثيرة بقلم قديم

مبانى الامم القديمة

واذا انحدرنا فى نهر ينسية قسما الى دائرة كراسنوارسك وارضها خصبة جدا بحيث لا يحرث منها الا سطحها فقط من غير أن توضع فيها شئ للتسميد ونحوه فيمكن أن تذر بعد الحصاد مدة خمس سنوات اوسبع بل واكثر من ذلك ولهذا كانت الغلال واموال المعاش بها هينة الاسعار جدا وهذا هو ما يحمل الناس على الميل الى لذات المآكل والتكاسل ويوجد بتلال الدفن التى بجبال كراسنوارسك كثير من الاسلحة وانواع الزينة والآنية التى كان يتخذها الاقدمون لصب دم القربان فيها وكذلك نقود الذهب والفضة والنحاس والحديد فهذه الاشياء آثار تدل على احوال الاقدمين ببلاد سيبر دلالة قوية وعلى انهم كانوا ماهرين فى الصنائع وثم صخرتان احداهما على شط نهر كوكسا والاخرى على شط بيريوس وبهما كتابة مجهولة وتسميهما تان الصخرتان يبسنوا كامن يعنى صخور الكتابة وثم صخر يشبههما على شط نهر توم تحت مدينة كوتزنسك منقوش فيه صور حيوانات

صخور كتابة

ولنتكلم على سيبر الشرقية الداخلة فى ولاية ايرخوتسك الواسعة المنقسمة اقاليمها الاربعة الى اقسام اخرى جغرافية وهذه الاقاليم الاربعة هى ايرخوتسك ونرچنسك وياقوتسك واوخوتسك فنقول

ولاية ايرخوتسك واقاليمها

مدينة ايرخوتسك

ان مدينة ايرخوتسك هى قاعدة جميع الولاية وهى ايضا قاعدة الاقليم الذى يسمى بهذا الاسم وهذه المدينة هى مقر الوالى والاسقف وهى واقعة على شطوط نهر انغرا فى سهل ظريف على ثلاث وستين ورستة من بحيرة بيكال وهى من اعظم مدن سيبر اتساعا وظرافة وهى محصنة واهلها ١١٢٠٠ واغلب اهلها تجار عظام واثاث بيوتها يأتى غالبا من بلاد الصين والنساء يلبسن القشة صينية وشرابهم المعتاد هو الشاى والامراض الخفيفة متحكمة هنالك كثيرا وقد انشأوا فى هذه المدينة مكتبا على منوال مكاتب يابونيا لتعليم الملاحة والامور البحرية وفى هذا المكتب خوجات من اهل يابونيا المتأصلين بها يعلمون بهذه الولاية لسان بلادهم وكذلك جماعة من دار الامارة البحرية الموسقوبية يعلمون ايضا فن الامور البحرية

تفاصيل طبيعية

وما حوالى ايرخوتسك ظريف وارضه خصبة وزراعته زاهرة وكلما قربت من بحيرة بيكال رأيت الارض جبالية على التدريج ووجدت حيوانات الصيد بكثرة مثل حيوان الايلان والايل والخنزير الوحشى وكثير من ديولة شجر الخلنج والدجاج البرى ودجاج الغابات والجمل ويكثر بهذه الارض الزلازل

دائرة كيرنسك

ودائرة كيرنسك على نهر لينا وارضها التى حواليها خصبة والزرع يخرج بها غليظا واسماكها التى تصطاد من الانهار القريبة منها عظيمة جدا وطعمها احسن جميع اسماك سيبر واهل هذا الاقليم يكثر عندهم السلع ويكون غالبها غير معهود عند غيرهم وهى قطعة لحم تبرز من البدن بل قد توجد هذه السلع فى بقر هذه البلاد

دائرة اسفل اودنسك

ودائرة اسفل اودنسك التى تمتد على غرب دائرة ايرخوتسك اغلبها مستور بغابات مظلمة سبخة لا تنبت الارض فيها الا الطحلب ونباتات البرك التى اغلبها يشبه نباتات بلاد الروسية وشمال اوروبا وقطرها بارد جدا

مدينة كاشتا

ومدينة كاشتا اوكاختا هى مدينة بنيت على حدود المغول فى دائرة اعلى اودنسك واشتهرت بالتجارة بين الروسية والصينيين وهى تحت جبل برغولتى المسمى جبل التسور والعقبان وهو مشرف على هذه المدينة بقدر بقى الصينيون هذا الجبل تحت حكومتهم فى آخر مشارطة لتحديد البلاد واحتجوا فى استحقاقهم لذلك بأن رأس هذا الجبل به مقابر سلفهم ثم ان مدينة كاشتا فاقدة للماء الطيب وليس حواليها الا رمال وصخور وارض لا تقبل زراعة الخضراوات الا قبولا هينا واصول اهلها هم تجار الروسية يعنى وكلاء من تجار مملكة الروسيا المقيمين بتلك النواحى واديابهم فى العيشة مناسبة مبنية على التأنس والاجتماع وهؤلاء التجار يعتقدون أن احسن ما يكرم به الغريب

اهل

هو أن يجبر على شرب الشاى على التوالى وأن يتعاطى من جميع انواعه واغلب اثمانهم وامتعة بيوتهم من بلاد الصين بل بعض ملابسهم من ملابس اهل الصين

مدينة سيلنجنسك اهلى

ومدينة سيلنجنسك هى مدينة اخرى من دائرة اعلى اورنسك قريبة من جبال رمل شاهقة برزلها شرع الآن فى تغطية حارتها على التدريج واهل هذه المدينة يتجرون قليلا ثم ان دمهم وسحنتهم يدلان على انهم اختلطوا قديما بالمغول اختلاطا قويا وتوالدوا واهالى الروسية المستوطنون بهذه البلاد يوثرن فى الزواج بنات البوريانة اى المغولية على غيرهن وهذا الزواج المركب من جنسين مختلفين يتولد منه جنس يسمى مولدا و يقال له فى لغتهم كاريمكى ثم ان آداب رعاع الناس اغلبها من آداب البوريانة اى المغولية بل اهالى المدينة يوثرون لسان المغول على لسانهم الاصلى وقطر سيلنجنسك معتدل ينزل عنه الثلج فى آخر شهر مارث ولا يبقى له اثر فى اعالى الجبال المقابلة للجنوب والمواشى تشرع فى المرعى بعد العشرين من هذا الشهر ولا نظير لهذا القطر فى كثرة مجامع اشجار الكمثرى الوحشية وعنب الثعلب والدردار القصير واما جباله فهى مشحونة باشجار الروبيز القصير وهو نوع من الحضراوات

تنبيهات طبيعية

وفى هذا الاقليم ايضا اختلاف عظيم من جهة الارض والقطر ففى بعض الاماكن اودية ضيقة مظلمة باردة وفى بعضها الآخر سهول رملية حارة وعلى البعد من ذلك اعماق مالحة وفى مدينة سيلنجنسك يسمح التبطيخ و ينجح وعلى شطوط اودا لا تنضج الحبوب الا نادرا وبالجملة فهذه الارض صالحة لان تصير ارض زراعة ولو مع قليل من التعهد والخدمة

اقليم نرجنسك وهو الدورية الروسية تفاصيل طبيعية

واقليم نرجنسك الذى يشتمل على دورية الروسية مستور بالجبال واما السهول التى فيه فليست فى الحقيقة الا اودية عظيمة بين الجبال وما فيه من الجبال لا يشاهد به الا صخرات وعرة يترآى انها معلقة فى الهواء ولهذا لا تجد الا مناظر ولا منتزهات غريبة والهواء الذى يستنشق به فيها يمكن مقابلته بهواء جبال ألبه والبرد فيه شديد ولو فى زمن الحر وما به من الشجر المتواتر المجتمع على هيئة غابات صغيرة هو عبارة عن شجر الصنوبر واللاريس والتنوب الابيض والاسود وارز سبير والبتولا السوداء وهى لا توجد فى غير هذا المحل من محال سبير ورؤس تلك الجبال التى تستتر عليها الثلوج بها دغلات من صنوبر ليبان وبها ايضا البتولا الصغيرة وغير ذلك من اصناف اخرى خاصة بتلك الجهة كحب العرعر والصفصاف واول شجر البندق والبلوط لا يظهر الا فيما وراء ارغون على ارض صينية وكثرة النباتات والمعادن النادرة بهذا الاقليم تفوق نباتات بلاد سبير ومعادنها والنباتات زاهية زاهرة فى هذا القطر الجبلى ففيه جبال كاملة بقرب شطوط نهر اونون الذى سطحه ملوّن من جهة بلون اللعل الناشئ من ازرار المشمش البرّى واما المنحدر الآخر فهو مفروش بفراش ارجوانى نظيف من شجر الدفلا الذى بسترة

مدينة نرجنسك المنفيون

ومدينة نرجنسك هى حد من حدود البلاد ولها قلعة من ناحية الصين وهى بعد قيمتقا اردأ محل فى بلاد الروسية ينفون اليه ارباب الذنوب ثم ان المنفيين المبعوثين الى نرجنسك يشتغلون بالمعادن وعددهم عادة نحو الف نفس الى الف وثمانمائة وندر أن بلغ عددهم الفين ولما اختلط جميع المنفيين بها وصاروا طائفة مخصوصة لبسوا كلبس العسكر وصاروا يأكلون كأكلهم ولا يكلفون الاشغال وقل أن يهرب انسان من تلك الجهة لصعوبة ذلك فان الصينيين يعاقبون كل من هرب ووجدوه بأشد العقوبات واقطعها حيث انه لوث ارضهم ودنسها

اقليم ياقوتسك

واقليم ياقوتسك يحتوى على اعظم جزء من بركة نهر لينا وبعض حواشى جنوبية على الغرب من لينا ذات قطر غير شديد بالكلية بل تطيقه النفوس ولكن من هذا النهر الى رأس چلاچنسكوا تجد الاراضى مضرسة بالجبال ومملوءة بالبرك وشديدة البرد وينضج فيها الشعير فى ستة اسابيع الى سبعة ولكن حصدها غير متيقن وانما الصيد وحده يكفى فى المعايش بهذه الجهة وفى مدة سلطنة الشتاء تجد الجليد كالسلاح لمنع البرد و بيان ذلك أن الواح الشبابيك تتخذ عادة من صفحات من المنقا الشفافة المسماة بالزجاج الموسقوبى وبصطنع ايضا مانع آخر من الواح الجليد اصفى من ذلك بأن يعجنوه بماء يسير بجمد حالا وشدة حرارة الصيف تحمل التنغوزة على أن يمشوا عريانا مثل اهالى امريقة فلا تجد عليهم الا قطعة جلد حول اصلابهم ومنهم من يغتذى ببصل السوسن الاصفر الكثير بهذه الاراضى فيخمنونه دقيقا ثم خبزا وعلى نغم الاغانى المفرحة والرقص الظريف يصطادون فى الانهر التى لم يحل جليدها الا يسيرا

استعمال الغريب للجليد الترنغوزة

ومدينة ياقوتسك واقعة على غرب نهر لينا وهى قاعدة الاقليم وبها نحو مائة بيت رديئة البناء يتجر اهلها فى فراء السمور وحوالى اولكمنسك التى هى بندر دائرة تسمى بهذا الاسم يزرعون بعض مزارع شعير ودائرتا اولنسك التى على نهر اولنيق وسهيغنسك التى على نهر لينا كلاهما صحراء يسيح فيهما فرق رحالة نزالة من الياقوتية

مدن وغيرها

والتنغوزة ومدينة اولنسك هي ابعد مكان جهة الشمال من الارض يسمى باسم مدينة وليس وراءه مدن وفي كومالسور كا يخرج نهر لينا من جبال ويكون في ذلك المحل حسن المنظر عظيم الاوصاف ودائرة ساشيورسك يذكنها امة اليوغاجيرة والجزية في تلك الاقاليم يجمعها القوزاق الذين لهم بعض شرف في تلك الجهات وهم يسكنون في ياقوتسك وجامكية كل واحد منهم في السنة ثماني روبلات وهم الامراء في تلك المدينة وربما كانوا ظالمين يخشى منهم في تلك الجهات الشمالية

جزائر البحر المنجمد

وأمام هذا الجزء من ساحل سيبر يظهر أن البحر المنجمد مملوء بالجزائر فالجزائر التي أمام مصبي نهر لينا ونهر يانا هي كالساحل المجاور لهما وهي عبارة عن معاطن حشيش محترق بالارض موضوع على قاعدة من الجليد المستقر ومن هذه المعاطن ما هو مشتمل على بحيرات غير كاملة الانجماد ثم ان هذه الجزائر المنعزلة مسكونة بحيوانات الدب والرنة

جزائر ليخوف

وثم جزائر اهم من ذلك استكشفها بعضهم في شمال رأس سويتوا وقدر آها بعضهم في سنة ١٧١١ وسنة ١٧٢٤ من الميلاد ثم تنوسيت فاستكشفها التاجر ليخوف سنة ١٧٧٤ فجاب منها قولاجزيرتين مسطوحتين ابعدهما جنوبا فيه بحيرة حمر اليها رمال وايا س رخوة فاذا بحث الانسان وجد بها متراكم العظام وهيا كل اجسام جاموس وكركند وفيل وفيها ايضا نعاج بيض جديدا كالذي يجلب من افريقة وعلى مائة ورستة من جزيرة الثانية وجد ليخوف جزيرة فتكفل الخواجة شواتوف الخبير بمعرفة الاراضي أن يبحث عنها في السنة الثانية من اطلاع الخواجة ليخوف وقد شاهدها ايضا الخواجة هيدنسطروم وهذه الارض هي ما تسمى سيبر الجديدة

سيبر الجديدة

وبها ساحل تستحجر به الاشجار وتوجد مستحجرة طبقات عظيمة منتظمة في الرمال والطين وفيه عظام الفيلة بكثرة وبها ايضا نهر عظيم يدل على انها ارض ذات اتساع وفيها بعض نباتات وبالجملة فقد ظن بعضهم انه لمحيها آثار آدميين ولا مانع من أن تكون سيبر الجديدة المذكورة طرفا شماليا لامريقة

اقليم اوختسك

والاجزاء الابعد شرقا من سيبر داخلة في اقليم اوختسك وهي ارض جبالية مستورة بالغابات السنجة ولا ينبت فيها شيء من انواع النباتات النافعة للمعيشة بل اهلها مضطرون لجلب لوازم معايشهم من ياقوتسك وتفاح الارض وهو البطاطس تنقص جودته في تلك الجهة ومدينة اوختسك هي مينا للبحر يرتحل منها الروسية للذهاب الى قمجتقا وامريقة وفيها تعمر سفن للتجارة

بلاد الجوكية

وبلاد الجوكية التي في طرف آسيا جهة الشمال الشرقي يغتذى بارضها في وسط صخورها اقاطيع من حيوانات الرنة لا يمكن حصرها واغلب اهلها يقيم في حفرات الصخور وينون ايضا خصوصا من عظام الحيتان العظيمة وبجزائر الاورس اى الدببة التي تحاذي الساحل الشمالي من ارض الجوكية ذات نباتات اكثر من نباتات جزائر ليخوف وفي بوغاز بهرنغ جزيرتان تسمى احداهما ايموغلين والاخرى الجيليم والظاهر انهما عين جزائر كارلك التي تكلم عليها الانكليز وهما معمورتان بطوائف يقال لها اشوتلاش وهم صيادون ارباب شجاعة ينخجون اطعمتهم على حفرات في الصخور مملوءة بدهن السمك ويحرقون فيه فتائل من القصب الفارسي

بحيثجزيرة قمجتقا

واما بحيثجزيرة قمجتقا التي هي جزيرة عظيمة متصلة بالارض فهي دائرة اقليم اوختسك ولما كانت هذه الارض مقطوعة في جميع طولها بسلسلة جبال كانت مسقية من ساحلها بكثير من الانهر ولكن اكثر هذه الانهر غير عظيم

قطر

ولا قابل للسفر فيه واعظمها ثلاثة احدها نهر قمجتقا والثاني نهر اوتشا والثالث نهر بولشايا ريكا وشتاء هذا الاقليم عشرة اشهر ومبدؤه الجليد في اوّل شهر يولية فيمكث فيه الى شهر مايه لكن يشتد البرد فيه حتى يصل الى اعلى درجة في التكاثف وضباب البحر يجعل حرّه رطبا ولما كانت رياح هذه الارض غير ثابتة بل عرضة للتغير والتبديل كانت حرارة القطر كذلك فطالما ينتقل من الحرّ للبرد في لحظة وثم عدة انهر لا تنعقد مياهها اصلا اما لسرعة جريانها ولكون مياهها ذات طبيعة خاصة والزراعة لم تنجح في هذه البحيثجزيرة بل ولا في قسمها الجنوبي واذا زرع الشعير والهرطمان في الاراضي المنتخبة تضاعفت الحبة مرتين او ثلاثة لان الرطوبة تمنع السيل من النضج ولكن اذا بعدت الزراعة عن البحر فالظاهر أنها تنجح زيادة عن ذلك ولهذا كانت الحبوب بها كثيرة الثمن فانها تنقل اليها الى حد ايرخوتسك ولو اهتموا بتربية المواشي لصارت مهمة عظيمة فان المراعي بها جيدة اذ الاعشاب بها تكون كالامواج كما في صحاري اقليم لوبزيانة المسمى ساوانة

مرتبة الحيوانات

فتجد بهذه الارض اقاطيع البط والسمور والارانب والقاقوم والدببة والزنات وسواحلها دائما محفوفة بكثير من الاسماك بسائر انواعها التي منها حيتان يونس ودب البحر وكلب الماء وغيرها وكذلك انهارها تشتمل على غالب انواع الاسماك النهرية من غير أن يتعرض لصيدها احد فلا تؤكل الا في زمن القحط ولا يصطاد من السمك الا سمك الصومون الذي لحمه

عظيم وهو يخرج من البحر ليصعد الى الانهر وهو موجود بكثرة بحيث انه قد يقطع مجرى الانهر بل ذكر السياح استيلير أن الكلاب والدببة تأكل من هذه الاسماك على قدر الامكان وكذلك سمك الفسيخ هو ايضا كثير جدا بحيث يمكن أن يصطاده الانسان بالفأس وكذلك اصناف الطيور غريبة ايضا كما أن عددها امره عجيب وذلك لان طيور البحر لا يمكن احصاؤها واما طيور البر فمنها المعلوم وسبعة اصناف الاوز واحد عشر من البط البرى ويوكل فى هذه البلاد النسور والعقبان والشجار اللاريس والحور الابيض تستعمل لعمارة البيوت والسفن ويكثر بها شجر البتولا ويستعمل فى الجزر والقشر الاخضر من هذه الاشجار يقطع قطعا صغيرة دقيقة ويوكل مع الجبارى وهو نوع من البطارخ ومن عصير طلع هذا الشجر يعتصر شراب مقبول وقل أن يحرقوا الاحطب الصفصاف او الحورة الرومية حتى ان اهل البلاد ربما اكلوا ايضا قشر شجر الصفصاف واما قشر الحورة فيصبغون به الجلود وعرق زنبق السارانة يستعمل فى الغالب مسدة الخبز وشجر الانجرة المسمى ايضا القريص يقوم مقام الكتان والتيل وبها ايضا كثير من النباتات الطبية بل وينتفع ايضا بالنباتات البحرية ومن هذه النباتات البحرية الفوقوس وهو يكثر بجوار البحر وثم اصناف من النباتات البحرية وهى الدواقيس المسمى ايضا بالماطوس والاسقولوبانديوس والسقنارنوس وهذه الاصناف انما تؤكل كالكرنب والنبات الاخير منها يخرج من الماء ويكون مغطى بأحجار مسورة شبيهة بالسكر ولكنها مركبة من مجرد ملح بحرى مشوب بمادة لزجة من النبات

نباتات

اعشاب بحرية

ومدينة نشنى نجاجسك هى بندر على نهر قجتقا وقرية بلشرتركوا وقرية بطروبولوسك على جون اوتسا وهما فى الحقيقة من الضياع والكفور

اماكن

وجزائر الالوتية هى من امريقة كما هو واضح فلا تمكن البرهنة على انها من آسيا ولكن جزيرة بهرنغ والجزيرة المسماة جزيرة النحاس يلزم أن نخطط هما فى تخطيط قجتقا لانه يظهر أن هاتين الجزيرتين ممتدتان جهة الشرق فنقول ان جزيرة بهرنغ الاقرب الى قجتقا انما سميت بذلك باسم بحرى دانيمرقى مات على شطها وهى غير عامرة وارنهما صوانية والشتاء بها على سواحل البحر غير شديد فلا يشاهد فيها جليد يمكث بها ولكن رؤس داخل هذه الجزيرة التى جعل الحكيم استيلير ارتفاعها الف قامة معمورة بالثلوج المستمرة وليس بهذه الجزيرة اشجار بل يكتنفها احجار مرصوصة واما مدنواسطروا يعنى جزيرة النحاس فانما سميت باسم النحاس التولدى الذى يوجد على الشط فى غرب الجزيرة وليس البحر هو الذى يحمل قطع النحاس وانما توجد فى الحصى الذى تتكون منه الجروف موضوعة كالكلاء فى صنف من العروق وفى سنة ١٧٦٢ من الميلاد استخرج البحرى ميلنسكى نحو ار بعمائة رطل من النحاس وقد فرغ الآن عرق المعدن وكلتا هاتين الجزيرتين معمورة بما لا يحصى من الثعالب القطبية واما كلاب الماء وبقر البحر وحيتان يونس فانها تجتمع فيها قاطيع اقاطيع

جزيرة النحاس

وبلاد سبير التى فرغنا من تخطيطها العام والخاص هى ايضا ميدان للمقاصد البولتيقية ومجال للنيات السياسية ومحال لمعاملات التجار وافكار الفلاسفة يعنى أن كلا من ارباب هذه الحرف يلاحظها بما تقبله من فنه فملكة الروسية تنتفع انتفاعا كاملا من استيلائها على سبير التى هى ثلث آسيا وذلك أن اقاليمها التى فى اوروبا تحميها من الاغارة من هذه الجهة ويكون لها ربح عظيم من الملايين العديدة الناشئة من المكسب الصرف الوارد لها من المعادن ومن التجارات مع الصين ومن امريقة فهذه هى الثمرة التى اكتسبتها الدولة الموسقوبية من فتوح بعض القوزاق المسمى يرمكتيموفيو وتجارة سبير رابحة بالنسبة لتجار روسية الموسقو لاسيما هى مختصة بهم بحيث لا يزاحمهم فيها غيرهم من الأجانب وذلك لان الانهر العظيمة بهذه البلاد وهى اوبى ويسية ولينا والانهر الصغيرة التى تصب فيها كلها تتقارب او تتباعد بالمناسبة بحيث يمكن أن تحمل البضائع كلها على السفن من كياشتا الى داخل روسية اوروبا وهذه الطريق تستدعى ثلاث سنوات اى ثلاثة فصول من فصول الصيف القصير المدة واما الطريق برا فانها تستدعى سنة كاملة لان قافلة سنة ١٧٩٠ من الميلاد بلغ مصرف نقل البضائع من كياشتا الى بترسبورغ من طريق البرتسك روبلات فى كل پود وبلغ من طريق البحر اربع روبلات لا غير

تجارة سبير

ومدينة توبلسك هى مستودع البضائع الاصلى ومركز جميع ما يصل من اوروبا ومن سبير ومن الصين التى جل بضائعها يحمل الى بلاد الروسية شتاء بواسطة المجل وقوافل القلوق التى تصل الى توبلسك مدة الشتاء تجلب منها فى مقابلة بعض امور المعاش الذهب والفضة وتأخذ منها عدة بضائع من انواع النحاس والحديد المختلفة والبخاريون الذين يأتون اليها فى الشتاء يجلبون اليها جلود الاكباش المجعدة وقشة قطن بخارى وقشة حرير الهندور بما جلبوا اليها ايضا احجارا نفيسة ومدينة توبلسك هى ايضا مستودع الفرا النفيسة المعدة للملك

واما غيرها من المدائن التي لها اهتمام بتجارة الفرا فهي مدينة توسك وهي شهيرة ايضا لاسيما بالبيع للقلموق والمغول ومدن كرسنوارسك وينيسك وتوروخنسك وكذلك ياقوتسك في شرق سبير والثلاثة الاخيرة شهيرة بالشراء

ومدينة ايرخوتسك تستحق أن تؤثر على غيرها من جميع مدن سبير بالنظر لحركة تجارتها واتساع دائرة بضائعها وذلك لان حسن موقعها يفتح لها ثلاث طرق للتجارة وهي طريق كاشتا وطريق سبير الشرقية ومجتقا وطريق سبير الغربية والروسية والتجارة فيما عدا تلك المدن تجارة استيداع اى مخزن واما التجارة فيها فهي اخذ وعطاء نافق والمبادلة مع الصين اغلبها في ايدى تجار ايرخوتسك الذين اغلبهم لهم حوانيت ووكلاء في كاشتا واسفار البحر الى جزائر البحر المحيط الشرقي والى سواحل امريقة تصدر غالبا عن تجار يشتركون في ذلك من ايرخوتسك الى تلك السواحل وهذه التجارة الروسية الامريقية تجعل فيما سيأتي دولة الموسقو ذات مخالطة ومعاشرة مع ولاية كندا الانكليزية ومع اهل الاقالمة المجتمعة والتجارة الآن لازمة للروسية التي لا يمكنها بدون امريقة أن تكفي سوق كاشتا من بضاعة الفرا التي تشترى من هذا السوق الشاى والنتكين والحرير وهذه البضائع عبارت من الامور التي لا يستغنى عنها عند اهل سبير وذلك لان جميع النساء من نساء الاكابر الى نساء القوزق يتعاطين شراب الشاى و يلبسن من نسج الصين وتجار الصين دائما يبحثون عن القاقوم وغيره من الفرا والاقمشة والمرأى وغير ذلك من آثار الصنائع الافرنجية وهذه التجارة اكثرها بالمقايضة والمبادلة و بعضها بالمعاملة بثمن معدل حساب التجارة على الموسقوبية كانت خسارته اربع ملايين في هذه السنين الاخيرة وهذه الخسارة كانت ظاهرة معروفة لانه كان الاحسن أن يشترى الشاى والنتكين من اول تاجر و يجعل ربح مصرف التجارة لعربجية سبير وملاحيهم فان هذا خير من اخذ هذه البضائع من عند الامم ارباب الاسفار البحرية من اوروبا وجلبها منهم وايضا يمكن للروسية أن تستخرج لنفسها جزأ عظيما من تجارة البضائع المستبدلة التي تحتاج اليها في اقامة النساوى والتكافؤ

ميزانية التجارة

هذا جدول يتضمن بيان اقاليم سبير واهاليها

اقسام	مزارع وتولدات ذات اهمية	اصناف الاهالي	المدن وسكانها
١ سبير الغربية (ولاية برمة)			
اقليم ايكاتيرنبورغ			
١ دائرة ايكاتيرنبورغ	معادن وغابات وبعض حبوب	روسية وألمانية وبرميالك	ايكاتيرنبورغ وعدد اهلها ٦٠٠٠
٢ دلماتوف	غابات ومزارع ومروج	كذلك	كنسكوا استروغ واهلها ١٨٠٠
٣ شدرنسك	مزارع	كذلك	ايرتسكوا استروغ واهلها ٢٦٠٠
٤ كامشلوا	كذلك	كذلك	كامشلوا واهلها ١١٠٠
٥ أليبويسك	معادن ومروج	كذلك	نيشني نيويانسك واهلها من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠
٦ ايربيت	مزارع ومروج وبساتين	روسية وبرميالك	ايربيت واهلها ٢٤٠٠ (سوق)
٧ ورشوتوريا	مزارع هينة وغابات ومعادن	روسية وووغول	ورشوتوريا واهلها ٣٠٠٠
(ولاية اورنبورغ) دائرة تروايتزك	مروج وغابات	روسية والبشكير	تروايتزك واهلها ١٥٠٠
(ولاية توبولسك) (اقليم واحد)			
١ دائرة اومسك	شعير ودخن وجاودار ونحو ذلك وقنب	برابنتيزية وروسية	اومسكا واهلها ٢٠٠٠
٢ ايسيم	مروج وقمح وبحيرات مالحة	روسية وقوزاق وتتار	ايسيم واهلها ١٠٠٠
٣ كورغان	مروج وقمح وغابات وثمار	روسية وقوزاق	كورغان واهلها من ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠
٤ تارا	شعير وجاودار وحنطة سوداء على الغرب من نهر ايرتيش ومروج على الشرق	روسية على الغرب من ايرتيش وتتار وكذلك روسية وتتار وبرابنتيزية على الغرب	تارا واهلها ٢١٤٠
٥ بالوتوزوبسك	جاودار وشعير وجميع انواع الحبوب ومروج	روسية	بالوتوروبسك واهلها ٢٠٧٠
٦ تيومين	جاودار (غير محقق) وشعير وهرطمان ونحو ذلك وقليل من الخضروات وليس بها ثمار اصلا	روسية وتتار	تيومين اوابنخا واهلها من ٧٠٠٠ الى ٨٠٠٠

اقسام	مزارع وتولدات ذات اهمية	اصناف الاهالى	المدن وسكانها
٧ تورنسك	جاودار وشعير وهرطمان فى السهل والجهة الجنوبية	روسية وتتار و ووغول	تورنسك واهلها ٤٠٠٠
٨ تبولسك	جاودار وشعير وهرطمان فى الطرف الجنوبى	روسية وتتار	تبولسك واهلها ٦٠ ؛ ١٢ (١٧٠٠٠)
٩ سورغونت	لايزرع بها شئ من الحبوب وليس بها مواش اوربية	اوستياك اوبى وروسية	سورغونت واهلها ١٥٠٠
١٠ بيريزوف	ليس بها مراس وانما يوجد فيها حيوانات الرنة والدب والسمور وغير ذلك	اوستياك وسمويد وروسية و ووغول	بيريزوف واهلها ١٥٠٠
(ولاية تومسك)			
اولا * اقليم تومسك			
١ دائرة توروخنسك	لاتزرع بها الحنطة ولا يوجد بها مروج وفيها حيوان الرنة وكلاب سبير وغير ذلك	اوستياك نسبية وتنغوزة وسمويد وروسية وقوزاق وايوخاجين	توروخنسك واهلها ١٠٠٠
٢ يانسيسك	يكاد أن لايكون بها من ارع	تنغوزة وروسية	يانسيسك واهلها ٦٠٠٠
٣ ناريم	يكاد أن لايكون بها حبوب وبها يسير من المواشى	اوستياك ناريم اواوستياك سمويد وروسية	ناريم واهلها ١٥٨٠
٤ چولیم	جاودار وشعير (غير محققين)	روسية وتتار	چولیم اوآچنسك واهلها من ٥٠٠٠ الى ٦٠٠٠
٥ تومسك	جاودار وشعير وهرطمان وغير ذلك	روسية وتتار واوستياك	تومسك واهلها ١١٠٠٠
٦ كاينسك	مروج ويصاد بها السمك وتزرع بها الحبوب	سمويد وكاتجنز برابنتزية وروسيه	كنسك واهلها ٣٠٠٠
ثانيا * اقليم كولیوان			
٧ كراسنوارسك	مروج وجاودار وحنطة وشعير وغير ذلك	روسية وتليوونت	كراسنوارسك واهلها ٣٥٠٠
٨ اباكنسك	مروج وزراعة الحنطة بها قليلة	روسية وتليوونت وسغانية وكيراغاسية وسويوت وكويبال وبريوسية وغيرهم	اباكنسك واهلها ثامن ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠

اقسام	مزارع وتولدات ذات اهمية	اصناف الاهالي	المدن وسكانها
٩ كوتنسك	مروج وحنطة ومعادن	روسية وتتار وبنزية وغيرهم	كوتنسك واهلها ٣٠٠٠
١٠ كوليوان	حبوب متنوعة ومعادن	روسية وغيرهم من الامم السابقة	كوليوان واهلها من ٣٠٠٠ الى ٣٤٠٠
١١ ابيسك	معادن في الجهة الجنوبية وحبوب ومروج	روسية وتتار	برنول واهلها ٦٠٠٠
١٢ سميالاتنوا	معادن ومروج وبحيرات مالحة ويصادبها السمك	روسية وبرابنتيزية	اسميوغورسك اوشيلنجيرغ واهلها من ١٥ الى ١٦٠٠
ب سبير الشرقية (ولاية خوتسك)			
اولا * اقليم ايرخوتسك			
١ دائرة ايرخوتسك	جاوداروحنطة وهرطمان (ترسل الى البلاد الاجنبية)	روسية وبوريتية وتنغوزة	ايرخوتسك واهلها ١١٢٥٠
٢ اودنسك العليا	جاوداروحنطة وهرطمان ودخن وحنطة سوداء وقنب (في الوديان)	روسية ومغول وبوريتية وكارنسكي اوميتس	سيلنجنسك واهلها ٢٦٠٠
٣ اودنسك السفلى	جاوداروحنطة وهرطمان	روسية وبوريتية وسويوت	بيشني * اودنسك (اودنسك السفلى) واهلها ١٥٠٠
٤ كيرانسك	جاوداروحنطة الصيف وشعيروارضها طيبة التربة متغوة القطر	روسية وتنغوزة	كيرانسك واهلها من ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠
ثانيا * اقليم نرچنسك			
٥ دائرة نرچنسك	ارضها جبلية ويزرع بها اقليل من الجاوداروحنطة الصيف والشعير ويخرج بها القنب	روسية وبوريتية وتنغوزة	نرچنسك واهلها ٢٠٠٠
٦ دورونسك	ارضها جبلية ومزارعها الوديان	روسية ومغول وغيرهما	دورونسك واهلها من ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠
٧ برغوزنسك	قليلة الزراعة وبها غابات وبحيرات مالحة ومرة	روسية وبوريتية شورنسك (شورنسكي باتزكي)	برغوزين واهلها من ٢٠٠ الى ٤٠٠
٨ سترتنسك	معادن وبها صيد البر والبحر	بوريتية وروسية	نرچنسكوا ساوود واهلها من ٩ الى ١٠٠٠
ثالثا * اقليم ياقوتسك			

اقسام	مزارع وتولدات ذات اهمية	اصناف الاهالى	المدن وسكانها
٩ دائرة ياقوتسك	بها صيد البر والبحر وقد اختبرت فيها زراعة الشعير	روسية وياقوتة	ياقوتسك واهلها ٤٠٠٠
١٠ اولكمنسك	يزرع بها الشعير قليلا وبها حيوان الرنة ويخرج بها الميكا الشفافة	ياقوتة وروسية	اولكمنسك واهلها ٣٠٠
١١ اولينسك	يوجد بها حيوان الرنة وصيد البر والبحر	ياقوتة وقوزاق	اولينسك واهلها من ١٠٠ الى ١٥٠
١٢ شيغانسك	بها صيد البر والبحر والعاج المعدنى وغير ذلك	يوكاجيرة وقوزاق	شيغانسك واهلها كالتى قبلها
١٣ ساشيورسك رابعا * اقليم اوخوتسك	بها صيد البر والبحر	كذلك	ساشيورسك واهلها كذلك
١٤ دائرة اوخوتسك	ليس بها زراعة اصلا ولا ينجح فيها تفاح الارض	تنغوزة وروسية	اوخوتسك
١٥ ايشيجنسك	بها حيوان الرنة وغيره ويخرج بها نعناع الماء وتفاح الارض القصير الساق	كورياك وقوزاق	ايشيجنسك واهلها ٥٠٠ (سوق للاهم الرحالة النزالة)
١٦ أكلانسك	بها حيوان الرنة والدب ويصاد بها السمك	جوكجة وكورياك وقوزاق	اكلانسك واهلها من ١٠٠ الى ٢٠٠
١٧ نيشنى قمجتقا	ليس بها زراعة اصلا وبها مروج ومن الحيوانات الدب والرنة والكلاب	قوزاق وروسية وقمجتقا	بترو بولوفسك واهلها من ١٢٠ الى ١٥٠

وهذا جدول لبيان المسافات التى بين بعض مدن سبير (بقياس الورستة) وبموجب التقويم المعتمد الذى اقرته الحكومة

بتربورغ								
٣١١٥	تبولسك							
٥٨٢٣	٢٧٠٨	ايرخوتسك						
٤٥٤٤	١٤٢٩	١٢٧٩	توملسك					
٠٠٠٠	٠٠٠٠	٢٤٨٦	٠٠٠٠	ياقوتسك				
٠٠٠٠	٠٨٧٩	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠	بيريزوف			
٠٠٠٠	٢٩٧٢	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠	(١٠٧٥)	تورخنسك		
٠٠٠٠	٠٠٠٠	٣٤٨٦	٠٠٠٠	١٠٠٠	(٢٣٦٥)	(١٢٩٠)	اولنسك	
٩٢٥٩	٦١٤٤	٣٤٣٦	٤٧١٥	٠٩٥٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	اوخوتسك
١٦٩٩	٨٥٨٤	٥٨٧٦	٦١٠٥	٣٣٩٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	نيشنى قمجاتسك ٢٤٤٠

وهذا

وهذا جدول الاوضاع الجغرافية لبلاد سبير على حسب الارصاد الفلكية

اسماء الاماكن	اطوال			عروض			اسماء المنقول عنهم
	درجات	دقائق	ثوان	درجات	دقائق	ثوان	
اباكنسكوا اوستروغ				٥٤	٠٠٠٧		ميسر شميد فى اجزء السادس عشر من كتابه المسمى الجرانيل الجغرافية
ارغون * نهر ارغون							
(منبعه بحيرة ولاى)				٤٩	٠٠١٧		كذلك
اواتسا	١٥٦	٢٦	٠٣٠	٥٢	٠٠٥١	٠٠٤٥	كتاب معرفة الازمان
برنول	٠٨١	٦	٠٤٥	٥٣	٠٠٢٠		تقويم بتربورغ الذى طبعته اكدمية العلوم
بيريزوف				٦٣	٠٠٥٦	٠٠١٤	كذلك
بولشيرزكوا اوستروغ	١٥٤	٣٠		٥١	٠٠٥٤	٠٠٣٠	كتاب معرفة الازمان
راس تجتقا	١٥٩	٤٠		٥٥	٠٠٥٥		كتاب لابيروز
راس اولوترسكوى	١٦٦	٥٥		٥٩	٠٠٤٨		كذلك
راس چوكوتجوا الشمالى	١٨٧	٥٦		٦٦	٠٠٠٥	٠٠٣٠	تقويم بتربورغ
راس چوكوتجوا الجنوبى	١٨٤	٩		٦٤	٠٠١٤	٠٠٣٠	كذلك
راس سنت نادة	١٧٦	٤٥		٦٢	٠٠٥٠		كتاب معرفة الازمان
ايكاتيرنبورغ	٥٨	٢٠	٥٦	٥٦	٠٠٥٠	٠٠٣٨	جدول الارصاد الملحق بجارنة الروسيا وهوائتنا عشرة ورقة
كذلك	٥٨	٣٠		٥٦	٠٠٥٠	٠٠١٥	كتاب معرفة الازمان
ياقوتسك	١٢٧	٢٢	١٥	٦٢	٠٠٠١	٠٠٥٠	كذلك
كذلك	١٢٧	٢٣	٤٥	(كذلك)			تقويم بتربورغ
يانسيسك	٨٩	٣٨	٣٠	٥٨	٠٠٢٧	٠٠١٧	كذلك
ايرخوتسك	١٠١	٥١	١٨	٥٢	٠٠١٦	٠٠٤١	كذلك
كذلك	١٠٢	١٣	٣٠	٥٢	٠٠١٨	٠٠١٥	كتاب معرفة الازمان
كاشتا				٥٠	٠٠٢٠		تقويم بتربورغ
كيرنسكوا اوستروغ	١٠٥	٤٢	٤٥	٥٧	٠٠٤٧		كتاب معرفة الازمان
كولبوانسك				٥١	٠٠١٩	٠٠٢٣	تقويم بتربورغ
كويما (السفلى)	١٦٠	٥٨		٦٨	٠٠١٨		كتاب معرفة الازمان
كيانسك ارسك	١٠٠	٣٧	٣١	٥٦	٠٠٠١		تقويم بتربورغ
كذلك				٥٦	٠٠٠٩	٠٠٣٠	ميسر شميد فى كتاب الجرائيل الجغرافية
ناريم				٥٨	٠٠٥٤		تقويم بتربورغ
نرچنسك				٥١	٠٠٥٦		كذلك

اسماء الاماكن	اطوال		عروض			اسماء المنقول عنهم
	درجات	دقائق	ثوان	درجات	دقائق	ثوان	
كذلك				٥١	٥٧		ميسر شميد فى كتاب الجرانيل الجغرافية
اوموتسك	١٤٠	٥٢	٣٠	٥٩	٢٠	١٠	تقويم بتربورغ
كذلك	١٤٠	٥٣	٣٠	(كذلك)			كتاب معرفة الازمان
اولكمنسك	١١٧	١٤	٣٠	٦٠	٢٢		تقويم بتربورغ
اومسكا (حصن اومسكا)				٥٤	٥٨	٥	كذلك
بتروپولوفسكا (المينا)	١٧٦	٢٧	٤٥	٥٣	١	٢٠	كذلك
كذلك	١٧٦	٢٨	٤٥	٥٣		١٥	كتاب معرفة الازمان
سيانسكوا اوستروغ				٥٣	١٠		ميسر شميد فى كتابه
							الجرانيل الجغرافية
سيلنجنسك	١٠٤	١٨	٣٠	٥١	٦	٦	تقويم بتربورغ
كذلك	١٠٤	١٢	١٥	(كذلك)			كتاب الجرانيل الجغرافية
							فى الجزء السادس عشر
مميبالانسك				٥٠	٢٩	٤٥	تقويم بتربورغ
سمينوغارسكا (حصن سمينوغارسكا) اوشلنجنبرغ	٧٩	٤٩	٣٠	٥١	٩	٢٥	خارتة الروسيا
سورغوت				٦١	١٦		تقويم بتربورغ
تبولسك	٦٦	٥		٥٨	١٢	٣٠	كتاب معرفة الازمان
كذلك	٦٥	٤٥	٤٣	٥٨	١١	٤٣	تقويم بتربورغ
كذلك	٦٥	٤٥	٤٤	٥٨	١١	٤٨	خارتة الروسيا
تومسك	٨٢	٣٩	٣٠	٥٦	٣٠		كتاب معرفة الازمان
كذلك	٨٢	٤٩	٣٦	٥٦	٢٩	٣٩	تقويم بتربورغ
اودنسك (السفلى اونشنيي)	٩٦	٤١	٣٠١	٥٤	٥٥	٢٢	كذلك
لودسكوا أوستروغ				٥٥	١٨		كذلك
ورشتوريا				٥٨	٥٠	١٥	كذلك

وهذا

وهذا جدول يتضمن بيان الزراعة فى بعض اقاليم سبير

دوائر	مقدار ما يزرع من الاراضى حبوبا	نباتات	مروج
دلماتوف	٩٧٥٥٢ دستينا (وهو ١١٥٨ هكتارا والهكتار فدانان افرنجيان و٩٢ قصبة افرنجية وبعض زيادة او ٩٤٧٧٨ قدما)	٢٢٤٦٣١ دستينا	
شدرنسك	٥١٥١٣٠	٣٠٤٣٨٥	٢٠٩٧١
كامشلوا	١٢١٦٣٧	من ١٤٦٢٤١ الى ٤٩٨٥١	
ايربيت	٥٦٥٩٩	٠١٧٧	٢١٧٠٨
ورشتوريا	١٠٦٧٩٩	١٧٨٦٥١	٤٢٣٢١
تورنسك	١٠٠٠٠	من ٢٠٠ الى ٣٠٠٠٠٠	
تيومن	١٥٠٠٠	من ١٠٠ الى ٢٠٠٠٠٠	
باليتورف	٢٠٠٠٠	من ٣٠ الى ٤٠٠٠٠٠	
ايسيم	٣٠٠٠		
تارا	١٥٠٠٠		
سيسك	١٠٠٠٠		

(وهذا جدول يتضمن بيان تاريخ الاستكشافات التى حصلت فى سبير)

عدد السنين من الميلاد	
١٢٤٢	قدم شيبان بالتتار الى بلاد سبير واسس بها خانة سبير المسماة تورا
١٢٤٦	جعل كرپنى اسم السمويد من جملة الاسم التى ادخلها المغول تحت الطاعة
١٥٥٨	كانت تجارة تونمانوف ببلاد سبير
١٥٦٣	ادرج ايوان وازيليوتش اسم سبير فى لقب چارات الموسقو
١٥٨٠	تغلب يرماق تيموفيوف على خانة سبير المسماة سبير الغربية بطائفة من القوزاق
١٥٨٤	هاجر الروسية من سبير
١٥٨٧	اسس الروسية تيولسك
١٥٩٨	كان موت كوتشوم خان وبموته انتهت مقاومة التتار
١٦٠٣	كان بناء مدينة توملسك
١٦١٨	كان بناء مدينة يانسيسك ومدينة كوتزنيسك
١٦٢١	طبع قبريان مطران تيولسك تخطيط سبير ونشره
١٦٣٦	نزلت الدونما الموسقوبية فى نهر لينا وحاذت فى سيرها شطوط البحر المتجمد
١٦٣٩	وصل دمترى كوپيلو الى شواطئ البحر المحيط الشرقى
١٦٤٦	رحل بومشلان من كويما الى انادير واجتاز الرأس المسمى رأس چوكوتجى
١٦٤٨	وقعت هذه الرحلة بعينها من دسنيف وهو كسابقه من القوزاق
من ١٦٤٨ الى ١٦٥٨	بنيت مدن ايرخوتسك وياقوتسك وزرچنسك
١٦٩٠	استكشف اهل ياقوتزك تجتقا
١٦٩٥	كانت اول غزوة من غزوات الموسقوفى تجتقا
١٧٠٦	كان استكشاف الطرف الجنوبى من تجتقا
من ١٧١١ الى ١٧٢٤	استكشف جماعة من تجار ياقوتزك جزائر وراضى على شمال مصب كل من نهر لينا ونهر ايانا
من ١٧٢٠ الى ١٧٢٦	ساح دانيال ميسرشميد ببلاد سبير فى الجهة الشمالية الى توروخنسك وفى جهة الشرق الى زرچنسك

عدد السنين من الميلاد	
١٧٢١	ساح استرالنبرغ الى ينسية
١٧٢٧	توجه ويتوس بهرنغ صاعدا فى الجهة الشرقية حتى وصل الى ٦٧ درجة و ١٨ دقيقة من العرض وجاوز رأس چوكوتجى ولم ينظر امريقة اصلا
١٧٣٣	سافر كل من لويز بهرنغ وهو من جزيرة كروايير ومولير وغملين قاصدين غزوة عظيمة
من ١٧٣٣ الى ١٧٤٣	طاف غملين وهو من علماء النباتات بلاد سبير حتى وصل فى الجهة الشرقية الى ياقوتزك وكيرنسك وفى الجهة الشمالية الى توروخنسك وفى الجهة الجنوبية الى نرچنسك وسيانسكوا واستروغ وقد وقعت هذه السياحة بعينها من مولير وفيشير بوظيفة مورخين وباحثين عن الآثار القديمة
١٧٣٨	سافر الضابط ارزن بحرا من نهر اوبى الى نهر ينسية وسافر الضابط لاپتيوف برا من ساحل ينسية الى نهر لينا
من ١٧٣٩ الى ١٧٤٠	حصلت مثل هذه الرحلة من لينا الى كويما
١٧٤٠	وصل استيلير احد علماء الطبيعة الى قمچتقا واقام بها حتى مضت سنة ١٧٤٣
١٧٦٠	بعثت اكدمية العلوم مسائل وقضايا الى سائر الحكام وغيرهم
	واثبت پلسنير الكورلندى حاكم اوخوتسك بعدة ابحاث متنوعة أن ولاية چوكوتجى بحيث جزيرة منفصلة عن امريقة بيوغاز فيه جزيرتان
١٧٦٤	اطلع سند وهو قبطان سفينة موسقوبية على بوغاز بهرنغ وعلى الساحل القريب من امريقة وسافرت سفينة تجارية من كويما الى انادير
١٧٦٥	طاف لكسمان احد علماء المعادن والنباتات بلاد سبير حتى وصل الى شمال قمچتقا
من ١٧٦٨ الى ١٧٧٤	كانت رحلة پلاس الكبيرة حيث اقام فى بلاد سبير من سنة ١٧٧٠ الى سنة ١٧٧٣ ثم ارتحل الى دورية واطلع رفيقه سويوه على بلاد اوبدورية
١٧٧١	طاف برية الغرغيز كل من نيقولاس رتشو احد الرؤساء الموسقوبية وبردانس احد علماء ايلبريا ومعهما فرقة من العساكر الموسقوبية
من ١٧٧١ الى ١٧٧٢	سافر الى بلاد سبير العالم فلك وهو من المتبحرين فى علم النباتات وفى سنة ١٧٨٥ نشر چورچى اوراق رحلة هذا العالم واشهرها بالطباعة
١٧٧٢	اطلع چورچى رفيق فلك على بحيرة بيكال بجميع اجزائها وعلى جبال دورية واورال وغيرها
١٧٧٥	اطلع كل من ليبشو وايكوانو على ارض كبيرة فى شمال رأس سويتوا
١٧٨٧	سعى بلينغس وهو من سياحى الانكليز فى السياحة من كويما الى انادير من طريق بوغاز بهرنغ بدون ثمرة
من ١٧٩١ الى ١٧٩٣	وقع مثل هذه السياحة فى بحار قمچتقا
من ١٧٩٠ الى ١٧٩٥	ارتحل سيورس احد علماء النباتات والاجزاجية الى الجبال الجنوبية من سبير
١٨٠٤	كانت غزوات كروزنسترن ولنغس دورف وتيلزيوس وغيرهم

المقالة المكملة للستين
في تخطيط آسيا * القسم الوسط

ويشتمل على بلاد القلوق والمغول وبخارى الصغرى

عدم الاخبار الصحيحة

لما فرغنا من تخطيط الاطراف الشمالية من آسيا ناسب أن نعقب ذلك بذكر المناطق الوسطى التى لا يعرفها الجغرافيون الا باخبار لا تفيد شيأ صحيحا وحكايات قديمة بعضها فى الغالب يزيد فى الخطأ وبعضها لا يفيد الا امورا مبهمة وذلك لانه من القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر التى شاهد فيها السياحون من الافرنج الاقاليم المسدودة عليهم الآن كثيرا زالت مدن وذهبت اماكن وانقرضت امم وتعطلت اراض عن الزراعة وزرعت صحارى وجميع اسفار قربين وربروقيس ومرقبول وبغوليطى وهيثون ذكرناها سابقا فى تخطيطات جغرافية الاعصر الوسطى واما هذه الاخبار فلا نذكر منها شيأ الا مع غاية الاحتراز والاحتياط لعدم الاخبار الصحيحة التى يعتمد عليها فى هذا الشان فنقول

اقسام جديدة وقديمة

ان الجزء الاوسط من آسيا الذى نفصل منه التبت يشتمل على خمسة اقسام جغرافية احدها المغولية المسماة ايضا موغولستان الحقيقية وهى فى شمال الصين وجنوب ايرخوتسك والثانى القلموقية المسماة ايضا سنجارية وهى من الغرب من المغول وعلى الجنوب من كوليوان والثالث بخارى الصغرى المسماة بالتركستان الشرقى وهى على شرق بخارى الكبرى وعلى شمال كشمير والرابع تتغوت المسمى ايضا بلاد القلوق الشرقية وفى وسط هذه الاقاليم الاربعة صحراء كوبى مع واحات آمل ولوب وغيرها وهى القسم الخامس ثم انه فى قديم الزمان كان يدخل فى ايسوتنية ماوراء جبل ايموس حاشية من اقليمى سنجارية وبخارى الصغرى * ومجرى الانهر ومنظر بحيرة بلكتاى نور يوجبان ظن كون البحر المحيط الشمالى مجاورا جدا لها وأن اسم دابا المغولى الذى معناه جبل اطلق على رأس الادعاى الذى اشتهر أنه نهاية آسيا فى الشمال الشرقى جهة بلاد الايغور *

راس تابيس
سريق

وبلاد سريق التى تنسب الى الحدماء كانت مشتملة كما اسلفنا على الاجزاء الغربية من التبت وسريناغور وكشمير وتبت الصغرى ولا مانع أنه ايضا كان يدخل فيها حاشية من بخارى الصغرى * وهذا الاسم كان معروفا فى زمن امبان مرقلين فى القرن الرابع من الميلاد ثم محى بالكلية فى القرن الخامس منه نعم ان موسى الخورينى كان يعرف مدينة تسمى سورهيا التى تسمى مرامطرو بوليس ولكن كان يسمى الارض التى كانت مدينة سورهيا قاعدتها باسم جنيا اوجانستان فالظاهر أنه كان يجعل هذا الاقليم مشتملا على آسيا الوسطى لاسيما بخارى الصغرى وقد جعل بلاد السنا ابعد شرقا * وبلاد السنا هى الصين وهل اسم جنيا يذكر أن الصينيين كانوا يتغلبون على هذه الولايات فى الزمن السابق اوان هذا الاسم معناه بلاد الجن اوالآلهة كما أن اسم سريق يمكن أن يكون معناه باللسان القديم الهندى بلاد السعادة * لا يعرف ذلك على التحقيق * والظاهر أن تلك الاراضى مكثت ستة قرون بعد القرن الخامس وهى معروفة باسم خطايا اوخطاى * ومنها خطاى البيضاء اى الحرة وخطاى السوداء اى الميرية * ولا يعلم هل كان اسم خطاى علما على الصين الشمالية اوهو اسم مشتق من كلمة تتارية معناها جبال صحرائية * وعلى كل فاقليم خطاى شهير فى الجغرافيا من القرن الثالث عشر الى منتصف القرن السابع عشر من الميلاد * ومن المحقق أن هذا الاسم كان يطلق اصالة على شمال الصين الذى مكث مملكة مستقلة مدة طويلة * ولكن الظاهر أنه كان يمتد حكمه على بلاد المغول والتغوت واما معنى قره خطاى اوخطاى الميرية فانه كان يختلف اتساعا وضيقا باختلاف بخت السلاح اى نصيبه نصرة وغلبة

التوسع فى اسم التتار

ومن اسم آخر اشتق ايهاما من هذا مكث زمنا طويلا وهو يطلق فى الخرطات الجغرافية على المنطقة الوسطى من آسيا بل على شمال هذا الجزء وشرقه * وهذا الاسم هو تتارستان مع تقسيماته * فكانوا يسمون فى القرن الثالث عشر والرابع عشر باسم تتارستان جميع مملكة المغول على عهد جنكيزخان ومملكة التتار على عهد تيمورلنك وفى مدة تمزق هذه المملكة الاخيرة ظهر شخص من نسل جنكيزخان يسمى ايسان بوغاخان واسس ولاية مستقلة فى بخارى الصغرى وكانت قاعدة هذه المملكة دائرة بين مدينتين وهما بيش بليغ فى الاول وكاشغر فى آخر الامر وفى هذا الزمن بعينه عادت امم القلوق الاربعة المتعاهدة الذين يسميهم الافرنج ايلوثة الى ما كانوا عليه قديما من الحرية والاستقلال وعينوا لانفسهم حاكما يسمى كنتايش أوخان تيدشا * وفى هذا الزمان ايضا ضعفت دولة المغول فى الصين وهربت ذرية جنكيزخان الى قره قوم وهذا المحل كان قاعدة آسيا بتمامها فى زمن جنكيزخان ولم يضر بعد ذلك الا مدينة لقبيلة كلكاس ثم لما تفرق بعضهم من بعض صار جميع المغول يدفعون

الخراج للصينيين ثم للمنجو الذين هم حكام الصين عن جديد وقد ابطل الروسية الذين كانوا فى ذلك الزمن ممالك التتار وهى مملكة ازدراهان وقزان وسبير وادخلوا تحت حكمهم فى نواحى بحيرة بيكال عدة قبائل مغولية * وهذه الفتن المختلفة والتغيرات تسبب عنها فى الجغرافيا تغيرات عظيمة بين التتار الموسقوبية المشتملة على تتار ازدراهان وقزان وسبير والتتار الصينية المركبة من بلاد المغول والمنجو والتتار المستقلين وهم ولايات بخارى الكبرى وبخارى الصغرى وقلموق ايلوثة والغرغيز والتركمان * وهذه الاقسام الثلاثة التى صار تقسيمها الآن مهجورا حصل فيها سابقا منذ نصف قرن بعض تغير * وذلك أن القلموق الذين تغلبوا سنة ١٦٨٣ من الميلاد على بخارى الصغرى واكسبوا انفسهم الهيبة عند اهل الصين والروسية اصابهم بعد أن مكثوا نصف قرن وهم اصحاب قوة وباس وفخار جميع آفات الحرب المدنى * فلما ساط الصينيون على هؤلاء القلموق امة المغول ادخلوهم تحت الطاعة وهم الى الآن تحت اسرهم * فبلاد التتار الصينيين تمتد الآن على الربوة الوسطى من آسيا ولكن الاليق أن يغير هذا الاسم الذى لا معنى له

ثلاثة اقسام التتار

ملحوظات فى شأن ربوة اسيا الوسطى

وقد ذكرنا فيما سبق الجبال التى على ربوة آسيا الوسطى او المحيطة بها وتتبعنا جريان الانهر التى تخترق القطر المنجمد * فاذا سأل سائل عن بنية هذه السلسلة وعن تركيبها لم يجد الا ما يوقعه فى الشك والتردد فان هذه الربوة لا يدرى هل هى باقية على تسوية متساوية تقريبا او مرتفعة جهة مكان مركزى او عدة امكنة مركزية وهل يتشرف فيها عدة جبال منخفضة فوق قواعدها كجبال الجديم شالو فى بلاد الغرغيز أو أن ارتفاع الثلوج على رؤس التاى الكبرى وجبل بغدو الاكبر يدل على ارتفاع اعظم من ذلك جهة داخل بلاد القلموق من التيت اولا وهل هذه الصحارى مملوءة بسهول رمل اسود كما قيل الى الآن اولا وهل يوجد بها جبال ثانوية اولا وهل طبيعة صوان الجبال الثانية والسيانية والدورية يشترك فيها سلاسل الجبال الكبيرة الموجودة بداخل الربوة (اذا كان بها جبال) او أن تلك السلاسل الجبالية عبارة عن متراكم طفل يابس ممزوج بالحصى كالجبال التى بقرب السد الاكبر الصينى الذى ذكره اسطنطون او أن وسط هذه الربوة الآسيانية مشتمل كما هو الظاهر على جبال واسعة من الرمال وعلى ما لا يحصى من جميع عناصر الكرة * واما البراكين فالظاهر أنه ليس بهذه الربوة اصلا جبال نار غير خامدة لكن هل بهذه الارض الواسعة عدة آثار قديمة تدل على تقلبات بركانية كالتقلبات التى رآها المعلم بطرين فى دورية اولا وهل يوجد فى هذا القسم المجاور للهند عظام فيلة وكركندان كما فى سيبر اولا

فهذه المسائل مهمة لا يصعب أن يسأل بغيرها فى هذا المعنى * وجميعها باق الى الآن من غير جواب * ولم ير احد من علماء الاراضى الافرنجيين هذا القسم العظيم الذى هو سدس القارة القديمة * ومن الغرابة أن علماء الاراضى مع كونهم لم يشاهدوا هذا القسم النوا اصولا وقواعد فى علم الارض

وكذلك معادن هذه الاراضى مجهولة فلا يعرف من معادن هذا القسم العظيم الا بعض اشياء معرفة هينة * وهى معادن القصدير التى تنسب لبلاد المغول الحقيقية وكذلك جبال الذهب (التاى) التى سميت بها سلسلة جبال كبيرة ومما يعرف ايضا اخبار اقدمية فن المعدنجية عند المنجو المجاورين للمعادن العظيمة التى بجبال دورية الروسية وكذلك الآلات والادوات المصطنعة من الذهب والحديد الموجودة فى القبور القديمة وكذلك يعرف رأى بعضهم أن انهر بخارى الصغرى فيها التبر الداخل فى تجارة كاشتا

معادن

وجميع الاخبار متفقة على أن البرد شديد جدا فى وسط آسيا ويقوى ذلك الارتفاع والعرض * فقد وجد الخواجة دولا بيروز سواحل بلاد المنجو فى عرض تسع واربعين درجة مغمورة بالثلوج فى شهر اوغسطوس * ورآى رسل شاروخ فى بلاد القلموق ارضا منجمدة فى عمق اصبعين وقت الانقلاب الصيفى ولكن يوجد فى داخل هذه الربوة عدة اقسام معتدلة بالنسبة لما تقدم

قطر

ونباتات وسط آسيا باشتماله على اقليم التبت مجهولة لنا الا ما ندر فانه لم يسافر احد من ارباب المهارة فى العلوم التولدية الى هذه البلاد وانما ارتفاع ارضهم وشدة برد شتائها يوجبان أن يظن انه لا يوجد بهذه الربوة شئ من نباتات الاقاليم التى هى اعظم منها اعتدالا فى آسيا * ولكن القطن والعنب ادخلهما فيها ارباب الزراعة بعد أن لم يكونا * واذا تتبعنا الاخبار المبهمة التى ذكرها السياحون المتقدمون واضفنا الى ذلك ما نعرفه من النباتات التى تخرج على السواحل البحرية من بلاد التتار ظهر لنا أن بعض النباتات التى بهذه الربوة نظير النباتات التى فى شمال ألمانيا المخلوطة ببعض اصناف اشجار سيبر

نباتات

وبلاد آسيا الوسطى واسعة جدا او مشتملة يقينا على اصناف جديدة بل وعلى ازهار خاصة بها غير المعروف فى غيرها

* والافرنج

والافرنج لايعرفون الى الآن النباتات المتولدة بهذا الاقليم (ماعدا النباتات التى تنتسب الى سيبر والهند) الانبات السرخس المسمى بوليديوم بارومتز وغير ذلك من نباتات يخرج منها الراوند وينبت بعضها على الجبال وبعضها فى الصحارى

حيوانات

والحيوانات السائبة الهائمة فى الصحارى تعرف برويتها وظهورها فى سيبر وفى بلاد الصين وجميع الحيوانات الاهلية النافعة للانسان تكون فى هذه الاراضى فالخيول الوحشية المسماة عند القلموق طاقيا وعند المنجو طاهى موجودة بهذه الجهة وكذلك الكولان وهو حمار الوحش يسكن الصحارى والسهول المفتوحة ولايجاوز

حيوان بين الحمير والخيل

هذا الحيوان اصلا الدرجة الثامنة والاربعين من العرض وهو مأكول اللحم عندهم وثم نوع ثالث من هذا الجنس بين الحمير والخيل يسمى دوجيتاى ويسمى ايضا ميونة وهذا النوع يوجد اقاطيع على شطوط انهر اونون وارغون وامور وفى صحراء كوبى والى حدود الصين والتبت وهذه الحيوانات قابلة للتأنس وهى ذات ادرار اكثر من ادرار الحمير المعتادة ولكن لاتفقد دائما طبيعتها الوحشية وكذلك الابل ذات السنامين توجد

بقر الوحش

فى صحارى المغول الكثيرة الرمال لاصاحب لها او بقر الوحش يكثر فى المراعى الرطبة المفتوحة وقرونه المعوجة وراءه وشعره الشبيه بالحرير الذى طوله نحو شبر تحت البطن واذنابه الشبيهة باذناب الخيل كل هذا يدل على انه ليس من نسل البقر الاهلى * وقد صح بالاختبار فى ايرخوتسك أن هذا البقر يتأنس وتسهل تربيته ورعيه مثل البقر الاهلى ولكن لبنه به طعم الشحم * ثم ان الجبال التى يخرج منها عين نهر امور تدل على الحدود الجنوبية التى هى نهاية مانوجد فيه حيوانات الزنة * ولكن اذا نزلنا من تلك الجبال وهبطنا خمس درجات وجدنا فى الدرجة الخامسة والاربعين من العرض حيوان الايلان وعلى الجبال الوعرة كثير من الحيوانات الهائمة وهى الغنم الوحشية والمعز والظباء

حيوان المسك

وحيوان اليوقطين الذى يوجد نظيره بجبل قوقازة وغير ذلك من انواع الظباء والمعز * وحيوان المسك الذى يهوى الاراضى الواسعة المنعزلة يسكن بلاد المغول والدورية والاقطار الجبالية التى يسقيها نهر امور وفى الجنوب يدخل فى التبت وفى الصين الى حد تنكين وفى جهة الغرب الى حد جبال كشمير ووجد الحكيم بلاس هذا الحيوان فى الشمال على شطوط نهر ينسية جهة كراسنوارسك ومن الحيوانات الوحشية بتلك الجهة الدب الرمادى والاسود والثعالب المعتادة وحيوان يسمى الكرسالك وآخر يسمى قراغان وكذلك الفهد

قراقال

الابيض المسمى عند القلموق ايرجيس وحيوان يسمى قراقال وآخر يقال له المانول وكل هذه الحيوانات تشبه النمور الكبيرة والصغيرة وكذلك النمور الصغيرة كثيرة معروفة بهذه الجهة ولكن ليس من المحقق أن احدا شاهد بها النمور الحقيقية * وبآسيا الوسطى ايضا حيوانات الفرا التى توجد بسيبر كالقاقوم والزردوا والسمور وثعالب المياه التى تكثر على شطوط البحيرات الكثيرة فى بلاد القلموق * وجميع اصناف الارانب وكذلك حيوان السنجاب يوجد ايضا بهذه الجهة * وبذكرنا لهذه الحيوانات التى سردناها واقتصرنا فيها على مجرد تسمية اصول حيوانات آسيا الوسطى يستدل على أن جميع ماتفرق فى الاماكن البعيدة يجتمع فى ركن من اركان الدنيا * وهذه الربوة كربوة افريقة هى نقطة مركز نزل فيما حولها عدة اجناس من الحيوانات وبآسيا الوسطى من الطيور كثير لاسيما طير ظريف

طيور

متولد بها وهو بين السمان والطاووس يقال له عند الصينيين لوان ويسميه علماء التولدات فازيانوس ارغوس ويقال انه يوجد فى الصين وفى سومطرا

ولنشرع الآن فى التخطيط الخاص لكل بلد مبتدئين بالارض الاقرب للتبت والتتار المستقلين فنقول

بخارى الصغرى

ان الاقليم المسمى من غير مناسبة بخارى الصغرى يمتد على خرطة دنويل بين الدرجة الرابعة والثلاثين والثالثة والاربعين من العرض وبين الثالثة والسبعين والحادية والثلاثين من الطول بالنسبة لمدينة باريس ولكن برهن الماير رينيل على أن هذا الجزء من خرطات دنويل خطأ اذ لامانع من أن الحدود الغربية تبعد عن هذه البلاد

وضع

الى الدرجة السابعة والستين من الطول وعلى كل حال فمدينة قاشغر او كاشغر ويركند وخوتن موضوعة فى الغرب ازيد مما جعله لها دنويل * ورسالة مير اللواء الصينى التى نقلها عنه غروسير تدل على أن المسافة من الصين الى قاشغر ازيد من مائة فرسخ عما هى عليه فى خرطة دنويل

وعلى كل فبخارى الشرقية اقليم يسكنه من قديم الزمان امم التتار وهم الذين يحكمونه وهو داخل فى اسم تركستان ويلزم أن يكون حده من جهة الشمال والشرق بلاد القلموق ويتصل من جهة الجنوب بالتبت الصغيرة وبالاجزاء المجهولة من بلاد التبت الكبيرة ويفصل جهة الغرب من بخارى الكبرى بجبال بلور بل وبالربوة المرتفعة المسماة سهل ياص حيث يظهر أن نهر السند يخرج هناك

طبيعة الارض

انهر

وانهر يركند يجتاز هذه الارض من الغرب الى الشرق ويصب فى بحيرة لوب التى يظهر أنها تتلقى كثيرا من الانهر الصغيرة التى تصب فيها * ويظهر من حال الارض انها سهل فى وسط البلاد وعلى كل فليس فى داخل البلاد شئ من سلاسل الجبال * ولكن فى الشمال والغرب تجد الارض محصورة بجبال اوربوات * وقال بعضهم ان بهذه الجبال اوالربوات عدة معادن ذهب اوفضة * ولكن لايعرف صناعة استخراجها احد من اهل البلاد المتأصلين بها ولا من القلموق وانما يقتصرون على جمع تبر هذه المعادن الذى تجذبه السيول بكثرة عند ذوبان الثلوج فيجمعه هؤلاء الناس اذ يذهبوا به الى الصين والى مدينة تيولسك وهى دار ولاية سبير * وفى هذه الجبال ايضا احجار نفيسة وجواهر

اقليم قاشغر

وكلام مرق پول يقتضى أن اقليم قاشغر اتساعه مسيرة خمسة ايام وهو كثير المدن والقصور والبساتين والاراضى العظيمة التى يخرج بها العنب الجيد الذى يتخذ منه النبيذ وبها ايضا كثير من الفواكه الاخرى ويزرع فيها القطن والكتان والقنب * ثم ان سر عسكر الصين الذى استولى على اقليم قاشغر سنة ١٧٥٩ من الميلاد كتب لبعض احبابه ان الارض مخيفة واهل هذا الاقليم بخلاء يعيشون معيشة القناعة وفيه نحو ٦٠٠٠٠ عائلة وسبع عشرة مدينة والف وستمائة قرية وضيعة * ولكن الظاهر أنه اراد أن يتكلم على جميع بخارى التى سميت باسم قاشغر ومدينة قاشغر كانت سابقا دار اقامة خانات بخارى الشرقية واهلها على ما يقتضيه كلام سر عسكر الصين الف وخمسمائة عائلة وهى مبنية بالطوب

ليم يركند

واقليم يركند واقع فى شرقى قاشغر وهو خصب كثير القطن وبه جميع ما يلزم للمعيشة * قال مرق پول ان اهله ارباب مهارة فى الفنون واغلبهم صناع السيقان واهم غدد عظيمة * ومنشأ ذلك المياه التى يشربونها فان بها خاصية هذا الاحمر * ومدينة يركند واقعة على نهر يركند * وهى الآن مشهورة بأنها قاعدة بلاد بخارى وذهب الخواجة بتيس دلاكرواش فى تعليقاته على كتاب شرف الدين الى أن يركند اسم مرادف لقاشغر فحدا لوه مدينة قاشغر وليس اسم مدينة اخرى وهو مردود باخبار مرق پول وسر عسكر الصين

اقليم خوتن

واقليم خوتن اوخوتان واقع على الشرق الجنوبى الشرقى مما قبله وهو مسيرة ثمانى مراحل كما ذكره مرق پول ويزرع فيه القطن والكتان والقنب والحنطة والعنب وغيرها من النباتات واهله ارباب مهارة فى الصنائع وشجاعة فى الحروب

اقليم كاريا

واما اقليم كاريا اوكريا الواقع على شرق خوتن فليس هو ما سماه مرق پول باسم كريان ولا كاريت اوقاريط وسنذكر كلا منهما عند الكلام على جنوب التبت ومملكة برمان ويظهر أن هذا الاقليم من بخارى الصغرى واما الاقليمان الآتيان فانتسابهما الى بخارى الصغرى ليس فى الظهور كاقليم كاريا بل هما دونه فى ذلك

اقليم پوام

قال مرق پول وفى الجنوب الشرقى من خوتن اقليم پوام وهو كثير المدن والقلاع وبمدينته التى هى قاعدته نهر صغير يحترقها وبهذا النهر احجار نفيسة كالخلدونيا والياشب ويخرج بهذا الاقليم كثير من الحرير الذى تنتهى واما دنويل وفرسطر فانهما جعلا هذه الارض واحات بجوار بخارى الصغرى ولما كان لفظ پوا كلمة من لغة التبت ومعناها اقليم اوعمالة خطر لنا أنه لا مانع أن يكون اقليم پوام هو الجزء الشمالى من التبت

مدينة قيرشيان

قال مرق پول وجميع هذه الاقاليم جزء من تركستان الكبرى واول مدينة تسمى قيرشيان اوقنارطيام واذا سرت من قيرشيان مدة خمسة ايام فى داخل ارض كثيرة الرمال والمياه المالحة وقليلة المياه العذبة وصلت الى مدخل الصحراء الكبرى المشتملة على مدينة يقال لها لوب ويقال لها ايضا لوب واقعة بين الشمال الشرقى والشرق من پوام انتهى ولا يفهم من عبارته أن قيرشيان اقليم منعزل على حدته على شرق پوام كما ظنه المترجمون لكلامه فلا أى شئ يسير الانسان اولا طريقا طويلة معوجة من الجنوب الشرقى ثم يصعد الى الشمال ليسير ثانيا الى الجنوب الشرقى كما فهموه من كلام مرق پول وزعموا أنه سار تلك الطريق بنفسه فهل نص على أنه ذهب بنفسه الى اقليم پوام كلا بل الواقع انه ليس فى كلامه ما يفيد ذلك وايضا قوله اول مدينة يمكن أن يكون معناه تلك المدينة تركستان وهى يركند التى سميت فيما سبق قرخان (لعله قيرشيان) فلعلها هى مراد مرق پول ولو فرضنا صحة ما قالوه لزم تقريب مدينة لوب وتقصير مجرى نهر يركند وتطويل الصحراء

طريقة المعيشة فى القرن الثالث عشر

وتركستان الشرقية اقليم كان سابقا كثير الثروة والطرافة وقد افسده التتار فى زمن مرق پول وكان عرضة لاغاراتهم وافسادهم ويوجد به الخلدونيا والياشب وكان لاهله مواش عظيمة وكان كل انسان منهم يحتفى بعد الحصاد غلاله

تحت الرمل فى مطمورة لايعرفها غيره لان الرمل المتوج الذى بالبخارى يغطى المكان فى اقرب وقت ولما كانوا دائما يخافون من السلب والنهب كانوا لايحملون عندهم الا ما يلزم لمؤونتهم شهرا واحدا والظاهر أن هذا التغطيط يليق باهل هذه البلاد الآن .

اصل الاهالى

ولا يعلم لاهل بخارى الصغرى اصل ولا آداب واخلاق الا القليل من ذلك وهم وان كانوا متولدين مع بعض القلموق الا انهم بالاصالة بخاريون متأصلون لونهم السمرة وهذا لا يمنع من كونهم ارباب جمال وحسن تركيب وتقويم فى البنية ولغتهم تسمى الزغتيان وهى عين اللغة التركية الا أن فيها كثيرا من الكلمات الفارسية

قال بنطق ان التتار يسمون اولاد البلد فى تركستان الشرقية وبخارى الكبرى باسم تاجيق ومعناه يدفعون الميرى ولا يحملون السلاح ابدا اى لا يشرعون فى الحرب ولهذا كانوا محتقرين عند التتار الذين يأخذون من كل مدينة اوقرية من تلك البلاد فرقة مرتبة واهل تركستان الشرقية يتميزون عمن عداهم من الامم الرحالة النزالة ببلاد المشرق بعدم انقسامهم الى قبائل ثم ان قسوس النصارى الذين سافروا الى بلاد الصين فرقوا بين البخارية والتتار ولكن هل المراد هنا بالتتار القلموق الذين تغلبوا على البلاد و بالبخاريين التتار الحقيقيون وهم الاتراك محل نظر

ملابس

وملابس الرجال لاتصل الى ما دون بطن الساق الغليظ وهى محصورة بحزام كملابس اهالى له واما النساء فيلبسن ملابس شبيهة بذلك الا انهن يتميزن بالقرط فى آذانهن واقراطهن طويلة شبيهة باقراط نساء التبت وشعور رؤسهن منضمة الى ضفائر طويلة متساوية مزينة باشرطة الحرير ويخضبن اظافرايديهن بالحناء وكل من الذكور والاناث يلبس سراويل ونعالا من الجلود الموسوية وستر رؤسهم كالاتراك و بيوتهم مبنية بالحجر ومزينة ببعض امتعة مصطنعة فى بلاد الصين وشرابهم المعتاد هو الشاى فيستعملونه مع اللبن والسمن والملح على منوال اهل آسيا الوسطى وتباع النساء عندهم وتشترى ولذلك كانت البنات ذوات الجمال راس مال غنى والديها

قلموق

والقلموق يمكن أن يعتبر أنهم المغول الغربيون وجبل بغدو يفرق بين قبائلهم وقد دخلوا منذ سنة ١٧٥٩ من الميلاد تحت طاعة سلطان الصين واعترفوا له بالسيادة عليهم ثم ان خان تيشاكان يمكنه أن يجهز ٢٠٠٠٠ مقاتل من بخارى الصغرى بأخذه من كل عشر عائلات شخصا واحدا فبهذا يلزم أن يكون عدد العائلات مائتى الف عائلة وهذا القدر ينتج أن اهل بخارى الصغرى نحو مليون ويظهر أن القلموق بقطع النظر عن ايلوتث كوكونور كانوا نحو مليون وارضهم تتصل بالصين شرقا وبالتتار غربا وهى من جهة الشمال على حافة سيبر وتختلط حدودها فى الجنوب بحدود التبت وسطحها قد رسطح فرانسا وايطاليا واسبانيا مجتمعة وعروضها كعروض تلك الاقاليم الافرنجية ولكن شتان بين قطرها وتولداتها وآدابها وقطر تلك البلاد الافرنجية وتولداتها وآدابها

ارض القلموق ،

واقاليم تلك البلاد الواسعة التى هى فى الحقيقة جديرة بأن تسمى صحارى وواحات لا نعرفها الا على وجه هين ناقص

كنكاراغيا

ثم ان القسم الذى سماه دنويل كنكاراغيا هو الاقليم المرتفع الذى ينبع منه نهر ايرتيش والظاهر أن قطر هذا الاقليم هو اربد جميع اقطار القارة القديمة واصعبها فتجد جبل بغدو وبغيره من الجبال المجاورة تلولا مستمرة

اتساهان تلا

والسهل المسمى اتساهان تلا اى السهل الابيض هو من اعلى سهول الدنيا ويمكن أن يقال نظير ذلك فيما حوالى بحيرة زيزان والظاهر أنه ينبغى البحث فى جبل بغدو عن اقليم رنفى تلاس الذى ذكره مرق پول قائلا انه اقليم يخرج منه البولاد وحجر الاسبسطة وهو حجر الفيلة وانه على ست عشرة مرحلة من اقليم آمل

رنفى تلاس

سنجارية بحيرة بلكاتى

والاقليم الذى يسمى باسم سنجارية حقيقة هو حوضة او ربوة مقعرة محوقة وهو محدود شمالا بجبال اولوغ و يقال اولوطاغ وجنوبا بسلسلة جبال الالك وفيه بحيرات متتابعة فمنها بحيرة بلكاتى وهى آخر جميع البحيرات واكبرها ويقال انه يصعب الطواف حول هذه البحيرة فى مسافة خمسة عشر يوما وهى تقريبا درجتان ونصف من الطول وازيد من درجة من العرض وثم نهر يقال له نهر ايلى يزيد كثيرا من التيارات و يصب فى هذه البحيرة الراكدة

معسكر هرقاش

وعلى شطوط نهر ايلى كثير من المراعى العظيمة التى رغبت فيها قبيلة سنجارية التى هى من قبائل القلموق وحملتهم على المهاجرة اليها و بنوا فيها قاعدة ولايتهم فكان خانهم تيداشا مقيما فى محل يسمى هرقاش وكان فى هذا المحل كثير من الخيل والغنم السمينة الاذناب وكانت بها بهائمهم ذوات القرون وابلهم قليلة العدد قال بعض مؤرخى المشارقة ان تيمور لنك وقف على جبل اولوغا لينظر السهل العظيم الذى يمتد فى سفح هذا الجبل ويرى حسن منظره الذى هو اشبه بحر من الخضرة والظاهر أن هذا السهل العظيم هو الذى سماه ربروقيس السياح باسم ارغانوم وسماه

بلاد ارغانوم

ابو الغازى باسم ايرغون كند

امة الويغور وبلادهم

والجبال التى فى جنوب سنجارية تشتمل كما قاله دنويل على عمارات امة الويغور المسماة ايضا الايغور وهى سلف امم المجار والظاهر انه يمكن اجتياز هذه الجبال من غير مشقة الا فى حلق شنجز فحينئذ لا مانع أن هذه الجبال فى الحقيقة ليست الا ربوات متواصلة اعلى من الاراضى التى هى لها بمنزلة القاعدة وقد كان اقليم الويغور فى سابق الزمان عامرا بالزراعة والتجارة ويرويه كثير من الانهر الصغيرة وكان تمدن هذه الامة قبل الميلاد بقرنين وكانوا يتكلمون باللغة التركية ويكتبون من اعلى الى اسفل كأهل الشام فى قديم الزمان وحروفهم الهجائية التى الف فيها الخواجه لنكلز رسالة يظهر انها مأخوذة من لغة الدوانا غارى وهى كتابة هندية وكانت بلادهم ايضا تسمى چينا والظاهر انها امة كانت تسكن هذه الارض بقايا ولعلهم من نسل الامة القديمة المسماة مساچيطة وهذه تشتمل ايضا

تورفان

على اقليم صغير يسمى اقليم تورفان وهو واقع على مهبط ربوة ويغور فى شمال بحيرة لوب ومدينة تورفان مدينة عظيمة يردها التجار الذين يذهبون من بلاد النجم الى بلاد الصين وهى المعروفة بطرسوس (ترفو) التى تكلم عليها الملك هيثون وجعلها قاعدة مملكة الويغور العامرة

وعبارة هيثون ان دولة طرسوس ذات ثلاثة اقاليم ولاتها يلقبون ملوكا ويقال لاهل البلاد واغور وهم لا يشربون الخمر ولا يأكلون ما فيه روح ويزرعون الحنطة بكثرة ولا وجود للعنب عندهم ومدنهم ظريفة كثيرة الهياكل المعدة لعبادة الاصنام ويشتغلون بالفنون والعلوم ولا يصلحون للحروب ولهم طريقة مخصوصة بهم فى الكتابة ولكن قد تداول كتابتهم من جاورهم من القبائل انتهت

مدينة لوب

ومدينة لوب التى ذكرها مرق پول واقعة على نهر يركند فوق مصبه فى بحيرة لوب بشئ يسير واذا اردت أن تخرج من بخارى الصغرى وتسافر الى الصين نزلت بهذه المدينة لتجهيز ما يلزم فى عبور الصحراء العظيمة التى هنالك

اقليم آمل

ومن طريق اخرى توصل الى الصين بواسطة آمى المسماة آمل ويقال لها ايضا خامول وهو اقليم صغير تكتنفه الصحارى من كل الجهات قال بعض القسيسين ان قطره فى الصيف غير شديد الحرارة وقل أن يخرج بارضه القاووون والعنب فاذا خرج بها القاووون كان جيد الصفة ويدخر مدة الشتاء ليتخذ فى اطعمة مائدة سلطان الصين وبعض المؤلفين جعل فى هذا الاقليم مقاطع احجار العقيق والالماس واهله شداد طوال يحسنون المسكن والملبس واغلبهم اسلام انتهى وفى زمن مرق پول كانت هذه الامة وثنية فلذلك قال فى تخطيطه لهم انهم متوحشون ولكنهم طيبون ارباب

عادة غريبة

بشاشة وثروة بما يخرج عندهم من محصولات اراضيهم ويشتغلون بالغناء والرقص أنتهى فاذا نزل بارضهم غريب واراد أن ينزل ببيت احد منهم خيروه فاذا اختار بيت انسان اسكنه مع حريمه وبناته واقاربه وبلغوه جميع ما يشتهيه وترك الرجل بيته له ويبحث فى المدينة عن جميع ما يعين هذا الضيف على السرور ولا يدخل الدار مدام هذا الضيف فيها ومدة هذا الزمن يحظى الضيف بجميع حقوقه وقد اراد منغوخان ابطال هذه العادة الغريبة فكان ذلك اضيع من دمع على طال فان اهل هذا الاقليم يرون أن ذلك من اصول العبادات ويعتقدون أنهم اذا هجروا هذه العادة كانت مزارعهم عرضة لأن تصاب بالجدب والقحط

تنغوت

واذا جبنا السهول الرملية الملحية المقومة للصحراء الكبيرة المسماة صحراء كوبى وصلنا الى اقاليم كانت فى القرن الثانى عشر من الميلاد هى دولة التنغوت القوية والظاهر أنها كانت تمتد جهة الشمال الغربى من الصين على ارض قبائل السيفان بل وعلى التبت جميعها او بعضها وقد بسط الكلام على ذلك مرق پول والظاهر أن المدينة

خانجو

التى سماها كنيپو وجعلها قاعدة بلاد التنغوت هى مدينة الصينيين المسماة خانجو وأن سانجو ليست

ارچى

الا مدينة سيفان وعلى خمس مراحل من جنوب كنيپو جعل مرق پول بلاد الارچية ويقال الارچيول وفيها حيوان المسك والبقر المزعج الصوت وسمان الصين والمتأخرون يسمون بلاد التنغوت باسم كوكونور ويقال ايضا هوهونور يعنى البحيرة الزرقاء وهذه البحيرة تسمى عند جغرافيى الصينيين زنشاى ومدينة

سنشو

سنشو هى مدينة عظيمة واقعة على نهر صغير يصب فى نهر پولنقير الذى يجرى فى الصحراء ويصب فى بحيرة تسمى هارانور

سوقور

وحدود التنغوت والتبت لم تزل مجهولة الى الآن ولم يقف احد على حقيقة امرها فاقليم سوقور الذى ذكره مرق پول وقال انه ينبت به الراوند يمكن أن يكون هو الاقليم المرسوم فى خرطة التبت المسمى باسم سوق وهذه الخرطة هى التى رسمها القسيسون المبعوثون لتلك النواحى وعلى القرب من ذلك يمتد اقليم سرى وقد قال بعض التجار

سلين اوسربن

البخاريين الذين حملوا الراوند الى كياكتا للخواجة بلاس ان مدينة تسمى سلين (ولعلها مدينة سرين) واقعة فى الجنوب الغربى من بحيرة هوهونور على نهر يصب فى نهر هونغو وكل الاقليم جبال عالية قحلة ينبت فيها الراوند فى شقوق الصخور فى محال رطبة وتستخرج عروق الارض فى شهرى ابريل ومايو وتنظف وتعلق فى الاشجار انتهى

اقليم سيفان

والاقليم الذى تسكنه امة السيفان التى تتكلم بلغة التبت واقع فى مجمع الصين والتنغوت والتبت ويسمى باسم توسان وكان سابقا مملكة عظيمة ولكن تناقص عظمه فى القرن التاسع من الميلاد والسيفان السود هم النازلون على نهر هونغو المسمى ايضا هراسورين (ومعناه النهر الاسود) وهم اقل تمدنا من السيفان الصفر النازلين على شطوط نهر يتسكيانغ يعنى النهر الاصفر وخيل هذه البلاد صغيرة ولكنها معتبرة لقوتها وخفتها وفى انهرها قطع الذهب

القلموق وبقية ابدانهم

والقلموق الذين تحت سيادة الصين اى فى التزام الصين هم الحاكمون على جميع تبت الاقاليم التى خططناها اوعلى اكثرها وليس بينهم وبين المغول كبير اختلاف وهم الآن على ماوصف به بعض السياحين امة الهون فماقيل فى الهون فى قديم الزمان من الاوصاف يوجد الآن فى القلموق وذلك انهم فى الغالب ارباب قامات متوسطة ويكثر بينهم وجود القصار ويقل وجود الطوال واما كانوا من صغرهم يحلون وانفسهم كانت ابدانهم حسنة الخلقة واعضاؤهم خالصة غير مرتبطة والخواص التى تمتاز بها وجوه القلموق هى أن عين الواحد منهم زاويتها مائلة الوضع الى جهة الانف وحواجبهم سود قليلة الشعر وقوس الحاجب نازل منخفض وهم فطس الانوف وانوفهم مبطوطة جهة الجبهة وعظام خدودهم بارزة ورؤسهم ووجوههم مستديرة جدا وعادة ادحال رؤسهم فى القلانس وغمسها فيها بالكلية يظهر أن ذلك اعانهم على فصل آذانهم من رؤسهم زيادة عن العادة ولكن عظم آذانهم زيادة على العادة بكثير هو ايضا مما اختصت به بنيتهم دون غيرهم وهم يتعهدون اسنانهم وتمكث طريقة بيضاء الى حد الهرم وبشرتهم دائما بيضاء يعتريها صفرة مائلة الى السمرة بسبب حر الشمس فى الصيف ودخان الخصوص فى الشتاء وليسوا جميعا مستوين فى هذا اللون بل يختلف باختلاف الناس وبالذكورة والانوثة ومن نساء القلموق كثير من ذوات الوجوه الحسنة ويزيد فى بياضهن سواد شعورهن وحواس الشم والسمع والبصر فيهم لايمكن أن يتصور كيفيتها الا فرنجية فانهم يشمون دخان المعسكر ويسمعون مشى الخيل الخفيف ويميزون فى سمعهم الواسعة ادق الاشياء البعيدة عن ابصارهم على وجه عجيب جدا

قبائل القلموق

والقلموق يسمون انفسهم فى لغتهم باسم دربين اوروبط يعنى الاخوة الاربعة المتعاهدة وهذه الامم الاربعة المتعاهدة احداها امة الشوشوته المسماة عند الصينيين سيفان وعددها خمسون الف عائلة وهى تسكن نواحى بحيرة هوهونور والثانية امة السنجارية وهى فى اقليم سنجار وكانوا سابقا ارباب شوكة ثم آل امرهم الآن أن صاروا من عشرين الف عائلة الى ثلاثين الفا والثالثة امة الترغوتة وكانت قد سكنت اولا فى الروسيا بسهل ازدراهان وعدتهم من ستين الف شخص الى سبعين الفا ثم رجعوا فى سنة ١٧٧٠ من الميلاد ودخلوا فى بلاد القلموق والرابعة امة الدربيتة الذين اجتمع بعضهم مع الترغوتة وبعضهم الآخر مع السنجارية والظاهر أن المدن يسكنها غير هذه القبائل الرحالة النازلة من البخاريين والصينيين بل ومن القلموق اهل الحضر والاقامة

ملابسهم

والقلموق يحبون المعاشرة والمخالطة والولائم والضيافات ويكرهون الاكل وحدهم من غير ضيوف فاعظم مسراتهم أن يقسموا مع احبابهم جميع ماعندهم من المآكل وملابس رجالهم شبيهة بملابس اهالى له الا فى الاكمام فانها ضيقة وهضمو متدليا يحاذى طرف الساعد من جهة الكف ورعاع الناس يلبسون جلود الغنم ولباداتها وفى الصيف يستر البنات من الرقبة الى اواسطهن ورجالهم يحلقون رؤسهم الا بعض غدائر من الشعر بخلاف النساء فلا يحببن ازالة شعرهن الذى هو لهن كالحلية فتبقى شعورهن كثيفة حتى يبلغن اثنى عشرة سنة وهو زمن بلوغهن فيجمعنها حينئذ ضفائر ويجعلنها حول رؤسهن فاذا تزوجن جعلنها فرعين وسدلنهما على اكتافهن

مساكنهم

ومساكن القلموق خيام اوخصوص اوانصاف خصوص متخذة من شجر الخيزران مسقوفة باللبد صالحة لتحمل الامطار والثلوج

اشغالهم

ثم ان القلموق يؤثرون حرية عيشتهم التنقلية وخصوصهم القابلة لأن تحمل معهم حيثما ساروا على جميع راحات المدن المنتظمة والعيشة الحضرية ويرون أن الصيد وتربية المواشى وعمل الخيام من انسب مايليق بالحر المولود فى الصحارى واما النساء فيشتغلن بامور البيوت وعليهن نصب الخيام ورفعها وتطقيم الخيول وسياستها واوقات البطالة

نادرة بالنسبة للنساء كما انها كثيرة بالنسبة للرجال وقد حاول الصينيون تعويد القلوق على الزراعة ولا زالوا يحاولون ذلك والظاهر انهم يتوصلون الى تعليمهم ذلك على وجه الصعوبة وقطرهم القحل وارضهم اليابسة جعلا هذه الاقاليم خالية عن اكثر الزراعات الخلائية او انهما يجعلان هذه الزراعات غير محققة النفع

لبن الخيل

ولبن الحجرات مقبول عندا غلب امم آسيا يؤثرونه على لبن البقر وهذا اللبن في حال حلبه يكون اشد سيالة من لبن البقر ولكن له طعم هين غير لذيذ يوذى ذوق الافرنج فاذا ارادوا تحميضه في آنية صالحة لذلك استحال طعمه الى الحموضة وصار كالنبيذ مقبول الطعم وقل أن يخرج منه قطرات من الزبد وللقلوق صناعة في اتخاذه شرابا مسكرا يسمى ارقا وان كان ضعيف الاسكار وقال بعضهم انه يسمى كوميس وليس الامر كذلك فان كوميس كلمة تتارية لاقلوقية وسنتاها لبن الخيل

واغلب قوتهم اللبن واللحم السمين لاسيما الصيد وذلك لانهم لا يدجنون الحيوانات الاهلية

صناعة

وهم يصطنعون اللبادات التي يغطون بها خيامهم ونساؤهم يجهزن الجلود للصناعة مع غاية المهارة ويصطنعن منها كثيرا من الادوات ويصطنع الرجال بانفسهم بعض اسلحتهم ولغة القلوق هي كلغة المغول مخالفة بالكلية للسان التتار بالنسبة للالفاظ والقواعد ويعرف منها اسماء اعلام هوينة وكثرة الالفاظ ذات المقطع الواحد تجعل لها شبها بلغة التبت والصين ولما كانت خالية عن حروف التعريف وعن اغلب الضمائر وحروف الربط والعطف وعن تقييد الافعال بالظروف كان يظهر

لسان

شعر

انها اشد الالسن احتياجا لغيرها وان كانت من اقدمها وجودا ويقال انها ذات ترنم يطرب عند سماعها ولها آداب واشعار ثم ان حكايات هذه الامم المشتملة على الشكوى والحزن تجد الفاظها محزنة مهولة كطبيعة ارض اهلها القاحلة المخور والسيول والحوادث السماوية تذكر فيها بجانب السير والمعجزات والكرامات التي تشبه ما يقوله الهنود وتجد ايضا في كتبهم نوادر صادقة القضايا تعجب جميع الامم * مثلا حكاية القبيلة الهاربة مبدوءة بهذه العبارة وهي قد ركدت مياه البحيرة الواسعة بعد نزح غضبها وزوال هيجانها فهكذا حالة تعكيرات الدنيا وذهولها الساكن انتهى وهؤلاء القبائل الرحالة النزالة عندهم اشعار كل قصيدة منها نحو عشرين قطعة اودورا فما فوق وهم يحفظونها وتتواتر عندهم بالنقل فينشدها بينهم منشدوهم فيصغون اليها ويتأملونها ويتعجبون منها غاية العجب وزيادة على ما عندهم من الكتابة المغولية المؤلفة من اربعة واربعين حرفا يجمعونها كالعمود لهم ايضا كتابة هندية تسمى الاوتكالك وهي مستعملة في الصيغ السحرية والفاظ الشعوذة الخارقة للعادة

قوانين سياسية

ثم ان الافرنج لكبرهم وجهلهم يرون أن امم آسيا الاحرار متوحشون مجردون عن الآداب والاحكام وفي الحقيقة خانات آسيا يظهر انها مثل ممالك الافرنج القديمة الالتزامية في الاعصر الوسطى وقد قسموا القلوق الى ثلاثة اقسام مختلفة وهم اشراف البلاد ويسمون العظام البيضاء وآحاد الناس وهم الرعايا الارقاء المستعبدون ويسمون العظام السوداء وامناء الدين وهم من نسل هذين القسمين ورجالهم احرار ونساء الاشراف يسمين باللحم الابيض ونساء الرعايا يسمين باللحم الاسود فالنسب يعرف بالعظم خاصة وشوكة خان تيدسا اى الامير الرئيس هي عدد رعاياه وعظمهم دون اتساع اراضيه فان اتساع الاراضي في تلك الجهة غير معتبر ورعية كل رئيس يقال لها اولوس وهي منقسمة الى اقسام يقال لكل منها ايماق وكل ايماق مؤلف من مائة وخمسين عائلة الى ثلثمائة وكل ايماق ايضا له رئيس يسمى سيسان ومعناه شريف فاذا كان ثم خان عظيم كان قائد الجميع الامراء دون غيره في الامور المهمة العامة المصلحة والميري الذي يؤخذ منهم انما هو عشر المواشي وغيرها من الاملاك ولكن في وقت الحصار يحضر جميع الرعايا راكبين خيولهم ويتمثلون بين يدي الامير فيطرد منهم من لا قدرة له على حمل مشاق الحرب وسلاحهم القسي والرماح والسيوف وقد يتسلحون بالاسلحة النارية والمقاتلون من الاغنياء يلبسون درعا من الزرد بحلقات متعشقة في بعضها كالزرد الذي كان يلبس سابقا في اوروبا الى القرن الخامس عشر من الميلاد

سلاح

دين

ودين القلوق وجميع الامم المغولية والمنجورية والتبتية هو دين دلاي لاما ورئيس دياناتهم يختارونه من امه السيفان الصغر التي ذكر الخواجة بلاس انها قبيلة من قبائل القلوق وسنتكلم في تخطيط بلاد التبت على هذا المذهب الديني وانما نقول هنا ان القلوق تحت طاعة مشايخ دينهم فيتبعونهم وتنفذ عليهم كلهم اكثر من مشايخ اديان من عداهم من اهل الارض فهم الذين يرشدونهم الى مصالحهم فلا يقدمون على شيء بدون مشورة كهنتهم الذين يزعمون انهم يسألون آلهتهم ويأخذون كثيرا من اموال هؤلاء الرعايا الذين هم اشبه بالبهائم ويعيشون ارغد عيش في الراحة والسعادة وهم مكلفون بعدم الزواج ما لم يسافروا والاساغ لهم أن يواقعوا صاحبة المنزل المضيفة لهم وسفرهم غالب كثير

واذا جاوزنا جبل بغدو خلنا ارض المغول الحقيقيين وفى وسط هذه البلاد ربوة باردة عقيمة وهنا تبتدى صحراء شامو المسماة صحراء كوبى وهذه الصحراء طولها خمسمائة فرسخ او اكثر وتمتد شعوبها الغربية والجنوبية جهة بلاد التبت وبخارى الصغرى وارض آمل وارض لوب وغيرها من الواحات الخصبة تتخلل هذه الصحراء وتقطع فى كل مسافة صورتها الهائلة وبها مروج على طول الانهر تجد بها كثيرا من اقاطيع الخيول المغولية تهيم وحدها واليها يأوى متوحشوا الجشطائية فينتقضون عليها بالسرعة ليأخذوا شيأ من اعشابها

صحراء كوبى

والاقاليم المجاورة للسد الاكبر الصينى تشبه من حيث قطرها بلاد ألمانيا ويظهر أن الاغلب فى ارضها الطين الطفلى وقد رأى الانكليز فى مدينة زيهول على حدود المغول فى عرض احدى واربعين درجة وثمان وخمسين دقيقة حرارة الشمال اشجار الحور الرجراجى والدردار والجوز والبندق ولكن تجد على الجبال اشجار الصنوبر صغيرة واشجار البلوط كبيرة معجزة والمغول الصفر المسمون شرا مغول يسمون فى تلك البلاد بخطأ الكلكا المسمين بالمغرس السود فانهم يسكنون الاقاليم التى بشمال الصحراء الكبرى وهذه الاقاليم المجاورة لبلاد سيبر مجهولة الحال الا ما ندر منها وكلام بلاس وسوفولوف وبطرين يقتضى أن دورية الروسية ذات حر عظيم وجبالها التى ليست بالكبيرة ولا الصغيرة مستورة بغابات ظريفة من اشجار الصنوبر والبتولا والدردار وشجر الحور بخلاف سهولها فان بها مراعى كثيرة من المواشى وتصلح لزراعة عدة انواع من الغلال فبالقياس على ذلك يمكن أن يؤخذ بالحدس والتخمين أن دورية الصينية وبعض اجزاء شمالية من بلاد المغول ذات قطر شبيه بقطر دورية الروسية وتولدات شبيهة بتولداتها وكان مجد أسفار الارسالية الموسقوبية الاخيرة فى تلك الجهة فى وسط الشتاء ثم انتهى سفرها بعد أن سارت ثلثمائة ورستة (اى نحو سبعين فرسخا من الحدود) فتفهم من هذا أن البلاد ذات سهول تحفها وجبال وعرة كثيرة الاشجار غالبا ويكثر فيها الخنزير البرى والايل والايلان ولا يعرف فيها غير ذلك وثم جبل مقدس عند المغول يقال له خان اولا يعنى الجبل الملوكى وعليه كثير من الهياكل والمقابر وقد ظن بعضهم أن المعادن التى يستخرج منها الصينيون القصدير توجد فى هذه البلاد ولكن من المحقق أن الصينيين نصبوا مسابك الحديد بقرب بحيرة اروا على خمسين ورستة من كياكا ونحجوا فى ذلك

بلاد شرا مغول

بلاد كلكا مغول

جبال

ونهر هونغو يخترق جزأ من بلاد المغول الجنوبية وفى الجهة الوسطى وعلى الشرق كثير من الانهر الصغيرة التى تنبض على الرمال وفى الشمال نهرا سلنغا واورشون يصبان فى بحيرة بيكال بخلاف نهرى كرلون واونون فانهما يتعاونان على امداد نهر امور العظيم الذى ينزل فى بلاد المنچو

نهر

وفى سفح جبال بغدو بحيرة عظيمة تسمى كوسوغول وثم ايضا غيرها من البحيرات الواسعة وقد خطط مرقبول بحيرة قينغا التى يظهر لنا انها بحيرة اتساهان او اتساهان نور وقد كان للخان الاكبر بيت للنزاهة على شطوط هذه البحيرة وكانوا يشاهدون فيها حيوان العلجوم والكركى والحجل والسمان كثيرا ولكن لشدة البرد لا يأتى اليها الخان الا فى الصيف

بحيرة اتساهان

وقد ظن بعض المؤلفين أن هذا الاقليم كان سابقا مشحونا بالمدن العظيمة ولكن الاظهر والاقوى أن المغول لم يكونوا سابقا ارباب عدد كثير من الناس ولا ثروة وافرة ولا ارباب صناعة بحيث يبنون مدنا يصدق عليها اسم المدن حقيقة بل الظاهر أن مدينة قراقروم المسماة باللغة الصينية هولين كانت دار سلطنة المغول وأن بناءها ليس الا بالطين والخشب والظاهر ايضا انها كانت دار الاقامة فى الصيف كما هى الآن مدينة زيهول التى تاق فيها سلطان الصين رسولا من طرف الافرنج يسمى مقرطينية ومدينة زيهول بها سراية عظيمة على منوال مبانى الصين وبها ايضا بساتين عظيمة واسعة وبعض هياكل لعبادة الاصنام وكثير من الخصوص الرديئة فجميع هذا اذا هجر واهمل يزول فى اقل من مائة سنة فلا عجب اذا بحثوا من غير طائل عن آثار مدينة قراقروم التى هى على كلام دنويل واقعة على نهر انغوى مورن فى نحو اربع واربعين درجة من العرض ونحو مائة واربع درجات من الطول ولكن كلام الخواجة فيشر يقتضى انها واقعة على شطوط نهر اورشون وانها على مائة درجة وواحدة من الطول وعلى سبع وثلاثين درجة من العرض ثم ان امراء مغول كلكا واخبارهم كانت اقلقتهم منذ قليل بمعسكر يسمى اورغا على ثلثمائة ورستة من كياكا الواقعة على نهر توولا وقد تغير هذا المعسكر فجعل مدينة وسموه قيرة وليس بها الا هياكل ومساكن لامناء دينهم وبيت نائب ملك الصين وكلها مبنية بالخشب وما عدا ذلك كله خيام الى الآن

قراقروم

قيرة

ومدينة ميماچين مدينة صغيرة على طرف حد الروسية وهى قاعدة التجارة مع كياكا وكذلك مدينة ناون ذات بيع وشراء واقعة على مسيرة شهر فى الجنوب الشرقى من البوسطة الروسية المسماة زوروشيتو على نهر ارغون

مدن اخر

وتجار هذه المدينة يأتون الى ناون مسلحين بالقسى والسهام ومعهم القشة جيدة الصفة ولغة اهلها ليست صينية ولا مغولية

المغول بنيتهم

ثم ان المغول كالقلموق وجوههم مسطوحة واعينهم صغيرة مائلة وشفاههم غليظة واذقانهم قصيرة قليلة الشعر وآذانهم عريضة ناتئة وشعورهم سود مقوية للونهم الاسمر المائل الى الحمرة والصفرة الا أن المغول اعظم تحضرا من القلموق بسبب اقامتهم فى قديم الزمان كثيرا فى بلاد الصين فلذلك كانوا اشد تطرقا واكثر قابلية للتأدب واعظم كرما ونشاطا واقوى ميلا للشهوات واللذات ثم ان روسية دورية يرون أن النساء المغولية اكثر نسلا وولادة من نسائهم

دين

كما انهن اكثر ثمرات الصناعة والسرور والبشاشة ثم ان كتب دين المغول مكتوبة بلسان التنغوت اوالتبت وفى كل ايماق معلم مرتب ثم ان اللاماوهم امناء دينهم وكذلك رؤساؤهم يلقبون بلقب خوطقتو وهم على غاية من الاحترام والتعظيم عندهم ايضا من طرف دلايى لاما الاكبر الذى هو رئيس دين المغول

طريقة المعيشة

وتعتد الزوجات وان دنى خصا عندهم الا انه قليل ويتزوجون وهم صغار السن والنساء يصدقن الرجل بالمواشى او خصوص الغنم وعندهم نار مشتركة فى وسط الخيمة وفى الصحارى فيتدفئون على اروث البقر اليابسة وخيام اعيانهم مفروشة من داخلها باقمشة الحرير واسرتهم مفروشة بالسجاجيد العجمية وترى فى مساكن اعيانهم آنية القصدير والفضة والصينى واما خيام الرعاع فانها متخذة من صنف من اللبد وقد يسكنون فى بعض الاماكن هياكل صغيرة حولها خصوص وعشش لاماء دينهم

ملابس

ويحلقون رؤسهم ولا يبقون منها الا خصلة من الشعر ويلبسون طربوشا احمر مسطوحا لاسيما عند مغول شرا ويلبسون سراويل عريضة وعناتر خفيفة ضيقة الاكمام ويحتزمون بحزام ليمسك السيف والسكين وسائر ما يلزم لشرب الدخان ويلبسون من فوق ثيابهم الجوخ ويجعلون اكمامه واسعة ويلفون ارجلهم بقماش من الكتان ويلبسون فوقه الجزمات من الجلد وهى فى العادة سوداء اوصفراء وزينتهم لا تصل الى استعمال القمصان ويغتذون باللحوم ويخلطونها فى بعض الاوقات بالخضراوات ويشربون فى العادة الماء ويحبون الالبان والسمن والكوميس ولكنهم الآن تعلموا شرب العرقى وماء العسل ولاسيما شراب الشاى ومواشيهم هى الخيل والابل والبقر والغنم والمعزونساؤهم يدبغن الجلود ويقلعن الاعشاب المأكولة ويجهزن ما يدخر للشتاء فيملحن ما يحتاج للتمليح وييبسن ما يحتاج للتيبيس ويقطرن شراب الكوميس وهو روح لبن الخيل والرجال يصطادون انواع الحيوانات والطيور العديدة التى تكثر فى تلك الصحارى الواسعة فاذا اراد المغول السفر انتجعوا نعما كاملة فى جلودها فيسلخون اولا الجلد بتمامه كالكيس ويملؤنه بالماء ويضعون فيه اللحم مجردا عن عظامه ويضعون فيه ايضا على التوالى بعض احجار محمرة فينضج اللحم بالكلية ويكون مرقه عظيما

طبخ غريب

سير هؤلاء الرحالة النزالة

فاذا اشرفت المراعى على الخلاص رأيت جميع القبائل يرفعون خيامهم وهذا يقع فى السنة من عشر مرات الى خمس عشرة مرة ففى الصيف يتوجهون جهة الشمال وفى الشتاء جهة الجنوب فتجد محفلا عظيما مؤلفا من المواشى والرجال والنساء والاطفال ووراء هذا الموكب بنات يغنين بالاغانى الموزونة وملاعب هؤلاء القبائل الهائمة كثيرة الحظ والسرور وهى ميدان المسابقة على الخيل حتى ان بناتهم يجدن رماحة الخيل فتجد اصوات الاغانى مصحوبة بالآلات كالمزامير وغيرها وبالمصارعات وهذه الاغانى متعلقة باختراعات ظريفة ومملوءة بعجائب الاحدوثات التى تحكى عن فحول الرجال الا أن انغام اصواتهم خشنية غير مقبولة ولعب الشطرنج هو اللعب الممدوح عندهم وحيث الملوك والامراء وكبار مشايخ دينهم تحرق فى محفل عظيم ومقابرهم فى العادة يحدق بها اسوار مزينة بعصى عالية عليها الوية مضحكة

الالعاب والاغانى

زواج الاموات

وقد ذكر مرق پول لهم عادة ناشئة عن الاوهام والوساوس ولا يعرف هل هى باقية الى الآن عندهم ام لا وهى انه اذا فقد عائلتان صغيرين عزيزين مختلفين بالذكورة والانوثة جعلوا بين روحيهما عقد زواج يسمى زواج الاموات وهذا العقد يشهر عند مقابر الصغار كالموسم وبه تقع المصاهرة والمحبة بين اقارب هذين الصغيرين كأن بينهم لحمة ونسبا

ثم ان المغول وان كانوا دون القلموق فى البدع والاوهام الا أن لهم عبادة ظاهرية يظهر اثرها اكثر من القلموق وذلك انهم يدينون هياكل بعضها من الحجر وكتبهم اكثر من كتب القلموق ولهم غير كتابتهم العادية نوع كتابة اخرى يقال لها اقشار جاءتهم من امة التنغوت وحروف هجائهم المعتادة ثمان وتسعون علامة بعضها يدل على مقاطع ومخارج كاملة ويظهر أن اغلب هذه الحروف مستعارة من حروف الويغور واللسان المغولى غير معروف جدا وهو عين لغة القلموق التى ذكرناها آنفا

كتابة وحروف هجاء

دولة وسياسة

وخانات المغول الجنوبية هم جميعا تحت حكم سلطان الصين يدفعون له مع ياسنويا ويأتون الى ديوانه خاضعين اذلاء

واما

واما خانات الكلكا وهم العول السود فليس عليهم ميرى بل يعطيهم سلطان الصين جامكية هينة والظاهر أن سبب ذلك كونهم كالثغور والرباطات يحفظون البلاد من غارات الروسية ثم انه ينبغى لنا قبل تتميم تخطيط التمدن الناقص الغريب عند امم المغول أن نقول انه من سنة ١٦٢٠ مر الميلاد وضع المغول كتاب قوانين كاملا عليه خاتم اربعة واربعين ما بين امير ورئيس وقصاص اغلب الذنوب فى هذا القانون المغارم وفيه ايضا ان جميع ما يصنعه الرعايا من الاشياء المفيدة النافعة يعطى لهم فى نظيره جوائز وتحف وكل من منع اللبن عن المسافر عوقب بدفع غروف وفيه جواز الاختبار بالنيران لاقرار المدعى عليه وكذلك الايمان التى يضمن بها الاعلى تزكية الادنى وهذه الاحكام كانت سايقا بلاد اوربا فى الاعصر الوسطى

قوانين

(المقالة الحادية والستون فى تخطيط اسيا)

وبلاد المنجورية وبحيمجزيرة كورة اوقورة

لائحة اجمالية تتعلق ببلاد المنجو

المنطقة الوسطى فى آسيا تنتهى ببلاد المغول وسلسلة جبال سيولكى والانهر لاتنعطف اصلا على سهول مرتفعة وانما تنعطف الارض من جهتيها وهما جهة بحر اوختسك وجهة البحر الاصفر ونباتات الاقطار المعتدلة واشجارها تشرع فى الظهور بعد أن كانت قد خفيت لكن فى الشرق سلسلة جبال شاهخة على حافات شطوط بحر كورة ممتدة فى داخل البحيمجزيرة وهى تعادل بارتفاعها واتساع غاباتها الآثار النافعة المتولدة عن حر الشمس وذلك لان هذه الجبال وان كانت ذات عرض كعرض فرانسا وايطاليا الا انها عرضة للشتاء الطويلة الباردة ولكن الاقسام الوسطى التى تسقيها انهر امور يجب أن تحفظ كما هو الظاهر بقطر احسن من ذلك واما كون الزراعة لا تعظم فيها فماذا الا الاتكاسل اهلها وجهلهم فالجزء الذى على البحر الاصفر وهو اقليم لياوتنغ يظهر أن حره شبيه بحر ألمانيا وفرانسا الشمالية

جبال

والجبال التى حول زيهول ليست مرتفعة جدا وليس بها شئ من سلاسل الجبال المنتظمة الشكل وانما منظرها كمنظر امواج البحر المضطرب وهى مركبة من طفل صلب مختلط بحصى ولا مانع من أن سلسلة الجبال العالية التى تحافة بحر التتار منفصلة عن الجبال الوسطى باسيا وفى الشمال جبال استنوا لها عدة فروع ممتدة جهة شطوط نهر امور ولكن لا يعرف شئ بالنسبة لطبيعتها وعلى هذا الساحل يتجمد الماء ويقع الثلج فى اثناء شهر سبتمبر الافرنجى

نهر امور المسمى سغالين

ونهر امور يخرج فى بلاد المغول من جبل كنتة ويسمى اولا نهر اونون ثم اذا كثرت مياهه يصب نهر انغادا فيه قريبا من نرچنسك يسمى امور هذا هو رأى الجغرافيين الصينيين واما الروسيون فيسمون هذا الفرع المجتمع باسم شلكا * ونهر شلكا اذا غزرت مياهه بمياه نهر كرلون الاكبر يسمونه نهر امور ونهرا شلكا وكرلون متساويان فى المجرى والحجم تقريبا ونهر امور يسمى عند المنجو والمنغوزة سغالين اولا وهو يتلقى جهة الجنوب نهرين عظيمين وهما سنجارى اولا الذى يسمى عند الصينيين شنتيچيان ونهر اوزورى ويقال اوسولى ويسميه الصينيون بهذين الاسمين وهو يصب فى بحر اوختسك صانعا جونا عظيما مسدودا فى الشرق بشطوط جزيرة سغالين ويتصل فى الجنوب ببحر كورة المسمى بوغاز التتار واتصاله به انما هو بواسطة فرجة ضيقة والحشائش البحرية تخفى مصب هذا النهر بعض خفاء ولما كان عميقا ساكنا كان ركوبه سهلا خلوه عن الصخور والمخاضات وشطوطه محفوفة بغابات عظيمة ثم ان الروسية يتكون كثيرا من خانة الصينيين وذلك انهم سنة ١٦٨٩ من الميلاد اخذوا من ايدى وكلاء الروسية بغتة بطريق القهر والغلبة الجزء الاسفل من ذلك النهر العظيم الذى لا بد منه لكل من استولى على سيبير الشرقية مع أن قوزاق الروسية غرسوا باسفل هذا النهر فيما سبق راية الروسية علامة على انهم تملكوه

تقسيمات صينية

وبلاد المنجورية التى خططها جغرافيو اوروبا على وجه مختلف خططها جغرافيو الصينيين على وجه واضح فجميع اقليم المنجورية هو ولاية شنجين ويقال شين يغ وهى منقسمة الى ولايتين صغيرتين احداهما ولاية فتتين وتسمى ايضا لياوتنغ وهى فى الجنوب على البحر الاصفر والثانية ولاية منجو على نهر امور وبحر كوره

اقليم لياوتنغ

واقليم لياوتنغ خططه السلطان كيان لنغ فى كتاب يسمى مدح الموكدين وهو كتاب هين باردبالنسبة لاشعاره الرائقة نافع بالنسبة للجغرافيين وعبارته فى مسافة ١٠٠٠٠ لى (وهو تقريبا عشر فرسخ افرنجى) توجد جبال متتابعة ووديان متتالية واراض محلة ومسقية وانهر عظيمة وسيول مهولة وغدران لطيفة الانعطاف ورياض نضرة وغابات لا تصل اليها اشعة الشمس وجبل الحديد والجبل المطرز يظهران على بعد عظيم وعلى الجبل المطرز بركة ماؤها لا يزيد ولا ينقص ابدا اتهمت وقد ذكر هذا السلطان الشاعر من جملة اشجار هذه البلاد شجر الراتينج المسمى بالتنوب وشجر السرو وشجر الصنط وشجر الصفصاف والمشمش والخوخ والتوت * وحبة الحنطة تضاعف فيها بمائة حبة ورياضها قابلة لنبات القيصوم وهو صنف من الشيبة وكذلك النبات المسمى حبق راعى ولكن هذان النباتان يزرعان فى البحارى وكذلك نبات يسمى چنسنغ يخرج فى جميع الجبال ومعنى اسمه ملك النباتات وقد قال فيه بعضهم ان الانسان لو كان قابلا للبقاء لجعله هذا النبات باقيا ومن الحيوانات الموجودة بتلك الجهة النمر كما ذكره كيان لنغ وقال انه غير مخوف والظاهر أن مراده بالنمر الاسد الذى لا بديل له المرسوم فى كتاب يوهوف وذكر ايضا نوعا من النمورة والظاهر أنه من النمورة الصغيرة وكذلك الخيل الوحشية ونوعان آخران من النمورة الصغيرة وقط الزباد وحيوان السمور

اشجار

حيوانات

وكلابهم قليلة النبح نهارا والظاهر أنها من جنس كلاب سيبر والسمان عظيم بين طيورها الكثيرة التي تعمر مزارعها وغاباتها وشطوط نهرها والسمك العظيم المسمى اوسترجون الملقب بسلطان الاسماك وكذلك غيره من انواع الاسماك العظيمة يقتات به قبائل كاملة وصدف اللؤلؤ عظيم هنالك ويزاد على ما ذكرناه الحديد والشب

مدن ومدينة موكدن

ومدينة موكدن المسماة باللغة الصينية شين يتغ كانت قبيل فتح الصين دار اقامة آخر ملوك المنجو الملقبين بالشوندى اوالجوندى وبها عدة دهاكل لاسيما الهيكل الذي يتعبد فيه ملكهم وحده، اول يوم من السنة وهذه المدينة مضروب عليها سوران محيط الخارج منهما يزيد على اربعة فراسخ ومدينة لياويتغ هي ايضا مدينة عظيمة

اقليم منجو

وباقليم منجو الذي يخرج منه النحاس والحديد والشب واللؤلؤ، الفرا مدينة متوسطة تسمى مدينة منجو وكذلك مدينة يتدن المسماة باللغة الصينية صين الصين (ويقال لها صينية) وهي محل اقامة امراء المنجو في قديم الزمان وقد بنى لهم ذواريهم مبانى عظيمة ولا يعرف الى الآن محل هذه المدينة حقيقة وهنالك ايضا مدينة ونلين وهي اعظم مدن تلك الارض ومدينة نين عوتا وهي بندر ولاية عسكرية خاصة بالعساكر واما مدن اتزيجاكار ومرغن وسغالين اولا فهي قلاع صغيرة مرسومة على خرطات دتويل

يوبى قبيلة غلياكى

واسم يوبى يدل على صيادى السمك الرحالة النزالة وهم اهل الساحل الشرقى الذي شاهد بعض محاله لاپيروزة قليل الحظ فوجد اهله فقراء اخيارا خالين عن المكر * والمعروف من اسماء هذه القبائل قبيلة غلياكى التي تشغل شطى نهر سغالين عند مصبه وهو نهر امور وكذلك قبيلة تنكى اواچانى ومبدؤها واقع على اربعة عشر يوما من سفر البحر صعودا واهل هاتين القبيلتين يلبسون فى الصيف جلود السمك وقبيلة التنكية تجر العربات بالكلاب واما قبيلة غلياكى فانها على ما يقال تستعمل فى جر العربات دببات مؤلفة

لائحة تتعلق بالساحل الشرقى

واغلب الساحل الشرقى من بلاد المنجو على ما يقتضيه كلام لاپيروزة صحراء خالية عن العمران وتجد فى جميع ارجائه نباتات ظريفة تذكر ملاعى الفرنساوية بغاباتها وطرقها الظريفة التي بعدوا عنها وعلى الجبال الشاهقة تمتد فروع البلوط واغصانه ويخرج الصنوبر كأنه هرم اخضر وفى سفحها تجد اشجار الصفصاف تمتص مياه الانهر واشجار البتولا والاسفندان وشجر الزعرور تهتز من هبوب الرياح والزنبق والورد والسوسن تعطر المروج وبالجملة فتجد هذه البلاد كاوربا زمن الربيع وازهارها كازهارها لكن لا يوجد من الآثار ما يدل على تاريخ ابتداء الزراعة فيها ولا ما يدل على انه كان بها اناس يسكنون شطوط هذه الانهر وانما كانت معمورة بالدب والايل اللذين خفنا مسالك فى خلال الاعشاب العالية التي تبلغ فى الارتفاع اربعة اقدام وانما هنالك مقبرة وبعض آلات لصيد السمك تدل على أن قطاع الطرق من تلك القبائل يأتون بعض الاحيان من داخل هذه البلاد لصيد السمك الذي يكثر فى مصاب الانهر فمن الغريب وجود صحراء مطلقة خالية وقابلة مع ذلك للزراعة واقعة على ابواب سلطنة الصين القديمة التي لكثرة اهلها وشدة عمارتها يحدث فيها بعض الاحيان جدب وقحط عظيم ومع ذلك لا يخرج اهلها منها الى هذه الصحراء ثم ان بحر پاپونيا الذي يتصل بهذه السواحل يقذف اليها كثيرا من المروح السابحة على وجه الماء من الاعشاب البحرية فتجد الملاح ينزع من ذلك غالبا ظانا منه أن سفينته قد جذبت بارض جديدة ويرى أى له انها خارجة من المياه التي خفيت عن بصره بهذه الارض ويشاهد غالبا فى الضباب المنتشر الذي يحاصر تلك البلاد خيالا زجاجيا شاسعا عن صورة السواحل المرتفعة المبسوطة من غير أن يكون له حقيقة فاذا قرب منه ظن أنه يمكن أن يرسو عليه فاذا هو يذوب ابخرة ويتصاعد فى الهواء

الحشائش البحرية

خيالات زجاجية

اهل

وبلاد المنجو كلها على ما قاله جغرافيو الصين سبعة واربعون الفا ومائة واربعة وعشرون فلاحا يدفعون الميرى والخراج والظاهر أن هذا العدد بالنسبة لغير اهلها المتأصلين وانما هو كما يظهر عدد اهل القبائل المبعوثين من الصين وهذه البلاد تقوم بمؤنة عشرة آلاف من عساكر المنجو

منجو قبائل مختلفة

والمنجو من صنف عظيم يسمى التنغوزة عند الروسية والتتار وان كان يسمى فى لغته اوون والدورية من المنجو الا انهم مختلطون بالمغول وثم عدة قبائل كالدوچرية على شط نهر امور جهة وسط مجراه وكقبيلة السولون على نهر ارغون وغير ذلك وهذه القبائل لا تمتاز عن بعضها الا بيسير القدن فهى متفاوتة فيه وكان المنجو يسمون سابقا باسم نيوچة وفى ايام شهرتهم بهذا الاسم استولوا قبل القرن الثانى عشر من الميلاد على قبائل اللوآوس المسماة ايضا خيتان وكانت خيتان قبل ذلك سيدة النيوچة فكانت النيوچة تدفع لها الميرى وكانت النيوچة ايضا تسكن اقليم موكدن وفى سنة ١١١٥ من الميلاد غارت النيوچة على شمال الصين فاسس امراؤهم الدولة المسماة دولة كين ومعناها دولة الذهب ثم لما زالت دولة النيوچة وهزمها المغول رجعت

الى جبالها المتوحشة ثم خرجت ثانيا من هذه الجبال سنة ١٦٤٠ من الميلاد واشتهرت باسم منجو وشرعت فى فتح بلاد الصين بتمامها فاستولت عليها فصار اهل الصين تحت طاعتها الا أن طاعة الصينيين لهم كانت مشوبة بالعداوة فمن ثم كانت متقطعة بفتن جزئية وخروج عن طاعة الدولة زمنا بعد زمن

ثم ان المنجو عرفوا الزراعة بل ولهم كتاب فى الاحكام والسياسات قبل اخذ بلاد الصين وتوسيعهم البلاد وامتداد شوكتهم وعظمهم اشر بيلادهم لان احسن عشائرهم هربوا الى بلاد الصين وتركوا بلادهم الاصلية

دين

وكلام قسيسى الافرنج يقتضى أن المنجو ليس لهم هياكل ولا اصنام وانما يعبدون الها واحدا قادرا يسمونه ملك السما ولكن دينهم الذى ببلاد الصين يقرب من دين الخمانية او الشمانية ثم ان ببلاد آسيا الوسطى ثلاث امم عظيمة منهم امة المنجو وهى دون غيرها تقرب من حالة التمدن لاسيما منذ فتوح الصين وتقدمهم فى التمدن لازال فى الزيادة لان آخر ملك من ملوكهم امر أن اعظم كتب الصين يترجم الى لغة المنجو وهذه الامة ذات شكل وبنية اقوى من شكل الصينيين الا أن تقاطيعها دون تقاطيع الصينيين فى الايذان بالجمالة والحسن وارجل نساء المنجو ليست مشوهة كأرجل نساء الصين ويسترن رؤسهن بالازهار الطبيعية والمصطنعة وثياب المنجو كثياب الصينيين فى الغالب

لغة

ثم ان الالسن الثلاثة وهى لسان المنجو ولسان التتار ولسان المغول يخالف بحسب الاصالة بعضها بعضا فقد الف الخواجة لنغليس قاموسا فى لغة المنجو ذكر فيه أن تلك اللغة هى اكثر لغات التتار معارف واكملها علوما من غير استثناء للغة التبت وان كانت هذه اللغة لم تدون الا فى اوائل القرن السابع عشر من الميلاد فانه فى هذا الوقت امر سلطان المنجو العلماء أن يرسموا صورة الحروف على مقتضى قواعد المغول فخرجت حروف هجاء المنجو وكانت عبارة عن الف وخمسمائة مجموع من المقاطع وقد شرع الخواجة لنغليس فى ترجيعها الى تسعة وعشرين حرفا واغلب تلك الحروف له ثلاثة اشكال باعتبارات مختلفة وهى وجوده فى ابتداء الكلمات وفى اوساطها وفى اواخرها

حروف الهجاء

وليس اغرب مما فى هذه اللغة هو كثرة الكلمات الدالة على حكاية الاصوات ولا كونها الين اللغات حيث انها لا تقبل ابدا الا حرفين صحيحين ساكنين متواليين من غير توسط حرف علة او حركة ولا كثرة الحروف التى ترتبط الكلمات بعضها ببعض وتقيد المعانى ولا كثرة تصريف الافعال كاللغة العربية والعبرانية فان هذه الصفات لا يشتغل بها الا ارباب العلوم اللغوية وانما فيها نادرة تعد من مبحث تاريخ هيجان الامم ومهاجرتهم لا بأس باير ادها هنا فنقول ان لغة المنجو التى هى الآن مسلطنة فى الطرف الشرقى من غرب اوروبا تشتمل على كثير من الاصول المشابهة لاصول اللغات الافرنجية وليست هذه الكلمات التى هى محل المشابهة مما يتعلق بالفنون حتى يقال انها جاءتهم من اسرى التمساوية الذين جلبهم المغول الى آسيا وليست ايضا كلمات من حكايات الاصوات ونحوها حتى يقال ان تشابهها جبرى فى كثير من اللغات وانما هذا التشابه واقع بين لغة المغول ولغة الغوثة او الغوطة الجرمانية او اللاطينية اليونانية وقد اسلفنا أن هذه اللغات تشابه ايضا لغة الهند القديمة ولا شئ من لغة المنجو يظهر انه شبيه بلغة السلتية او القلتية وهم قدماء الفرنساوية ولا بلغة الصقالبة وانما لها بعض شبه بلغة السرماطة او اللتوانية بل ولها ايضا شبه بلغة الهند الجرمانية وهذه الاصول المشتركة بين لغات مفترقة منعزلة اصحابها متباعدة بلادها جدا تدل على أن المنجو اصلهم من نواحى العجم والهند

تنبيهات تتعلق بلسان المنجو

كورة

وبين جزائر ياپونيا وبلاد المنجو تمتد بحيمجزيرة كورة التى تتصل شرقا ببحر ياپونيا وغربا بالبحر الاصفر المسمى جون بكين ولا مانع أن هذه الارض يبلغ طولها مائتين وثلاثين فرسخا الا أن ثلث هذا الطول يوجد خارج البحيمجزيرة الحقيقية وعرضها من الشمال والجنوب يبلغ تسعين فرسخا فاكثر الى مائة الا أن المحل الذى تبتدئ منه هذه البحيمجزيرة ابتداء حقيقيا لا يكون عرضها فيه الا من ثمانية واربعين فرسخا الى خمسين فليست بحيمجزيرة كورة اقل من ايطاليا اللهم الا شيأ يسيرا

جبال

وبهذه البحيمجزيرة من مباحث الجغرافيا الطبيعية سلسلة جبال عالية تمتد من الشمال الى الجنوب ويترأى انها تتصل بجبال المنجو فاذا دخلنا تلك البحيمجزيرة رأينا هذه السلسلة تمتد على ساحل بحر ياپونيا بالقرب من ذلك الساحل والاقليم المتوغل جهة الشرق يسمى كانغيون يعنى ارض العيون والمهبط العام لتلك الارض هو فى جهة البحر الاصفر والسواحل والجزائر التى بقربها هى كثيرة الصخور يصعب القرب منها ومن المعروف فى بحيمجزيرة كورة نهران

انهار

كبيران احدهما يسمى يالو والآخر يقال له تومن فالاول يصب فى البحر الغربى والثانى فى البحر الشرقى وكلاهما فى الشمال خارج البحيمجزيرة الحقيقية وهما يخرجان من جبل واحد مرتفع جدا يسميه الصينيون شنغ يشن والمنجو يسمونه شن اليا يعنى الجبل الدائم البياض

قطر

ثم ان كورة وان كانت مساوية لايطاليا فى العرض تقريبا الا أن قطرها بارد جدا ويقال ان سبب ذلك هو ما بها من الجبال وقال بعضهم ان الجزء الشمالى ينزل فيه الثلج بكثرة بحيث يلزم حفر طرق تحته للذهاب من بيت الى آخر ولكن الارض خصبة حسنة الزراعة ومن معادن تلك البلاد الذهب والفضة والرصاص والحديد والطوباز والملح الاندانى

معادن

حيوانات

واما الحيوانات المشهورة بها على ما قاله ريجيس فهى الخنازير الوحشية والدبات وحيوانات السمور (جهة الشمال) وكلاب البحر وثعالب الماء وحيوان الايل وتكثر فى انهرها الاسمالك وبانهرها ايضا على ما قاله الخواجه هامل الذى زعم انه اقام بها تسع سنين حيوان القيمان وهو نوع من التمساح يبلغ طول الواحد منه نحو ثلاثين قدما الى اربعين وقد سمع القسيسون المبعوثون الى تلك الجهة أن بها دجاجا طويل الاذناب والظاهر انه نوع من الديوك البرية وبها خيل ارتفاعها ثلاثة اقدام فقط

نباتات

وبجبال الشمال مستورة بغابات واسعة لايخرج منها الا الشعير وعرق الجنسنغ الذى هو عظيم عند الصينيين والاقاليم الجنوبية بهذه البحيمجزيرة كثيرة الارز والذرة وقمح البانيس (الذى يستخرج منه النبيذ) وبها ايضا القنب والدخان واللبمون والحرير وثم شجرة شبيهة بالنخل يخرج منها صمغ يكون الطلاء به كالتذهيب فى اللمعان

اسماكورة

والاسمان الحقيقيان لبحيمجزيرة كورة هما كاولى وهو اسم قديم باق الى الآن ومتداول على الالسن وجاوسين وهو اسم جديد يستعمل فى اصطلاحات الدولة ومخاطباتها وكلاهذين الاسمين مأخوذ من اسم الدول التى حكمت هذه البلاد

اقاليم

وهى منقسمة الى ثمانية اقاليم اقليم كنغ كى فى الوسط واقليم ينغ انغان واقليم هوانغ هاى واقليم چوصين وهذه الثلاثة على البحر الغربى واقليم تسون لو فى الجنوب واقليم كين هان واقليم كينغ يوون واقليم هين كنغ على البحر الشرقى وهذه الاقاليم مشتملة على اربعين مصرا عظيمة وثلاثة وثلاثين مدينة من الدرجة الاولى وثمان وخمسين من الدرجة الثانية وسبعين من الدرجة الثالثة

مدن

ومنظر المدن التى فى كورة هو كمنظر المدن الصينية وانما يوتها مبنية بالطين من غير صناعة وليس فيها راحة ومرافق لساكنيها وتجد البيوت فى عدة اماكن مبنية على اوتاد واشواح فى الارض تكون كالاساس وبيوت الاكابر ذات منظر اعظم من ذلك ويحدق بها كثير من البساتين الواسعة ومن مدنها كنغ كى تاءو فى اقليم كنغ كى وهى قاعدة هذا الاقليم ودار اقامة الملك والسور العظيم الذى اقامه اهالى كورة لحماية وطنهم من غارات المنجو تهدم وصار خرابا ثم ان تعدد انكسار المراكب عند جزيرة كاپايرت جعلها شبيهة وهى منفصلة فى الجنوب من بحيمجزيرة كورة

اهالى كورة بنيتهم وصفاتهم

ثم ان اهالى كورة ارباب قدود حسنة الخلقة وسحنتهم لطيفة واخلاقهم مهذبة وهم منذ اعصر فى اسر الغرباء فلذلك اعترتهم عيوب الاستعباد فيهم الآن منهمكون على الشهوات وكذبهم كثير وهم ارباب جبن ومعتادون على الغش والسرقة حتى ان الصينيين قد يقعون فى اشراك غشهم واذا اقذفت الرياح الشديدة السفن على ساحلهم اخذوا من بها من المسافرين اسرى وهذه العادة كثيرة عند اغلب الخشنيين لخوفهم

والامراض الوبائية تجبر اهالى كورة على انهم ينقلون المرضى الى الخلاء ويتركونهم من غير أحد يتعهد امورهم وهذه عادة جارية عندهم

عوايد

والزواج بين الاقارب محرم عندهم الى الدرجة الرابعة ويزوجون اولادهم فى سن سبع سنين او ثمانية وتقيم الزوجة فى بيت الزوج ويجوز عندهم تعدد الزوجات ولكن لايجوز للرجل أن يدخل فى بيته الا زوجته الاولى والظاهر أن النساء فى كورة كما فى الصين يسكن فى مساكن خفية لايراهن احد من الاجانب

واجسام اعيان الناس تختص دون غيرها بعد الموت بأن تحفظ ثلاث سنوات فى تابوت قبل أن تدفن ومقابرهم على الجبال ويدفنون بجانب الميت سلاحه وآلاته وجميع ما كان يستعمله فى حياته هذا ما جرت به عادتهم

لسان وعلماء وغير ذلك

وقد نقل الصينيون الى كورة فنونهم وعلومهم ولغاتهم وعلماء كورة طائفة مستقلة تمتاز بريشتين معلقتين فى قلنسوة الانسان ويمتحنون عدة امتحانات كما فى الصين ومعرفتهم مقصورة على آداب كنفوسيوس وهم يستعملون اللسان الصينى وحروفه واما العامة فلغتهم مغايرة جدا لذلك اللسان وهى كافية المنجو فى كونها احروف هجاء خاصة ويكتبون بقلم متخذ من شعر الذنب ويطبعون كتبهم بواسطة اشكال وصور من الخشب ولسان اهل كورة معروف

قليلا فلا يمكن تحقيقه واعتباره وهو مشتمل على كلمات من لغة الصينيين وكلمات من لغة المنجو واغلب كلماته لا يظهر انه من احدى اللغتين فهل لغة كورة مجاورة للغة اهل جزائر يسو وكوريلة اوأن بحيث جزيرة كورة وجزيرة ياپونيا كان لهما لغة متأصلة وكان اهلهما امة متأصلة قبل نزول قبائل الصين والمنجو عندهم وجواب ذلك موقوف على من يسافر من السياحين الى تلك الجهات فى المستقبل فيستقصى الاخبار ويتتبع الآثار

دين ثم ان فلسفة كنفوسيوس وحكمته هنا كما فى الصين هى المذهب المتسلط بين الاكابر والعلماء وامادين عبادة الاوثان المسمى نوهى اوبوضها فله كثير من الاتباع المتمسكين به وقد قال رسل كورة لقسيسى النصارى فى بكين ان البنز وهم حكماء الصين فى كورة مبغوضون عند الاهالى فلذلك اضطروا الان يبنوا هيا كل خارج اسوار المدينة

طوائف عباد وثم طوائف عبادا وجمعيات دينية اهلها يعيشون معيشة قاسية ويتجلدون فى تلك البلاد على مكابدة انواع العذاب ويتمسكون باسور الديانات والاحتفال لها ولا يجنون من ذلك ثمرة الا الاحتقار من جميع الناس ، فمن هؤلاء المترهبين من يقتضى مذهبه أن يكون محلوق الرأس وأن لا يأكل اللحم وأن يجتنب النساء بالكلية

صنائع واهالى كورة يصنعون من القطن ورقا ابيض صلبا ويصطنعون المراوح والورق المصبوغ الملون ويشتغلون قماش الكتان الرفيع وباقى فروع اكتسابهم غير معروف ويشترى منهم الصينيون هذه البضائع ويعطونهم بدلها الشاى والحرير واهالى كورة يتجرون ايضا بعض تجارات مع الياپونية فتأتى بضائع الياپونية فى مدينة بوشان وقال بعضهم فى مدينة كين شان وهى الفلفل والاخشاب الطيبة الرائحة والشب وقرون الجواميس ويعطيهم اهل كورة بدلها الرصاص والقطن والحرير الخام وعرق الجنسنغ والاعوضوهم عنها سبائك فضة صغيرة لان نقودهم ليست الا من النحاس خاصة

سياسة ثم ان كورة كانت منقسمة الى عدة ولايات صغيرة فاستولى عليها الخلاط اهل الصين وادخلوا فيها التحضر والتمدن وكان رئيسهم اميرا يسمى كنسة فوضع هذا الفاتح العاقل احكاما وقوانين حسنة فصاروا سعداء وصارت ايامهم سعيدة غير أن هذا العصر السعيد كان قبل الميلاد باكثر من الف سنة والظاهر أن الياپونية والمنجو والصينيين استولوا على كورة بالتعاقب ولكن لم يمكث فيها الا الصينيون ثم ان ملوك كورة صاروا كغيرهم من العمال الذين يدفعون الميرى لملكة الصين فهم الى الآن يبعثون الى مدينة بكين ميرياسنويا ويبعثون رسلا من طرفهم لملك الصين فيتلقاهم بدون امتياز ولا اعتناء ومع ذلك فملك كورة فى محله ظالم مطلق التصرف وله ديوان كثير الناس وسراية مستكملة الادوات واللوازم وهى التى تكسب كرسيه زيادة الرونق والبهجة وجميع اهل البلاد يلزمهم أن يشتغلوا للملك مدة ثلاثة اشهر وله ايراد عظيم من التزاماته ويضيف الى هذا الايراد ما يأتيه من العشر الملوكى الذى يؤخذ من جنس اصناف التولدات والمحصولات فيكون العشر من جنس نصابه والظاهر من اخبار الخواجة هامل أن جميع اشراف تلك البلاد يحكمون على ارضهم الالتزامية مع غاية الظلم والاجحاف وهم الذين يختصون دون غيرهم بزية تليط بيوتهم بالطوب الاحمر والرعايا مكلفون بأن يقيموا تحت السقوف المتخذة من القش والعيدان ولا يبلطون سقوفهم اصلا

قوة عسكرية وعساكرهم وان كانت كثيرة جدا الكن لا تخشى سطوتها مثل الافرنج وذلك لان سلاحها هو البندق الردئ والقسى والسياط واما سفنهم الحربية فهى اعظم من سفن الصين والظاهر أنها تقليد للغلايين البورتغالية وهى مطقمة بالمدافع والحرائق والقلاع التى على اعالى الجبال محافظوها رهبان شجعان فهم اهل النغور والرباطات وكلام بعض المتأخرين من ارباب الاسفار يقتضى أن الياپونية لهم التزام وولاية على جزء من كورة ولكن الخواجة كروبنستر يظن أن قيصر ياپونيا ليس له جهة كورة الا جزيرة اتسوسيما الواقعة فى بوغاز كورة

وهذا جدول اجمالي يتضمن بيان امم شمال اسيا ووسطها
وشرقها وهذه الامم كلها تسمى باسم التتار على ماتداولته الالسن

	١	جنس التتار
ا اتراك اوتار جنوبية	١	اتراك تركستان
	٢	التركمان على شرقي بحر الخزر بلاد العجم وارمينية وآسيا الصغرى
	٣	الاوزبك في اقليم خيوا وبخارى الكبرى
	٤	اهل بخارى في مدن بخارى الكبرى والصغرى والظاهر أنهم متولدون من اختلاط العجم وقدماء السبرية والتتار
	٥	القرمان اوتراك قرمانيا القادمون من تركستان
	٦	العثمانية اوتراك اناطولى واسلامبول وغيرهما وهم ايضا قادمون من تركستان
ب تتار شمالية	٧	تتار نوغايس في بلاد القرم وكوبان وبيسربى ويقال لهم منكات وبينهم وبين المغول اختلاط ولمة نسب
		ا) يودزياك في بيسربى
		ب) يدسان في بلاد القرم وعلى نهر كوبان
		ج) ينبوالوك على كوبان
		د) كوبنيان كذلك
		ه) كوموك في جبل قوقازة الشرقي
		و) بازيان في اعلى قوقازة وغيره
		انظر المقالة السابعة والاربعين
	٨	كومانيان وهم قادمون من سواحل كوما بسفح قوقازة واقامتهم في كومانيا الكبرى والصغرى بلاد المجار
	٩	تتار كبجاك وكانت خانة كبجاك تشتمل على قازان واورنبورغ واصطراخان وهم على اقسام
		ا) تتار قازان ولغتهم فصيحة جيدة وهم اعظم التتار تمدنا
		ب) تتار أوفا واورنبورغ
		ج) البشكير وكان بينهم وبين قدماء البلغار والفينية مواصلة واختلاط وهم مقيمون في ولاية اورنبورغ
		د) مكجرياك وهم كالذين قبلهم
		ه) قراقلبك وهم في شمال بحيرة ارال
	١٠	الغرغيز او غرغيز كيزاك وهم مقيمون في سهولهم بتركستان في بلاد خيوا وغيرها
	١١	التتار السبيرية وهم بقايا التتار اهالي خانة سبير اوتورا
		ا) التورالنز وهم على نهر تورا
		ب) تتار تولسك
		ج) تتار تارا
		د) تتار تومسك
		ه) البرنتيزية وهم في سهل بربا
ج التتار الذين لهم بالمغول مزيد التئام واتحاد واكيد ارتباط واختلاط	١٢	تتار كراسنوارسك وكوتزبيسك وامة السوييتة (انظر تخطيط سبير في المقالة التاسعة والاربعين)
	١٢	الكاجنزية * كذلك

١٤ تتار چوليم على نهر چوليم
١٥ امة التليونة او القلوق البيض والابزنية والبلتيرية والبيريوسية وهم على اعلى يئسية
١٦ الياقوتية وهم على نهر لينا

بقية التتار المذكورين

ب جنس المغول

الكلكاس وهم بشمال صحراء كوبى
الاورتوش بشمال الستة الاكبر
التومت بالشمال الشرقى من بكين
الشمان كذلك

١ المغول

الكورچين كذلك جهة اتسيجاتاى بلاد المنچورية الجهارية على مائة وثمان وثلاثين ورستة فاكثر الى خمسمائة واربع وثلاثين من شمال بكين
الكرلوزة على الف ومائة وثمان وثلاثين ورستة كذلك
الصنيوت وغيرهم

١ الكوسوت وهم حوالى بحيرة هوهونور وفى بلاد التبت وكذلك السيفان الصينية وهم قسمان
ا) السيفان الصفر
ب) السيفان السود
٢ السنجارية ويقال لهم ايلوثة وهذا الاسم مقصور عليهم
٣ الدربيتة وقد انضموا الى السنجارية والتورغوت
٤ التورغوت وكانوا لايهاجرون الا من بلاد القلوق الى الروسيا وبالعكس
تنبيه * لامانع من أن بلاد القلوق • فيها قبائل اخرى من بقايا امة الويغور فى اقليمى آمل وطرفوت وغيرهما

ب القلوق اود ربن اورت (ايلوثة)

ج البوريتة وهم حوالى بحيرة بيكال

ج جنس المنچو او التنغوزة

١ أيوتچه او منچوتنغوتا
(البغدواچى وهم قدماء اصول الروسية)
ا) اچارى
ب) الموهو وغيرهم
٢ الليأو اوالخيتانية وهم ملة قديمة من لياوتنغ .
٣ الداؤرية او التاغورية
ا) السلون وهم حوالى جبل سيولكى
ب) هوماری على نهر امور المسمى ايضا سغالين قبل اجتماعه بنهر سنجارى اولا
٤ الدوچيرى على نهر امور فوق امة هوماری ثم نقلتهم دولة الصين الى داخل المملكة
٥ المنچو بيشور اى الصيادون ويقال لهم يوبيتس الصينية
ا) التنكى او فياتا
ب) الغليكى او كيچنغ (واصلهم غير محقق)
ج) الاوروچى وهم حوالى جون قسترية

ا المنچو الحقيقية

بقية المنجو المذكورين
- د البيجي وهم متوغلون جهة الجنوب
- ه المنجو المقيمون بشمال جزيرة سغالين

ب تنغوزة او اوونس
- ١ تنغوزة شسور اى ارباب الصيد والقنص وهم جهة الشمال على انهار تونغوسكا
- ٢ تنغوزة بستور اى رعاة حيوان الرنة وهم جهة الجنوب حوالى بحيرة بيكال وغيرها
- ٣ تنغوزة بيشور اى الصيادون ويقال لهم لاموتة وهم جهة الشرق

تنبيه * هذه الاقسام مجهولة ولا يعرف منها الا السم لغات اوثمان معرفة هينة والصينيون يسمون التنغوزة شيغوية وسولون كما أن الايوكاجير يسمونهم ايريتى وهم اى التنغوزة يسمون انفسهم أووس ودونكى

د جنس السموييدية

ا السمويد الحقيقية وهم من بيجورا باوروبا الى ماوراء نهر ينسية
- ١ بيجوريان او انغوريان وهم على الشرق من بيجورا
- ٢ اوبدريان او أوبيودير على نهر اوبى
- ٣ تيهييودير كذلك
- ٤ غاريزى على بوغاز ويغاتز
- ٥ تاسوويسكى (اسم روسى) وعلى نهر تاس
- ٦ ايورالك على الشرق ممن قبلهم
- ٧ توروخنسكوا (اسم روسى) جهة مصب نهر ينسية

ب اوستياك ناريم وتومسك

ج اقوام اعلى ينسية
- ١ كاجنزية وهم على نهر كام
- ٢ تراغام وتيجنزة على نهر تازووا
- ٣ تونسكى على نهر تونا متفرقين فى اماكن مختلفة
- ٤ كوابال فيما حوالى كوتزنسك وكراسنوارسك
- ٥ ماتور ويقال لهم مادور على نهر تونا
- ٦ السوبيتة فى جبال سيانية

تنبيه * الظاهر أن هؤلاء الاقوام هم اصل السمويد الحقيقى

ه جنس الفينية او الجنس الذى بينه وبين الفينية التئام واختلاط
- ا ووغول
- ب برميالك
- ج اوستياك اوبى وغيرها

انظر جدول الامم الفينية فى الجزء الخامس المتعلق بتخطيط اوروبا

و اجناس شرقية لا تعرف الا قليلا

اوستيا ك ينسية
- ١ اوستياك بيوكول
- ٢ آرنزة وهم فى خط كراسنوارسك
- ٣ كوتوزة على نهر قان او خان
- ٤ آزانة وهم على نهر أوسولكا متفرقين فى اماكن مختلفة

ب الايوكاجير وهم على مصب نهر لينا ويسمون انفسهم اودون دومنى ويسميهم الكوريك الماذل

ج چوكچه اوچوكوچه
- ١ چوكوچى وهم جهة الشرق
- ٢ شيلاچى جهة الشمال
- ٣ جزائرية الشوشالات وغيرهم

د كوريك
١ چانجو وهم على خليج بنتنا
٢ التموهوتو وهم رحالة نزالة
٣ الايلوتيات او الاولوترزى وهم على نهر اولوتورا

ه فيجدال ويسمون انفسهم ايتلن

و الكورليان ويسمون انفسهم أينو ويسميهم مؤرخو يابونيا موصين وهم اهالى جزائر كوريلة الكبرى ويسو وجزيرة سغالين (انظر المقالة الثانية والستين)

ج اهل كورة وغيرهم

(المقالة الثانية والستون)

في تخطيط آسيا

ذكر ياپونيا مع جزائر يسو وكوريلة وليوكيو وذكر ابحاث ومجادلات تتعلق بجزيرة يسو

بحر ياپونيا

وعلى شرقي المنچورية تمتد حوشة بحر ياپونيا الذي طرفه الشمالي سماه الخواجة لاپيروزة بوغاز التتار وهي تسمية خالية عن المناسبة وهذا البحر المظلم الكثير الضباب والرياح العاصفة يكتنفه سواحل وعرة خالية عن الانهر الكبيرة ويتصل من جهة الشمال بحر اوختسك بواسطة بوغازين ابعدهما جنوبا من مصاب نهر امور يفصل البر من جزيرة سغالين وهو مملوء بالرمال والقصب الفارسي بحيث لا يمكن أن يدخل فيه قارب فضلا عن سفينة وبوغاز لاپيروزة المسمى سابقا بوغاز تسوءي مشتمل شرقا على مجاز يوصل الى بحر يسو وهو جزء من بحر اوختسك وبوغاز سنجارية تدخل منه امواج البحر المحيط الاكبر الشرقي وفي جهة الجنوب ينفتح بوغاز كورة على بحار الصين وثم لسلة جزائر عظيمة كالحاجز تفصل البحر المتوسط الياپوني من البحر المحيط الاكبر وطولها نحو سمانة فرسخ وتتصل بجزائر كوريلة من جهة الشمال الشرقي وبجزائر ليوكيو من جهة الجنوب والياپونية يسكنون احسنها

ولكن في شمال المملكة الياپونية جزيرتان عظيمتان يتكون عنهما مع عدة جزائر صغيرة ارخبيل مستقل اى مجمع جزائر منعزل على حدته وفي هذا المحل كان ارباب الجغرافية الجدلية يرسمون ارضا شهيرة تسمى يسو وكانوا يظنون اولا أن هذه الارض المذكورة في الاخبار المتعلقة بجزيرة ياپونيا ارض قارة او جزيرة عظيمة بين آسيا وامريقة ثم جعلوها متصلة بارض قمچتقا يعني أنهم قالوا ان ارض يسو تجتمع بما كانوا يسمونه في ذلك الوقت بلاد التتار الروسية لان قمچتقا لم تعرف الا في سنة ١٦٩٦ من الميلاد واسفار وريس الفلمنكي الذي كانوا يسمونه على سبيل الخطا باسم اوريس وكان قبودان سفينة تسمى القصطريقوم هي اول ما بين هذا القسم من اقسام الارض فعرفوا على وجه التحقيق أن هذه الاراضي منفصلة عن آسيا جهة الشمال الشرقي كما أنها منفصلة من ياپونيا جهة الجنوب ولكن بقيت ثلاثة امور مجهولة لا تعرف حق المعرفة وذلك أن تسلسل الارض التي رآها وريس كان جزيرة محدودة ظاهرة وكانت تسمى جزيرة الولايات ولكن في جهة الشرق ارض الشركة كانت متسعة ومبهمة وبعض الاسفار التي لا يعتمد عليها لاسيما اسفار جوان دغاما او حنا دغاما تدل على ان هذه الارض التي هي ارض الشركة تمتد الى امريقة وايضا لما سارت سفينة قصطريقوم بجانب السواحل الشرقية والشمالية الشرقية من جزيرة متسوماى التي هي ارض يسو دفعتها التيارات عن بوغاز تسوءي والضباب اخفى البحر عن ابصار ركابها فوصلت الى الساحل الجنوبي والشرقي من جزيرة سغالين ظنا أنها تسير على ساحل ارض يسو فلهذا كان لا مانع من كون بعض الجغرافيين ظن أن جميع هذه السواحل عوضا عن أن تكون جزيرتين ليست الا بحيث جزيرة واحدة متصلة بارض التتار الصيني وقصارى الامر أن جرنال السفينة الفلمنكية المسماة برسكة لم يطلع عليه احد فلذا كان لا يدرى هل هؤلاء السياحون حددوا بوغاز سنجارية كما هو معروف الآن اولا ولما كان الطرف الشمالي من ياپونيا مجهولا على درجتين او ثلاث درجات في البعد الجنوبي زيادة عما يستحقه تولد من هذا فراغ عظيم بين ارض ياپونيا وارض يسو مع أنه لا يلزم أن يكون بينهما على ما تقتضيه الخرطات الياپونية الافرع من البحر ضيق جدا وفي نحو هذا الزمن عرفوا باخبار القوسس الصينيين عدة تفاصيل في شأن جزيرة سغالين وفي شأن وجود بوغاز يسمى تسوءي وقد رأى القسيس دي رنجه هذا البوغاز ووصف تياراته واخبره بعض الياپس أن الارض التي في الجهة الثانية وهي جزيرة سغالين كانت تسمى اينومكسوري وقد وقفوا الآن على معنى هذا الاسم وهو جزيرة الاينوس وهم امم يسو وكوريلة وغيرها وكانوا في سنة ١٦٢٠ من الميلاد لا يعلمون له معنى ولا يفهمون له مدركا في الجغرافيا ولما جمع الجغرافيون بين هذه الاصول الناقصة لم يستنتجوا منها الا اخلاصات غير موافقة مع تبحرهم وكثرة علمهم في هذا الشان نقد جرت دنويل مرتين أن يرسم هذه الاراضي فكان رسمه الاخير غير مطابق للحقيقة وليس هذا بعجيب فانه مما جرت به العادة في الجغرافية الجدلية وذلك أن هذا الجغرافي جعل بوغاز تسوءي في محله الحقيقي ولم يخطئ في ذلك لكن جمع جنوب جزيرة سغالين المسماة اينومكسوري بقارة المنچورية التي كانت تسمى في ذلك الوقت بالتتار الصينية ورسم هذه الجزيرة بعينها في ابعاد صغيرة تجاه مصب نهر امور

ابحاث جدلية تتعلق بارض يسو

اسفار سفينة قصطريقوم وسفينة برسكة

خطا في بوغاز سنجارية

استكشاف بوغاز تسوءي

مذهب دنويل

ولما شاهد الروسية جزائر كوريلة المجاورة لقمچتقا التي تحت حكمهم انتهى امرهم أن وصلوا الى يسو

سفر اسبنجبرغ وغيره

وذلك أن خوزروسكو القوزاقي وصل سنة ١٧١٣ من الميلاد الى جزيرة كوناشير وكانت في ذلك الوقت جزءا من سواحل يسو على رأي الفلمنكية وفي سنة ١٧٣٦ ميلادية كان في خدمة الروسية شخص يسمى اسبنجبرغ الدانيمرقي فبحث عن جزائر أروپ التي هي ارض الشركة وعن أتركو التي هي جزيرة الولايات وعن كوناشير وجيجوتن وعن متسوماى وهي يسو ووصل الى ياپونيا ولم يكن له سفينة ولا آلات صالحة لاعانة معارفه وشجاعته فامتحن هذه الجزائر المتقدمة واختبرها وفي سنة ١٧٧٧ من الميلاد طاف بوتوشكو الروسي جزائر اتركو وأروپ من الجهة الغربية ولكن هذه الاشياء المستكشفة جعلت في الجنوب زيادة عما تستحقه في الواقع لانهم انما نظروا الى مذاهب الجغرافيين بالنسبة لما يتعلق بوضع سنجبارية ثم ان الحواجة لبس المختصر كتب هذه الاستكشافات الموجودة في دفاتر الموسقوبية فألف في ذلك رسالتين غير صحيحتين حيث ضلت بهما الجغرافيا الجدلية في اودية الشكوك والتخمينات الباطلة

سفر لاپيروزة

ثم ان لاپيروزة سبى الحظ شرع في هذا الاستكشاف من طريق حقيقية صحيحة فدخل من جهة بحر ياپونيا فوجد الخليج الذي يفصل بلاد المنجو من اراضي يسو ووصل الى بوغاز كثير الرمال يفصل هذه الاراضي من الارض القارة واجتاز بوغازا آخر يسمى بوغاز لاپيروزة فحصل بذلك للعلوم الجغرافية اخبارا جديدة فيما يتعلق بهذا الاركبيل ثم ان بروغطون اثبت منذ قليل صحة الخرطات الفلمنكية وخرطات قنفر بالنسبة لما يتعلق ببوغاز سنجبارية المسمى بوغاز متسوماى فله المنة على الجغرافيين حيث عرفهم بواسطة تفتيشاته الساحل الشمالي من ياپونيا وتحققوا عمقه ودرجة عرضه غير أن بروغطون افادهم موادا جديدة تحتاج للمجادلة والمباحثة حيث اثبت أن البوغاز الذي بين بلاد المنجو وجزيرة سغالين لا وجود له

سفر بروغطون

المباحثة في وجود بوغاز سغالين

ولما التجأ لاپيروزة بسبب الرياح وغيرها الى ترك البوغاز من غير أن يتبصره بتمامه سأل مع غاية التدقيق اهالي الجزيرة واهالي الارض القارة فاخبره اهل الجزيرة المتأصلون بها أن ارضهم يحيط بها الماء ورسموا له البوغازات التي تفصلها من الارض القارة يعني البر الاصلي واخبره اهل الارض القارة أن القوارب حين مجيئها من مصب سغالين لتذهب الى جون قاسترية تجوز من فوق لسان ضيق من الارض الرملية المستورة بحشائش بحرية وقد رأى هذا السياح البحري أن عمق الماء ينقص نقصا بينا غير تدريجي جهة طرف الخليج ولا يشعر احد فيه بتيار فالظاهر أن هذا السياح اعتقد من هذا كله أن البوغاز له وجود الا انه مشحون بالرمال وغيرها وليس مفتوحا منه الا مجاز ضيق لا يمكن دخوله الا للقوارب الصغيرة واما بروغطون فانه زاد على ذلك حيث قال اني لما بعدت بثمانية فراسخ جهة الشمال زيادة عن لاپيروزة وصلت الى جون ليس فيه الا باعان من الماء وهو مسدود من جميع النواحي باراض منخفضة رملية وايقن أن هذا اللسان الارضي الذي اطلع عليه اهل قواربه ليس مقطوعا وأن ارض سغالين انما هي بجيمجزيرة وقد حاول الحواجة كروسنسترن الذي لم يقرب من هذا البوغاز ولكنه شاهد البوغاز الذي في مصب نهر سغالين أن يعضد رأي بروغطون بادلة مبسوطة فاستنبط مما وجده في الجون المصنوع من هذا النهر من المياه التي تكاد تكون عذبة ادلة مبسوطة ظهر لاصحابها انها قطعية وذلك انه لو كان هذا الجون المسمى جون سغالين يتصل بالخليج المسمى بوغاز التتار ولو اتصالا هينا لكانت المياه المالحة من هذا الخليج الذي هو فرع من البحر تختلط بمياه جون سغالين وقد تعضد الحواجة المذكور بشهادة اهل جون قاسترية التي ذكرها لاپيروزة وبما قاله بروغطون وانهى كلامه بقوله لا شك في وجود برزخ كثير الرمال يجعل جزيرة سغالين متصلة بالارض فتكون بجيمجزيرة ولكنه جوز أن هذا الضيق متأخر وأن جزيرة سغالين استحقت هذا الاسم وقت رسم الخرطات الجديدة الياپونية والصينية فان جميع هذه الخرطات تجعلها منفصلة عن الارض القارة

دليل الحواجة كروسنسترن

رد الادلة السابقة

ومن سوء الحظ أن هذا كله امور اجمالية وسياسية منعت الحواجة كروسنسترن أن يذهب الى المحل نفسه ليثبت وجود هذا البرزخ وقد ظهر لنا أن ادلته السابقة مردودة فان علة عدم دخول المياه المالحة من بوغاز التتار الى خليج سغالين انما هي كثرة ازورار الشط وانعطافه ووجود جزائر صغيرة ورمال متراكمة ونحو ثلاث بوغازات ضيقة مملوءة بالقصب الفارسي الذي ينبت وينمو على جميع هذا الساحل المشحون ايضا بالمروج السابحة على وجه الماء المزروعة بالحشائش البحرية فاذا كان في غرب هذا البوغاز المسدود لسان ارض منخفضة مقطوعة ببئرين صغيرين كما أنه يوجد نهر آخر صغير في شمال مصب سغالين في المحل المسمى عند الروسية جيلز كايبرولوكا وعند الصينيين غولة فالاوفق بالطبع أن اهل هذا الساحل البري اي المنسوب للارض القارة يمكن أن يجذبوا في بعض الاحيان قواربهم الصغيرة الى ماوراء هذا اللسان ليجتنبوا ركوب البحر الصعب بالنسبة لهذا البوغاز كما كان يفعله القوزاق في القرن السابع عشر

من الميلاد فانهم لما نزلوا سغالين وارادوا ان يذهبوا الى ادسكوا اختاروا ان ينقلوا قوارهم ويجروا بها على لسان البحر ويلزكا وآثروا ذلك على الطواف حول الرأس الذى سماه كروسنسترن فى كتابه رأس رومبرغ فعلى هذا الفرض الذى تؤيده التفاصيل المرسومة على خرطة دنويل العجيبة يظهر أن بروغطون قد اخطأ حيث ظن أن الجلون الصغير الذى بجانب هذا البوغاز هو نفس هذا البوغاز وايضا اذا كان هذا البحرى صادف برزخا من الرمل ولو فرضنا أنه متسع اتساعا عظيما فلا أى شئ لم يشاهد من اعلى صوارى سفينته البحر الذى يتصل بالجهة المقابلة

نتيجة

فهذه هى الاسباب التى احوجت جميع الجغرافيين الراغبين فى معرفة الحقيقة أن يقفوا البوغاز على ما هو عليه فى كلام دنويل والقسوس والخرطات الصينية واليابونية الدالة على وجوده بين جزيرة سغالين وبلاد المنجورية حتى يتيسر لهم ما يكشف الغطاء عن هذا المقام ويزيل عن هذه المسئلة اللبس والابهام

ثم ان الخواجة كروسنسترن الذى بحثنا فى مذهبه بالنسبة لما يتعلق بتلك المسئلة عرف مع غاية التدقيق السواحل الغربية من جزيرة يسو والسواحل الجنوبية الشرقية والشمالية من جزيرة سغالين فكانت رحلته ورحلة لابيروزة ورحلة بروغطون هى التى جعلت مادة عامة يستمد منها جميع الفوائد المحققة فيما يتعلق بهذا الارخبيل

كتب تطلع الى بخط اليد

ولكن الخواجة تطلع الفلكى الذى اقام فى يابونيا زمنا طويلا افادنا فوائد يؤخذ منها تفاصيل عظيمة توضح لنا جغرافية هذه الاقاليم وتارة يخالفها حيث الغ فى ذلك تخطيطين لبلاد يابونيا فلنقتبس منهما ما يلزم ذكره فى هذه البلاد مبتدئين بالساحل الشمالى من يابونيا فنقول

جزيرة متسوماى المسماة يسو اليابونية

ان جزيرة متسوماى واقعة فى شمال جزيرة نيفون وتسمى فى لغة اليابونية يسو يعنى الشط وتسمى عندهم ايضا موسين يعنى الاجسام المستورة باللحا وذلك لان امة الموسين كانت سابقا تسكن الاجراء الشمالية من يابونيا الى جبل اوياما ثم طردت على التدريج الى جزيرتها الاصلية فتغلب عليهم فيها غيرهم من الغرباء عدة مرات ولم يحفظوا حريتهم واستقلالهم الا فى الجزء الجنوبى من جزيرة سغالين وكلام كروسنسترن يقتضى أن هذه الامة تسمى نفسها اينوس وهى ذات قامات قليلة الطول واجسامهم اشد من اجسام اليابونية وهم سود اللحا الكثة حتى ان لحاهم تستر وجوههم وذلك أن لحية الرجل منهم تختلط بشعر من شعر رأسه اسود بديسير من التجعيد وهم جميعا ذكورا واناثا يرسمون على شفاههم بالوشم عدة صور مختلفة من صور الازهار والحيوانات وملابس اغنيائهم اقمشة يابونيا والصين واما آحادهم فيلبسون اقمشة متخذة من خيط يستخرج من قشر نوع من شجر الصفصاف واولادهم يتعلمون فى سن العشر الغوص فى البحر والوثب على حبل مشدود والاينوس يحسنون هاتين الرياضتين فمنهم من يثب ارتفاع ستة اقدام او سبعة وهم يتبعون حيوانات الايل فى الجرى واعظم سلاحهم القسى وللسهام فتحد الفرق الصغيرة من اليابونية تغلب الوفا من الاينوس ثم ان مشايخ القرى الذين مشيختهم متوارثة من اب عن جد يعترفون بأنهم خراجيون للامبراليابونى المقيم فى جزيرة متسوماى ويدفعون له المبرى من جلود ثعالب الماء وكلاب البحر والدب والايلان والقسطور وسمك الصومون المسمى سمك سلمان والبازى وغير ذلك مما يخرج فى ارضهم وهم يعيشون مع بعضهم من غير شرائع ولا عبادة ولا يعرف لهم من الامور الدينية الا اراقة اشربة واضرام نيران لتشريف صنم يسمونه كموای وهو معبود اليابونية وليس عندهم حروف هجاء ولا سكة ولا نقود والتجارة عندهم تكون بالمبادلة والمقايضة فيذهبون الى جزيرة من جزائر كوريلة ويحملون بها بضائعهم ويرجعون الى سفنهم فينزل الكوريانية الى هذه البضائع فينظرونها ويتمحنونها ويضعون بضائعهم بجانبها وبعد هذه المبايعة السكوتية يحصل القبض والتسليم وتعدد الزوجات عند اهل هذه الجزائر مباح والزنا يعاقب فاعله اذا زنى بمتزوجة مالم يأخذ ممن راودته عن نفسها قرطها للرهن فانه بهذا الرهن يصير فى امن من زوجها الذى خانته فى فراشه والاخوة يتزوجون اخواتهم وقبائلهم كالعشائر التى يندر اجتماع بعضها ببعض والحزن على الاموات عندهم هو عبارة عن قتال مصطنع بين الاقارب وهو وان كان ظاهريا الا انه فى الغالب يقع فيه الجرح واراقة الدم فهذه هى النوادر الصحيحة الغريبة التى ذكرها مؤلفا اليابونية فى اوصاف اهالى يسو والملاحون من اهل اوروبا لم يزيدوا شيأ شقفا بالنسبة لهذه الاوصاف وقد زعم بروغطون أن هذه الامم كثيرة الشعر جدا فى جميع ابدانها * قال كروسنسترن وهذا من باب المبالغات كما يشهد له ارباب الاسفار من القدماء والذى يظهر لى أن الاخبار اليابونية صحيحة ثابتة انتهى

والظاهر أن لسان الاينوس مباين للسان اليابونية والمنجو واهالى قمچتقا وذلك انه قوبلت عدة كلمات

لغة

منتخبة بكلمات نظيرها بمعناها فى عدة السن من السن اهالى آسيا والاقيانوسية فلم تفد شيأ يدل على أن اهل هذه الجزائر بينهم وبين احد من اهالى آسيا اوالجزائر الاقيانوسية قرابة والظاهر أنها ولدت فقنافى هذه المادة الحوجة الى ذلك الى مواد لا يسعنا تحصيلها وهذا اللسان وان كان اقل ترنما ولينا من لسان اليابونية الا انه لا يبلغ فى الخشونة واليبس ما فى لسان غيرهم من الامم الوحشية المتبربرة

تخطيط طبيعى لجزيرة يسو

وجزيرة يسو بها من جميع الجهات جبال مرتفعة مستورة بخضرة عظيمة حيث يكثر بها شجر التنوب والخلاف وغير ذلك من الاشجار وتنجح بها حشيشة دوسة الحمار المسماة حشيشه السعال والزنبق وهذا يدل على برودة الاقليم ورطوبته وبها كثير من النباتات ذات الشعشاع فتجد القصب الفارسى يعظم فيها طولا وضخامة كما فى مصب سغالين ومن انواع الزراعات التى زرعها اليابونية للتجربة ونجحت بارضهم الذرة والحمص والفول وحيوانات الجزيرة هى العقاب وثلاثة اصناف من اصناف البازى والادباب والايل ومن عادة اهل هذه الجزيرة انهم يأخذون الدب فى حال صغره فترضعه المرأة من نسائهم ثديها وتربيه كالكلب اوالخنزير المؤلف حتى اذا كبر جعلته فى قفص ومع اعتنائهم بتربيته يقتلونه اذا سمن فتبكى العائلة لفقده على رؤس الاشهاد لكنها تأكل لحمه وهذه العادة كعادة الاوستياك

الدب الاهلى

ثم ان الثعالب البحرية والكلاب البحرية والبقر البحرى كلها مذكورة فى كتابى يسوكى باسماء مختلفة وحوت يونس المسمى البالينه يصطاد فى الاجوان ومصاب الانهر كثيرا من سمك النيسنغ وهو نوع من السردين * وسمك الصومون يكثر ايضا بحيث يمكن اخذه باليد وحيوان السنغسو البحرى وهو دود العلق الذى يمص الدم يبحث عنه اليابونية ويشترونه والغذاء المعتاد عند اهل تلك النواحى هو الطحلب البحرى وغيره من انواع الفوقوس

مدن واماكن مشهورة

ومدينة متسوماى اى مدينة البوغاز مبنية على الطرف الجنوبى من الجزيرة وهى حصن ياپونى لا يمكن الدنو منه من جهة البر وغيرها من المحال الحربية يمتد من جهة الغرب الى الطرف الشمالى فاذا سرنا بحافة الساحل الغربى وجدنا

عدة جزائر مختلفة

جزائر اوزيما وكوزيما واوكوزيرى وريوزيرى والاخيرة مشتملة على جبل لنغل الذى ذكره لابيروز ثم جزيرة ريفونسيرى والجون الكبير الذى يدخل فى الارض يسمى عند الروسية استروغونوف * وآخر مدينة فى الشمال هى نجيباب وسماها كروسنسترن تترنبو واما سوايا فهى واقعة على جون متوغل جهة الشرق وعلى ساحل الشمال الغربى امم الاينوس وهم وان كانوا رعايا لليابونية الا انهم ساكنون وحدهم فى هذا الساحل وقريتهم العظيمة تسمى اتكيس وهى واقعة على ساحل الشمال الشرقى ثم ان ضابطا من ضباط الروسية يقال له لكسامان شاهد فى سنة ١٧٩٢ من الميلاد مينا كيورو التابعة لقرية اتكيس ولا يعرف هذا الاسم وهو اتكيس فى نحو مائتى اسم من الاعلام المذكورة فى نسخ الخواجة تطسنغ المنسوخة باليد وانما عبر عنها باسم اتسكيسى وثم خليج لا اسم له يفصل جزيرة يسو من جزيرة شيخوتن التى هى احدى جزائر كوريلة وهى التى يدعى ملكيتها اليابونية وقد طاف الفلنك وبروغطون الساحل الجنوبى الشرقى فوجدوا

جبل البركان

ارضه مستورة بالغابات العظيمة * والجون المسمى بلكانوباى يعنى جون البركان هو ذو حوضة مستديرة لطيفة الشكل وكل هذا يحمل الانسان على توهم وجود بركان بهذه الجهة شغال مستمر الحركة ولكن لا دليل على ذلك

ثم ان اليابونية يقسمون الجزيرة الى خمس دوائر ولكن لا يعلم الى الآن حد كل واحدة منها على حدته

جزيرة سغالين المسماة ضا اوخويسو

فى شمال جزيرة متسوماى تمتد بالاستطالة جزيرة سغالين التى يسميها اليابونية اوخويسو يعنى يسو العليا ويقال لها كيتايسو يعنى يسو الشمالية او يسوخطاى اى الصينية واما الاينوس فانهم كما قال جغرافيو اليابونية يسمونها كراتو وهذا الاسم يضاف اليه فى لغة اليابونية لفظ شيما الذى معناه جزيرة وكلام كروسنسترن يقتضى أن اهلها يسمونها سلدان وقال لابيروز انهم يسمونها چوكا والظاهر أن هذا الاسم الاخير انما هو اسم قرية اصلية من قراها مكتوب على خرطة دنويل بلفظ چوشين والظاهر أن هذين الاسمين هما ايضا اسما محال مشهورة بها عند اهلها

اوصاف الاهالى

وقد اطلع لابيروز على الساحل الغربى وخطط آداب اهله تخطيطا عظيما وذكر اخلاقهم واوصافهم فقال ان عقول هؤلاء الفقراء الجزائرية تقاوم صعوبة اقليمهم القحل الذى لا يخرج به شئ وهم صيادون برا وبحرا ويشمون شفاههم بانواع الوشم ويشتغلون اقمشة من قشر الصفصاف فهم مثل امة الموسين الذين هم اينوس يسو ولغتهم بها بعض كلمات جرمانية ومنحورية وجزيرتهم عالية جدا من وسطها ومسطوحة من جهة اطرافها الجنوبية التى يظهر أن ارضها مناسبة للزراعة والنبات فيها شديد الانبات جدا وغاباتها مشحونة باشجار صنوبر والصفصاف والبلوط والبتولا * والبحر

الذى يتصل بسواحلها كثير الاسماك وانهرها وجداولها كثيرة الصومون وصنف آخر منقوش جيد الصفة وبتلالها كثير الدببة والخشخاش المسماة انجاليكية اى حشيشة الملاك وزنبق البصل

امور محلية غريبة

وقد اطلع كروسنسترن على جون انيوا الذى هو الطرف الجنوبى بتلك الجزيرة وكان لليابونية على هذا الجون بلد فهدمتها الروسية ويغلب على الظن أن اليابونية يبعثون الى هذا الجون نزلة من قبائلهم ليستوطنوا به وجميع الساحل الشرقى الذى اطلع عليه كروسنسترن وجد به اودية كثيرة الاشجار خلفها جبال مغمورة بالثلوج شاهقة يظهر انها تتاطع السحاب وعلى احدى وخمسين درجة تنخفض الارض فلا تجد الا رمالا وتلالا من الرمل واتمة الاينوس تسكن جهة الجنوب واما الساحل الشرقى فيظهر انه قفر لا عمارة به وانما نزلة من قبائل المنجو ساكنة بالساحل الشمالى الشرقى المجاور لمصب نهر سغالين

جزائر كوريلة المسماة ايضا كوروميسى

وفى الشمال الشرقى من جزيرة يسو تمتد سلسلة جزائر تبلغ الطرف الجنوبى من قمچتقا ويسميها الروسية جزائر كوريلة وهى عندهم نحو اثنتين وعشرين جزيرة بادخال جزيرة يسو فيها واما اهل هذه الجزيرة فيعدون غيرا رضهم الحقيقية خمسا وثلاثين جزيرة يسمونها كوروميسى والظاهر أن هذا الاسم ياپونى ومعناه طريق الحشيش البحرى واما خرطات رحلة كروسنسترن فليس فيها من تلك الجزائر الا ست وعشرون جزيرة واما ما بقى منها فيعلم بالفحص عنها فى الاجزاء الشرقية من جزيرة يسو وقد ذكر دنويل أن هذه الجزائر منها تسع وعشرون فى شمال خليج البوصلة وأن مجموعها اربع وثلاثون

تقسيم طبيعى

ومجمع هذه الجزائر المسمى ارخبيلا ينقسم طبيعة الى قسمين وهما سلسلة الجزائر التى فى جنوب مجاز البوصلة والسلسلة التى فى شماله فاحداهما مجاورة لجزيرة يسو وتزعم دولة ياپونيا انها من حقها وهذه السلسلة حرية بأن تسمى كوريلة الكبرى والسلسلة الاخرى قريبة من قمچتقا تسمى كوريلة الصغرى

كوريلة الصغرى

فجزائر كوريلة الصغرى يسكنها طوائف قمچتقية هاجروا من بلادهم الاصلية حين قرب الروسية منهم وليس بهذه الجزائر الا سلسلة صخور وعرة عقيمة واغلبها بركانية واكبر هذه الجزائر جزيرة تسمى بورو وموشير وجزيرة سوچو بها امارات دالة على معادن الفضة وجزائر اناخوتان واراما خوتان وسياس خوتان وغيرها من الجزائر ذات براكين خامدة وجزيرة راشوتقا المسماة عند كروسنسترن جبل ساريچو هى دائما محترقة متقدة وكذلك جزيرة ايكرما وفى جزيرة اوسيشير عيون حامية تنبع مع غاية الشدة

كوريلة الكبرى

واما كوريلة الكبرى فانها تؤذن بكثير من المنافع لمن ينزل بها من الاهم ارباب العقول والنباهة فجزيرة اوروپ بها كثير من التنوب والكريز البرى ومن هنا ابتداء ارض الكوريلية الشعرانية وهم من جنس طوائف الاينوس الذين هم فى جزيرتى يسو وسغالين وجزيرة ايتوروپ ذات غابات ظريفة يمشى عليها كل يوم من هيمان بركان النار وجزيرة كوناشير سهولها وجبالها مشحونة بشجر الاريس والتنوب الظريف ويخرج بها انواع من الصنوبر وقد ظن استلير واسپنجنبرغ انهما شاهدا العنب بل واللبون البرى الياپونى فى جزيرة شيخوتان وهو الظاهر كما يظهر ايضا أن هذين السياحين لم يجدا الباوط والجوز الا على ساحل متسوماى التى هى جزيرة يسو

استكشافات بنيوسكى

وينبغى أن نبحث فى جزائر كوريلة الكبرى عن جزء من الاستكشافات الادعائية التى ادعاها بنيوسكى حيث ظن لشدة تولعه بالاستكشاف انه رأى فى كوناشير مدنا عظيمة كانوا يصيدون فيها اللؤلؤ والجزيرة التى سماها چولغان ادزون ووصفها بأنها كثيرة النحاس لا وجود لها اصلا كالا وجود لجزيرة ماناس ادزون الكثيرة الذهب ولكن ذكر جغرافيو الياپونية أن فى جزيرة يسو اقليما يسمى فيغاسى وقرية تسمى كوا ويظهر أنهما جزيرتا فيغاسى وكاويث اللتين ذكرهما ملاح مملكة له وما ينسب الى هذه الاقاليم من معدن الذهب والنحاس والحيل واللؤلؤ الاحمر الذى هو المرجان هو من باب الهذيان والظاهر أن هذا الجغرافى الاهى قد بالغ فى جعله مدينة متزايا الف خص وان كانت موجودة ومعروفة باسم متزيج فحينئذ ينبغى أن لا يتهم هذا السياح اعنى بنيوسكى بالكذب والغش عن قصد فان هذا ليس دأبه

سلطنة ياپونيا

وقد حان لنا الآن أن نخطط ولاية اغلبها منفصل مع اطناب اكثر مما ذكرناه من الولايات ولقصد عدم تكرار الاشياء المعروفة لجميع الناس حاولنا الاقتصار والايجاز فنقول ان الجزائر الثلاث التى يكتنفها كثير من الجزائر الصغيرة وهى يفون وكيو وسيكوسيوكف هى عبارة عن مملكة ياپونيا وقد تسمى ايضا سلطنة ياپونيا وقد سماها الصينيون اولا ينغ هو يعنى معمل الشمس ثم سموها نوكوه يعنى مملكة العبيد ثم سموها ايضا بين او يبون يعنى اقليم الشمس المشرقة وقد سماها مرقوبول باسم محرف لهو اكيينغو وجزيرة كيوسيو عرضها من الشمال الى الجنوب

اسماء مختلفة

اتساع

درجتان او خمسون فرسخا تقريبا واعظم اطوالها نحو ثمانين فرسخا واما جزيرة سيكوكف فطولها ستة وثلاثون فرسخا وعرضها عشرون فرسخا وجزيرة يفون الكبرى تمتد من الجنوب الغربي الى الشمال الغربي وهي ثمان طولها عن ثلثمائة فرسخ ولكنها ضيقة جدا في سائر امتدادها بحيث لا يزيد وسطها عن اثنين فرسخا من العرض وان كان يمكن أن يكون عرضها ضعف ذلك اذا حسبنا من كلا طرفي الجزيرتين البارزتين فحينئذ سطح اراضي الولايات اليابونية يمكن أن يساوي ستة عشر الف فرسخ مربع واهلها من خمسة عشر مليونا الى ثلاثين كما ذكر ذلك الحذاق وهذه الولاية مقدنة عامرة وهي بعيدة واقعة في اطراف آسيا ولم تزل الى الآن مغلقة على ارباب الاسفار لا يجدون فيها مسلكا لاجلهم لخوف اليابونية وسياستهم

جبال

وجميع هذه البلاد مضرسة بالجبال والتلال وسواحلها مشحونة بصخور وعرة يصادمها دائما امواج البحر الكثيرة الرياح العاصفة بل السهول دائما محددة بكثير من الانهر والجداول ولكن التلال والجبال والسهول الكثيرة النباتات المتنوعة الغريبة تدل على كثرة البراعة والمهارة الانسانية في خلال آثار التقلبات الطبيعية واشهر جبال ياپونيا هو جبل فوسي الذي هو دائما مستور بالثلوج في اغلب السنة وبجواره جبال فاكوني حول بحيرة صغيرة

براكين

تسمى بهذا الاسم وبعض الجبال بها كثير من البراكين الا أن اغلبها كثير الاشجار الخضرة والعيون الصافية ويقال انه يوجد بقرب فيرندو جزيرة كلها بركانية ويقال ايضا ان هنالك عدة جزائر بركانية في البحار المجاورة لتلك النواحي وفي اقليم فيغو بركان يقذف كثيرا من اللهب والجمر

انهار

وانهر ياپونيا ليست طويلة المجاري فنهر يدوغوا الذي يمر بمدينة اوزاكا به عدة قناطر من خشب الارزة طول الواحدة ثلثمائة قدم فاكثر الى ثلثمائة وستين ونهر اوين غوا ونهر فوزي غوا هما ايضا نهران متسعان سريعا الجرى ونهر اومي على ما يقتضيه تاريخ اليابونية خرج من الارض في ليلة من الليالي

بحيرات

ومن اكبر البحيرات بحيرة وتز التي يصب فيها نهران احدهما جهة مدينة مياقو والآخر جهة اوزاكا وهذه البحيرة طولها خمسون فرسخا ياپونيا كل فرسخ منها مسيرة ساعة على ظهور الخيل وعرضها ثلث هذا المقدار وحوالي هذه البحيرة سهل ظريف معظم عند اهل تلك البلاد لما فيه من الاصنام التي تبلغ عدتها ثلاثة آلاف صنم

قطر فصول

وهذه الجزائر اليابونية يتعاقب عليها شدة الحر والبرد فحر الصيف غالبا يعتريه طراوة بالنسيم الذي يهب من البحر وفي الشتاء تأتي الرياح الشمال او الشمال الشرقي فيتراءى انه مشوب باجراء جليدية فتجد الزمن بها متغيرا مختلفا في جميع السنة وينزل بها مطر غزير لا سيما في الستة اشهر المطر التي تبتدئ في وسط الصيف

وكلام ارباب الارصاد يقتضي أن اعلى درجات الحر بمدينة ناغازاكي في شهر اوغسطوس ثمان وتسعون درجة واعظم درجات البرد خمس وثلاثون في شهر يونية والثلج يمكث عدة ايام على الارض حتى على الاجزاء الجنوبية وفي اغلب ليالي الصيف يسمع صوت الرعد ويكثر ايضا بهذه البلاد الفرطونات والرياح العاصفة والزلازل * والمطر الطيب بانضمامه الى الشغل وخدمة الارض وتسمينها بالسبخة يغلب على عقم الارض وتحولها

زراعة

ثم ان من جملة احكام اليابونية شدة التكليف بالزراعة لان جميع الاراضي عندهم يجب زرعها الا الجبال الوعرة التي لا يمكن ارتقاؤها وذلك لان ارباب الاراضي يزرعون ارضهم بغاية الاجتهاد والنجاح وهم معافون من جميع الحقوق والخراجات الالتزامية ولا يدفعون شيأ لامنائهم على سبيل الوجوب وليس بها بدا وسا باللميري خاصة به فاذا خلت ارض عن الزراعة بأن قصر صاحبها عن زرعها زرعها من كان له مزيد اهتمام من جيرانه واستولى عليها وتقل عندهم المروج ولكنهم يتعهدون الارض بالتسمين تعهدا عظيما حتى ان كيفية تسمين الارض بلغت عندهم اقصى درجات البراعة وعلى جنبات التلال الوعرة جدران مبنية بالحجر وعليها سطوح من الارض مبذورة من الارز والخضراوات والارز هو الحب الاصلي عندهم وكذلك الحنطة السوداء والجاودار والقمح والشعير ولكنها تزرع نادرا وبها تفاح الارض الذي هو نوع من الكمأة الا أنه غير جيد الصفة ولكن يجمع فيها عدة انواع من الفول والحمص واللفت والكرنب واذا زرع الارز فيها في شهر ابريل حصدوه في شهر نومبر الذي يزرعون فيه الحنطة ويحصدونها في شهر يونية والشعير ايضا يمكث دائما في الارض مدة الشتاء ثم ان نباتات ياپونيا تضاهي نباتات الصين والظاهر أن منشأ ذلك هو أن اليابونية غالبا يأخذون من الصينيين جميع النباتات التي يرونها نافعة وبالعكس * وشجرة الشاي التي هي صغيرة تنبت في الزروب من غير زراعة والخيزران الظريف يكثر في جميع المخاضات من البحر والزنجبيل والفلفل الاسود والسكر والقطن والنيلة تزرع فيها وتنجح نجاحا عظيما وتكثر ان لم تكن متأصلة بها كما هو الظاهر اذ هي متأصلة بالاقطار التي هي ابعد جنوبا في آسيا

اشجار برية

* وفي داخل الاراضي نبتت بجوانب الجبال التي ليست بالكبيرة ولا الصغيرة شجر الغار الهندي والكافور وكذلك

نبات يسمى رهوس الطلا يخرج من قشره صمغ راتينجى يظهر انه اصل للطلا بالسواد الهندى ولا يمكن تقليده
ا ويها ايضا النارنج الحلو الصينى وبها ايضا نارنج برى يخرج من الليمون الياپونى الذى يظهر انه من خواص هذه
البلاد والنبات الافرنجى يا نبات آسيا الجنوبية فاشجار الاناريس والسرو والصفصاف المسمى التى تظهر
فى جميع البلاد المعتدلة بين ياپونيا والبحر الابيض يشبه هنا وجودها فى الجهة الشرقية وكذلك الخشخاش الذى
يخرج منه الافيون، وكذا الثعل الابيض والحلبا

اشجار مثمرة

ولا يوجد فى بلاد ياپونيا شجر التفاح ولكن يوجد فيها الكمثرى ضخمة جدا والبرتقان البنبلوس الذى تجد
البرتقانة منه قدر رأس الانسان وكذلك تين كاكى وبرتقان غليظ جدا والياپونية يعرفون عمل المربة بالعطريات
من الموز وغيره من الفواكه كالجوز ونحوه ويستخرجون زيت الاكل والاستصباح من السمسم ومن اشجار اخرى

النباتات المستعملة فى الصنائع وغيرها

كالسوماق والكافور والغار والازدرخت وشجر الطيب ويربون دود القز بكثرة ويخرج من شجر القطن قماش عظيم
ويصطنعون من شجر الابخة المسمى قريصا حبالا عظيمة تمسك زمنا طويلا ويشتغلون الورق والمراوح من قشور صنف
من شجر التوت ومن شجر يسمى ليقووال ومن صنف من النخل يسمى الزندير ويشتغلون القنافى من القرع الفارغ
والامشاط من خشب يسمى الناجى ويشتغلون كثيرا من اثاث البيوت من خشب اللندرا وخشب الدنتز
المسمى يورا وهو شئ اشبه بالخمان وكذلك من التنوب والصنوبر البرى والسرو وشجر يشبه السرو يسمى شجر
الايف عظيم الاوراق وشط البحر يعجب الناظر لما فيه من الاشجار المتنوعة كشجر الجوز والنخل وشجر يسمى السيقاس
وآخر يسمى الميموس * والاشجار الصغيرة الحية التى تفصل بين الاملاك والاراضى هى عبارة عن شجر يسمى
سريس ياپونيا وعن شجر البرتقان ذى الاوراق الثلاثة وعن الغرديثة ونوع من الدالية وغير ذلك وكذلك توجد عدة
عقاقير نافعة فى الطب كالسوسن المضعف الموجود فى ياپونيا وكشيشة تسمى حشيشة قارون العطرية وكذلك عرق
يسمى شيشينا عرفه لهم الخواجة ثونبرغ الاسوجى ونبات يسمى قوريطا من نباتات ياپونيا والكافور
والمقسا ونبات يسمى عود الهزار بستان وعرق المنغو

حيوانات اهلية

ثم ان الصناعة ازالت من جميع مملكة ياپونيا حيوانين وهما ثيوس المعز والكباش وذلك لان ثيوس المعز مضرة عندهم
للزراعة وكثرة القطن والحرير تسد مسد الصوف وكذلك يتلفون الخنازير لكونها مضرة فلا تجد منها عندهم الا يسيرا
بجوار نغازاكى والظاهر أن الصينيين هم الذين ادخلوها فى هذه الجهة وبالجملة فهذه الجزائر بها يسير من ذوات الاربع
فقد ظهر للسياح ثونبرغ أن عدد خيول المملكة بقاسمها يساوى ما يوجد فى اقليم واحد من اقاليم اسوج وليس
بها الا يسير من المواشى ويستعملون فى اشغال الزراعة كثيرا من الجواميس التى ظهورها محدودبة وكذلك ابقار صغيرة
ولما احب بعض ملوكهم الكلاب جعل على الدولة مصرفها اى أن قوتها يفرض على المدن ولا زالت الكلاب عندهم
مألوفة محترمة واصول غذاء الياپونية السمك والنباتات واما الدجاج والاوز فانما يربونهما اصالة بقصد اخذ بيضهما

غذاء الياپونية

ويزيدون على الخضراوات المعتادة كل صنف من اصناف النباتات البحرية كالفوقوس والاولوة التى تطبخ بعدة
طرق * وحيوانات الصيد ليست كثيرة عندهم فيصيدون الاوز الوحشى وكذلك الديوك الوحشية والحجل ويقل بها وجود

حيوانات وحشية

الدواب الوحشية ذوات الاربع وفى شمالها تجد الدب الاسود المبرقش بعلامتين لونهما البياض على شكل الهلال يكونان
فى منكبيه ويأكلون لحمه الذى يشبه لحم الضأن ولكنه متعاص عنه ويظهر الذئب فى اقاليم الشمال وكذلك الثعالب
الا أن الثعالب مبغوضة عندهم لاعتقادهم انها شياطين فى صورة حيوانات

معادن

والمعادن النفيسة هى الذهب والفضة وتكثر فى سلطنة ياپونيا ولا شك فى وجودها قديما كما عرف ذلك البرتغال
ثم الفلمنك الذين كانوا يحملون منها كثيرا والذهب بهذه المملكة يوجد فى غالب الاماكن ولكنه لحفظ ثمن هذا المعدن

معدن الذهب

ببقاء قلته يمنع اهل ياپونيا من حفر عرق ازيد من المحدود فلا يمكن فتح معدن من المعادن ولا استخراجه من غير اذن
صريح من سلطانهم وثلثا الخارج منه يكونان للسلطان والباقى لاصحاب الارض وقد يوجد الذهب فى الرمال ولكن
اكثره يخرج من احجار بوريطش النحاس المذوبة بالكبريت واعظم المعادن واصفاها معادن سادو فى جزيرة
كبيرة من الجزائر المجاورة لجزيرة نيفون ومن المعادن التى من الرتبة الثانية معادن سورمغا ويظهر أن الفضة
كانت سابقا اكثر مما هى عليه الآن فان الياپونية يرونها اندر من الذهب وان كان الذهب فى جميع الاماكن اغلى قيمة
منها ويقال ان فى اقليم بونغو وكذلك الاراضى الشمالية جهة كاتى معادن فضة عظيمة ولكن ثم جزيرتان

جزائر الذهب والـ

مشهورتان باسم جزائر الذهب والفضة ويسميان بلغتهم جزائر چنسيما وكنسيما ويظهر أنه لا وجود لهما الا خيالا
للافتخار بذلك الا أن يكون ذكرها فى الكتب للدلالة على بلاد مكسيك لكون الياپونية كان بينهم وبين اهالى مكسيك

مخالطات قديمة اوانهم قلدوا حكايات بطليموس فى ذكره قطرا يسمى قطر الذهب وآخر يسمى قطر الفضة

معادن نحاس

وكثير من الاقاليم معظم ثروته من النحاس المخلوط بالذهب وهو اعظم ما يحملونه الى البلاد واطرف النحاس واعظم قطرقا نحاس ساروغا وأستنجه وكينوه وكونى ونحاس كونى هو اعظم النحاس تطرقا ونحاس ساروغا يشتمل على مقدار عظيم من الذهب ويوجد ايضا كثير من معادن النحاس فى ستسوما ويظهر أن الحديد فى بلاد

معادن حديد

ياپونيا اندر من جميع المعادن لكنه يوجد فى عدة اقاليم وهى ميماسلا وبتسيو وبيسن والياپونية يشتغلون الحديد قليلا وانما يستعملونه فى صناعة السلاح والسكاكين والمقصات والآلات اللازمة ويضربون السكة من الذهب والفضة

معادن مختلفة

وقد هادى الياپونية الخواجة تونبرغ بالعنبر فكان منه ذو اللون المائل للسمرة والصفرة وأفادوه أنهم وجدوا هذا العنبر فى ارضهم والكبريت يكثر فى بلاد ياپونيا وحجر الخفاف يدل وجوده عندهم على أن البراكين كانت فى قديم الزمان هائجة بارضهم وفحم الحجر على ما يقال يوجد فى اقاليم الشمال وكذلك حجر العقيق الاحمر الذى به عروق بيض وهو يستعمل فى الازرار والعلب وكلام قنفر يقتضى أن حجر التوتيا نقل الى ياپونيا من تنكين ويوجد القصدير فى اقليم بونغو ولعل هذا القصدير ادعائى وانما هو نحاس ابيض من بلاد الصين وعندهم نقط يضرب لونه الى الحمرة يستعملونه فى المصابيح وقد رأى السياح تونبرغ حجر الفيلة وطين الصين والرخام الابيض وقد نقلوا من ياپونيا الزيبق المكبرت المتبلور على شكله الاصلى وعلى صورة قطع صغيرة صفائحية ثم ان البارون وورب وهو عالم نمساوى مستوطن فى بتاويا وصل اليه من ياپونيا حجر الفيلة والاوسكرل الدقيق الاجزاء مثل الشعر والادروفانه

الاحجار الساقطة من الجو

وهذه الاحجار سقطت من الجو وتسمى احجار الصواعق ويقال لها فى لغة الياپونية كامينارى سكى وبلاد ياپونيا عدة عيون حامية معدنية يستحم بها اهل البلاد لمعالجة عدة امراض

ثم ان الاقسام العظيمة من سلطنة ياپونيا يقال لها فى اللغة الياپونية كوكف اى ولايات وهى امارات وامراؤها يدفعون المرى لسلطان ياپونيا الملقب كوبو وهى نحو سبعين كوكفا

مدن بلاد

وقاعدة سلطنة ياپونيا تسمى يدو وهى فى خليج على شرق نيفون وليس لبيوتها الا دور واحد او دوران وفيها حوانيت بطول الحارات وميناها غير عميقة بحيث لا يمكن للسفينة الافرنجية أن ترسو الا على بعد خمسة فراسخ ومسراية السلطان يحيط بها جدران من الحجر وخنادق وقناطر توضع وترفع عند الحاجة فالمسراية وحدها قدر مدينة عظيمة لان محيطها خمسة فراسخ كل فرسخ مسيرة ساعة بخلاف محيط المدينة بتمامها فانه لا بد فى طوافه من احدى وعشرين

مسراية سلطان ياپونيا المدينة

ساعة وجميع امراء سلطنة ياپونيا الحاكمين فى الولايات يقيمون نصف السنة فى مدينة يدو واما عيالهم فيقيمون فيها دائما كالرهن على امانتهم وبمسراية السلطان كثير من المساكن وهى كما تقدم شاغلة مسافة عظيمة من الارض وبها ديوان له مائة حصير وطوله ستمائة قدم وعرضه ثلثمائة والها برج مربع يدل على فضل السلطان على غيره ولا يجوز لغيره أن يصنع مثله فى هذه المدينة وان كان كل واحد له أن يفعل جميع الاشياء فى بلاده والتزاماته والسقوف مزينة بشعاب بين مذهبة والاعمدة والسقوف تصنع من خشب الارزة والكافور وغيرهما من الاخشاب النفيسة ولكن جميع الفراش منحصر فى حصر بيضاء مزينة بالاهداب والسجافات المشغولة من الذهب

بيوت آحاد الناس

وبيوت آحاد الناس من الخشب الملون بالبياض بحيث يكون منظرها كأنها مبنية بالحجارة والدور الاعلى من تلك البيوت معد لحفظ الامتعة والغلال واما الدور الارضى فانه عبارة عن عدة مساكن بينها وبين بعضها حواجز تحجز حريم كل من حريم الآخر وليس عندهم كراس ولا طاولات وانما يجلسون على الحصر حتى ان الامير اذا نصب ديوانه لا يجلس الا على سجادة

مدن مختلفة

واذا ذهبنا من يدو الى الشمال الشرقى وجدنا مدينتين عظيمتين احداهما تسمى غسما والاخرى تسمى نمبو واذا توجهنا جهة الجنوب الغربى وجدنا عدة مدن منها مدينة أوددوارا يصنع فيها القشو وهو التراب الطيب الرائحة ببلاد ياپونيا ومنها مدينة اخوساكى وهى ذات قنطرة عظيمة ومنها مدينة خوانا وهى من اكثر مدن ياپونيا غنى ويسارا ولها قلعة يحيط بها الماء وهى بندر اقليم يسمى أوارى وهو اقليم خصب يسمى باسمه جون اوارى

مدينة مياقو

ومدينة مياقو هى ثانى مدينة من مدن المملكة وهى واقعة فى الاراضى على نحو اربعة وخمسين فرسخا من الجنوب الغربى من يدو وهى فى سهل مسطوح وهى اعظم محال الفبريقات والتجارة وتضرب فيها السلطانية وديوان الدايرى الذى هو خليفة دين ياپونيا مركب من عدة من الحكماء مقيمين فى هذه المدينة وهذه المدينة تطبع

فيها جميع الكتب وقد بين لنا قنفر أن عدد اهل هذه المدينة سنة ١٦٧٤ من الميلاد كان ٤٠٥٦٤٢ نفسا الذكور منها ١٨٢٠٧٠ والاناث ٢٢٣٥٧٢ باخراج ديوان الدائرى الذى فيه خلق كثير وسراية هذا الخليفة الياپونى واسعة لا يدخلها احد من الغرباء بخلاف هياكل هذه المدينة المقدسة عند الياپونية فقد اطلع عليها كثير من الناس وخططوها فمن هياكلها هيكل يسمى هيكل ديبوطس وهو اكثر جميع هياكل ياپونيا زينة مع انه مبنى بالخشب وبه صورة مذهبة لمعبودهم جالسة على زهرة على نمط اصنام الهنود وعن يمنها من بين المنكبين اربع قامات ويمكن أن يجلس فى كف هذا الصنم عدة اشخاص والرؤس الهرمية من الهياكل والقصور تناسب احسن المناسبة ما يكتنف المدينة من التلال الكثيرة الاشجار التى يخرج منها عدة عيون صافية المياه

هيكل ديبوطس

وبجوار مياقو خمسة اقاليم باقية لامداد ديوان السلطنة تسمى غوكيناى ويخرج بها الارز والخضراوات بكثرة ومنها اقليم يقال له ستز ويسمى ايضا سدسيو فيه مدينة عظيمة تسمى اوساقا وهى مينا مياقو واحدى مدن المملكة العظيمة وما بها من الخلجان التى تشقها ويعبر فيها على قناطر من خشب الارزة يذكرنا مدينة البندقية ولما كانت هذه المدينة كثيرة الحظوظ والمسرات وامور المعاش بمن هين انجذب اليها جميع ارباب البطالات والشهوات ومن مدن اقليم ستز ايضا مدينة يقال لها فيوغو واقعة على جون اوساقا وهى ذات مينا كثيرة الاحجار المصفوفة ومن مدن اقليم فاريما مدينة تسمى مورو وهى مشتملة على مينا طبيعية وفيها يشتغل جلد الخيل على منوال ما فى الروسية

اقاليم تسمى غوكيناى مدينة اوساقا

ومدن الساحل الشمالى والغربى من جزيرة نيفون لا تعرف الا باسمائها وكذلك مدن جميع جزيرة سيكوكف التى لم يدخلها ارباب الاسفار ويعرف من جزيرة كيوسيو مينا نغازاكى الشهيرة وتسمى ايضا نغازاكى وهى دون غيرها اختصت بأن يؤذن للسفن الاجنبية أن ترسو عليها وهى باقية للفلمنك والصينيين فهم الذين يختصون الآن بدخولها وكانت اولا قرية ثم صارت مدينة مهمة عظيمة التجارة والفضل فى ذلك للبرتوغال وهى الآن سبع وثمانون حارة كل حارة منها طولها ستون قامة وهذا هو القياس الشرعى عندهم لكل حارة فحينئذ يمكن جعل عدد البيوت نحو الف بيت لا غير ومنظر هذه المدينة من جهة البحر غريب لا يمكن رؤية مثله فى البساتين العظيمة الافرنجية وعندهم صخرة طولها مائتان وثمان وثلاثون خطوة كانت سجنا لتجار الفلمنك

نغازاكى

وجزيرة كيوسيو المسماة جزيرة سيكوكف كانت سابقا مملكة مستقلة وهى مشتملة على مدن عظيمة فمن مدنها مدينة سنغا وهى شهيرة بجمال نسائها وفبريقات الصينى الذى يكاد يكون شفافا ومنها كوكورا التى يسافر منها الانسان الى سيمونوسيكى بجزيرة نيفون وكذلك مدينة قنغوكسيما التى نزل بها البرتوغال حين استكشاف هذه البلاد وجزيرتا فيرندو واماكوزا كانتا فى وقت استكشاف البرتوغال شهيرتين بكونهما اول مأوى لدين النصرانية وجزيرة اتسوزيما الواقعة بين جزيرتى كيوسيو وكورة هى عبارة عن امارة كانت سابقا تدفع الميرى لدولة كورة قبل دخولها فى مبرية الياپونية وتنتهى مملكة ياپونيا فى الجنوب الغربى بمجمع جزائر غوتو

مدن مختلفة

وجزيرة لكيو الواقعة فى الجنوب التى هى غير جزائر ليوكيو ليست مفصولة من كيوسيو الا بيوغاز ضيق وعليها حاكم يلقب بالدائرى يعنى خليفة الدين يدفع الميرى لامير ستسوما واهل هذه الجزيرة يحصدون الارز مرتين فى السنة ويزرعون اراضيهم على صوت الآلة ونغمات الاغانى المفرحة وبوغاز وندايمن يفصل تلك الجزيرة من جزيرة تناوسيما ومن سلسلة جزائر صغيرة تمتد فى اتجاه مجمع جزائر ليوكيو

جزيرة لكيو

وحكم الياپونية يحتوى فى الجنوب الشرقى على مجمع جزائر صغير به جبل نار لم يزل الى الآن محرقا وبه ايضا عدة محال خامدة النيران التى تحت الارض واعظم هذه الجزائر جزيرة يقال لها فنسيسو وارتفاعها ثمانون قامة وهى صعبة المرتقى من جميع الجهات ولا يمكن صعودها الا بواسطة سلالم من حبل مربوط فى اعلى الصخرات وفى هذه الجزيرة يقى الجلساء والندماء المغضوب عليهم فيشغلون زمنهم بنسج اقمشة الحرير على حسب ما يخطر بخيالهم من التصوير العجيب والرسم الغريب

جزيرة فنسيسو

والياپونية حسان الخلقة احرار قصدهم سهولة فى حركاتهم وبنيتهم قوية ليسوا بالطوال ولا بالقصار ولونهم المائل الى الصفرة قد يضرب احيانا الى السمرة وربما كان بياضا مصفرا ونساء الاكابر منهم حيث انه يندر تعرضهن للهواء من غير قناع ترى بياض نساء الافرنج ومدار اوصاف الياپونية المميزة لهم عن غيرهم على عيونهم فان شكل عين الواحد منهم يبعد عن الاستدارة فتكون العين مستطيلة صغيرة غائرة فى الرأس فلذا تجدهم دائما ارباب غمز ورمز

الياپونية بنية ابدانهم اعينهم

واجفان عيونهم مشقوقة شقا عميقا واهدابهم موضوعة فى اعلى من مكانها المعتاد عند غيرهم من الامم واغلبهم عريض الرأس قصير الرقبة غليظ الانف كانه مجدوع وشعورهم سوداء كثة براقة والظاهر أن ذلك انما هو بسبب الدهن الذى يدهنون به

اصل اليابونية

واذا عرفت هذه الاوصاف الطبيعية وجدتها تليق بجنس الصينيين مع اختلاطه بقبيلة مغولية اومنجورية وذلك لان تاريخ اليابونية بعد أن بسط الكلام على الآلهة وقول الرجال اعقب ذلك بالاعتراف بأن اليابونية استمدوا اول تمدنهم من نزلة صينية نزلت بارضهم واقامت عندهم واكسبتهم التمدن والتحضر ثم انتهى تاريخهم بملك صينى يسمى صين موسى يصورونه على شكل رجل رأسه رأس ثور لانهم يزعمون أنه علمهم الزراعة وتربية المواشى

لغة

لكن اللسان اليابونى الذى هو دليل قوى على اصل اليابونية لادلالة فيه على أن اهالى هذه الجزائر لهم اصل اجنبى خارج عن بلادهم وليس فيه الا يسير من الكلمات الصينية ولا علاقة بينه وبين لسان المنجو ولا لسان اهالى يسو والكوريلية وادعاء بعضهم أن لغة اليابونية لها شبه بلغات التتار لادليل عليه ومن المعلوم أن الكلمات اليابونية ليست ذات مقطع واحد كالكلمات الصينية ولتصريف افعال اللغة اليابونية وكيفية تركيب كلامها اسلوب غريب * واللسان اليابونى المسمى ايومى يستعمل فى الاشعار والمحاورات واما امناء دين اليابونية وهم البنزة فانما يكتبون كتبهم الدينية باللسان الصينى الذى نسبته لاهالى تلك النواحى كنسبة اللاطينى للافرنج

ازمان تاريخية

فان قال قائل ان اليابونية المتأصلين ببلاد يابونيا تغلبت عليهم قبيلة مغولية اومنجورية فتحملت القبيلة الغالبة لسان المغلوبين فلنا فى اى زمن كانت هذه الاغارة وذلك لان التاريخ المقدس عند اليابونية اوله اقامة الوراثة وتقريرها فى خلافة الدائرية الذين هم ملوك بالنسبة لما يتعلق بالدين يعنى أن اوله كان قبل تاريخ النصارى بستمائة وستين سنة ولازالوا يؤرخون به الى سنة ١٥٨٥ من الميلاد وفى هذا الزمن اغار عليهم الغرباء مرتين فطردهم اليابونية عن بلادهم فكانت غارة المنجو عليهم سنة ٧٩٩ من الميلاد وحكايتها كثيرة الخرافات وفى سنة ١٢٨١ من الميلاد شرع المغول فى الاستيلاء على بلاد يابونيا وكان رئيسهم منغوخان وكان ذلك بعد تغلبهم على الصين باربع عشرة سنة وقد بين الحكيم اميوط فى كتابه المترجم من لغة الصين تاريخ هذه الغزوة على ماذكره مؤلفو الصينيين فكانت خلاصة كلامهم أن عساكر الصينيين اجتمعوا مع عساكر كورة فبلغوا مائة الف مقاتل واعطى الكوريون للصينيين تسعمائة سفينة حربية فجاءت الرياح العاصفة والفرطونات فاغرقت هذه التجريدة وبددت شملها واليابونية يعتقدون أن هذا انما كان بعناية آلهتهم الذين دفعوا عنهم هذه المصيبة وانما جميع الاشخاص الذين اتوا من آسيا ودخلوا بلاد اليابونية حتى كثر بهم عدد اهلها محصورون فى بعض قبائل صينية اوكورية هاجروا من بلادهم اليها

قضية

والظاهر أن اليابونية كباقى الامم الاصلية من الدنيا فى كونهم ابوريجينية اى أن اصلهم موجود قبل ظهور التاريخ فاذا كانوا قد اتوا الى هذه الجزائر من الارض القارة فانما هاجروا اليها قبل تخلق الالسن وهم يعرفون على وجه مبهم انه يوجد قبل جنسهم جنسان آخران فى جزيرة يفون وحدها وهما جنس الموسين المسمى ايضا بالجنس الكوريلى الشعرانى جهة الشمال وجنس آخر زنجى فى الجنوب والظاهر أن هذا الجنس الاخير انما كان جنس امة الهرافورا الذى بجزائر فلبينة فالظاهر أن هذه الاقاليم المنعزلة وحدها كان فيها كثير من الامم الاولية التى ظهرت ظهورا بالغا ثم انقرضت بالكلية وجهلت لما عداها من اهل الارض

سياسة كوبو الدائرى

ثم ان الدائرى وهو السلطان خليفة الدين الذى يعتقدون أنه من ذرية آلهتهم عن له سنة ١١٤٣ من الميلاد بسبب ضعفه أن يجعل بجانبه رئيسا عسكريا يلقب بلقب كوبو ويلقب ايضا ازيوغون فاستخدم رئيسا على العساكر فتقوى الكوبو بالانتصار والفتوحات وبالغش والخادعات وفى سنة ١٥٨٥ من الميلاد جرد الكوبو عن السلطان الدير اى آخر حكم سياسى كان له فصار مجردا عما عدا المصالح الدينية ومن هذا التغير يمكن أن تعتبر دولة يابونيا انها مملكة وراثية مونرخية اى مطلقة التصرف مقوات بعدة من الامراء الذين منصبهم وراثى مطلق وغيرهؤلاء الامراء من بعضهم والرهن الذى يجعلونه فى مدينة يدو كلاهما يكفل طاعتهم لصاحب الدولة وهو الكوبو وكل امير منهم مفوض له فى ايراد التزامه اوولايته فايراده يصرفه فى مصالح ديوانه وامداد عساكره واصلاح الطرق وما يلزم للبلاد من المصاريف وعند اليابونية طائفتان من الامراء وهما الديميوس اى امراء الرتبة العليا والسيوميوس اى امراء الرتبة السفلى ومناصب امراء كلتا الدولتين وراثية وامراء الرتبة السفلى يختصون بأن يملكوا فى امراء المملكة ستة اشهر من السنة زيادة على كونهم مكلفين ببقاء عائلاتهم فيها على الدوام كالرهن

الاحكام السياسية المدنية

السياحين يستحسنون قوانين ياپونيا حتى ان قنفر يفضل احكامهم على احكام اوروبا وذلك لان القصاص عندهم يقع فكل من الاخصام يحضر بين يدى القاضى فيصدر الحكم من غير اجل لكن لم يذكر هذا السياح اصلا شيأ من الاحكام وانما اهوتهم فى مدحه لقوانينهم حيث لم يزل يستحسن القانون الياپونى الذى يمنع دخول الغرباء فى ياپونيا كما يحرم على كل ياپونى أن يخرج من بلده ومن خرج عوقب بالقتل فجعل قنفر هذا القانون لمصلحة عظيمة مع أن هذا مجرد دعوى وكلام سونبرغ يقتضى أن قوانين الياپونية قليلة العدد جدا الا أنها نافذة الحكم مع غاية التشديد ولا يحابى فيها احدا صلا غاية ما هنالك أن ارباب الجنايات من الاغنياء قد يعفى عنهم اذا دفعوا غرامات عظيمة فمجرد الذنوب عقابها الموت ولكن الحكم بذلك لابد أن يصدر من المشورة الخصوصية التى عند سلطانهم ولما كانت تربية الاطفال وتأديبهم حقا واجبا له مدخلية فى صلاح الدولة كان الآباء كفلاء بذنوب اولادهم لانه يلزمهم تأديبهم على ما يحدث منهم من العيوب وولى الحسبة عندهم مستيقظ منتبه لجميع ما يحدث من الخلل وفى كل قرية قاض اصلى يسمى نيمبان وهو مكلف بالحسبة بل سكان كل حارة يكفلون كلهم جميع الذنوب الواقعة من واحد منهم فلهذا كان يجب عليهم أن يعينوا وكيلا يحفظ انفسهم واموالهم وفى كل قرية مكان يحيط به اوتاد وفى وسطه كتابة بحروف غليظة مشتملة على قانون الضبط هذا ولا تنكر أن وارنيوس الفلمنكى الذى هو مؤلف كثير الاطلاع ذكر احكام الياپونية على وجه يفيد أنها لا تستحق كل هذا الاستحسان وذلك أن عقاب الذنوب فى القرن السابع عشر يدل على انها ذات جبر عظيم وقساوة وخشونة فقد ذكر أن من العقوبات الكثيرة الوقوع تقطيع المذنب اربا اربا وفتح بطنه بسكين وتعليقه بكلاليب من حديد تدخل فى اضلاعه واحراقه فى الزيت بعد غليانه وهذا عقاب العامة واما الاكابر فانهم فى ذلك الوقت كانوا يختصون دون غيرهم بأن يشقوا بطون انفسهم بايديهم وكذلك المعلم ولنطين ذكر أن شريعة الياپونية خشنية مؤسسة على سفك الدماء وليس من مدح احكام هذه البلاد أن الذنوب نادرة فيها الان هذا لا يدل على المدح اصلا وذلك لانه لا يمكن خلاف ذلك فى ولاية كل واحد من اهاليها من الذنوب جاره وكل العائلات اوالقرى بتمامها تعاقب اشد العقاب جزاء على ما وقع من الذنوب من واحد من اهلها ومع أن هذه القوانين تشتمل على تقليل الذنوب والآثام فيها ايضا عدم الراحة للبرئ وعدم السرور للناس والجمعيات اوليس أن الانسان يختار أن يسرق من متاعه شئ مرة اومرتين فى عمره و يؤثر ذلك على كونه دائما عرضة لان تشق بطنه فى نظير سرقة وقعت من جيران وبالجملة فنقائص النوع البشرى فى المعارف وارتكابه للخسة وخبث اصله بعد أن كان طيبا كل هذا يمكن أن يجعل هذه العقوبات الشديدة المهولة امرا لازما ضروريا فمن ذا الذى يجزم بأن اوروبا امنت فى جميع ايامها المستقبلة من أن يكون لها على تداول الايام احكام ياپونية بهذه المثابة وسنة عظيم صينى

عقوبات خشنية

اهال

واما ياپونيا فمن الثابت أن اهلها كثيرون جدا بل وجبالها التى هى اكثر اراضيها مزروعة وبها طريق جادة تسمى طوقيدو وهى احدى الطرق السبعة الكبيرة بمملكة ياپونيا ويرى فيها احيانا من ارباب الاسفار اكثر مما يرى فى حارات مدن الافرنج العامرة وقد نقل وارنيوس عمن يوثق به أن عدد عساكر الامراء والولاة ثلثمائة وثمانية وستون الفا من المشاة وثمانية وثلاثون ألفا من الخيالة وذكر ايضا أن الكوبو وهو السلطان السياسى له عسكر خاصة بحومائة الف من المشاة وعشرين ألفا من الفرسان فاذا جمعنا الجميع وجدناهم اربعمائة وثمانية وستين ألفا من المشاة وثمانية وخمسين ألفا من الفرسان

عساكر

وهذه العساكر اذا كانت موجودة فى الحقيقة عندهم تدل على أن اهلها عشرون مليونا فصاعدا الى ثلاثين

واما سفن الياپونية فلا تستحق التكلم عليها اصلا لانها مسطحة فى موخرها فلا يمكنها أن تقاوم عمل الامواج عند شدة الرياح وهم وان قلدوا الصينيين فى استعمال بيت الابرة الا أن ملاحيهم ليس عندهم براعة ولا معرفة على أنه يتعجب من انهم كانوا سابقا يسافرون بحرا كما ادعاه بعضهم الى جزيرة فرموزة اوالى جاوى فان العقل السليم لا يصدق فى ذلك وخرطاتهم تقتضى أن سفرهم جهة الشمال كان يمتد الى ساحل امريقة المجاور لبوغاز بهرنغ الذى كانوا يسمونه قوزنغ والآن قل أن جاوزوا جزيرة يسو وقد ذكر اهل هذه الجزيرة أنهم سافروا فى قديم الزمان الى ارض تسمى راكوسيما يعنى بلاد الاسد البحرية والظاهر أنها هى جزيرة بهرنغ اوبجنبجزيرة فمجتنا فسفرتهم كسفرة الارغونوط

ملاحة واموربحرية

ايراد

وقد ذكر وارنيوس ايراد دولة ياپونيا وبين ايراد كل اقليم على حدته فجعل مجموع الايراد ٢٨٣٤ طونة من الذهب على طريقه حساب الفلمنك فاذا جعلنا طونة الذهب مائتى الف فرنك واربعين الف فرنك كان المجموع ٦٧٠١٠٠٠٠ فرنكا وهذا الايراد لا يشمل ايراد الاقاليم والمدن المختصة بالسلطان ولكن هذا الايراد لا يعتبر أنه

ايراد اهلي نظرا الى انها تدفع من الاصناف لامراء مختلفة وزيادة على ما للسلطان من ايراد التزاما نه واقاليمه الخاصة له ايضا خزينة عظيمة فيها الذهب والفضة

مذاهب دينية مذهب سنطو

ثم ان اليابونية في عبادتهم على مذهبين اصليين وهما مذهب سنطوه ومذهب بتسو فالمذهب الاول يقر بوجود اله على يجل عن أن يصل اليه تعظيم البشر وعن أن يتعهد شؤنهم ومصالحهم فلذلك يتخذون آلهة اخرى ادنى منه ويعتقدون أن ارواح الصلحاء تسكن في اقطار مستنيرة بجوار فلك الافلاك واما ارواح الاشقياء فانها تهيم في الفراغ الى أن تذوق عقابها

عبادة اصلية

وهم وان كانوا لا يعتقدون مذهب التناسخ الا أن ارباب التشديد منهم المقلدين لمذهب السنطو لا يأكلون لحم الحيوان ويحرمون سفك الدماء ولا يمسون الرمم اصلا وآلهتهم يقال لها صين اوكامي وهياكلهم تسمى ميا وهذه الهياكل مشتملة على عدة مساكن واروقة مصنوعة على حسب عوايد البلاد بزيات يمكن أن يرفعها الانسان ويضعها على حسب مراده وعلى ارضها الخشبة حصر قش مفروشة وعلى السطوح من كل ناحية خرجة كافية لغطاء ما حول الهيكل من المصاطب التي يمشى عليها الناس ولا تجد في هذه الهياكل صورة تكون عندهم تمثالا لآلهتهم الغير المرئي وانما في بعض الاحيان يحفظون بها في علبة صورة صغيرة يجعلونها صورة اله من آلهتهم الثانوية وفي وسط الهيكل مرآة واسعة مصطنعة من المعدن تذكر الانسان أن افعاله لا تخفى على خالقه وذلك أن عيوب البدن الظاهرية تتشخص كلها في هذه المرآة فكذلك عيوب الروح لا يمكن أن تخفى على بصر المتصف بالقدم والبقاء ومواسم عبادتهم ومحافلها طريفة بل مفرحة وذلك لان هذه الامة تجعل آلهتها ذوات يحبون تفريق السعادة وتوزيعها

مذهب بتسو

واما مذهب بتسو فانه متأصل في بلاد الهندستان وهو عين الدين الذي يسمونه بوضا او بودة ويزعمون انه متولد في بلاد التبت او في جزيرة سيلان قبل ميلاد عيسى بنحو ثمانية قرون ولما كان هذا الدين منشورا في آوى وسيام والصين وكورة كان به بعض حكم غريبة اجنبية ولكنه يقول دائما بتناسخ الارواح وهو يخوف الكفار بنار مهولة فيها صراط الارواح ومهاوي المياه والنار وغيرهما من صور وخيالات متخيلة في جبال الالب التبتية ويذكر ايضا صفة جنة منقسمة الى اقاليم ومدن وبيوت مثل جنة سويدنبرغ وهذه الجنة تسمى غوكورالك يحكمها اله يقال له امبدا ولما كان دين البتسو مخلوطا كثيرا بدين السنطو يعني الدين الياپوني القديم صعب تمييز قواعد كل من المذهبين ويمكن أنه على توالي الايام يصير تمييز احدهما عن الآخر متعذرا

حكماء الفلاسفة

وبمملكة ياپونيا ايضا حكماء فلاسفة مذهبهم يسمى اسجوطو او اسيوطو وهو قريب من مذاهب الحكماء البطنانية اي الذين يحبون لذات النفس وشهواتها وان كان حكماء اليابونية يذعنون مثل كنفوسيوس حكيم الصين أن اصل الشهوة الخالص هو الفضيلة وهؤلاء الفلاسفة يعتقدون وجود روح لجميع العالم لكن لا يعبدون الآلهة السفلية وليس لهم عبادة ولا هيكل وزعم بعضهم أن هؤلاء الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة لا يبغضون دين النصرانية وأن عددهم نقص حين عقاب النصارى بتلك البلاد وذلك لانهم ارادوا أن لا يتوهم احد فيهم أنهم نصارى فبادروا باعترافهم بآلهة بلادهم في الظاهر فقط دفعا للريبة

دخول دين النصرانية بتلك البلاد

ومن سنة ١٥٤٩ الى سنة ١٦٣٨ من الميلاد استمر القسيسون العيسوية في نشر ملتهم والدعاء الى دينهم بتلك النواحي وحصل لهم محنتان عظمتان هلك فيهما كل من وقع منهم فذهبت كنيستهم الجديدة هباء منثورا ففي سنة ١٥٩٠ من الميلاد هلك فيهما نحو عشرون الف نصراني وكلام القسيسين يقتضي أنه في سنة ١٦٣٨ قتل من النصارى سبعة وثلاثون ألفا والظاهر أن ذلك انما هو لكون دخول العيسوية في السياسات وتحيلهم فيها كان في اول الامر سببا لبغض دولة ياپونيا لدينهم الذي يزعمون أنهم متمسكون به مع أنه ينهى عن الطمع وهم طماعون والظاهر ايضا أنه انضم الى ذلك الغيرة التجارية التي وقعت في قلوب الفلنك من البرتوغال فسلطوا عليهم فحصل للبرتوغال نصيب من هذه المصيبة ومن هذا الزمن الشهير صار دين النصارى مبغوضا عند اليابونية والواقع أن الحق مع اليابونية لانه لو نزل قسيسون من بلاد ياپونيا على مينا هاورد غراسة وذهبوا الى مدينة روان في فرانسا واحرقوها كما صنع قسوس النصارى ببلاد ياپونيا لكان ضابط المملكة الفرنساوية يعاملهم اسوء المعاملة

تقدم العلوم والاداب والفنون

وتمدن اليابونية يظهر لنا أنه كتمدن الصينيين باق على حالة واحدة لا يزيد ولا ينقص لكن لما كان عند اليابونية درجة كمال في التمدن مشتملة على آثار فتنة ادبية أي تتعلق بالديانات كان يرجى عندهم تقلب عظيم وتغير وزيادة في التمدن وذلك لان من طباعهم الرجولية والشهامة اكثر من الصينيين وعندهم ايضا درجة حرية سياسية تقربهم من اهالي

اوروبا فهم بشجاعتهم وذكاء فهمهم يقربون من الافرنج ويقال ان لسان علومهم هو اللسان الصيني القديم وحروفهم العجيبة يظهر أن دورها مشتبهة كثيرا بصور حروف الصينيين الا انها تدل على حروف لا على كلمات بخلاف حروف الصينيين فان صورها تدل على الكلمات ولا يعرف الصينيون قراءة كتب الياپونية بخلاف ارباب المعارف من الياپونية فانهم يحسنون قراءة الكتب الصينية ثم ان الخواجة تطسنغ الذي ألف كتابا عظيما في تخطيط ياپونيا جاء من ياپونيا بكتب مطبوعة تدل على عظم هذه الامة وبراعتها وحروف المطبعة عندهم ليست متنقلة متحركة ولا يطبعون الا من جهة واحدة وعند الخواجة المذكور كتاب في اشكال الحشائش مرسوم وملون مع غاية الاهتمام يعجب الناظر فيه وقد استصحب معه ايضا في رجوعه خرطات وصورا أراض نظيفة نافعة في علم رسم الارض وان كانت خالية عن الاطوال والعروض ثم ان الياپونية نقشوا نقود دولتهم قبل ظهور عيسى بستمائة سنة كما نقشوا علامات العشائر الاصلية وشعائرها وهم يقرؤن ويكتبون ايضا باللغة الفلمنكية وقد شرعوا في تعلم الطب والمواليد الثلاثة على مقتضى الكتب الفلمنكية وهم الى الآن يجهلون علم الطب ومعرفتهم في الهيئة غير جيدة فيقسمون الزمن تقسيما متعبا وسنتهم قمرية تبتدئ تارة في شهر مايه وتارة في فبريه وفي كل تسع عشرة سنة يلحقون بهذه السنين شهرا مكررا سبع مرات وفي اثناء السنة الشمسية ويظهر أن مدارسهم تفوق على مدارس من عداهم من اهل آسيا فلا تسمع في مكاتبهم اصوات العصي ولا السياط بل تسمع فيها الاغاني الاحتفالية المتعلقة بمدح ابطالهم والموكلين بحفظ بلادهم ممن يزعمون الوهيتهم ويعظمون الاشعار ويفوقون اهل اوروبا في بعض الفنون فعندهم اناس ماهرون في شغل النحاس والحديد لا سيما الاسلحة البيضاء فانها عظيمة عندهم والزجاج كثير في بلاد ياپونيا حتى انهم يشتغلون فيها النظارات وتصاوير الياپونية كثيرة الالوان الزاهية ناقصة التركيب والرسم

تقسيم الزمن

مدارس

ومساكن الياپونية ليست مركبة الا من دورين فقط بسبب الزلازل وبيوتهم لا تعجب ذوق الافرنج وكذلك اثاثهم وملابسهم وعربانهم وان كان لا ينكر أنهم ارباب صناعات وهندسة وهي منقسمة الى عدة مساكن بواسطة حواجز منتقلة وداخل البيت مزين بالتصوير والاوراق المذهبة او الملونة واثاث البيت به لمعان بسبب الطلاء اللين الذي لا يعتريه تغير وثيابهم واسعة الا انها لطيفة جيدة القماش المتخذ من القطن او الحرير الذي يصطنعون اغلبه في بلادهم ويشتغلون ايضا بانفسهم الحلي والمشابك والقروط التي هي من ملابس النساء وكذلك يشتغلون نعال القش التي يخلعونها على باب البيت وقلنسوات الحشيش التي يصطحبونها معهم في السفر وبالجملة فيصطنعون كل ماله مدخلية في لذاتهم وراحة انفسهم وعربات نسائهم ظريفة مريحة ويستخرجون من الارز نوعا من العرق يسمى ساقي ويقال له ايضا زقي وهو شراب مختار جدا

مساكن

اثاث

ملابس

ثم ان الياپوني معتد غالبا للضحك فانه يحلق نصف راسه والباقي يبقيه ويرفعه الى وسط رأسه وفي سفره يتزر بمئزر ضخم من ورق مدهون بالزيت وتحيته عبارة عن انحنائه عدة مرات كالركوع ويده دائما مروحة وكل هذا امره عجيب غير أن الياپونية يفتخرون بشدة تدقيقهم في النظافة حتى انهم يجعلون الافرنج ارباب وساخة وليس فيهم حمية الافرنج وقت المشاجرة فترى الرجل منهم اذا اشتدت به الاساءة لا يجيب المسيء بكلمة مؤلمة وانما اذا اخذته ثورة الحدة حتى اخرجته عن طور العقل انتقم من خصمه بسلاحه الذي لا يفارقه اصلا وهو الخنجر فاذا تعذر عليه الانتقام منه قتل نفسه

اوصاف الياپونية

وشريعة الياپونية لا تبيح الا التزوج بواحدة ولكن للانسان منهم أن يتسرى بالجواري وللجواري أن يكن معه والمرأة تحت يد الزوج فاذا غضب عليها فليس لها عليه شيء ونساؤهم وان كن غير محجوبات في البيوت يندر خيانتهن للفراش فاذا طلق الرجل زوجته ألزمت ان تمكث محلوقة الرأس دائما واحتفالهم للزواج لازينة به فتجد المرأة المخطوبة بأسفل المحراب توقد مصباحا وزوجها يوقد منه مصباحا آخر والعادة عندهم ايضا أن البنت المخطوبة ترمي في النار الشخشيخة التي كانت تلعب بها في حال صغرها

نساء وجوار

وفي ياپونيا يحرقون اجسام الموتى من الاعيان ويدفنون من عداهم ويشهرون عيدا يسمى عيد المصابيح كما يعم ذلك في بلاد الصين ولكنهم يضيفون اليه زيارة القبور في اوقات معلومة ويطعمون بقصد الشياطين اطعمة وسكاويغنون لهم ويفعلون رسوم التحيات وحظ جميع الناس هو التياترات المحزنة والمفرحة وليست ألعابهم في ذلك دون ألعاب الامم المتمدنة ويكثر بها الراقصات وكذلك الراقصون الذين هم اقل حياء من النساء لما فيهم من الرخاوة والخنث وعندهم ايضا كثير من بيوت الزنا ويبرزهن على ذلك اعظم مما في ولاية اخرى

الاحتفال للجنائز التياترات

وعندهم الدنرق متعهدة يسهل سلوكها والتوصل بثمنها ولا شيء من الجمرك يضر بنفاق سلع التجارة الداخلية ومع أن مينا تهم

تجارة داخلية وخارجية

مسدودة دون اطماع الافرنج فعليها كثير من السفن الكبيرة والصغيرة وحوانيتهم واسواقهم مملوءة بسائر انواع المواد المعاشية وفى المدن اسواق كبيرة عامة يتردد اليها عدة من الامم وتجارة اليابونية مع الصينية مهمة فيحملون الى اليابون الحرير الخام والسكر والترتينية وهى صمغ البطم والعقاقير وكان اليابونية يحملون الى خارج بلادهم قضبان النحاس والطلا وصمغ اللك وكلام تطسنغ وتونبرغ يقتضى أن كسب التجارة الفلكية مع اهل يابونيا ليس بالغا الغاية فى العظم وذلك لان قبانية الفلنك لا تستعمل للتجارة الا سفينتين وشكل السكة اليابونية عجيب وعند الخواجة تطسنغ نقود شكلها بيضاوى محدب ونقود الذهب تسمى كوبنغ ونقود الفضة تسمى كوداما وقد رسم عليها فى بعض الاحيان صورة ديكوك وهو عندهم اله الثروة فيصورونه جالسا على زنبيلين من الارز وفى يده اليمنى مطرقة وفى اليسرى كيس والنقود التى جمعها الخواجة تطسنغ تاريخها قبل الميلاد بسمانة سنة

نقود

فهذه هى الولاية المنفردة فى آسيا التى مدحها ارباب الاسفار من علماء المواليد مثل تونبرغ وذمها القسيسون فأرباب الاسفار شبهوها بجنة مشتملة على انواع الزراعات واما القسيسون فانهم لم يذكروا فيها الا آثار دم الشهداء من ملتهم وتخطيطات وارنيوس ووالنطين يظهر انها اغضبت الفلنك حين تأليفها واما الخواجة تطسنغ فانه كان فلنكيا اقام بهذه البلاد وكان معتبرا عند اكارب سلطان يابونيا وكانوا يأتمنونه على اسرارهم فألف كتابا عظيما يتعلق بالتاريخ والسياسة والجغرافيا فيما يخص هذه البلاد والظاهر أنه اشتغل بذلك مع التفرغ وشدة الغيرة قبل غيره

والظاهر أن سلسلتى الجبال اللتين يخترقان كورة ويابونيا يتقاربان ويستمر اتجاههما تحت سطح الماء فيتكون منهما سلسلة جوامع جزائر صغيرة تمتد من يابونيا الى جزيرة فرموزة وفى هذا القسم البحرى الذى لا يعرف الا قليلا تجد ولاية ليوكيو المسماة لكيو وهى ولاية عامرة مرغوب فيها واول ما يتعلق بها من الاخبار العظيمة هى اخبار رسول صينى يسمى سوبا كوونغ الذى بعث سنة ١٧١٩ من الميلاد فلخص رسالته القسيس غوبيل واخذ زبدة رحلته واما قنفر فهو فى الحقيقة اول من تكلم عليها وسماها باسم جزائر لكيو لكن على وجه مبهم

ارخبيل ليوكيو

وكلام غوبيل يقتضى أن هذه الجزائر المتقدمة من جزيرة كيوسيو التى هى أبعد جنوبا من جزائر يابونيا الكبيرة وبها عدة انواع من سلسلة الجزائر الكبيرة والصغيرة تتصل بجزيرة فرموزة فنهاست وثلاثون غير الجزائر التى فى يابونيا وفى جنوب كيوسيو سبع جزائر صغيرة وجزيرة كبيرة تسمى تنكسيما وهى تابعة لسلطنة يابونيا وفى جنوب هذه الجزائر السبعة تجد ثمانى جزائر اخرى يحكمها ملك ليوكيو ويسميها اوفوشيما يعنى جزائر اوفو والجزيرة العظيمة فيها تسمى فى البلاد اوفو ويسميها الصينيون تاتو يعنى الجزيرة الكبيرة وهذه الجزائر خصبة عامرة الاجزيرة ككيا وهى نظير اوفو فى كونها كثيرة الغابات الارزية الظريفة العظيمة

جزائر تانا واوفو وغيرها

جزيرة ليوكيو الكبرى

وفى الجنوب الغربى من هذه الجزائر جزيرة عظيمة تسمى جزيرة ليوكيو طولها من الجنوب للشمال ستون فرسخا تقريبا والملك يقيم فى الاجزاء الجنوبية بقصر يسمى شولة بقرب المدينة الملكية المسماة كانشنغ ولها مينا تسمى تيكينغ وعلى غربى هذه الجزيرة الكبيرة عشر جزائر اخرى عامرة كثيرة الاهل والخصب الاجزيرة لنغ هو نغ شو يعنى جزيرة الكبريت لانهم يأخذون منها كثيرا منه وعلى شرقى فرموزة سبع عشرة جزيرة داخلة تحت حكم ملك ليوكيو

والجزيرة الكبيرة كانت منقسمة منذ أربعمائة سنة الى ثلاث ولايات فلذا كانت تسمى فى بعض الخرطات جزيرة الملوك الثلاثة واستكشفها الصينيون فى القرن السابع من الميلاد ثم اخذت بعد ذلك بسبعمائة سنة وجزيرة ليوكيو كثيرة الارز والحنطة والخضراوات والبطيخ وشجر القشطة والبرتقان والكباد واللبون والشاى والزنجبيل والفلفل والكافور وخشب الصباغة والوقود والحرير والشمع والملح وبها ايضا المرجان واللؤلؤ وحيواناتها البقر والغنم والايل والطيور

واهلها متأدبون ومشايخ دينهم البنزة اى كهنة اليابونية واغلبهم متعلم فى يابونيا وكتب الدين والادب والعلوم مكتوبة بالحروف الصينية ولكن المتداول فى الاستعمال المعتاد انما هو حروف اليابونية ولسانهم يغاير لسان الصينيين وان كان مركبا من كثير من الكلمات الصينية واليابونية وفى سنة ١٧٢٠ من الميلاد انشأ بها البلتغان كنيسة هى كنجخانة وامر أن يبنوا فى اعظم هذه الجزائر هيكلا لكونفوسيوس

وفى هذه الجزائر معامل الورق والحرير والسلاح وثم ارباب شغل يحسنون صناعة الذهب والفضة وغيرها وسفنهم التى تسير فى البحر المالح مرغوبة للصينيين واليابونية

وملك ليوكيو يدفع لسلطان الصين ميريا سنويا من الكبريت والنحاس والقصدير والمرجان وصدف اللؤلؤ ولا يمكنه أن يختار زوجاته الا من ثلاث عائلات ولا يعرف ايراده ولا قوته

اخبار القبودان بروغطون

ويمكن أن نقابل الآن هذه الاخبار التي ذكرها القسيسون باخبار القبودان بروغطون فكلام هذا الملاح الانكليزي يقتضي أن ولاية ليوكيو التي سماها ليوچو عبارة عن مجمعين من الجزائر فالمجمع الابعد جنوبا والاصغر قدرا يسمى جزائر ماجوكوسيماه والمجمع الاكبر هو جزيرة تايين سهان وهي اقرب جزائر ليوچو المسماة بهذا الاسم حقيقة التي هي قريبة المسافة اذا سرنا جهة الشمال الشرقي والجزيرة المسماة ليوچو الكبرى تمتد من الجنوب الى الشمال وهي نحو اربعة وثمانين ميلا من الطول او خمسة وثلاثين فرسخا منه وعرضها ثمانية عشر ميلا بالنسبة لاعرض اجزائها وهي الجزيرة الاصلية من مجمع جزائر ليوچو ومينا نيشان مدينة وهي قاعدة الولاية وجميع هذه الجزائر ودار هذه الولاية الصغيرة وهي على ما قاله بروغطون واقعة في الشمال الغربي واهالي جزائر ليوچو وماجوكوسيماه بينهم مقاربة ومشابهة وهم اقرب لكونهم باپونيي الاصل من كونهم صينيين ويكتبون ويقرؤن بلسان الباپونية الذين يتجرون معهم وهم يتجرون ايضا مع الصينيين ويدفعون لهم المير كما يتجرون مع جزيرة فرموزة ويربون الخيل والمواشي الكبيرة وصنفا عظيما من الخنازير مباينا للصنف الموجود في الصين

والظاهر أن الجزيرة التي سماها هذا الملاح الانكليزي باسم تايين سهان هي التي سماها القسيسون تايين وكذلك سمى هؤلاء القسيسون مجمع جزائر صغيرا جدا في الجنوب الغربي من ليوكيو باسم ماچي والظاهر انه عين اسم ماجوكوسيماه الذي ذكره بروغطون لان سيماه اوسيما مرادف للفظ جزيرة ولكن توسع بروغطون فيه فجعله شاملا لجميع مجمع الجزائر الجنوبي والمدينة الاصلية من ليوكيو واقعة في الشمال على ما يقتضيه كلام هذا الانكليزي وفي الجنوب كما يقتضيه كلام القسيسين ولعل هذا الانكليزي اراد المينا واراد القسيسون نفس المدينة ثم ان اتساع هذه المدينة حصل فيه مبالغة في الاخبار القديمة واختلاف الرسم انما نشأ من أن الكاف الصينية التي تشبه الكاف الاسوجية ليس لفظها مثل تركيب التاء والشين ولا مثل الكاف الفرنساوية فيمكن التعبير عنها بجملة حروف مجتمعة مثل التاء والكاف او التاء والغين فلهذا اختلفت كتابة اسم هذه الجزائر وهي ليوكيو التي تحتاج الى امتحان وتفصيل اكثر من ذلك

وهذا جدول الاوضاع الجغرافية المرصودة على سواحل المنچوريا وسو ويا پونيا وكورية

اسماء الاماكن	عروض			اطوال			اسماء المنقول عنهم
سغالين	درج	دق	ث	درج	دق	ث	
راس ايليزابيته	٥٤	٢٠	٠٠	١٤٠	٢٥	٠٠	كروسنسترن
راس غلوواچيف	٥٣	٣٠	١٥	١٣٩	٣٥	٠٠	كذلك
راس پسيانس	٤٨	٥٠	٠٠	١٤٢	٢٥	٠٠	كذلك
راس اموا	٤٦	٢	٢٠	١٤١	١٠	٢٠	كذلك
كذلك	٤٦	٣	٠٠	١٤١	٨	٤٥	لاپيروزة على حسب ماصححه داجليت
كذلك	٠	٠	٠٠	١٤٢	٢٠	٠٠	على ماتقتضيه خرطة رحلة لاپيروزة (غلط مقياس الزمان)
راس كريلون	٤٥	٥٤	٠٠	١٤٠	٣٥	٠٠	خرطة كروسنسترن (لاپيروزة وكتاب معرفة الازمان)
كذلك	٤٥	٥٤	١٥	١٣٩	٣٨	٣٩	لاپيروزة على حسب ماصححه داجليت
كوريله							
خليج نادسهدا بقرب جبل ساريچف	٤٨	٢	٠٠	١٥٠	٣٢	٣٦	كروسنسترن
يسو							
راس سوويا	٤٥	٣١	١٥	١٣٩	٣١	٠٠	كذلك
راس رومنزوف	٤٥	٢٥	٥٠	١٣٩	١٤	٣٠	كذلك
(نوتزمبون)							
جزيرة ريوشيرى اوجبل لنغل	٤٥	٢٣	٠٠	١٣٩	٥٠	٠٠	خرطة لاپيروزة (غلط)
كذلك	٤٥	١٠	٤٨	١٣٩	١	٥٠	لاپيروزة على حسب ماصححه داجليت
كذلك	٤٥	١١	٠٠	١٣٨	٥٢	١٥	هرنيرو كروسنسترن فى ارصاد مكررة محررة
راس مالسبينا	٤٥	٤٢	١٥	١٣٨	٥٨	٣٠	كذلك
راس نووزوف	٤٣	١١	٠٠	١٣٧	٥٣	٣٠	كذلك
(اكوموب)							
جزيرة اكوزير (فى الوسط)	٤٢	٩	٠٠	١٣٧	١٠	٠٠	كذلك
راس نادسهدا	٤١	٢٥	١٠	١٣٧	٤٩	٣٠	كذلك
جون البركان	٤٢	٣٣	١١	١٣٨	٣٢	٣٢	بروغطون
پاپونيا							
راس سنجبارية	٤١	١٦	٣٠	١٣٧	٥٤	٠٠	كروسنسترن
راس الروسية	٣٩	٥٠	٠٠	١٣٧	٢٤	٠٠	كذلك
راس نوتو	٣٧	٣٦	٠٠	١٣٥	٣٤	٠٠	كتاب معرفة الازمان
جزيرة تسوس (فى الطرف الشمالى)	٣٤	٤٠	٣٠	١٢٧	٩	٣٠	كروسنسترن
تنغازاكى	٠	٠	٠٠	٠	٠	٠٠	
راس دنويل	٠	٠	٠٠	٠	٠	٠٠	
راس تنبو	٠	٠	٠٠	٠	٠	٠٠	
ساحل المنچورية وكورية	٠	٠	٠٠	٠	٠	٠٠	
راس رومبرغ	٥٣	٢٦	٣٠	١٣٩	٢٤	٤٥	كروسنسترن

اسماء الاماكن	عروض			اطوال			اسماء المنقول عنهم
	درج	دق	ث	درج	دق	ث	
جون قاستريه	٤١	٢٩	٠٠	١٣٩	٣٩	٠٠	لاپيروزة وكتاب معرفة الازمان
رأس مونتى	٥٠	٣٠	٠٠	١٣٩	٣٣	٠٠	كذلك
جون دوسوفرن	٤٧	٥٣	٠٠	١٣٧	٢٠	٠٠	كذلك
جون دوتزناى	٤٥	١٣	٠٠	١٣٥	٠٩	٠٠	كذلك
جزيرة داچليت	٣٧	٢٥	٠٠	١٢٩	٠٢	٠٠	كذلك
اتساكونى (كورة)	٣٥	٣٠	٠٠	١٢٧	٢٣	٠٠	كذلك
كلپايرت (جزيرة كلپايرت)	٣٣	٠٧	٤٩	١٢٣	٥٨	٤٢	

تنبيه * فى ياپونيا ثمانية وستون اقليما وستمائة قسم سياسى ضربنا عن جدولها صفحا لان هذا الجزء من كتابنا قد زاد على ما تصديناله الاراده وجمعه فكان عدم ذكره فائدة اخرى

(المقالة الثالثة والستون)

(من تخطيط آسيا في بلاد الصين الحقيقية)

(الجزء الاول)

(في التخطيط العام)

تقدم المعارف

قد ذكرنا فيما تقدم الصينيين اكثر من مرة واستظهرنا أن الجغرافيا القديمة لا تصل الى البلاد البعيدة التي هي مقر هذه الامة الصينية المنعزلة عن باقي بلاد الدنيا وذكرنا كلام السياحين من العرب الذين كانوا في القرن التاسع من الميلاد وكذلك قيسوا القرن الثالث عشر ومرقبول الشهير في اسفارهم الى بلاد خطاى ومنجي المسماة مهاصين يعني الصين الشمالي والجنوبي فلا حاجة الى اعادة هذه المنازعات وانما نقول ان اسفار ريروقيس ومرقبول بقيت زمناطويلا مجهولة وان باباروما المسمى بيه الثاني الذي كان صاحب معارف خطط سنة ١٤٤٨ من الميلاد بلاد الصين تابعا في ذلك لرحلة صغيرة مختصرة ألفها نيقولاس قنطي الذي شاهد تلك البلاد قبل تأليف البابا المذكور بنصف قرن على أن هذا البابا يظهر من كلامه أن عنده شكا في صحة ما قاله هذا السياح ولكن لم يصل الافرنج الى معرفة هذه البلاد الا بتعريف ملاحي البرتوغالية الذين جاؤا بعد وسقودوغاما فانهم ذكروا اخبارا صحيحة في تقويم بلاد الصين واتساع ارضها وعظمها ومن هذا الزمن كثرت المعارف ولا زالت تتجدد من سفراء الملوك المبعوثين الى الصين الذين رأوا ديوان ملك الصين والطرق العظيمة وكذلك بعض تجار سكنوا في ضواحي مدينة من مدن الحدود وممن عرفنا ذلك عدة قسوس دخلوا بلاد الصين وجالوا في جميع ارجائها وتعجبوا فيما من كل شيء وصدقوا كل شيء ولكن لما كان عندهم اخلاص في التأليف كان للقارئ أن يستنبط من كلامهم ما فاتهم من الامور المهمة التي لم يذكروها الا نادرا وكذلك مما توصلنا بمعرفته لتلك البلاد كتب الجغرافيا الصينية وان كانت اسماؤها هنا لصعوبتها لا تفيدنا الا اشياء هينة فلهذا كان تخطيط الصين يضطر فيه الى التكرار

دولة الصين

وفتوحات سلاطين دولة المنجو المسماة خطاء باسم التتار اتسعت دائرتها على اعظم جزء من الاراضي المسماة باسم التتار المستقلة وهذه التسمية باطلة دائما لان اغلب هذه البلاد يسكنه القلوق والمغول لا التتار وفي وقت هذه الفتوحات دخل الروسية في سيبر فصار وسط القارة القديمة نقطة ملاقاة لامتين خارجتين من طرفين متقابلين فتجد ايمبراطوريتين عظيمتين احداهما تتصل بالقطب والاخرى تجاوز المدارين وبعد أن كانتا مفصولتين بمسافات عظيمة جدا هما الآن متصلتان وهما ايمبراطورية الروسية وسلطنة الصين واتصالهما بواسطة خط طوله ألف وماية فرسخ تقريبا من اطراف بحيرة بلكاتي الى مصب نهر امور وهذا الخط الطويل هو في الغالب ينتهي باتجاه الجبال التائية والسيبانية والدوريه ولكن قد توصل الروسية في دوريه الى توسيع حدودهم خلف الجبال الى شطوط نهر امور وبحيرة بلكاتي وجبال الالك وجبال بلور تفصل مملكة الصين غربا من بلاد الغرغيز والاوزبك وغيرهم من الامم المستقلة عن بلاد التتار الحقيقية وبينما كان استيلاء الصينية يقرب في الشمال والشمال الغربي من حدود روسية آسيا اذ امتد ايضا من الغرب ومن الجنوب الغربي على اقطار التبت الواسعة فهذا كادت حدود الصين تتصل بحدود البلاد التي في حكم الانكليز جهة بنغالة واراضي سيرينا غور الصغيرة ونيبول وغيرها وجبال غارو وهي من هذه الجهة آخر حاجز بين سلطنتي الصين والهند واذا بعدنا عن ذلك شرقا وجدنا سلطنة برمان تتصل بالاقليم الصيني المسمى ايون نان وبلاد سيامو لا تتصل بحدود الصينيين واما مملكا لاوس وتنكين فهما متصلتان بهما بل ربما كانتا تابعتين للصين

حدود الارض

والبحر المحيط الشرقي بعد احداثه كثيرا من الاجوان والبوغازات يتصل بسواحل سلطنة الصين واتصاله بها في مسافة نحو الف وثلثماية فرسخ من حدود تنكين الى مصب نهر امور والذي يتصل اولا بجون تنكين وبحر الصين هو الاطراف الجنوبية من السلطنة وخليج فرموزة يفصل جزيرة فرموزة من الارض القارة والبحر الازرق والبحر الاصفر يمتدان احدهما وهو الاول بين الصين وليوكيو وبابونيا والثاني بين الصين وكورة وقد ذكرنا فيما سبق بحر بابونيا وطرفه الذي عرفه لابيروزة يسمي بوغاز التتار تسمية خالية عن المناسبة ولا يعرف هل الصينيون يدعون لانفسهم جزيرة سغالين او جوكا وهي بلدة يمكن أن تصير فيما بعد مهمة ويمكن أن طمع الروسية الذي هو دائما قوي يدعوهم الى الاستيلاء عليها ونهاية بلاد المنجو تسمى التتار الصينية تسمية فاسدة وهي تحاذي بحر اوخنسك الذي سماه المتأخرون بذلك واما دونيل فسماه بحر تجيتقا

البحور التي تتصل بالصين

وملكة الصين الداخلة في هذه الحدود تمتد طولا نحو ١٢٥٠ فرسخا اذا حسبنا من مدينة قاشغر الى مصب نهر

اتساع المملكة

امور.

امور واكبر عرضها يمكن اخذه من الجبال السيانية الى العرف الجنوبي من الصين تجاه جزيرة هاي نان على خط مقداره سبعمائة وخمسون فرسخا

والسطح الهندسي لهذه المملكة يمكن أن يكون تقريبا ٦٥٠٠٠٠٠ فرسخ مربع وهو اقل من عشر سطح الارض المسمورة بيسير

الصين الحقيقية

وليس الغرض لنا هنا الا الصين نفسها فنقول ان هذه البلاد يظهر لنا اتساع اراضيها حيث يزيد سطحها على ١٩٤٠٠٠ فرسخ مربع واهلها مائة وخمسون مليونا على ما قاله بعضهم وقال آخرون انهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثون مليونا وليس هذا الاتساع في الحقيقة محدودا بحد طبيعي والسد الاكبر الصيني يفصل بلاد المغول من بلاد الصين شمالا وعلى الغرب تفصل الحدود السياسية الامم الرحالة النزالة وهم القلموق المسمون ايضا ايلوثة من الهوهونور والسيفان وحدود مملكة الصين هي من جهة الجنوب حدود بلاد الصين الحقيقية

اقسامها واتساعها

ولنذكر لك هنا جدول اقسام الصين الحقيقية واتساعها وتبع في ذلك الاخبار التي ذكرها المندرين اي العالم الصيني المسمى شوتازنغ واخبر بها الامير الانكليزي المسمى مقرطيني حين سفره الى بلاد الصين بوظيفة سفير من طرف الدولة الانكليزية الى ملك الصين وهذه صورة الجدول المذكور

اقاليم	اميال مربعة	اكر (وهو فدان افرنجي ونصف تقريبا)
پي چي لي	٥٨٩٤٩	٣٧٧٢٧٣٦٠
كيانغ نان * اسم لاقليمين	٩٢٩٦١	٥٩٤٩٥٠٤٠
كيانغ سي	٧٢١٧٦	٤٦١٩٢٦٤٠
چي كيانغ	٣٩١٥٠	٢٥٠٥٦٠٠٠
فوكيان	٥٣٤٨٠	٣٤٢٢٧٢٠٠
هوكوانغ (هوبي هونان)	١٤٤٧٧٠	٩٢٦٥٢٨٠٠
هونان	٦٥١٠٤	٤١٦٦٦٥٦٠
شانتونغ	٦٥١٠٤	٤١٦٦٦٥٦٠
شان سي	٥٥٢٦٨	٣٥٧١٥٥٢٠
شنسي (شنسي الحقيقية كان چو)	١٥٤٠٠٨	٩٨٥٦٥١٢٠
سيشون	١٦٦٨٠٠	١٠٦٧٥٢١٢٠
كوونغ تونغ	٧٩٤٥٦	٥٠٨٥١٨٤٠
كوونغ سي	٧٨٢٥٠	٥٠٠٨٠٠٠٠
ايونان	١٠٧٩٦٩	٦٩١٠٠١٦٠
كشيو	٦٤٥٥٤	٤١٣١٤٥٦٠
	١٢٩٧٩٩٩	٨٣٠٧١٩٣٦٠

١٤٤٢٢٢ فرسخا مربعا

اسمها

وهذا الاقليم كان مشهورا بعدة اسماء فأهله يسمونه چون كوه ومعناه مركز الارض وذلك لان الصينيين يفتخرون بأن جميع البلاد انما هي حواش واطراف لبلادهم ولكن ارباب الاسفار من الاسلاميين من اهل القرن التاسع من الميلاد يطلقون اسم الصين على بلاد الصين الجنوبية ويسميها العجم باسم چين واصل هذا الاسم غير محقق وامة السينة المذكورة عند الاقدمين وان كانت ابعد في الغرب من جميع اجزاء الصين الجنوبية الا أن مشابهة الاسماء عظيمة تامة بحيث لا يمكن أن يقال ان هذه المشابهة لا معنى لها ويظهر لي أن اسم سينة انما هو اسم قديم من اسماء الاجناس موضوع للدلالة على جميع امم التبت والصين والهند التي خلف نهر الكنك

جبال

وقد وقع في جغرافية الصين الطبيعية من الشكوك العسرة الوضوح ما صارت به هذه البلاد العظيمة على اقل مما تستحقه

من الفائدة وزعم بعضهم أن بلاد الصين تنقسم قسمين طبيعيين كثيري الجبال احدهما فى الجنوب الشرقى والآخر فى الشمال الغربى ولنذكرهما فنقول

سلاسل جبال جنوبية

اما سلسلة الجبال الكبرى الجنوبية فانها تظهر بين اقليمى يونان وكنشيو ولا يدرى هل هى متصلة اتصالا ظاهرا بجبال الالب التبتية او هى منفصلة عنها وهذه السلسلة تمتد بين اقاليم كوون سى وكوون تونغ وفوكيان جنوبا واقليمى هوكوان وكيانغ سى شمالا وتتجه اولا من الغرب الى الشرق حتى اذا وصلت الى حدود فوكيان تنعطف الى الشمال الشرقى وبذلك تفصل اولا حوضة نهر يان تسيكيانغ من حوضة نهر هون كيانغ جنوبا ثم تفصل نهر يان تسيكيانغ من البحر شرقا وثم شعبتان من هذه السلسلة تقطعان حوضة يان تسيكيانغ قطعا معترضا بحيث يجب ان الاقاليم الثلاثة وهى اقليم سيچون وهوكوان وكيانغ سى تكون ارضها ارفع سطحا من غيرها وتكون كثلاثة سطوح مدرجة والسلسلة الاصلية ذات مرتقى صعب لاسيما فى اقليمى كنشيو وكووان سى حيث تقيم بها قبائل متوحشون لم يدخلوا الى الآن تحت طاعة الصينيين ولكن لم يتمحن ارباب السياحة الا الجبل الصغير المسمى ميلنغ الذى يبلغ ارتفاعه ثلاثة آلاف قدم فوق سطح بحيرة بوينغ وهذا الجبل الصغير يحيط به عدة جبال اصغر منه مهابطها كثيرة الاشجار والحشائش الكبيرة ومنظره وحشى عجيب والظاهر بمقتضى العلامات أن احجار الصوان التى هى كالورق وصخرة حجر الزناد هى المتحكمة فى هذه السلسلة الجبالية المنحية الشبيهة بجبال ابنين التى فى ايطاليا بل هى ايضا اشبه فى العظم بجبال البرنات التى بين اسبانيا وفرانسا

سلاسل جبال شمالية

واما القسم الجبلى الذى فى الشمال الغربى فهو اقرب لان يكون سطوحا مدرجة او ربوات من كونه سلاسل جبال كما تدل عليه خرطات دنويل * نعم هذه الخرطات مرسوم عليها الجبال بوجه غير واضح غير أن عليها امارة الصحة والتدقيق وفى غرب اقليم سيچون سلسلة جبال تتجه على موازاة نهر يالون من الجنوب الى الشمال ثم تدخل بعد ذلك فى اقليم سينان فتسمى هنالك بامى كنتالا ودهات سى كو وغيرهما ثم تنعطف من هذا القسم الكثير العيون الى جهة الشرق وتدخل فى اقليم شنسى وتسير فيه على موازاة نهر هوبيه ثم تسير على موازاة نهر هوان هو وتنتهى فى اقليم هونان * وفى شمال اقليم شنسى وفى بلاد منچوار توس ينعطف نهر هوان هو نحو ثلثمائة فرسخ شمالا ويشتمل من جهات ثلاثة على الربوة الجبلية المنعزلة وحدها

واقليم شنسى مملو بالجبال التى يظهر انها من سلسلة خارجة من شطوط نهر امور فى داخل بلاد المغول والفروع الثانوية من هذه السلسلة قد ذكرها الخواجة جيلان واغلب تلك الجبال شاهق وكلها فى الغالب كالصخرات المتعلة واول طبقة منها هى فى الغالب من الرمل والحجارة التى تستحيل زجاجا والطبقة الثانية من حجر صلب ذى حباب وعقد كثيرة زرقاء والثالثة من حجارة السجيل الصلبة الزرقاء وربما كانت حمراء تضرب الى السمرة وهى طبقة كثيفة جدا خالية عن الانتظام وفى بعض محال منها يكثر اكسيد الحديد حتى انه يكسب حجارة السجيل صبغة الحديد المسماة ازنكان وتجد فى عدة اجزاء من اطراف بلاد المغول عروقا عمودية من حجر الاسباط الابيض ومنه ما هو ابيض وازرق على رؤس الجبال الشامخة وترى كتلا عظيمة متفرقة من الصوان

ولا يظهر فى تلك الجبال اصلا ما يدل على اثر النار بل كانت سابقا مشحونة بالغابات والآن لا ترى فى رؤسها ولا فى المواضع المتميزة منها الا تلولات عاجزة لا تنمو

واقليم سان تون متكون اغلبه من معظم بحيث جزيرة جبلية وجباله المشتملة على معادن الفحم يتكون منها مجمع جبال منعزلة عن بقية جبال الصين والجبال الخمسة الشامخة من هذه السلسلة تسمى عند الصينيين روس الخيل

سهول

واعظم سهول الصين ما كان فى اقليم كيان نان بين النهرين العظيمين وهما نهر هوان هو ونهر يغ سن كيغ ومن هذين النهرين مع نهر هو كيان الواقع فى الجنوب يتركب ثلاث حوضات كبيرة تشتمل على الاقسام الكثيرة الخصوبة من هذه البلاد واغلب سواحل الصين يظهر انها وعرة رملية تكتنفها المخاضات

انهر

هوان هو

ثم ان نهر هوان هو اى الاصفر انما سمى بذلك لما يجذبه من الطين فى جريانه وله منبعان معروفان وهما بحيرتان واقعتان فى ارض قلوق هو هو نور المسميين ايضا شوشوت ولكن ماذكره دنويل يقتضى أن النهر الابعد غربا من هاتين البحيرتين يصح أن يعتبر مبدأ لنهر هوان هو ومن اطلع على النهر المذكور من هذه الجهة وجده اشبه شئ بنهرى الرين والرون من جهة منبعهما وبالجملة فلا شئ اصعب من تحديد منابع الانهر الكبيرة وتعيينها على وجه الصحة

يغ تس كيغ

ونهر يغ تس كيغ اى النهر الازرق يخرج من شمال التبت قريبا من صحراء كوبى وماذكره دنويل وارومييت

فى تحديد اوضاع المنابع المذكورة انما هو من باب الحدس والتخمين ومبنى على روايات متعارضة ونقول متناقضة

وهذان النهران الخارجان من منبع واحد كأنهما توءمان ينزلان بهرعة من الربوات العظمى التى بآسيا الوسطى وكلاهما يلاة فى جزيرة فرعا من الجبال بواسطته ينعطف كل منهما الى جهة على حدته وينفصل عن الآخر انفصالا تاما فتجد نهر هوان هو ينعطف الى جهة الشمال ونهر ينغ تس كينغ ينعطف الى جهة الجنوب ومسافة ما بينهما اربعمائة فرسخ ويترأى للناظر أن احدهما متجه نحو بحار المنطقة المحترقة والآخر ذاهب فى صحارى المغول ذات الثلوج ثم يتقاربان على حين غفلة كأنهما تذكرا الاخاء القديم فترى كلا منهما يقرب من الآخر ويسعى فى طلبه وينعطف نحوه فيسيران معا فى سهول اشبه بسهول الجزيرة (تركية آسيا) وبعد أن يتلاقيا تقريبا فى السهول المذكورة بواسطة الخلجان والبحيرات يسيران على الجريان مسافة اربعين فرسخا ثم يمسكان عن هذا السير العظيم ويقفان وينتهى منهما ممالك الجريان

انهر مختلفة

ومن جملة الانهار الصغيرة التابعة لهذين النهرين العظيمين ما يضاهى اعظم انهار بلاد اوروبا فمن ذلك انهر فون هو وهوى هو وهواى هو التى تصب فى النهر الازرق كنهر يالون كينغ الذى يبلغ مجراه تقريبا مائتين وخمسين فرسخا ومن ذلك ايضا نهر انجو المسمى ايضا ين كينغ ونهر لاكينغ ونهر ايون كينغ التى تصب فى النهر الاصفر واما نهر ايوان وايون فيصبان على الصحيح فى بحيرة توتنغ هو كما أن نهر خان يصب فى بحيرة بوينغ هو ثم تصب هاتان البحيرتان فى النهر الازرق وهو ينغ تس كينغ فكل نهر من هذه الانهر الصغيرة الواقعة فى وسط الصين يضاهى نهر لوارة ونهر الرين ونهر البه

وفى الصين ايضا نهران كبيران مستقلان استقلالا تاما لا تبعية لهما بنهر هوان هو ولا بنهر ين تس كينغ احدهما نهر هوان كينغ جهة الجنوب وهو يخرج من جبال ايون نان ويجرى مسافة مائتين وسبعين فرسخا ثم يصب فى جون كتتون وثانيهما نهر باى هو جهة الشمال وهو يصب فى جون يكين بعد أن يصب فيه نهر يان هو ثم ان كثرة الانهر الكبيرة والصغيرة عند الصينيين تعود عليهم بالمنافع الجمة فيما يخص الزراعة والسياحة الداخلية غير أن مياه الشرب عندهم قليلة الجودة ومنشأ ذلك على ما يظهر هو أن الانهر تنزل بسرعة من جبال شامخة فتجذب معها كثيرا من المواد الاجنبية ثم تجرى على ارض سبخة مع البطء والانعطاف فى السير

طبيعة المياه

والظاهر أن بعض اقسام الصين مشحون بحيرات اغلبها كبير جدا فقد ذكر الخواجة دوهلد أن بحيرة توتنغ هو الواقعة فى اقليم هوكينغ محيطها يزيد على ثمانين فرسخا وتجد من شواطئ هذه البحيرة الى مدينة ووتشان فى مسافة خمسين فرسخا من الطول والعرض عدة كبيرة من البحيرات التى تكاد تكون متلاصقة ومن ثم سمى هذا الاقليم اقليم هوكونغ ومعناه ارض البحيرات فمنها بحيرة پوينغ هو باقليم كيانسى ومحيطها ثلاثون واربعون فرسخا ويصب فيها اربعة انهر عظيمة لا اقل من كون احدها يساوى نهر لوارة قريبا من مدينة انجرس والسفر بهذه البحيرة خطر جدا وتجد فى جنوب مدينة تنكين بحيرة يقال لها تيهو يكتنفها تلال ذات منظر بهيج وفى شمال تلك المدينة ايضا بحيرتان متسعتان جدا وهما بحيرة هوتس هو وبحيرة خيوهو وهذه البحيرات كلها وصلة بين دولة الصين وغيرها من الدول الاجنبية وهى اشبه بمنتزه يجتمع فيه للحظوظ والمسرات وبحياض تكثر فيها الاسماك فترى فيها زوارق خفيفة يمكن حملها تتلاعب وتجوز على مياه تلك الحياض الراكدة وتشاهد فيها من الطيور المائية رخما يرسلونه لصيد لهم السمك فينقض على السمكة ويصيدها فان لم يكن مرسله وضع فى عنقه حلقة تمنعه من الازدراد والا ابتلع ما صاده

بحيرات اصلية

وقد ابدى الصينيون ما يستدل به على انهم ارباب معارف وفنون حيث جمعوا جميع المياه الموجودة فى ارضهم بواسطة عدة خلجان يتعجب السياح من طولها وحسن وضعها وتناسبها وهى من العمق على مسافة تكفى لسير السفن فى جميع فصول السنة الا أن ما يرى هنالك من السدود او الجسور التى يتخللها فرج ومنافذ لمرور تلك المراكب صعودا وانحدارا ليس جيد الوضع ولا محكم الصناعة ثم ان انهر الصين وخلجانها هى دائما مشحونة بالسفن الموسقة بسائر انواع المؤونات حتى انه ربما اعتقد الانسان أن مياه الصين يوجد عليها من الناس بقدر ما يوجد منهم على الارض والخلجان المذكورة محفوفة من جوانبها بأرصفة مبنية بالحجارة وفيها بعض قناطر بديعة البنيان غير أن السير بها بطىء لان السفن فيها غالبا يجرها الرجال وبالجملة فأرض الصين تروق الناظر وتعجب الخاطر لكثرة خلجانها وصخورها وغاباتها ومزارعها وما يحيط بها مسافة بعد اخرى من الضياع والقرى وتدجع فيها بين العجائب الطبيعية والعجائب الاصطناعية فتراها هنالك متقاربة

خلجان

ومتجاورة واشهر خلجانها هو ما يسمونه الخليج السلطاني وطول مجراه نحو ستمائة فرسخ وهو وصلة للمخالطة بين مدينتي بكين وكنتون وكان احداث هذا الخليج في اواخر القرن الثالث عشر من الميلاد على عهد حفيد جنكيزخان وهذه المسافة الطويلة البحرية لا يقطع اتصالها الا بضعة ارمر حلة يقطعها المسافر في اجتياز جبل معترض هنالك بين اقليمي كوانتونغ وكانسي

قطر — ثم ان اختلاف القطر في اقاليم الصين يتزايد بما لا يكاد يذكر من التأثيرات الناشئة عن جبال اسيا الوسطى حيث انه يخرج منها في الغالب برد ينتشر على ما جاورها من البلاد وايضا قرب البحر المحيط من بعض الاقاليم الغربية يجعلها معتدلة المزاج طيبة الفصول

عواصف — وعواصف الرياح التي تخرج على جزيرة فرموزة تصل مضارها وتخريباتها غالبا الى السواحل القريبة من الصين ولم يزل في تاريخ الصين ذكر الفرطونة التي اغرقت الدونما الكبيرة التي كانت معدة لفتح بلاد يابويا وهنالك ايضا زوابع تثور في خليج تنكين ثورانا هائلا فتضر ايضا بنواحي الصين البحرية

حرارة — ولما كان جنوب الصين قريبا من مدار السرطان كانت حرارته اشد من حرارة اقليم بنغالة غير أن حرارة الاقطار الصينية تلطفها رياح الموسون وهي رياح دورية تهب في بحر الهند مدة معلومة وقد بلغت الحرارة المتوسطة في مدينة كنتون تسع عشرة درجة حسبما دلت عليه ميزانية ريومور والظاهر أن الرياح المعتدلة التي تهب بالاستقامة من الشرق الى الغرب لا تصل الى الجهات الجنوبية من الصين وان وصلت اليها فليس على وجه الاستقامة ولا تستقر بها الا يسيرا وما نقله السياحون في شأن رياح الموسون يظهر أنه متناقض فان رياح الشمال الغربي انما تكون في فصل الربيع وفصل الصيف ورياح الجنوب الغربي والجنوب انما تكون في اواخر فصل الخريف غير أن كلا منهما يتغير غالبا

والاقسام الشمالية والغربية من الصين قطرها اشد برودة من قطر اقسام اوروبا الموافقة لها في العروض ومنشأ هذا الاختلاف بين القطرين المذكورين انما هو ارتفاع ارض الصين وكون تلك الارض مشوبة بملح البارود وما يغمر الجبال الوسطى باسيا من الثلوج في اغلب السنة

شدة الحر والبرد — وشدة البرد والحر في مدينة بكين اعظم منها في مدينة مدريد وان كانتا على عرض واحد تقريبا فتشتد بها البرودة في جميع ايام شهور دقمبر ويناية وفبراية واغلب ايام شهري مارث ونومبر ثم يعقب هذا البرد على الفور

قطر بكين — حرارة شديدة فلا يوجد في الحقيقة بمدينة بكين الا فصلان وهما فصلا الشتاء والصيف واذا جرينا على ما ذكره القسيس اميوت في ارصاده وجدنا الحد الاوسط في اقصى درجات الحرارة

	درجات	دقائق	
يبلغ	+ ٣١		كما في ميزان ريومور
والحد الاوسط في اقصى درجات البرد	— ١٠	٦	كذلك
ومقدار التفاضل	٤١	٠	كذلك
والحرارة المتوسطة في السنة	١٠	١	كذلك

رياح — ثم ان شدة الرياح هي غالبا عظيمة في مدينة بكين فتجدها في فصل الربيع والخريف تهب عند شروق الشمس وتسكن عند غروبها وتجلب معها في الغالب غبارا اصفر كثيرا حتى كأنه في رأي العين مطر من الكبريت والظاهر انه متحلل من طلع ازهار اشجار الصنوبر واشجار التنوب القريبة من مدينة بكين والظاهر ايضا أن رياح الشمال والجنوب الغربي متسلطة على تلك الاراضي

امطار — وقلما نزل في مدينة بكين مطر مدة الشتاء وكذلك الثلج وانما تكثر بها الامطار في شهر يونية ويولية واغسطوس واعظم اشهر السنة محوا هو شهر نومبر ويكثر الضباب في شهري دقمبر ويناية والعدد المتوسط لايام المطر في كل سنة ثمانية وخمسون يوما ويشاهد غالبا في بكين طلوع الفجر من جهة الشمال وعدة حوادث اخرى ضوئية تحكي هذا الفجر الشمالي وان كانت تظهر في النهار وتغيب في اسرع وقت

زراعة — ومن اطلع على تخطيط نباتات الصين عرف من اول وهلة ما احتوى عليه نفيس زراعتها من الكنوز واسباب الثروة التي اعظمها الارز وان كان في الشمال الغربي اقسام باردة او حارة لا ينجح فيها هذا النبات فيستغنى عنه فيها بالحنطة ويزرع الصينيون الكماة والقلقاس الافرنجي واللفت والبصل والفول ولا سيما نوع من الكرنب الابيض يقال له عندهم بتساى واغلب الاراضي الصينية القابلة للزراعة معدة دائما لزرع اقوات الاهالي ولا يعرف عندهم عادة استراحة الارض

الحنطة والخضراوات

واهمالها بدون زراعة فلا تجد عندهم الا قليلا من المراعى والنباتات المزروعة بالهرطمان والفول واللفت لاجل غذاء المواشى وترى الجبال الشامخة قد صارت سهلة خصبة من حركة الاستعمال فتجدها متقطعة الى عدة سطوح اذا رأيتها من بعد حسبتها اهراما عظيمة تبلغ فى الارتفاع عنان السماء منقسمة الى عدة طبقات واعجب من ذلك انك ترى احد سياء الانهر والخلجان والعيون تجرى فى سفح الجبل ثم ترتفع من سطح الى آخر حتى تصل الى قمته بواسطة قواديس مشبوكة على شكل ما يسمى بالتونس يحملها رجلان ويديرانها لاجل السقى وفى رؤس هذه الجبال يحفرون حياضا تجتمع فيها الامطار ثم تنزل من عدة مجار فتروى جوانب تلك الجبال واما اجزاؤها الشامخة جدا او القمحلة جدا فيغرسون فيها الاشجار الصنوبر واللاريس

سقى الارض

ومحاريثهم ساذجية ليس لها الا مقبض واحد وليس لها اسكة حيث انه لا يوجد عندهم اصلا اراض غير متعهدة ولا حشائش يلزم ازالتها حتى يحتاج الى السكة المذكورة ويبذرون القمح فى مجار بواسطة جرة والبذر بهذه الكيفية قد جرب منذ مدة يسيرة فى بعض اقسام انكلترة والبذر بالجرة فى بلاد الصين انما هو من عمل اولاد الزراعين ونسائهم وقد يستعمل الصينيون فى استخراج الحبوب من السنابل اسطوانة غليظة ويذرون الحنطة دائما بآلة تشبه بالكلية الآلة التى ظهرت فى اوروبا منذ قرن تقريبا

آلات الزراعة

والحيوانات المعدة عندهم للحرث والحمل وكذلك المعدة للاكل يجعلونها غالبا فى اصطبلات ويأتون اليها بعلفها والعلف الاصلى للخيل هو الفول والتبن الناعم المعتنى بتنعيمه وفى الاقاليم الشمالية يحرثون على البقر لشدة البرد هنالك على الجاموس ومع ذلك هو مقدم على البقر متى امكنت تربيته ولا حاجة هنا الى ذكر ما يستعمله الصينيون فى تسييخ الاراضى من الوسائط المتنوعة على سبيل التفصيل لان ذلك يوجب السآمة والملل وانما نقول انه ما من شئ من الجواهر المتفننة ومواد العفونة الا وله دخل فى زراعة الصينيين البطيئة

حيوانات الحرث

تسييخ الاراضى

ولفلاحى الصينيين فى وضع مساكنهم كيفية تساعد بالكلية على تقدم فن الزراعة وايناع ثمرته فترى مساكن كل ضيعة متفرقة متباعدة عوضا عن كونها متقاربة متجاورة وليس عليها سياج ولا ابواب ولا ما يقيها من الحيوانات المفترسة واللصوص والنساء يربين دود القز ويغزلن القطن الذى هو عام الاستعمال عندهم الا هالى ذكورا واناثا دون خواصهم ثم ينسجنه اقمشة لما أن هذه الصناعة خاصة بالنساء فى سلطنة الصين

وضع الضياع

وما تصنعه دولة الصين لفن الزراعة من الاحتفالات التشريفية لا يكاد يجهله احد ولكن لا بأس باير اد طرف من ذلك على سبيل الاختصار فنقول انه فى اليوم الخامس عشر من الشهر الموافق لاوائل شهر مارث من كل سنة يصنع السلطان بنفسه احتفال حرث الاراضى فيتوجه فى موكب عظيم الى الغيط المعد لذلك ويصحبه الامراء الذين من نفذ السلطنة ورؤساء المحاكم الخمسة الكبيرة وجم غفير من كبار الدولة فينزل الضباط واهل منزل السلطان فى جهتين من جهات الغيط يحدقون بهما وينزل فى الثالثة كبار الدولة على اختلاف مراتبهم والرابعة معدة لسائر فلاحى الاقليم الذين يسارعون الى مشاهدة تشريف صناعتهم باشتغال رئيس دولتهم بها وذلك أن السلطان يدخل الغيط وحده ويسجد على الارض تسع مرات للاله السمى عندهم تيان اى اله السماء ثم يرفع صوته بدعاء وضعه امناء دينهم يطلب فيه من الذات العلية أن يبارك له فى شغله وشغل رعيته ثم يذبح ثورا بوصف كونه امام الدولة تقربا الى الله تعالى الذى بيده جميع الخيرات وفى أثناء تقديم هذا القربان الى المذبح يوتى للسلطان بمحراث يجرّه ثوران مزينان بأنفر زينة وابهجها فعند ذلك يخلع شعار السلطنة ويقبض بيده على المحراث ويحظ به فى الارض عدة خطوط من اول الغيط الى آخره ثم يدفعه لكبار الدولة فيحرثون به ايضا على التعاقب وكل منهم يبدى فى ذلك ما عنده من الاجتهاد والرغبة ثم يختمون هذا المحفل بتفريق دراهم وبقاطع قماش على من حضر من الزراعين وامهر هؤلاء الزراعين هو من يتمم ما بقى من عمل الحراثة بحضرة السلطان وبعد تتميم الحراثة وتسييخ الارض يأتى السلطان ثانيا ويبذر غيطه مع الاحتفال بحضور جميع الزراعين ووزراؤه يفعلون هذا الموسم ايضا فى اليوم بعينه بسائر اقاليم الدولة

موسم الزراعة

ومع ذلك لا ننكر أن بعض من يوثق بهم من السياحين وجد واحالة الزراعة فى سلطنة الصين اقل تقدما وبهجة مما اجمع عليه الناس فى شأنها فانك تجد على طريق بكين باقليم كنتون اراضى واسعة جدبة وجبالا قحلة لا تصلح للزراعة اصلا وتجد هنالك ايضا رضاعا وقولا منظرها محزن كنظر اراضى ابريطانيا ويذكر الصينيون أن الاقاليم المتوغلة فى جهة الغرب كان بها ايضا اراض عقيمة

الاراضى التى لا تصلح للزراعة

وحيث انهينا الكلام على الاراضى المعدة لزراعة الحنطة ناسب أن ننتقل الى الكلام على البساتين فنقول انه يكثر عند الصينيين الاشجار ذات الاثمار الا أن فن غرس الاشجار عندهم باق على حاله لم يتقدم فانهم لبقائهم على عوايدهم القديمة

الاشجار ذات الاثمار

لم يصلحوا بواسطة تعهدهم للاراضى وخدمتها الا انواع الاشجار المتاصلة ببلادهم بعض اصلاح فقط فتجد ثمارهم النفيسة وفواكههم اللذيذة لا تبلغ فى الطيب وحلاوة انهم ثمار اوروبا وامريقة فانهم لا يعرفون تطعيم الاشجار اصلا وعلى كثرة الكروم فى اغلب اقاليمهم لا شتاءلهم باستخراج النبيذ بل اغلب عنبها يباع زبيبا ومن اشجار الصين المثمرة شجرة الليمون الموجودة فى اوروبا وشجر يسمونه ستروس شينسيس وهو اسم لثلاثة انواع من شجر البرتقان يمثل لاحدها كمات وثمرته فى الحجم تساوى ثمرة الكريز وهنالك ايضا ابوفروة الصينى المسمى ايضا شاه بلوط وشجر الموز والتمرهندى وشجر التوت والغوابير وهو شجر يشبه ثمره ثمر الرمان واشجار اخرى غير ذلك وفى بعض الاخبار ما يدل على أن عدة ثمار من ثمار اوروبا كعنب الثعلب والتوت الشوكى والزيتون لا يعرفها الصينيون اصلا واما الكرنب واللفت والكمأة فهى معظم طعامهم حتى ان زراعة هذه النباتات بلغت عندهم الغاية فى التقدم والاستكمال

شجر الشاى

ولكن اقتضت الحكمة الالهية أن يوسع على الصينيين بما يلايم طبيعة ارضهم فان الشاى لما صار من البضائع المهمة الضرورية لسائر الملل الافرنجية عاد ذلك على اهل الصين بالمنافع الجمة وكان يعرف بهذه البلاد من انواع الشاى نوعان يقال لاحدهما تاوبريدس وهو الشاى الاخضر والثانى تابوهيا وهو الذى يجفف فى الشمس ولكن ذكر بعض الماهرين من علماء النباتات كالخواجة وتينات والخواجة سلسة أن التبا اى الشاى ليس منه هنالك الا نوع واحد تحته عدة اصناف وذكر ايضا الخواجة اسطنطون ان النوعين المتقدمين ليس لهما الا شجرة واحدة غير أن لهم فى النوع الثانى بعض عمليات تسلبه خاصية الحرافة ويشتد بها لونه الاصلى وقد افادنا الخواجة دوغين أن الشاى الاخضر والشاى الاسود يختلفان بحسب الاصل بمعنى أن احدهما من اقليم كيان كان والآخر من اقليم فوكيان وايضا ليس فى الشاى الاسود خاصية السرف والضراوة التى فى الاخضر وهنالك انواع اخرى من انواع الشاى تعرف عند التجار بالشاى السلطانى والكونغو والسنغلو وما اشبه ذلك وهذه الاسماء انما جاءتها من طبيعة ارضها اومن اقليمها ومما يكسب الشاى رائحة مخصوصة مزجه بورق الزيتون الطيب الرائحة ثم ان شجر الشاى لا ينجح كل النجاح الا فى الارض المحدودة بخليج كنتون جنوبا وخليج ينغ تس كينغ شمالا وكلما توغلت فى الشمال او الجنوب وجدت زراعته قليلة المحصول هينة النفع

شجر الكافور والتوت وغير ذلك

وشجر الكافور ينمو بهذه الاراضى نموا عظيما بحيث يعد من جملة الاشجار التى يتخذ منها اجود اخشاب العمارات واظرفها واما فروعه فيستخرج منها العطر المعروف بالكافور * وقشر شجر التوت يصنع منه قماش وورق وهنالك شجر دسم يستخرج من ثمره دهن لونه يضرب الى الخضرة يستعمل بالصناعة شمعا ولا تخفى شهرة الدهان الصينية وهى متخذة من صنع يستخرج من شقوق شجرة يسمونها سشى سشو وشجر عود الند يضاهى فى الصورة والنوع اشجار الزيتون وتجد تحت قشره ثلاثة انواع من الخشب * احدها خشب اسود كثيف ثقيل ويسمى خشب النسر وهو نادر الوجود * والثانى يقال له كلبولك وهو خشب خفيف كالاخشاب المتعفنة * والثالث يوجد قريبا من قلب الشجرة ويسمى خشب الكامبة وهو غال فى بلاد الهند كالذهب لطيب رائحته وشدة نفعه لداء الفالج وثم ايضا شجر البيو وهو نوع من الخيزران ينمو فى الاراضى السبخة وجذوره لطيفة تستعمل فى عدة اشياء فيقطعونها وهى صغيرة لينة ثم يشقونها ويصنعونها حصرا فاذا تركوها حتى كبرت ضاقت فى الصلابة اعظم خشب العمارات المتينة ويصنعون من أليافها ورقا * وقصب السكر يوجد فى بلاد الصين الجنوبية وما يجلبه الافرنج من السكر هو معدود من بضائع هذه البلاد ومثله فى ذلك النيلة * والقطن ايضا هو من المحصولات الكثيرة بتلك النواحى بخلاف شجر القرفة والقرنفل وجوز الطيب فانها نادرة الوجود بل لا وجود لها الا فى الاقاليم المتوغلة جهة الجنوب

شجر البيو

قصب السكر وغيره

العقاقير والنباتات الطبية

ثم ان الخولنجان والسباريتا والراوند هى من جملة بضائع الصين ولكن يظهر أن الراوند يأتى من بلاد المغول والتبت

اشجار الغابات

ولا يرى فى سهول الاقاليم البحرية من اقاليم الصين شئ من الغابات العظيمة وانما يكثر ذلك فى الجبال وكذلك فى الجهات الغربية فتجد هنالك كثيرا من شجر الصنوبر واللاريس وترى اشجار الصفصاف المسجى والتين الهندى وشجر الحياة وشجرا آخر يقال له هيبسكوس تاليس وكثيرا من الاشجار الاخرى يتكون عن مجموعها غابات صغيرة وقد تنوعت متفرقة فى اماكن لم تستعمل للزراعة الى الآن او كانت تزرع ثم تركت لغرس تلك الاشجار

حيوانات اهلية

والصينيون يربون جميع الحيوانات الاهلية الموجودة باوروبا كالخيل والحمير والبقر والجاموس والكلاب والقطط والخنازير الا انها قليلة عندهم وخيولهم قصيرة غير جيدة التركيب والابل الصينية غالبا ليست أكبر من الخيول الافرنجية

وأما

واما غير ذلك من انواع الحيوانات فهو لطيف جدًا لا سيما الخنازير * والمعتاد من نوع الكلاب في الجنوب من اقليم كنتون الى اقليم توڤنغ شين چن الكلاب السلوقية ذات الآذان القائمة بخلاف ما ان الوغات جهة الشمال الى يكين فانك تجد الكلاب المعتادة هنالك عادة مرتخية الآذان دقيقة الاذناب

حيوانات وحشية

وفي جنوب الصين تكثر الفيلة الى ثلاثين درجة من العرض الشمالي باقليمي كينغ نان وايون نان وحيوان الخرتيت المسمى ايضا ام القرن وقاتل الفيل يسكن شواطئ البحيرات في اقليمي ايون نان وكونسي وكلام كل من دوهلد وتريغولت يقتضي أن الاسد ليس من الحيوانات المتاصلة ببلاد الصين بل هو غريب طارئ نهارا كن يظهر أن الحيوان الذي ذكره نوهوف وسماه باسم النمر هو عين الاسد المعروف للقدماء غير انه لا لبد له وقد تكلم عليه اوبين ورآه الخواجة اولبير على شواطئ الفرات وقد شاهد مرقبول الاسد في اقليم ايون نان وكان وجد ايضا في دار الحكم المسمى كو بلاي خان والظاهر أن النمر الحقيقي يوجد في الاقاليم المتوغلة في الجنوب كما يوجد بها ايضا انواع مختلفة من القردة فمنها ما هو طويل الذراعين بلا ذنب ومنها ما هو كبير جدًا بشع المنظر يقلد الانسان في جميع حركاته حتى في الضحك * وحيوان المسك الخاص بربوة وسط آسيا قد ينزل بعض الاحيان في الاقاليم الغربية من الصين ويوجد في غابات الصين الايل والخنزير الوحشي والثعلب وحيوانات اخرى بعضها ليس معروفا حق المعرفة

طيور

والطيور الاهلية كثيرة ببلاد الصين لا سيما البط فتجد منه هنالك اسرابا كاملة تسبح في الخلجان وفي المساء يدعوها اصحابها الى بيوتها بالصفير * وكثير من طيور هذه البلاد يمتاز بلطافة شكله وبهاء لونه فمن ذلك الحجل المتلون بلون الذهب والفضة كما يشاهد غالبا مرسوما على ورق الصين وهو الآن زينة محال الطيور عند الفرنج وكذلك صنف من الصين (نوع بط صغير) فانه يمتاز بعرفين طريفين لونهما كلون البرتقان * وحشرات هذه البلاد كفراشها ممتازة ايضا بحسن شكلها الخاص بها ويكثر فيها دود القز والظاهر انه متأصل بها * ثم ان الرسوم التي رسمت في الصين تقتضي أن اصناف السمك الموجودة باوروبا توجد كلها تقريبا في البلاد الصينية بل ذكر كل من الخواجة بارك والخواجة لاسيدة عدة اصناف من السمك خاصة بتلك البلاد فمن ذلك الدوراد الصيني وهو سمك ذهبي اللون يزين به الصينيون الحياض كالفرنج واصله من بحيرة في سفح جبل شاغ يسمى تين كنغ قريبا من مدينة چنغ هو باقليم چي كينغ ثم نقل منها الى باقي الاقاليم الصينية ونقل بعد ذلك الى باپونيا واول ما نقل الى انكلترة في سنة ١٦١١ من الميلاد

حشرات

اسماك

سمك الدوراد

ويكثر بمملكة الصين معادن الفضة ولكنها تستخرج قليلا ولعل منشأ ذلك هو جهل الصينيين واكثرما يستخرج الذهب من الرمال التي على امتداد الانهار في اقليمي سي چوان وايون نان قريبا من حدود التبت ولا تضرب في الصين جودة الفضة ولا الذهب ومن جوهر معدني ابيض يقال له توتوناغ يصنع منه الصينيون الاواني والشمعدانات وحقيقته مبهمة الى الآن فذكر بعضهم انه عند الصينيين هو الخارصيني او التوتيا المعدنية وقال بعضهم ان توتوناغ الصين عبارة عن مخلوط اصطناعي مركب من اجزاء معدنية مختلفة واما توتوناغ الهند فهو عند هذا البعض ليس الا الخارصيني او التوتيا المعدنية الخالصة المنقاة من الرصاص كل الانقاء ونص الخواجة دوغينة على أن التوتوناغ مخلوط طبيعي من الرصاص والحديد الخاص باراضي الصين وفي اقليم هوكنغ معدن يستخرج منه التوتوناغ بكثرة

معادن

توتوناغ

ونحاس

وباقليم ايون نان وعدة اقاليم اخرى نحاس اصفر تضرب منه النقود الصغيرة التي يتعامل بها في المملكة بتمامها وهنالك ايضا نوع غريب من النحاس الابيض يسميه الصينيون پوتنغ ويسميه غيرهم پكنغ ومايعرف في شأن هذا المعدن لا يكفي في تعريف ماهيته وبيان حقيقته بيانا شافيا وانما نقول كما قال كينومون هو عبارة عن مركب من النحاس والحديد والنيكيل (وهو معدن ازرق صلب يقبل التطرق قليلا) ولاجل زيادة تليينه وتلطيفه يخلط بالتوتوناغ والاحسن أن يخلط بمقدار من الفضة يكون على الخمس منه

واقل المعادن وجودا في بلاد الصين هو معدن الرصاص والقصدير واما ما ينقل منهما بقصد التجارة الى اقليم كنتون فهو مجلوب من بلاد التبت وباپونيا ومعادن الزيبق يلزم أن تكون كثيرة في اقليم ايون نان وان كان سياحوا الفرنج لم يعثروا على محالها * والزونيخ الكبريتي المعروف باسم الفار الذي هو عند الفرنج سم قوي التأثير يصنع منه الصينيون كثيرا من الشخوص والاواني الصينية واذا اراد الانسان منهم أن يتعاطى شربة وضع في اناء من هذه الاواني خلا وعصيرليمون وتركه فيه بعض ساعات ثم تعاطاه

زرنيخ

ويبلاد الصين من الاحجار حجر اللازورد والشب والبلور واليشم النفراطي وحجر المغناطيس والصوان والبرفير

احجار مختلفة

وعدة انواع مختلفة من المرمر والسياحون يطلقون اسم حجر المويسيقي على نوع من الرخام الاسود له رنين قوى وقد اصطنع الصينيون عدة تماثيل من حجر اللرد المسمى ايضا بحجر الطلق الغرافي والظاهر أن داخل سلطنة الصين يشتمل على عدة كبيرة من الجواهر المعدنية النافعة او المرغوبة الا أن ماذكره في شأنها دعاة النصرانية والصينيون من الاخبار غير كاف في بيانها والوقوف على حقيقتها ولا يدرى هل الياقوت بعدّ من جملة احجار الصين النفيسة ام لا ويوجد في داخلها ايضا حجر القورندون المسمى ايضا سباث ادمنتين وانواع مختلفة من البلور ولا بأس أن نبين هنا المواد الثلاثة التي تتركب منها الاواني الصينية فنقول احداها مادة البيتوتسي وهو نوع من حجر الفلدسباث الحلمي المائل الى البياض والثانية القولين وهو نوع من الفلدسباث الذي على شكل الارجيلي والثالثة الشوكاو او الباريط الكبريتي

وفي عدة اقاليم من الاقاليم الشمالية يوجد فيها الحجر بكثرة فيسحقه الصينيون ويعجنونه بالماء ويجعلونه خبزا ويجففونه والظاهر أن الملح المعدني نادر في الصين الشرقي ويسد مسده عندهم الملح البحري * وملح البارود كثير في الاقاليم الشمالية والغربية

(المقالة الرابعة والستون)

من تخطيط آسيا فى بلاد الصين الحقيقية

(الجزء الثانى)

فى تخطيط الاقاليم والمدن

قد اسلفنا ما لك ما يتعلق بحالة الصين الطبيعية من التخطيط المختصر العام المشتمل على اصح ما ذكر فى هذا المعنى من الاخبار المتنوعة ولنتبع ذلك بالتخطيط الخاص المتعلق بالاقاليم مبتدئين منها بالاقليم الذى فيه الآن تخت السلطنة الصينية ولكن هل يلزمنا أن نوردهنا ما اورده مؤلفو الصينيين من المدن التى عدتها الف وخمسمائة واثنتان وسبعون والهياكل التى عدتها الفان وسبعمائة وستة وتسعون والقناطر التى عدتها ثلاثة آلاف ومائة وثمان وخمسون والعمارات التى عدتها عشرة آلاف وثمانمائة وتسعة والبحيرات التى عدتها سبعمائة وخمسة وستون والجبال التى عدتها اربعة عشر الفا وسبعمائة وسبعة كلا بل كما اجتنبنا الاختصار المخل الذى سلكه جغرافيوا الانكليز فى تخطيطهم نجتنب ايضا العيب المقابل لذلك من التطويل الممل الذى سلكه هؤلاء الصينيون فى تخطيطهم ولا نلتفت الى ما وضعوه من الاسماء العديدة التى اصطلحوا عليها وانما نسلك فى ذلك مسلكا وسطا فنقول عدد المدن

اقليم بيجيلى

ان اقليم بيجيلى الواقع على خليج بيجيلى فى جنوب السد الاكبر تخرج به الحبوب وتكثر فيه المواشى وتقل فيه الغابات ويستخرج من جباله الشامخة التى باكناف بكين جميع ما تحتاج اليه بلاد هذا الاقليم من فحم الحجر ومعادن هذا الفحم لا تنفد ابدا مع عموم استعماله فى تلك البلاد ويستخرج من هذه الجبال ايضا يسير من الذهب والحديد وارض هذا الاقليم مشتملة على ملح البارود والرمل وهواؤه بارد ملايم للصحة

بكين

واعظم مدن هذا الاقليم مدينة بكين قاعدة السلطنة الصينية وداراقامة السلاطين عادة وهى واقعة فى سهل خصب على البعد من السد الاكبر بعشرين فرسخا وهى على شكل مربع مستطيل وتنقسم الى مدينتين احداهما مدينة التتار والاولى أن تسمى مدينة المنجورية وفيها سراية السلطان وهى مع الاخرى التى هى مدينة الصين غير منتظمة الشكل ومحيطها استة فراسخ واسوار بكين يبلغ ارتفاعها خمسين ذراعا حتى انها تحجب المدينة عن النظر وابوابها وان كانت خالية عن الزينة بالتماثيل والنقوش الا انها الافراط فى الارتفاع تظهر للعين من بعد أنها على غاية من العظم والبهجة وقبوات تلك الابواب مبنية بالرخام وباقيها بالطوب العريض الملتحم بعضه بواسطة الخافق الجيد واغلب حارات تلك المدينة مستقيم معتدل لا اعوجاج به واكثرها اتساعا يبلغ فى العرض مائة وعشرين قدما وفى الطول فرسخا واحدا فمن ثم كانت نيرة ويتردد اليها الهواء دائما وهى تروق الناظر وتعجب الخاطر وحوانيتها التى يباع فيها الحرير وغيره من بضائع الصين هى فى العادة تشغل الحارة بقامها وبعض البيوت المنخفضة تجد واجهتها محزنة لا تسر الناظر واما سراية السلطان فان بهجتها من حيث زخرفة البنيان دون بهجتها من حيث كثرة مبانيها واصحنها وحدائقها فانك اذا نظرت من داخل اسوارها رأيت مدينة صغيرة يسكنها ضباط السلطان واتباعه وجم غفير من الصنائعية كلهم فى خدمة السلطان وذكر الاب ارتير الفرنساوى احد الطائفة القسيسية المسماة اليسوعية وكان قد اذن له فى دخولها والتفرج عليها أن محيطها يزيد على فرسخ وأن واجهة بابها تتلألأ وتلمع بالتصاوير والطلاء والدهان وما فى داخلها من الاثاث وانواع الزينة والزخارف هو من اعظم ما يوجد فى بلاد الصين والهند واوروبا من الاشياء النفيسة المرغوبة وحدائقها متسعة وفيها جبال على ابعاد متناسبة من بعضها وارتفاعها من عشرين قدما فصاعدا الى ستين ويتخللها اودية صغيرة ترويها مياه الخلجان وعند تلاقى هذه المياه كلها يتكون عنها بحيرات وبرك كبيرة تجرى فيها زوارق لطيفة وحافاتها مزينة بمبان حسنة الانتظام مختلفة الشكل بحيث لا تجد منها اثنين بينهما مشابهة وفى كل واد من الاودية المذكورة منتزه واسع بحيث يصلح مسكنا لامير من كبار امراء اوروبا مع خدمه وحشمه وشجر الارز الذى تؤخذ منه الاخشاب المستعملة فى عمارة هذه المنتزهات هو من مدينة بكين على خمسمائة فرسخ ومن البحيرات السابقة بحيرة قطرها يزيد على نصف فرسخ فى وسطها جزيرة من الصخر تعلوها سراية عظيمة فيها ما يناف على مائة غرفة متواصلة بعضها وترى على الجبال والتلال اشجارا وازهارا نظريفة طيبة الرائحة ويكتنف الخلجان صخور مصنوعة صناعة متقنة حتى كأنها من الصخارى والقفار الطبيعية وكل ذلك له منظر يدهش الرائين ويأخذ بألباب الناظرين وعلى رؤوس اعلى الجبال تجد اشجارا كبيرة تحدق بقصور وبيوت معدة للخلوة والنزاهة

سراية السلطان

وهياكل بكين لا تساوى سراياتها وللسلطان فى بلاد الصين دين جديد مناسكه فى الابهة والاحتفال اقل مما فى التتار* والمندرية وارباب المعارف الذين ينتخب منهم ولاة امور المملكة الصينية يعظمون كونفسيوس ولا يعبدونه

وانما يجتمعون لاظهار شرفه وتعظيمه فى مبان نظيفة وان كانت ساذجية خالية عن الزينة والزخرفة

اهالى

ثم ان الانكليز يقولون ان اهل مدينة بكين تبلغ عدتهم ثلاثة ملايين وهو تخريف قد افرطوا فيه عن عادتهم وذلك أن هذه المدينة لاتسع مسافتها هذا القدر من الناس ولو وقوفا فاذا نظر هذا التقدير الذى هو من باب الهذيان مع ماذكره الموسقو الذين عاينوا تلك المدينة واثبتوا انها فى الاتساع تساوى مدينة الموسقو مرتين بدون زيادة وأن سرايا نها مع مانيها من البساتين تشغل منها مسافة عظيمة وأن بيوتها ليست متقاربة من بعضها اكثر من بيوت مدينة الموسقو ونحن نعلم أن مدينة الموسقو المذكورة مع كونها اكبر من باريس ليس بها من الاهالى الا نحو ثلثمائة الف فقط وقس على ذلك جميع المدن المبنية على منوال بنيان آسيا فعلى ذلك عدة اهل بكين ستمائة الف نفس ونهاية ما تبلغ عدتهم سبعمائة الف

مدن مختلفة

ومدينة يوتنغ فو هى محل اقامة الوزير الذى هو نائب السلطان على اقليم بيجيلى وفى جنوب هذه المدينة بحيرة صغيرة مشهورة بكثرة ما ينبت فيها من النبات المسمى ينوفر ويقال لها عند الصينيين ليوهوا وازهار هذه النباتات البنفسجية او البيضاء والتى اختلط بياضها بالحمرة تعلو على وجه الماء بقدر ذراعين او ثلاثة واوراقه تتموج فوق المياه وجميع اجزاء هذا النبات حتى جذوره المعقدة تستعمل فى الطعام وغيره

ثم ان هذه المدينة يمر منها من خرج من بكين قاصدا اقليم شنسى وهى من اعظم الطرق واظرفها فان ارضها مستوية مزروعة وطريقها منتظمة وعلى جوانبها اشجار فى عدة اماكن وهى مطروقة لجميع المارة من اناس وعربات ودواب

اقليم شنتون

وبجنوب خليج بيجيلى ترى بحيث جزيرة بعضها جزء من اقليم شنتون الذى يخترقه الخليج السلطانى الاكبر وعلى هذا الخليج تجرى جميع الزوارق الذاهبة من الجهات الجنوبية الى مدينة بكين وهذا الاقليم المجدب بالنظر لطبيعة ارضه التى هى عرضة لان تكون فى غاية اليبس لندرة الامطار بها تجد به عدة بحيرات ومجارى مياه وانهر ويتكون على جزء من ذلك الاقليم سهل متسع على جانبى نهر هنالك ويخرج به الحنطة والذخن والدخان ولاسيما القطن وهو أهم محصولات هذا الاقليم كما انه أهم محصولات اقليم كينغ نان المجاور له

وفى البرارى دود يشبه السرفة يتولد عنه حرير ابيض تتعلق خيوطه بالاشجار الصغيرة وشجر الدغلة ويتخذ منه اقمشة غليظة الا أن بها صفاقة ومتانة

مدن

وقاعدة هذا الاقليم مدينة يقال لها اتسينان فو وهى شهيرة بحريرها الابيض الناصع ومن مدنه ايضا مدينة ايوتشوفو وهى مدينة كبيرة عامرة وفى خطها مدينة اخرى تسمى كيوسيوهيو وهى شهيرة بكونها مسقط رأس كنفوسيوس المتقدم

اقليم كينغ نان

واقليم كينغ نان يوجد فيه منبع النهرين العظيمين اللذين هما نهرا هوانغو وهينغتسكينغ وهو من اعظم اقاليم الصين خصوبة وتجارة واكثرها ثروة يكتنفه خليج تنكين الداخل فى قاع البحر الاصفر واهله اكثر اهل الصين تمدنا وينسجون اقمشة الحرير والقطن وورقهم ومصنوعاتهم المدهونة جيدة ثمينة وكان قدماء سلاطين الصين سابقا يقيمون بهذا الاقليم حتى طرأت احوال تتعلق بمصالح دولتهم فاضطروا الى القرب من التتار فانتخبوا مدينة بكين وجعلوها دار اقامتهم واعظم محصولاته هو الشاى الاخضر* وجباله التى يترا أى للناظر انها مركبة من عدة طبقات كبيرة ظاهرة من حجر البلاط يخرج منها الحديد المغناطيسى والنحاس ويسير من الفضة

مدينة تنكين

ومدينة تنكين التى كانت سابقا قاعدة سلطنة الصين واقعة على نهر كينغ بقرب مصبه ومحيطها وحدها باخراج قراها يبلغ اثنى عشر فرسخا ولكن ذكر دعاة القسيسين الذين يتحرون الصدق فى اخبارهم أن الجزء المعمور الآن المشغول بالمساكن من هذه المدينة يعادل ثلث مدينة باريس فقط فان سورها القديم هو الآن فى وسط الغيطان المزروعة ولا مانع من أن هذه المسافة الواسعة لم تكن مشغولة قبل ذلك الا بالحدائق والبساتين وكان بهذه المدينة سابقا سراية لطيفة فأحرقها المنجو (سنة ١٦٤٥) من الميلاد ولم يبق بتلك المدينة من المبانى الاخرى سوى ابوابها العجيبة اللطيفة وبعض هياكل كالهيكل الذى فيه البرج الشهير المبنى بالصينى وهو برج له تسع طبقات ولا يصل الانسان الى اعلاه حتى يصعد ثمانمائة وار بعا وثمانين درجة فيجد رأسه كما ذكره الصينيون مزينا بقطعة ذهب على شكل جوزة الصنوبر وخارج البرج منقوش من سائر الجهات بدهان مختلفة اللون منها الاحمر والاصفر والاخضر واجزاء هذا البناء الظريف على غاية من التناسب والتداخل حتى كأنه قطعة واحدة وتجد بأركان كل رواق منه نواقيس معلقة لاتحصى كثرة فاذا حركتها الرياح سمعت لها رنينا كرنين الفضة وبالجملة فمدينة تنكين اشهر مدن الصين فى العلوم والمعارف

البرج المبنى بالصينى

فان كتبخاناتها اكثر من كتبخانات غيرها من سائر المدن وللاطباء بها كدمية اصلية اى مجمع علماء ويصنع بها القشة من الاطلس خالية عن الزينة اومرسوم عليها اشكال الازهار وهى اجود القشة هذا النوع فى بلاد الصين وفى الجنوب الشرقى من تلكين تجد مدينة سوتشوفو تخترقها الخلجان وهى دار لاعبى الكمودية ولعب البهلوان والحواة وولعن للنساء الحسان ذوات القدود الرشيقة والاقدام الصغيرة الدقيقة ومظهر لما يميل اليه ذوق الصينيين من اللطائف وزى الملابس واللغة ومجمع لاهل الدعة والبطالة واصحاب الحظوظ والملاذ من ابناء الصينيين حتى انهم يقولون ان الجنة فى السماء ومدينة سوتشوفو جنة الارض وثم ايضا مدينة اخرى مبنية فى الماء يقال لها لوفنغ كينغ فو تدخلها السفن من سائر الجهات ثم تسير الى البحر القريب منها واولها تجارة عظيمة فى القطن ويذهبون به الى البلاد الاجنبية ومدينة چين كينغ فو وهى من ابواب الصين من جهة البحر وبها قوم شداد البأس للرباط والمحافظة وجدرانها العالية التى يبلغ ارتفاعها فى بعض المحال ثلاثين قدما مبنية بالآجر الضخم وحارتها مبلطة بالرخام

مدينة سوتشوفو وغيرها

وعلى البعد من شاطئ ينغ تس كينغ بستمائة خطوة تجد جزيرة غريبة يقال لها صين الصين اوجبل الذهب وهى مرتفعة الجوانب جدا ومشحونة بالبساتين والبيوت المعدة للنزهة حتى كانه اجتمع فيها صنع الله وصنع البشر فاتحفاها بمنظر يأخذ بالالباب ويستلب العقل اى استلاب وهى تنسب لسلطان الصين وفى السهل الذى بأطرافها ينمو اكثر من غيره شجر القطن الغريب الذى يتخذ منه القماش المعروف فى اوروبا باسم تنكين وله وبر يخرج على ازهاره ولونه الاصلى البياض مع الصفرة الضاربة الى الحمرة وهذا اللون يبقى فيه بعد الغزل والنسج

جزيرة صين الصين

القطن الذى يميل لونه الى الحمرة

ومدينة ينغشوفو محيطها فرسخان وذكر بعضهم أن عدة اهلها مع سكان القرى التى حولها تبلغ مائتى الف نفس والظاهر أن هذا القدر وقتى لا دائمى وهى سوق للبيع والشراء والاخذ والعطاء ومحل لتوزيع الملح ومدينة اينغن كينغ فو يحكمها وزير مخصوص من نواب السلطان ومدينة هوى تشو التى هى اكثر مدن الاقليم نوغلا جهة الجنوب اهلها مشهورون بالمهارة فى التجارة شهرة كبيرة فانهم يغشون الصينيين الذين يغشون الناس وبها ايضا يصنع اجود ما يكون من حبر الصين

مدينة ينغشوفو وغيرها

وفى جنوب اقليم كينغ نان وشرقيه اقليم انشى كينغ وهو اقليم ذو ثروة منشأها اشتغال اهله بتربية دود القز وما فيه من فبريقات الحرير وعلى شواطئ نهر انشينغ سهول لا تضاهى فى النضارة والبهجة لان الناظر يجد لها عند كل خطوة يخطوها منظرا يغاير ما قبله حيث يرى اولا بجانبى النهر صخورا شامخة لا نبات بها ثم ينظر هذا النهر فيجده قد انعطف الى جهات اخرى ثم يظهر له على حين غفلة رياض انيقة تروق الناظر وتعجب الخاطر * وكثرة انعطافات هذا النهر مما يسعى لها السياحين المتولعين بالاطلاع على تلك الجهات وبعد ذلك يرى منظرا آخر حيث يجد اهل الزراعة هنالك مشتغلين بحصاد الارز وقصب السكر وحمل ما تحصل من ذلك الى طواحين ومعاصر بالغة حد الكثرة على شواطئ ذلك النهر

اقليم انشى كينغ

وقاعدة هذا الاقليم مدينة هان تشوفو وهى من اهم مدن الصين واعظمها وتكاد تكون واقعة فى مركز السواحل والجهات البحرية وفى احدى جهتيها مصب الخليج السلطانى وفى الاخرى نهر انشينغ وهى مستودع البضائع التجارية الواردة من الاقاليم الشمالية والجنوبية ومدينة تنغ بوفو التى يسميها الافرنج ليام بو هى من اعظم المدن وبها مبان عظيمة يأتى اليها فى كل سنة تجار الصين من سيام وتاوى للبحث عن الحرير ولاهلها تجارة عظيمة مع اليابونية لان المسافة بينها وبين تنغازاكى مرحلتان فقط ويأخذ منها الصينيون الحرير والقماش والمسكر والعطريات والنبيذ ويجلبون اليها النحاس والذهب والفضة * ومدينة شاؤكنغ فو تخترقها خلجان ذات مياه رائقة جدا وبها حارات كبيرة على غاية من النظافة ومبلطة بحجارة كبيرة بيضاء منحوتة وبعض بيوتها وابواب النصر بها مبنى بتلك الحجارة على خلاف العادة فيها واهلها فى مقام اللجاج والمجادلة اعظم الصينيين مهابة ويخشى منهم فى ذلك اكثر من غيرهم حتى انه لا احد من وزراء الصين ولا من كبار اعيانها الا ويود أن يكون له كاتب سر من اهل هذه المدينة

مدينة هان تشوفو وغيرها من المدن

اصحاب المكر والخداع من الصينيين

واذا انتقلت من اقليم انشى كينغ الى جهة الجنوب وجدت اقليم فوكيان وهو وان كان من الاقاليم الصينية الصغيرة الا انه معدود من اغنى اقاليم هذه المملكة لان موقعه يلايم الصيد والملاحة والتجارة وهواؤه حار جدا الا انه خالص ملايم للصحة

اقليم فوكيان

واراضى هذا الاقليم يرويها كثير من الانهر والعيون التى تنزل من الجبال فيد برميا هها الزراعون مع النشاط والمهارة

لاجل سق الارز * واعظم محصولات هذا الاقليم الشاى الاسود ويوجد به ايضا المسك والاحجار النفيسة ومعادن الحديد والقسدير والزيبق ويصطنع فيه القشة الحرير والنيل والقطن وقضبان البولاد الخام والمصنع * ومن الاثمار اللذيذة التى تكثر به البرتقان الذى طعمه كطعم العنب المسكى وقاعدة هذا الاقليم تسمى فوتشوفو وهى مدينة شهيرة لاستحسان موقعها وتجارتها العظيمة وكثرة علمائها وظرافة انهارها التى تجرى فيها الزوارق الصينية الكبيرة حتى ترسو على اثنى عشر ميلا وكذلك بقنطرتها العجيبة التى عدد عيونها يزيد على مائة عين مبنية بالاحجار الظريفة البيضاء وهى تخترق خليج المدينة * ومدينة ايان بنغفو الواقعة على منحدر جبل يجرى بسفحه نهر مين هو ليست من المدن الكبيرة جدا لكنها مشهورة بانها من اظرف مدن المملكة * ومدينة انشنغ تشوفو قريبة من مينا اموى التى هى مستودع كبير للتجارة يترددا اليه اسبانيول جزيرة مانيلة

فوتشفو وغيرها

وترى تجاه ساحل فوكيان جزيرة كبيرة ظريفة يسميها الصينيون تيوان ويسميها اهل اوروبا على ماذكره البرتوغال فرموزة وهى من اعمال فوكيان

ولم يدخل الصينيون هذه الجزيرة الا فى عهد السلطان كنغ هى وهى الآن تنسب اليهم منذ طردوا منها الفلمنك (سنة ١٦٦١) من الميلاد وكان هؤلاء قد تغلبوا عليها فاخذوها من البرتوغال وفيها سلسلة جبال تقسمها الى قسمين احدهما القسم الشرقى يسكنه الصينيون منذ خروج الفلمنك منه والثانى باق للاهالى المتأصلين

جزيرة تيوان اوفرموزة

ثم ان ساحل جزيرة فرموزة الذى تحت حكومة الصينيين جدير بالاسم الذى اطلقوه عليه لان ارضه ظريفة جدا وهواؤه دائما رائق خالص وقطره محصوب وأرضه خصبة ينجح فيها سائر أنواع الحبوب وكذلك الارز وقصب السكر وتكثر بها الغابات العظيمة وترويها مياه مجار عديدة تنزل من جبال شامخة كثيرة الاشجار واهل هذا الساحل يركبون عادة البقر لقلة الخيل والحمير عندهم وتقل به ايضا الحيوانات الوحشية ماعدا الايايل والقردة فانها توجد هنالك اقاطيع واهله يكثرون من اكل السمك ويصنعون منه انواعا متعددة ويكثر فى غاباته الدببة البرية والقيج والحمام ولو كانت الزلازل بهذه الجزيرة قليلة بحيث لايترتب عليها تخريبات وكانت مياه انهارها تصلح للشرب كصلاحيتها لخصوبة اراضيها لما تمنى اهلها شيأ حيث يخرج بارضهم جميع ماتتوقف عليه الحياة من الامور الضرورية والاشياء اللذيذة

تخطيط هذه الجزيرة الطبيعى

وعلى هذه الجزيرة وال من الصين معه عشرة آلاف من المحافظين غير أن حكومة الصينيين انما هى على الجهة الغربية منها وفيها مدينة يقال لها تيوان كثيرة الاهالى والثروة وحاراتها منتظمة مستقيمة وتمكث مغطاة سبعة اشهر او ثمانية من السنة لاجل وقايتها من حر الشمس وفى جوانبها مخازن وحوانيت لطيفة يبيعون فيها انواع الحرير والفرفورى وانواع الدهان وغير ذلك من البضائع المرصوصة على وجه عجيب فهى اشبه شئ بالمجازات الظريفة التى تسر الانسان التفرج بها لولا مافيها من كثرة الازدحام وعدم جودة تبليطها وبهذه المدينة حصن حصين بناه الفلمنك وسموه حصن زيلندیا وميناوا سعة عميقة لايمكن الوصول اليها الا من مسالك ضيقة ليس فيها من الماء الا ثمانية اقدام او اثنا عشر وبين هذه الميناء والساحل الصينى مجمع جزائر صغير يشتمل على جزائر يونغو المسماة ايضا جزائر پسكادور وهو عبارة عن موردة لطيفة ومنزلة مشرفة على خليج فرموزة

مدن وحصون وغيرها

والقسم الشرقى الجبلى من فرموزة يسكنه قوم خشنيون لايعرفون شيأ من الحكومات المنتظمة وهم فى اللون والسحنة كاهل جزيرة ملقا واهل جزائر بحر الجنوب ويتكلمون بلسان مخالف لجميع الالسنة المعروفة للافرنج ويظهر أن فيه ايضا عدة قبائل متأصلة به وصنفا من الناس لونهم يشبه لون الزيتون وبجوارهم صنف من الزنج طوال القامات جدا كالعمالقة حسبما افاده السياح والنطين وذكرا ايضا أن اخصاص الفرموزيين من الخيزران وأن عندهم اثاثا وامتعة مختلفة وآنية من جلد الايل وذكر غيره من السياحين انه لايوجد فى اخصاصهم كراس ولا دكك للجلوس ولا سفر للاكل ولا فرش ولا اثاث وانما فيها نوع من الكوانين مرفوع عن الارض بمقدار قدمين يطبخون فيه وقوتهم الحبوب الدقيقة والصيد الذى يقتنصونه بالجرى لانهم فى العدو اصحاب خفة وسرعة عجيبة ويكتفون فى مفارشهم باوراق لينة يقتطفونها من اشجار كثيرة فى ارضهم ولباسهم عبارة عن خرقة من قماش تستر مابين السرة والركبة ويشمون جلودهم وشما يغور الى داخل ابدانهم ويرسمون به عدة صور مضحكة كصور الاشجار والحيوانات والازهار ويتجلدون على مكابدة الآلام الشديدة الناشئة عن وشم هذه الصور التى هى من انواع الزينة عندهؤلاء الاقوام الخشنيين ولا يحظى بهذه المزية الا من فاق منهم اهل الاقران فى المسابقة فى الصيد والقنص فيحكم له بها اكابرهم ولكن يسوغ لهم جميعا أن يسودوا اسنانهم ويلبسوا الاساور والاطواق والاقرطة واما اهل الجزء الشمالى من تلك الجزيرة فيلبسون جلود الايايل التى

اهال

كيفية معيشتهم

يقتلونها في الصيد لما أن قطرهم اقل سرارة من قطر اولئك الاقوام فيتخذون من تلك الجلود ثيابا يدون اكمامها ويصنعون قلنسواتهم من اوراق الموز على شكل اسطوانى ويعبدون عدة آلهة ولكن لا يبالغون فيما يصنعونه لها من الاحتفالات وامناء مدينهم النساء خاصة ولا يرخصن للمرأة أن يكون لها اولاد الا اذا بلغت في السن ستا وثلاثين سنة ويحافظن على العمل بهذا القانون الخشن بعوائد ذممة تنفرعنها الطباع ثم ان اوهامهم وان كانت لا تعرف الا قليلا الا أن الصراط الذي تصعد عليه ارواح الاخيار والهاوية التي تهوى اليها الارواح الاشرار يدلان على أن ديانتهم لها ارتباط وعلاقة بديانة اهل آسيا الوسطى وكان بعض الفرموزية منذ قرن محافظا على بعض آثار من دين النصرانية ومن لغة التملذ التي كانوا علموها لهم ولهم في دفن الموتى كيفية قريبة مما عند اهل جزائر البحر المحيط الاكبر وذلك انهم يقوون اجسام الاموات مدة طويلة وهي مسجاة محجوبة في بعض محال حتى تجف * ولنرجع الى تخطيط ارض الصين القارة فنقول .

اوهام فاسدة

اقليم كوان تون

ان اعظم اقاليم الصين الجنوبية هو اقليم كوان تون الواقع في الجنوب الغربي من فوكيان وهو محدود من جهة الغرب بمملكة تون كين وهذا الاقليم خصب جدا كثير المحصولات من جميع انواع الحبوب والاثمار * وفيه معادن الذهب والاحجار النفيسة واللؤلؤ والقسدير والعاج والاخشاب العطرية الطيبة الرائحة التي يصنع منها جميع انواع العمارات ومن محصولاته النادرة الخاصة به الشجرة التي يسميها البرتوغال خشب الحديد لما انها تشبهه لونا وصلابة وثقلا حتى ان خشبها الثقيل لا يعوم على وجه الماء * وقاعدة هذا الاقليم مدينة كنتون وشوفو التي يسميها الفرنج كنتون اوقنطون وهي من أعمر مدن الصين واغناها وميناها هذه المدينة دون غيرها من سائر المينات الصينية يتردد اليها اهل اوروبا ومحيط سور المدينة المذكورة يبلغ تقريبا فرسخين والسهل الذي بجوارها مشحون بتلال قليلة وادية خضراء ومدن صغيرة وضياع وبروج عالية وهياكل ومساكن معدة للمندرية وهذا السهل يرويه على وجه لطيف بحيرات وخلجان وبعض فروع صغيرة خارجة من نهر تا تجرى عليها زوارق وسفن لا تحصى وتشتمل هذه المدينة على كثير من قوصرات النصر المسماة ايضا طاقات الغزا والهياكل المزينة احسن زينة بالتماثيل والاصنام ويكثر ازدحام الناس في حاراتها حتى لا يتيسر للمار أن يتابع المشي فيها وبها قليل من تجار الصين الذين يستصحبون عائلاتهم الى اى محل كانت به مصالحهم وان كانت ثروتهم هينة وينزلون بهم في القرى البعيدة عن المدينة وفي الخلاء

كنتون

اهالى

وذكر الاب ليقونتة أن اهالى هذه المدينة تبلغ عدتهم مليونا وخمسمائة الف ونقصها الاب دوهلد الى مليون وتعقبهما الخواجة سنورات بأن ماذكراه من قبيل المبالغة المفرطة او الهذيان ونص في رحلته على انه حرر عدتهم مع جماعة من الصينيين فوجدهم لا يزيدون على خمسة وسبعين ألفا غير انه لم يطلعنا على طريقة حسابه في هذا المعنى بل ظهر لنا مما يدل على عدم ميله الى الصينيين فلا يوثق حينئذ بكلامه في شأنهم كيف ووكلاء تجار الانكليز بمدينة كنتون افادوا اصحاب كولك عدة تفاصيل في هذا الشان تدل على أن اهل هذه المدينة وقراها يبلغون مائة وخمسين ألفا وانه يوجد في الزوارق التي عدتها اربعون ألفا مائة الف نفس من غير زيادة وان زعم الانكليز اكثر من ذلك فيكون حينئذ اهل كنتون مائتين وخمسين ألفا

واما تجارة هذه المدينة فسيأتي الكلام عليها في محلها اللائق بها وانما ينبغي لنا أن نستمر على ما نحن بصدده من تخطيط البلاد والاراضي فنقول ان مدينة مكاؤ عبارة عن موطن للبرتوغال واقع على لسان صغير من الارض يتصل بجزيرة هنالك وليست هذه المدينة مشهورة الا بعظمها القديم وكان فيها من المحافظين حين ارتحل اليها السياح مقرطمي ثلثمائة او اربعمائة من عساكر الزنج واهلها على ماذكره الخواجة ونوارد وستنكروا ثلاثة وثلاثون ألفا وثمانمائة الصينيون منهم يزيدون على النصف ثم ان هذه البقعة الصغيرة استولى عليها البرتوغال زمن شوكتهم ومشروعاتهم العظيمة ومكثوا فيها مدة طويلة وهم يتجرون تجارة عظيمة مع البلاد الصينية التي كانوا يكثرون التردد اليها دون غيرهم ومع ولايات اخرى من آسيا الشرقية لاسيما باتونيا وتونكين وللانكليز الآن عدة ارساليات بحرية الى مكاؤ برسم البرتوغال

مكاؤ

مغارة كموانس

وبقرب أحدى الربوات العالية بهذه المدينة مجمع صخور يتكون منه كهف يسمى مغارة كموانس ويقال ان بعض الشعراء المسمى كموانس نظم في هذه المغارة قصيدته الشهيرة المسماة لوزيادة وقد رسم بعض الانكليز القاطن بمدينة مكاؤ في بستانه صورة هذا المحل البهيج الذي كان ملجأ لهذا الشاعر السيئ الحظ الجيد القريحة

جزائر لارون

وبقرب مدينة مكاؤ تجد جزائر لارون التي يكثر بها آثما ارباب الصيال البحرية الذين يتقضون في اغلب الاوقات على السفن الصغيرة الصينية التي تتردد بين مكاؤ وكنتون وتحاذي في سيرها السواحل ولو كان لاهل تلك الجهة ادنى شئ من صولة دول اوروبا وبطشهم لقطعوا دابرهم على اسهل وجه لكن دولة الصين لم تزل تبذل

وسعها فى التخلص من شرهم ولم يجد سعيها نفعا فان هؤلاء السائلين بينهم وبين العصاة والمبغضين للدولة من الصينيين الذين بداخل المملكة مزيد اتحاد وارتباط

جزيرة هينان والطرف الجنوبى من اقليم كنتنغ وارض الصين القارة يمتد على شكل بحيث جزيرة ضيقة جهة جزيرة هينان التى من شأنها انها تتقاد لاحكام دولة الصين عند عدم القدرة على القيام عليها والخروج عن طاعتها

وسطح هذه الجزيرة يزيد على ألف وثمانمائة فرسخ مربع والقسم الشمالى منها عبارة عن سهل مستو بخلاف الجنوبى فان فيه جبالا شاهقة وهواء تلك الجزيرة ردى لا يلايم الصحة وماؤها غير مأمون الضرر ما لم يسخن * ومع ذلك فيها انهر عديدة وتكثر بها الامطار فى بعض الفصول فتصير ارضها بذلك خصبة فى زراعة قصب السكر والنيلة والقطن ولاسيما زراعة الارز الذى يحصده الاهالى غالبا فى كل سنة مرتين وقاعدة هذه الجزيرة يقال لها كيون تشوفو وهى واقعة على رأس فى البحر وترسو السفن تحت جدرانها

اهال واغلب اهلها المتأصلين بها لهم منظر بشع وصورة مهولة وقاماتهم قصيرة جدا وألوانهم كلون النحاس وشعورهم يجمعونها و يدخلونها فى حلقة و يجعلونها على جباههم * واجسامهم تكاد تكون عارية عن اللباس ونساؤهم ينقشن على وجوههن خطوطا زرقا من النيلة يرسمنها من العيون الى منتهى الوجه و يعتقدن أن ذلك من الزينة وتحسين الهيئة وهم جميعا رجالا ونساء يعلقون فى آذانهم اقرطة من الذهب والفضة وسلاحهم القسى والسهام الا أن لهم مزيد نشاط فى استعمال نوع من السلاح المسمى باليطقان فيستعملونه دون غيره فى اشغال النجارة وقطع الاخشاب والعاقول عند مرورهم بالغابات

معادن وزيادة على ما فى وسط هذه الجزيرة من معادن الذهب يوجد فى الجزء الشمالى عدة أتربة معدنية ذات الوان مختلفة تجلب الى كنتون لاجل نقش الفرفورى واعظم ما يوجد من الاخشاب هنالك هو ما يؤتى به من جبال هينان اما الطيب رائحته اولنقشه وانفس هذه الاخشاب بعد خشب النسر هو ما يسميه الفرنج بخشب الورد او خشب البنفسج وثم ايضا

اخشاب نفيسة خشب اصفر لا تنكر جودته وهو مشهور بانه لا يعتريه تلف ولا فساد وتصنع منه اعمدة صغيرة تباع بأغلى ثمن وسواحل

استخراج اللؤلؤ هذه الجزيرة يستخرج منها اللؤلؤ فيقال ان الصينيين يستخرجون من ام الخلول عصارة تستحيل بعد اليبس والصلابة الى مادة نفيسة وذلك أن ام الخلول اذا ظهرت على وجه الماء تفتح صدفتها فيدخل فيها الصائد خيطا من خيوط الكتان يربط فيه اكرا من الصدف او يدخل فيها كما هو عند بعضهم قطعة سلك معدنى فاذا جرح هذا الحيوان خرج منه مواد غريبة مائية تستحيل الى صدف اوالى لؤلؤ وكان القدماء يعرفون مثل هذه العمليات فقد ذكر الخواجة لينوس انه منذ نصف قرن عثر على كيفية استخراج اللؤلؤ من ام الخلول

اقليم كينغ سى و يفصل اقليم كنتون من اقليم كينغ سى جبل كبير يسمى جبل ميلان احدثوا عليه طريقا تتيسر به الفرسخ بيسير وعلى اطرافها مهاو مخوفة وفى الجبل ايضا هيكل مبنى لبعض المندرين الذى امر باحداث الطريق المذكورة وهى عبارة عن ممر مطروق لحارات المدن الكبيرة

فاذا جاوزت الجبال التى هنالك انكشفت لك اودية طريفة وخلوات نضرة حسنة الزراعة ومع ذلك فاقليم كينغ سى وان كان على غاية من الخصوبة لكن لا يخرج بارضه الارز بكثرة بحيث يكفى اهله على كثرتهم فلذا اشتهروا بالاقتصاد ورذيلة البخل التى فيهم اوجبت لهم استهزاء الصينيين من الاقاليم الاخرى وسخريتهم منهم وما عندهم من البحيرات والنهيرات مملوء بالسمك المسمى حوت سليمان وبسمك الاريوان والاسترجون وجبالهم كلها مابين مشحون بالغابات او نهير بالحشائش والنباتات الطبية و بمعادن الذهب والفضة والرصاص والحديد والقصدير و يصطنع فى ذلك الاقليم اقمشة طريفة و يعصر فيه من الارز بيذ يستطيبه الصينيون وللاقليم المذكور شهرة عظيمة بالفرفورى الذى يصطنع

مدن فيه بمدينة كنغ فى تشنغ المعدودة من القرى مع أن دعاة النصرانية يذكرون أن اهلها يبلغون مليونا ولم يذكروا مثل هذا العدد لمدينة نان شنغ فو التى هى قاعدة الاقليم

الفرفورى والفرفورى المصنوع هنالك هو اعظم البضائع التجارية بهذا الاقليم وهو الفرفورى الحقيقى لان ما عداه من الانواع التى تصنع فى كنتون وفوكيان وغيرهما لا يصل فى الاعتبار عندهم الى درجة التحسى فى بلاد اوروبا

اقليم هوكنغ واقليم هوكنغ المتسع واقع فى وسط مملكة الصين ويخترقه نهر يغ تس كيغ ومعظم ارضه مستو تقطعه البحيرات وتزويه النهيرات التى يصطاد منها مقدار جسيم من السمك الجيد وشواطئها مشحونة بالطيور الوحشية و يخرج بريف هذا الاقليم حاصل يكفى فى غذاء مواشيها على كثرتها و يخرج بارضه جميع انواع الحبوب والاثمار لاسيما البرتقان والليمون بسائر انواعه وبالجملة فهذا الاقليم يعرف عندهم بشون غلال المملكة وفيه معادن الحديد والقصدير و يستخرج

فيه الذهب من الرمال التي تنزل بها السيول من الجبال

المدن

ومدينة بوتشنغ فو التي هي قاعدة هذا الاقليم تكاد تكون واقعة في وسط مملكة الصين بقامها ولها سور يشبه سور باريس وتجارة عظيمة في ورق الخيزران الذي يصنع فيها ومدينة هنغ نغ فو ليست مفصولة عنها الا بنهر بوتشنغ فو وهي ايضا مدينة عظيمة ذات تجارة جسيمة

اقليم هونان

ومدينة كين تشيو فو الحصينة معدودة عندهم من ثغور المملكة وهي واقعة في الشمال الغربي على سفوح جبال هنالك واذا انتقلت من هذا الحصن رأيت اقليم هونان المعدود من الولايات الصينية الظريفة لاعتدال قطره وخصوبة ارضه حتى ان الصينيين يسمونه بستان المملكة ويزعمون أن فوهي وهو اول من اسس حكومتهم المؤرخية جعل هذا الاقليم دار اقامته ومقر حكومته وهو في الحقيقة اقليم معتدل المزاج هواؤه ملايم للصحة ويخرج منه بكثرة سائر المحصولات على اختلاف انواعها كالحنطة والارز وفيه مروج واثمار لذيذة من سائر الاصناف ومواش عديدة * فهذا هو محصل ما في ذلك الاقليم العظيم الذي يكاد يكون كله ريفا وغيطانا ما عدا الجهة الغربية منه فان بها جبالا مشحونة بالغابات والاشجار

المدن

ومن مدنه مدينة كي سونغ فو وهي مدينة كبيرة كثيرة الثروة والاهالي واقعة على نهر هونان الا انها في محل منخفض بحيث تعلو عليها مياه ذلك النهر فهي من حيث موقعها عرضة لاخطار عظيمة مع ما فيها من الجسور المجعولة لحفظها من فيضان المياه ففي سنة ١٦٤٣ من الميلاد امر السلطان بقطع احد جسورها قاصدا اغراق امير من امراء الصين كان قد عصى عليه وخرج عن طاعته وذهب خلف هذا الجسر فغرق فيه ثلثمائة الف من الاهالي * وكان الصينيون سابقا يعتقدون اعتقادا جازما أن مدينة هونان فو هي مركز الارض لانها كانت اذ ذاك وسط مملكتهم

البرج الفلكي

ومدينة تنغ فن هيان وهي شهيرة بالبرج الذي انشأه بها الشهير انشو كنغ وكان يرصد النجوم فيه وبها ايضا آلة يزعمون انه كان يأخذ بها ظل الزوال ليعرف ارتفاع القطب وكان هذا الرجل موجودا قبل عيسى عليه السلام بنحو ألف سنة ويزعم الصينيون انه هو الذي اخترع البوصلة وهي بيت الابرة

اقليم شانسي

وقد آن لنا أن نشرع في تخطيط الجزء الواقع في الشمال الغربي من الصين فنقول ان اقليم شانسي هو أحد الاقاليم الصغيرة بتلك الجهة وهو محدود من جهة الشرق باقليم بيجيلي ومفصول من شمال المغول بالسد الاكبر وفي تاريخ الصين ما يدل على أن قدماء الصينيين كانوا يسكنون هذا الاقليم لاعتدال قطره وطيب هوائه وارضه وان كانت جبلية لكنها خصبة يكثر بها الدخن والقمح ولا سيما العنب الذي اذا اراد الصينيون أن يعصروه نبيذا يكبسونه في تلك كلفة ولكنهم يؤثرون تركه حتى يجف ويتزبب

ويوجد به ايضا الفرفوري والمرمر وحجر الغشب بسائر انواعه المختلفة الالوان وحجر ازرق يستعمل لنقش الفرفوري والطين به ويرى في جميع جهاته معادن حديد كثيرة وبحيرات ماحة يستخرج منها الملح ومياه معدنية

المدن وغيرها

وقاعدته يقال لها مدينة تاي ايوان فو وهي مدينة كانت سابقا ظريفة جدا كثيرة القصور التي كان يسكنها امراء من العشيرة السلطانية المسماة تاي منغ انشو الا ان هذه المباني العظيمة قد تخربت كلها ولم يتفكر احد في تجديدها ثم ان هذه المدينة يصطنع فيها صاجيد على منوال صاجيد الترك وبها ايضا تجارة عظيمة في آلات الحديد التي تصنع بها ومحيط هذه المدينة القديمة الكثيرة الاهالي يبلغ ثلاثة فراسخ تقريبا وعلى الجبال المجاورة لها مقابر لطيفة مصنوعة من المرمر او احجار النحت وفوهرات النصر وتماثيل الابطال والسباع والخيل وحيوانات اخرى وكل ذلك يحيط به اجمة من شجر الصرو القديم المغروس على شكل طاولة الشطرنج

اقليم شين سي

واقليم شين سي هو اكبر اقاليم الصين ويتصل ببلاد المغول وقلوق هو هونور والسيفان وهواؤه معتدل ولذا جعل سلاطين الصين دار اقامتهم مدة تحتة قرون واهله اقوى الصينيين واشجعهم واحسنهم قدودا ومن ثم كان عساكرهم دائما اشد بأسا وهيبة في القلوب من غيرهم ويخرج بأرض هذا الاقليم كثير من العقاقير والنباتات الطبية وينبت في جباله من الحشائش ما يكفي في غذاء كثير من المواشي لا سيما البغال وتنمو به الحنطة والدخن في اسرع وقت حتى ان الحراثين يتركون الغلم في سنة الشتاء ترعى ما على الارض من الحشائش النابتة ثانيا في وقت الربيع بقوة جديدة ويرى في حوالي لين توفو على عين سيفان بقر وحشي وكذلك على ما يقال نوع من النمر

المدن وغيرها

وقاعدة هذا الاقليم يقال لها سنغنفو وهي بعد بكين من اطرف مدن الصين واكبرها ومحيطها يبلغ اربعة فراسخ وبعض ابوابها ظريف ذو ارتفاع غريب خارق للعادة وفيها قصر قديم كان يسكنه قدماء ملوك هذا الاقليم

ومحافظو هذه المدينة من عساكر المنجو الاصلية المعدة لحماية شمال الصين وفى سنة ١٦٨٥ من الميلاد حين حفر اساس لبعض البيوت بالقرب منها عثر على لوح من المرمر مكتوب عليه بالخط الصينى كلمات سريانية منقوش فوقها صورة صليب فاجتهد جمع من العلماء فى البحث عن معرفة هذه الكلمات ومامعها من التماثيل والصور فوجدوها مشتملة على اثنتين وستين علامة منقوشة بالحروف الصينية مع الترتيب والتناسق على تسعة وعشرين عمودا فتأملوها فاذا هى عبارة عن رسالة تتضمن اصول دين النصرانية وعدة مسائل تتعلق بالقوانين القسيسية واسماء الامبراطرة والملوك الذين كانوا سببا فى نشر هذا الدين الذى اظهره فى تلك الجهة دعاة من قسوس النسطورية سنة ٦٣٥ من الميلاد قدموا اليها من بلاد العجم والشام وكان لهؤلاء الدعاة فى الصين عدة كنائس من عهد مرقبول يعنى سنة ١٣٠٠ ميلادية

آثار نسطورية

ثم ان طرف اقليم شينسى الممتد على شكل بحيجزيرة فى الشمال الغربى بين بلاد المغول وقاموق هو هونور يقال له خط كنتشيو اوكنسو (والخط بلغتهم فو) فلذا يتكلم عليه دعاة النصرانية الا بطرف هين الا استوتتون فانه أطنب فى الكلام عليه حتى اراد أن يجعله اقليما

خط كنتشيو

واذا توجهت الى الجنوب الغربى دخلت اقليم سنشوان فتراه كأغلب الاقاليم الصينية فى الكبر وكثرة المحصولات فانه وان تخرب سابقا بحروب التتار لكنه من وقتها استقر حاله وحسنت احواله ويخترقه نهر ينغ تس كينغ الاكبر فيكتسب الخصوبة لجميع اجزائه وسائر اراضيه ومن محصولاته الكثيرة الحرير والنبيذ والقمح والاثمار وفيه معادن الحديد والقصدير والرصاص والزئبق وهو شهير بالعنبر وقصب السكر والاحجار المغناطيسية النفيسة والاحجار اللازوردية الظريفة اللون ويرغب فى خيله لانها وان كانت صغيرة الجسم لكنها لطيفة جياشة

اقليم سنشوان

وقاعدة هذا الاقليم تسمى تشنغ تو فو وهى مدينة كانت سابقا من اعظم مدائن الصين وألطفها فلما تخربت فى مدة الحروب الداخلية سنة ١٦٤٦ من الميلاد كسائر الاقليم فقدت كثيرا من عظمها وبهجتها القديمة ومع ذلك هى عامرة آهلة كثيرة التجارة ذات موقع حسن لانها واقعة على جزيرة متكونة عن عدة انهر

المدن وغيرها

ومدينة لونغنفو لكونها واقعة على رساتيق التتار كانت دائما مشهورة بأنها من اعظم مدن هذا الاقليم واهمها وهى محصنة بعدة قلاع وحصون كانت تلك المدينة سابقا احوج اليها من الآن

ومن هذا الاقليم تتوجه الى اقليم معروف بقلة العمران ورداءة الزراعة يقال له كويت شيو وهو اقليم كثير الجبال الصعبة المرتقى التى مكثت مدة طويلة وهى مأوى لاقوام مستقلين بانفسهم معروفين باسم سنغ ميوس وقد سعى سلاطين الصين غير مرة فى عمارة هذا الاقليم فبعثوا اليه قبائل كاملة لاجل الاستيطان به فظهر من هذه الوسائط كلها لا تكفى فى عمارته الى الآن وقبائله لا تكفى ايضا فى القيام بمصاريف ومؤونة المحافظين المقيمين لكثرتهم فلذا اضطرت الدولة الى جعل ذلك على طرف الخزينة السلطانية وبجباله معادن الذهب والفضة والقصدير والنحاس والزئبق ويستخرج من أحد اقسامه نحاس تضرب منه نقود صغيرة يتعامل بها فى سائر اجزاء المملكة وخيوله اعظم خيول الصين ولا وجود فيه للحرير بل يقوم مقامه هناك اقمشة تصنع من بعض حشائش تشبه القنب وتصلح اتم الصلاحية لان يتخذ منها ملابس الصيف

اقليم كويت شيو قبيلة خشنية

وقاعدة هذا الاقليم يقال لها كواى ينغ فو وهى من اصغر مدن الصين لان نهاية ما يبلغه محيطها فرسخ لا اكثر وبعض بيوتها مبنى بالطين وبعضها بالآجر واهل مدينة سنشوفو وان كانوا اقل اهل الاقليم خشونة الا انهم متوغلون فى اودية الجهالة لا دراية لهم بشئ من علوم الصين وهم دائما حفاة ويمشون على الصخرات مع السرعة العجيبة

المدن

وفى جنوب هذا الاقليم الجبلى يمتد اقليم كنغ سى وهو اقليم لا يعد من اقاليم الصين الفائقة فى العمران وانما يخرج به الارز بكثرة حتى انه ينقل منه الى اقليم كنتون ما يكفى اهله ستة اشهر من السنة مع ان ارضه ليست جيدة الزراعة الا فى السهول الجنوبية لاعتدال قطرها وطيب هوائها بخلاف الجهة الشمالية منه فانها ليست الا اراضى عقيمة وجبالا مشحونة بالغابات الكثيفة

اقليم كنغ سين

وبهذا الاقليم جميع انواع المعادن لاسيما معادن الذهب والفضة الا ان اصول حكومته تمنع اهله من استخراجها وبه ايضا شجر للقرفة وهى اطيب رائحة وطعما من قرفة سيلان

وقاعدته يقال لها كى لنغ فو وهى واقعة على نهر ايتا وبارضها اعظم الاحجار التى يصطنع منها الكتاب الحبر وقد عاين فيها مرقبول دجاجا له شعر كشعر السنانير وهو ما يسمى بدجاج الحرير

وثم مدينة يقال لها كنغ سى اهلها معروفون عند الصينيين بالتوحش لان فى اخلاقهم خشونة مباينة كل المباينة لما يعهد فى الصينيين من اللين والسهولة

اقليم ايون نان

وفى طرف الجنوب الغربى من هذه الجهة تجد اقليم ايون نان وهو من اعم اقاليم المملكة واكثرها ثروة وهو مجاور لمالك أوى وييغو ولوس وتنكين ويخترقه عدة انهر وهو اوه معتدل وبجباله معادن الذهب والفضة والنحاس والقصدير والجواهر لاسيما الياقوت وبه ايضا المرمر المتلون طبعا بألوان مختلفة يوجد هنالك على شكل الجبال والازهار والاشجار والآثار والاطلال وخيول هذا الاقليم وان كانت صغيرة الجم الا انها جياشة وبه من الحيوانات الايل وهو لا يزيد فى الغلظ عن الكلاب الفرنجية المعتادة واهله وان كانوا اقوياء اشداء اكنهم اهل لين وبشاشة ولهم مزيد رغبة فى العلوم والمعارف وكان يسكنه اولا امة يقال لها لولو وكان يحكمها عدة امراء فصاروا الصينيون حروبا طويلة بتصادخالها تحت الطاعة ثم عزموا على تشريف امرائها بتشريفات المندرية وأن يجعلوا لذراريهم الحق فى وراثة ذلك بشرط أن يبايعوا حاكم الاقليم ويذعنوا لاحكامه وأن لا يحوزوا ارضا الا باذن السلطان ولا يقدموا على شئ بدون علمه ورضاه * وهذه الامة تساوى الصينيين فى قاماتها وتزيد عليهم فى التجلد على مشاق الاشغال ولها لغة تخصها وكتابتها ككتابة امناء الدين فى مملكتى ييغو وأوى كما انها فى الديانة كذلك فمن ثم بنى امناء الدين المذكورون فى شمال هذا الاقليم هياكل واسعة مباينة لهياكل الصينيين ويدعى ملتزمو هذه الامة أن لهم التصرف المطلق على رعاياهم المنقادين لهم كل الانقياد

مملكة لولو

المدن وغيرها

ومما نعرفه فى شأن مدن هذا الاقليم بسير فذكر بعضهم ان قاعدته المسماة ايون نان فو الواقعة على شواطئ بحيرة واسعة عميقة هنالك مكثت زمنا طويلا وهى دار اقامة لامير من عمال الصين ويصطنع بها قماش الاطلس والسجاجيد والظاهر ان تجارة المعادن بها عظيمة ومن مدنه ايضا تشين كينغ فو وهى واقعة ايضا على بحيرة فى محل ظريف مبتهج ومنها ايضا مدينة ووتنغ فو وهى مشهورة بانها من اسوار نغور المملكة

(المقالة الخامسة والستون)

(من تخطيط آسيا)

(الجزء الثالث)

(فى بيان حالة الصين السياسية)

يتعلق بها ابحاث كثيرة بحيث لو تصدينا الى استيعابها كلها تفصيلا لجرنا ذلك الى التطويل الممل فان هذه التفاصيل التى لا تليق الا بكتاب مؤلف فى خصوص الجغرافية السياسية اى علم احوال الممالك تخرجنا عن حد الاختصار المقصود لكتابنا هذا المؤلف فى عموم الجغرافية وايضا قد مارس هذه المادة حذاق اهل اوروبا فلم يخرجوا منها على طائل فلا نريد أن نظهر الفضل عليهم ببيان هذه التفاصيل التى توجب الحيرة وتشوش الذهن حتى ممن عاين تلك البلاد الغريبة وانما لهذه الدواعى نقتضر على ايراد نبذة مختصرة تتعلق بذلك فنقول

سحنة الصينيين

أن الصينيين لهم شبه بالمغول من حيث تقاطيع وجوههم وتركيب عظام رؤسهم فان رؤسهم تكاد أن تكون على شكل اربع زوايا وانوفهم قصيرة غير فطساء ولونهم الصفرة ولحاهم خفيفة فهذه هى الاوصاف الخاصة بالمتأصل منهم واما انحراف وضع الاعين فالظاهر أنه مشترك بين المتأصلين منهم والنزلاء المستوطنين كاهل ياپونيا وكورة ثم ان هذا الصنف الخارج من آسيا الوسطى لكونه اقام عدة قرون فى قطر معتدل لطيف المزاج صار ذا طبيعة واخلاق خصوصية وعادت تقاطيع وجوههم نحيفة مقبولة ولا يخفى أن هنالك بونا بعيدا بين اهل الجنوب من الصينيين واهل الشمال وكذلك بين سكان الجبال وسكان السهول والسواحل ولا يخفى ايضا أن ألوانهم مختلفة كثيرا ولكن ليس عندنا من الاخبار ما يكفى فى بيان اختلاف تلك الالوان الكثيرة المنتشرة التى تميز القلوق الخشنيين من اهل كشتون المحادعين

جمالهم

ويعتقد نساء الصين انه لا جمال الا فى ضيق العيون وغلظ الشفاه يسيرا ونعومة الشعور وسوادها كحشب الابنوس وصغر الارجل جدا وهذا الوصف الاخير هو الذى عليه مدار الجمال عندهم فلذا كن يعتنين به كل الاعتناء حيث يشددن القمط على ارجل صغار البنات شد اعنيفا حتى تجدهن اذا كبرن يتمايلن فى المشى لعدم ثبات اقدامهن واما الرجال فالسمن عندهم علامة على الفراغ والدعة ومعدود من ألقاب الاعتبار والشرف بخلاف النحافة فان صاحبها معدود من العامة المجردين عن المعارف واكل اوصاف الرجولية عندهم هو ترك تقليم الاظفار ومن عادتهم صبغ شعورهم ولحاهم بالسواد

جور احكامهم

والصينيون فى الاخلاق والعوايد كغيرهم من سائر الامم المستعبدة ذات الصنائع والنجابات فتوجد فيهم الفضائل والرذائل فان حكومتهم الظلمية المطلقة التصرف احدثت عندهم صورة الحكومة البطريقية فلا امل ظلمة حكامهم الترتيبات العسكرية كثرت الفتن والتقلبات حتى آل امر مملكتهم أن وقعت فى ايدى الغرباء المتغلبين وهم المنجو ومن وقتئذ انضم سوط التتار الى عصا الاب التى كانت فى قديم الزمان لها الصولة والحكم فى بلاد الصين ومن جملة القوانين الصينية التى تحامى عن المملكة وتضيق دائرة الشوكة الايمبراطورية قانون يسوغ للمندرية والقضاة أن يعطوا الايمبراطور فى بعض الاحيان وينهوه على ما وقع فى حكومته من الخلل لكن على وجه الارشاد والاحتشام فان كان هذا الايمبراطور فاضلا اثر فيه وعظهم وعاد ذلك على الاهالى بالمنفعة غالبا * ثم ان الايمبراطور يكنى نفسه بابن الله المقدس الذى لا شريك له فى حكم الارض وبابى رعيته الاكبر ويقرب الرعايا القرابين الى تمثاله وسرير ملكه ويعبدونه فيسجدون بين يديه واذا خاطب اعيان ديوانه جثوا على ركبهم لاستماع اوامره ويقاسمه فى هذه العبادة كل من حوله من الامراء * وجميع حظياته على كثرتهن لهن حكم ونفوذ كلمة باسمه وعلى جاهه بل مثلهن فى ذلك الخصيان الذين هم اغاوات الحريم المعدون لحرستهن وحفظهن وعند خروج هذا الايمبراطور المعدود من اصناف الآلهة يبادرون بالدخول فى مساكنهم لان كل من صادفه فى طريقه قتل فورا مالم يدر ظهره نحوه او يسجد على الارض وتغلق سائر الحوانيت التى يمر بها ولا يمشى ابدا الا اذا مشى امامه ألفان من الضباط حاملين سلاسل وفؤوسا وعدة آلات اخرى تنبىء عن ظلم الحكومات المشرقية

المندرية

وهنالك تسع مراتب من الضباط المسمين عند الافرنج بالمندرية قائمون بالوظائف المختلفة مدنية كانت اوعسكرية

وهؤلاء المندرية مطلقوا التصرف فليس لشوكتهم حد تقف عنده فهى كشوكة الايمبراطور الذى يقلدهم بوظائفهم فاذا مر أحدهم بمدينة واستحسن قتل احد من الناس اوقفه بين يديه ليضرب حتى يموت من غير أن يجد نصيرا ينجاسر على

حمايته والذب عنه واذا قصد مدينة سبقه اليها مائة جلاد مهولون يجرون اليها كالسعاة لاخبار اهلها بقدومه اليهم فيصيحون عليهم صياحا اشبه بعواء الكلاب فكل من نبى ولم يقف بجانب الحائط فى الصف منتظما لم يشعر الا وقد اوجع ضربا بالسلاسل او عكاكيز الخيزران مع أن هذا المندرى نفسه ليس فى حماية من العصى الايمبراطورية فان الايمبراطور يضربه بها متى ظهر منه ادنى تعد او خيانة

بيان الخطا الواقع فى وصف حكومة الصين

وهؤلاء المندرية لم يوجد فيهم شئ مما ذكره فى وصفهم وولتير حيث قال انهم فلاسفة مشتغلون بمحاسن الدين الطبيعى ولطائفه فهم بعد أن ظهروا على الشهوات النفسانية التفتوا الى اخوانهم من الناس وصرفوا همتهم فى رعاية مافيهم من الفضيلة الواهية كرعاية الوالد لولده ووصفهم ايضا بأنهم ممن يحب الوطن ويحافظ مع الاستقامة على الحرية وعموم العدالة ويذب عنهما مع الشهامة والحمية وليس كما قال بل هم مجرد اتباع لحاكم ظالم مطلق التصرف ولقلة مرتباتهم كانت معيشتهم مما يكتسبونه بالجور والظلم

دوام القوانين الصينية وعدم نسخها

ثم ان القوانين الصينية المشتملة حسبما يزعمون على الحكمة وحسن التقنين يمكن أن ترجع فى بيانها ووصفها الى كلتين بأن تقول انها عبارة عن قواعد حسنة سياسية ومواعظ لطيفة ادبية ولا ينسخ الايمبراطور منها شيأ لانها تسوغ له أن يفعل ماشاء وكذلك المندرية فانها تبيح لهم ظلم الرعايا وهنالك محاكم صورية يمكن للشخص من احاد الصينيين أن يرفع اليها الشكوى من رئيسه وان كان جازما بالعقوبة على هذه الجسارة واما اشرافهم فلا يقع بينهم نزاع ولا مخاصمة اصلا لانهم اذا رفعوا عصاهم على الاهالى رأوا طائر السوط السلطانى يحوم على رؤسهم وذلك شبيه بحكومة التتار الظلمية حيث تشدد على الكبار وتجبرهم على الاتحاد والالتئام ولا يقع من اهالى الصينيين معارضة ولا قيام اصلا فانهم اولا مجردون عن الشجاعة وقوة الجنان وان كانوا بمكان من النباهة والحذق فيرون أن الامن على بعض اموالهم العزيزة عندهم وحفظه بالعبودية والتذلل لسادتهم والمعيشة تحت اقدامهم خيرلهم من المخاطرة بضياعها كلها وثانيا ما الداعى للمعارضة والقيام وهم كما يقع الاختلاس فى اموالهم يسوغ لهم الغش فى الموازين والبضائع * ومحاكمهم لا تعرف الانصاف والعدالة فى القضاء وفصل الخصومات الا أن ذلك انما هو بالنسبة لمن كان لحقه يزعم انه لا يلزمه دفع المحصول فمن ثم كان الغنى منهم منعم البال مرتاح الخاطر والفقير محكوما مضيقا عليه فتجد الفلاحين غالبا لشدة جوعهم وضنكهم يتخذون السرقة وقطع الطرق الكبيرة حرفة فاذا قبض عليهم صلبوا ما لم يكونوا قواة شداد البأس والاقدام ظهروا على العساكر المبعوثة للقبض عليهم وقعت المداولة بينهم وبين الحكومة فى شأن الصلح حتى يصطلحوا او تتركهم الدولة على حالهم يستقلون بأنفسهم فى محالهم التى آووا اليها ويترتب على ذلك فى الغالب ايراد يسير للعكام وبالجملة فالرجل من الصينيين مجبول من صغره على امر واحد لا يعرف غيره وهو الطاعة والانقياد ومكلف برسوم عديدة تلاتتركه يتململ على ممر الاوقات عن احترام ارباب الرتب والمناصب فى الجمعيات فكل خطوة يخطوها تجيل واحترام وكل كلمة ينطق بها تحية وسلام ولا يخاطب سيده الا وهو يلاحظ انه كلاشئ بالنسبة اليه ويستحضر انه عدم بين يديه

رسوم

ثم ان أهم سياسة الدولة الصينية واتقن قواعدها الاصلية قانون يسلب من الانسان اياما كان خاصة الاقتراح وابداء خواطر جديدة حيث يمنعه من بيان ما سنح به خاطره بعلامات محسوسة موافقة فى الدلالة لالفاظ لغته وربما أشعرت عبارتنا هذه بأننا نريد التكلم هنا على الحروف الصينية * فنقول ان هذه الحروف قد شبهها بعضهم بحروف المصريين القديمة المسماة بالهيروغليفية وهو خطأ وانما يمكن تشبيهها بالحروف البازغرافية التى طالما استهزأ بها اهل اوروبا وسخروا منها * ثم ان اللغة العامية الصينية هى عبارة عن كونهم جعلوا القواعد الاصلية اى التى تدعو اليها الحاجة غالبا على ترتيب مخصوص وادرجوا تحت هذه القواعد سائر ما فى لغة العامة من المعانى اوما تجود به خواطرهم منها ووضعوا لكل قاعدة اصلية علامة واحدة تدل عليها وهذه العلامة اختيارية من عند ياتهم ليست متميزة الصورة بل هى بشعة الشكل ولما كانت هذه العلامات هى مبادى اللغة كانت ايضا اصلا باقيا لعلامات اخرى معنوية موضوعة بوضعهم واختراعهم تدل على القواعد المتعلقة هى بها * وعدة هذه المبادى مائتان واربعة عشر واما العلامات الاخرى المتفرعة عنها فتزيد على ثمانين ألفا وكلها لا تدل على ألفاظ يعبر بها عنها بل على معان وقواعد بواسطة النظر والحفظ فمن ثم كانت هذه العلامات الاختيارية لا دخل فيها لحركة الفكر وجولان الذهن ولا تحيط العبارة الا بعشار عشرها * وجودة الاشعار والقصائد الصينية عبارة عن عدم القدرة على انشادها فترى أعظم علماء هذه البلاد يتسابقون الى رسمهم بالمراوح فى الهواء حروفا لا دلالة لها على شئ من كلمات اللغة المتداولة بين العامة

حروف الكتابة

لغة الصين

ثم ان لغة الصين المتداولة بين الناس مركبة من اجزاء لا تزيد على سبب واحد وقل أن يوجد بها ثلثمائة وخمسون كلمة متغايرة المدلول بالنسبة لمن سمعها من الافرنج غير أن الصينيين بواسطة انعطاف الصوت وتغيره يفهمون منها مدلولات عديدة فكلمة تجون مثلا يختلف مدلولها باختلاف الصوت فتدل على معنى سيد وخنزير ومطبخ وعمود وكريم وعلى التجهيز والعجوز والاسير والمسجون ومع هذه الصناعة تجد في الغالب الصوت الواحد يوافق عدة حروف ومعان مثلا كلة بو بالاختلاس تدل على الشمال والبياض وشجر السرو والمائة من العدد وغير ذلك وعلم النحو عندهم هو احوج ما يكون الى الالتفات لانه على غاية من التوحش والغرابة فانه في الحقيقة لا يتعرض لشئ من اعراب الاسماء ولا تصريف الافعال وانما يسد مسد ذلك تطويف الكلام ودوران الكلمات على وجه واه ومنهج ضعيف واما اللغة العلمية المستعملة في التأليف فانها لا تقبل شيأ من ذلك وانما يجمع المؤلف الكلمات مجردة عن الارتباط والالتئام ويترك للقارى فهمها ومعرفة مناسباتها فاذا اراد أن يفيد مثلا أن البحر لاحد ودله كتب بحر ولاحد * ثم ان ما احتوت عليه هذه اللغة من ضيق الدائرة والابهام والبس ووحدة السياق والاحتياج الى الالتفات مما صارت به مستهجنة مبتذلة بالنسبة الى المعاني العلمية يدل من حيثية اخرى على قدم تلك اللغة واصالتها بل يظهر انها اصل للغتي التبت والاناميتية

بيان ما لهذه اللغة وحروفها العجائبية من التأثير

وهذه الكيفية العديمة الشكل هي التي ابقت بمقاصدها او بوسائلها ما افضى بالصينيين الى الابتذال والانحطاط من صغر العقل وبقائه فيهم على عهد الصبا وجعلتهم في الغالب من ادنى الامم الوحشية فان لغتهم المتداولة بين العامة من مبدأ امرها غير مستكملة وعقول الاهالي لم تتسع دائرتها لان الطوائف العليا منهم لم تمكن تعرف التعبير عن مقصودها الا بلسان آخر لا يكاد يفهمه الا القليل غير أن معارف الطائفة الممتازة لا يمكن انتشارها واتساع دائرتها بمجرد الكلام والتعبير لان الكلام في الغالب لا يطابق ما يدل على تصوراتهم من العلامات والاشارات فجز ذلك الى تناقص انوار هذه المعارف بل ربما كانت تنطفئ بالكلية وتزول من صدور حفاظها فان اللغة الغير الناطقة التي لا يتأثر بها القلب ولا يدرك بها العقل هي اشبه بفهرسة غير مفيدة يشتغل بها الفكر والحافظة فقط مع أن في النفس قوى عديدة كلها تحتاج الى البسط والاتساع ولا قوام للنفس المفكرة الا بخواص هذه الوسائل اللطيفة بحيث لو اقتصر على خواص احدى هذه القوى واهمل ما عداها لاختلت معادلة آلة الادراك العظمى وفترت قوتها او ضعفت حركتها ومن هنا كان وقوف عقول الصينيين وعدم اتساعها حتى كأنهم باقون على حالة الطفولية فان ذلك فيهم اشبه بفقد الحاسة والتمييز الذي ينشأ عن الاقتصار على ممارسة علم دون آخر كما يقع عند المهندسين والنحويين والطبيعيين الذين يضعون الاسماء الاصطلاحية للنباتات

علوم

ولا يصح اطلاق كلة علم على معارف الصينيين بحيث تكون كغيرها من مشمولات هذا اللفظ فانها ليست الا امورا واهية حافظوا عليها حتى كأنها نفائس ورثوها عن حكمائهم الاقدمين ومشرعيهم الاولين وليس لهم معرفة بمصالح النوع البشري ولا يبغونهم منظور الكائنات العجيب على الاشتغال بالتفحصات والابحاث المستدعية للجرأة والاقدام التي تمتع بها علماء الافرنج وربما تاهوا احيانا في اوديتها وضلت عقولهم في الجولان بميدان دائرتها فتجد الفلسفة العقلية الشهيرة في الصين محصورة في الوعظ والحث على الانقياد للقوانين والشرائع وفي الارشاد بالدقة والتفصيل الى اداء التحية مع الخضوع والتواضع والى الآداب الهزلية التي هي عندهم عبارة عن الادب والاحتشام ولا يعرفون اصول تحسين الكتابة والتأليف ولا اصول تنظيم المباني ولا اتقان الرسم والتصوير بحيث تكون الصورة المرسومة موافقة للاصلية اتم موافقة

بساتين الصين

واما لطف وضع بساتينهم وتقسيم اراضيهم فماذا لا الا لكونهم يأخذون بالدقة صورة محل طبيعي خال عن الانتظام لكنه مبتهج حسن المنظر فينسجون على منواله فاذا نظرت هنالك وجدت مخورا شاهقة يخشى سقوطها وقنا طر معلقة على مهاو واشجار صنوبر عتيقة متفرقة على جوانب الجبال الشامخة وبحيرات واسعة وسيول شديدة الجريان ومساقط مياه مزبدة لها دوى عظيم وبعض تماثيل رؤوسها شامخة كالاهرام في خلال هذا الاختلاط والاختلال فهذا هو منظر اراضي الصين تفصيلا وبساتينها اجمالا * ثم ان الصينيين لهم في اجراء العمليات الحسابية سرعة عجيبة خارقة للعادة الا أن طريقتهم في ذلك مباينة لطريقة الافرنج مع أنهم قبل دخول الافرنج في بلادهم كانوا يجهلون الرياضيات وجميع ما يتعلق بها من الفنون وليس لهم اتقان في الارصاد الفلكية وما كان عندهم من المعارف التي هي مما فوق الطبيعيات لم يكن الا في صدور حكمائهم وعقول قلة سفتهم فلذا لم تبق الفنون التي ادخلها عندهم اليسوعية على زهرتها تلك البلاد الا مدة قليلة ثم تلاشت واندثرت في ايام الملك كنغي المعاصر لكرلوس الثاني ملك اسبانيا ولويز الرابع عشر (ملك فرانسا) والظاهر أنها لا ترجع اليها بعد ذلك وقد زعم كثير أن الصينيين عرفوا فن الطباعة قبل الفرنج وليس ذلك

الطباعة

على اطلاقه بل يقيد بالنقش المطبوع وهو البصمة فانهم لم يعرفوا اصلا سبك حروف الطباعة التى تنقل بل بسبب اختراع ذلك للفلمنك والالمان وانما كان للصينيين قبل ظهور المطبعة فى اوروبا بعدة قرون روزنامات مطبوعة بقوالب خشبية

الحرف والصنائع

والمعارف الميكانيكية هى التى كانت دون غيرها متقدمة ومرغوبا فيها عند الصينيين فكانت صناعتهم فى فبريقات القماش والصيني والسمان الصيني وغير ذلك من الفبريقات المستغزة هنالك عجيبة لا يمكن تشبيهها الا باشغالهم فى المحافل والمزارع كانشاء الخلجان وتمهيد الجبال وعمل البساتين ولكن تجد فى كثير من اشغالهم ما يدل على صدق هذه القاعدة وهى كل ملة نشأت فى الاستعباد لا يمكن أن تبلغ درجة كمال فى الفنون الميكانيكية

الملاحة البوصلة

وقد تكلمنا فيما سبق على رداءة سدودهم وعدم اتقانها واما فن الملاحة عندهم فهو ايضا غير عجيب ولا مستحسن وان كانوا قد استكشفوا قبل الفرنج خاصية حجر المغناطيس وهى اتجاهه الى جهة القطب والبوصلة عندهم شائعة كثيرة الاستعمال والابرة المغناطيسية التى يستعملونها معلقة مع الدقة واللطافة وحركتها شديدة غريبة فانك تراها تضطرب كلما تغير وضع علبتها او بيتها بالاتجاه الى جهة المشرق او المغرب وتسمى البوصلة عندهم طنغنان شنغ ومعناه الابرة التى تدل على الجنوب لان فيها علامة من المغناطيس يعرف بها القطب الجنوبى كما أن فى البوصلة الافرنجية علامة يعرف بها القطب الشمالى

السفن

ولكن سفنهم كبيرة جدا حتى ان منها ما يحمل ألف برميل واطرافها على غاية من الارتفاع فهى لصدّ الرياح كالحصن المنيع ويتلف منها فى الماء اكثر من النصف لانها اذا رست على البر لا يمكن اقتلاعها من الارض اصلا ويتخذون الاناجر اى المراسى من الخشب ولا يعرفون من الآلات والمقاييس ما يعرف به الفرنج عمق الماء وارتفاعه وملاحوهم جهلة كصغار ملاحى الفرنج فمن سافر منهم الى ياپونيا اوجزائر الفليبينه اهتدى فى سيره بالنجوم كبقية الامم المتوحشة الخشبية ومن اقلع الى بتاويا وملقة اوكيدا جعل البر دائما نصب عينيه

القنج

ومع ذلك فقنجهم لطيفة جديرة بالمدح ويستعملونها فى الانهر وهى مدهونة بدهن اصفر لطيف جدا وشراعاتها متخذة من الحصر اللطيفة متينة ثقيلة والجبال التى يسحبون بها المراكب الصغيرة متخذة من قشر شجر الخيزران ويترآءى أنها متينة ايضا بالنسبة للجر بها وان كانت بالنسبة لغيره لا تسد مسد حبال القنب والكتان التى هى جيدة جدا فى بلاد الصين

وقد ذم بعضهم مبانى الصين واثارها مع أن فيها ما يستحسن كبعض طرقها السلطانية وقناطرها ذات العين الواحدة وبروجها العالية التى على شكل الاهرام وبواباتها المسماة باقواس النصر فهى وان كانت خشبية الا انها عظيمة فاخرة وكذلك سدّها الاكبر فانه مما يتعجب منه اكثر من ذلك وهو سور شهير يمر باعلى الجبال ويخترق اودية عميقة ويمتد من اقليم شنسى الى ونغهى اى البحر الاصفر على خط يبلغ اربعمائة وخمسين فرسخا وهو فى عدة محال منه ليس الا مجرد حصن كسائر الحصون وفى بعضها تجد اساسه من الصوان وبناءه بالآجر والجانق

السد الاكبر

ثم ان كلا من الخواجة ستوتون والخواجة دوهلدو حقق أن هذا السد قديم بلا شك وأثبت الثانى انه بنى قبل ميلاد عيسى عليه السلام بمائتين وخمس عشرة سنة بامر اول سلطان من دولة تسين ولكنه ذكر فى بعض مؤلفاته انه اسس بامر السلطان الثانى من هذه الدولة وعليه فيكون تأسيسه قبل الميلاد بمائة وسبع وثلاثين سنة وذكر بيل وهو من مهرة السياحين أن بناءه انما كان سنة ١١٦٠ ولم يتعرض احد من جغرافيى المشارقة ممن كان قبل الميلاد باكثر من ثلثمائة سنة لذكر شئ فى شأن هذا السد ومرقبول وان كان من اهل القرن الثالث عشر لم يكن عنده فى هذا المعنى معرفة ولا المام مع انه اطال الاقامة فى خطاى بشمال الصين وفى بلاد المغول والذى يظهر أن هذا السد لم يبق على بنائه القديم بل بنى وهدم عدة مرات على حسب اقتضاء سياسة المملكة وعليه فالسد الموجود الآن غير قديم فلا عجب حينئذ فى بقائه الى هذا العصر

ما قيل فى قدم هذا السد

ولا حاجة الى ذكر اخلاق الصينيين المتأصلين بتلك البلاد على وجه الدقة والتفصيل لان ذلك يشوش ذهن من اطلع على كتابنا هذا وانما نقول ان بيوتهم مبنية بالآجر والسميل اليابس وأغلبها من الخشب وليس لها فى الغالب الا طبقة ارضية وبيوت التجار لها طبقة ثانية عليا يخزنون بها امتعتهم وبضائعهم وتجد ظاهر المبانى مزينا بالاعمدة والآزاج وللصينيين ميل الى اوانى الازهار المعروفة بالقصارى فتراها فى سائر اماكنهم نضرة المنظر بالخضرة وغيرها من الالوان المتنوعة

البيوت

وبيوت اعيانهم تخالف هذه المساكن باصحنها الواسعة وبساتينها واما المساكن المدبرة (الخالية عن الاسراف) فهى قليلة الزينة والزخرفة حتى ان المرائى فيها قليلة مع انها كما هو الظاهر آتية على طبق اذواق مثل هذه الامة صاحبة الطيش والخفة * ثم ان ملابس الصينيين عبارة عن ثياب طويلة ذات اكمام عريضة وحزم من جيد الحرير واما القمصان والسراويل فيغيرونها على حسب الفصول ولا يلبسون فى الشتاء الا الفراء التى ادناها جلد الضأن واعلاها جلد القاقوم ويلبسون على رؤوسهم قلانس صغيرة على شكل الاقماع وتختلف باختلاف درجات الناس وفى اعلى القلنسوة زر عريض من المرجان او البلور او الذهب وجوهر هذا الزر ولونه علامتان على المناصب وبالجملة فلابسهم سادجية خالية عن الزينة والرفاهية متساوية على نسق واحد ولا يمتاز السلطان عادة من بين خاصته الا بدرة ضخمة على قلنسوته

الملابس

واهم شئ فى مواسمهم العامة النيران الاصطناعية وحرائق الشنلك وذكر بعضهم أن الصينيين يفوقون فى ذلك غيرهم وان كانت عادتهم اطلاقها بالنهار كأنهم يخشون معاينتها اذا اطلقوها ليلا والظاهر أن تياراتهم التى اطنب فى مدحها الخواجة ماركنى لم يستحسنها الخواجة دى غينس * وتكسبياريه يكين (اى مؤلفو الحكايات والاشعار بها) لا يلتفتون اصلا الى وحدة الزمان والمكان وهذه القاعدة (اى الوحدة المذكورة) وان كانت هينة فى حد ذاتها الا انها مبنية على اصل لا يسع ملة من الملل انكار اهميته وهو ان كل ثمرة من ثمرات العقل لا بد فيها من اتحاد الغرض والفكر فكأن ذلك شرط مقرر لا بد منه فى احوال العباد من حيث اخلاقهم وادراكاتهم ثم ان الطراجيدات الصينية (اى الحكايات المحزنة التى تذكر مع العابهم) يتخيل فيها غالبا أن اللاعب يقطع فى طرفة عين مسافات كثيرة ويظهر للناظرين بمظهر احد الامراء وتراه فى مبدأ اللعب على شكل ولد صغير * وبآخر ذلك يظهر لك بمظهر شيخ كبير

المواسم العامة

وفى ملعب الغناء وضرب الآلات تجد الحاضرين فى تعجب وحيرة مما يرونه فيها من محادثة الطيور والحيوانات قال الخواجة دى غينس لما رجعنا من بكين اتحفنا المندرية بكونهم فرجونا على قطعة من العابهم يسمونها برج سيهو تسمية لها باسم برج واقع على شواطئ بحيرة قريبة من مدينة هنغ تيوفو باقليم چكينغ فرأينا فى افتتاح اللعب الجن راكبين على الثعابين وهم سائرون للتنزه مع بعضهم قريبا من شواطئ البحيرة ثم حضر شاب على صورة قسيس من قسوس تلك الجهة فعشق جنية من نسائهم واخذ يسايرها ويتحدث معها فأصغت الى حديثه مع منع اختها لها عن ذلك ثم تزوجت به وحملت منه ووضعت فى الملعب ولدا قام يمشى حالا فلما رأى الجن هذا الامر الفاحش غضبوا لذلك وطردوا الشاب المذكور وصاروا يرمون البرج بالصواعق حتى انهدم وصار على الحالة التى يرى عليها الآن انتهى

ملاعب الغناء وضرب الآلات

ولو انضم الى ما عندهم من هذه الالعاب الغريبة كون اللاعب يأتى بجانبه لاعب اخر من غير أن يشعر به وكونه اذا اراد أن يظهر أنه يدخل بيتا مثلا يقتصر على انه يخيل للناظر أنه يفتح بابا ويرفع قدمه ليجتاز العتبة مع أن ذلك لا حقيقة له اصلا وكونه يظهر للراءى أن يده عصى فيتخيل له أنه راكب فرسا لكانوا بذلك عارفين بفن الدراما تيقة

ثم ان السياحين الذين طرقوا مينات الصين كثيرا وتردوا اليها غير مرة تعجبوا من عدم استقامة حال هؤلاء الناس وقلة اماناتهم ورمى بمائلات هذه العيوب بقلة الوسوسة والارتياب * ومن مثالب اخرى يظهر انها عامة فى سائر البقاع الصينية كالكسل وجمود الطبع فى اعمالهم وكالوساخة فى رعاعهم فترى الاغنياء منهم لا يتناولون الطعام بايديهم لما يرون فى ذلك من المشقة عليهم بل لهم عبيد يضعون لهم الطعام فى افواههم واما الفقراء فلا يدعون شيأ وجدوه بل يأكلون سائر الحيوانات الميتة بالامراض ورب ما اغتفر لتلك الامة العديدة مثل هذه العادة للضرورة وذلك ايضا هو السبب فى طرح الاولاد فى الطرق وهى عادة قديمة جدا لكنها مع ذلك لا تم جميع البلاد الصينية حتى انكرها بعض من لا يوثق به من السياحين فتجد رمم الاولاد التى يطرحها اهلها من الفقراء فرارا من مصاريف دفنها يجمعها العسس من حارات بكين

مثالب الصينيين وعيوبهم

طرح الاولاد

وبالجملة فالصينيون اناس خشنيون مستعبدون قائمون دائما بوظيفة الخدمة وقل أن تنحوا عن مسالك التذلل والخضوع التى يسلكها من الارقاء من اراد التودد الى سادته واستجلابهم اليه بالمحبة والاقبال وندر أن يتوسم فيهم ادنى شئ من العنفوان والحماسة وهذا فيهم ناشئ عن حميتهم وامتناعهم كل الامتناع عن تعاطى الاطعمة الحارة والاشربة المسكرة وانما يتعاطون عادة شراب الشاى فهو كثير الاستعمال عندهم فتجد فى الصباح اهل البيت

الاغذية

منهم يجهزون منه اناء كبيرا ولا يزالون يغترفون منه مدة اليوم بتمامه وبالجملة فقد ظهر للفريج أن الاطعمة الصينية رديئة تمجها الطباع لكن ليس ذلك لجهل الصينيين بفن الطباخة واهمالهم البحث عن تحسين الاطعمة واتقانها بل لعاداتهم والرسوم الجارية في بلادهم ففي الغداء الذي امر به سلطان الصين لسفراء الفلمنك وكان يعميتهم على تلك المائدة الخواجة دوغنيس لم يمتد احد من الحاضرين يده الى الصحاف الموضوعة المعتبرة كأنها من يد السلطان الا بعد اداء التحية بالانحناء ورسوم التشريف واتفق ايضا أنهم احضروا في بعض الايام لهؤلاء السياحين سمكة كبيرة ظريفة من سمك الاستورجون وكان لهم اليها شهية زائدة فلم يمكنهم تقطيعها ليتعاطوها الا بعد ان استغرقوا ربع ساعة في اداء ما يلزم لهذه السمكة العظيمة من التحية ورسوم التشريف

الزواج

وتعدد الزوجات عند الصينيين مباح للاكابر والمندرية فالسلطان متزوج بعدة زوجات وامر الزواج عندهم منوط بالاهل والاقارب فاذا اراد الانسان أن يخطب بنتا اهدى الهدايا لاهلها ولا يمكن من رؤيتها الا بعد العقد واشهار النكاح والنساء بتلك البلاد في نوع من الاسترقاق فتجد الفلاح يقرن في الحرث بين زوجته وحماره

احترام القبور

ومن عوايدهم المستحسنة عقلا جعل مقابرهم خارج اسوار مدنهم حيث يتخذونها في التلال القحلة حتى لا تضر اشغال الزراعة بتراب الاموات وعلامة الحزن عندهم اللباس الابيض لان هذا اللون لكونه اشد الالوان قبولا للادران والاوساخ يدل على حزن صاحبه وعدم اهتمامه بشأن نفسه كالعادة واذا مات شخص من عشيرة ودفنوه في المقبرة احتفلوا لزيارته فيجتمعون حول قبره ويولمون الولائم ويهبونها لروح ميتهم بل يظهر أن ارواح آبائهم واسلافهم معتبرة عندهم كأنها آلهة قد تأنست ووقع بينها وبينهم معاشرة وائتلاف ومثل هذه التخيلات مما يوجب الحنان والرأفة ويدل على أن القلب لم يضع شيء من حقوقه حتى عند الصينيين

الدين

والظاهر أن دين الصينيين الاصلي فرع من دين الشمانسم الذي موضوعه عبادة الكواكب وما يوجد في العالم من الاشياء الشهيرة وقد بطل هذا الدين القديم بما عرض فيه من المذاهب المختلفة التي منها مذهب

فلسفة كونفوسيوس وغيره

كونفوسيوس الذي هو في الغالب شبيه بمذهب اليونان والرومان المسمى ستويسيسم (اي فلسفة زينون) وقد آثر ارباب الدولة الصينية هذا المذهب اعني مذهب كونفوسيوس على غيره ظنا منهم أنه يمكنهم أن يستنبطوا منه نوع ديانة سياسية وصار له عندهم موقع عظيم كفلسفة زينون عند اليونان والرومان غير أن كتب كونفوسيوس المسمى ايضا كونغ فوتسه مشحونة بالعقائد الفاسدة والاوهام الكاسدة واما مذهب لاوكيون المسمى ايضا تاوتسه فله شبه بمذهب الفيلسوف ابيقور حيث كان اصحابه يميلون الى المعيشة في الراحة والنظر في الالهيات الا أنهم يستحسنون ممارسة علم الفلك والسحر فلهم دورة وعبادة مخصوصة

عبادة هواوفو

ولكن لما سئم الاهالي من تكاليف هذا الدين وتشديداته بادروا الى اجابة دعاة البراهمة الذين قدموا اليهم من بلاد الهند سنة ٦٥ من الميلاد ولما تلطف دين هؤلاء الدعاة بالتخفيف وعدم الكلفة وسموه دين فو تمسك به اغلب الصينيين وهو مشحون بالاوهام الملايمة لطبيعة المشرقيين المجبولين على الجبن والخوف وامناء دين فو يقال لهم بونزة وهم كثيرون جدا حتى قيل ان في الامبراطورية الصينية منهم اكثر من مليون ومعيشتهم جميعا من الصدقات وهؤلاء الشحاذون الذين تعتقد بركتهم هنالك متحلون في الظاهر بحلية التواضع والخضوع ومنطوون في الباطن على اشد الكبر والحرص والظاهر أن النسطورية الذين انتشروا في الصين في القرن الثامن من الميلاد ادخلوا في تلك البلاد بعض رسوم دينية مخالفة لاصول دين النصرانية فكان يرى أن هذا المذهب قد تعضد وتقوى بالنواقيس والمصابيح واداء التحية وغير ذلك من الرسوم الصينية الا أن في ديانة الصينيين امرا غريبا وهو أن البونزة لا يرون أن نصب الأخونة للاكل حول محاريبهم من جوانبها ليس امرا منكرا يسخط اصنامهم ويغضب اوثانهم فلا ترى اكثر في الصين من عادة الاجتماع في الهياكل لشراب الشاي او غيره من الاشربة ما داموا يبخرون معبوداتهم بقضبان اخشاب عطرية طيبة الرائحة يحرقونها تحت انوفها

واما سلاطين التتار (او المنجو) فهم على دين دلي لاما فلذا كان لهم حمية شديدة في المحاماة عن هذا الحبر حتى انهم جعلوا في بلاد التبت عساكر صينية لحفظ ماله من الايرادات والمحصولات

التجارة

ثم ان هذه المملكة المتسعة يلزم أن يكون محصول تجارتها في اقاليمها بالغا مبالغ جسيمة غير أنا لا ندري جنس هذه التجارة ما هو على انا لو عرفنا ذلك ما كان الا شيأ هينا قليل الجدوى واما تجارتها مع الملل الاجنبية فلا نسبة بينها وبين اتساع الدولة وكثرة ثروتها ويسارها فقد خرج منها سنة ١٨٠٦ ميلادية من صنف الشاي خمسة واربعون

البضائع الخارجة والداخلة

مليونا من الارطال يبيع منها ثلاثة عشر مليونا "لامريقة ومليون للدانيمرقة والباقى للانكليز وخرج منها من صنف السكر عشرة ملايين من الارطال ومن صنف قماش النتكين أحد وعشرون ألف قطعة ومن صنف الخارصيني او التوتيا المعدنية ثلاثة ملايين من الارطال وهذا غير النحاس والبوراق او ملح الصاغة والشب والزبق والفرفورى وصمغ اللك والقصدير والزنجفر وكذلك القرفة ثلثمائة ألف رطل والراوند والمسك واصناف اخرى من العطريات وكان نقل هذه البضائع منها على مائة واثنتين وعشرين سفينة من السفن الافرنجية منها ثمانون انكليزية وتسع وثلاثون امريقية وثلاث دانيمرقية وكانت هذه السفن قد جاءت اليها من صنف الارز بستة وثمانين مليونا من الارطال واتت معها ايضا بالقطن والجوخ والقماش والزجاج وجلد حيوان السكلاب وكلب الماء والثعلب وبخشب الصندل والفوفل والجاوى وغير ذلك من العطريات وانواع الطيب وهذه السفن وكذلك المراكب التى سافرت الى ايمو فى مينا فوكيان التى يذهب اليها الاسبانيول مائلة للبحث عن اقمشة النتكين وغيرها جاءت ايضا الى الصين بمبلغ من النقود يبلغ ثلاثة ملايين وثلثمائة وثمانين ألف قرش فاذا نظرنا الى أن بضاعة الشاى وحدها كانت قيمتها تبلغ ثمانين مليونا من الفرنكات وأن غيرها من البضائع الاخرى التى تخرج منها الى البلاد الاجنبية كانت قيمتها لا تنقص عن خمسين او ستين مليونا عرفنا أن خسارة اوروبا فى النقود هينة لا تصل الى الحد الشائع على ألسنة الناس فانها تناقصت بالتدريج سنة ١٨٠٤ وسنة ١٨٠٥ و ١٨٠٦ من الميلاد

الهنست

وامر التجارة مع الافرنج فى قانطون مفوض لجمعية اعضاؤها اثنا عشر تاجرا من اعيان التجار يسمونهم بالهنست ولهم مكاسب عظيمة وارباح جسيمة غير أن هنالك مندرية ارباب حرص وطمع وجماعة من امناء الجمارك اهل مهارة ونشاط ومترجمين ارباب حيل وخداع معيشتهم جميعا على طرف الهنست والافرنج وبالجملة فتوائد هذه التجارة التى هى بحسب الطن مستوية الوجود والعدم عند اغلب الصينيين تحت ايدى هؤلاء الناس واهالى قانطون

العساكر

ولا شك أن بلاد الصين يمكن أن تستغنى عن جزء عظيم من عساكرها لكثرة عددها جدا على ماذكره السياحون قال بعضهم ان بها من العساكر مليونا واربعمائة واثنين وستين ألفا وخمسمائة وتسعين ومنهم من قال مليون وثمانمائة الف من غير كسور وايا كان فلا نتعقب منها قولا * ومن المحقق حسبما ذكره ثقاة الصينيين أن الدونما السلطانية الصينية تبلغ عدتها تسعة آلاف وتسعمائة وتسعين سفينة بلا زيادة ولا نقصان وذلك قليل بالنسبة لمثل هذه المملكة التى عدة اهلها ثلثمائة وثلاثة وثلاثون مليونا كما افاده جناب المندرين چونانزين بالتحرير والكتابة لجناب اللورد ماكرتونای

الدونما

وهل هذا العدد البالغ حدّ الكثرة يؤخذ قضية مسلمة مع ما فى جدول تقويم البلدان المجموع بأمر السلطان كيان لونغ منذ نصف قرن من أن عدد الفلاحين المضروب عليهم خراج الاراضى ليس الا خمسة وعشرين مليونا ومع ما يوجد من دفاتر التعداد القديمة المفيدة أن عدد أهالى الصين لم يزد منذ خمسة عشر قرنا الا من ثمانية وأربعين مليونا الى ستين وهذا بخلاف جداول تعداد الاهالى التى حررها الاب ألرستن سنة ١٧٤٣ من الميلاد فانها اذا قوبلت بالجداول التى حررها ماكرتونای سنة ١٧٩٥ من الميلاد تفيد أن الاهالى فى بعض الاقاليم قد زاد عددهم ثلاثة امثاله واربعة امثاله وبالجملة فمتى اطلعت على اى تقويم من هذه التقويمات وجدت فيه خطأ بينا ومقادير مكررة بعينها مرتين واخرى متناقضة ليس فيما بينها مناسبة اصلا

الاهالى

النظام العسكرى

وقد ذكر جماعة من الثقاة الخالين عن الاغراض فى نقاويمهم أن اهالى الصين الحقيقية مائة وخمسون مليونا وأن جيشها الذى يبلغ عدده خمسمائة ألف او ستمائة ألف من العساكر المنتظمة ومليونا من الاقوام الرحالة الغزالة المعدودة فى زمرة العساكر ليس له وقع ولا هيبة الا بكثرة عدده فقط والظاهر أن الصينيين لجهلهم بفن الطوبجية والحركات العسكرية لا سيما وهم مجردون عن الشجاعة والتولع بالحروب يغلبهم اقل جيش من العساكر الافرنجية كما وقع لهم غير مرة فى اغارات اقوام آسيا الوسطى

ملحوظات فى الرد على من مدح الصين

وهذا التخطيط الذى ذكرناه موافق لما نص عليه لا بيروزة وكرونستيرن و بارو و دوغينس وبعضه كون الدعاة افتروه ولم ينكروه ومع ذلك فلا يكاد يقبله اناس من اهل اوروبا يمدحون الصين ولم يخرجوا من ديارهم وفى القرن الماضى ظهر جماعة من اهل الحمية مدحوا الصين وهم مابين حزبين قويين حزب الفلاسفة الفرنساوية وحزب اليسوعية فانهما تنافسا فى مدح قوانين تلك المملكة وثروتها فاما الفلاسفة فكانوا لا يدرون ما يقولون واما

اليسوعية فكانوا على خلاف ذلك ولكن المنصف لا يرى ترجيح دين كرشوسيوس الذى هو الدين الاصلى فى الصين على دين النصرانية وايضا من البعيد ان الملل ذات الحرية والقوة من اهل اوروبا تستحسن ما عليه دولة الصين من الظلم والتشديد فى قوانينها العديمة الجدوى وكذلك اسوارها العظيمة المعدة لمنع الوصلة والمخالطة مع الاجانب

زعم قدم مملكة الصين

ويلزم أن نخص من الآراء التى ابداها اهل الحمية والعصبية فى هذا المعنى ما ابدوه منها فى شان قدم الصين على زعمهم فنقول لا يخفى أن اعداء دين النصرانية قد اعتنوا كل الاعتناء بالبحث عن بعض امم متقادمة العهد جدا وسابقة فى الوجود على طوفان نوح (عليه الصلاة والسلام) بل وعلى عهد الخليقة كما نبه عليه موسى (عليه الصلاة والسلام) ولما ردّ ما ابدوه فى شأن مصر و بابل من زعم قدمهما وادعوى تقادم عهدهما بترجيح ذلك الى الحقيقة وعدم المبالغة انصرفوا من هذه الدعوى الى زعم مثلها فى الهند والصين فان الامور العجيبة اذا كانت بعيدة اجنبية كان لها عظيم وقع فى النفوس فلذا كانت مملكة الصين عندهم معدودة من الممالك التى بلغت الغاية فى التمدن والعمران من قبل الميلاد باربعة آلاف وخمسمائة سنة فيكون حدوثها كبدء الخليقة قبل الميلاد بعشرة آلاف او عشرين ألف سنة وقد اخذ بعض الدعاة الذين ذهبوا الى تلك الجهات هذه الآراء قضية مسلمة من غير تعقب ولا اعمال فكر فى نتائجها وما ذاك الا لجهلهم وقصدهم الافتخار بقدم هذه المملكة زاعمين انهم اول من ارشد بها العقول واخرجها من ظلمة الجهالة وقد عثرنا على مجموعة تاريخية تركيبة العبارة ردية الاسلوب مترجمة من اللغة الصينية فوجدنا فيها أن فوهى اسس مملكة الصين قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة وأن هونغ تى حكم بعد ذلك بثلاثة قرون على دول آهلة عامرة كان يبلغ طولها اربعمائة فرسخ وعرضها ستمائة

قبل الميلاد بألفين وتسعمائة وثلاث وخمسين سنة

ولكن من سوء حظ المملكة الصينية أن ظهر من اهلها جماعة من ثقاة المؤرخين فانكروا جميع الخرافات التى تحكى عن فوهى و هونغ تى بل ولم يعوّلوا على الاخبار المتعلقة بحكومة اياؤ الذى هو بحسب الظن ليس الا رمزا من رموزهم ويقال انه كان قبل الميلاد بثلاثة وعشرين قرنا ولكن لو قيل ما كانت اعمال اياؤ المذكور قيل فى الجواب انها عبارة عن كونه جفف بركا وصاد حيوانات وحشية وزرع ارضا قفرة وكان له التزامات غير واسعة حتى انه كان يطوفها فى كل سنة اربع مرات وبعد ذلك بعشرة قرون اطلعنا على أن ملوك الصين صاروا يتنقلون من اقليم الى آخر مع رعيتهم الذين هم اقوام رحالة تزالة كلوكهم و ينزلون مثلهم تارة فى غور من الصخور وتارة فى اخصاص من الطين وفى العصر الذى ابتعث فيه معارف كونفوسيوس كانت ارض الصين بتمامها من جنوب الخليج الازرق قفرة غير معمورة وبالجملة فلا يوجد فى تاريخ من تواريخ الصين ما يدل على وجود مملة كبيرة تلك الجهة فى ذلك العصر وليس فيها من الآثار الشهيرة ما يدل على قوة مشيديها ولا عبرة بما فى كتب ذلك العصر المكتوبة فى اوراق سريعة التلف ولم تزل تنسخ وتنقل لعدم القطع بصحتها وايضا قد اثبت بعضهم انه قبل الميلاد بقرنين ظهر ملك خشى من ملوك الصين فأمر بالكتب التى كانت فى ايامه فجمعت عن آخرها حتى لم يبق لها اثر بالكلية فيلزم اذن أن نسلم لعلماء الصين فى قولهم ان تاريخ الصين لا يزيد على ثمانية قرون او تسعة قبل الميلاد خلافا لمن زعم قدم هذه المملكة وادعى أنها متقادمة العهد جدا فان ذلك ناشئ عن اغراض جماعة من ادباء المتأخرين وعن افتخار سلاطين تلك الدولة واعجابهم بانفسهم

ما اقيم من الادلة على بطلان هذا الزعم * قبل الميلاد بألفين وثلثمائة وسبع وخمسين سنة * دولة الصين القديمة * قبل الميلاد بألف سنة واربعمائة وواحدة * قبل الميلاد بخمسمائة سنه واحدى وخمسين) قبل الميلاد بما يقى سنة وثلاث عشرة *

ملحوظات فلكية

فان قيل ان هنالك ارصادا وتنبيهات فلكية اعترف بصحتها اعظم المهندسين وتاريخها قبل الميلاد بألف ومائة سنة فالجواب أن هذه الارصاد بقطع النظر عن كونها تقبل البحث والمناقشة وكونها ليست من مقترحات المتأخرين من علماء الصين لا تدل الا على انه قبل الميلاد بألف ومائة سنة كان فى الصين قبيلة ومدينة متمدنة خرج منها جماعة من العلماء فلا مانع أن آسيا الشرقية اذ ذاك كانت كأوروبا فيها اناس كاليونان ومدينة كمدينة اثينا (والتى هى مدينة الحكماء) وشتان بين ذلك وتأسيس مملكة كبيرة كما أن هنالك يونانا بعيدا بين ألف ومائة سنة وألفين وثلثمائة سنة الاترى تمدن اليونان والرومان فانه ظهر وانقرض فى اقل من تلك المدة

عادة اكل لحوم الآدميين التى كانت سنة ١٣٠٠ من الميلاد

وايضا لا يخفى أن بلاد الصين بعد الميلاد بيسير كانت فى الغالب منقسمة الى دول صغيرة فلو كان تمدنها موجودا قبل الميلاد لزم انه تلاشى وانقرض عدة مرات اذ فى القرن الثالث عشر كان اهل اقليم فوكيان بأرض الصين الجنوبية المسماة منجى يأكلون مع النهم وفرط الشره لحوم الآدميين ويتفاوتون منهم من كان صحيح الجسم سليم البنية و يشربون دماء من يأسرونه فى الحرب ويرسمون جلودهم بالحديد المحمى

فيسمونها بسمات وصور كالملل التى بلغت افدى درجات التوحش والخشونة وقد نقلنا ذلك عمن كان مقلدا بادارة خط من اخطاط هذه الدولة وكيف لا وكل من راى الصين من عهد مرقبول الى عهد دوغينس عاين فيها امورا تصلح اتم الصلاحية لتسكين الحمية واضعاف الرغبة ممن مدح تلك البلاد وهو عنها قاصى الديار بعيد المزار

وهذا جدول يتضمن بيان اهل الصين الحقيقية ومقدار ايراداتها ومحصولاتها لخصناه من كتاب الجغرافية الصينية المسمى ديزيخ توندشي

اسماء الاقاليم	عدد الفلاحين الذين يدفعون الخراج	مقدار الخراج الوارد من القمح	مقدار الخراج الوارد من النقود
بيجيلى	٣٣٤٠٥٤٤	١١٨١٦٢ دان	٢٤٢٢١٢٨ لانا
كيغ نان	٤٢٥٦٧١٢	١٨٩١٢٤	٥٣٢٧٦١٤
شنسى	١٧٩٩٨٩٥	١١٠٠٥٤	٢٩٧٣٢٤٢
شنتون	٢٤٣١٩٣٦	١٢٧١٤٩٤	٣٤٦٣٢٢٤
هونان	٢٥٢٧٤٥٦	٢٤٩٤٧٦	٢٦٠٥١٩١
شين-سى	٢٢٦٢٤٣٨	١٩١٩٥٥	١٤٥٠٧١١
خان چو	٤٥١٦٩٣	٥٢٠٦١٨	٣٠٠٥٠٦
چى كينغ	٣١٢٤٧٩٨	١٢٦٣٤٠٠	٢٨٥٦٧١٩
كينغ-سى	٣٣٧٠٦٩	٩٤٢٠٦٥	١٩٧٥٧١١
هوكوان	٧٥٢٩٧٠	٦٠٩٥٠١	١٣٠٨٧٦٩
سى چوان	٦٥٠٢٠٨	٠٠٠٠٠٠	٦٥٦٤٢٥
فوكيان	١٥٢٨٦٠٧	٢٩٧٤٦٢	١٠٣٠٧١٢
كوان تونغ	١٢٠١٣٢٠	١١٤٥٧٩	١٢٨٦١٩٨
كوانغ-سى	٢٢٠٦٩٠	٦٧٧٥٥	٣٧٥٩٧٤
ايون نان	٢٣٧٩٦٥	٢٢٧٦٢٦	٢٠٩٥٨٢
كوى چيو	٤١٠٨٩	١٢٣٠١٥	١١٨٠٩٤
	٢٥١٦٥٣٩٠	٦٣٩٦٢٨٦	٢٨٣٦٠٨٠٠

(الدان مد صينى مقداره اثنا عشر الفا وسبعون اردبا ما مكعبا واللانا من الموازين الصينية)

وهذا جدول يتضمن عدة اهل الصين فى القرون الاولى

بيان الازمنة	عدد العائلات	عدد النفوس
فى القرن الاول من الميلاد حصل تعداد اهل الصين فكان عددهم	١٢٢٣٣٠٦٢	٥٩٥٩٤٩٧٨
وفى سنة ٧٤٠ من الميلاد فى عهد الدولة التنغية بلغ عددهم	٨٤١٢٨٠٠	٤٨١٤٣٦٠٠
وفى سنة ١٣٩٣ من الميلاد فى ايام هونغوو بلغ عددهم	١٦٠٥٢٨٦٠	٦٠٥٤٥٨١٢
وفى سنة ١٤٩١ من الميلاد فى ايام هياؤتسونغ بلغ عددهم	٩١١٣٤٤٦	٥٣٢٨١١٥٨
وفى سنة ١٥٧٨ من الميلاد فى ايام وان لى بلغ عددهم	١٠٦٢١٤٣٦	٦٠٦٩٢٨٥٦

بيان عددهم فى القرون المتأخرة

على حسب تعداد الاب ألرستن سنة ١٧٤٣ من الميلاد		على حسب تعداد ما كرتونای سنة ١٧٩٥ من الميلاد
	نفوس	
اقليم فونغ تيان	٦٦٨٨٥٢	(قال ما كرتونای لما كان هذا الاقليم من بلاد التتار لم تتكلم عليه فى تعدادنا)
		نفوس
بيجيلى	١٥٢٢٢٩٤٠	٣٨٠٠٠٠٠٠
كينغ نان وهو على قسمين		
الاول غان هوى	٢٢٧٦١٠٣٠	٣٢٠٠٠٠٠٠
الثانى كان سو	٢٣١٦١٤٠٩	
	٤٥٩٢٢٤٣٩	
اقليم كينغ سى	١١٠٠٦٦٠٤	١٩٠٠٠٠٠٠
جى كينغ	١٥٤٢٩٦٩٠	٢١٠٠٠٠٠٠
فوكيان	٨٠٦٣٦٧١	١٥٠٠٠٠٠٠
هوكونغ وهو على قسمين		
الاول هوبة	٨٠٨٠٦٠٣	٢٧٠٠٠٠٠٠
الثانى هون نان	٨٨٢٩٨٢٠	
	١٦٩١٠٤٢٣	
اقليم شنتون	٢٥١٨٠٧٣٤	٢٤٠٠٠٠٠٠
هونان	١٦٣٣٢٥٠٧	٢٥٠٠٠٠٠٠
شنسى	٩٧٦٨١٨٩	٢٧٠٠٠٠٠٠
شين سى وهو قسمان الاول سنغان	٧٢٨٧٤٤٣	١٨٠٠٠٠٠٠
الثانى خان سو	٧٤١٢٠١٤	١٢٠٠٠٠٠٠
سى چوان	٢٧٨٢٩٧٦	٢٧٠٠٠٠٠٠
كوانغ تونغ	٦٧٨٢٩٧٥	٢١٠٠٠٠٠٠
كوانغ سى	٣٩٤٧٤١٤	١٠٠٠٠٠٠٠
ايون نان	٢٠٧٨٨٩٢	٨٠٠٠٠٠٠
كوى چيو	٣٤٠٢٧٢٢	٩٠٠٠٠٠٠
	١٩٨٢١٣٧١٣	٣٣٣٠٠٠٠٠٠

*(المقالة السادسة والستون من تخطيط آسيا * بلاد التبت)*

ملحوظات عامة

قد خططنا فيما سبق غرب آسيا وشمالها ووسطها وشرقها ولم يبق علينا منها سوى تخطيط الجزء الجنوبي الذى يجرى فيه نهر السند ونهر الكنك ونهر براماپوتر ونهر ايراوادى الخارجة كلها من ابطح مائل جهة الجنوب مفصول مع ذلك بجبال كبيرة من بقية آسيا الجنوبية وهذا الجزء الجنوبي هو بلاد التبت فلنشرع الآن فى تخطيط هذه الولاية الجليلة التى هى منشأ لعدة مذاهب دينية ومتسلطن فيها الاوهام كما أن البرد ايضا متسلطن فيها اذ التخطيطات الجغرافية لا تدنس مثل هذه الارض المقدسة التى يزعم حاكمها انه خليفة الله على صخورها وغاباتها وادبارها فنقول

تخطيط مرقبول لبلاد التبت

ان بلاد التبت وان كانت معروفة للافرنج من القرن الثالث عشر من الميلاد الا انها مكثت مدة طويلة وهى غير مطروقة لارباب السياحة منهم فلم يدخلها اصلا وان كان قد خططها تخطيطا غريبا يستدعى الميل اليها والاطلاع عليها فقال ان بلاد التبت كانت مشتملة على ثمانى ممالك خربت بعضها جنود كوبلاى خان وكان بها من الحيوانات الوحشية عدد كثير كالفل حتى ان السياحين لاجل التحفظ من هجوم هذه الحيوانات عليهم اوقدوا النار فى غابات الخيزران الكبيرة التى كانت مشحونة بها ارض هذه الولاية وكان فى الجزء المعمور منها عدة عوايد غريبة متسلطنة فيها فمنها أن اهلها المتأصلين بها كانوا لا يرغبون فى زواج البنات الغنيات اولات الثروة واليسار اللاتى يرغب فيهن من يريد الزواج من الرجال فى بلاد اخرى و يبحثون عنهن كل البحث ومنها ايضا انهم كانوا يترجون من نزل فى ديارهم من الاجانب و يلحون عليهم كل الالحاح أن يعلموا بناتهم اسرار العشق ودقائق المحبة و يتركوا لهن بعض تحف وهدايا هينة علامة على هذه المعاشرة الوقتية فيعلق البنات فى اعناقهن هذه التحف الموجبة للعزة وكلما كثرت تحف واحدة منهن ايقنت أنها تجد لها بعلا وكان يستخرج من ارض هذه الولاية الذهب والمسك والمرجان انتهى

عوايد غريبة

عدة اقاليم مختلفة ذكرها مرقبول

وقد ذكر ايضا مرقبول أنه يوجد فى غرب التبت اقليم كانكلو او غانكلو وهو اقليم فيه بحيرة كثيرة اللؤلؤ وكثير من حيوانات المسك المسماة غذيرى ومعادن الفيروز والذهب والنباتات العطرية والظاهر أن هذا الاقليم يشبه أن يكون هو اقليم غندش المذكور فى كتاب زندوستا وتكلم عليه ايضا فرشتا وهو قطر يجرى فيه نهر الكنك من منبعه الى شلالاته وهو محدود من جهة الشرق بنهر بريوس الذى هو بحسب الظن نهر براماپوتر او برهماپوتر وهو نهر تندحرج مع مياهه شذرات الذهب و يصب فى البحر المحيط الاكبر ومتى اجتزت هذا النهر دخلت اقليم كاريام الذى قاعدته تسمى ياسى وهو اقليم كثير الخيل والذهب والارز غير أنه تخترب بما فيه من الثعابين الكبيرة وكان لاهله لغة مخصوصة بهم وكانوا يتعاطون الخمر المستخرج من الارز وكان هذا الاقليم سببا فى الحرب التى وقعت بين الخان الاعظم وملك ميان (آوى) و بنجالا (بنجالة) فاستولى الاول عليه وعلى اقليم بوتيا الذى هو بجوار الاقليم المذكور والظاهر أن اقليم بوتيا هو عين اقليم بوتان الذى تكلم عليه المتأخرون فعلى ذلك يكون اقليم كاريام الذى نص المتصدون لشرح الجغرافية على انه الى وقتنا هذا من بخارى الصغرى هو عين اقليم اسام مع قاعدته القديمة المسماة آزو والظاهر أن اسم كاريام لنوع شبيه باسم جارو لجبال هناك وبالقرب من هذا الاقليم اقليم يسمى اردوندام او اركلادام او كاريدى كان من عادة اهله أن الرجال بعد وضع نسائهم يلازمون الفراش اربعين يوما لحضانة المولود و يلتزمون بتعهده وخدمته وكان من عادتهم ايضا أن كل عشيرة لا تعبد الا ارواح اسلافها وكان هذا الاقليم كثير الذهب جدا حتى كان الرجال من اهله يستترون اسنانهم بصفائح صغيرة من هذا المعدن وكانوا يستبدلونه بالفضة وزنا بوزن من غير مفاضلة وكان يأتى بها اليهم اهل اقليم ميان لعدم وجودها عندهم وكان فيهم سحرة يزعمون أنهم يشفون المرضى بتلاوة عزائم سحرية يرتلونها كالغناء وهم يرقصون حين تلاوتهم امام اضطراب والتواء مهول ولا يزالون كذلك حتى يصرع الشيطان احدهم فيسقط على الارض و يتكلم فى شأن نوع القربان الذى يلزم أن يتقرب به لهذه الروح التى يتكلم عن لسانها ولا شك أن هذه الطائفة هم حواة الشامان الموجودون الآن وكانت قاعدة هذا الاقليم سابقا مدينة يقال لها نوكيان و يطلق هذا الاسم ايضا على نهر عظيم يأتى من بلاد التبت الى آوى فعلى ذلك يكون اقليم كاريدى هو نهاية الجنوب الشرقى لبلاد التبت ولعل هذا الاقليم هو وطن ملة الكاريان المنتشرة فى آوى ثم ان مرقبول يعرف فى تلك الجهات ايضا مدينة يقال لها سينغلو والظاهر أنها مدينة ديسنكلو التى رسمها على الخرطة دعاة النصرانية المبعوثون الى تلك الجهة

عادة الحضانة

السحرة المسمون شامان

اتساع دائرة المعارف من زمن مرق بول

فهذا هو ملخص ما نقله مرق بول في هذا المعنى من الاخبار المهمة النافعة وان كانت الى وقتنا هذا مما لا يعبأ به ولا يعتنى بشأنه فان عدم العناية بها في غير محله لما أنها اكثر فائدة مما حرره الاب اندرادا سنة ١٦٢٦ من الميلاد وليس في الاخبار ما هو أثبت منها الا ما جمعه دعاة بكين في اوائل نصف القرن الثامن عشر من الميلاد واما ما لاحظه في ذلك هو راتيو دلا بنا احد الرهبان المسمين قيوجين الذي اقام ثماني عشرة سنة في تخت بلاد التبت فهو غير محرر وبالجملة فغاية ما وقفنا عليه من الاخبار في شأن تلك البلاد العجيبة المرغوبة من حيث ما اشتملت عليه من الآداب والامور العلمية والطبيعية رحلتان صغيرتان لاثنين من الانكليز كاتا قد بعثا الى بعض الامراء من اساقفة بلاد التبت الجنوبية (احدهما يقال له بوجل وكانت رحلته سنة ١٧٧٤ من الميلاد وثانيهما يسمى تورنير وكانت رحلته سنة ١٧٨٤) وكذلك بعض معارف ملخصة من نسخ بلسان التبت مكتوبة بالقلم وجدت عند القلموق وبعض اخبار اخرى حكاها مشافهة بعض الموسقو الذين على دين دلى لما

حدود التبت

ونعنى باسم التبت هنا جميع الولايات الواقعة في شمال الهندستان وشرق بخارى الكبرى وجنوب بخارى الصغرى والجنوب الغربي من بلاد تنغوت (اذا ابقينا هذا الاسم على معناه الحقيقي) وغرب الصين والشمال الغربي من ايمبراطورية البرمان وفي هذه الدائرة المتسعة العظيمة يمكن أن بلاد التبت الصغرى ومملكة لاداق الواقعة في غربها وكذلك اقليم بوتان الواقع جهة الجنوب تعتبر كأنها بلاد مستقلة برأسها واما حدتها من جهة الجنوب الشرقي فليس معلوما كما ينبغي ويظهر أن في جهة الشمال اقاليم كاملة لم نحط بها علما ولم نقف في شأنها على خبر

وقد جعل السياح دنويل بلاد التبت في الدرجة الخامسة والثلاثين ولكن حقق احد اليسوعية المسمى تيفنثالير أن التبت الكبرى واقعة في الشمال الشرقي من بلاد كشمير وأن التبت الصغرى في الشمال الغربي منها واقصر الطرق الموصلة الى بلاد قشغر هي التبت الكبرى ولكن لما كان سلوك هذه الطريق غير مأذون كان من قصد تلك البلاد يسير اليها من طريق التبت الصغرى التي قاعدتها يقال لها اسكردون (بكسر الهمزة والكاف ويقال اسكردون بفتحهما) وهي واقعة على البعد من الحدود الشمالية من كشمير بثماني مراحل وفيما وراءها تجد بلاد الشقار واذا ارتحلت من هذه البلاد في خلال الغابات الكثيفة وصلت بعد خمس عشرة مرحلة الى ثغر التبت الصغرى ومن هنا تسير القوافل خمسة عشر يوما حتى تصل الى قشغر فيظهر من ذلك عند التحقيق انه لا اقل من أن تجعل لبلاد التبت درجتين من جهة الشمال زيادة على ما هي عليه في خرطات دنويل فان يوزطاغ (يعنى جبال الثلج) على ما حكاه بعض الموسقو هي الثغر الشمالي لبلاد التبت وهي في الدرجة الثامنة والثلاثين ولا مانع أن تلك الاراضي يسكنها اقوام قليلون رحالة تزالة تحت تبعية ملوك التبت وليست في الواقع من بلاد التبت حسبما ظهر لدعاة النصرانية المبعوثين الى تلك الجهات ولعل هذه البلاد هي بلاد ترك السند المرسومة على خرطات دنويل بل لا مانع أن ترك السند والتبت الصغرى شئ واحد لان الظاهر أن ترك السند هي التركستان الواقعة على نهر السند

اسماء متنوعة لبلاد التبت

وليس لهذه الولايات اسم محقق شامل لجميعها بل اسمها كحدودها في الاضطراب وعدم التعين فان اهلها يسمونها بوت او بهوت وقد يزيدون عليها كلمة يبد التي معناها بلدة فيقولون بهوت يبد والظاهر أن معنى هذا الاسم بلاد معبودهم المسمى بودها واما اسم التبت او التيبت او التوبات فهو وان كان معروفا عند الفرس والعرب الا انه على ما يظهر غير مستعمل عند اهل تلك البلاد ولعله محترف عن كلتين من اللغة التبتية تركب منهما وهما تن وبوت ومعناهما بعد التركيب مملكة بوت والصينيون يسمون تلك الولايات ديشان ويسميها المغول برلن تلا يعنى بلاد اليمن وقد يطلقون عليها اسم تنغوت

الجبال

وقد اطنب الجغرافيون في الكلام على سلاسل الجبال المتسعة في بلاد التبت ومع ذلك فلم يمكنهم اصلا أن يخططوها تخطيطا جغرافيا يبينون به اتجاهها واتساعها غير أنا نقول ان الجبال التي في جهتي الغرب والجنوب يترآى للناظر من اول وهلة انها سلسلة شاهقة عظيمة الارتفاع يخترقها نهر الكنك ونهر جغرا وهي في الحقيقة عين جبال سواليق وجبال جوركه وخلف هذه الجبال اودية واسعة واباطح عديدة بعضها في ارض الهندستان وبعدها جبال همباله او همية او هيماكوت التي كان يسميها القدماء ايمس اوهيمودوس والظاهر أنها من منابع نهر الكنك الى ثغور أسام منحنية على شكل نصف دائرة من جهة الشمال الغربي والجنوب الشرقي * وعلى شمال نهر سيو سلسلة موازية للسلسلة المتقدمة الا انها اعظم منها ارتفاعا جهة الشمال حتى ان من صعد عليها يرى كثيرا من البحيرات الكبيرة والظاهر أن اعلى اجزاء هذه السلسلة هو الجزء الاوسط الواقع في جنوب بحر

تركيري وهذا الجزء يقال له كوران ولا مانع أن هذا الاسم كان يطلق على تلك السلسلة بتمامها وان كان اسم كنتيل لا يطلق الا على الجزء الغربي منها وهذا غاية ما يعرف الى الآن من تلك الجبال وما عدا ذلك مجهول فلا يدرى هل في شمال التبت سلسلة اخرى شاهقة او سلسلتان كما لا يعرف هل هاتان السلسلتان هما اللتان يقال لاحداهما بلسان الهند كنتيس وللاخرى بلسان الصين كنكسكان او هما اللتان يقال لهما بلغة التتار بوزطاغ وبالجملة فلا مانع أن تلك الجبال كانت منعزلة عن بلاد التبت لا تعلق لها بها وأن التبت بمضاطتهم على الدوام للقلوق و المغول اتصلوا على التدريج بربوة آسيا الوسطى من جهة الشمال

وأعظم اودية هذه الجبال يتجه من الغرب الى الشرق ولا مسلك لا غلبها الا من جهة الجنوب الشرقي ومثل هذه الكائنات الطبيعية هي من اعظم الاشياء الجديرة بالتنبيه عليها ومزيد الالتفات اليها بل هي الاليق بالعلم النظري فيما يخص الارض

وجبل شمولاري الواقع على ثغر بوتان قريبا من حصن فاري هو من أعظم الجبال ارتفاعا وفي الجهة الغربية ترى قلة جبل لنجور التي يظهر انها كانت بركانا ثم طفئت ناره

الانهار
نهر برهمابوتر

وأعظم انهار التبت هو نهر سمپو ويقال له ايضا برهمپوتر وبروما پوتر وبرهما پوتر وهو نهر برهما ومنبعه جهة الاراضي الغربية من الجبال التي يخرج منها نهر الكنك الا انه يجري اولا جهة الشرق وجهة الجنوب الشرقي ويقطع مسافة ثلثمائة وستين فرسخا الى حدود التبت وآسام ومن هنا ينعطف الى الجنوب الغربي ثم يندفع كأنه مجبور على ذلك فيجتمع مصبه بمصب نهر الكنك بعد أن يقطع مسافة مائة وأربعين فرسخا

ونهر اهونهو ويكانكو يخرجان من الحدود الشرقية لبلاد التبت واما نهر كمبوج الاكبر ونهر ميكون دولاوس ونهر نوقيان الذي يعتقد بعضهم انه يصب في جون پيغو بقرب ولاية مرتبان ونهر ايراوادى الواقع في تلك الولاية فالظاهر انها تخرج من جبال ألبه التي في التبت الشرقية بخلاف نهر سرچو المسمى ايضا جغرا فانه يخرج من الجانب الجنوبي من جبل امالة وبعد أن يقطع مسافة مائتين وخمسين فرسخا يتلاقى بنهر ايراوادى المتقدم

البحيرات

وهذه الاقطار الجبلية تشتمل على عدد عظيم من البحيرات وأعظمها بحيرة تركيري فان طولها نحو سبعة وعشرين فرسخا وعرضها تسعة فراسخ وقد رسم امناء الدين من الصينيين الذين لهم المنة دون غيرهم في عمل خرطات بلاد التبت عدة بحيرات في تلك الخرطات وجعلوها في الجهات الشمالية وقد ثبت أن من هذه البحيرات بحيرة غربية جدا يخرج منها ملح الصاغة الخام وكذلك البحيرة الواقعة في جنوب مدينة لسا المعروفة في الخرطات الافرنجية ببحيرة بمبو اوبلته فانها ليست دون المتقدمة في الغرابة حيث قالوا في وصفها انها اشبه بخندق متسع عرضه نحو فرسخين محيط بجزيرة يبلغ قطرها نحو اثني عشر فرسخا واما البحيرات الصغيرة الواقعة في جنوب التبت الحقيقية فانها في مدة الشتاء تصير جليدا جامدا عظيم العمق جدا

القطر
مزاج الهواء

ومزاج هواء بلاد التبت متقارب من بعضه في الشبه اتم المقاربة وكذلك هو آخر كل فصل يشبه بعضه بعضا في مدة ذلك الفصل وفي زمن رجوعه الدوري والظاهر أن الفصول في تلك البلاد تنقسم كانقسامها في بلاد بنجالة ففصل الربيع فيها من شهر مارث الى شهر مايه يظهر به في الجو تغيرات عظيمة وحرارات شديدة ولا ينقطع فيه صوت الرعد اصلا وفصل الرطوبة من شهر يونية الى شهر سبطمبر تنزل فيه امطار غزيرة مستمرة تستمد منها الانهر حتى تفيض مياهها على الشواطئ ويشتد جريانها حتى تصب في خليج بنجالة فتفيض مياهه ايضا * ومن شهر اوقطوبر الى شهر مارث تجد السماء صحوا على الدوام وقل أن ترى بها ضبابا او غيما يحجب لونها اللازوردي ويحصل في هذا الفصل برد شديد يمكث منه ثلاثة أشهر والظاهر أن برد تلك الجهة اشد من البرد في جميع اقسام اوروبا فان هذا البرد الشديد المؤلم اذا وصل في حدود تلك المنطقة التي سموها بالمنطقة الحارة الى الدرجة السادسة والعشرين من العرض يساوي برد جبال ألپه اذا وصل الى الدرجة السادسة والاربعين من العرض ايضا

قطر بوتان

وقطر بوتان البارد الكثير الجليد يلطف وتخف شدته في جنوب جبال همالة وقد ذكر تورنير أن هذا الاقليم مع ما فيه من الجبال المشوهة القبيحة المنظر تكتنفه الخضرة دائما وتزينه غابات كثيرة الاشجار الغليظة العجيبة الارتفاع فان مهرة ارباب الزراعة مهدوا منحدرات تلك الجبال وحرثوها وزرعوها حتى صارت جوانبها مشجونة بالبساتين والمزارع والقرى واما التبت الحقيقية فلم ير فيها تورنير المذكور الا تلالا منخفضة كثيرة الصخور لا يرى فيها شيء من اثر النباتات وسهولا تحفها ذات منظر بشع ومرأى محزن يشبه بعضه وشدة بردها تجبر اهلها على الالتجاء

الى حفائر الاودية او الكهوف والمغارات

النباتات ونباتات التبت لاتعرف الاقليلا لان الاخبار العلمية فى هذا الشأن لم تتكلم الاعلى الجزء الجنوبى الواقع بين الدرجة السابعة والعشرين والتاسعة والعشرين من العرض * والزراعة هناك تصادم عدة موانع طبيعية تعوقها فانه اذا حان دخول فصل الشتاء عمت المياه الاودية ولكن لحرارة الشمس ينضج الزرع فى اقرب وقت فاذا جاء فصل الخريف وصار الوقت صحوا والجو رائقا حصد الزراعون مزارعهم ونشروها على الارض لتجف وتيبس ثم يدرسونها بالبقر * والحبوب المعتادة فى تلك البلاد هى القمح والشعير والجلبان واما الارز فلا يصح الا فى الاقطار المتوغلة فى الجنوب ويكثر هناك اللفت والقرع والخيار * وأغلب النباتات التى اعتنى بذكرها السياحون توجد فى اوروبا وبنجالة على حد سواء ويكتنف سفوح الجبال اجمات من الخيزران وشجر الموز وشجر الحور وشجر البتولا وشجر السرو ونوع آخر يشبهه وهناك ايضا شجر الديش بوداق المسمى ايضا لسان العصافير وهو على غاية من الكبر والظرافة بخلاف اشجار الصنوبر والراتينج المسمى ايضا شجر التنوب فانها صغيرة عاجزة لا تنمو ويكثر على رؤس الجبال الكثيرة الثلج نبات يقال له روم اوند ولا توم وهو نوع من الراوند يستعمله أهل تلك البلاد وثم ايضا اشجار الخوخ والمشمش والتفاح والكمثرى والبرتقان والرمان مغروسة وغير مغروسة تخرج فى البرية وحدها بدون فعل فاعل وقد زاد على ذلك سوندرس من صنف الاشجار الصغيرة والنباتات عنب الذئب وشجرا صغيرا يقال له ايريل ثمره اسود وآخر يسمى ايريل كانبيرج وشجر التفاح ذا الشوك ويوجد ايضا فى الصين كما يوجد فى التبت وهو معدود فى الولايتين من أعظم المخدرات واقواها وهناك نوع من شجر الغار له جذور لها طعم القرفة ورائحتها وسماها مرق بول زنجبيلا وهى كثيرة فى بلاد التبت و بتلك البلاد ايضا نبات القاقلى سرسنيقة ويستعملونه فى عمل القطاع المسمى بلغتهم شونغ

الحيوانات ويقل فى بوتان الحيوانات الوحشية ماعدا القردة فانها كثيرة ببلاد التبت ويوجد فيها ايضا حيوان المسك الذى يعجب بنفسه فى جبال الهيه الكثيرة الجليد ولكن يتتبعه نوع صغير من الفور وانواع اخرى تقاربه والظاهر أن النمر الحقيقى لا يهوى القرار بهذه الاقطار الا نادرا لشدة بردها ومن حيوانات تلك البلاد الدب والفرس الوحشى والسبع وفيها ايضا كما قال مرق بول كلاب كبيرة كالحمر * والخيول المتأنسة بها صغيرة الجسم الا انها على غاية من الشدة والجوح والمواشى فيها متوسطة القامة وبها كثير من الغنم وأغلبها صغير ورؤسها وسيقانها سود آء وصوفها ناعم لطيف ولحمها الذيذ جدا حتى انهم يا كلونها نيئة بعد تجفيفها فى الهوآء البارد وتتبيلها بالثوم والتوابل و يكثر بها ايضا المعز وهى شهيرة بلطافة الشعر الذى يصنع منه الشيلان وهذا الشعر يوجد تحت طبقة اخرى من الشعر اخشن من السفلى وثم ايضا بقر خواره كخبر الخنزير وشعره طويل كثيف واذنابه ظريفة المنظر لطيفة الحركة والتموج وهو فى بلاد المسرق معدود من امور الزينة والرفاهية

السمك وغيره وقد ذكر مرق بول ان السمك يوجد بكثرة فى بحيرات التبت واقره على ذلك من بعده من السياحين بل كلامهم يدل على أن فيها أنواعا من السمك لا تعرف فى التاريخ الطبيعى المؤلف فى خصوص الاسماك وذكر ايضا مرق بول انه يخرج من تلك البحيرات المرجان

المعادن ثم ان المعارف المتعلقة بمعادن تلك البلاد قد ازدادت واتسعت دآئرتها منذ سياحة تورنير فان هذا السياح لم يجد فى بوتان الا الحديد وشيأ يسيرا من النحاس ولكنه وجد فى التبت الحقيقية معادن كبيرة كثيرة المحصول فرأى فيها الذهب بكثرة كما نبه عليه ايضا مرق بول وذلك انه يوجد بعض الاحيان فى مجارى الانهر دقيقا كالبارود وتارة يوجد شذرات او عروقا متفرقة غير منتظمة والمادة التى يتكون فيها هذا المعدن هى حجر الصوان وعلى البعد من مدينة تسشولمبو بمرحلتين معدن رصاص مادته كبريتية مخلوطة برصاص يتراءى منها انها محتوية على فضة ويستخرج أهل التبت ايضا معادن الزنجفر وهى كثيرة الزئبق ويستعمل هذا المعدن لمداواة الدآء الافرنجى او دآء الصفراء وهناك علامات واضحة تدل على أن فى تلك الاراضى معادن النحاس ويكثر فيها الملح المعدنى غير أن استخراج هذه المعادن فى الغالب قليل لقلة الوقود بهذه البلاد * واما المياه المعدنية فهى فيها كثيرة ومن محصولات التبت الخاصة بها

ملح البوارق ملح البوراق الخام المسمى ايضا ملح الصاغة والبحيرة التى يخرج منها هذا الملح وكذلك الملح المعدنى هى على ما قاله سوندرس الذى كان فى رحلته مصاحبا لتورنير واقعة على البعد من شمال تسشولمبو بخمس عشرة مرحلة ولا يصب فى هذه البحيرة شئ من الخلجان ولا من العيون لانه يحيط بها من سائر جهاتها جبال كثيرة الحضور وانما تمدها عيون طعم مياهها يميل الى طعم الماء المالح والظاهر أن هذه العيون تخرج من نفس هذه البحيرة الراسب فيها ملح البوارق

ومن اراد استخراجه اخرجه منها قطعا كبيرة ثم يكسر تلك القطع حتى تصير صغيرة ليسهل عليه نقلها وبعرضها للهواء اليابس ويظهر أن هذه المادة مع كونها تستخرج منذ مدة مديدة لم تنقص نقصا بينا فكأنها تتجدد على الدوام وذكر بعضهم أن محيط هذه البحيرة لا ينقص عن سبعة فراسخ ويمكث عليها الجليد مدة كبيرة من السنة * وملح البوراق يستعمل فى التبت للحم الاشياء والصاقها بعضها و يستعان به على سبك الذهب والفضة ولا ريب أنه سيكشف فى هذه الاقطار الجبلية عن كثير من الامور الطبيعية الغريبة فهى حرية بان ينتظرها علماء الطبيعة والمتولعون بوصف الاشياء الطبيعية ونهاية ما نعرفه الآن فى شان تلك البلاد انها شبيهة ببلاد السو يسة فهى عبارة عن مينا عظية بالمشرق وقد عاين سوندرس فى شمال مدينة تسيزودون صخرة غريبة يتراءى لناظرها من اول وهلة انها ستة اعمدة او سبعة ذات محيط عظيم ويجدها فى الارتفاع تبلغ نحو مائة قدم وهذه الهضبة العظيمة التى انفصل منها جزء عن الجبل واقعة موقعا حسنا على مسقط مياه عظيم

اقسام جغرافيه

ثم ان اقسام التبت الجغرافية فيها لبس وابهام كبير لان لفظ هوت تبت (اى التبت العليا) ولفظ تبت دوملبو (اى التبت الوسطى) ولفظ باس تبت (اى التبت السفلى) مبهمة غير واضحة المدلول وقد سمى الاب جيور جيوس بعض الاقاليم بالاسماء الآتية فسمى المملكة الواقعة فى جهة الغرب المشتملة على التبت الصغرى باسم لاطاق واطلق اسم ناغارى على مملكة اخرى تشتمل على هور مع بحيرة تركيرى وعلى كينغ ودوم وامارة كهنغ وهذه الاربعة واقعة فى جهة الشمال واطلق اسم امدوا على المملكة الواقعة فى جهة الشرق (وهى التى سماها مرق بول باسم اردندام) وسمى المملكة الواقعة فى جهة الجنوب باسم بريد يونغ اوبرامازيونغ وهو الذى وضع ايضا اسم تكبو التى سماها بعض سياحى الانكليز باسم بوتان واسم كبو او كنكوبو ووضع اسم أو على الاقاليم الواقع فى الوسط لمسمى فى جغرافية الصينيين باسم وى وكذلك اسم اقليم زنغ او شنغ ومثل ذلك ربما اوجب التشكيك والابهام واحوج الى كثرة الاسئلة فى هذا المقام

ماوقع من الشك والتردد فى شأن هذه الاقسام

فيقال مثلا هل مملكة لاداك مملكة مستقلة بنفسها كما زعمه بعضهم وهل اقليما هور وكينغ ليسا من اقسام مملكة ناغارى * واما اقليم دوم فالظاهر أنه داخل تحت اقليم كاهان * وهل اقليم كبو غير داخل فى تكبو * ولا يخفى انه بواسطة هذا التقليل الحاصل بادخال بعض الاقسام تحت بعضها يمكن رد هذه الاقسام كلها الى ثمانى ممالك وهو الموافق لما ذكره مرق بول ولكن البحث فى هذا المعنى مما لا طائل تحته لوقوع الاشتباه بين الاسماء الصينية والتبتية والمغولية وعدم صحة الخرطات التى رسمها امناء دين الصين

مدن وسبان

ثم انا لا نعرف فى شأن مدن التبت الا القليل والظاهر أن اغلب المحال المرسومة على الخرطات ليست الا مجرد قرى اعنى اخصاصا مجتمعة حول الهياكل * ومجموع مدن التبت ست عشرة مدينة حسبما دلت على ذلك الجغرافية الصينية الصحيحة وتحت الحكومة يسمى لسا او دساسا وهو فى اقليم أو على سهل متسع وهذه المدينة وان كانت صغيرة الآن بيوتها مبنية بالحجارة مع الاتساع وجودة التشييد وزيادة عن كونها مقر الحكومة التبتية هى ايضا وطن مندرانية الصين المحافظين عليها وهى ايضا عامرة بالتجار وارباب الحرف والصنايع وعلى البعد عنها من جهة الشرق بسبعة اميال انكليزية جبل شهير يسمى بوتالا ومعناه الجبل المقدس وعليه قصر اللما الاكبر * وكلام الصينيين يقتضى أن هذا الاسم اى بوتالا انما وضع للقصر المذكور واما الجبل فاسمه مربولى ولهذا القصر والهيكل قبة مذهبة وارتفاعه اثنان وستون باعا صينيا وفى خارجه اهرام عديدة وهى على ما يقال من الذهب والفضة وفى داخله عشرة آلاف اودة تشتمل على عدد كبير من الاصنام المتخذة من الذهب والفضة * وعلى القرب من مدينة لسا محل يقال له سرا وهو عبارة عن دير مع مدينة فيها كنيسة تسمى ايضا سرا كانت سابقا دار اقامة امناء الدين * وهنالك دير يقال له تسهولمبو وهو دار اقامة اللما الثانى وفيه ثلثمائة او اربعمائة محل يسكنها الرهبان زيادة على ما فيه من الهياكل والقبور وقصر اللما * وهذه المساكن كلها مبنية بالاحجار وسقوفها مسطحة متساوية ومحاطة بشجر الخلنج او بفروع منه رفيعة وقد ذكر تورنير قصورا وحصونا غير ذلك * ثم ان القناطر هنالك على اشكال غريبة وانواع بديعة فتارة تجدها على شكل سلاسل جبال ممتدة من مهواة الى اخرى وتارة تراها مركبة من خشب احد اطرافها قار على الشاطئ والآخر عليه سقف صغير وهذا الشكل اشبه بالجزء الاعلى من الشكل الثمن

قصر اللما الاكبر اى كبير امناء الدين

قناطر

وفى الجنوب مدينة يقال لها تاسيزودون وهى دار اقامة امير بوتان تابع اللما الذى فى دير تسهولمبو وعلى غربها مدينة عظيمة جدا تسمى لاطاق وهى تحت المملكة وقد تكلمنا فيما سبق على مدينة سينغلو او ديسنكلو بمقتضى ما ذكره مرق بول وتكلم هو على مدينة سوق او سوقور التى ينمو بقربها نبات الراوند الحقيقى

مدن مختلفة

وهذه المدينة على ماذكره فورستير اقرب لبلاد التبت وقد ذكرناها فى تنغوت هى ومدينة سليم او سرين وهى محل عظيم للتجارة يتردد اليه الصينيون

التبت الصغرى

والظاهر أن التبت الصغرى ولاية اخرى غير التبت الكبرى سواء بالنظر الى طبيعة الارض او بالنظر الى السياسة وهى واقعة فى الشمال الغربى وفى شمال كشمير وقاعدتها مدينة يقال لها اسكردو او اسكردون وهى التى يظن أن فيها اعظم منابع نهر السند ومن ارباب التجارة من يخرج من كشمير على طريق مستقيمة الى يرقند فيمرون فى طريقهم بالتبت الصغرى وبعد أن يتقابلوا مع بعضهم فى مدينة لاداك يسافرون منها ويكون معظم سيرهم على شاطئ نهر الهند الذى ينبع من الجبال الواقعة فى الشمال الغربى من مدينة يرقند فى خلال غابات عظيمة ثم يتجه جهة الجنوب ولا يزال جاريا حتى يقطع مسافة مرحلتين من تلك المدينة ثم ينقطع جريانه على حين غفلة من هذه الجهة وينعطف جهة الشرق فيجرى مسافة عظيمة جهة سيغور التى يظهر انها مدينة سيكير المرسومة على خرطات دنويل وفى هذه المدينة يتحول عن اتجاهه الى جهة حدود الهند

تنبيهات فى شأن بلاد بلور

والظاهر أن التبت الصغرى مشتملة على عدة اقاليم مشهورة فى الحكايات والتواريخ القديمة فمنها اقليم بلور الواقع فى شرقى اقليم بذخشان او بلاسيا وكان هذا الاقليم مشتملا على بعض جبال باردة دائما فى جميع فصول السنة حتى كأن الشتاء قد تحكم بها لا يفارقها اصلا وفيها اناس متوحشون ينتقلون بين غاباتها الكثيفة ولكن كان بين سلاسل هذه الجبال سهل متسع فيه نهيرات كثيرة يتكون منها نهر عظيم على شواطئه رياض مخضرة انيقة تتلاعب فيها اقاطيع الظباء حتى لو جاء اليها فرس هزيل ضعيف لعادت اليه قوته وتراجعت اليه صحته فى اقرب وقت وكان هذا السهل يسمى

سهل پامير

پامير والاولى أن يقال پانير ومعناه ارض المنابع ولا يناسب أن نهمل من تخطيط مرق پول هذا الاقليم الذى يخرج منه نهر السند وهو فى الحقيقة عبارة عن طرف الشمال الغربى من التبت الصغرى بل نقول ايضا ان فيه من

پارستان وغيره

الجهة المقابلة اعنى جهة الجنوب الشرقى جبل پارستان مع مدينة پادير التى يسكنها كما سبق امة البادوى التى ذكرها هردوط وامة الپاريانى التى ذكرها ميلا ثم ان اسم بلطستان المعبر عنه فى اللسان السانسكريتى بلسم بلدشان الذى يظهر أنه يدل على جميع التبت الصغرى يذكرنا امة بلطة التى ذكرها بطلموس وبالجملة فهذا الاقليم ينسب الى الهند الذى تكلم عليه الفرس وهردوط وكتيزياس وصار فيما بعد من ملحقات بلاد سمرقند ولا مانع انه سيكون طريقا مستقيمة لمن اراد من الفرق العسكرية الدخول فى كشمير من طريق الهندستان

طباع اهل التبت

ويظهر أن العوايد التى ذكرها مرق پول باق بعضها الى الآن فى اقاليم التبت الواسعة * والاخبار التى تجددت لا تشتمل فى هذا المعنى الا على بعض تنبيهات غير كافية بل هى عن هذا المقام بمعزل وقد وصف تورنير اهل التبت بالحلم ولين العريكة وذكر أن رجالهم شداد البأس وسحنتهم قريبة من المغول ولون نسائهم اسمرة المتحلية بالحمرة الناصعة الشديدة فهن كالاثمار التى تؤثر فيها الشمس تأثيرا شديدا وبالجملة فهؤلاء الناس على غاية من الصحة وسلامة البنية لاعتدال هوآء بلادهم الجبلية وطيب نسماتها

الزواج

والزواج عندهم لا يستدعى مقدمات كبيرة ولا تمهيدات عظيمة بل متى رضى اهل البنت بالخاطب واقروا خطبته ذهبوا بها الى داره فتجتمع حينئذ اصحاب كل من الجانبين ومن له معرفة بهما ويحتفلون احتفال الزواج ويمكثون ثلاثة ايام وهم فى حظوظ وافراح ورقص وموسيقى وبمجرد انقضاء هذه المدة ينعقد النكاح ولا مدخل فى ذلك لامناء دينهم اصلا لانهم محرومون من جميع مافيه شائبة مخالطة للنساء ومع ذلك فعقدة النكاح عندهم هؤلاء الناس لا تنحل ولا تنفسخ ابدا فلا يجوز للزوج أن يطلق زوجته اذا لم تجبه كما لا يجوز لها أن تفارقه مالم يشترط ذلك فى صلب العقد واذا حصلت المفارقة

الازواج

امتنع على كل منهما التزوج ثانيا * وهذا الامر مختص ببلاد التبت وهو تعدد الازواج على العكس من باقى بلاد المشرق فان النساء فى التبت يجوز لهن أن يجمعن بين عدة ازواج * ولا كبار الاخوة مزية انتخاب الزوجة ولكنها تصير بعد انتخابه اياها مشتركة بينه وبين اخوته ولو بلغ عددهم مابلغ ومثل هذا الامر المضر بالاهالى لم يوجد الا عند العرب النبتية او النبطية على ان بلاس تردد فى ذلك

الجنائز

وذكر السياح روبروقيس أن التبت كانت لهم عادة شنيعة وهى اكلهم اجسام من يموت من اقاربهم فى سن الشيخوخة والهرم ثم تركوا هذه العادة وعوضوها بعادة اخرى وهى شريهم فى جماجم اسلافهم واما المتأخرون من السياحين فلم يتكلموا على هذه العوايد اصلا وانما ذكروا أن بقايا جسم اللما الاكبر محفوظة فى بابوت كبير واجسام من دونه من امنائه دينهم تحرق ويحفظ رمادها فى صور صغيرة محوقة واما اجسام العامة المدنسة بالخطايا فانها ترمى للنسور فى محل كبير مضروب عليه سور

اللغة

واللغة العامة المتداولة ببلاد التبت تشبه اللغة الصينية الضيقة الدائرة فى كثرة المقاطع وعدم حروف المعانى وعدم تغيراواخر الكلم فالتبت كالصينيين لا يمكنهم التكلم من غيران يستعينوا فى الافادة باشكال يرسمونها فى الهواء بأيديهم او فى الرمل فلذا كانت تآليفهم التى عثر عليها عند القلوق على غاية من الغموض وعدم المفهومية ولهم لغة اخرى مقدسة كاللغة السانسكريتية (عند الهنود) لا يستعملونها الا فى تأليف كتبهم الدينية وقد نص روبروقيس قبل تورنير على أن التبت يكتبون مثل الافرنج من الشمال الى اليمين ويسمون الحروف التى يستعملونها فى نسخ الكتب التى تطبع اوشن واما الحروف التى يستعملونها فى المكاتبات والمراسلات ونحو ذلك من الامور المعتادة الجارية بينهم فانهم يسمونها مين وكلا النوعين حروف هجائية غير أن كثرة اقتصارهم على بعض الحروف فى الالفاظ والاسماء تجعل كتابتهم شبيهة بكتابة المقاطع واجزاء الكلمات (عند الفرنج) والسنة عندهم قمرية والشهر تسعة وعشرون يوما

الحروف الهجائية

الحرف والصنائع

وصناعة هذه الامة عبارة عن فبريقات تصنع فيها الشيلان اوالقشة من الصوف * وشعر المعز العظيم الذى تتخذ منه هذه الشيلان ينقل وهو خام الى كشمير كثيرا ويحمل الصينيون من التبت التبر الاصفر والمرجان وجلود صغار الضأن والمسك والقشة اصوف ويحملون اليها الشاى والفرفورى ويحمل ايضا من التبت الى مملكة نيبال الملح الاندرانى وملح الصاغة والتبر وتأخذ فى مقابلة ذلك نقود الفضة والنحاس والارز والقشة غليظة من القطن وكان التبت سابقا بواسطة طريق نيبال يتجرون مع بنجالة تجارة هينة فى التبر وملح الصاغة والمسك ويرجعون منها باصناف الجوخ والتوابل والازار والقشة القلوع والزمرد والياقوت الازرق وحجر اللازورد ونوع آخر من الحجارة السوداء البراقة فطوق الصينيين من ذلك غيرة وخجل فسدت مسالك التبت على التجار الاجانب واستبد بها

ولما كانت اصول ديانة التبت لا تسوغ ضرب النقود كانت معاملتهم من نقود الفضة الرديئة التى تأتى اليهم من بلاد نيبال

الدين

ولبلاد التبت مزية على غيرها من البلاد وهى انها كرسى سلطنة الدين المتحكم على جميع بلاد اسيا الوسطى ورئيس هذا الدين اومشرعه يقال له دلى لما اودلى لاما وهو امير هذه البلاد وقاضيها وهو الذى يقبض ايراداتها ومحصولاتها مع ما كان السلاطين الصين عليها من نفوذ الكلمة واطلاق التصرف محتجا بانه الحامى لدين هذه البلاد والقائم بالرباط فى ثغورها الاصلية * ثم ان اوهام آسيا الوسطى تنقسم الى ثلاثة مذاهب اصلية وهى الشامانسم و البراهمنسم واللامسم فاما الاول فلا يمكن للاهالى أن تقصر فى تعظيمه واحترامه الا ماندر لانه اقدم تلك المذاهب وقد تكلم على ذلك استرابون او اسطرابونيس وكلميان اوكلميانت الاسكندرانى وبورفيره وسموا اصحاب كل مذهب من الثلاثة باسم يخصهم فسموا المذهب الاول جرمان والثانى سرمان والثالث سمانيان وكان رؤساء الاول اى الشامانسم يتقوون بممارسة الفلسفة ورؤساء الثانى اى البراهمنسم يعترفون بأن عليهم الفضل والمنة لرؤساء الاول فى جميع ما لديهم من العلوم والمعارف حتى انهم الى الآن يقرؤن ما عندهم من الكتب القليلة التى اخذوها من رؤساء الشامانسم مع رعاية الادب والاحترام كما يفعله الافرنج فى الكتب اليونانية واللاطينية ومع ذلك فقدماء اصحاب البراهمنسم اتهموا رؤساء الشامانسم بعبادة الاصنام فاذوهم وأجفوا بهم وطردوهم من بلاد الهندستان بالكلية ولكن لم يتوصلوا الى ذلك الا بالتدريج فلما اغتنموا الفرصة ونالوا مرامهم لم يبق جهة نهر الكنك منذ ستمائة سنة احد من رؤساء مذهب الشامانسم ولا من اتباعهم المتمسكين بمذهبهم وكان قدماء الشامانسم لا يقولون بتعاقب الزمان والمكان والترتيب فى حق تداول آلهتهم التى لا تحصى بخلاف اصحاب مذهب اللامسم اى الذين على مذهب اللما فانهم على خلاف ذلك حيث يقولون ان الما الاكبر لا يتغير فيه وصف الالوهية وانما يتوسط أمر خفى يتشكل باشكال مختلفة ويظهر للناس بما يشاء من الصور البشرية مع بقائه على الالوهية التى لا تنفك عنه اصلا ولا تتعدد بتعدد تلك الصور

الفرق بين الشامانسم والبراهمنسم واللامسم

وقد تفرع عن مذهب الشامانسم اوهام باطلة وعقائد عاطلة تدين بها قدماء المغول وحافظوا عليها وتوارثوها خلفا عن سلف بطريق الرواية لا بالتدوين فى الكتب لانهم امميون لا يعرفون فن الكتابة * وينسب الى هذا المذهب ايضا جميع عقائد الامم الوثنية ببلاد سبير كالبوريا تية واليا قوتية وبعض التتار الذين ليسوا على دين الاسلام ولا دين النصرانية ويسمى هذا الدين ايضا باسم سومونا خودوم وهو وثن شهير يعبده اهل سيام واهل بيغو ويعبده ايضا امم آخرون يسمونه باسماء مختلفة فيهارآئحة هذا الاسم فيسميه المغول شيشيموني والقلوق شاماموناو والتبت ماحاوني وهذا الاسم الاخير باللسان السانسكريتى ومعناه القديس الاكبر ويسمى عند الصينيين شاخ

اتساع دائرة دين الشامانسم

وهو وثنهم الشهير الذى سمى منذ تأليهه باسم فو او بودا

ما بين الشامانسم وفو وبودا من المشابهة

قال العالم فيشير مانصه الظاهر أن فو هو عين بودا الذى تكلم عليه سابقا ست چيرزم فان كلمة بود على مايظهر تدل من حيث هى على الالوهية ويدلك على ذلك أن بوديتو او بودستان الذى هو اسم لملكة التبت معناه اقطار الالوهية وهو اسم مركب من بود و ايتو وانما غير اللاسينيون كاهور أى الفريج الباء بالفاء لان حرف الفاء لاوجود له عند التبت ولا المغول فى الحروف الهجائية ويظهر أن كلمة بود ينطق بها ايضا على وجوه مختلفة عند الهنود و المغول ومن اسماء سومونا خودوم ايضا بوتى زيات (ومعناه السيد بوتى) والبوريانية يسمون آلهتهم اوكهنتهم باسم بو وكلمة بودا تطلق فى سواحل نهر الكنك على يوم الثلاثاء وكذلك بودا فاران فى اللغة السانسكريتية كما ان بودا يدينا و فانيوت و بودا كيروى تطلق على اليوم المذكور عند اهل ممالك سيلان و سيام و ملبار ويظهر مما ذكرناه أن سومونا خودوم وشيشموفى او شيجيمونى و شاماونا و شاخا و فو و بودا كلها اسماء لمعبود واحد

اصل كلمة شامان

ثم ان لوبير وهو مؤلف محقق وعالم مدقق حقق أن كلمة شامان منقولة من لغة يهلى وهو لسان ألفت منه كتب اهل سيام الدينية ومعناها المنفرد المتوحد وهذا المعنى مطابق بالكلية لما ذكره كليمان الاسكندرانى فى شان طائفه السرمان حيث قال انهم طائفة تميل الى الوحدة والانفراد لايستوطنون مدنا ولايسكنون بيوتا بل باسهم تشور الاشجار وغذاؤهم المحصولات الطبيعية الخارجة من الارض بدون فعل فاعل ولايشربون الا الماء فى حفناتهم وقريب من ذلك ماذهب اليه كفير من أن كلمة شامان معناها الانسان المجرد عن الشهوات النفسانية وزيادة على ذلك فلفظ شامان ولفظ تاليوان مترادفان على معنى واحد الا أن الاول اصله من لسان يهلى والثانى من اللغة المتعارفة المتداولة فى دول سيام

اصل دلى لما

ثم ان فيشير جعل لدين التبت اى دين دلى لما اصلا جديدا وذلك لانه وجد فيه اصولا وقواعد من دين البوديسم ممزوجة باصول اخرى من دين النصرانية من جهاتها النسطورية حتى ان التبت انفسهم يقولون ان تاريخهم الصحيح لايزيد على سبعمائة وتسعين سنة قبل الميلاد وسياحو القرن الثالث عشر لايعرفون دين دلى لما والظاهر أن روبروقيس كان له به المام غير أنه لم يتكلم الا على غيرة بعض نصارى النسطورية وحميتهم الدينية وذكر أن رئيس دينهم استقف مقيم بمدينة من مدن الصين تسمى سيجين وتكلم ايضا على عبادة اخرى مستعملة عند عبدة اوثان سماهم توينان وجعلهم من طائفة المانشيان

انتشار النسطورية فى آسيا الوسطى

ومذهب السياح قريبين أن طائفة الايوغور نصارى تبعوا ضلالات نسطورس ووافقه على ذلك البسوعى غوبيل حيث قال ان هذه الطائفة من ابناء النصرانية

وكثير من المؤلفين من برهن على ان دين النصرانية انتشر فى بلاد تنغوت والصين وبلاد المغول وان له فى تلك البلاد اناسا لهم عليه غيرة وحمية دينية وان كانوا بين اقوام لهم اديان اخرى متحكمة فى تلك الجهات ومع ذلك فمقتضى ماوصل الينا من الاخبار والمراسلات التى بينت لنا الحالة الراهنة لهذه البلاد أن دين النصرانية لاأثر له فى الجهات المذكورة ماعدا بلاد الصين فان دعاة القاثوليقية المتأخرين جدوا فيها هذا الدين بخلاف دين اللامسم اى دين الدلى لما فانه لم يزل باقيا على انتشاره عند اهل تنغوت والمغول و القلموق و بعض ممالك من الهند بل وفى الصين ايضا قال فيشير ولامانع من القول بأن دين النسطورية كان فى الواقع قد دخل فى آسيا العليا من قديم الزمان وانما اصحابه الذين نشروا هذه الهرطقة اى البدعة وكذلك اتباعهم ومن حذا حذوهم لما لم يتمكنوا البعد هم عن تلك الجهات من مخالطة الجمعيات النصرانية القاثوليقية انفصلوا بالتدريج عن هذه الجمعيات واعتزلوهم ورفضوا دياناتهم وتفرغوا من وقتئذ للعمل بما كان فى بلادهم من الاوهام والضلالات حتى تجردوا بالكلية عن دين النصرانية فعلى هذا القول الذى يظهر انه صحيح موافق للواقع لاينبغى لاصحاب مذهب اللامسم أن يفتخروا بان مذهبهم اقدم من غيره لانه مستنبط من بعض اصول وقواعد من دين الشامانسم القديم ومن بعض رسوم وشعائر تنسب لدين النصرانية الحديث وذلك أن مذهب اللامسم المذكور اخذ من دين الشامانسم مايتعلق بمذهب فو من الاتراك والمذاهب وكذلك القول بتناسخ الارواح واخذ من دين النصرانية مافيه من الرسوم والشعائر وبالجملة فبين دين اللامسم ودين النصرانية مشابهة قوية واتحاد كلى

ما بين هذا المذهب ودين النصرانية من الاختلاط والاتحاد فى الاصول والرسوم

قال بورنير مانصه ان مافى بلاد التبت من الرسوم والاحتفالات الدينية مباين بالكلية لما فى بلاد الهند من ذلك حسبما ظهر لى فى هذا الشأن وذلك أن التبت يجتمعون لاجل العبادة فى معابد صغيرة و يرتلون مايقرؤ

بالتعاقب جماعة بعد اخرى على نغم آلات يسمع لها دوى عظيم حتى انى كنت كلما حضرت معهم فى هذه المحافل تذكرت ما كنت اراه واسمعه فى الكنائس الرومانية لما بينهما من المشابهة والمقاربة انتهى والرهبان بهذه البلاد يحلقون رؤسهم وفيها ايضا دير للنساء * وملابس طائفة رهبانهم المسمين جيلون شبيهة بملابس قسوس الفرنج وهذه المشابهات التى حاول بعضهم البرهنة بها على ابطال دين النصرانية وانه ليس من الوضع الالهى يجب أن تعتبر كلها من آثار مذهب النسطورية

الحكومة المدنية والقسيسية (اى السياسية والدينية

وكان لبلاد التبت ايضا مشابهة اخرى برومة من حيث انها مكثت مدة يحكمها امراء من الكهنة يقال لهم اتسانيا وكانت دار اقامة اللما مدينة لسا وكان فى القوة والشوكة مثل كبير القسوس فى ياپونيا ثم خرج قلوق ايلوت على اميرهم وظفروا به وجزدوه عن الحكم والشوكة وضموا ذلك الى اللما فوقع النزاع بين قدماء اللما المعروفين بالحمر واللما الاصفر فظهر هذا الاخير عليهم باعانة الصينيين وفى سنة ١٧٩٢ من الميلاد حين بقى اهل نيبال على التبت وخربوا بلادهم تخريبا فظيعا امد سلطان الصين اللما الاكبر بجيش من عساكره ومن وقتئذ ترتبت فى الطريق منازل عسكرية من العساكر الصينية فمنعت المخالطة والمعاشرة بين اهل نيبالة والتبت فحزن لذلك كل الحزن الانكليز وعلماء الجغرافية

وكانت عادة اللما أن ينيب عنه كاهنا يقال له بلغة تلك البلاد تيبا ثم نسخت هذه العادة الآن وصار ينوب عنه اميرحاكم يرسل من الصين يلقب چيونوان * ثم ان قوانين بلاد التبت هى كدينها اشبه شئ بقوانين الهند وليس هناك تعداد يدل على عدد اهل هذه البلاد وانما ذكر الصينيون أن عدتهم ثلاثة وثلاثون مليونا والظاهر أن هذا العدد فى الواقع يبلغ مقدارهم عشر مرات وان صح ما قيل من أن عدد رجالهم اكثر من عدد نسائهم كان عدد

الاهالى

الاهالى آخذا دائما فى النقصان واما عدد عساكرهم فاذا نظرنا الى سهولة تغلب القلموق على بلادهم لزم أن نقول ان نهاية

العساكر

ما يمكنها تجهيزه من العساكر خمسون الفا واما محصولات تلك البلاد فتعرف بالنسبة الى فقر اهلها

وهذا الامير (يعنى اللما الاكبر) وان كان ضعيف الشوكة الدنيوية الا انه على غاية من الاعتبار فى جزء عظيم من آسيا

مااللما الاكبر من الشوكة الدينية

حيث يعتقدون انه نفس الفو او البودا تشكل بشكل بشرى ويقولون ان الروحانية الالهية اذا فارقت جسما انتقلت منه الى آخر فبهذه التشكلات يثبتون صفة البقاء لرئيس دين اللامسيم (وهو اللما المذكور) ويقولون ايضا انه يتصاعد من ذاته وجميع اجزاء بدنه رائحة عنبرية وان الازهار تنبت تحت قدميه واذا اخرج صوته فى ارض قفر على غاية من القحل واليبوسة تفجرت لصوته عيونها ونبعت مياهها بل لا يشك أن ما يتجمع فى مرحاضه من النجو يلتقطه الناس على سبيل التعبد والتبرك فيوزع عليهم فيعلقون اليابس منه فى اعناقهم كالتمائم ويشربون المائع كأنه من اجود المشروبات الطبية

هل اللما المذكور هو القسيس جوان اوحنا الذى تكلم عليه السياحون

ثم ان كثيرا من العلماء ظهر لهم أن هذا الشخص صاحب الاسرار فيه اوصاف تقتضى أنه القسيس حنا او جوان الشهير الذى تكلم على مملكته العلوية التى لا تقبل الفناء الجغرافيون ومؤرخو القرون الوسطى وما استدلوا به على ذلك يدل بظاهره على صحة ما ذهبوا اليه وحاصل ما استدلوا به أن ثلاثة من السياحين وهم قرپين و ربروقيس ومرق پول تكلموا على القسيس المذكور وذهب كل منهم فى ذلك مذهبا فاما قرپين فذهب الى انه من ملوك الهند وقال بذلك ايضا ربروقيس وزاد عليه انه جعلدر يسا حاكما على طائفة دينية يقال لها نيمان وذكر أن هذه الطائفة على دين النصرانية واما مرق پول فوافق رأيه رأى الراهب الفرنسيسكانى حيث سمى هذا القسيس باسم اونكخان وافاد ايضا انه نصرانى والظاهر أن معنى هذه الكلمة اى اونكخان بلسان الصين الامير الاكبر ولم يسم به الا امير من امراء القلموق اشتهر بالفتوحات ولكن لا يمكن أن يصدق عليه شئ مما قيل فى شأن القسيس حنا المسمى بالفرنساوية پريتر جان وبالطليانية پريت جنى ولا شك أن هذا الاسم الذى اغتر السياحون بمدلوله الطليانى او الفرنساوى كان الواجب تفسيره بلغة من اللغات المشرقية والظاهر أن اقرب ما قيل فى مأخذ هذه الكلمة من الاصول المتوهمة هو ما قاله سكاليجير من أن تلك الكلمة اصلها من اللغة الهندية ثم حرفت الى پرستيغان او پرستغيانى او پرستهيانى ومعناها حامل الوقائع وناشر الاخبار لعموم الناس اى حوارى مرسل لكافة الناس

هل هو من خلفا بطارقة النسطور

ولا يخفى أن بطارقة النسطورية تلقبوا بلقب القاثوليقية او الاوكومنيقية وهو فى المعنى يرجع تقريبا الى اسم پريتيجان (اى القسيس حنا) فلو فرضنا حينئذ (وان كان كل انسان له المام بهذا المعنى يمكنه المناقشة فى ذلك) بأن دعاة النسطورية الذين ارسلوا الى تلك الجهات دخلوا اولا فى الاقسام العليا من آسيا وتوغلوا فيها لجزنا ذلك

بواسطة تناسب الاسماء ومشابهتها البعضها الى أن تجعل رئيس هؤلاء الهراطقة اى الطوائف المقشعة هو الحبر الحاكم على زعمهم الذى نص عليه مرق بول وربروقيس وحيث ان جميع المؤلفين ذكروا أن القسيس حنا المذكور كان هناك رئيسا على طائفة من النصارى يستنبط من ذلك انه كان بطريقا على دين النسطورية اوانه كان اسقفا من اساقفتهم ومن نواب بطريقهم فسلك مسلكا اعلى من مقامه لبعده عن رئيسه حتى لقبه الناس باللقب الدال على عموم دعوته ولقبوه ايضا بالقانولیق والاوكومنيق او اطلق هو ذلك على نفسه اطلاقا لم يصادف محلاه واخطأ من اعتقد ان هذا البطريق النسطورى هو نفس اللما الاكبر وانما دين النسطورية لما تعطل فى بلاد الهند آل امره أن اختلط بدين اللامیسم ثم اضمحل وتلاشى بالكلية ومن المعلوم أن القسيس حنا المذكور عرف قبل أن يعرف دلى لما وذلك انه لم يسمع احد ينطق بلفظ اللما ولا بلفظ دلى لما بالاولى فى بلاد المغول اعنى البلاد التى كان فيها القسيس حنا سلطننا الدين والسياسة الا فى عهد غايوق خان حفيد جنكيزخان الشهير بالفتوحات واول من تكلم من الافرنج على دلى لما هو الاب اندراده وذكر بريتير أن دلى لما اسم لذات خارقة للعادة لا تعرف حقيقتها حق المعرفة

وقد بقى علينا أن ننبه ايضا على ان مؤلفى الاعصر الماضية الذين جالوا فى ميدان البحث على النسطورية والقسيس حنا لم يتعرضوا لذكر رئيس دين الدلى لما ولم يذكروا فى شأنه شيأ بل من المشاهد انه بمجرد ظهور هذا الرئيس واشتهاره طرح اسم القسيس حنا المذكور فى زوايا النسيان عند المغول والتبت فان قلت ماذا يفهم من هذا كله وما نتيجته قلنا هو وجود بطريق عام الدعوة انجذبت له القلوب واشتهر شهرة عظيمة باسم غريب بل الظاهر انه اشتهر ايضا بلقبه الخاص به وترجم الى لسان آخر فاذن لا مانع من أن كلا من لفظ القسيس حنا ولفظ دلى لما

نتيجة ماذكر

مسماهما واحد وموصوفهما واحد ولكن حيث ان ربروقيس ومرق بول جعلا مملكة القسيس حنا فى الطريق التى سلكاها وهى بلاد المغول البعيدة عن التبت فالاوفق بالطبيعة ان يقال ان هذا الرئيس الدينى ليس الا اذا حادثة وقتية يعنى انه بطريق نسطورى اكتسب بمعارفه الاحترام والتعظيم حتى استولى على قلوب قبيلة من قبائل المغول وبقية ما قيل فيه انما هى ناشئة عن الشهرة التى هى مطية المبالغة والى هنا انتهى الجزء الثالث من الجغرافية العمومية للمؤلف

يليه الجزء الرابع